

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١

راجعة وخرج أحاديثه

أحمد محمد شاكر

تحفته وعلق حواشيه

محمود محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ق ٨٦٤٢٤٠

لسم الله الرحمن الرحيم

لرحمة الله وبركاته

قرأ على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري في سنة ست وثلاثمئة ، قال : ٢/١
الحمد لله الذي حجبت الأبواب بدائع حكمته ، وخصمت العقول لطائف
حججه^(١) ، وقطعت عنر الملحدين عجائب صنعه ، وهتفت في أسماع
العالمين السن أدلته ، شاهدة أنه الله الذي لا إله إلا هو ، الذي لا عدل له
معادل^(٢) ، ولا مثل له مماثل ، ولا شريك له مظهر ، ولا ولد له ولا والد ،
ولم يكن له صاحبة ولا كفواً أحداً ، وأنه الجبار الذي خضعت لجبروته الجبابرة ،
والعزيز الذي ذلت لعزته الملوك الأعزّة ، وخشعت لمهابة سطوته ذؤو المهابة ،
وأذعن له جميع الخلق بالطاعة طوعاً وكرهاً ، كما قال الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه :
﴿ وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلّٰلُھُمْ بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥] . فكل موجود إلى وحدانيته ذاع ، وكل محسوس إلى
ربوبيته هاد ، بما وسمّهم به من آثار الصنعة ، من نقص وزيادة ، وعجز وحاجة ،
وتصرف في عاهات عارضة ، ومقارنة أحداث لازمة ، لتكون له الحجة البالغة .
ثم أرّدف ما شهدت به من ذلك أدلّته ، وأكد ما استنارت في القلوب منه
بهيجته ، برسل ابتعثهم إلى من يشاء من عباده ، دعاة إلى ما اتضحت لديهم
صحته ، وثبتت في العقول حجته ، ﴿ لِّئَلَّا يَكُوْنَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّٰهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾
[سورة النساء : ١٦٥]

(١) حاجه يحاجه : نازعه الحجة ، وحجه يحجه : غلبه على حجته . وخاصه : جادله بالحجة
والبرهان ، وخصمه : غلبه وظهرت حجته على حجته . والطائف : جمع لطيفة ، وكل شيء دقيق محكم
وغامض خفي ، يحتاج إلى الفرق والتأني في إدراكه ، فهو لطيف .

(٢) العدل (بكسر العين وفتحها وسكون الدال) والمعدل : النظير والمثيل . وعادله : ساواه ومثله .

وليد كثر أولو النهى والحلم . فأمدَّهم بعونه ، وأبانهم من سائر خلقه ، بما دل به على صدقهم من الأدلة ، وأيدهم به من الحجج البالغة والآي المعجزة ، لئلا يقول القائل منهم (١) : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَلَئِنْ أَطَقْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ : إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٣٣ - ٣٤]

فجعلهم سفراء بينه وبين خلقه ، وأمناءه على وحيه ، واختصهم بفضله ، واصطفاهم برسالته ، ثم جعلهم - فيما خصهم به من مواهبه ، ومن به عليهم من كراماته - مراتب مختلفة ، ومنازل مفرقة ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، متفاضلات من ينات . فكرم بعضهم بالتكليم والنجوى ، وأيد بعضهم بروح القدس ، وخصه بإحياء الموتى ، وإبراء أولى العاهة والعمى ، وفضل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، من الدرجات بالعليا ، ومن المراتب بالعظمى . فحباه من أقسام كرامته بالقسم الأفضل (٢) ، وخصه من درجات النبوة بالحظ الأجزل ، ومن الأتباع والأصحاب بالنصيب الأوفر . وابتعثه بالدعوة التامة ، والرسالة العامة ، وحاطه وحيداً ، وعصمه فريداً ، من كل جبار عاند ، وكل شيطان مارد (٣) ، حتى أظهر به الدين ، وأوضح به السبيل ، وأنهج به معالم الحق ، وحقق به منار الشرك . وزهق به الباطل ، واضمحل به الضلال ، وخدع الشيطان وعبادة الأصنام والأوثان (٤) ، مؤيداً بدلالة على الأيام باقية ، وعلى الدهور والأزمان ثابتة ، وعلى مرّ الشهور والسنين دائمة ، يزداد ضياؤها على كرّ الدهور إشراقاً ، وعلى مرّ الليالي والأيام

(١) في المطبوع : « القائل فيهم » ، ومثل هذا التبديل كثير في المطبوع ، سأغفل منه ما شئت لكثرة ، وطلباً للاختصار في التعليق بما لا غناء فيه .

(٢) الأقسام : جمع قسم (بكسر فسكون) ، وهو الحظ والنصيب من الخير .

(٣) الجبار العنيد والعائد : الذي جبار ومال عن طريق الحق ، ثم عتا وطفا وجاوز قدره .

والمارد : الذي مرّن على الشر حتى بلغ الغاية ، فتناول عتوا وتعجراً .

(٤) في المخطوطة : « وجدع » بالجم مضمومة ، من جدع الأنف ، وهو قطعها ، كناية عن

الإذلال . ولا أظنها جيدة هنا . والجدع جمع خدعة (بضم فسكون) : وهي ما يخدع به من المكر والختل .

اثتلاقاً ، خِصِّصَ من الله له بها دون سائر رسله^(١) - الذين قهرتهم الجبابرة ، واستذلّتهم الأمم الفاجرة ، فتعفّت بعدهم منهم الآثار ، وأخلت ذكرهم الليالي والأيام - ودون من كان منهم مُرسلاً إلى أمة دون أمة ، وخاصة دون عامة ، وجماعة دون كافة .

فالحمدُ لله الذي كرمنا بتصديقه ، وشرّفنا باتّباعه ، وجعلنا من أهل الإقرار والإيمان به وبما دعا إليه وجاء به ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أزكى صلواته ، وأفضل سلامه ، وأتمّ تحياته .

ثم أما بعد^(٢) ، فإنّ من جسم ما خصّ الله به أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الفضيلة ، وشرّفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة ، وحجّاهم به من الكرامة السنية ، حفظه ما حفظ عليهم - جلّ ذكره وتقدّست أسماؤه - من وحيه وتنزيله ، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم صلى الله عليه وسلم دلالة ، وعلى ما خصه به من الكرامة علامة واضحة ، وحجة بالغة ، أبانه به من كل كاذب ومفترٍ ، وفصل به بينهم وبين كل جاحد ومُلحدٍ ، وفرّق به بينهم وبين كل كافر ومُشركٍ ، الذي لو اجتمع جميع من بين أقطارها ، من جنّتها وإنسها وصغيرها وكبيرها ، على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً^(٣) . فجعله لهم في دُجى الظلم نوراً ساطعاً ، وفي سُدُف الشبهة شهاباً لامعاً^(٤) ، وفي مضلة المسالك دليلاً هادياً ، وإلى سبل النجاة والحق حادياً ، ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة : ١٦] . حرسه بعين

(١) في المطبوع : «تخصيصاً» ، وهو تصرف من الطائعين . خصه بالشئ يخصه خصاً وخصوصية (بفتح الحاء وضمة هاء) وتخصيص : أفرد به دون غيره .

(٢) حذف الطائعون قوله : «ثم» ، ليكملوا كلام الطبرى دارجاً على ما ألفوا من الكلام .

(٣) يضمن ما جاء في سورة البقرة : ٢٣ ، ويونس : ٣٨ ، والإسراء : ٨٨ .

(٤) السدف : جمع سدفة ، وهى ظلمة الليل يخالطها بعض الفسوف ، تكون في أول الليل وآخره ،

ما بين الظلمة إلى الشفق ، وما بين الفجر إلى الصلاة .

منه لا تنام ، وحاطه برُكن منه لا يضام ، لاتَهَي على الأيام دعائمه ، ولا تبيد على طول الأزمان معالمه ، ولا يجور عن قصد المحجَّة تابعه^(١) ، ولا يضل عن سبُل الهدى مُصاحبه . من اتبعه فاز وهُدِيَ ، ومن حاد عنه ضلَّ وغَوَى ، فهو موثلهم الذى إليه عند الاختلاف يَثِلون ، ومعقلهم الذى إليه فى النوازل يعقلون^(٢) ، وحصنهم الذى به من وساوس الشيطان يتحصنون ، وحكمة ربهم التى إليها يحتكمون ، وفصل قضائه بينهم الذى إليه ينتهون ، وعن الرضى به يصدرون ، وحبله الذى بالتمسك به من الهلكة يعتصمون .

اللهم فوقنا لإصابة صواب القول فى مُحْكَمه ومُتَشَابِهه ، وحلاله وحرامه ، وعامه وخاصه ، ومجتمعه ومفسره ، وناسخه ومنسوخه ، وظاهره وباطنه ، وتأويل آيه وتفسير مُشْكِله . وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه ، والثبات على التسليم لمتشابهه . وأوزعنا الشكر على ما أنعمت به علينا من حفظه والعلم بمحدوده . إنك سميع الدعاء قريب الإجابة . وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً .

اعلموا عباد الله ، رحمكم الله ، أن أحقَّ ما صُرِفَتْ إلى علمه العناية ، وبُليَغَتْ فى معرفته الغاية ، ما كان لله فى العلم به رضى ، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى ، وأن أجمعَ ذلك لباغيه كتابُ الله الذى لا ريب فيه ، وتنزيله الذى لا مِرْيَة فيه ، الفائزُ بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد^(٣) .

ونحن — فى شرح تأويله ، وبيان ما فيه من معانيه — منشئون إن شاء الله ذلك ، كتاباً مستوعباً لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه ، جامعاً ، ومن سائر الكتب

(١) المحجَّة : الطريق . والقصد : استقامة الطريق وسهولته .

(٢) وال يثل والاً ووژولا : لجأ طلباً للنجاة . والموئل : الملجأ والمنجى . والمعقل : الحصن المنيع فى رأس الجبل ، وعقل إليه يعقل عقلاً وعقولا : لجأ إليه وامتنع به . وفى المطبوعة « يعقلون » ، وفى المخطوطة مثلها غير منقوطة . ولم أجد « اعتقل » بمعنى عقل . وإن صححت فى قياس العربية .

(٣) تفسين آية سورة فصلت : ٤٢ .

غيره في ذلك كافياً . ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما
اتفقت عليه منه (١) ، واختلافها فيما اختلفت فيه منه . ومُبيِّنو عِلَال كل مذهب
من مذاهبهم ، ومَوْضُحو الصحيح لدينا من ذلك ، بأوجز ما أمكن من الإيجاز
في ذلك ، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه .

واللهَ نَسألُ عونَه وتوفيقَه لما يقرب من محابِّه ، ويُبْئِد من مَسَاخِطِه .
وصلَّى الله على صَفْوَتِه من خلقه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

وأولُ ما نبدأ به من القِيل في ذلك : الإبانَةُ عن الأسباب التي البدايةُ بها
أولى ، وتقديمها قبل ما عداها أخرى . وذلك : البيانُ عما في آي القرآن من المعاني
التي من قبَلها يدخل اللَّبْس على من لم يعان رياضةَ العلوم العربية ، ولم
تستحكم معرفتُه بتصاريف وجوه منطق الألسن السليقية الطبيعية .

(١) في المطبوعة « عليه الأمة » ، وهو تصرف لا خير فيه . والهاء في « منه » راجعة إلى
كتاب الله .

﴿ القولُ في البيانِ عن اتفاقِ معاني آي القرآن ، ومعاني منطوق
مَنْ نزل بلسانه القرآن من وَجْه البيان — والدلالة على أن ذلك
من الله تعالى ذكره هو الحكمة البالغة — مع الإبانة
عن فضل المعنى الذى به بَيَّنَّ القرآنُ سائرَ الكلام ﴾

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، رحمه الله :
إن من أعظم نعم الله تعالى ذكره على عباده ، وجسيم منته على خلقه ،
ما منحهم من فضل البيان الذى به عن ضماير صدورهم يُبينون ، وبه على عزائم
نفوسهم يبدلون ، فذلكل به منهم الألسن (١) ، وسهل به عليهم المستصعب .
فيه إياه يُوحّدون ، وإياه به يُستبشّحون ويقدّسون ، وإلى حاجاتهم به يتوصلون ،
وبه بينهم يتحاورون ، فيتعارفون ويتعاملون .

ثم جعلهم ، جلّ ذكره — فيما منحهم من ذلك — طبقات ، ورفع بعضهم فوق
بعض درجات : فبينَ خطيب مُسهب ، وذلقِ اللسان مُهذّب ، ومفحّم (٢)
عن نفسه لا يُبين ، وعي عن ضمير قلبه لا يُعبر . وجعل أعلام فيه رتبة ،
وأرفعهم فيه درجة ، أبلغهم فيما أراد به بلاغاً ، وأبينهم عن نفسه به بياناً .
ثم عرفهم فى ترتيبه ومحكم آي كتابه فضل ما سبّاهم به من البيان ، على من

(١) ذلل الشيء : لينه وسهله ونفى عنه جفوته وصعوبته .

(٢) أسهب الرجل : أكثر الكلام ، فإذا أكثر الكلام فى خطأ قالوا : رجل مسهب (بفتح
الهاء) ، وإذا أكثر وأصاب فهو مسهب (بكسر الهمزة) . وذلق اللسان : فصيح طليق لا يتوقف .
وقوله « مهذب » : من أهدب الطائر فى طيرانه ، والفرس فى علوه ، والمتكلم فى كلامه : أسرع وتابع ،
وفى حديث أبي ذر « فجعل يهذب الركوع » أى يسرع فيه ويتابعه . يقال : كلنى فلان فأنحمت :
أسكتك فلم يطق جواباً وانقطع ، فهو منعم . وفى المطبوعة « ومعجم عن نفسه ... »

فضلهم به عليه من ذى البكَم والمستعْجِم اللسان (١) ، فقال تعالى ذكره : ﴿ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة الزخرف : ١٨] .
فقد وَضَحَ إِذَا لَدَى الْأَفْهَامِ ، وَتَبَيَّنَ لِأَوَّلَى الْأَلْبَابِ ، أَنَّ فَضْلَ أَهْلِ الْبَيَانِ عَلَى أَهْلِ الْبَكَمِ وَالْمُسْتَعْجِمِ الْلسَانِ ، بِفَضْلِ اقْتِدَارِ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ عَلَى إِبَانَةِ مَا أَرَادَ إِبَانَتَهُ عَنْ نَفْسِهِ بَيَانَهُ ، وَاسْتَعْجَامِ لِسَانِ هَذَا عَمَّا حَاوَلَ إِبَانَتَهُ بِلِسَانِهِ .

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ - وَكَانَ الْمَعْنَى الَّذِي بِهِ بَايَنَ الْفَاضِلُ الْمَفْضُولَ فِي ذَلِكَ ، فَصَارَ بِهِ فَاضِلًا وَالْآخَرُ مَفْضُولًا ، هُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ فَضْلِ إِبَانَةِ ذِي الْبَيَانِ ، عَمَّا قَصَرَ عَنْهُ الْمُسْتَعْجِمُ الْلسَانِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مُخْتَلَفَ الْأَقْدَارِ ، مُتَفَاوَتَ الْغَايَاتِ وَالنَّهَايَاتِ - فَلَا شَكَّ أَنَّ أَعْلَى مَنَازِلِ الْبَيَانِ دَرَجَةٌ ، وَأَسْفَى مَرَاتِبِهِ مَرْتَبَةٌ ، أَبْلَغُهُ فِي حَاجَةِ الْمُبِينِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَبْيَنُهُ عَنْ مَرَادِ قَائِلِهِ ، وَأَقْرَبُهُ مِنْ فَهْمِ سَامِعِهِ . فَإِنْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ الْمَقْدَارَ ، وَارْتَفَعَ عَنْ وَسْعِ الْأَنَامِ ، وَعَجَزَ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ جَمِيعُ الْعِبَادِ ، كَانَ حُجَّةً وَعَلَمًا لِرَسُولِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ - كَمَا كَانَ حُجَّةً وَعَلَمًا لَهَا إِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَإِبرَاءُ الْأَبْرَصِ وَذَوَى الْعَمَى ، بَارْتِفَاعِ ذَلِكَ عَنْ مَقَادِيرِ أَعْلَى مَنَازِلِ طِبِّ الْمُتَطَبِّينِ (٢) ، وَأَرْفَعِ مَرَاتِبِ عِلَاجِ الْمَعَاجِلِينَ ، إِلَى مَا يَعْجِزُ عَنْهُ جَمِيعُ الْعَالَمِينَ . وَكَالَّذِي كَانَ لَهَا حُجَّةً وَعَلَمًا قَطَعَ مَسَافَةَ شَهْرَيْنِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ ، بَارْتِفَاعِ ذَلِكَ عَنْ وَسْعِ الْأَنَامِ ، وَتَعَذُّرِ مِثْلِهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى قَطْعِ الْقَلِيلِ مِنَ الْمَسَافَةِ قَادِرِينَ ، وَلِلْيَسِيرِ ٥/١ مِنْهُ فَاعِلِينَ .

فَإِذَا كَانَ مَا وَصَفْنَا مِنْ ذَلِكَ كَالَّذِي وَصَفْنَا ، فَيَتَبَيَّنُ أَنَّ لَا بَيَانَ أَبْيَنَ ، وَلَا حِكْمَةَ أَبْلَغَ ، وَلَا مَنْطِقَ أَعْلَى ، وَلَا كَلَامَ أَشْرَفَ - مِنْ بَيَانٍ وَمَنْطِقٍ تَحْدَى

(١) كُلُّ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ فَهُوَ أَصْعَمُ وَمُسْتَعْجِمٌ . اسْتَعْجَمَتْ عَلَيْهِ قِرَامَتُهُ : التَّبَسُّتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ أَنْ يَمْنَى فِيهَا ، فَسَكَتَ وَانْقَطَعَ عَنِ الْقِرَاءَةِ .

(٢) مَقَادِيرُ : جَمْعُ مَقْدَارٍ ، وَهُوَ الْقُوَّةُ ، وَمِثْلُهُ الْقُدْرَةُ وَالْمَقْدُورَةُ .

به امرؤ قوماً في زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة ، وقيل الشعر والفصاحة ، والسجع والكهانة ، على كل خطيب منهم وبليغ^(١) ، وشاعر منهم وفصيح ، وكل ذى سجع وكهانة - فسفه أحلامهم ، وقصر بعقوله^(٢) ، وتبرأ من دينهم ، ودعا جميعهم إلى اتباعه والقبول منه والتصديق به ، والإقرار بأنه رسول إليهم من ربهم . وأخبرهم أن دلالة على صدق مقالته ، وحجته على حقيقة نبوته - ما أتاهم به من البيان ، والحكمة والفرقان ، بلسان مثل ألسنتهم ، ومنطق موافقة معاني منطقهم . ثم أنبأ جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عجزة ، ومن القدرة عليه نقصة . فأقر جميعهم بالعجز ، وأذعنوا له بالتصديق ، وشهدوا على أنفسهم بالنقص . إلا من تجاهل منهم وتغامى ، واستكبر وتعاشى ، فحاول تكلف ما قد علم أنه عنه عاجز ، ورام ما قد تيقن أنه عليه غير قادر . فأبدى من ضعف عقله ما كان مستتراً ، ومن عيب لسانه ما كان مصوناً ، فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق ، والجاهل الأحق ، فقال : « والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجنأ ، فالخابزات خبزأ ، والثاردات ثردأ ، واللاقحات لققأ »^(٣) ، ونحو ذلك من الحماقات المشبهة دعواه الكاذبة .

فإذ كان تفاضل مراتب البيان ، وتباين منازل درجات الكلام ، بما وصفنا قبل - وكان الله تعالى ذكره وتقدس أسمائه ، أحكم الحكماء ، وأحلم الحكماء ،

(١) في المطبوعة : « كل خطيب . . . » بحذف « على » ، وفي المخطوطة « على خطيب . . . » بحذف « كل » . وكلتاها لا يستقيم بها كلام . والصواب ما أثبتناه . وأراد الطبري أنهم رؤساء صناعة الخطب والبلاغة . . . على كل خطيب منهم وبليغ . . . يعنى أن الذين تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن من العرب ، كانوا رؤساء البيان والبلاغة على كل مبدع وبليغ من سائر العرب . (٢) سفه أحلامهم : نسبهم إلى السفه ، وهو خفة الحلم واضطراب الرأى وضعفه ، وهو باب من الجهل . وفي المطبوعة : « وقصر معقولهم » والمعقول مصدر كالعقل ، يقال : ما لفلان معقول ، أى ما له عقل . وكأنه أراد بقوله « قصر » : نسبهم إلى قصر العقل وقلة . وأما قوله « قصر معقولهم » ، فكأنه ضمن « قصر » معنى استخف بها ، فعداه بالباء ، أى عاب عقولهم واستقصاها واستخف بها . وأنا في شك من صواب هذا الحرف .

(٣) من هذيان مسيلمة الكذاب لعنه الله . انظر تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٥ وسواه .

— كان معلوماً أن أين البيان بيانه ، وأفضل الكلام كلامه ، وأن قدر فضل بيانه ، جل ذكره ، على بيان جميع خلقه ، كفضله على جميع عباده .

فإذ كان كذلك — وكان غير مبين منّا عن نفسه من مخاطب غيره بما لا يفهمه عنه المخاطب — كان معلوماً أنه غير جائز أن يخاطب جل ذكره أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المخاطب ، ولا يرسل إلى أحد منهم رسولا برسالة إلا بلسان وبيان يفهمه المرسل إليه . لأن المخاطب والمرسل إليه ، إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به إليه ، فحالُهُ — قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده — سواء ، إذ لم يفدّه الخطاب والرسالة شيئاً كان به قبل ذلك جاهلاً . والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه ، لأن ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث ، والله تعالى عن ذلك مُستعال . ولذلك قال جل ثناؤه في محكم تنزيله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤] . وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٤] . فغير جائز أن يكون به مهتدياً ، من كان بما يهدي إليه جاهلاً .

فقد تبين إذاً — بما عليه دللنا من الدلالة — أن كل رسول لله جل ثناؤه أرسله إلى قوم ، فإنما أرسله بلسان من أرسله إليه ، وكل كتاب أنزله على نبي ، ورسالة أرسلها إلى أمة ، فإنما أنزله بلسان من أنزله أو أرسله إليه . فاتضح بما قلنا ووصفنا ، أن كتاب الله الذي أنزله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بلسان محمد صلى الله عليه وسلم . وإذ كان لسان محمد صلى الله عليه وسلم عربياً ، فبيّن أن القرآن عربي . وبذلك أيضاً نطق محكم تنزيل ربنا ، فقال جل ذكره : ٦/١ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يوسف : ٢] . وقال : ﴿ وَإِنَّهُ

لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿ [سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥] .

وإذ كانت واضحةً صريحةً ما قلنا - بما عليه استشهدنا من الشواهد ، ودللتنا عليه من الدلائل - فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لمعاني كلام العرب موافقةً ، وظاهره لظاهر كلامها ملائماً ، وإن بآينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان ، بما قد تقدم وصِفْنَاهُ .

فإذ كان ذلك كذلك ، فبيّن - إذ كان موجوداً في كلام العرب الإيجاز والاختصار ، والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار ، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال ، واستعمال الإطالة والإكثار ، والترداد والتكرار ، وإظهار المعاني بالأسماء دون الكناية عنها ، والإسرار في بعض الأوقات ، والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر ، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر ، وعن الكناية والمراد منه المصريح ، وعن الصفة والمراد الموصوف ، وعن الموصوف والمراد الصفة ، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر ، وتأخير ما هو في المعنى مقدم ، والاكتفاء ببعض من بعض ، وبما يظهر عما يحذف ، وإظهار ما حظه الحذف - (١) أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ، في كل ذلك له نظيراً ، وله مثلاً وشيهاً .

ونحن مبسّتون جميع ذلك في أماكنه ، إن شاء الله ذلك وأمدّ منه بعون وقوة .

(١) قوله : « أن يكون ... » مبتدأ قوله « فبين » ، وما بينهما اعتراض طويل ؛ وهذا دأب الطبري أبداً ، حتى كأنه لم يكن يخشى على قارئه أن يسوء فهمه أو تكل فطنته .

﴿ القول في البيان ﴾

﴿ عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب ﴾

﴿ وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم ﴾

قال أبو جعفر : إن سألنا سائل فقال : إنك ذكرت أنه غيرُ جائز أن يخاطب الله تعالى ذكره أحدًا من خلقه إلا بما يفهمه ، وأن يرسل إليه رسالة إلا باللسان الذي يفقهه

١ - فما أنت قائل فيما حدثكم به محمد بنُ حميد الرازي ، قال : حدثنا حكّام بن سلّم ، قال : حدثنا عبّسة ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص عن أبي موسى : ﴿ يُوْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ [سورة الحديد : ٢٨] ، قال : الكفلان : ضعفان من الأجر ، بلسان الحبشة (١) .

٢ - وفيما حدثكم به ابنُ حمّيد ، قال : حدثنا حكّام ، عن عبّسة ، عن أبي إسحق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ [سورة المزمل : ٦] قال : بلسان الحبشة إذا قام الرجلُ من الليل قالوا : نَشَأُ (٢) .

٣ - وفيما حدثكم به ابن حميد قال : حدثنا حكّام ، قال : حدثنا عبّسة ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ قال : سَبَّحِي ، بلسان الحبشة (٣) ؟ قال أبو جعفر : وكل ما قلنا في هذا الكتاب « حدثكم » فقد حدثونا به .

(١) الخبر ١ - يأتي بهذا الإسناد في تفسير سورة الحديد : ٢٨ وفي إسناده هناك خطأ .

(٢) الخبر ٢ - يأتي بإسناده في تفسير سورة المزمل : ٦

(٣) الخبر ٣ - يأتي بإسناده في تفسير سورة سبأ : ١٠

٤ - وفيما حدثكم به محمد بن خالد بن خيداش الأزدي ، قال : حدثنا سلم ابن قتيبة ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله : ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ [سورة المدثر : ٥١] قال : هو بالعربية الأسد ، وبالفارسية شار ، وبالنبطية أريا ، وبالحبشية قسورة (١) .

٥ - وفيما حدثكم به ابن حميد قال : حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبيرة قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعريبياً ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، أَعُجِبِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [سورة فصلت : ٤٤] فأنزل الله بعد هذه الآية في القرآن بكل لسان فيه . ﴿ حَجَارَةٌ مِنْ سَجِيلٍ ﴾ [سورة هود : ٨٢ ، وسورة الحجر : ٧٤] قال : فارسية أعربت « سنك وكل (٢) » .

٦ - وفيما حدثكم به محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، قال : في القرآن من كل لسان (٣) .

٧/١ وفيما أشبه ذلك من الأخبار التي يطولُ بذكرها الكتاب ، مما يدل على أن فيه من غير لسان العرب ؟

قيل له : إن الذي قالوه من ذلك غير خارج من معنى ما قلنا - من أجل أنهم لم يقولوا : هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً ، ولا كان ذاك

(١) الخبر ٤ - يأتي بإسناده في تفسير سورة المدثر : ٥١

(٢) الخبر ٥ - يأتي بإسناده في تفسير سورة فصلت : ٤٤ . ونص الخبر هناك : « فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان فيه ... » وهي أجود . وفي الدر المنثور ٥ : ٣٦٧ : « وأنزل الله تعالى بعد هذه الآية فيه بكل لسان . حجارة ... » ثم يأتي بإسناده مختصراً في تفسير سورة هود : ٨٢ . وانظر سائر ما روي في « سجيل » في تفسير سورة الفيل : ٤ . وقوله « حجارة من سجيل » . . كلام مستأنف ، ضربه مثلاً لما جاء في القرآن من الألسنة الأخرى .

(٣) الخبر ٦ - لم أجده في مكان آخر بعد . وهو في الدر المنثور ٥ : ٣٦٧ وفيه : « بكل لسان » .

لها منطقاً قبل نزول القرآن ، ولا كانت بها العرب عازفةً قبل مجيء الفرقان — فيكون ذلك قولاً لقولنا خيلاً^(١) . وإنما قال بعضهم : حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا ، وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا . ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ، فكيف يجنسين منها ؟ كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة ، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس ، وغير ذلك — مما يتعب إحصاؤه ويُعَمِّلُ تعداده ، كرهنا إطالة الكتاب بذكره — مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى . ولعل ذلك كذلك في سائر الألسن التي نجهل منطقها ولا نعرف كلامها . فلو أن قائلًا قال — فيما ذكرنا من الأشياء التي عُدُّنا وأخبرنا اتفاقه في اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية ، وما أشبه ذلك مما سكتنا عن ذكره — : ذلك كله فارسي لا عربي ، أو ذلك كله عربي لا فارسي ، أو قال : بعضه عربي وبعضه فارسي ، أو قال : كان مخرج أصله من عند العرب فوقع إلى العجم فنطقوا به ، أو قال : كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فأعربته — كان مُستجهلاً^(٢) . لأن العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العجم ، ولا العجم أحق أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العرب ، إذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجوداً في الجنسين . وإذا كان ذلك موجوداً على ما وصفنا في الجنسين ، فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر . والمدعى أن مخرج أصل ذلك إنما كان من أحد الجنسين إلى الآخر ، مدعى أمراً لا يوصل إلى حقيقة صحته إلا بنحو يوجب العلم ، ويزيل الشك ، ويقطع العذرَ صحته .

(١) خلاف : مخالف ، وسيكثر مجيئها في كلام الطبري .

(٢) قوله : « كان مستجهلاً » ، جواب قوله : « لو أن قائلًا قال . . . » . والفصل في عبارة

الطبري يكون أطول من هذا ، كما سيمر بك . واستجهل فلاناً : عده جاهلاً ، أو وجده جاهلاً . والجهل هنا : فساد الرأي واضطرابه ، لأنه مبني على التحكم المحض ، كما ترى في رد الطبري .

بل الصواب في ذلك عندنا : أن يسمّى : عربياً أعجمياً ، أو حبشياً عربياً ،
إذ كانت الأمتان له مستعملتين - في بيانها ومنطقها - استعمال سائر منطقها
وبيانها . فليس غير ذلك من كلام كل أمة منهما ، بأولى أن يكون إليها
منسوباً - منه (١) .

فكذلك سبيل كل كلمة واسم اتفقت ألفاظ أجناس أم فيها وفي
معناها ، ووجد ذلك مستعملاً في كل جنس منها استعمال سائر منطقهم ،
فسبيل إضافته إلى كل جنس منها ، سبيل ما وصفنا - من الدرهم والدينار
والدواة والقلم ، التي اتفقت ألسن الفرس والعرب فيها بالألفاظ الواحدة والمعنى
الواحد ، في أنه مستحق إضافته إلى كل جنس من تلك الأجناس - اجتماع
واقتران (٢) .

وذلك هو معنى من روينا عنه القول في الأحرف التي مضت في صدر هذا
الباب ، من نسبة بعضهم بعض ذلك إلى لسان الحبشة ، ونسبة بعضهم بعض
ذلك إلى لسان الفرس ، ونسبة بعضهم بعض ذلك إلى لسان الروم . لأن من
نسب شيئاً من ذلك إلى ما نسبته إليه ، لم ينف - بنسبته إياه إلى ما نسبته إليه -
أن يكون عربياً ، ولا من قال منهم : هو عربي ، نفي ذلك أن يكون مستحقاً
النسبة إلى من هو من كلامه من سائر أجناس الأمم غيرها . وإنما يكون الإثبات
دليلاً على النفي ، فيما لا يجوز اجتماعه من المعاني ، كقول القائل : فلان قائم ،
فيكون بذلك من قوله دالاً على أنه غير قاعد ، ونحو ذلك مما يمتنع اجتماعه
لتنافيهما . فأمّا ما جاز اجتماعه فهو خارج من هذا المعنى . وذلك كقول القائل
فلان قائم مكلّم فلاناً ، فليس في تثبيت القيام له ما دلّ على نفي كلام آخر ،

٨/١

(١) قوله « منه » ، متعلق بقوله « بأولى » ، أي « بأولى منه »

(٢) في المطبوعة « باجتماع واقتران » . وأراد الطبري بقوله « اجتماع واقتران » أي أن يقال
هو : « عربي أعجمي ، أو حبشي عربي » ، كما مر آنفاً في كلامه . وسياق عبارته بعد حذف التفسير
والاعتراض من كلامه هو هذا : « فسبيل إضافته إلى كل جنس منها ، سبيل ما وصفنا . . . اجتماع
واقتران » . أي أن يجمع بين الوصفين أو يقرن بين النسبتين .

لجواز اجتماع ذلك في حال واحد من شخص واحد . فقايل ذلك صادق إذا كان صاحبه على ما وصفه به .

فكذلك ما قلنا - في الأحرف التي ذكرنا وما أشبهها - غير مستحيل أن يكون عربياً بعضها أعجمياً، وحشياً بعضها عربياً، إذ كان موجوداً استعمال ذلك في كلتا الأمتين . فناسب ما نسب من ذلك إلى إحدى الأمتين أو كليهما محق غير مبطل .

فإن ظن ذو غباء أن اجتماع ذلك في الكلام مستحيل - كما هو مستحيل في أنساب بني آدم - فقد ظن جهلاً . وذلك أن أنساب بني آدم محصورة على أحد الطرفين دون الآخر ، لقول الله تعالى ذكره : ﴿ اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة الأحزاب : هـ] . وليس ذلك كذلك في المنطق والبيان ، لأن المنطق إنما هو منسوب إلى من كان به معروفاً استعماله . فلو عُرِف استعمال بعض الكلام في أجناس من الأمم - جنسين أو أكثر - بلفظ واحد ومعنى واحد ، كان ذلك منسوباً إلى كل جنس من تلك الأجناس ، لا يستحق جنس منها أن يكون به أولى من سائر الأجناس غيره . كما لو أن أرضاً بين سهل وجبل ، لها هواء السهل وهواء الجبل ، أو بين بر وبحر ، لها هواء البر وهواء البحر - لم يمتنع ذو عقل صحيح أن يصفها بأنها سهلية جبلية (١) . أو بأنها برية بحرية ، إذ لم تكن نسبتها إلى إحدى صفتيها نافية حقها من النسبة إلى الأخرى . ولو أفرد لها مفرد إحدى صفتيها ولم يسلبها صفتها الأخرى ، كان صادقاً محققاً .

وكذلك القول في الأحرف التي تقدم ذكرناها في أول هذا الباب .

وهذا المعنى الذي قلناه في ذلك ، هو معنى قول من قال : في القرآن من كل لسان - عندنا بمعنى ، والله أعلم : أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الأمم التي تنطق به ، نظير ما وصفنا من القول فيما مضى .

(١) النسبة إلى سهل (بفتح فسكون) : سهل ، بضم السين ، حل غير القياس .

وذلك أنه غير جائز أن يُتوهم على ذي فطرة صحيحة ، مقرّ بكتاب الله ،
 ممن قد قرأ القرآن وعرف حدود الله — أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي ،
 وبعضه نبطي لا عربي ، وبعضه رومي لا عربي ، وبعضه حبشي لا عربي (١) ،
 بعد ما أخبر الله تعالى ذكره عنه أنه جعله قرآناً عربياً . لأن ذلك إن كان
 كذلك ، فليس قولُ القائل : القرآن حبشي أو فارسي ، ولا نسبة من نسبه
 إلى بعض ألسن الأمم التي بعضه بلسانه دون العرب — بأولى بالتطويل من قول
 القائل (٢) : هو عربي . ولا قولُ القائل : هو عربي بأولى بالصحة والصواب من

(١) في المطبوع والمخطوط « وبعضه عربي لا فارسي » مكان « وبعضه رومي لا عربي » ، وهو
 فاسد المعنى فآثرت أن أثبت ما يقتضيه سياق الكلام . وقد ذكر الروم آنفاً في ص ١٦ .

(٢) في المطبوعة : « بالتطول » وأراد الطبري بقوله « التطويل » نسبة القول إلى التزديد والسمة
 في الكلام ، حتى يستغرق الوصف بإحدى الصفات سائر الصفات الأخرى . وكلام الطبري يحتاج
 إلى فضل بيان — من أول قوله : « وذلك أنه غير جائز أن يتوهم . . . » إلى قوله : « ولا جائز نسبه
 إلى كلام العرب » . فأقول :

أراد الطبري أن يقول : إنه لا يستقيم في العقل أن يكون الرجل مؤمناً بكتاب الله ، عارفاً بمعانيه
 وحدوده ، مقرراً بأن الخبر قد جاء من ربه أنه جعل القرآن « قرآناً عربياً » ، ولم يجعله أعجمياً بقوله
 « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي » — ثم يعتقد مع ذلك : أن بعض
 القرآن فارسي لا عربي ، وبعضه نبطي لا عربي ، وبعضه رومي لا عربي ، وبعضه حبشي لا عربي . فإنه
 إن فعل ، فقد نفي عن بعض القرآن أنه عربي ، والله يصف القرآن كله بأنه عربي . وأثبت لبعض القرآن
 أنه أعجمي ، والله تعالى ينفي عن جميعه أنه أعجمي .

وخبر الله تعالى عن كتابه أنه جعله « قرآناً عربياً » صفة شاملة لا يجوز لأحد أن يخص
 شمولها على بعض القرآن دون بعض . ولو جاز لأحد أن يخص شمولها من عند نفسه فيقول :
 « بعض القرآن حبشي لا عربي ، أو فارسي لا عربي . . . » ، لجاز أيضاً لقائل أن يقول من عند نفسه :
 « القرآن حبشي أو فارسي أو رومي ، أو أعجمي » .

وحجة الطبري في ذلك : أن الذي يخص شمول الصفة من عند نفسه على بعض القرآن بأنه عربي ،
 ويقول إن بعضه الآخر يوصف بأنه حبشي أو فارسي أو رومي — يدعي أن وصف القرآن بأنه عربي ،
 محمول على تغليب إحدى الصفات على سائر الصفات الأخرى . ولو جاز ذلك ، لجاز لقائل أن يقول :
 « القرآن حبشي أو فارسي أو رومي » ، لأنه فعل مثله ، فغلب إحدى الصفات على الصفات الأخرى .
 وإذا اقتصر المقتصر على صفة بعضه فقال : « القرآن حبشي أو فارسي » ، لم يكن أولى بأن
 ينسب إلى التوسع في الكلام والتزديد في الصفة ، من القائل : « القرآن عربي » ، لأنه اقتصر أيضاً
 على صفة بعضه ، فتوسع في الكلام وتزديد في الصفة .

وإذا كان ما في القرآن من فارسي ورومي ونبطي وحبشي ، نظير ما فيه من عربي ، فليس قول
 القائل : « القرآن عربي » ، أولى بالصحة والصواب من قول القائل : « القرآن فارسي أو حبشي » ،

قول ناسبه إلى بعض الأجناس التي ذكرنا . إذ كان الذي بلسان غير العرب من سائر ألسن أجناس الأمم فيه ، نظير الذي فيه من لسان العرب . وإذا كان ذلك كذلك ، فيسبب إذاً خطأ من زعم أن القائل من السلف : في القرآن من كل لسان ، إنما عني بقبيله ذلك ، أن فيه من البيان ما ليس بعربي ، ولا جائز نسبته إلى لسان العرب .

ويقال لمن أبي ما قلنا - ممن زعم أن الأحرف التي قدمنا ذكرها في أول الباب وما أشبهها ، إنما هي كلام أجناس من الأمم سوى العرب ، وقعت إلى العرب فعربته - : ما برهانك على صحة ما قلت في ذلك ، من الوجه الذي يجب التسليم له ، فقد علمت من خالفك في ذلك ، فقال فيه خلاف قولك ؟ وما الفرق بينك وبين من عارضك في ذلك فقال : هذه الأحرف ، وما أشبهها من الأحرف غيرها ، أصلها عربي ، غير أنها وقعت إلى سائر أجناس الأمم غيرها فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بالسنتها - من الوجه الذي يجب التسليم له ؟ فلن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله .

فإن اعتل في ذلك بأقوال السلف التي قد ذكرنا بعضها وما أشبهها ، طوّل

فكلاهما أطلق صفة أحد النظيرين على الآخر . وإذا جاز لأحدهما أن يفعل ذلك مصيباً في قوله ، جاز للآخر مثله مصيباً في قوله .

وهذا فساد من القول وتناقض ، ومخالف لقوله تعالى : « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي » ، فهذه شهادة من الله تعالى بأنه لم يجعله أعجمياً ، كشهادته سبحانه بأنه جعله « قرآناً عربياً » . وقد اقتضى مذهب هذا القائل أن يقال : « القرآن حبشي أو فارسي » . كما يقال : « القرآن عربي » سواء . فتناقض هذا قول الله سبحانه . وهذا قول « غير جائز أن يتوهم على ذي فطرة صحيحة ، مقرر بكتاب الله ، ممن قرأ القرآن ، وعرف حدود الله » كما قال الطبري رحمه الله . وإذن فقول القائل من السلف : « في القرآن من كل لسان » ، ليس يعني به أن فيه ما ليس بعربي بما لا يجوز أن ينسب إلى لسان العرب - بل معناه أن فيه ألفاظاً استعملتها العرب ، وهذه الألفاظ أنفسها بما استعملته الفرس أو الروم أو الحبش ، على جهة اتفاق اللغات على استعمال لفظ واحد بمعنى واحد ، لا على جهة انفراد الكلمة من القرآن بأنها فارسية غير عربية ، أو رومية غير عربية . فإن السلف أعرف بكتاب الله وبمعانيه وبحجوده ، لا يدخلون الفساد في أقوالهم ، مناقضين شهادة الله لكتابه بأنه عربي غير أعجمي .

— مطالبتنا من تأوّل عليهم في ذلك تأويله — بالذي قد تقدم بيانه . وقيل له :
 ٩/١ ما أنكرتَ أن يكون من نسب شيئاً من ذلك منهم إلى من نسبه من أجناس
 الأمم سوى العرب ، إنما نسبه إلى إحدى نسبتيه التي هو لها مستحق ، من غير
 تنقي منه عنه النسبة الأخرى ؟ ثم يقال له : رأيتَ من قال لأرض سُهلية جبلية :
 هي سُهلية ، ولم ينكر أن تكون جبلية ، أو قال : هي جبلية ، ولم يدفع أن
 تكون سُهلية ، أنافٍ عنها أن تكون لها الصفة الأخرى بقيله ذلك ؟
 فلإن قال : نعم ! كابر عقله . وإن قال : لا ، قيل له : فما أنكرتَ أن يكون
 قولٌ من قال في سجيل : هي فارسية ، وفي القسطاس : هي رومية — نظير ذلك ؟
 وسئل الفرق بين ذلك ، فلن يقول في أحدهما قولاً إلا ألزم في الآخر مثله .

﴿ القول في اللغة ﴾

﴿ التي نزل بها القرآن من لغات العرب ﴾

قال أبو جعفر :

قد دللنا ، على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وُفِّقَ لفهمه ، (١) على أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم ، وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغاتها .

فنقول الآن — إذ كان ذلك صحيحاً — في الدلالة عليه بأي ألسن العرب أنزل : بألسن جميعها أم بألسن بعضها ؟ إذ كانت العرب ، وإن جمَعَ جميعها اسمُ أنهم عرب ، فهم مختلفو الألسن بالبيان ، متباينو المنطق والكلام . وإذا كان ذلك كذلك — وكان الله جل ذكره قد أخبر عباده أنه قد جعل القرآن عربياً وأنه أنزل بلسانٍ عربيٍّ مبین ، ثم كان ظاهره محتملاً خصوصاً وعموماً — لم يكن لنا السبيلُ إلى العلم بما عني الله تعالى ذكره من خصوصه وعمومه ، إلا ببيان مَنْ جعل إليه بيان القرآن ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذ كان ذلك كذلك — (٢) وكانت الأخبار قد تظاهرت عنه صلى الله عليه وسلم

٧ — بما حدثنا به خلاد بن أسلم ، قال : حدثنا أنس بن عياض ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة ، قال — : لا أعلمه إلا عن أبي هريرة — : أن رسول

(١) هكذا في المطبوع والمخطوط : « على أن الله جل ثناؤه » ، والأجود أن تكون « بأن الله جل ثناؤه » ، أي : « قد دللنا على صحة القول . . . بأن الله جل ثناؤه » ، والباء وما بعدها متعلقة بالقول .

(٢) جوابُ قوله : « فإذا كان ذلك كذلك » ، يأتي في ص : ٤٨ س ٢٠ وهو قوله : « صح وثبت أن الذي نزل به القرآن . . . »

الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فالميراء في القرآن كفر - ثلاث مرات - فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه (١).

٨ - حدثني عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : حدثنا أبي ، عن محمد بن عمرو ،

عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، عليم حكيم ، غفور رحيم (٢).

٩ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثني عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ،

عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

١٠ - حدثنا محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن

مغيرة ، عن واصل بن حيان ، عمن ذكره ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله

ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، لكل حرف منها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلق (٣).

(١) الحديث ٧ - رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (رقم ٧٩٧٦ ج ٢ ص ٣٠٠ طبعة الحلبي) عن أنس بن عياض . ورواه ابن حبان في صحيحه (رقم : ٧٣ بشرح أحمد محمد شاكر) عن أبي يعلى عن أبي خيثمة عن أنس بن عياض . ونقله ابن كثير في التفسير ٢ : ١٠٢ عن مسند أبي يعلى ، وفي فضائل القرآن : ٦٣ عن مسند أحمد . وهو في مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ . ونسبه ابن كثير في الفضائل للنسائي . والظاهر أنه يريد كتاب التفسير للنسائي .

(٢) الحديث ٨ ، ٩ - رواه أحمد في المسند (٨٣٧٢ ج ٢ ص ٣٣٢ حلبي) عن محمد بن بشر ، و (٩٦٧٦ ج ٢ ص ٤٤٠) عن ابن نمير ، كلاهما عن محمد بن عمرو ، وهو محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، وهو ابن عبد الرحمن بن عوف . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ جعله رواية أخرى للحديث الأول ، ثم قال : « رواه كله أحمد بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح . ورواه البزار بنحوه » . وسيأتي حديث آخر لأبي هريرة ، برقم : ٤٥ .

(٣) الحديث ١٠ ، ١١ - هو حديث واحد بإسنادين ضعيفين ، أما أحدهما فلا نقطاعه بجهالة راويه : « عمن ذكره عن أبي الأحوص » . وأما الآخر فن أجل « إبراهيم الهجري » راويه عن أبي الأحوص . و « مغيرة » في الإسناد الأول : هو ابن مقسم الضبي ، وهو ثقة . و « واصل بن حيان » هو الأحذب ، وهو ثقة . و « أبو الأحوص » : هو الجشمي ، واسمه : عوف بن مالك بن نضلة ، وهو تابعي ثقة معروف . و « مهران » في الإسناد الثاني : هو ابن أبي عمر العطار الرازي ، وهو ثقة ، ولكن في روايته عن الثوري اضطراب . وشيخه سفيان هنا : هو الثوري الإمام . و « إبراهيم الهجري » هو إبراهيم بن مسلم .

١١ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، قال: حدثنا سفيان، عن إبراهيم الهجرى، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله.

١٢ - حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا عاصم، عن زر، عن عبد الله، قال: اختلف رجلان في سورة، فقال هذا: أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم. وقال هذا: أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر بذلك، قال فتغير وجهه، وعنده رجل فقال: اقرأوا كما علمتم - فلا أدري أبشئ أم شئ ابتدعه من قبل نفسه - فلما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم. قال: فقام كل رجل منا وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه. نحو هذا ومعناه (١)

١٣ - حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش - وحدثني أحمد بن منيع، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموى، عن الأعمش - عن عاصم، عن زر بن حبیش، قال: قال عبد الله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا: خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية. قال: فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدنا علياً يسأجيه،

والحديث بهذا اللفظ الذى هنا، ذكره السيوطى فى الجامع الصغير رقم: ٢٧٢٧، ونسبه للطبرانى فى المعجم الكبير، ورمز له بعلامة الحسن، ولا ندرى إسناده عند الطبرانى. وأما أوله، دون قوله «ولكل حرف حد» إلخ، فإنه صحيح ثابت، رواه ابن حبان فى صحيحه رقم: ٧٤. وانظر مجمع الزوائد ٧: ١٥٢، ١٥٣. وقوله «مطلع»: هو بتشديد الطاء وفتح اللام، قال فى النهاية: «أى لكل حد مصدر يصعد إليه من معرفة علمه، والمطلع: مكان الاطلاع من موضع عال». ثم قال: «ويجوز أن يكون: لكل حد مطلع، بوزن مصدر ومعناه». وسيأتى شرح ألفاظ هذا الحديث ص ٢٤ - ٢٥ بولاق، بعد الحديث ٧. (١) الحديث ١٢ - إسناده صحيح. وهو مختصر. ورواه أحمد فى المسند مطولاً رقم: ٣٩٨١ عن يحيى بن آدم عن أبي بكر، وهو ابن عياش، بهذا الإسناد. ورواه من طرق أخرى مختصراً أيضاً. ورواه الحاكم فى المستدرک ٢: ٢٢٣ - ٢٤٤ بأطول مما هنا، بإسنادين: من طريق إسرائيل عن عاصم، ومن طريق أبي عوانة عن عاصم. وصححه ووافقه الذهبى. وذكره الحافظ فى الفتح ٩: ٢٣، ونسبه لابن حبان والحاكم.

قال : فقلنا : إنا اختلفنا في القراءة . قال : فاحمرّ وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنما هلكَ من كان قبلكم باختلافهم بينهم . قال : ثم أُسرّ إلى عليّ شيئاً ، فقال لنا عليّ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُكم أن تقرأوا كما علّمتم (١) .

١٤ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن عيسى بن قرطاس ، عن زيد القصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : كنا معه في المسجد فحدثنا ساعة ثم قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأني عبد الله بن مسعود سورة ، أقرأنيها زيدٌ وأقرأنيها أبيّ بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيّهم آخذُ ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وعلىّ إلى جنبه ، فقال عليّ : ليقرأ كل إنسان كما علّم ، كلُّ حسنٌ جميل (٢) .

١٥ — حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة بن الزبير : أن الميسور بن مخزومة وعبد الرحمن بن عبد القاري أخبراه : أنهما سمعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يُقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبّرت حتى سلّم ، فلما سلّم (١) الحديث ١٣ — إسناده صحيحان أيضاً ، وهو رواية أخرى للحديث قبله . ولم نجده بهذا الإسناد واللفظ في موضع آخر .

(٢) الحديث ١٤ — هذا حديث لا أصل له ، رواه رجل كذاب ، هو « عيسى بن قرطاس » ، قال فيه ابن معين : « ضعيف ليس بشيء » ، لا يحل لأحد أن يروى عنه . وقال ابن حبان : « يروى الموضوعات عن الثقات » ، لا يحل الاحتجاج به . وقد اخترع هذا الكذاب شيئاً له روى عنه ، وسماه « زيد القصار » ! لم نجد لهذا الشيخ ترجمة ولا ذكر في شيء من المراجع . وهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٣ - ١٥٤ ، وقال : « رواه الطبراني ، وفيه عيسى بن قرطاس ، وهو متروك » . ومن العجب أن يذكر الحافظ هذا الحديث في الفتح ٩ : ٢٣ ، وينسبه للطبري والطبراني ، ثم يسكت عن بيان علته وضعفه ! غفر الله لنا وله .

لبسته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقلت : كذبت ، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها ! فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها ، وأنت أقرأني سورة الفرقان ! قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله يا عمر ، اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا عمر . فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منها (١) .

١٦ - حدثني أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا حرب بن ثابت من بني سليم ، قال : حدثنا إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قرأ رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فغير عليه ، فقال : لقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغير علي . قال : فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ألم تقرني آية كذا وكذا ؟ قال : بلى ! قال : فوقع في صدر عمر شيء ، فعرف

(١) الحديث ١٥ - رواه أحمد في المسند رقم : ٢٩٦ عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ، وهو ابن شهاب ، بهذا الإسناد نحوه . ورواه أيضاً رقم : ٢٩٧ عن الحكم بن نافع عن شعيب عن الزهري ، به . ورواه بأسانيد آخر ، مطولاً ومختصراً : ١٥٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٣٧٥ . ورواه البخاري ٩ : ٢١ - ٢٣ من فتح الباري ، مطولاً بنحو مما هنا ، من طريق الليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب . ونقله ابن كثير في فضائل القرآن : ٧٢ عن رواية البخاري ، ثم ذكر أنه رواه أيضاً مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي ، من طرق عن الزهري . وفي تيسير الوصول ١ : ١٩٠ « أخرجه الستة » ، وفيه مكان « وتصبرت » ، و « تربصت به » وقوله : « كدت أسأره » أي كدت أواثبه وأبطش به . وقوله « فتصبرت حتى سلم » . موافق لرواية البخاري ، وفي المسند : « فتظرت حتى سلم » أي انتظرت .

النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في وجهه ، قال : فضرب صدره وقال : ابعده
 شيطاناً - قالها ثلاثاً - ثم قال : يا عمر ، إن القرآن كله صواب ، ما لم تجعل رحمة
 عذاباً أو عذاباً رحمة (١) .

(١) الحديث ١٦ - رواه أحمد في المسند (١٦٤٣٧ ج ٤ ص ٣٠ طبعة الحلبي) عن
 عبد الصمد ، وهو ابن عبد الوارث ، بهذا الإسناد ، نحوه . ونقله الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن :
 ٧٣ ، وقال : « وهذا إسناد حسن . وخرب بن ثابت هذا يكتن بأبي ثابت ، لا نعرف أحداً جرحه » .
 ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٠ - ١٥١ ، وقال : « رواه أحمد ، ورجاله ثقات » .
 وذكره الحافظ في الفتح ٩ : ٢٢ - ٢٣ ، ونسبه للطبري فقط ، فقصر إذ لم ينسبه للمسند .
 وإسناده يحتاج إلى بحث :

فأولاً - « حرب بن ثابت » : ثبت في نسخ الطبري هنا « حرب بن أبي ثابت » ، وهو خطأ صرف
 من النسخين . صوابه « حرب بن ثابت » ، وهو « المنقري » ، ترجمه البخاري في التاريخ الكبير :
 ٢ / ١ / ٥٨ ، قال : « حرب بن أبي حرب أبو ثابت ، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة
 الأنصاري ، قاله عبد الصمد . وقال موسى : حدثنا حرب بن ثابت المنقري . يعد في البصريين » .
 وترجمه ابن حبان في الثقات ٤٤٣ - ٤٤٤ ، قال : « حرب بن ثابت المنقري ، من أهل البصرة ،
 يروى عن الحسن ومروان الأصغر ، روى عنه عبد الصمد ، كانه : حرب بن أبي حرب الذي ذكرناه » .
 وقد ذكر قبله ترجمة « حرب بن أبي حرب » ، يروى عن شريح ، روى عنه حصين أبو حبيب » .
 والحافظ ابن حجر حين ترجم لحرب بن ثابت ، أشار إلى كلام ابن حبان هذا ، وعقب عليه بأنه
 « واحد » ، جعله اثنين ، ثم شك فيه « ! ! ولم ينصفه في هذا ، فإنهما اثنان يقيناً ، فصل بينهما
 البخاري في الكبير ، فجعل الذي يروى عن شريح برقم : ٢٢٦ ، غير الذي نقلنا كلامه عنه برقم : ٢٢٧ .
 وأما الذي جعل الراوي راويين فإنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢ / ١ / ٢٥٢ ذكر ثلاث تراجم ،
 بالأرقام : ١١٢١ ، ١١٢٣ ، ١١٢٥ ، فالأخير هو الذي روى عن شريح ، والأولان هما شخص
 واحد ، وهم فيه ابن أبي حاتم .

وقد نسب « حرب بن ثابت » هذا في التمجيل : ٩١ - ٩٢ بأنه « البكري » ، وكذلك في الإكمال
 للحسيني : ٢٣ . وأنا أرجح أن هذا خطأ من النسخين ، أصله « البصري » ، فإن نسبته فيما أشرنا إليه
 من تراجمه « المنقري » ، وهو من أهل البصرة ، فمن ذلك رجحت أن صوابه « البصري » .
 وثانياً - « إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة » : هكذا رواه عبد الصمد بن عبد الوارث عن حرب
 ابن ثابت المنقري . ولكن بعض العلماء شك في صحة هذا ، فقال البخاري في الكبير في ترجمة حرب :
 « وقال مسلم : حدثنا حرب بن ثابت سمع إسحق بن عبد الله » . فهذه رواية البخاري عن شيخه مسلم بن
 إبراهيم الفراهيدي عن حرب بن ثابت « أنه سمع إسحق بن عبد الله » . وهي تؤكد صحة ما رواه عبد الصمد .
 ولكن قال البخاري عقب ذلك : « حدثني إسحق بن إبراهيم قال : أخبرنا عبد الصمد قال : حدثنا
 حرب أبو ثابت قال : حدثنا إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة . ويقال : إسحق هذا ليس بابن أبي طلحة ،
 وهم فيه عبد الصمد من حفظه ، وأصله صحيج » ، فهذه إشارة إلى هذا الحديث .

ولكنه قال في التاريخ الكبير ١ / ١ / ٣٨٢ في ترجمة « إسحق الأنصاري » : « إسحق
 الأنصاري . حدثنا موسى بن إسماعيل قال : حدثنا حرب بن ثابت المنقري قال : حدثني إسحق الأنصاري

١٧ - حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي ، قال : حدثنا عبد الله بن ميمون ، قال : حدثنا عبيد الله (١) - يعني ابن عمر - عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقرأ القرآن ، فسمع آية على غير ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتى به عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن هذا قرأ آية كذا وكذا . فقال رسول الله صلى الله عليه عليه ١١/١ وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كافٍ (٢) .

عن أبيه عن جده ، وكانت له صحبة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : القرآن كله صواب : وقال عبد الصمد : حدثنا حرب أبو ثابت سمع إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله . وقال بعضهم : لقن عبد الصمد ، فقالوا : ابن عبد الله بن أبي طلحة ، ولم يكن في كتابه : ابن عبد الله .

فهذه إشارة أخرى من البخاري لهذا الحديث أيضاً ، كمادته في تاريخه ، في الإشارة إلى الأحاديث التي يريد أن يرشد إلى مواطن البحث فيها .

وقد أشار البخاري في الموضعين إلى قول من شك في أن «إسحق الأنصاري» راوى هذا الحديث غير «إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري» الثقة المعروف بروايته عن أبيه «عبد الله» عن جده «أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري الصحابي الكبير» أحد النقباء ، الذي شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأتى بقوله هذا مجهلاً إياه ممرضاً ، بقوله مرة : «ويقال» ، ومرة : «وقال بعضهم» . ثم عقب على هذا التمريض في المرة الأولى بقوله : «وأصله صحيح» ، يعني أصل الحديث . فهو تصريح منه بصحة الحديث ، وبرفض قول هذا القائل الذي شك فيه .

وقد وافقه على ذلك زميله وصنوه أبو حاتم الرازي ، فقال ابنه في الجرح والتعديل ، في ترجمة «إسحق الأنصاري» ٢٣٩ / ١ / ١ - ٢٤٠ : «سمعت أبي يقول : يرون أنه : إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري» .

وسبقهما إلى ذلك شيخهما إمام المحدثين ، الإمام أحمد بن حنبل ، فأثبت هذا الحديث في مسند «أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري» دون شك أو تردد . فصح الحديث ، والحمد لله .

(١) هو عبيد الله بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وليس هو ابن عمر بن الخطاب .
(٢) الحديث ١٧ - إسناده ضعيف جداً ، من أجل «عبد الله بن ميمون» . أما «عبيد الله بن محمد بن هرون الفريابي» شيخ الطبري ، فالظاهر أنه ثقة ، ولكنني لم أجده له ترجمة إلا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢ / ٢ / ٢٣٥ ، قال : «نزىل بيت المقدس» ، روى عن سفيان بن عيينة ، سمع منه أبي بيت المقدس . ولم يذكر فيه جرحاً . وأما علة الحديث فهو «عبد الله بن ميمون بن داود القداح» ، وهو ضعيف جداً ، قال البخاري : «ذهب الحديث» ، وقال أبو حاتم والترمذي : «منكر الحديث» ، وقال أبو حاتم : «يروى عن الأثبات الملققات» ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ، وقال الحاكم : «روى عن عبيد الله بن عمر أحاديث موضوعة» . وأما شيخه «عبيد الله

١٨ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن علي بن أبي علي ، عن زبيد ، عن علقمة النخعي ، قال : لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودعهم ، ثم قال : لا تنازعوا في القرآن ، فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ، ولا يتغير لكثرة الرد . وإن شريعة الإسلام وحدودها وفرائضه فيه واحدة ، ولو كان شيء من الحرفين ينهي عن شيء يأمر به الآخر ، كان ذلك الاختلاف . ولكنه جامع ذلك كله ، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ، ولا شيء من شرائع الإسلام . ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأمرنا فنقرأ عليه ، فيخبرنا أن كلنا محسن . ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبت به ، حتى أزداد علمه إلى علمي . ولقد قرأت من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ، وقد كنت علمت أنه يُعرض عليه القرآن في كل رمضان ، حتى كان عام قبض ، فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أني محسن . فمن قرأ على قراءتي فلا يدع عنها رغبة عنها ، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدع عنه رغبة عنه ، فإنه من جحد بآية جحد به كله (١) .

بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، فإنه إمام ثقة معروف ، وهو أحد الفقهاء السبعة .

ومعنى الحديث في ذاته صحيح ، كأنه مختصر من معنى حديث عمر بن الخطاب ، الذي مضى برقم : ١٥ . ولكن هذا القداح ألزقه بعبيد الله بن عمر ، وجعله من حديث نافع عن ابن عمر . ولا أصل لهذا ، ولم نجده قط من حديث ابن عمر . ولم يحسن الحفاظ ابن حجر ، إذ أشار إلى هذا الحديث في الفتح ٩ : ٢٣ ، ونسبه للطبري ، دون أن يذكر ضعف إسناده .

(١) الحديث ١٨ - إسناده ضعيف جداً ، غاية في الضعف . لعلتين : أولاهما : « علي بن أبي علي » ، وهو « الهبي » ، من ولد أبي هب . قال البخاري في التاريخ الصغير : ١٩٦ ، وفي الضعفاء : ٢٥ : « منكر الحديث » ، لم يرضه أحمد . وقال ابن أبي خاتم في الجرح والتعديل : ١٩٧ / ١ / ٣ : « سألت أبي عن علي بن أبي علي الهبي ؟ فقال : منكر الحديث ، تركوه » . وقال : « مثل أبو زرعة عن علي بن أبي علي الهاشمي ؟ فقال : هو من ولد أبي هب ، وهو مدني ضعيف الحديث ، منكر الحديث » . وقال ابن حبان في الضعفاء : ٣١٥ « يروى عن الثقات الموضوعات ، وعن الأثبات المقلوبات ، لا يجوز الاحتجاج به » .

١٩ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا رشدين بن سعد ، عن عقیل ابن خالد - جميعاً عن ابن شهاب ، قال : حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس حدثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل أستريده فيزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف . قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة الأحرف ، إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً ، لا يختلف في حلال ولا حرام (١) .

وثانيهما : أن « زبيد بن الحرث الياي » لم يدرك حلقة ولم يرو عنه ، إنما يروى عن الطبقة الراوية عن حلقة ، فروايته عنه هنا منقطعة ، إن صح الإسناد إليه فيها ، ولم يصح قط . وقد جاء نحو هذا الحديث عن ابن مسعود ، من وجه آخر ضعيف أيضاً : فرواه أحمد في المسند رقم : ٣٨٤٥ مطولاً ، من طريق شعبة عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : « حدثنا رجل من همدان ، من أصحاب عبد الله ، وما سمأ لنا » إلخ . وهذا مجهول الراوى عن ابن مسعود ، فلا يكون صحيحاً . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد مختصراً ٧ : ١٥٣ ، وقال : « رواه الإمام أحمد في حديث طويل ، والطبراني ، وفيه من لم يسم ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . قال أخى السيد محمود محمد شاكر : ولفظ المسند : « إن هذا القرآن لا يختلف ، ولا يستثنى ، ولا يتفه لكثرة الرد » . و « استثنى » : بلى وصار خلقاً كالشن البالي ، وهو القربة البالية . وقوله « لا يتفه » : لا يصير تافهاً ، التافه : الحقير . وكل كلام رددت قراءته نفدت معانيه وضعف أثره إلا القرآن . وأما قوله في رواية الطبري هنا « ولا يتلاشى » ، فقد قال أهل اللغة إنه موله من « لا شيء » ، كأنه اضمحل حتى صار إلى لا شيء . ومجئته في هذا الخبر غريب .

أقول : وإذ تبين أن راويه « على بن أبي علي الهبي » ممن يصطنع الأحاديث ويروى عن الثقات الموضوعات ، كما قال ابن حبان ، فلا يبعد أن يقول هذه الكلمة المولدة من عند نفسه . وهو متأخر أدرك عصر التوليد ، فقد أرخه البخاري في باب من مات بين سنتي ١٧٠ - ١٨٠ .

(١) الحديث ١٩ - هو بإسنادين : أحدهما صحيح ، والآخر ضعيف :

الإسناد الأول : عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس ، وهو ابن يزيد الأيلي عن ابن شهاب الزهري . وهو إسناد صحيح جداً .

والثاني : عن أبي كريب عن رشدين ، وهو ابن سعد ، عن عقیل بن خالد عن الزهري . وهو إسناد ضعيف ، لضعف رشدين بن سعد ، وكان رجلاً صالحاً فيه غفلة ، وكثر خطؤه فغلبيت المناكير في أخباره . ولكنه في هذا الحديث لم ينفرد بروايته عن عقیل بن خالد ، كما سيأتي .

و « رشدين » : بكسر الراء والدال المهملتين بينهما شين مصجمة ساكنة . و « عقیل » بضم العين المهملة .

والحديث رواه مسلم ١ : ٢٢٥ عن حملة عن ابن وهب عن يونس ، مثل الإسناد الأول هنا . ورواه البخاري ٦ : ٢٢٢ فتح الباري ، من طريق سليمان بن بلال عن يونس أيضاً .

٢٠ - حدثني محمد بن عبد الله بن أبي مخلد الواسطي ، ويونس بن عبد الأعلى الصديقي ، قالا : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبيد الله ، أخبره أبوه : أن أم أيوب أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، أيها قرأت أصبت^(١) .

٢١ - حدثنا إسماعيل بن موسى السدي ، قال : أنبأنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن سليمان بن صرد ، يرفعه ، قال : أتاني ملكان ، فقال أحدهما : اقرأ . قال : على كم ؟ قال : على حرف ، قال : زدّه . حتى انتهى به إلى سبعة أحرف^(٢) .

ورواه البخاري ٩ : ٢٠ - ٢١ ، عن سعيد بن عفير عن الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن الزهري .

وسياق أيضاً بإسناد صحيح ، برقم : ٢٢ ، من رواية نافع بن يزيد عن عقيل بن خالد عن الزهري .

وهذان الإسنادان يؤيدان الإسناد الثاني هنا ، أعني رواية رشدين بن سعد عن عقيل . ولذلك قلت إن رشدين - على ضعفه - لم ينفرد بروايته عن عقيل .

وقول ابن شهاب الزهري : « بلغني أن تلك الأحرف السبعة » إلخ : لم يذكره البخاري ، وذكره مسلم في روايته . وهو مرسل غير متصل ، فهو ضعيف الإسناد . ولذلك أعرض البخاري عن ذكره .

ثم إن الحديث رواه أيضاً أحمد ، بنحوه ، في المسند رقم : ٢٨٦٠ عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . ورواه مسلم ١ : ٢٢٥ ، عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق ، ولكنه لم يسق لفظه بل أحاله على رواية يونس عن الزهري .

ورواه أحمد أيضاً مختصراً رقم : ٢٣٧٥ ، ٢٧١٧ ، من رواية ابن أخي الزهري عن عمه . ونقله ابن كثير في فضائل القرآن : ٥٣ عن إحدى روايتي البخاري ، ثم أشار إلى روايته الأخرى وروايته مسلم ورواية الطبري هذه .

(١) الحديث ٢٠ - رواه أحمد في المسند (٦ : ٤٣٣ ، ٤٦٢ - ٤٦٣ من طبعة الحلبي) ، عن سفيان بن عيينة ، بهذا الإسناد . ونقله ابن كثير في فضائل القرآن : ٦٤ عن المسند ، وقال : « وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة » . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٤ ، وقال : « رواه الطبراني ، ورجاله ثقات » . فقصر إذ لم ينسبه للمسند أولاً . ولفظ المسند « أيها قرأت أجزاءك » . ولفظ الطبراني موافق للفظ الطبري هنا .

و « عبيد الله » ، في الإسناد : هو عبيد الله بن أبي يزيد المكي ، وهو ثقة معروف . وأبوه « أبو يزيد المكي » : ذكره ابن حبان في الثقات .

وسياق الحديث مكرراً ، برقمي : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) الحديث ٢١ - الحديث في ذاته صحيح ، لأن معناه سياقاً مراراً ، ضمن أحاديث لأبي بن كعب ، وقد كررها الطبري بأسانيد متعددة ، بالأرقام الآتية : ٢٥ - ٣٩ . وسياق بحثها في مواضعها إن شاء الله . وأما هذا الإسناد بعينه ، فهكذا ورد في الطبري ، من حديث سليمان بن صرد . ونقل الهيثمي في

٢٢ - حدثنا ابن البرقي ، قال : حدثنا ابن أبي مریم ، قال : حدثنا نافع ابن يزيد ، قال : حدثني عقیئل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريل القرآن على حرف ، فاستزده فزادني ، ثم استزده فزادني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف (١).

٢٣ - حدثني الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا صفیان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، أنه سمع أم أيوب تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه - يعني نحو حديث ابن أبي مخلد (٢).

مجمع الزوائد ٧ : ١٥٢ نحوه ، من حديث سليمان بن مرد ، وقال : « رواه الطبراني ، وفيه جعفر ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » . وليس إسناد الطبراني بين أيدينا حتى نستطيع القول فيه . ولعل اسم « جعفر » - الذي لم يعرفه الهيثمي في إسناده - محرف عن شيء آخر .

وقال ابن كثير في الفضائل : ٦١ هذا الحديث عن هذا الموضع من الطبري ، ثم قال : « ورواه النسائي في اليوم والليلة : عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام عن إسحق الأزرق عن العوام بن حوشب عن أبي إسحق عن سليمان بن مرد ، قال : أتى أبي بن كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين اختافا في القراءة ، فذكر الحديث . وهكذا رواه أحمد بن منيع عن يزيد بن هرون عن العوام عن أبي إسحق عن سليمان بن مرد عن أبي : أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجلين ، فذكره » .

وهذان الإسنادان اللذان ذكرهما ابن كثير صحيحان ، يدلان على أن سليمان بن مرد إنما سمع هذا الحديث من أبي بن كعب .

وليس الخطأ الذي وقع في إسناد الطبري هنا ، بحذف « أبي بن كعب » - خطأ شريك بن عبد الله النخعي راويه عن أبي إسحق السبيعي . إنما الخطأ - فيما أرجح - إما من إسماعيل بن موسى السدي شيخ الطبري ، وإما من الطبري نفسه . فإن الحديث رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، في مسند أبيه (٥ : ١٢٥ طبعة الحلبي) عن محمد بن جعفر الوركاني عن أبي إسحق عن سليمان بن أبي بن كعب - مختصراً كما هنا . وسيأتي الحديث مطولاً ، من رواية سليمان بن مرد عن أبي بن كعب رقم : ٢٥ .

(١) الحديث ٢٢ - هذا إسناد صحيح . قد مضى برقم : ١٩ ، بإسنادين آخرين ، وبيننا تخريجه هناك .

و « ابن البرقي » ، شيخ الطبري : هو « أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم » المصري الحافظ ، توفي سنة ٢٧٠ . وله ترجمة في تذكرة الحفاظ ٢ : ١٣٥ .

و « ابن أبي مریم » : هو « سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم » المصري ، عرف بابن أبي مریم . مترجم في التهذيب .

(٢) الحديث ٢٣ - هذا إسناد صحيح . فالربيع بن سليمان : هو المرادي المؤذن ، صاحب الشافعي ورواية كتبه . وأسد بن موسى المرواني الأموي المصري : يقال له « أسد السنة » ، ثقة من الثقات ، قال البخاري في التاريخ الكبير : ١ / ٢ / ٥٠ : « مشهور الحديث » . والحديث مكرر رقم : ٢٠ ، كما أشار إلى ذلك الطبري بالإحالة عليه . وسيأتي عقب هذا بإسناد آخر .

٢٤ - حدثنا الربيع ، قال : حدثنا أسد ، قال : حدثنا أبو الربيع السمان ، قال : حدثني عبّيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، عن أم أيوب ، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : نزل القرآن على سبعة أحرف ، فما قرأت أصبت^(١) .

٢٥ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، قال : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق ، عن فلان العبدي - قال أبو جعفر : ذهب عن اسمه - ، عن سليمان بن صرد ، عن أبي بن كعب ، قال : رحت إلى المسجد ، فسمعت رجلاً يقرأ ، فقلت : من أقرأك ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : استقرئ هذا . قال : فقرأ ، فقال : أحسنت . قال فقلت : إنك أقرأني كذا وكذا ! فقال : وأنت قد أحسنت . قال : فقلت : قد أحسنت ! قد أحسنت ! قال : فضرب بيده على صدرى ، ثم قال : اللهم أذهب عن أبي الشك . قال : ففِضْتُ عرقاً ، وامتلاً جوفى فرقاً - ثم قال : إن الملكين أتياي ، فقال أحدهما اقرأ القرآن على حرف . وقال الآخر : زده . قال : فقلت : زدنى . قال : اقرأه على حرفين . حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال : اقرأ على سبعة أحرف^(٢) .

(١) الحديث ٢٤ - وأما هذا فإسناد ضعيف جدا ، فأبو الربيع السمان ، واسمه : أشعث بن سعيد البصرى ، ضعيف جدا ، كان شعبة يرميه بالكذب . والحديث مضى بإسنادين صحيحين ، رقم : ٢٠ ، ٢٣ .

(٢) الحديث ٢٥ - مضى بعض معناه مختصراً ، وأشرنا إلى هذا ، في الحديث رقم : ٢١ ، وأن سليمان بن صرد ، راويه هناك ، إنما رواه عن أبي بن كعب .

وهذا الإسناد نسي فيه أبو جعفر الطبرى اسم « فلان العبدي » ، كما قال هو هنا . وقد نقله ابن كثير في الفضائل : ٦١ عن هذا الموضع من تفسير الطبرى ، ثم أشار إلى بعض رواياته الآخر التى سمى فيها « فلان العبدي » هذا باسمه ، وأراد أن يجمع بين هذه الروايات والرواية الماضية رقم : ٢١ ، التى فيها أن الحديث من رواية سليمان بن صرد دون ذكر أبي بن كعب ، فقال : « فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبي بن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعى شاهد ذلك » .

والصحيح ما ذهبنا إليه هناك ، من أنه من رواية سليمان بن صرد عن أبي بن كعب .

٢٦ - حدثنا محمد بن بشار، قال : حدثنا ابن أبي عدي - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن ميمون الزعفراني - جميعاً عن حميد الطويل ، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال : ما حاك في صدري شيء منذ أسلمت ، إلا أني قرأت آية ، فقرأها رجل غير قرائتي ، فقلت : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الرجل : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : أقرأني آية كذا وكذا ؟ قال : بلى . قال الرجل : ألم تُقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : بلى ، إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياي ، فقعد جبريل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف واحد . وقال ميكائيل : استرده ، قال جبريل : اقرأ القرآن على حرفين . فقال ميكائيل :

وهذا الحديث المطول - الذي هنا - رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسنده ١٢٤ هـ من طبعة الحلبي ، عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن سفيان العبدى عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب ، بنحوه بمعناه .
فعرفنا من رواية عبد الله بن أحمد أن اسم هذا الراوى « العبدى » : « سفيان » . وهو بضم السين المهملة وفتح القاف ، كما ضبطه الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصري في كتاب المؤلف : ٦٥ ، وكذلك أثبتته الذهبي في المشته : ٢٦٦ . وفي اسمه خلاف قديم ، ولكن هذا هو الراجح الصحيح .
فقد ترجمه البخارى في التاريخ الكبير ٢ / ٢ / ٣٣١ في حرف الصاد ، باسم « سفيان » ، وإن وقع فيه خطأ من النسخ ، فرسم « صفيان » بالعين بدل القاف . وقد حقق مصححه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمنى ذلك بالهامش ، ونقل أن الأمير ابن ماكولا ضبطه « سفيان » أيضاً .
وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ٢ / ٣١٨ في حرف السين ، باسم « سفيان العبدى » ، ثم أعاده في حرف الصاد ٢ / ١ / ٤٥٢ باسم « سفيان العبدى » ، ويقال : « سفيان العبدى » ، فجاء بقول ثالث .

وترجمه الحسينى في الإكمال : ٤٥ ، فقال : « سفيان العبدى » ، عن سليمان بن صرد الخزاعي ، وعنه أبو إسحق السبيعي : ليس بالمشهور . وتعقبه الحافظ في التعجيل : ١٥٧ ، فقال : « لم يصب في ذلك » ، فقد ذكروه في حرف الصاد المهملة ، ولم يذكر البخارى ولا ابن أبي حاتم فيه قدحاً ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وهو في الثقات : ٢٢٦ ، باسم « سفيان العبدى » .
فإذ تبين أن « العبدى » هذا تابعى ثقة ، بتوثيق البخارى أن لم يجرحه ، وبذكر ابن حبان إياه في الثقات - كان هذا الإسناد صحيحاً .

ثم إن سفيان العبدى لم ينفرد بروايته عن سليمان بن صرد . فقد رواه عنه تابعى آخر ، ثقة معروف ، من مشهورى التابعين ، وهو يحيى بن يعمر .

استرده . حتى بلغ ستة أو سبعة - الشك من أبي كريب - وقال ابن بشار في حديثه : حتى بلغ سبعة أحرف - ولم يشك فيه - وكل شاف كاف . ولفظ الحديث لأبي كريب (١) .

٢٧ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يحيى بن أيوب ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه . وقال في حديثه : حتى بلغ ستة أحرف ، قال : اقرأه على سبعة أحرف ، كل شاف كاف (٢) .

٢٨ - حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا أبو الوليد ، قال : حدثنا حماد

فرواه أحمد في المسند ٥ : ١٢٤ عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعن يزر ، ورواه ابنه عبد الله ابن أحمد عن هبة بن خالد القيسي ، ورواه أبو داود في السنن رقم : ١٤٧٧ ج ٢ ص ١٠٢ عن أبي الوليد الطيالسي - : كلهم عن همام بن يحيى عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد عن أبي ابن كعب ، بنحوه مختصراً . وهذه أسانيد صحاح على شرط الشيخين .

وسياق مقب هذا بأسانيد كثيرة ، من أوجه مختلفة ، عن أبي بن كعب بالأرقام ٢٦ - ٣٩ ، ٤٦ . (١) الحديث ٢٦ - هذا بإسنادين : « محمد بن بشار عن ابن أبي حنيفة » ، و « أبو كريب عن محمد بن ميسون الزعفراني » ، كلاهما عن حميد الطويل . فالإسناد الأول صحيح على شرط الشيخين دون خلاف . والإسناد الثاني فيه « محمد بن ميسون الزعفراني » ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وأبو داود وغيرهما ، وضعفه البخاري والنسائي وغيرهما .

والحديث صحيح بكل حال ، إذ لم ينفرده بروايته هذان :

فقد رواه أحمد في المسند ٥ : ١١٤ ، ١٢٢ طبعة الحلبي ، مختصراً قليلاً ، عن يحيى بن سعيد ، وهو القطان عن حميد الطويل ، بهذا الإسناد . ثم رواه ابنه عبد الله بن أحمد عن محمد بن أبي بكر المقدي عن بشر بن المفضل ، وعن سويد بن سعيد عن المعتمر بن سليمان ، كلاهما عن حميد الطويل ، بمعناه .

ورواه أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام - فيما نقل عنه ابن كثير في الفضائل ٥ : ٥٤ عن يزيد بن هرون ويحيى بن سعيد ، كلاهما عن حميد ، بهذا الإسناد مطولاً .

وسياق مقب هذا ، رقم : ٢٧ ، من رواية يحيى بن أيوب عن حميد .

وقال ابن كثير ، بعد نقله رواية أبي عبيد : « وقد رواه للنسائي من حديث يزيد ، وهو ابن هرون ، ويحيى بن سعيد القطان ، كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبي بن كعب ، بنحوه . وكذا رواه ابن أبي حنيفة ومحمد بن ميسون الزعفراني ويحيى بن أيوب ، كلهم عن حميد ، به » وهذا إشارة منه إلى أسانيد الطبري الثلاثة هنا . وهي كلها أسانيد صحاح .

(٢) الحديث ٢٧ - هو مكرر الحديث قبله . وقد أشرنا إليه في تخريج .

ابن سلمة ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، عن عبادة بن الصامت ، عن أبي ابن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف (١).

٢٩ - حدثنا أبو كريب قال حدثنا حسين بن علي ، وأبو أسامة ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زر ، عن أبي ، قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المراء فقال : إني بُعثتُ إلى أمة أميين ، منهم الغلامُ والحادمُ والشيخ العاسي والعجوز ، فقال جبريل : فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف (٢). ولفظ الحديث لأبي أسامة .

(١) الحديث ٢٨ - وهذا إسناد صحيح أيضاً ، إلا أن حماد بن سلمة زاد « عبادة بن الصامت » بين أنس وأبي بن كعب . وسنين ذلك ، إن شاء الله .
ومحمد بن مرزوق ، شيخ الطبري : هو محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي ، نسب إلى جده . وهو ثقة ، روى عنه مسلم في صحيحه والترمذي وابن ماجه وغيرهم . وشيخه أبو الوليد : هو الطيالسي ، واسمه : هشام بن عبد الملك ، إمام حافظ حجة .
والحديث رواه أحمد في المسند ٥ : ١١٤ طبعة الحلبي ، هكذا مختصراً ، عن عفان عن حماد ابن سلمة ، بهذا الإسناد . ثم رواه بالإسناد نفسه مطولاً ، بنحو الرواية الماضية ، في ٢٦ ، ٢٧ ، ثم رواه عن يحيى بن سعيد عن حميد عن أنس : « أن أياً قال » - فأشار إلى تلك الرواية ، ثم قال : « ولم يذكر فيه عبادة » .
فالظاهر - عندي - أن حماد بن سلمة هو الذي انفرد بزيادة « عبادة » في الإسناد . ولعل هذا سهو منه ، فقد رواه الرواة الذين ذكرنا من قبل ، دون هذه الزيادة ، وهم أكثر منه عدداً وأحفظ وأشد إتقاناً .

وأياً ما كان فالحديث صحيح ، سواء أسمعه أنس من أبي بن كعب مباشرة ، أم سمعه من عبادة ابن الصامت عن أبي .

(٢) الحديث ٢٩ - وهذا إسناد صحيح أيضاً . حسين بن علي : هو الجعفي . أبو أسامة : هو حماد بن أسامة . زائدة : هو ابن قدامة . عاصم : هو ابن بهدلة ، وهو ابن أبي النجود . زر : هو ابن حبيش .

والحديث رواه أحمد في المسند ٥ : ١٣٢ عن حسين بن علي الجعفي عن زائدة ، وعن أبي سعيد مولى بني هاشم عن زائدة أيضاً . ونقله ابن كثير في الفضائل ٥٩ عن الرواية الأولى من المسند . ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده رقم : ٥٤٣ عن حماد بن سلمة . ورواه الترمذي ٤ : ٦١ من طريق شيبان ، وهو ابن عبد الرحمن النحوي ، كلاهما عن عاصم ، بهذا الإسناد ، نحوه . قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى عن أبي بن كعب من غير وجه » .

« أحجار المراء » ، بكسر الميم وتخفيف المراء وبالماء : موضع بقباء ، خارج المدينة ، وقال

٣٠ - حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا ابن نمير ، قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد - وحدثنا عبد الحميد بن بيان القنّاد ، قال : حدثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن إسماعيل - عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن جده ، عن أبي بن كعب ، قال : كنت في المسجد ، فدخل رجل يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل رجل آخر ، فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه ، فدخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فقلت : يا رسول الله ، إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه . فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ، فحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما ، فوقع في نفسي من التكذيب ، ولا إذ كنت في الجاهلية ! فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيتني ، ضرب في صدري ، ففصت عرقاً ، كأنما أنظر إلى الله فرقاً . فقال : لي : يا أبي ، أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت عليه : أن هون على أمتي ، فرد علي في الثانية : أن اقرأ القرآن على حرف .

مجاهد : « هي قباء » ، كما في النهاية لابن الأثير ١ : ٢٠٣ ، ٤ : ٩١ ، والقاموس وشرحه ٣ : ١٢٧ ، ووفاء الوفا للسهمدي ٢ : ٢٤٤ . ولم نجد في ذلك خلافاً ، إلا ما ذهب إليه أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم : ١١٧ ، إذ زعم أنه « موضع بمكة » ، على لفظ جمع « حجر » كانت قريش تبارى عندها ، وهي صنو السباب ، ثم ذكر هذا الحديث شاهداً ؛ وأنا أرجح أنه وهم منه ، انتقل ذهنه بمناسبة تقارب معني اللفظين إلى الظن باتحاد المكانين . فإن « صنو السباب » « موضع بمكة كانت قريش تبارى عندها » كما قال أبو عبيد نفسه في مادة « صنو » : ٨٣٨ ، فانتقل ذهنه فقال عطف ذلك : « وهو الموضع المعروف بأحجار المراء » ! و « المراء » : من المارة ، و « الصنو » ، بضم الصاد وكسر الفاء وتشديد الياء : جمع « صفا » ، و « الصفا » : جمع « صفاة » ، وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئاً .

وما يؤيد اليقين بما أخطأ فيه أبو عبيد : أن في بعض روايات هذا الحديث الآتية : « عند أخوة بني غفار » ، وهي موضع بالمدينة يقيناً . وقد بين أبو عبيدة نفسه ذلك في : ١٦٤ ، وذكر الحديث بالرواية الآتية أيضاً شاهداً عليه .

وقوله « والشيخ العاصي » ، في مطبوعة الطبري « والشيخ الفاني » ، وفي المخطوطة « العاشي » ، وفي المستند « العاصي » . وكلها بمعنى . و « عا الشيخ » : إذا كبر وأسن وضعف بصره وييس جلده وصلب . ومثله « عاصا » . وقال الأزهري : عاصا : إذا صلب ، كأنه أراد « عسا » بالسين ، فقلبا صاداً . (اللسان : عسا) .

فرددت عليه أن هوّن على أمتي ، فردّ عليّ في الثالثة ، أن اقرأه على سبعة أحرف ، ١٣/١
ولك بكل ردّة ردّة تُكفّها مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم
اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم .
إلا أن ابن بيان قال في حديثه : فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : قد
أصبتُم وأحسنتم . وقال أيضاً : فرفضت عرقاً (١) .

٣١ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن إسماعيل بن
أبي خالد ، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، وقال : قال لي : أعيدك
بالله من الشكّ والتكذيب . وقال أيضاً : إن الله أمرني أقرأ القرآن على حرف ،
فقلت : اللهم ربّ خفف عن أمتي . قال : اقرأه على حرفين . فأمرني أن أقرأه
على سبعة أحرف ، من سبعة أبواب من الجنة ، كلها شافٍ كافٍ (٢) .

٣٢ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن عبد الله بن عيسى بن أبي ليلى - [و] عن ابن أبي ليلى عن الحكم -
عن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ قال : دخلتُ المسجدَ فصليتُ ، فقرأتُ النحل ،

(١) الحديث ٢٤ - إسناده صحيحان . وعبد الحميد بن بيان القناد ، شيخ الطبري في الإسناد
الثاني : ثقة من شيوخ مسلم ، ويقال له أيضاً « السكري » . و « القناد » : نسبة إلى « القند » بفتح
القاف وسكون النون ، وهو السكر المصنوع من عسل القصب .

والحديث رواه مسلم ١ : ٢٢٥ عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه عن إسماعيل بن أبي
خالد ، بهذا الإسناد ، نحوه . ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر عن إسماعيل .
ورواه أحمد في المسند ٥ : ١٢٧ طبعة الحلبي عن يحيى بن سعيد عن إسماعيل . ورواه ابنه
عبد الله في المسند أيضاً ٥ : ١٢٨ - ١٢٩ ، عن وهب بن بقية عن خالد بن عبد الله ، وهو الطحان ،
عن إسماعيل . ونقله ابن كثير في الفضائل : ٥٥ عن رواية أحمد . ارفضاض العرق : تتابع سيلانه .

(٢) الحديث ٣١ - إسناده صحيح أيضاً . وهو مكرر الحديث قبله .
ونقله ابن كثير في الفضائل : ٥٥ عن الطبري في هذا الموضع ، واقتصر فيه على آخره ، من
أول قوله « إن الله أمرني » . ولكن وقع فيه خطأ في الإسناد « عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن
أبي ليلى عن أبيه عن جده » ! فزيادة « عن أبيه » خطأ ناسخ أو طابع ، ليست في الطبري ، ولا
موضع لها ، لأن عيسى روى هذا الحديث عن جده مباشرة ، كما في الإسناد الماضي .

وقوله « أمرني أقرأ القرآن » : هو على تقدير « أن » ، وهي ثابتة في المطبوعة وابن كثير ،
ومحذوفة في المخطوطة .

ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتي ، ثم جاء رجل آخر فقرأ خلاف قراءتنا ، فدخل نفسي من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما فأتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، استقرئ هذين . فقرأ أحدهما ، فقال : أصبت . ثم استقرأ الآخر ، فقال : أصبت . فدخل قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري ، وقال : أعاذك الله من الشك ، وأخسأ عنك الشيطان . قال إسماعيل : ففرضت عرقاً - ولم يقله ابن أبي ليلى - قال : فقال : أتاني جبريل فقال : اقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : إن أمتي لا تستطيع . حتى قال سبع مرات ، فقال لي : اقرأ على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة رددها مسألة . قال : فاحتاج إلى فيها الحلأ ، حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم (١) .

(١) الحديث ٣٢ - هو بإسنادين ، أحدهما متصل صحيح ، والآخر ظاهره الاتصال . وسنبين ذلك تفصيلاً ، إن شاء الله .

وقد وقع هنا في نسخ الطبري خطأ من النسخين ، بحذف واو العطف قبل قوله « عن ابن أبي ليلى عن الحكم » . ولذلك زدناها بعلامة الزيادة [و] . بأننا على يقين أن حذفها يجعله إسناداً واحداً ، ويكون إسناداً مضطرباً لا يفهم .

والذي أوقع النسخين في الخطأ ، والذي يوقع القارئ في الاشتباه والاضطراب ، تكرار « عن ابن أبي ليلى » في الإسناد . وهما اثنان ، بل ثلاثة : فالأول صرح باسمه فيه ، وهو : « عبد الله بن عيسى ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، والثاني : « محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » هم عيسى ، والثالث : « عبد الرحمن بن أبي ليلى » التابعي .

فالطبري روى هذا الحديث عن أبي كريب محمد بن العلاء عن وكيع بن الجراح . ثم يفترق الإسنادان فوق وكيع :

فرواه وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد « عن عبد الله بن عيسى بن أبي ليلى » ، وهو « عبد الله ابن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » .
ورواه وكيع أيضاً « عن ابن أبي ليلى » ، وهو « محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، عن الحكم ، وهو « الحكم بن عتيبة » .

ثم يجتمع الإسنادان مرة أخرى :
فيرويه « عبد الله بن عيسى » عن جده « عبد الرحمن بن أبي ليلى » عن أبي بن كعب ، كالإسنادين الماضيين ٣٠ ، ٣١ . وهو إسناد متصل .

٣٣ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبد الله ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه (١) .

٣٤ - حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : حدثنا عبد الصمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن جحادة ، عن الحكم - هو ابن عتيبة - عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، قال : أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند أضاة بني غفار فقال : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فمن قرأ منها حرفاً فهو كما قرأ (٢) .

ويرويه الحكم بن عتيبة عن « ابن أبي ليلى » ، وهو « عبد الرحمن » عن أبي بن كعب ، وهذا إسناد ظاهر الاتصال ، إلا أن فيه شبهة الانقطاع ، لأن الحكم بن عتيبة وإن كان يروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى كثيراً ، إلا أنه في هذا الحديث بعينه رواه عنه بواسطة مجاهد ، كما سيأتي في الأسانيد رقم : ٣٤ - ٣٧ ، وفيما سنذكر هناك إن شاء الله من التخريج . ومن المحتمل جداً أن يكون الحكم سمعه من عبد الرحمن بن أبي ليلى نفسه ، وسمعه من مجاهد عنه ، فرواه على الوجهين . وهذا كثير في الرواية ، معروف مثله عند أهل العلم . وإذا لم يكن الحكم سمعه من « عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، فتكون الرواية التي هنا - كالرواية التالية رقم : ٣٣ - خطأ من « محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، فإنه وإن كان فقيهاً صدوقاً ، إلا أنه « كان سيء الحفظ مضطرب الحديث » ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل وغيره . وليعلم أن « محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » كان أصغر من ابن أخيه « عبد الله بن عيسى ابن أبي ليلى » ، وكان يروي عنه ، ولا يروي عن أبيه « عبد الرحمن » إلا بالواسطة ، وأما ابن أخيه « عبد الله بن عيسى » فقد أدرك جده وروى عنه مباشرة . وعلى كل حال فالحديث صحيح بالروايات المتصلة ، ولا تؤثر في صحته رواية محمد بن عبد الرحمن إن ظهر عدم اتصالها .

(١) الحديث ٣٣ - إسناده كالإسناد قبله : « ابن أبي ليلى » ، هو « محمد بن عبد الرحمن » يرويه عن أبيه « عبد الرحمن » بواسطة « الحكم بن عتيبة » . وأما « عبد الله » شيخ أبي كريب ، فالظاهر عندي أنه « عبد الله بن نمير » ، إذ روايته عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثابتة عندي في المسند في حديث آخر ، هو الحديث رقم : ٢٨٠٩ هناك . (٢) الحديث ٣٤ - إسناده صحيح . عبد الصمد : هو ابن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان البصري وهو وأبوه من الأعلام الثقات . محمد بن جحادة - بضم الجيم وتخفيف الحاء المهملة ، ثقة عابد زاهد من أتباع التابعين .

وهذا الحديث مختصر ، وسيأتي عقبه مطولاً بثلاثة أسانيد رقم : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، من طريق

٣٥ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال :
 حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي
 ابن كعب : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضواء بنى غفار ، قال :
 فأتاه جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف . قال :
 أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك . قال : ثم أتاه الثانية
 فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين . قال : أسأل الله
 معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك . ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله
 يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف . قال : أسأل الله معافاته
 ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك . ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك
 أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأبى حرف قرأوا عليه فقد
 أصابوا (١) .

٣٦ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن
 الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، قال : أتى جبريل النبي صلى الله عليه
 وسلم عند أضواء بنى غفار - فذكر نحوه (٢) .

٣٧ - حدثنا أبو كريب ، قال حدثنا موسى بن داود ، قال : حدثنا شعبة -
 ١٤/١ وحدثنا الحسن بن عرفة ، قال : حدثنا شبابة قال : حدثنا شعبة - عن الحكم ،

شعبة عن الحكم بن عتيبة . وسيأتي مطولا أيضاً رقم : ٤٦ من طريق عبد الوارث عن محمد بن جعدة .
 ورواه أحمد في المسند ٥ : ١٢٨ ، مطولا أيضاً ، من طريق عبد الوارث .

(١) الحديث ٣٥ - رواه أبو داود الطيالسي في مسنده رقم : ٥٥٨ ، عن شعبة . ورواه أحمد
 في المسند ٥ : ١٢٧ - ١٢٨ ، عن محمد بن جعفر عن شعبة . ورواه مسلم ١ : ٢٢٥ - ٢٢٦ ،
 عن محمد بن المثنى وغيره عن محمد بن جعفر . ورواه أبو داود السجستاني في السنن رقم : ١٤٧٨ / ٢ : ١٠٢
 عن محمد بن المثنى أيضاً .

ونقله ابن كثير في الفضائل ٥٨ - ٥٩ عن هذا الموضع من تفسير الطبري . وقال : « وأخرجه
 مسلم وأبو داود والنسائي ، من رواية شعبة ، به » .
 (٢) الحديث ٣٦ - هو مكرر الحديث قبله .

عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه (١) .

٣٨ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب أنه قال : سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءةً تخالف قراءتي ، ثم سمعت آخر يقرأها قراءةً تخالف ذلك ، فانطلقتُ بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل ، فسألتُهما : من أقرأهما ؟ فقالا : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : لأذهبن بكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ خالفنا ما أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدهما : اقرأ . فقرأ ، فقال : أحسنت . ثم قال للآخر : اقرأ . فقرأ ، فقال : أحسنت . قال أبي : فوجدتُ في نفسي وسوسة الشيطان ، حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي ، فضرب بيده في صدري ، ثم قال : اللهم أخسئ الشيطان عنه ! يا أبي ، أتاني آت من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عني . ثم أتاني الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمتي . ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك ، وقلت مثله . ثم أتاني الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة . فقلت : يا رب اغفر لأمتي ، يا رب اغفر لأمتي . واختبأتُ الثالثة شفاعاً لأمتي يوم القيامة (٢) .

(١) الحديث ٣٧ - هو مكرر ما قبله أيضاً . وهو بإسنادين عن شعبة . و«شبابه» في الإسناد الثاني : هو شبابة بن سوار الفزاري المدائني ، وهو ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

(٢) الحديث ٣٨ - هذا الإسناد نقله ابن كثير في الفضائل : ٥٦-٥٧ ، وقال : «إسناد صحيح» . وأشار إليه الحافظ ابن حجر في الفتح ٩ : ٢١ . وعبيد الله ، الراوي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو إمام ثقة حجة ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وكان أحمد بن حنبل يقدمه على مالك وعلى غيره في الرواية عن نافع ،

٣٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عبيد الله بن عمر ، عن سيّار أبي الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ذكر أن رجّلين اختصما في آية من القرآن ، وكلّ يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه ، فتقارآ إلى أبي ، فخالفهما أبي ، فتقارؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، اختلفنا في آية من القرآن ، وكلنا يزعم أنك أقرأته . فقال لأحدهما : اقرأ . قال : فقرأ ، فقال : أصبت . وقال للآخر : اقرأ . فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه ، فقال : أصبت . وقال لأبي : اقرأ . فقرأ فخالفهما ، فقال : أصبت . قال أبي : فدخلني من الشك في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخل في من أمر الجاهلية ، قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في وجهي ، فرفع يده فضرب صدرى ، وقال : استعذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال : ففِيضْتُ عرقاً ، وكأني أنظر إلى الله فرقاً . وقال : إنه أتاني آت من ربي فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمي . قال : ثم جاء فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمي . قال : ثم جاء الثالثة فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمي . قال : ثم جاءني الرابعة فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردّة مسألة . قال : قلت : رب اغفر لأمي ، رب اغفر لأمتي ، واختبأت الثالثة شفاعاً

ويقول : « عبيد الله أثبتهم وأحفظهم وأكثرهم رواية » . وفي ترجمته في التهذيب ٧ : ٤٠ : « وقال الحربي : لم يدرك عبد الرحمن بن أبي ليلى » . وأنا أرجح أن هذا خطأ من الحربي ، فإن عبد الرحمن مات سنة ٨٢ أو ٨٣ ، وعبيد الله مات سنة ١٤٤ أو ١٤٥ ، فالمعاصرة ثابتة ، وهي كافية في إثبات اتصال الرواية ، إذا لم يكن للراي مدلساً ، وما كان عبيد الله ذلك قط . ولذلك جزم ابن كثير بصحة الإسناد .

وقوله في المرة الأولى « رب خفف مني » ، في الفضائل لابن كثير « رب خفف عن أمي » .

لأمتي ، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليرغب فيها (١).

٤٠ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل : اقرأوا القرآن على حرف . فقال ميكائيل : استزده . فقال : على حرفين . حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف ، فقال : كلها شاف كاف ، ما لم يختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب . كقولك : هلم وتعال (٢).

٤١ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ١٥/١ سليمان بن بلال ، عن يزيد بن خصيفة ، عن بسر بن سعيد : أن أبا جهيم الأنصاري أخبره : أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، فقال هذا : تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الآخر : تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الحديث ٣٩ - وهذا إسناد صحيح إلى عبد الرحمن بن أبي ليل ، ولكنه مرسل ، إذ لم يذكر ابن أبي ليل عن رواه من الصحابة . وهو مؤيد بروايات ابن أبي ليل الماضية عن أبي بن كعب ، فهو كالمتمصل معنى .

و «سيار أبو الحكم» : هو العنزي الواسطي ، ثقة ثبت صدوق في كل المشايخ ، كما قال أحمد ابن حنبل ، مات سنة ١٢٢ . وفي التاريخ الكبير للبخاري : ١٦٢ / ٢ / ٢ : «قال ابن عينة : شيع سيار أبو الحكم عبيد الله بن عمر من الكوفة إلى المدينة ، فأمر له بألف درهم ، فقال : لم أشيعك لهذا ، ولكن قلت : رجل صالح ، فأردت أن أشيعك» .

(٢) الحديث ٤٠ - سيأتي مرة أخرى ، بهذا الإسناد واللفظ ، برقم : ٤٧ . ورواه أحمد في المسند ٥ : ٥١ طبعة الحلبي ، عن صفان عن حماد بن سلمة ، بنحوه . ورواه أيضاً ٥ : ٤١ عن عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة ، بشيء من الاختصار .

ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ ، وقال : «رواه أحمد ، والطبراني بنحوه ، إلا أنه قال : واذهب وأدبر . وفيه علي بن زيد بن جدعان ، وهو سيء الحفظ ، وقد توبع ، وبقيّة رجال أحمد رجال الصحيح» .

ونقله ابن كثير في الفضائل : ٦٢ - ٦٣ عن الرواية المختصرة من المسند ، ثم قال : «وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة ، به . وزاد في آخره : كقولك هلم وتعال» . وهذه الزيادة ثابتة في الرواية المطولة في المسند ٥ : ٥١ بلفظ : «نحو قولك : تعال ، وأقبل ، وهلم ، واذهب ، وأسرع ، وأعجل» .

عليه وسلم ، فسألا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا في القرآن ، فإن المراء فيه كثر^(١) .

٤٢ — حدثنا يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، قال : قال :

(١) الحديث ٤١ — رواه أحمد في المسند رقم : ١٧٦١٥ (٤ : ١٦٩ - ١٧٠ حلي) ، عن أبي سلمة الخزازي عن سليمان بن بلال ، بهذا الإسناد . ونقله ابن كثير في الفضائل ٦٤ - ٦٥ عن المسند ، وقال : « وهذا إسناد صحيح أيضاً ، ولم يخرجوه » ، يعني أصحاب الكتب الستة . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » .
ونقله ابن كثير قبل ذلك ، عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، قال : « حدثنا إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى الحضرمي - وقال غيره : عن بسر بن سعيد - عن أبي جهيم الأنصاري : أن رجلين اختلفا » ، إلخ . ثم قال ابن كثير : « وهكذا رواه أبو عبيد على الشك ! وقد رواه الإمام أحمد على الصواب » ، ثم نقل رواية المسند .
وما كانت رواية أبي عبيد على الشك ، كما زعم ابن كثير ، إنما للحديث طريقان : إسماعيل ابن جعفر ، يرويه عن يزيد بن خصيفة عن « مسلم بن سعيد » . وسليمان بن بلال ، يرويه عن يزيد ابن خصيفة عن « بسر بن سعيد » ، وهو أخو مسلم بن سعيد . فأشار أبو عبيد أثناء الإسناد إلى الرواية الأخرى ، دون أن يذكر إسنادها .

وقد ذكر البخاري الروایتين في التاريخ الكبير : ٤ / ١ / ٢٦٢ ، في ترجمة « مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي » ، فأشار إلى أنه روى هذا الحديث عن أبي جهيم ، وقال : « قاله إسماعيل ابن جعفر عن يزيد بن خصيفة . وقال سليمان بن بلال عن يزيد بن خصيفة عن بسر بن سعيد عن أبي جهيم » . فأثبت بذلك الروایتين ، لم يجعل إحداها علة للأخرى . فيكون يزيد بن خصيفة سمع الحديث من الأخوين : مسلم وبسر ، ابن سعيد .

ومن عجب أن الحافظ أشار في الإصابة ٧ : ٣٥ إلى رواية هذا الحديث من طريق مسلم ابن سعيد ، ونسبها للبغوي فقط ، ثم لم يشر إلى رواية بسر بن سعيد ، فأبعد جداً !
و « أبو جهيم الأنصاري » هذا : اسمه « عبد الله بن الحرث بن الصمة » ، وقيل في اسمه أقوال آخر . ووقع في هذا الحديث في مطبوعة الطبري ومجمع الزوائد والفضائل لابن كثير « عن أبي جهيم » ، وهو خطأ مطبعي في غالب الظن ، لأنه ثابت في المسند « أبو جهيم » . وقال الحافظ في الفتح ١ : ٣٧٥ - ٣٧٤ ، في حديث آخر له عند البخاري : « وقع في مسلم [يعني صحيح مسلم] : دخلنا على أبي الجهم ، بإسكان الهاء ، والصواب أنه بالتصغير ، وفي الصحابة شخص آخر يقال له أبو الجهم ، وهو صاحب الأنبيانية ، وهو غير هذا ، لأنه قرشي ، وهذا أنصاري ، ويقال بحذف الألف واللام في كل منهما ، وبإثباتهما » .

وقد أشار الحافظ إلى هذا الحديث في الفتح ٩ : ٢٣ ، ونسبه لأحمد وأبي عبيد والطبري . ووقع فيه في هذا الموضع « أبي جهيم » ، بدون تصغير ، وهو خطأ مطبعي أيضاً .

و « بسر بن سعيد » : بضم الباء وسكون السين المهملة . ووقع في مطبوعة الطبري « بشر » ، وهو خطأ مطبعي .

نبي صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كاف (١).

٤٣ - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال ،

عن أبي عيسى بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمِرتُ أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف ، كلٌ كافٍ شافٍ (٢).

٤٤ - حدثنا أحمد بن حازم الغفاري ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا

أبو خزيمة ، قال : حدثني أبو العالية ، قال : قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل خمس رجلٌ ، فاختلَفوا في اللغة ، فرضى قراءتهم كلهم ، فكان بنو نعيم أعرب القوم (٣).

٤٥ - حدثنا عمرو بن عثمان العثماني ، قال : حدثنا ابن أبي أويس ، قال : حدثنا

أخي ، عن سليمان بن بلال ، عن محمد بن عجلان ، عن المقبري ، عن أبي

(١) الحديث ٤٢ - يونس : هو ابن عبد الأعلى . سفيان : هو ابن عيينة . وهذا حديث

مرسل ، لأن عمرو بن دينار تابعي ، فروايته عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل .

(٢) الحديث ٤٣ - هذا إسناد مشكل ، لم أجد له وجهاً يعرف . فظاهره أن «أبا عيسى بن عبد الله

بن مسعود» يروي عن أبيه عن جده ، فالجد ظاهراً أنه «مسعود» ، ولكنه صرح بأنه «عبد الله بن

مسعود» ! فيكون «أبو عيسى» ليس ابن «عبد الله بن مسعود» ، بل ابن ابنه ، نسب إلى جده .

ولا بأس بذلك إن كان له أصل . ولكن ليس في الرواة الذين تراجمهم عندنا من يسمى أو يكنى «أبا

عيسى» ، من ذرية ابن مسعود . ولا نعرف لابن مسعود من الولد إلا اثنين : عبد الرحمن ، وفي سماعة

من أبيه خلاف ، والراجح أنه سمع منه . وأبو عبيدة ، واسمه «عامر» ، ولم يسمع من أبيه ، تركه

صغيراً .

فهذا إسناد محرف يقيناً ، ما صوابه ؟ لا ندري . ولا نستطيع أن نتخيل فيه احتمالات لتصحيحه .

لرواية أمارة ، لا تؤخذ بالرأي ولا بالقياس ولا بالخيال .

وأما لفظ الحديث ، فقد ذكره السيوطي في زيادات الجامع الصغير . بهذا اللفظ ١ : ٢٦٠

من الفتح الكبير ، ونسبه لابن جرير عن ابن مسعود . ولم نجده في موضع آخر من النواوين التي

فيها الروايات بالإسناد . وقد يوفق الله غيرنا لوجوده ، إن شاء الله .

(٣) الحديث ٤٤ - هذا مرسل ، لأن أبا العالية تابعي ، يروي عن الصحابة ، وأبو العالية :

هو رفيع ، بضم الراء ، بن مهران ، بكسر الميم ، الرياحي ، بكسر الراء وتخفيف الياء الأولى . وأبو

خلعة بفتح الخاء وسكون اللام : هو خالد بن دينار السعدي .

هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلقروا ولا حرج ، ولكن لا تختصوا ذكر رحمة بعذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة (١) .

٤٦ - حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج ، قال : حدثنا عبد الوارث قال : حدثنا محمد بن جحادة عن الحكم ابن عتيبة ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل ، وهو بأضاعة بنى غفار ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف واحد . قال : فقال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : ومعافاته ومغفرته - سل الله لم التخفيف ، فإنهم لا يطبقون ذلك . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين . قال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : ومعافاته ومغفرته - إنهم لا يطبقون ذلك ، فسأل الله لم التخفيف . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف . فقال : أسأل الله مغفرته ومعافاته - أو قال : ومعافاته ومغفرته - إنهم لا يطبقون ذلك ، فسأل الله لم التخفيف . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فنقرأ منها بحرف فهو كما قرأ (٢) .

قال أبو جعفر (٣) : صح وثبت أن الذى نزل به القرآن من ألسن العرب

(١) الحديث ٤ - ابن أبي أويس : هو إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس المدنى ، ابن أخت مالك بن أنس ونسيبه . أخوه : هو أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله . والمقبى : هو سعيد بن أبي سعيد . وهذا الحديث ، بهذا الإسناد واللفظ ، لم أجده فى موضع آخر ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين . وقد مضى لأبى هريرة حديثان بثلاثة أسانيد ، بالأرقام : ٧ - ٩ .

(٢) الحديث ٤٦ - مضى الحديث مختصراً ، رقم : ٣٤ ، من طريق محمد بن جحادة . وأشرنا إليه هناك .

(٣) هذا جواب قوله فى أول الباب ، ص ٢١ س ١٤ : فإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الأخبار قد تظاهرت عنه صلى الله عليه وسلم ، بما حدثنا به خلاد بن أسلم . . . صح وثبت هـ ، إلخ . وقد نقل ابن كثير فى فضائل القرآن ٦٩ - ٧٠ بعض كلام الطبرى هنا ، واختصره اختصاراً .

الْبَعْضُ مِنْهَا دُونَ الْجَمِيعِ ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ أَلْسِنَتَهَا وَلِغَاتَهَا أَكْثَرُ مِنْ سَبْعَةٍ ،
بِمَا يُعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهِ .

فَإِنْ قَالَ : وَمَا بَرَهَانُكَ عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَزَلَ
الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » ، وَقَوْلُهُ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » ،
هُوَ مَا ادَّعَيْتَ — مِنْ أَنَّهُ نَزَلَ بِسَبْعِ لُغَاتٍ ، وَأَمِيرَ بِقِرَاءَتِهِ عَلَى سَبْعَةِ أَلْسِنٍ — دُونَ
أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ مَا قَالَهُ مُخَالَفُوكَ ، مِنْ أَنَّهُ نَزَلَ بِأَمْرٍ وَزَجْرٍ وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهيبٍ
وَقَصَصٍ وَمِثْلٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ ؟ فَقَدْ عَلِمْتَ قَائِلَ ذَلِكَ مِنْ سَلَفِ
الْأُمَّةِ وَخِيَارِ الْأُمَّةِ .

قِيلَ لَهُ : إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ لَمْ يَدَّعُوا أَنْ تَأْوِيلَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرُهَا ،
هُوَ مَا زَعَمْتَ أَنَّهُمْ قَالُوهُ فِي الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ دُونَ غَيْرِهِ ، فَيَكُونُ
ذَلِكَ لِقَوْلِنَا مُخَالَفًا ، وَإِنَّمَا أَخْبَرُوا أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ
أَنَّهُ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَوْجِهٍ . وَالَّذِي قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ كَمَا قَالُوا .

١٦/١

وَقَدْ رَوَيْنَا — بِمِثْلِ الَّذِي قَالُوا مِنْ ذَلِكَ — عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، أَخْبَارًا قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا بَعْضُهَا ، وَنَسْتَقْصِي ذِكْرَ بَاقِيهَا
بَيَانَهُ ، إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَأَمَّا الَّذِي تَقْدُمُ ذِكْرُهَا مِنْ ذَلِكَ ، فَخَبَرُ أَبِي بَنِي كَعْبٍ ، مِنْ رِوَايَةِ أَبِي
كَرِيبٍ ، عَنْ ابْنِ فَضِيلٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » ، مِنْ سَبْعَةِ
أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ .

وَالسَّبْعَةُ الْأَحْرَفُ : هُوَ مَا قَلْنَا مِنْ أَنَّهُ الْأَلْسِنُ السَّبْعَةُ . وَالْأَبْوَابُ السَّبْعَةُ مِنْ
الْجَنَّةِ : هِيَ الْمَعَانِي الَّتِي فِيهَا ، مِنَ الْأَمْرِ وَالنَهْيِ وَالتَّوْبِ وَالتَّوْبِ وَالتَّوْبِ وَالتَّوْبِ وَالتَّوْبِ وَالتَّوْبِ
الَّتِي إِذَا عَمِلَ بِهَا الْعَامِلُ ، وَانْتَهَى إِلَى حُدُودِهَا الْمُنْتَهَى ، اسْتَوْجِبَ بِهِ الْجَنَّةَ . وَلَيْسَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي قَوْلٍ مِنْ قَالَ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، خِلَافَ لَشَيْءٍ مِمَّا قَلْنَاهُ .

والدلالة على صحة ما قلناه — من أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، إنما هو أنه نزل بسبع لغات ، كما تقدم ذكرناه من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وسائر من قدمنا الرواية عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في أول هذا الباب — أنهم تماروا في القرآن ، فخالف بعضهم بعضاً في نفس التلاوة ، دون ما في ذلك من المعاني ، وأنهم احتكموا فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم (١) ، فاستقرأ كل رجل منهم ، ثم صوّب جميعهم في قراءتهم على اختلافها ، حتى ارتاب بعضهم لتصويبه إياهم ، فقال صلى الله عليه وسلم للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم : « إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » .

ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك ، لو كان تمارياً واختلافاً فيما دلت عليه تلاواتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد وما أشبه ذلك ، لكان مستحيلاً أن يصوّب جميعهم ، ويأمر كل قارئ منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه . لأن ذلك لو جاز أن يكون صحيحاً ، وجب أن يكون الله جل ثناؤه قد أمر بفعل شيء بعينه وفرضه ، في تلاوة من دلت تلاوته على فرضه — ونهى عن فعل ذلك الشيء بعينه وزجر عنه ، في تلاوة الذي دلت تلاوته على النهي والزجر عنه ، وأباح وأطلق فعل ذلك الشيء بعينه ، وجعل لمن شاء من عباده أن يفعله فعّله ، ولمن شاء منهم أن يتركه تركه (٢) ، في تلاوة من دلت تلاوته على التخيير !

وذلك من قائله إن قاله ، إثبات ما قد نفي الله جل ثناؤه عن تنزيله وحكم كتابه فقال : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا » [سورة النساء : ٨٢] .

(١) في المخطوطة : « وأنهم اختلفوا فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم » . وكل صواب .

(٢) أى : جعل له فعله ، وجعل له تركه . و « جعل » هنا ، بمعنى : أباح وأذن .

وفي نفى الله جل ثناؤه ذلك عن حكم كتابه، أوضح الدليل على أنه لم ينزل كتابه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم إلا بحكم واحد متفق في جميع خلقه، لا بأحكام فيهم مختلفة.

وفي صحة كون ذلك كذلك، ما يبطل دعوى من ادعى خلاف قولنا في تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» للذين تخصموا إليه عند اختلافهم في قراءتهم. لأنه صلى الله عليه وسلم قد أمر جميعهم بالثبوت على قراءته، ورضى قراءة كل قارئ منهم — على خلافها قراءة خصومه ومنازعيه فيها — وصوبها. ولو كان ذلك منه تصويباً فيما اختلفت فيه المعاني، وكان قوله صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» إعلاماً منه لهم أنه نزل بسبعة أوجه مختلفة، وسبعة معانٍ مفترقة — كان ذلك إثباتاً لما قد نفي الله عن كتابه من الاختلاف، ونفياً لما قد أوجب له من الائتلاف. مع أن في قيام الحجة بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقض في شيء واحد في وقت واحد بحكمين مختلفين، ولا أذن بذلك لأمة — ما يغني عن ١٧/١ الإكثار في الدلالة على أن ذلك مني عن كتاب الله.

وفي انتفاء ذلك عن كتاب الله، وجوب صحة القول الذي قلناه، في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، عند اختصاص المختصمين إليه فيما اختلفوا فيه من تلاوة ما تلاوه من القرآن، وفساد تأويل قول من خالف قولنا في ذلك. وأحرى أن الذين تماروا فيما تماروا فيه من قراءتهم فاحتكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لم يكن منكراً عند أحد منهم أن يأمر الله عباده جل ثناؤه في كتابه وتنزيله بما شاء، وينهى عما شاء، ويعيد فيما أحب من طاعاته، ويوعده على معاصيه، ويحشم لنيه ويعظه فيه^(١)، ويضرب فيه لعباده الأمثال — فيخصم

(١) في المطبوعة «ويحج لنيه»، بدل «ويحتم». وفي إحدى المخطوطات «ويعظ»، بغير الضمير وبغير «فيه». وأما الأخرى فليس فيها «ويعظه فيه»، بل «ويحتم لنيه صلى الله عليه وسلم». و«حتم الأمر»: قضاء، أي: يقضى لنيه ويكتب له وعليه.

غيره على إنكاره سماع ذلك من قارئه (١) . بل على الإقرار بذلك كله كان إسلام من أسلم منهم . فالوجه الذي أوجب له إنكار ما أنكر ، إن لم يكن كان ذلك اختلافاً منهم في الألفاظ واللغات ؟
وبعد ، فقد أبان صحة ما قلنا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصاً . وذلك الخبر الذي ذكرنا :

٤٧ - أن أبا كريب حدثنا قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن حماد ابن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل : اقرأ القرآن على حرف . قال ميكائيل عليه السلام : استرده . فقال : على حرفين . حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف ، فقال : كلها شاف كاف ، ما لم يحتم آية عذاب بآية رحمة ، أو آية رحمة بآية عذاب ، كقولك : هلم وتعال (٢) .
فقد أوضح نص هذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة ، إنما هو اختلاف ألفاظ ، كقولك « هلم وتعال » باتفاق المعاني ، لا باختلاف معاني موجبة اختلاف أحكام .

وبمثل الذي قلنا في ذلك صحت الأخبار عن جماعة من السلف والخلف .
٤٨ - حدثني أبو السائب سلم بن جنادة السوائي ، قال : حدثنا أبو معاوية - وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة - جميعاً عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : قال عبد الله : إني قد سمعت إلى القرأة ، فوجدتهم متقارئين فاقروا كما علمتم ، وإياكم والتنطع ، فلانما هو كقول أحدكم : هلم وتعال (٣) .

(١) يقول : « لم يكن منكراً عند أحد منهم . . . فيخاصم غيره » . فأطال الفصل .

(٢) الحديث ٤٧ - مضمون الحديث بهذا الإسناد ، رقم : ٤٠ . فتلك إشارته بقوله هنا :

« وذلك الخبر الذي ذكرنا أن أبا كريب حدثنا » ، إلخ .

(٣) الحديث ٤٨ - أبو السائب سلم بن جنادة السوائي الكوفي ، شيخ الطبري : ثقة حجة لا شك

٤٩ - وحدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحق، عن سمع ابن مسعود يقول: من قرأ منكم على حرف فلا يتحولن، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله لأتيته (١).

٥٠ - وحدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا شعبة، عن عبد الرحمن بن عابس، عن رجل من أصحاب عبد الله، عن

فيه، روى عنه البخاري في غير كتاب (الجامع الصحيح)، والترمذي وابن ماجه وأبو حاتم، وهو قديم للولاد، ولد سنة ١٧٤، ومات سنة ٢٥٤. وله ترجمة في تاريخ بغداد ٩: ١٤٧-١٤٨، والتلخيص ٤: ١٢٨-١٢٩، والجرح والتعطيل لابن أبي حاتم: ٢/ ١/ ٢٦٩. و«سلم» بفتح السين وسكون اللام، ووقع في نسخ الطبري «سلم»، وهو تحريف. و«جنادة»: بضم الجيم وتخفيف النون. و«السواني»: بضم السين وتخفيف الواو وبعد الألف همزة، نسبة إلى «بن سواة بن عامر بن صمصة».

وأبو معاوية: هو محمد بن خازم الضرير، ولد سنة ١١٣، ومات سنة ١٩٥. فهذا الإسناد الأول طال جداً. وذلك أن الطبري روى أثر ابن مسعود هذا بإسنادين: رواه عن سلم بن جنادة عن أبي معاوية عن الأعشى. ثم رواه عن محمد بن المثنى عن ابن أبي حنبل عن شعبة عن الأعشى.

وهذا الأثر عن ابن مسعود لم نجده في غير هذا الكتاب، إلا ما ذكره صاحب اللسان بغير إسناد، كما يشير إليه بعد، إن شاء الله.

وقوله «قد سمعت إلى القراءة فوجدتهم متقاربين»، في المطبوعة «قد سمعت القراءة». و«القراء»: جمع «قارئ»، كما هو واضح، ولكن الذي في المخطوطة «إلى القراءة»، بزيادة «إلى» وبلفظ «القراءة»، بفتح الراء والهمزة ثم الحاء في آخره، وهو جمع «قارئ» أيضاً، ففي اللسان «رجل قارئ»، من قوم قراء، وقراءة، وقارئين. وهذا الجمع قياسي، مثل «كاتب وكتبة». وانظر مع الهوامع للسيوطي ٢: ١٧٧، ١٧٨. وهذا الأثر ذكره صاحب اللسان ١: ١٢٤، قال: «وروى عن ابن مسعود: سمعت للقراءة، فإذا هم متقاربون. حكاه الحياثي ولم يفسره. قال ابن سيده: وحملني أن الجن كانوا يرومون للقراءة» وهكذا وقع الخطأ لم قديماً، جعلوها «متقاربون» بالهمزة، ثم فسرها ابن سيده هذا التفسير المعجيب. وهي واضحة في الطبري «متقاربين» بالباء. والسياق نفسه لا يدل إلا على صحة هذا خطأ ما وقع في اللسان.

وكلمة «القراءة» متأتية في مخطوطة الطبري كثيراً بهذا الرسم، ثم يغيرها مصححو المطبوعة «القراء»، دون حاجة إلى هذا التغير!

(١) الحديث ٤٩ - أبو داود: هو الطيالسي. وأبو إسحق: هو السيمي الهمداني التميمي المعروف، وأسمه «عمرو بن عبد الله»، وهذا الإسناد ضعيف، لإبهام شيخ أبي إسحق الذي حدثه عن ابن مسعود. وقد مضى نحو معناه ضمن حديث متصل، عن ابن مسعود، رقم: ١٨. وانظر الإسناد التالي لهذا.

عبد الله بن مسعود ، قال : من قرأ على حرف فلا يتحولن منه إلى غيره (١) .
 فعلوم أن عبد الله لم يعن بقوله هذا : من قرأ ما في القرآن من الأمر والنهي
 فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد ، ومن قرأ ما فيه من الوعد
 والوعيد فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من القصص والمثل . وإنما عني رحمة الله
 عليه أن من قرأ بحرفه - وحرفه : قراءته ، وكذلك تقول العرب لقراءة رجل :
 حرف فلان ، وتقول للحرف من حروف الهجاء المقطعة : حرف ، كما تقول
 لقصيدة من قصائد الشاعر : كلمة فلان - فلا يتحولن عنه إلى غيره رغبة عنه .
 ومن قرأ بحرف أبي ، أو بحرف زيد ، أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ببعض الأحرف السبعة - فلا يتحولن عنه إلى غيره رغبة
 عنه ، فإن الكفر ببعضه كفر بجميعه ، والكفر بحرف من ذلك كفر بجميعه .
 يعني بالحرف ما وصفنا من قراءة بعض من قرأ ببعض الأحرف السبعة .

١٨/١ ٥١ - وقد حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن
 الأعمش ، قال : قرأ أنس هذه الآية : ﴿ إِن نَّاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً
 وَأَصْوَبُ قِيلاً ﴾ . [سورة المزمل : ٦] فقال له بعض القوم : يا أبا حمزة ، إنما
 هي « وأقوَمُ » فقال : أقوَمُ وأصوَبُ وأهياً ، واحد (٢) .

(١) الحديث ٥٠ - عبد الرحمن بن عابس : تابعي أيضاً . وقد أجهل الرجل الذي حدثه عن
 ابن مسعود ، فكان الإسناد ضعيفاً .

وهذا الأثر رواه أحمد في المسند رقم : ٢٨٤٥ ضمن حديث طويل ، عن محمد بن جعفر عن شعبة
 عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : « حدثنا رجل من همدان ، من أصحاب عبد الله ، وما سماه لنا » إلخ .
 (٢) الحديث ٥١ - أبو أسامة : هو حماد بن أسامة الكوفي الحافظ . وهذا الأثر سيأتي بهذا
 الإسناد ، وبإسناد آخر ، في تفسير سورة « المزمل » : ٢٩ : ٨٢ . ونقله السيوطي في الدر المنثور
 ٦ : ٢٧٨ ، ونسبه أيضاً لأبي يعلى ومحمد بن نصر وابن الأنباري في المصاحف . وذكره الهيثمي
 في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٦ ، ونسبه للبزار وأبي يعلى ، وقال : « ولم يقل الأعمش : سمعت أنساً .
 ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، ورجال البزار ثقات » .

وقوله « وأهياً » بدله في مطبوعة الطبري « وأهدى » ، وانظروا أنه من تصرف المصححين ،
 لأن ما أثبتنا هو الثابت في المخطوطة وفي رواية الطبري الآتية بالإسناد نفسه وفي الدر المنثور ومجمع
 الزوائد .

٥٢ - حدثني محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا حَكَّام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد : أنه كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف .

٥٣ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حَكَّام ، عن عنبسة ، عن سالم : أن سعيد بن جبيرة كان يقرأ القرآن على حرفين .

٥٤ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : كان يزيد بن الوليد يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف (١) .

أفترى الزاعم أن تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، إنما هو أنه أنزل على الأوجه السبعة التي ذكرنا ، من الأمر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل - كان يرى أن مجاهداً وسعيداً ابن جبيرة لم يقرأ من القرآن إلا ما كان من وجهيه أو وجوهه الخمسة دون سائر معانيه ؟ لئن كان ظن ذلك بهما ، لقد ظن بهما غير الذي يُعرفان به من منازلهما من القرآن ، ومعرفتهما بأى الفرقان !

٥٥ - وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، قال حدثنا أيوب ، عن محمد ، قال : ثبت أن جبرائيل وميكائيل أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبرائيل : اقرأ القرآن على حرفين . فقال له ميكائيل : استزده . فقال : اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف . فقال له ميكائيل : استزده . قال : حتى بلغ سبعة أحرف ، قال محمد : لا تختلف في حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهى ،

(١) الأثر ٥٤ - يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أمير المؤمنين ، عرف باسم « يزيد الناقص » ، وكان رجلاً صالحاً . وهو الذي قيل في المثل : « الأشج والناقص أعداء بني مروان » ، فهو الناقص ، لنقصه الناس من أعطياتهم ما كان زاده سلفه في أعطياتهم ، والأشج : هو عمر بن عبد العزيز . ويزيد هذا هو الذي قتل ابن عمه الفاسق المستهتر : الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، سنة ١٢٦ ، وولى الخلافة بعده . انظر ترجمته في تاريخ ابن كثير ١٠ : ١٦ - ١٧ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٤ / ٢ / ٣٦٦ - ٣٦٧ .

ومغيرة ، راوى هذا عن يزيد : هو مغيرة بن مقسم ، بكسر الميم وسكون القاف وفتح السين ، الضبي . وهو ثقة معروف كثير الحديث ، مات سنة ١٣٣ .

هو كقولك : تعال وهلم وأقبل ، قال : وفي قراءتنا ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة يس : ٥٣، ٥٤] ، في قراءة ابن مسعود (إِن كَانَتْ إِلَّا زَقِيَّةً وَاحِدَةً)^(١) .

٥٦ - وحدثنى يعقوب قال : حدثنا ابن 'عليه ، قال : حدثنا 'شعيب - يعني ابن الحبيب - قال : كان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل : « ليس كما يقرأ » وإنما يقول : أما أنا فأقرأ كذا وكذا . قال : فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي ، فقال : أرى صاحبك قد سمع : « أن من كفر بحرف منه فقد كفر به كله » .

٥٧ - حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : حدثنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب : أن الذي ذكر الله تعالى ذكره [أنه قال] ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [سورة النحل : ١٠٣] إنما افترض أنه كان يكتب الوحي ، فكان يملئ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سميعٌ عليمٌ ، أو عزيزٌ حكيمٌ ، أو غير ذلك من خواتم الآي ، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي ، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : أعزيزٌ حكيمٌ ، أو سميعٌ عليمٌ أو عزيزٌ عليمٌ ؟ فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي ذلك كتبت فهو كذلك . ففتنه ذلك ، فقال : إن محمداً وكل ذلك إلى ، فأكتب بما شئت . وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة^(٢) .

(١) الحديث ٥٥ - محمد : هو ابن سيرين التابعي ، فالحديث مرسل . ثم هو لم يدرك ابن مسعود ، فحكايته عنه قراءته منقطعة .

(٢) الحديث ٥٧ - هذا الحديث ذكره الطبري مرة أخرى بهذا اللفظ نفسه في تفسير سورة النحل : ١٠٣ ، بغير هذه الزيادة التي وضعناها بين القوسين . وهو بغير هذه الزيادة يوم أن الذي نزل فيه « إنما يعلمه بشر » ، هو كاتب الوحي الذي افترض . مع أنه أراد إن الذي قال « إنما يعلمه بشر » هو كاتب الوحي الذي افترض : وصار كلام الطبري في تفسير سورة النحل يقطع بذلك قال : « وقيل إن الذي قال ذلك رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عن الإسلام . ذكر من قال ذلك ... » ثم روى هذا الخبر ، فنفى ما قدمه هذا الروم الذي يشكل على قارئه في هذا المكان . وكاتب الوحي الذي ارتد هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري القرشي ، وهو ليس بأعجمي ، وإنما قالوا إنه هو الذي ذكره الله تعالى في قوله . « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء » .

٥٨ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : من كفر بحرف من القرآن ، أو بآية منه ، فقد كفر به كله (١).

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فإذا كان تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » عندك ، ما وصفت ، بما عليه استشهدت ، فأوجدنا حرفاً في كتاب الله مقروءاً بسبع لغات ، فنحقق بذلك قولك . وإلا ، فإن لم تجد ذلك كذلك : كان معلوماً بـ « مكيه » (٢) - صحة قول من زعم أن تأويل ذلك : أنه نزل بسبعة معان ، وهو الأمر والنهي والوعد والوعيد والجلل والقصص والمثل - وفساد قولك . أو تقول في ذلك : إن الأحرف السبعة لغات في القرآن سبع ، متفرقة في جميعه ، من لغات أحياء من قبائل العرب مختلفة الألسن - كما كان يقوله بعض من لم يُنعم النظر في ذلك (٣) . فتصير بذلك إلى القول بما لا يجهل فسادُه ذو عقل ، ولا يلتبس خطؤه على ١٩/١ نى لب .

وذلك أن الأخبار التي بها احتججت لتصحيح مقالتي في تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، هي الأخبار التي رويتها عن عُمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، رحمة الله عليهم ، وعن رويت ذلك عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - بأنهم تماروا في تلاوة

ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله [سورة الأنعام : ٩٣] وأما المعنى بقوله « إنما يعلمه بشر » فقد اختلفوا في تحقيقه ، قالوا : قين بمكة نصراني يقال له بلعام ، أو يعيش غلام لبني المغيرة ، أو جبر النصراني غلام بني بياضة .

وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤ : ١٣١ وقال في صدره : « إن الذي ذكر الله في كتابه أنه قال : إنما يعلمه . . . » ، فأثبتنا الزيادة منه لذلك .

(١) الخبر ٥٨ - مثله في حديث المسند رقم : ٣٨٤٥ ، وما مر آنفاً برقم : ١٨ .

(٢) العدم : فقدان الشيء وذهابه ، وعدم الشيء : فقداه فلم يمتز عليه .

(٣) في المطبوعة « لم يعم » ، غيرها المصححون هنا وفي مواضع ستأتي ١١ وأنهم النظر : بالغ فيه وأدقه .

بعض القرآن ، فاختلفوا في قراءته دون تأويله . وأنكر بعض قراءه بعض ، مع دعوى كل قارئ منهم قراءة منها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه ما قرأ بالصفة التي قرأ . ثم احتكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ، فكان من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، أن صوب قراءة كل قارئ منهم ، على خلافها قراءة أصحابه الذين نازعوه فيها ، وأمر كل امرئ منهم أن يقرأ كما علم ، حتى خالط قلب بعضهم الشك في الإسلام ، لما رأى من تصويب رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة كل قارئ منهم على اختلافها . ثم تجلاه الله عنه ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أن القرآن أنزل على سبعة أحرف .

فإن كانت الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، عندك — كما قال هذا القائل — متفرقة في القرآن ، مثبتة اليوم في مصاحف أهل الإسلام ، فقد بطلت معاني الأخبار التي رويتها عن رويتها عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم اختلفوا في قراءة سورة من القرآن ، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر كلاً أن يقرأ كما علم . لأن الأحرف السبعة إذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن ، فغير موجب حرف من ذلك اختلافاً بين تاليه (٢) ، لأن كل تالٍ فلما يتلو ذلك الحرف تلاوة واحدة على ما هو به في المصحف ، وعلى ما أنزل . وإذا كان ذلك كذلك ، بطل وجه اختلاف الذين روى عنهم أنهم اختلفوا في قراءة سورة ، وفسد معنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم كل قارئ منهم أن يقرأه على ما علم . إذ كان لا معنى هنالك يُوجب اختلافاً في لفظ ، ولا اقترافاً في معنى . وكيف يجوز أن يكون هنالك اختلاف بين القوم ، والمطمع واحد ، والعلم واحد غير ذي أوجه ؟ وفي صحة الخبر عن الذين روى عنهم الاختلاف في حروف القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — بأنهم اختلفوا وتحاكوا إلى

(١) في المخطوطة : « ثم اختلفوا إلى رسول الله » ، وهما سواء .

(٢) هي « تالين » جمع « تال » ، مضافة إلى الضمير ، فحذفت النون .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، على ما تقدم وصَفْنَاهُ - أَيْنُ الدلالة على فساد القول بأن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن ، لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني .

مع أن المتدبر إذا تدبر قول هذا القائل - في تأويله قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، وادّعائه أن معنى ذلك أنها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ، ثم جمع بين قبيله ذلك ، واعتلاله لقبيله ذلك بالأخبار التي رويت عن رؤي ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال : هو بمنزلة قولك تعال وهلم وأقبل ، وأن بعضهم قال : هو بمنزلة قراءة عبد الله « إلازقية » ، وهي في قراءتنا « إلا صيحة » وما أشبه ذلك من حُججه (١) علم أن حُججه مفسدة في ذلك مقالته ، وأن مقالته فيه مُضادة حُججه .

لأن الذي نزل به القرآن عنده إحدى القراءتين - إما « صيحة » ، وإما « زقية » وإما « تعال » أو « أقبل » أو « هلم » - لا جميع ذلك . لأن كل لغة من اللغات السبع عنده في كلمة أو حرف من القرآن ، غير الكلمة أو الحرف الذي فيه اللغة الأخرى .

وإذا كان ذلك كذلك ، بطل اعتلاله لقوله بقول من قال : ذلك بمنزلة « هلم » و « تعال » و « أقبل » ، لأن هذه الكلمات هي ألفاظ مختلفة ، يجمعها في التأويل معنى واحد . وقد أبطل قائل هذا القول الذي حكينا قوله ، اجتماع اللغات السبع ٢٠/١ في حرف واحد من القرآن . فقد تبين بذلك إفساد حُجته لقوله بقوله ، وإفساد قوله لحُجته (٢) .

قيل له : ليس القول في ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفت . بل الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن ، هن لغات سبع ، في حرف واحد ، وكلمة واحدة ،

(١) جواب قوله : « . . . إذا تدبر قول هذا القائل . . . علم . . . »

(٢) انتهى اعتراض المعارض للذي بدأ في ص : ٥٥ ، ويليه جواب الطبري فيما اعترض به .

باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ، كقول القائل : هلم ، وأقبل ، وتعال ، وإلى ، وقصدي ، ونحوي ، وقربي ، ونحو ذلك ، مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني ، وإن اختلفت بالبيان به الألسن ، كالذي رَوَيْنَا آنفاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن رَوَيْنَا ذلك عنه من الصحابة ، أن ذلك بمنزلة قولك : « هلم وتعال وأقبل » ، وقوله « ما ينظرون إلا زقية » ، و « إلا صيحة » .

فإن قال : فني أي كتاب الله نجد حرفاً واحداً مقروءاً بلغات سبع مختلفات الألفاظ ، متفقات المعنى ، فنسلم لك صحة ما ادّعت من التأويل في ذلك ؟

قيل : إننا لم ندع أن ذلك موجود اليوم ، وإنما أخبرنا أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، على نحو ما جاءت به الأخبار التي تقدم ذكرناها . وهو ما وصفنا ، دون ما ادّعاه مخالفونا في ذلك ، للعلل التي قد بينّا .

فإن قال : فما بال الأحرف الأخرى الستة غير موجودة ، إن كان الأمر في ذلك على ما وصفت ، وقد أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمر بالقراءة بهن ، وأنزلهن الله من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ أنسخت فرُفعت ، فما الدلالة على نسخها ورفعها ؟ أم نسيتهن الأمة ، فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه ؟ أم ما القصة في ذلك ؟

قيل له : لم تنسخ فترفع ، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها . ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن ، وخُيِّرَتْ في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت . كما أمرت ، إذا هي حشّت في يمين وهي مُوسرة ، أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت : إما بعق ، أو إطعام ، أو كسوة . فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث ، دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر ، كانت مُصيبةً حكيم الله ، مؤديةً في ذلك الواجب عليها من حق الله . فكذاك الأمة ، أمرت بحفظ القرآن وقراءته ، وخُيِّرَتْ في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت : فرأت

— لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد — قراءتهُ بحرف واحد ، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ، ولم تحظُر قراءته بجميع حروفه على قارئه ، بما أذن له في قراءته به .

فإن قال : وما العلة التي أوجبت عليها الثبات على حرف واحد دون سائر الأحرف الستة الباقية ؟

٥٩ — قيل : حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد الدّرّاوردي ، عن عُمارة بن غزيرة ، عن ابن شهاب ، عن خارجة بن زيد ابن ثابت ، عن أبيه زيد ، قال : لما قُتل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة ، دخل عمرُ بن الخطاب على أبي بكر رحمه الله فقال : إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة تهافتوا تهافت الفَرّاش في النار ، وإنّي أخشى أن لا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك حتى يُقتلوا — وهم حملةُ القرآن — فيضيع القرآن ويُنسَى . فلو جمعتَه وكتبته ! فنفر منها أبو بكر وقال : أفعل ما لم يفعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ! فتراجعا في ذلك . ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت ، قال زيد : فدخلت عليه وعمرُ مُحزّزٌ^(١) ، فقال أبو بكر : إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيت عليه ، وأنت كاتبُ الوحي . فإن تكن معه اتبعنكما ، وإن توافقتني لا أفعل . قال : فاقتصص أبو بكر قولَ عمر ، وعمر ساكت ، فنفرت من ذلك وقلت : نفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ! إلى أن قال عمر كلمة : « وما عليكما لو فعلتما ٢١/١ ذلك ؟ » قال : فذهبنا ننظر ، فقلنا : لا شيء والله ! ما علينا في ذلك شيء ! قال زيد : فأمرني أبو بكر فكتبته في قطعِ الأدم وكيسرِ الأكتاف والعُسب^(٢) .

(١) احزّال الرجل : اجتمع وتحفز ورفع صدره كالتهيء لأمر ، فهو محزّز : منضم بعضه إلى بعض ، جالس جلسة المستوفز .

(٢) الأدم جمع أديم : وهو الجلد المدبوغ ، كانوا يكتبون فيه . والكسر جمع كسرة (بكسر فسكون) : وهي القطعة المكسورة من الشيء . والأكتاف جمع كتف : وهو عظم عريض في أصل كتف الحيوان من الناس والنبات ، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم يومئذ . والعسب جمع عسيب وهو : جريد النخل إذا نحي عنه خوصه .

فلما هلك أبو بكر وكان عمر (١)، كتب ذلك في صحيفة واحدة، فكانت عنده.
 فلما هلك، كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. ثم إن
 حذيفة بن اليمان قدم من غزوة كان غزاها بمرج أرمينية (٢)، فلم يدخل بيته
 حتى أتى عثمان بن عفان فقال: «يا أمير المؤمنين: أدرك الناس! فقال عثمان:
 «وما ذاك؟» قال غزوت مرج أرمينية، فحضرها أهل العراق وأهل الشام،
 فإذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق،
 فتكفرهم أهل العراق. وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم
 يسمع به أهل الشام، فتكفرهم أهل الشام. قال زيد: فأمرني عثمان بن عفان
 أكتب له مصحفاً، وقال: إنني مدخل معك رجلاً ليلاً فصيحاً، فما اجتمعنا
 عليه فاكبناه، وما اختلفنا فيه فإرفعناه إلى. فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص،
 قال: فلما بلغنا ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٨] قال:
 زيد فقلت: «التابوت» وقال أبان بن سعيد: «التابوت»، فرفعنا ذلك إلى عثمان
 فكتب: «التابوت» قال: فلما فرغت عرضته عرضة، فلم أجد فيه هذه الآية:
 ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣] قال: فاستعرضت
 المهاجرين أسألم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألم عنها،
 فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت، فكتبتها، ثم عرضته
 عرضة أخرى، فلم أجد فيها هاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ

(١) قوله «وكان عمر»، أي ولي الأمر من بعده. وقال ابن حجر في فتح الباري ٩: ١٣:
 وذكر جمع القرآن في الوزق والصحف على عهد أبي بكر، ثم قال: «هذا كله أصح مما وقع في رواية
 حمارة بن غزيرة...»

(٢) في المطبوعة «في فرج أرمينية»، وكذلك التي تليها. والمرج: أرض واسعة كثيرة النبت
 تخرج فيها اللواب، أي تذهب وتجيء. وقد أضيف «مرج» إلى كثير من المواضع والبلاد. وأرض
 أرمينية واسعة خصيبة. وذكر ابن حجر في الفتح ٩: ١٤ رواية «فتح أرمينية» و«فرج...» ولم
 يذكر «مرج»، وذكرها أبو عمرو الداني في كتابه «المقنع»: ٤ قال: «وكانوا يقاتلون على مرج أرمينية».

فَلَيْهِ مَاعَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [سورة التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩]

فاستعرضت المهاجرين ، فلم أجدها عند أحد منهم ، ثم استعرضت الأنصار أسألم عنها فلم أجدها عند أحد منهم ، حتى وجدت مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضاً ، فأثبتها في آخر « براءة » ، ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة . ثم عرضته عرضة أخرى ، فلم أجدها فيه شيئاً ، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسأله أن تعطيه الصحيفة ، وحلف لها ليردنها إليها فأعطته إياها ، فعرض المصحف عليها ، فلم يختلفا في شيء . فردّها إليها ، وطابت نفسه ، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف . فلما ماتت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمر في الصحيفة بعزمة ، فأعطاهم إياها ففصلت غسلاً (١) .

٦٠ - وحديثي أيضاً يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا نعيم بن حماد قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن ثُمارة بن غزيرة ، عن ابن شهاب ، عن خارجة ابن زيد ، عن أبيه زيد بن ثابت ، بنحوه سواء .

٦١ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عسّية ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، قال : لما كان في خلافة عثمان ، جعل المعلم يعلم قراءة

(١) الحديث ٥٩ ، ٦٠ - قال ابن حجر في فتح الباري ٩ : ٩ - ١٩ ، وذكر رواية الطبري مفرقة في شرح الباب في أول « باب جمع القرآن » ، في شرح حديث جمع القرآن الذي رواه البخاري من طريق ابن شهاب عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت : « هذا هو الصحيح عن الزهري ، أن قصة زيد ابن ثابت مع أبي بكر وعمر ، عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت ، وقصة حذيفة مع عثمان عن أنس ابن مالك ، وقصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب في رواية عبيد بن السباق عن خارجة بن زيد ابن ثابت عن أبيه . وقد رواه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن الزهري ، فأدرج قصة آية سورة الأحزاب في رواية عبيد بن السباق » ، ثم قال عن هذا الخبر الذي رواه الطبري : « وأغرب عمارة بن غزيرة فرواه عن الزهري فقال : عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه ، وساق القصص الثلاث بطولها : قصة زيد مع أبي بكر وعمر ، ثم قصة حذيفة مع عثمان أيضاً ، ثم قصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب . أخرجه الطبري . وبين الخطيب في « المذرج » أن ذلك وهم منه ، وأنه أدرج بعض الأسانيد على بعض » .

الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين - قال أيوب : فلا أعلمه إلا قال - : حتى كفر بعضهم بقراءة بعض . فبلغ ذلك عثمان ، فقام خطيباً فقال : « أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون ، فن نأى عنى من أهل الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشدّ لحناً . اجتمعوا يا أصحاب محمد ، فاكتبوا للناس إماماً » . قال أبو قلابة ، فحدثني أنس بن مالك قال : كنت فيمن يملى عليهم ، قال : فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي ، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ، ويدعون موضعها ، حتى يجيء أو يرسل إليه . فلما فرغ من المصحف ، كتب عثمان إلى أهل الأمصار : « إلى قد صنعتُ كذا وكذا ، ومحوتُ ما عندي ، فامحوا ما عندكم » (١) .

٦٢ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال :

٢٢/١ أخبرني يونس قال : قال ابن شهاب : أخبرني أنس بن مالك الأنصاري : أنه اجتمع في غزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، فتذاكروا القرآن ، واختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة . فركب حذيفة بن اليمان - لما رأى اختلافهم في القرآن - إلى عثمان ، فقال : « إن الناس قد اختلفوا في القرآن ، حتى إلى والله لأخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف » . قال : ففرع لذلك فرعاً شديداً ، فأرسل إلى حفصة فاستخرج المصحف التي كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها ، فنسخ منها مصاحف ، فبعث بها إلى الآفاق (٢) .

(١) الخبر ٦١ - ذكر ابن حجر في الفتح ٩ : ١٥ أن ابن أبي داود أخرجه في المصاحف من طريق أبي قلابة ، وذكر صدر الخبر ، ثم ذكر سائرته في ص : ١٨ . وفي المخطوطة مكان « ويلعنون موضعها » و « يتركون موضعها » . وهو في كتاب المصاحف ص ٢١ - ٢٢ ، رواه عن زياد بن أيوب عن إسماعيل ، يعني ابن علية ، بهذا الإسناد . وفيه « ويلعنون موضعها » .

(٢) الخبر ٦٢ - خرج ابن حجر في الفتح ٩ : ١٤ وما بعدها رواية يونس عن ابن شهاب عن أنس . وقال : « أخرجه ابن أبي داود . . . مطولة » . وهي في كتاب المصاحف ص ٢١ .

٦٣ - حدثني سعيد بن الربيع ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، قال : **قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع ، وإنما كان في الكرائيف والنصب (١)** .

٦٤ - حدثنا سعيد بن الربيع قال : حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن صمصمة أن **أبا بكر أول من ورث الكلالة وجمع المصحف (٢)** .

قال أبو جعفر : وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعاب جميعها الكتاب ، والآثار الدالة على أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه ، جمع المسلمين - نظراً منه لهم ، وإشفاقاً منه عليهم ، ورأفة منه بهم ، حذار الردة من بعضهم بعد الإسلام ، والدخول في الكفر بعد الإيمان ، إذ ظهر من بعضهم بمحضه وفي عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عن التكذيب بشيء منها ، وإخباره إياهم أن المراء فيها كفر - فحملهم رحمة الله عليه ، إذ رأى ذلك ظاهراً بينهم في عصره ، ولقد آتاه عهدهم بترول القرآن ، وفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بما أمين عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن - على حرف واحد (٣) .

وجمعهم على مصحف واحد ، وحرف واحد ، وخرق ما عدا المصحف الذي

(١) الحديث ٦٣ - ذكر ابن حجر في الفتح ٩ : ٩ رواية سفيان عن الزهري عن عبيد عن زيد بن ثابت ، وأنها في ص : ١١ باختلاف في اللفظ . والكرائيف جمع كرافة : وهي أصول الصحف الغلاظ العراض التي إذا يست صارت أمثال الأكتاف . وكانوا يكتبون فيها قبل الورق .

(٢) الخبر ٦٤ - صمصمة : هو ابن صوحان ، بضم الصاد . وهو تابعي قديم ، كان مسلماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره . وهذا الخبر لم نجده في موضع آخر . وأما « الكلالة » ، فقد اختلف في تفسيرها ، والجمهور على أنه : من مات وليس له ولد ولا والد . كما قال الحافظ في الفتح ١٢ : ٢١ . وهو الذي اختاره الطبري ، فيما ساق في تفسير الآية ١٢ من سورة النساء ، ردي ١٧٦ منها ج ٤ ص ١٩١ - ١٩٤ ، وج ٦ ص ٢٨ - ٣١ من طبعة بولاق .

(٣) قوله « على حرف واحد » ، متعلق بقوله آنفاً : « فحملهم رحمة الله عليه » وقوله « فحملهم » معطوف على قوله أولاً : « جمع المسلمين » .

جمعهم عليه . وعزم على كل من كان عنده "مصحف" مخالف "المصحف" الذي جمعهم عليه ، أن يحرقه^(١) . فاستوسقت له الأمة على ذلك بالطاعة^(٢) ، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية ، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها ، طاعة منها له ، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى كدرست من الأمة معرفتها ، وتعتت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها ، لدثورها وعقو آثارها ، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها ، من غير جمود منها صحتها وصحة شيء منها^(٣) ، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها . فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح ، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية .

فلان قال بعض من ضعفت معرفته : وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بقراءتها ؟

قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة . لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم ، لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة ، عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ، وينزيل الشك من قراءة الأمة^(٤) . وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين ، بعد أن يكون في نقلة القرآن من الأمة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة .

(١) في الموضحين من المطبوعة « وحرق » بالحاء المهملة و « يحرقه » وقال ابن حجر في الفتح ٩ : ١٨ في شرح حديث البخاري : « في رواية الأكثر أن يحرق » بالحاء المعجمة ، والمروزي بالمهملة ، ورواه الأسيل بالوجهين ، والمعجمة أثبت . وحرق الكتاب أو الثوب : شققة ومزقه .

(٢) في المطبوع والمخطوط « فاستوسقت » . ونقله ابن كثير في الفضائل : ٧٠ « فاستوسقت » وهو الصواب . واستوسق للقوم : اجتمعوا وانضموا . وفي حديث النجاشي : « واستوسق عليه أمر الحبش » أي اجتمعوا على طاعته . واستوسق لفلان الأمر : إذا أمكنه واجتمع له .

(٣) قوله « من غير جمود منها » ، أي من الأمة ، وكذلك الضمائر فيما بعدها

(٤) في المطبوع : « من قراءة الأمة » ، والقراءة : جمع قارىء ، وانظر ما مضى : ٥١ في التعليق

وما سيأتي : ١٠٩ تعليق : ١ .

وإذ كان ذلك كذلك . لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع . تاركين ما كان عليهم نقله ، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا إذ كان الذي فعلوا من ذلك ، كان هو النظر للإسلام وأهله . فكان القيام بفعل الواجب عليهم ، بهم أولى من فعل ما لو فعلوه . كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة ، من ذلك (١) .

وأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرفٍ وجره ونصبه . وتسكين حرفٍ وتحريكه ، ونقل حرفٍ إلى آخر مع اتفاق الصورة ، فمن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » — بمعزل (٢) . لأنه معلوم أنه لا حرف من حروف القرآن — مما اختلفت القراءة في قراءته بهذا المعنى — يوجب المراء به كفر المماري به في قول أحد من علماء الأمة . وقد أوجب عليه الصلاة والسلام بالمراء فيه الكفر ، من الوجه الذي تنازع فيه المتنازعون إليه ، وتظاهرت عنه بذلك الرواية (٣) ، على ما قد قدمنا ذكرها في أول هذا الباب (٤) .

فإن قال لنا قائل : فهل لك من علم بالألسن السبعة التي نزل بها القرآن ؟ وأي الألسن هي من ألسن العرب ؟

(١) قوله « من ذلك » ، أي من الجناية على الإسلام .

(٢) أي « فمن معنى قول النبي . بمعزل » .

(٣) قوله « وتظاهرت » هي في المخطوطة . هائلة ولا تكاد تقرأ على وجه مرضي .

(٤) نقل ابن حجر في الفتح ٩ : ٢٧ عن الإمام الحافظ أبي شامة قال : « ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل » . وقال ابن عمار أيضاً : « لقد فعل مسبح هذه السبعة ما لا ينبغي له ، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر ، وليته إذ اقتصر نقص على السبعة أو زاد ليزيل الشبهة » . وقال الإمام ابن الجزري في النشر ١ : ٣٣ : « أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفي سنة ٢٢٤ » . ثم قال في ص ٣٤ : « وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط وتوفي سنة ٢٢٤ » . ثم قال في ص ٣٥ : « وإنما أطلعنا في هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة ، وأن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم هي قراءة هؤلاء السبعة ، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي في الشاطبية والتيسير . . . » .

قلنا : أما الألسن الستة التي قد نزلت القراءة بها ، فلا حاجة بنا إلى معرقها ، لأننا لو عرفناها لم نقرأ اليومَ بها مع الأسباب التي قدمنا ذكرها . وقد قيل إن خمسة منها لعَجْرُ هَوَازن ، واثنين منها لقريش وخزاعة . روى جميع ذلك عن ابن عباس ، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله . وذلك أن الذي روى عنه : « أن خمسة منها من لسان العجز من هوازن » ، الكلبي عن أبي صالح ، وأن الذي روى عنه : « أن اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة » ، قتادة ، وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه^(١) .

٦٥ - حدثني بذلك بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر الخزاعي ، قال : حدثنا الهيثم بن عدي ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة ، وذلك أن الدار واحدة .

٦٦ - وحدثني بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر ، قال : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبي الأسود الدؤلي ، قال : نزل القرآن بلسان الكعبيين : كعب بن عمرو وكعب بن لؤي . فقال خالد بن سلمة لسعد بن إبراهيم : ألا تعجب من هذا الأعمى ! يزعم أن القرآن نزل بلسان الكعبيين ، وإنما أنزل بلسان قريش !^(٢)

(١) انظر ما استوعبه ابن حجر في شرح هذا الباب كله في فتح الباري ٩ : ٣٠ ، وابن الجزري في النشر ١ : ١٩ - ٥٣ ، وفضائل القرآن لابن كثير : ٥٤ - ٨٠ .
(٢) الأثر ٦٦ - وهذا الأثر متقطع أيضاً ، فإن قتادة ولد سنة ٦١ . وأبو الأسود الدؤلي مات سنة ٦٩ .

وروى الخطيب في تاريخ بغداد ٥ : ١٧٣ - ١٧٤ ، نحو هذا مرفوعاً ، بإسناده ، من طريق أحمد بن عبد الجبار المطاردى حدثني أبي عن سهل بن شعيب عن ابن سفيان الأسلمي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على لغة الكعبيين : كعب بن لؤي ، وهو أبو قريش ، وكعب بن عمرو ، وهو أبو خزاعة .

وهذا إسناد مظلم ! أحمد بن عبد الجبار : ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ : ٦٢ ، وقال : « كتبت عنه » ، وأمسكت عن التحديث عنه لما تكلم الناس فيه ، ثم روى عن أبيه أبي حاتم قال : « ليس بقوى » . وأما عبد الجبار ، والد أحمد هذا ، فلم أجد له ترجمة قط . وأما سهل ابن شعيب ، فترجمه ابن أبي حاتم أيضاً ج ١ / ٢ : ١٩٩ ، وذكر أنه يروى عن الشعبي وعبيد الله

قال أبو جعفر : والعجز من هوازن : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر ابن معاوية ، وثقيف (١) .

وأما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ ذكر نزول القرآن على سبعة أحرف : إن كلها شاف كاف - فإنه كما قال جل ثناؤه في صفة القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس : ٥٧] ، جعله الله للمؤمنين شفاءً ، يستشفون بمواعظه من الأدواء العارضة لصدورهم من وساوس الشيطان وخطراته ، فيكفيهم ويغنيهم عن كل ما عداه من المواعظ ببيان آياته .

ابن عبد الله الكندي ، ولم يذكره بخرج ولا تعديل . ولم أجد له ترجمة غيرها . وأما « ابن سفيان الأسدي » ، فاعرفت من هو ؟ وما أظنه من طبقة الصحابة ، إذ لم يدرك ذلك سهل بن شعيب ، وإن كان منهم كان الإسناد مقطوعاً .

(١) في الأصل « وخيم بن بكر » ، وكذلك في فضائل القرآن : ٦٧ وهو خطأ . قال ابن كثير في عقب هذا « وهم عليا هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفل تميم ، يعني بني دارم » .

﴿ القول في اليبان ﴾

﴿ عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن ﴾

﴿ من سبعة أبواب الجنة » ، وذكر الأخبار الواردة بذلك ^(١) ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت النقلة في ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٦٧ - فروى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف : زاجرٌ وأمرٌ ^(٢) ، وحلالٌ وحرامٌ ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال ، فأحِلُّوا حلاله وحَرَّمُوا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، واتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا : آمنا به كلٌّ من عند ربنا .

حدثني بذلك يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرني حيوة بن شريح ، عن عقيل بن خالد ، عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) . ٢٤/١

(١) في المطبوعة : « المروية بذلك » .

(٢) في المطبوعة « زجر وأمر » ، والصواب من المخطوطة وفضائل القرآن ٦٦ ، وفتح الباري ٢٦ : ٩ .

(٣) الحديث ٦٧ - قال ابن حجر في الفتح ٩ : ٢٦ وذكر الخبر السالف بهذا الإسناد فقال : « قال ابن عبد البر هذا حديث لا يثبت ، لأنه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ، ولم يلق ابن مسعود » ، ثم قال : « وصح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم ، وفي تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود . وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري مرسلًا ، وقال : هذا مرسل جيد » . وانظر فضائل القرآن ٦٦ . وانظر مستند أحمد في الحديث : ٢٥٢ عن قلفلة الجعفي عن ابن مسعود : « إن القرآن نزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو قال : حروف - وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد » .

وروى عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم -رُسلًا غير ذلك :

٦٨ - حدثنا محمد بن بشار ، قال حدثنا عباد بن زكريا ، عن عوف ،

عن أبي قلابة ، قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل^(١) .

٦٩ - وروى عن أبي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ما حدثني به

أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي ابن كعب ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمي . قال : اقرأه على حرفين . فقلت : رب خفف عن أمي . فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة ، كلها شاف كاف^(٢) .

وروى عن ابن مسعود من قبله خلاف ذلك كله .

٧٠ - وهو ما حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا المخاربي ، عن الأحوص

ابن حكيم ، عن ضمرة بن حبيب ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إن الله أنزل القرآن على خمسة أحرف : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال . فأحِلَّ الحلال ، وحَرَّمَ الحرام ، وأعمل بالمحكم ، وآمن بالمتشابه ، واعتبر بالأمثال^(٣) .

(١) الحديث ٦٨ - هذا حديث مرسل ، فلا تقوم به حجة .

(٢) الحديث ٦٩ - هذا إسناد صحيح . وهو أحد روايات الحديث رقم : ٣١ الماضي ، وقد أشار الحافظ إلى هذه الرواية ، في الفتح ٩ : ٢١ . ووقع في الإسناد في نسخ الطبري هنا « عبيد الله ابن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، وهو خطأ ، صوابه « عبد الله » ، كما في الرواية الماضية . وليس في الرواة الذين رأينا تراجمهم « عبيد الله بن عيسى » . ثم هنا أيضاً « عن أبيه عن جده » ، وأغشى أن يكون خطأ أيضاً ، إذ الحديث رواه عبد الله بن عيسى عن جده مباشرة ، كما مضى ، وكما في رواية مسلم في صحيحه ١ : ٢٢٥ لذلك الحديث .

(٣) الخبر ٧٠ - هذا موقوف على ابن مسعود ، من كلامه ، كما صرح بذلك الطبري هنا بقوله « وروى عن ابن مسعود من قبله » . وذكره ابن كثير في الفضائل : ٦٦ بعد الحديث

وكل هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متقاربة المعاني ، لأن قول القائل : فلان مقيم على باب من أبواب هذا الأمر ، وفلان مقيم على وجه من وجوه هذا الأمر ، وفلان مقيم على حرف من هذا الأمر - سواء .
 ألا ترى أن الله - جل ثناؤه وصف قوماً عبدوه على وجه من وجوه العبادات ، فأخبر عنهم أنهم عبدوه على حرف فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَفْبِدُ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [سورة الحج : ١١] ، يعني أنهم عبدوه على وجه الشك ، لا على اليقين والتسليم لأمره .

فكذلك رواية من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نزل القرآن من سبعة أبواب » و « نزل على سبعة أحرف » سواء ، معناه مؤتلف ، وتأويلهما غير مختلف في هذا الوجه .

ومعنى ذلك كله ، الخبر منه صلى الله عليه وسلم عما خصه الله به وأمته ، من الفضيلة والكرامة التي لم يؤتها أحداً في تنزيله .

وذلك أن كل كتاب تقدم كتابنا نزوله على نبي من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فإنما نزل بلسان واحد ، متى حوّل إلى غير اللسان الذي نزل به ، كان ذلك له ترجمة وتفسيراً (١) ، لا تلاوة له على ما أنزله الله .

وأنزل كتابنا باللسن سبعة ، بأي تلك الألسن السبعة تلاه التالي ، كان له تالياً على ما أنزله الله لا مترجماً ولا مفسراً ، حتى يحوّل عن تلك الألسن السبعة إلى غيرها ، فيصير فاعل ذلك حينئذ - إذا أصاب معناه - مترجماً له . كما كان التالي

٦٧ الماضي ، جعله رواية أخرى له ، قال : « ثم رواه عن أبي كريب . . . عن ابن مسعود ، من كلامه . وهو أشبه » .

(١) يستعمل الطبري « الترجمة » وما يشتق منه بمعنى البيان والتفسير والشرح ، لا بمعنى نقل الكلام من لسان إلى لسان يباينه . والترجمة التي يشير إليها هنا هي ما مضى في خبر الأحرف التي نزل بها القرآن من مثل قولك « هلم » وأقبل « فإذا كان الكتاب الأول قد نزل وفيه ، « هلم » كان القارئ إذا قرأ « أقبل » ، وهي بمعناها ، مفسراً للكتاب لا تالياً له . انظر ما سيأتي : ٣٢ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٥ من مطبوعة بولاق .

لبعض الكتب التي أنزلها الله بلسان واحد — إذا تلاه بغير اللسان الذي نزل به — له مترجماً ، لا تالياً على ما أنزله الله به .

فذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : كان الكتاب الأول ، نزل على حرف واحد ، ونزل القرآن على سبعة أحرف .

وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الكتاب الأول نزل من باب واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب » ، فإنه صلى الله عليه وسلم عني بقوله : « نزل الكتاب الأول من باب واحد » ، والله أعلم ، ما نزل من كتب الله على من أنزله من أنبيائه ، خالياً من الحدود والأحكام والحلال والحرام ، كزبور داود ، الذي إنما هو تذكير ومواعظ ، وإنجيل عيسى ، الذي هو تمجيدٌ ومحمد وحضٌ على الصفع والإعراض — دون غيرها من الأحكام والشرائع — وما أشبه ذلك من الكتب التي نزلت ببعض المعاني السبعة التي يحوي جميعها كتابنا ، الذي خصَّ الله به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وأُمَّته . فلم يكن المتعبدين بإقامته يمجدون لِرِضَى الله تعالى ذكره مطلباً ينالون ٢٥/١ به الجنة ، ويستوجبون به منه القُرْبَةَ ، إلا من الوجه الواحد الذي أنزل به كتابهم ، وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذي نزل منه ذلك الكتاب .

وخص الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وأُمَّته ، بأن أنزل عليهم كتابه على أوجه سبعة من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله ، ويدركون بها الفوز بالجنة ، إذا أقاموها (١) ، فكلُّ وجه من أوجه السبعة بابٌ من أبواب الجنة التي نزل منها القرآن . لأن العامل بكل وجه من أوجه السبعة ، عاملٌ في باب من أبواب الجنة ، وطالب من قبلكه الفوز بها . والعملُ بما أمر الله جل ذكره في كتابه ، بابٌ من أبواب الجنة ، وتركُ ما نهى الله عنه فيه ؛ بابٌ آخر ثانٍ من أبوابها ، وتحليلُ ما أحلَّ الله فيه ، بابٌ ثالث من أبوابها ، وتحريمُ ما حرَّم الله فيه ، باب رابع من أبوابها ،

(١) في المطبوعة : « فكل وجه من أوجه السبعة باب من أبواب الجنة الذي نزل منه القرآن » . وهو تفسير لاجلوى فيه .

والإيمانُ بمحكمه المبين ، باب خامسٌ "مُونُ أبوابها" ، والتسليمُ لمتشابهه الذي استأثر الله بعلمه وحجَّب علمه عن خلقه والإقرارُ بأن كل ذلك من عند ربه ، باب سادسٌ "من أبوابها" ، والاعتبارُ بأمثاله والاتعاظُ بعظاته ، باب سابعٌ "من أبوابها" . فجميع ما في القرآن — من حروفه السبعة ، وأبوابه السبعة التي نزل منها — جعله الله لعباده إلى رضوانه هادياً ، ولهم إلى الجنة قائداً . فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن من سبعة أبواب الجنة » .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم في القرآن : « إن لكل حرف منه حداً » ، يعني (١) لكل وجه من أوجه السبعة حدٌ حدَّه الله جل ثناؤه ، لا يجوز لأحد أن يتجاوزه . وقوله صلى الله عليه وسلم : « وإن لكل حرف منها ظهراً وبطناً » ، فظهره : الظاهر في التلاوة ، وبطنه : ما بطن من تأويله (٢) .

وقوله : « وإن لكل حدٌ من ذلك مُطَّلَعاً » ، فإنه يعني أن لكل حدٌ من حدود الله التي حدَّها فيه — من حلالٍ وحرامٍ ، وسائر شرائعه — مقداراً من ثواب الله وعقابه ، يُعَاقِبُهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَيَطَّلِعُ عَلَيْهِ وَيَلَاقِيهِ فِي الْقِيَامَةِ . كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لو أن لي ما في الأرض من صفراءَ وبيضاءَ لافتديتُ به من هَوْلِ المَطَّلَعِ » ، يعني بذلك ما يَطَّلِعُ عَلَيْهِ وَيَهْجُمُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

(١) انظر ما مضى في خبر عبد الله بن مسعود . الحديث رقم : ١٠ والتعليق عليه .

(٢) الظاهر : هو ما تعرفه العرب من كلامها ، وما لا يعذر أحد بجهالته من حلالٍ وحرامٍ . والباطن : هو التفسير الذي يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه . ولم يرد الطبري ما تفعله طائفة الصوفية وأشباههم في التلعب بكتاب الله وسنة رسوله ، والعبث بدلالات ألفاظ القرآن ، وادعائهم أن لألفاظه « ظاهراً » هو الذي يعلمه علماء المسلمين ، و « باطناً » يعلمه أهل الحقيقة ، فيما يزعمون .

﴿ القول في الوجوه التي من قبلها يُوصَل إلى معرفة تأويل القرآن ﴾

قال أبو جعفر : قد قلنا في الدلالة على أن القرآن كله عربي ، وأنه نزل باللسن بعض العرب دون ألسن جميعها ، وأن قراءة المسلمين اليوم — ومصاحفهم التي هي بين أظهرهم — ببعض الألسن التي نزل بها القرآن دون جميعها . وقلنا — في البيان عما يحويه القرآن من النور والبرهان ، والحكمة والتبيين^(١) ، التي أودعها الله إياه : من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، ووعدته ووعيدته ، ومحكمه ومتشابهه ، ولطائف حكمه — ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه .

ونحن قائلون في البيان عن وجوه مطالب تأويله :

قال الله جل ذكره وتقدسست أسماؤه ، لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] ، وقال أيضاً جل ذكره : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٤] ، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة آل عمران : ٧] .

فقد تبين بيان الله جل ذكره :

(١) في المطبوعة : « والبيان » .

أنّ مما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم . وذلك تأويل جميع ما فيه : من وجوه أمره - واجبه وتذنيه وإرشاده - ، وصنوف تنبيهه ، ووظائف حقوقه وحدوده ، ٢٦/١ ومبالغ فرائضه ، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ، وما أشبه ذلك من أحكام آيه ، التي لم يترك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمتّه . وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه ، إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له تأويله (١) ، بنص منه عليه ، أو بدلالة قد نصّها ، دالة أمتّه على تأويله .

وأنّ منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار . وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت قيام الساعة ، والنفخ في الصور ، ونزول عيسى بن مريم ، وما أشبه ذلك : فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراتها ، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه . وبذلك أنزل ربنا محكم كتابه (٢) ، فقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَافِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٧] . وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذا ذكر شيئاً من ذلك ، لم يدلّ عليه إلا بأشراطه دون تحديده بوقته كالذي روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه ، إذ ذكر الدجال : إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه ، وإن يخرج بعدى ، فالله خليفتي عليكم (٣) ، وما أشبه

(١) في المطبوعة : « له بتأويله » .

(٢) في المطبوعة : « وكذلك أنزل ربنا في محكم كتابه » ، وهو تغيير وزيادة لنير فائدة .

(٣) قال ابن حجر في الفتح ١٣ : ٨٤ في شرح حديث ابن عمر الذي أخرجه البخاري ، وذكر الدجال فقال : « وما من نبي إلا أنذر قومه » ، قال : « في بعض طرقه : إن يخرج فيكم فأنا حجيجه » . وهو إشارة إلى حديث النواس بن سميان ، مطولا ، في صحيح مسلم ٢ : ٣٧٦ ، وفيه : « إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على

ذلك من الأخبار — التي يطول باستيعابها الكتاب — الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده علم أوقات شيء منه بمقادير السنين والأيام ، وأن الله جل ثناؤه إنما كان عرفه مجيئه بأشراطه ، ووقته بأدلته .

وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن . وذلك : إقامة إعرابه ، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها ، والموصوفات بصفات الخاصة دون ما سواها ، فإن ذلك لا يجهله أحد منهم . وذلك كسامع منهم لو سمع تالياً يتلو : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١١١ ، ١٢] ، لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضر ، وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله مما فعله منفع ، وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفساداً ، والمعاني التي جعلها الله إصلاحاً . فالذي يعلمه ذو اللسان — الذي بلسانه نزل القرآن — من تأويل القرآن ، هو ما وصفت : من معرفة أعيان المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها ، والموصوفات بصفات الخاصة ، دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيأتها التي خص الله بعلمها نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلا يدرك علمه إلا ببيان ، دون ما استأثر الله بعلمه دون خلقه .

وبمثل ما قلنا من ذلك روى الخبر عن ابن عباس :

٧١ — حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، قال : قال ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يُعذر أحدٌ بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره .

قال أبو جعفر : وهذا الوجه الرابع الذي ذكره ابن عباس : من أن أحداً

لا يُعذر بجهالته ، معنى غير الإبانة عن وجوه مطالب تأويله . وإنما هو خبرٌ عن أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به . وقد روى بنحو ما قلنا في ذلك أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ في إسناده نظر .

٧٢ - حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدقي ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت عمرو بن الحارث يحدث ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، مولى أم هانئ ، عن عبد الله بن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن على أربعة أحرف : حلالٌ وحرامٌ لا يُعذر أحدٌ بالجهالة به ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابهٌ لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره ، ومن ادعى علمه سوى الله تعالى ذكره فهو كاذب (١) .

(١) الحديث ٧٢ - إنما قال الطبري « فيه نظر » - : لأن الذي رواه هو الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . وقد رد الطبري آنفاً خبراً روى بمثل هذا الإسناد فقال : إنه ليس من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله . انظر ص : ٦٦ .

﴿ ذكر بعض الأخبار ﴾

﴿ التي رُويت بالنهي عن القولِ في تأويل القرآن بالرأى ﴾ ٢٧/١

٧٣ - حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : حدثنا شريك ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار (١) .

٧٤ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنا عبد الأعلى - هو ابن عامر الثعلبي - ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : من قال في القرآن برأيه - أو بما لا يعلم - فليتبوأ مقعده من النار .

٧٥ - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، وقبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، قال : حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله

(١) الأحاديث ٧٣ - ٧٦ - تدور هذه الأحاديث كلها على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي ، وقد تكلموا فيه . « قال أحمد : ضعيف الحديث . وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث ، ربما رفع الحديث وربما وقفه . وقال ابن عدى : يحدث بأشياء لا يتابع عليها ، وقد حدث عنه الثقات . وقال يعقوب بن سفيان : في حديثه لين وهو ثقة . وقال الدارقطني : يعتبر به . وحسن له الترمذي ، وصح له الحاكم ، وهو من تساهله . وصح الطبري حديثه في الكسوف » . تهذيب التهذيب ٦ : ٩٤ - ٩٥ . وقد روى أحمد هذا الحديث من طريق سفيان الثوري عن عبد الأعلى : ٢٠٦٩ ، ورواه أيضاً من طريق أبي عوانة عن عبد الأعلى رقم : ٣٠٢٥ ، بلفظ : « من كذب على القرآن بغير علم » . وقلنا في شرح المسند : « إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى الثعلبي » ورواه أحمد أيضاً من أوجه أخرى ، كلها من رواية عبد الأعلى . وقال ابن كثير في التفسير ١ : ١١ : « هكذا أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري ، به . ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الأعلى ، به ، مرفوعاً وقال الترمذي : هذا حديث حسن » . وأخشي أن يكون قول ابن جرير بعد : « وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا . . . » ، دالا على أنه يصحح حديثه هذا كما صحح حديثه في الكسوف .

صلى الله عليه وسلم : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار .

٧٦ - حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا

عمرو بن قيس المُلَائي ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار .

٧٧ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن ليث ، عن بكر ، عن

سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : من تكلم في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار .

٧٨ - وحدثني أبو السائب سلم بن جنادة السَّوَّائِي ، قال : حدثنا حفص

ابن غياث ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أيُّ أرضٍ تُقِلُّني ، وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني ، إذا قلتُ في القرآن ما لا أعلم ^(١) !

٧٩ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن

سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن أبي معمر ، قال : قال أبو بكر الصديق : أيُّ أرضٍ تُقِلُّني ، وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني ، إذا قلتُ في القرآن برأِي - أو : بما لا أعلم .

قال أبو جعفر : وهذه الأخبار شاهدةٌ لنا على صحة ما قلنا : من أن ما كان

من تأويل آي القرآن الذي لا يُدرَك علمه إلا بنصِّ بيان رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، أو بنصِّه الدلالة عليه - فغير جائز لأحد القليل فيه برأيه . بل القائل في

ذلك برأيه - وإن أصاب الحق فيه - فخطيئ فيما كان من فعله ، بقبيله فيه برأيه ،

لأن إصابته ليست إصابة مُوقن أنه محقٌّ ، وإنما هو إصابة خارصٍ وظانٍّ . والقائل

(١) الخبر ٧٨ - في المخطوطة والمطبوعة : « سالم بن جنادة » ، وهو خطأ . وفي المخطوطة « أبي

نعم » مكان « أبي معمر » ، وهو خطأ . وأبو معمر هو : عبد الله بن سميرة الأزدي ، تابعي ثقة ، أرسل

الحديث عن أبي بكر . وإبراهيم الذي حدث عنه هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي .

وقوله « تقلني » : أي تحملي . أقل الشيء واستقله : رفعه وحمله . وانظر طرق هذا الخبر في تفسير

ابن كثير ١ : ١٢ .

في دين الله بالظن ، قائل " على الله ما لم يعلم . وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده ، فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٣٣] . فالقائل في تأويل كتاب الله ، الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي جعل الله إليه بيانه — قائل " بما لا يعلم " وإن وافق قبيله ذلك في تأويله ، ما أراد الله به من معناه . لأن القائل فيه بغير علم ، قائل " على الله ما لا علم له به . وهذا هو معنى الخبر الذي : —

٨٠ — حدثنا به العباس بن عبد العظيم البصري ، قال : حدثنا حبان بن هلال ، قال : حدثنا سهيل أخو حزم ، قال : حدثنا أبو عمران الجوني^(١) ، عن جندب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال في القرآن برأيه فأصاب ، فقد أخطأ^(٢) .

يعنى صلى الله عليه وسلم أنه أخطأ في فعله ، بقيله فيه برأيه ، وإن وافق قبيله ذلك عين الصواب عند الله . لأن قبيله فيه برأيه ، ليس بقيل عالم أن الذي قال فيه من قول حق وصواب . فهو قائل على الله ما لا يعلم ، آثم بفعله ما قد منى عنه وحظر عليه .

(١) في المطبوعة « سهيل بن أبي حزم » ، وهو نفسه « سهيل أخو حزم » . وإنما قيل « سهيل أخو حزم » تعريفاً له بأخيه « حزم بن أبي حزم القطمي » ، إذ كان أوثق منه وأشهر . و « سهيل » هذا قال البخاري في التاريخ الكبير ٢ / ٢ : ١٠٧ : « ليس بالقوي عندهم » ، وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢ / ١ : ٢٤٧ - ٢٤٨ عن أبيه ، قال : « سهيل بن أبي حزم : ليس بالقوي ، يكتب حديثه ولا يحتاج به » . وحزم أخوه أثق منه . وفي المطبوعة أيضاً « أبو عمران الجوني » ، وهو خطأ ، وأبو عمران هو : عبد الملك بن حبيب الأزدي البصري .

(٢) الحديث ٨٠ — قال ابن كثير في التفسير ١ : ١١ - ١٢ ، ونقل الخبر عن الطبري : « وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطمي . وقال الترمذي : غريب . وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل » .

﴿ ذكر الأخبار التي رويت ﴾

﴿ في الحَضِّ على العلم بتفسير القرآن ، ومن كان يفسره من الصحابة ﴾

٨١ - حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي ، قال سمعت أبي يقول : حدثنا الحسين بن واقد ، قال : حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن ابن مسعود ، قال : كان الرجل مينا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن^(١) .

٢٨/١ ٨٢ - حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : حدثنا الذين كانوا يقرئونا : أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(٢) .

٨٣ - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : حدثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : والذي لا إله غيره ، ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت ؟ وأين أنزلت ؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته^(٣) .

(١) الحديث ٨١ - هذا إسناد صحيح . وهو موقوف على ابن مسعود ، ولكنه مرفوع معنى ، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو يحكى ما كان في ذلك العهد النبوي المنير .

(٢) الحديث ٨٢ - هذا إسناد صحيح متصل . أبو عبد الرحمن : هو السلمي ، واسمه عبد الله ابن حبيب ، وهو من كبار التابعين . وقد صرح بأنه حدثه الذين كانوا يقرئونه ، وأنهم « كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم » ، فهم الصحابة . وإبهام الصحابي لا يضر ، بل يكون حديثه مسنداً متصلاً .

(٣) الحديث ٨٣ - أخرجه البخاري ، انظر فتح الباري ٩ : ٤٥ - ٤٦ ، ولفظه « تبلغه الإبل لركبت إليه » .

٨٤- وحدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : حدثنا أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : كان عبدُ الله يقرأ علينا السُّورة ، ثم يحدِّثنا فيها ويفسِّرُها عامَّةَ النَّهار (١) .

٨٥- حدثنى أبو السائب سلم بن 'جنادة' (٢) ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : استعمل على ابن عباسٍ على الحج ، قال : فخطب الناسَ خطبةً لو سمعها الترك والرُّوم لأسلموا ، ثم قرأ عليهم سورة النور ، فجعل يفسرها .

٨٦- وحدثننا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أنى وائل شقيق بن سلمة ، قال : قرأ ابن عباسٍ سورة البقرة ، فجعل يفسرها ، فقال رجل : لو سمعتُ هذا الديلم لأسلمت (٣) .

٨٧- وحدثننا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو يمان : عن أشعث بن إسحق ، عن جعفر ، عن سعيد بن 'جبير' ، قال : من قرأ القرآنَ ثم لم يفسِّره ، كان كالأعمى أو كالأعرج (٤) .

(١) الحديث ٨٤- شيخ الطبرى : هو يحيى بن إبراهيم بن محمد بن أبى عبيدة بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود . وترجم فى التهذيب . وجده « محمد » ، وجد أبيه « أبو عبيدة » واسمه « عبد الملك بن معن » - مترجمان فيه أيضاً . ولم نجد ترجمة لأبيه « إبراهيم بن محمد » .

(٢) فى المخطوط والمطبوع « سالم » ، وانظر ما سلف ص : ٨٧ رقم : ١ .

(٣) الخبران ٨٥ - ٨٦ - ذكرهما الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٤ : ٩٣ : فذكر أولهما « فى رواية أبى العباس السراج من طريق أبى معاوية عن الأعمش » . وذكر ثانيهما من رواية « يعقوب ابن سفيان عن قبيصة عن سفيان » ، وهو الثورى .

(٤) الأثر ٨٧ - أشعث بن إسحق بن سعد بن مالك بن عامر القمى : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . وله ترجمة فى الكبير للبخارى ١ / ١ : ٤٢٨ ، وفى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ١ / ١ : ٢٦٩ . وشيخه « جعفر » : هو جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى القمى . وأما الراوى عن أشعث ، فقد ذكر هنا باسم « أبو يمان » ، و« أبو يمان » هو الحكم بن نافع ، وهو من هذه الطبقة ، ولكن لم يذكر أنه يروى عن « أشعث » . والراجع عندنا أن صوابه « حدثنا ابن يمان » . وابن يمان : هو يحيى بن يمان المجل الكوفى ، وقد ذكر فى الرواة عن أشعث ، وترجمه البخارى فى الكبير ٤ / ٢ : ٣١٣ وقال : « سمع سفيان الثورى وأشعث القمى » .

٨٨- وحدثنا أبو كُريب ، قال : ذكر أبو بكر بن عياش : الأعمش ، قال : قال أبو وائل : ولى ابن عباس الموسم ، فخطبهم ، فقرأ على المنبر سورة النور ، والله لو سمعها الترك لأسلموا . فقيل له : حدثنا به عن عاصم ؟ فسكت^(١) .

٨٩- وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الأعمش ، عن شقيق ، قال : شهدت ابن عباس وولى الموسم ، فقرأ سورة النور على المنبر ، وفسرها ، لو سمعت الروم لأسلمت^(٢) !

قال أبو جعفر : وفى حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما فى آى القرآن من المواظ والبيانات^(٣) - بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص : ٢٩] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، قُرْآنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٢٧ ، ٢٨] وما أشبه ذلك من آى القرآن ، التى أمر الله عباده وحهم فيها على الاعتبار بأمثال آى القرآن ، والاتعاظ بمواعظه - ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آيه .

لأنه محال أن يُقال لمن لا يفهم ما يُقال له ولا يعقل تأويله : « اعتبر بما لافهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان والكلام » - إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ، ثم يتدبره ويعتبر به . فأما قبل ذلك ، فستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل . كما محال أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه ،

(١) الخبر ٨٨ - يريد : أن أبا بكر بن عياش قال : « الأعمش » ، ولم يقل : « حدثنا الأعمش » ولم يذكر من الذى حدثه عنه . ففهم السامعون أنه دلس شيخه الذى رواه عنه عن الأعمش ، وظنوا أنه عاصم بن أبى النجود ، فقالوا له « حدثنا به عن عاصم » ، فأبى وسكت . فلعله سمعه من شيخ آخر ضعيف .

(٢) الخبر ٨٩ - ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودى .

(٣) فى المطبوعة « المواظ والبيان » .

لو أنشيد قصيدة شعرٍ من أشعار بعض العرب ذات أمثالٍ ومواظٍ وحكمٍ : « اعتبر بما فيها من الأمثال ، وادكر بما فيها من المواظ » — إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلام العرب ومعرفته ، ثم الاعتبار بما نبهها عليه ما فيها من الحكم ^(١) . فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق ، فحال أمرها بما دلّت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعبر . بل سواء أمرها بذلك وأمر بعض البهايم به ، إلا بعد العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها .

فكذلك ما في آي كتاب الله من العبر والحكم والأمثال والمواظ ، لا يجوز أن يقال : « اعتبر بها » إلا لمن كان بمعاني بيانه عالماً ، وبكلام العرب عارفاً ، وإلا بمعنى الأمر — لمن كان بذلك منه جاهلاً — أن يعلم معاني كلام العرب ، ثم يتدبره بعد ، ويتعظ بحكمه وصنوف عبره .

فإذ كان ذلك كذلك — وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبره وحثهم على الاعتبار بأمثاله — كان معلوماً أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدل عليه آية جاهلاً . ٢٩/١ وإذا لم يجوز أن يأمرهم بذلك إلا وهم بما يلهم عليه عالمون ، صح أنهم — بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آية الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه ، الذي قد قدّمنا صفته آنفاً — عارفون . وإذا صح ذلك فسد قول من أنكر تفسير المفسرين — من كتاب الله وتزيله — ما لم يحجب عن خلقه تأويله .

(١) في المخطوط والمطبوع : « نبه عليه » ، وهو لا يستقيم لاضطراب الضمائر . وقد أعاد الطبري ضمائر هذه الجملة مرة على « بعض » من قوله « بعض أصناف الأمم » فذكر وأفرد . وذلك قوله « أنشد ... واعتبر ... وادكر » . ثم أعاد الضمير في سائر الجمل على « أصناف الأمم ... » فأنث وجمع ، وذلك قوله « نبهها ... وهي جاهلة ... فحال أمرها ... » .

﴿ ذكر الأخبار ﴾

﴿ التي غلطَ في تأويلها منكر القول في تأويل القرآن ﴾

فإن قال لنا قائل : فما أنت قائلٌ فيما :-

٩٠ - حدثكم به العباس بن عبد العظيم ، قال : حدثنا محمد بن خالد ابن عثمة ، قال : حدثني جعفر بن محمد الزبيري ، قال : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعددٍ ، علمهن إياه جبريلُ .

٩١ - حدثنا أبو بكر محمد بن يزيد الطرسوسي ، قال : أخبرنا معن ، عن جعفر بن خالد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن ، إلا آياً بعددٍ ، علمهن إياه جبريل عليه السلام^(١) .

(١) الحديث ٩٠ ، ٩١ - هو بإسنادين ، ونقلهما ابن كثير في التفسير ١ : ١٤ - ١٥ عن الطبري ، وقال : « حديث منكر غريب . وجعفر هذا : هو ابن محمد بن خالد بن الزبير العوام القرشي الزبيري ، قال البخاري : لا يتابع في حديثه . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدی : منكر الحديث . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٣٠٣ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، والبزار بنحوه . وفيه راو لم يتحرر اسمه عند واحد منهما ، وبقية رجاله رجال الصحيح . أما البزار فقال : عن حفص أظنه ابن عبد الله عن هشام بن عروة . وقال أبو يعلى : عن فلان بن محمد بن خالد عن هشام . أما ما ذكر عن البزار ، فإنه لم يقع له الراوى بنسبه ، ووقع له باسم « حفص » فظنه « ابن عبد الله » ، ولعله تصحف عليه في نسخه عن « جعفر » أو تصحف من النسخين ، فظنه « جعفر بن عبد الله بن زيد بن أسلم » . و « جعفر ابن عبد الله » هذا : مترجم في التهذيب ، وذكر أنه وقع اسمه في بعض نسخ مسند مالك للنسائي « حفص ابن عبد الله » . وأيا ما كان فقد بان خطأ البزار في ظنه ، وأن الراوى هو « جعفر بن محمد بن خالد الزبيري » .

و « جعفر الزبيري » ، راوى هذا الحديث : ذكر في الإسناد الثاني منسوباً إلى جده ، وهو جعفر ابن محمد بن خالد ، كما بينه ابن كثير ، وكما ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ : ٤٨٧ - ٤٨٨ ، وابن حجر في لسان الميزان ٢ : ١٢٤ . وترجمه البخاري في الكبير ١ / ٢ : ١٨٩

٩٢ - وحدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمر ، قال : لقد أدركت فقهاء المدينة ، وإنهم ليغلظون القول في التفسير^(١) ، منهم : سالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع .

٩٣ - وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا بشر بن عمر ، قال : حدثنا مالك بن أنس ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ، فقال : لا أقول في القرآن شيئاً .

٩٤ - حدثنا يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : أنه كان إذا سُئل عن تفسير آية من القرآن ، قال : أنا لا أقول في القرآن شيئاً .

منسوباً إليه ، ثم قال : « قال لي خالد بن مخلد : حدثنا جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام . . . وقال معن : عن جعفر بن خالد » .
والراجع عندي أنه « جعفر بن محمد بن خالد » ، لما ذكرنا ، ولأن ابن سعد ترجم بلده « خالد ابن الزبير » ٥ : ١٣٧ ، وذكر أولاده ، وفيهم « محمد الأكبر » و « محمد الأصغر » ، ولم يذكر أن له ولداً اسمه « جعفر » .

وسألت أن يعمل الطبري نفسه هذين الإسنادين بأن جعفرأ راويهما « ممن لا يعرف في أهل الآثار » . ص : ٨٩ وقد نقل ابن كثير أن البخاري قال فيه : « لا يتابع في حديثه » ، وكذلك نقل الذهبي عنه في الميزان ، وتبعه ابن حجر في لسان الميزان . ولكن البخاري ترجم له في التاريخ الكبير ، فلم يقل شيئاً من هذا ولم يذكر فيه جرحاً ، وكذلك ابن أبي حاتم لم يذكر فيه جرحاً ، ولم يذكره البخاري ولا النسائي في الضعفاء . ونقل ابن حجر أن ابن حبان ذكره في الثقات . وأن يذكره البخاري في التاريخ دون جرح أمانة توثيقه عنده . وهذان كافيان في الاحتجاج بروايته . ولئن لم يعرفه الطبري في أهل الآثار لقد عرفه غيره .

وفي الإسناد الأول من هذين « محمد بن خالد ابن عثمة » ، وقد ترجمه البخاري في الكبير ١/١ : ٧٣ - ٧٤ ، وقال : « محمد بن خالد » ، ويقال : ابن عثمة ، وعثمة أمه » ، ونحو ذلك في الجرح والتعديل ٢/٣ : ٢٤٣ ، فينبغي أن ترسم « ابن » بالألف ، وهي مرفوعة تبعاً لرفع « محمد » وأمه « عثمة » بفتح العين المهملة وسكون التاء المثناة . ومحمد بن خالد هذا : ثقة .

وقوله في الروايتين « إلا آياً بعدد » غيره مصححو المطبوعة « آيات تعد » . وفعلوا ذلك في حيث كرر لفظ الحديث بعد .

(١) في المطبوعة : « ليغلظون القول » ، وهما سواء .

٩٥ - حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت الليث يحدث ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب : أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن^(١) .

٩٦ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، قال : حدثنا سفيان ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة السلماني عن آية ، قال : عليك بالسداد ، فقد ذهب الذين علموا فم أنزل القرآن .

٩٧ - حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن أيوب وابن عون ، عن محمد ، قال : سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال : ذهب الذين كانوا يعلمون فم أنزل القرآن ، اتق الله وعليك بالسداد .

٩٨ - حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة : أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها ، فأبى أن يقول فيها .

٩٩ - حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن مهدي بن ميمون ، عن الوليد بن مسلم ، قال : جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله ، فسأله عن آية من القرآن ، فقال له : أخرج عليك إن كنت مسلماً ، لما قت عني - أو قال : أن تجالسنى .

١٠٠ - حدثني عباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا عبد الله ابن شاذب ، قال : حدثني يزيد بن أبي يزيد ، قال : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام ، وكان أعلم الناس ، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكّت كأن لم يسمع .

١٠١ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ،

(١) في المخطوطة : « إلا في المعلوم من التفسير » ، والمعنى قريب .

فقال : لا تسألني عن القرآن ، وسئل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه - يعني عكرمة .

١٠٢ - وحدثنا ابن المني ، قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن شعبة ، عن عبد الله بن أبي السَّفَر ، قال : قال الشعبي : والله ما من آية إلا قد سألتُ عنها ، ولكنها الروايةُ عن الله^(١) .

١٠٣ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علي ، عن صالح - يعني ابن مسلم - قال : حدثني رجل ، عن الشعبي ، قال : ثلاثٌ لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن ، والروح ، والرأى^(٢) .

وما أشبه ذلك من الأخبار ؟^(٣)

٣٠/١

قيل له : أما الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعددٍ ، فإن ذلك مصحح ما قلنا من القول في الباب الماضي قبلاً ، وهو : أن من تأويل القرآن ما لا يدرّك علمه إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم . وذلك تفصيلٌ مجملٌ ما في آية من أمر الله ونهيهِ^(٤) ، وحلاله وحرامه ، وحلوده وفرائضه ، وسائر معاني شرائع دينه ، الذي هو مجملٌ في ظاهر التتزيل ، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة - لا يدرّك علمٌ تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما أشبه ذلك مما تحويه آي القرآن ، من سائر حكّمه الذي جعل الله بيانه لخلقهِ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا يعلم أحدٌ من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يعلمه رسول الله

(١) الأخبار السالفة جميعاً نقلها ابن كثير عن الطبري في تفسيره ١ : ١٣ - ١٤ .

(٢) الأثر ١٠٣ - صالح بن مسلم : هو البكري ، وهو ثقة من الطبقة العليا ، كما قال يحيى بن سعيد القطان ، فيما نقل ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢ / ١ : ٤١٣ . وترجمه البخاري في الكبير أيضاً ٢ / ٢ : ٢٩١ . وهو من الرواة عن الشعبي ، ولكنه روى عنه هنا بالواسطة . وستأتي رواية له عن الشعبي رقم ١١٤ .

(٣) هذا آخر السؤال الذي بدأ منذ ص : ٨٤ .

(٤) في المطبوعة « وذلك يفصل » . والإشارة في قوله « وذلك » إلى بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صلى الله عليه وسلم إلا بتعليم الله إياه ذلك بوحىه إليه، إما مع جبريل، أو مع من شاء من رُسله إليه. فذلك هو الآيُ التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه، وهنَّ لاشك آيُ ذوات عددٍ.

ومن آي القرآن ما قد ذكرنا أن الله جل ثناؤه استأثر بعلم تأويله، فلم يُطلع على علمه ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلًا، ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله.

فأما ما لا بُدَّ للعباد من علم تأويله، فقد بين لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم بيان الله ذلك له بوحىه مع جبريل. وذلك هو المعنى الذى أمره الله ببيانه لهم فقال له جل ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٤].

ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — أنه كان لا يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعددٍ — هو ما يسبقُ إليه أوهامُ أهل الغباء، من أنه لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آيه واليسير من حروفه، كان إنما أنزلَ إليه صلى الله عليه وسلم الذكرُ ليترك للناس بيانَ ما أنزل إليهم، لا ليبين لهم ما أنزل إليهم. وفي أمر الله جل ثناؤه نبيّه صلى الله عليه وسلم ببلاغ ما أنزل إليه، وإعلامه إياه أنه إنما نزلَ إليه ما أنزل ليبين للناس ما نُزِّلَ إليهم، وقيام الحجة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ وأدّى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به، وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود بقليله^(١): كان الرجل منا إذا تعلم عشرَ آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعملَ بهنَّ —^(٢) ما ينبىء عن جهل من ظنَّ أو توهم أنَّ معنى الخبر الذى ذكرنا عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه لم يكن

(١) في المطبوعة «قد بلغ فأدى...» و«لقليله».

(٢) سياق عبارته من أول هذه الفقرة هو: «وفي أمر الله جل ثناؤه... وفي قيام الحجة...».

وفي صحة الخبر... ما ينبىء...».

يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بَعْدَ ، هو أنه لم يكن يبين لأُمة من تأويله إلا اليسير القليل منه .

هذا مع ما في الخبر الذي رُوي عن عائشة من العلة التي في إسناده ، التي لا يجوز معها الاحتجاجُ به لأحدٍ ممن علم صحيحَ سَنَدِ الآثارِ وفاسدَها في الدين . لأنَّ راويه ممن لا يُعرَفُ في أهل الآثار ، وهو : جعفر بن محمد الزبيري .

وأما الأخبارُ التي ذكرناها عن ذكرناها عنه من التابعين ، بإحجامه عن التأويل ، فإنَّ فِعْلَ من فعل ذلك منهم ، كفعل من أحجم منهم عن الفُتْيَا في النَّوَازِلِ والحوادث ، مع إقراره بأنَّ الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه إليه ، إلا بعد إكمال الدين به لعباده ، وعلمه بأنَّ الله في كل نازلة وحادثةٍ حُكماً موجوداً بنصٍّ أو دلالة . فلم يكن إحجامه عن القول في ذلك إحجاماً جاحداً أن يكون الله فيه حكم موجود بين أظهر عباده ، ولكن إحجاماً خائفاً أن لا يبلغ في اجتهاده ما كُلِّفَ الله العلماء من عباده فيه .

فكذلك معنى إحجام مَنْ أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السَّلف ، إنما كان إحجامه عنه حِذَاراً أن لا يبلغ أداء ما كُلِّفَ من إصابة ضوَابِ القول فيه ، لا على أن تأويل ذلك محبوبٌ عن علماء الأمة ، غير موجود بين أظهرهم .

﴿ ذكر الأخبار ﴾

﴿ عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير ﴾ ٣١/١

﴿ ومن كان منهم مذموماً علمه به ﴾

١٠٤ - حدثنا محمد بن بشار، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا سفيان ،

عن سليمان ، عن مسلم ، قال : قال عبد الله : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

١٠٥ - حدثني يحيى بن داود الواسطي ، قال : حدثنا إسحق الأزرق ، عن

سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ،

قال : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

١٠٦ - وحدثني محمد بن بشار، قال : حدثنا جعفر بن عون، قال : حدثنا

الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق عن عبد الله ، بنحوه .

١٠٧ - حدثنا أبو كريب قال : حدثنا طلق بن غنام ، عن عثمان المكي ،

عن ابن أبي مليكة قال : رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ، ومعه

الواحه ، فيقول له ابن عباس : « اكتب » ، قال : حتى سأله عن التفسير كله^(١) .

١٠٨ - حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا المحاربى ، ويونس بن بكير قالوا :

حدثنا محمد بن إسحق ، عن أبان بن صالح ، عن مجاهد ، قال : عرضت المصحف

على ابن عباس ثلاث عرصات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه

وأسأله عنها .

(١) الخبر ١٠٧ - في المطبوعة : « ومع الواحد » وهو تصحيف . وقد نقله ابن كثير في

التفسير ١ : ١٠ .

١٠٩ - وحديثي عبيد الله بن يوسف الحبشيري، عن أبي بكر الحنفي، قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

١١٠ - حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا سليمان أبو داود، عن شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: لم يلتق الضحاك ابن عباس، وإنما لقي سعيد ابن جبير بالرّي، وأخذ عنه التفسير.

١١١ - حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا أبو داود، عن شعبة، عن مشاش، قال: قلت للضحّاك: سمعت من ابن عباس شيئاً؟ قال: لا.

١١٢ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: حدثنا زكريا، قال: كان الشعبي يمرّ بأبي صالح باذان، فيأخذ بأذنه فيعركها ويقول: تُفسّر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن (١).

١١٣ - حدثني عبد الله بن أحمد بن شَبَّويه، قال: حدثنا علي بن الحسين ابن واقد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [سورة غافر: ٢٠] قال: قادر على أن يجزى بالحسنة الحسنة (٢)، وبالسيئة السيئة ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر: ٢٠]، قال الحسين: فقلت للأعمش: حدثني به الكلبي، إلا أنه قال: إن الله قادر أن يجزى بالسيئة السيئة وبالحسنة عشراً، فقال الأعمش: لو أن الذي عند الكلبي عندي ما خرج مني إلا بخفير (٣).

(١) الأثر ١١٢ - أبو صالح باذان، ويقال «بادام»: هو مولد أم هانئ بنت أبي طالب، وهو تابعي ثقة، ومن تكلم فيه فإنما تكلم لكثرة كلامه في التفسير، وفي رواية الكلبي عنه: انظر شرح المسند في الحديث ٢٠٣٠، وهذا الخبر الذي هنا نقله ابن حجر في التهذيب في ترجمته ١: ٤١٧ عن زكريا، وهو ابن أبي زائدة. وعرك الأديم والأذن: أخذها بين يديه أو إصبعيه ودلكهما دلكاً شديداً.

(٢) في المخطوطة: «قادر على أن لا يجزى» وهو خطأ.

(٣) الخبر ١١٣ - يأتي هذا الخبر في تفسير سورة غافر: ٢٠. ونصه هناك: «ما خرج مني إلا بخفير»، والذي كان هنا في المطبوعة «ما خرج مني بخفير»، والصواب ما أثبتناه. و«الخفير»:

١١٤ - حدثني سليمان عبد الجبار ، قال : حدثنا علي بن حكيم الأودي ، قال : حدثنا عبد الله بن بكير ، عن صالح بن مسلم ، قال : مرّ الشعبي على السدّي وهو يفسر ، فقال : لأنّ يُضرب على استيك بالطبل ، خير لك من مجلسك هذا^(١) .

١١٥ - حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثني علي بن حكيم ، قال : حدثنا شريك ، عن مسلم بن عبد الرحمن النخعي ، قال : كنت مع إبراهيم ، فرأى السدّي ، فقال : أمّا إنه يُفسّر تفسير القوم .

١١٦ - حدثنا ابن البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سمعتُ سعيد بن بشير ، يقول عن قتادة ، قال : ما أرى أحداً يجرى مع الكلبي في التفسير في عينان .

قال أبو جعفر : قد قلنا فيما مضى من كتابنا هذا في وجوه تأويل القرآن ، وأن تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة :

أحدها لا سبيل إلى الوصول إليه ، وهو الذي استأثر الله بعلمه ، وحجب علمه عن جميع خلقه ، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة ، التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة ، مثل : وقت قيام الساعة ، ووقت نزول عيسى بن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، والنفخ في الصور ، وما أشبه ذلك .

والوجه الثاني : ما خصّ الله بعلم تأويله نبيّه صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته ، وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجة ، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويله .

والثالث منها : ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن ، وذلك

يجير القوم الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده . وراوى هذا الخبر - علي بن الحسين بن واقد : ضعفه أبو حاتم ، وقال البخاري : « كنت أمر عليه طرفي النهار ، ولم أكتب عنه » . وأبوه حسين بن واقد : ثقة .

(١) الأثر ١١٤ - صالح بن مسلم : مضت ترجمته في الحديث ١٠٢ .

٢٢/١

علم تأويل عربيته وإعرابه ، لا يُوصَل إلى علم ذلك إلا من قبيلهم .
 فإذا كان ذلك كذلك ، فأحقُّ المفسرين بإصابة الحق - في تأويل القرآن -
 الذي إلى علم تأويله للعباد السبيلُ - أوضحهم حجةً فيما تأوّل وفسّر ،
 بما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته (١) من أخبار رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه : إمّا من جهة النقل المستفيض ، فيما وُجِد فيه
 من ذلك عنه النقلُ المستفيض ، وإمّا من جهة نقل العدول الأثبات ، فيما لم يكن
 فيه عنه النقلُ المستفيض ، أو من جهة (٢) الدلالة المنصوبة على صحته ، وأصحهم
 برهاناً (٣) - فيما ترجم وبيّن من ذلك - ممّا كان مُدرّكاً علمه من جهة اللسان : (٤)
 إمّا بالشواهد من أشعارهم السائرة ، وإمّا من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة ،
 كائناً من كان ذلك المتأوّل والمفسّر ، بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأوّل
 وفسر من ذلك ، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة ، والخلف من التابعين
 وعلماء الأمة .

(١) سياق عبارته « أوضحهم حجة . . . من أخبار رسول الله . . . » وما بينهما فصل .

(٢) كل ما جاء في هذه العبارة من قوله « جهة » ، فكانه في المطبوعة « وجه » .

(٣) في المطبوعة : « وأوضحهم برهاناً » ، وليست بشيء . وقوله : « وأصحهم برهاناً » معطوف على قوله آنفاً « أوضحهم حجة » .

(٤) ترجم : فسر وبيّن ، كما مضى آنفاً في ص : ٧٠ رقم : ١ .

﴿ القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه ﴾

قال أبو جعفر : إن الله تعالى ذكره سَمَّى تنزيله الذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم أسماء أربعة :

منهن : « القرآن » ، فقال في تسميته إياه بذلك في تنزيله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٣] ، وقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النمل : ٧٦] .

ومنهن : « الفرقان » ، قال جل ثناؤه في وحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم يُسَمِّيه بذلك : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان : ١] .

ومنهن : « الكتاب » : قال تبارك اسمه في تسميته إياه به : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا ﴾ [سورة الكهف : ١] .

ومنهن : « الذكر » ، قال تعالى ذكره في تسميته إياه به : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

ولكل اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب ، معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه .

• • •

فأما « القرآن » ، فإن المفسرين اختلفوا في تأويله . والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس : من التلاوة والقراءة ، وأن يكون مصدراً من قول القائل :

قرأت، كقولك «الحُسْران» من «خَسِرْتَ»، و«الْغُفْران» من «غَفَرَ اللهُ لَكَ»، و«الْكُفْران» من «كَفَرْتُكَ»، و«الْفَرْقان» من «فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ».

١١٧ - وذلك أن يحيى بن عثمان بن صالح السهمي حدثني، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾، يقول: بيَّناه. ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة: ١٨] يقول: اعمل به (١).

ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بيَّناه بالقراءة، فاعمل بما بيَّناه لك بالقراءة. وما يوضح صحة ما قلنا في تأويل حديث ابن عباس هذا، ما: -

١١٨ - حدثني به محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن عبد الله بن عباس: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة: ١٧] قال: أن تُقرئك فلا تنسى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ عليك ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ يقول: إذا تلى عليك فاتَّبِعْ ما فيه (٢).

قال أبو جعفر: فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس: أن معنى «القرآن» عنده القراءة، فإنه مصدر من قول القائل: قرأت، على ما بيَّناه.

وأما على قول قتادة، فإن الواجب أن يكون مصدراً، من قول القائل: قرأت الشيء، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، كقولك: «ما قرأت هذه الناقة سكتى قط» (٣)، تريد بذلك أنها لم تضمم رحماً على ولد، كما قال عمرو بن كلثوم التغلبي:

(١) الأثر ١١٧ - سيأتي في تفسير سورة القيامة: ١٧ - ١٨، وفي إسناده هناك خطأ، ذلك أنه قال: «حدثنا علي قال حدثنا أبو صالح...» وصوابه: «حدثنا يحيى قال حدثنا أبو صالح». وأبو صالح هو: عبد الله بن صالح الميمني في إسنادنا هذا.

(٢) الأثر ١١٨ - سيأتي أيضاً في تفسير هذه الآية من سورة القيامة.

(٣) السل: الجلدة الرقيقة التي يكون الولد في بطن أمه ملفوفاً فيها، وهو في اللبواب والإبل: السل، وفي الناس: المشيمة.

تُرِيكَ - إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ ، وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُونَ الْكَاشِحِينَ^(١)
 ذِرَاعِي عَيْطَلٍ ، أَدْمَاءٌ ، بَكْرٍ ، هِجَانِ اللَّوْنِ ، لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا^(٢)
 يعنى بقوله : « لم تقرأ جنيناً » ، لم تضممُ رحماً على ولد .

١١٩ - وذلك أن بشر بن معاذ العقدي حدثنا قال : حدثنا يزيد بن ٣٣/١

زريع قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ، يقول : حفظه وتأليفه ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾
 اتبع حلاله ، واجتنب حرامه .

١٢٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا محمد بن ثور ،
 قال : حدثنا معمر ، عن قتادة بمثله .^(٣)

فرأى قتادة أن تأويل « القرآن » : التأليف .

قال أبو جعفر : ولكلا القولين - أعنى قول ابن عباس وقول قتادة -
 اللذين حكيناها ، وجهٌ صحيح في كلام العرب . غير أن أولى قوليهما بتأويل قول
 الله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، قول ابن عباس .
 لأن الله جل ثناؤه أمر نبيه في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحى إليه ، ولم
 يرخّص له في ترك اتباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن له . فكذلك قوله :
 ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ، نظير سائر ما في آي القرآن التي أمره الله فيها
 باتباع ما أوحى إليه في تنزيله .

(١) من معلقته المشهورة . والتفسير في قوله : « تريك » إلى أم عمرو صاحبته . والكاشح :
 المغمى المضمر المداوة ، المعرض عنك بكشفه . وقوله : « على خلاء » ، أى على غرة وهي خالية متبذلة .
 (٢) العيطل : الناقة الطويلة العنق في حسن منظر وسمن . والأدماء : البيضاء مع سواد المقلتين ،
 وغير الإبل الأدم ، والعرب تقول : « قريش الإبل أدمها وصهبها » ، يعنون أنها في الإبل كقريش
 في الناس فضلا . ووصفها بأنها بكر ، لأن ذلك أحسن لها ، وهي في عهدا ذلك ألين وأسمن . وهجاذ
 اللون : بيضاء كريمة . وسيأتي هذا البيت الثاني في تفسير الطبري ٢٩ : ١١٨ « بولاق » .
 (٣) الأثر ١١٩ ، ١٢٠ - سيأتي بإسناده في تفسير سورة القيامة .

ولو وجب أن يكون معنى قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ، فإذا ألفناه فاتبع ما ألفنا لك فيه — لوجب أن لا يكون كان لزمه فرض ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ولا فرض ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ [سورة المدثر : ١ ، ٢] قبل أن يؤلف إلى ذلك غيره من القرآن . وذلك ، إن قاله قائل ، خروج من قول أهل الملة .

وإذ صح أن حكم كل آية من آي القرآن كان لازماً للنبي صلى الله عليه وسلم اتباعه والعمل به ، مؤلفة كانت إلى غيرها أو غير مؤلفة — صح ما قال ابن عباس في تأويل قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ، أنه يعني به : فإذا بيناه لك بقراءتنا ، فاتبع ما بيناه لك بقراءتنا — دون قول من قال : معناه ، فإذا ألفناه فاتبع ما ألفناه .

وقد قيل إن قول الشاعر :

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا^(١)
يعنى به قائله : تسبيحاً وقراءةً .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يسمى « قرآنًا » بمعنى القراءة ، وإنما هو

مقروء ؟

قيل : كما جاز أن يسمى المكتوب « كتاباً » ، بمعنى : كتاب الكاتب ، كما قال الشاعر في صفة كتاب طلاق كتبه لامرأته :

تُوْمِّلُ رَجْعَةً مِنِّي ، وفيها كتابٌ مثل ما لصق الغراء^(٢)

(١) البيت لحسان بن ثابت ، ديوانه : ٤١٠ ، وضعي : ذبح شاته ضحى النحر ، وهي الأضحية . واستعاره حسان لمقتل عثمان في ذي الحجة سنة ٣٥ ، رضي الله عنهما . والعنوان : الأثر الذي يظهر فتستدل به على الشيء .

(٢) لم أجد هذا البيت في شيء من المراجع التي بين يدي . وتنصب « مثل » على أنه بيان لحال المفعول المطلق المحذوف ، وتقديره : « كتاب لا لصق لصوقاً مثل ما لصق الغراء »

يريد : طلاقاً مكتوباً ، فجعل « المكتوب » كتاباً .

وأما تأويل اسمه الذى هو « فُرْقَان » ، فإن تفسير أهل التفسير جاء فى ذلك بالفاظ مختلفة ، هى فى المعانى مؤتلفة .

١٢١ - فقال عكرمة ، فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عكرمة : أنه كان يقول : هو النجاة . وكذلك كان السدّي يتأوله .

١٢٢ - حدثنا بذلك محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّي - وهو قول جماعة غيرهما . وكان ابن عباس يقول : « الفرقان » : المخرج

١٢٣ - حدثني بذلك يحيى بن عثمان بن صالح ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح . عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وكذلك كان مجاهد يقول فى تأويله بذلك .

١٢٤ - حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن مجاهد^(١) .

وكان مجاهد يقول فى قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١] يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل

١٢٥ - حدثني بذلك محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثني أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد^(٢) .

وكل هذه التأويلات فى معنى « الفرقان » - على اختلاف ألفاظها - متقاربات المعانى . وذلك أن من جعل له مخرج من أمر كان فيه ، فقد جعل

(١) الآثار السالفة كلها مروية فى تفسير آية الأنفال ٢٩

(٢) الأثر ١٢٥ - يأتى فى تفسير آية الأنفال ٤١

له ذلك المخرجُ منه نِجاةً. وكذلك إذا نُجِّيَ منه، فقد نُصِرَ على من بَغَاه فيه
سوءاً، وفُرقَ بينه وبين باغيه السُّوءَ.

فجميع ما روينا - عن رويانا عنه - في معنى «الفرقان»، قولٌ صحيح المعاني،

٣٤/١

لاتفاق معاني ألفاظهم في ذلك.

وأصلُ «الفرقان» عندنا: الفرقُ بين الشيئين والفصل بينهما. وقد يكون ذلك
بقضاء، واستنقاذ، وإظهار حُجَّة، ونَصْر^(١)، وغير ذلك من المعاني المفرقة
بين الحق والمبطل. فقد تبين بذلك أن القرآنُ سُمِّيَ «فرقناً»، لفصله - بحججه
وأدلته وحدود فرائضه وسائر معاني حكمه - بين الحق والمبطل. وفرقانه بينهما:
بنصره الحق، وتخذيله المبطل، حكماً وقضاء.

وأما تأويل اسمه الذي هو «كتاب» : فهو مصدر من قولك «كتبت كتاباً»
كما تقول : قمت قياماً، وحسبت الشيء حساباً. والكتاب : هو خطُّ الكاتب
حروف المعجم مجموعة ومفترقة. وسُمِّيَ «كتاباً»، وإنما هو مكتوب، كما قال
الشاعر في البيت الذي استشهدنا به :

* وفيها كتابٌ مثل ما لصق الغراء *

يعنى به مكتوباً.

وأما تأويل اسمه الذي هو «ذكر» ، فإنه محتمل معنيين : أحدهما : أنه ذكرٌ
من الله جل ذكره، ذكرٌ به عباده، فعرفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائر ما أودعه
من حكمه. والآخر : أنه ذكرٌ وشرف وفخرٌ لمن آمن به وصدق بما فيه، كما قال
جل ثناؤه : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [سورة الزخرف : ٤٤] ، يعنى به أنه
شرفٌ له ولقومه.

(١) في المطبوعة : «وتصرف» مكان «ونصر» ، وهو خطأ محض

ثم لسور القرآن أسماء سماها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٢٦ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو داود الطيالسي ، قال :
حدثنا أبو العوام - وحدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا رواد بن
الجراح ، قال : حدثنا سعيد بن بشير ، جميعاً - عن قتادة ، عن أبي المليح ،
عن واثلة بن الأسقع : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعطيت مكان التوراة
السبع الطول ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ،
وفُضِّلَت بالمفصل^(١) .

١٢٧ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن خالد
الحذاء ، عن أبي قلابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت
السبع الطول مكان التوراة ، وأعطيت المثاني مكان الزبور ، وأعطيت المئين
مكان الإنجيل ، وفُضِّلَت بالمفصل^(٢) . قال خالد : كانوا يسمون المفصل
العربي . قال خالد : قال بعضهم : ليس في العربي سجدة .

(١) الحديث ١٢٦ - رواه الطبري هنا بإسنادين ، أحدهما صحيح ، والآخر ضعيف : فرواه
من طريق أبي داود الطيالسي عن أبي العوام ، وهذا إسناد صحيح . ورواه من طريق رواد بن الجراح
عن سعيد بن بشير ، وهذا إسناد ضعيف - كلاهما عن قتادة .
أما طريق الطيالسي ، فإنه في مسنده رقم ١٠١٢ ، ورواه أحمد في المسند رقم ١٧٠٤٩ (٤ : ١٠٧)
طبعة الحلبي) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٨ ، ونسبه أيضاً للطبراني « بنحوه » .
وأبو العوام ، في الإسناد الأول : هو « عمران بن داور » بفتح الدال وبعد الألف واو مفتوحة وآخره
راء - « القطان » ، وهو ثقة .

وأما الطريق الثاني ، ففي إسناده « رواد بن الجراح العسقلاني » ، وهو صدوق ، إلا أنه تغير حفظه
في آخر عمره ، كما قال أبو حاتم ، فيما نقله عنه ابنه في الجرح والتعديل ١ / ٢ : ٥٢٤ ،
وقال البخاري في الكبير ١ / ٢ : ٣٠٧ : « كان قد اختلط ، لا يكاد أن يقوم حديثه » .
و« رواد » بفتح الراء وتشديد الواو وآخره دال . ووقع في الأصول هنا « داود » ، وهو خطأ . وفي إسناده
أيضاً « سعيد بن بشير » ، وهو صدوق يتكلمون في حفظه . ولكن لم ينفرد « رواد » بروايته عن سعيد ،
فقد ذكره ابن كثير في التفسير ١ : ٦٤ من كتاب أبي عبيد : عن هشام بن إسماعيل الدمشقي عن
محمد بن شعيب عن سعيد بن بشير ، وقال ابن كثير : « هذا حديث غريب ، وسعيد بن بشير : فيه
لين » ، وهو تعليل غير محرر ! فإن سعيد بن بشير لم ينفرد به - كما هو ظاهر - بل تأيدت روايته
برواية الطيالسي عن أبي العوام عمران بن داور ، وهو إسناد صحيح ، كما قلنا . وسيأتي بإسناد ثالث ، رقم ١٢٩ .

(٢) الحديث ١٢٧ - هذا خبر مرسل عن أبي قلابة

١٢٨ - وحدثنا محمد بن حميد، قال حدثنا حكام بن سلم، عن عمرو بن أبي قيس، عن عاصم، عن المسيب، عن ابن مسعود قال: الطُّوَلُ كالتوراة، والمثون كالإنجيل، والمثاني كالزبور، وسائر القرآن بعد فضل على الكتب^(١).

١٢٩ - حدثني أبو عبيد الوصّابي، قال: حدثنا محمد بن حفص، قال: أنبأنا أبو حميد، حدثنا الفزاري، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي بردة، عن أبي المكيح، عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال أعطاني ربي مكان التوراة السبع الطول، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان الزبور المثين، وفضلني ربي بالمفصل^(٢).

قال أبو جعفر: والسبع الطُّوَلُ: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة،

(١) الخبر ١٢٨ - لم نجد خبر ابن مسعود هذا. و«عاصم»: هو ابن أبي النجود، بفتح النون، وهو عاصم بن بهدلة. و«المسيب»: هو ابن زافع الأسدي، وهو تابعي ثقة، ولكنه لم يلق ابن مسعود، إنما يروى عن مجاهد ونحوه، كما قال أبو حاتم. انظر التهذيب ١٠: ١٥٣، والمراسيل لابن أبي حاتم: ٧٦، وشرح المسند، في الحديث: ٣٦٧٦.

(٢) الحديث ١٢٩ - هذا إسناد آخر للحديث الماضي ١٢٦، وهو إسناد مشكل، لم تستين لنا حقيقته:

فأوله «أبو عبيد الوصّابي حدثنا محمد بن حفص». وأخشى أن يكون خطأ، بل لعله الراجح عندي، فإن أبا عبيد الوصّابي: هو محمد بن حفص نفسه، ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/ ٢: ٢٣٧، قال: «محمد بن حفص الوصّابي الحمصي أبو عبيد، روى عن محمد بن حير وأبي حيوه شريح بن يزيد. أدركته وأردت قصده والسماع منه، فقال لي بعض أهل حمص: ليس بصليق، ولم يدرك محمد بن حير، فتركته». وترجمه الحافظ في لسان الميزان ٥: ١٤٦ بنحو هذا، وزاد أن ابن مندة ضعفه، وأن ابن حبان ذكره في الثقات. وكذلك ذكره اللؤلؤي في الكنى ٢: ٧٥، ٧٦ باسمه وكنيته، وروى حديثاً عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبي عبيد هذا.

ثم «أبو حميد» الراوي عنه محمد بن حفص: لم أستطع أن أعرف من هو؟ وكذلك «الفزاري» شيخ أبي حميد، وقد يكون هو أبا إسحق الفزاري.

وأما أبو بردة: فهو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وهو يروى في هذا الإسناد عن أبي المليح بن أسامة الهذلي، وكلاهما تابعي، إلا أن أبا بردة أكبر من أبي المليح، فيكون من رواية الأكابر عن الأصاغر.

وفي مجمع الزوائد ٧: ١٥٨ حديث نحو هذا من حديث أبي أمامة، قال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه ليث بن أبي سليم، وقد ضعفه جماعة، ويعتبر بحديثه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح».

والأنعام، والأعراف، ويونس، في قول سعيد بن جبير (١).

١٣٠ - حدثني بذلك يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن أبي بشر،

عن سعيد بن جبير.

وقله روى عن ابن عباس قول يدل على موافقته قول سعيد هذا.

١٣١ - وذلك ما حدثنا به محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي،

ويحيى بن سعيد، ومحمد بن جعفر، وسهل بن يوسف، قالوا: حدثنا عوف،

قال: حدثني يزيد الفارسي، قال: حدثني ابن عباس: قال: قلت لعثمان بن

عفان: ما حملكم على أن عمّدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة وهي

من المثين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطرًا: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتموهما

في السبع الطول؟ ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: «كان رسول الله صلى الله

الله عليه وسلم ممّا يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا

نزل عليه الشيء دعا ببعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في

السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة،

وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت

أنها منها. فقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يُبين لنا أنها منها، فن أجل

ذلك قرنتم بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتهما

في السبع الطول» (٢).

فهذا الخبر يني عن عثمان بن عفان رحمة الله عليه، أنه لم يكن تبين له أن

(١) انظر تفسير ابن كثير في أول سورة البقرة ١: ٦٤. و «الطول»، بضم الطاء وفتح

اللام: جمع «الطول»، مثل «الكبر» و «الكبرى».

(٢) الخبر ١٣١ - رواه أحمد بن حنبل في المسند عن يحيى بن سعيد، وعن إسماعيل بن إبراهيم،

وعن محمد بن جعفر، كلهم عن عوف الأعرابي، بهذا الإسناد، مطولا، برقمي: ٣٩٩، ٤٩٩ وهو

حديث ضعيف جداً، فصلت طريقه، ووجه ضعفه، في شرح المسند: ٣٩٩.

الأنفال وبراءة من السبع الطُّوَل ، ويصرِّح عن ابن عباس أنه لم يكن يرى ذلك منها .

وإنما سميت هذه السور السبع الطُّوَل ، لطولها على سائر سُور القرآن .
وأما «المثون» : فهي ما كان من سور القرآن عددُ آيه مئة آية، أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً .

وأما «المثاني» : فإنها ما ثنى المئين فتلاها، وكان المثنون لها أوائل، وكان المثناني لها ثواني . وقد قيل : إن المثناني سميت مثاني ، لثنية الله جل ذكره فيها الأمثال والخبر والعبر ، وهو قول ابن عباس .

١٣٢ — حدثنا بذلك أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عثمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .
وروى عن سعيد بن جبير ، أنه كان يقول : إنما سميت مثاني لأنها ثنيت فيها الفرائض والحدود .

١٣٣ — حدثنا بذلك محمد بن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير .
وقد قال جماعة يكثر تعدادهم : القرآن كله مثنان .
وقال جماعة أخرى : بل المثناني فاتحة الكتاب ، لأنها تُثنى قراءتها في كل صلاة .

وسنذكر أسماء قائل ذلك وعللهم ، والصواب من القول فيما اختلفوا فيه من ذلك ، إذا انتهينا إلى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ [سورة الحجر : ٨٧] إن شاء الله ذلك .

وبمثل ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسماء سور القرآن التي ذُكرت ، جاء شعر الشعراء . فقال بعضهم :

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللَّوَاتِي طُوِّتْ^(١) وَبِثَنِينَ بَعْدَهَا قَدْ أُمْنِيتْ^(٢)
وَبِمَثَانٍ ثُنِيَتْ فَكُرِّرْتُ^(٣) وَبِالطَّوَاسِينِ الَّتِي قَدْ ثُلُثَتْ^(٤)
وَبِالْجَوَامِيمِ اللَّوَاتِي سُبِّعَتْ^(٥) وَبِالْمُفَصَّلِ اللَّوَاتِي فَصِّلَتْ^(٦)
قال أبو جعفر رحمه الله عليه : وهذه الآيات تدل على صحة التأويل الذي
تأولناه في هذه الأسماء .

وأما « المفصل » : فلأنها سميت مفصلاً لكثرة الفصول التي بين سورها
« بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال أبو جعفر : ثم تسمى كل سورة من سور القرآن « سورة » ، وتجمع
سُوراً ، على تقدير « خطبة وخطب » ، « وغرفة وغرف » .
والسورة ، بغير همز : المنزلة من منازل الارتفاع . ومن ذلك سُور المدينة ،
سمى بذلك الحائط الذي يحويها ، لارتفاعه على ما يحويه . غير أن السُورة من
سُور المدينة لم يسمع في جمعها « سُور » ، كما سمع في جمع سورة من القرآن « سور » .
قال العجاج في جمع السُورة من البناء :

فَرُبَّ ذِي سُرَادِقٍ مَحْجُورٍ سُرْتُ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ^(٧)
فخرج تقدير جمعها على تقدير جمع بُرَّة وُبُسْرَة ، لأن ذلك يجمع بُراً وُبُسرأ .
وكذلك لم يسمع في جمع سورة من القرآن سُورٌ ، ولو جمعت كذلك لم يكن خطأ
في القياس ، إذا أريد به جميع القرآن . وإنما تركوا - فيما نرى - جمعه كذلك ، لأن
كل جمع كان بلفظ الواحد المذكور مثل : بُرَّ وشعير وقَصَب وما أشبه ذلك ، فإن

(١) الآيات في مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٧ . أمأيت لك الشيء : أكلت لك عدته حتى بلغ المنة .

(٢) الطواسين التي ثلثت ، يعني طسم الشعراء ، وطس النمل ، وطسم القصص .

(٣) الجواميم التي سبعت : سبع سور من سورة غافر إلى سورة الأحقاف .

(٤) ديوانه : ٢٧ . والسرادق : كل ما أحاط بالشيء واشتمل عليه ، من مضرب أو خباء أو بناء .

ويعني حريم الملك . ومحجور : محرم ممنوع لا يوطأ إلا بإذن . وسار الحائط يسوره وتسوره : علاه
وتسلقه . « سرتُ إليه » : تسلقته .

جِماعَه يجرى مجرى الواحد من الأشياء غيره^(١). لأن حكم الواحد منه منفرداً قلماً يُصاب ، فجرى جماعه مجرى الواحد من الأشياء غيره^(٢) ، ثم جعلت الواحدة منه كالقطعة من جميعه ، فقيل : بُرّة وشعيرة وقصبة ، يراد به قطعة منه^(٣) . ولم تكن سور القرآن موجودةً مجتمعةً اجتماع البرّ والشعير وسور المدينة ، بل كلّ سورة ٣٦/١ منها موجودةً منفردة بنفسها ، انفراد كل غرفة من الغرف وخطبة من الخطب ، فجُعِلَ جمعُها جمع الغُرف والخطب ، المبنيّ جمعها من واحدتها .

ومن الدلالة على أنّ معنى السورة : المنزلة من الارتفاع ، قول نابغة بنى ذبيان :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ^(٤)

يعنى بذلك : أنّ الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصّرت عنها منازل المملوك .

وقد همز بعضهم السورة من القرآن . وتأويلُها ، في لغة من همزها ، القطعة التي قد أفضلت من القرآن عما سواها وأبقيت . وذلك أن سور كل شيء : البقية منه تبقى بعد الذي يُؤخذ منه ، ولذلك سميت الفضلة من شراب الرجل — يشربُه ثم يُفضلها فيبقىها في الإناء — سُوراً . ومن ذلك قول أعشى بنى ثعلبة ، يصف امرأةً فارقت فأبقت في قلبه من وجدِها بقية :

فَبَانَتْ ، وَقَدْ أَسَارَتْ فِي الْفُؤَا دِ صَدْعًا ، عَلَى نَائِيهَا ، مُسْتَطِيرًا^(٥)

- (١) في المطبوعة : « فإن جماعه كالواحد » . وفي المخطوطة « فإن جماعه مجرى الواحد » ، سقط من النسخ قوله « يجرى . . . » .
- (٢) في المطبوعة « مفرداً » مكان « منفرداً » .
- (٣) يعنى أنه اسم جنس ، سبق الجمع الواحد . لأنه لم يوضع للأحاد ، وإنما وضع لجماعته مجتمعا ، وهو الذي يفرق بينه وبين واحدته بالتاء .
- (٤) ديوانه : ٥٧ ، ويأتى في تفسير الطبرى : ٢١٥ (بولاق) . يتذبذب : يضطرب ويحار . والتذبذبة : تردد الشيء المعلق في الهواء يمنة ويسرة . يقول : أعطاك الله من المنزلة الرفيعة ، ما لو رآه ملك وتسامى إليه ، بقى معلقاً دونها حائراً يضطرب ويتردد ، لا يطيق أن يبلغها .
- (٥) ديوانه : ٦٧ ، ويأتى في تفسير الطبرى ٢٩ : ١٢٩ (بولاق) . استطار الصدع في الزجاجة وغيرها : تبين فيها من أولها إلى آخرها ، وفشا وامتد .

وقال الأعشى في مثل ذلك :

بَانتْ، وَقَدْ سَأَرَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَتَهَا ، بَعْدَ ائْتِلَافٍ ؛ وَخَيْرُ الْوُدِّ مَا نَفَعَا^(١)

وأما الآية من آي القرآن ، فإنها تحتل وجهين في كلام العرب :

أحدهما : أن تكون سميت آية ، لأنها علامة "يعرف بها تمام ما قبلها وابتدأؤها ، كالآية التي تكون دلالة على الشيء "يستدل بها عليه ، كقول الشاعر :

أَلِكني إليها ، عَمَرَكَ اللهُ يَا فَتَى ، بِأَيِّ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا^(٢)

يعنى : بعلامة ذلك^(٣) . ومنه قوله جل ذكره : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً

مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ﴾ [سورة المائدة : ١١٤] أى علامة منك لإجابتك دعاءنا وإعطائك إيماناً سُئِلْنَا .

والآخر منهما : القصة ، كما قال كعب بن زهير بن أبي سلمى :

أَلَا أبلغنا هذا المَعْرُضَ آيَةً : أَيْقَظَانِ قَالَ الْقَوْلَ إِذْ قَالَ ، أَمْ حَلَمَ^(٤)

يعنى بقوله « آية » : رسالة منى وخبراً عنى .

فيكون معنى الآيات : القصص ، قصة تتلو قصة ، بفصول ووُصول .

(١) ديوانه : ٧٣ . « بعد ائتلاف » : أى بعد ما كنافيه من جتماع وألفة .

(٢) الشعر لسحيم عبد بنى الحساس ، ديوانه : ١٩ ، ويأتى في تفسير الطبرى ١ : ١٥٦ (بولاق) أكنى إليها : أبلغها رسالة منى ، والرسالة : الألوكة والمألكة . وتهادى فى مشيه : تمايل دلالة أو ضعفاً .

(٣) فى المخطوطة : « بعلامة دلت » ، وهو خطأ .

(٤) ديوانه : ٦٤ ، وروايته : « أنه أيقظان » . وقد استظهرت فى شرح كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٨٩ ، أن الصواب « آية » ، كما جاء فى مخطوطة الطبقات ، وشرح الطبرى دال على صواب ما استظهرت . وأهملت كتب اللغة تفسير هذا الحرف على وجهه ، مع مجيئه فى شعر كعب وغيره ، كقول حبل بن نضلة :

أبلغ معاوية الممزق آيةً عنى ، فلسبت كبعض من يتقول

﴿ القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب ﴾

قال أبو جعفر : صحَّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما : —
 ١٣٤ — حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال :
 أخبرني ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، قال : هي أم القرآن ، وهي فاتحة الكتاب ، وهي السبع المثاني^(١) .
 فهذه أسماءُ فاتحة الكتاب .

وسميت «فاتحة الكتاب» ، لأنها يُفتتح بكتابتها المصاحف ، ويُقرأ بها في
 الصلوات ، فهي قَوَاتِح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة .
 وسميت « أم القرآن » ، لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها ، وتأخر ما سواها
 خلفها في القراءة والكتابة . وذلك من معناها شبيهٌ بمعنى فاتحة الكتاب . وإنما قيل لها
 — بكونها كذلك — أم القرآن ، لتسمية العرب كل جامع أمراً — أو مقدّمٍ لأمر إذا
 كانت له توابعٌ تتبعه ، هو لها إمام جامع — «أمّاً» . فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ :
 «أم الرأس»^(٢) . وتسمى لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش — «أمّاً» . ومن
 ذلك قول ذي الرُّمة ، يصف رايةً معقودة على قناة يجتمع تحتها هو وصحبُه :

(١) الحديث ١٣٤ — رواه أحمد في المسند : ٩٧٨٧ (٢ : ٤٤٨ طبعة الحلبي) . والبخاري
 ٨ : ٢٨٩ فتح الباري — كلاهما من طريق ابن أبي ذئب ، بهذا الإسناد . ولفظ أحمد : « قال في أم
 القرآن : هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم » . ولفظ البخاري : « أم القرآن : هي
 السبع المثاني ، والقرآن العظيم » . وذكره ابن كثير في التفسير ١ : ٢١ ، من روايتي المسند والطبري .
 وذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ٣ ، ونسبه أيضاً للدارمي وأبي داود والترمذي وابن المنذر وغيرهم .
 وسيدكره الطبري مرة أخرى ، في تفسير الآية ٨٧ من سورة الحجر (١٤ : ٤٠ — ٤١ من طبعة
 بولاق) ، بهذا الإسناد .

(٢) في المخطوطة : « تلى للدماغ » ، وهذه أجود .

٣٧/١ وَأَسْمَرَ، قَوَّامٍ إِذَا نَامَ صُحْبَتِي ، خَفِيفِ الثِّيَابِ لَا تُوَارِي لَهُ أَرْزَا^(١)
 عَلَى رَأْسِهِ أُمَّ لَنَا نَقْتَسِدِي بِهَا ، جَمَاعُ أُمُورٍ لَا نُعَاصِي لَهَا أَمْرًا^(٢)
 إِذَا نَزَلَتْ قِيلَ: انْزِلُوا، وَإِذَا غَدَتْ غَدَتْ ذَاتَ بَرْزِيقٍ نَنَالُ بِهَا فَخْرًا^(٣)

يعنى بقوله : « على رأسه أم » ، أى على رأس الرمح رايةٌ يجتمعون لها فى النزول والرحيل وعند لقاء العدو . وقد قيل إن مكة سميت « أم القرى » ، لتقدمها أمام جميعها ، وجمعها ما سواها . وقيل : إنما سميت بذلك ، لأن الأرض دُحِيتُ منها فصارت لجميعها أمًا . ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالي :

إِذَا كَانَتْ الْخُمْسُونَ أُمَّكَ ، لَمْ يَكُنْ لِدَائِكَ ، إِلَّا أَنْ تَمُوتَ ، طَيْبٌ^(٤)
 لأن الخمسين جامعةٌ ما دونها من العدد ، فسمّاها أمًا للذى قد بلغها .

(١) ديوانه : ١٨٣ ، مع اختلاف فى بعض الرواية ، ورواية الطبرى أجودهما . أسمر : يعنى رمحاً أسمر القناة . قوام : يظل الليل قائماً ساهراً . خفيف الثياب : يعنى اللواء . والأزر : الظهر . يقول : رمح أسمر عارى الثياب ، لا يوارى اللواء ظهره كما يوارى الثوب ظهر اللابس .
 (٢) فى الديوان : « يهتدى » ، والصواب « نهتدى » . وأمه التى ذكر ، هى اللواء ، ويقال للواء وما لف على الرمح منه : أم الرمح . وجماع أمور : أى تجمعها فتجتمع عليها ، وفى الحديث : « حدثنى بكلمة تكون جماعاً . قال : اتق الله فيما تعلم » . والأمور جمع أمر : يعنى شؤوناً عظماً . وأما قوله : لا نعاصى لها أمراً . فهو من الأمر نقيض النهى .

(٣) « نزلت » يعنى الراية . و « غدت » : سارت غدوة . وفى المطبوعة « ذات ترزيق » وهو خطأ . والبرزيق : الموكب الضخم فيه جماعات الناس . وقوله : « ننال بها فخراً » أى نغزو فى ظلالها ، فنظهر على عدونا ونظفر ونفخ ، وذلك هو الفخر . وفى الديوان : « تخال بها فخراً » وفى المخطوطة : « تخال لها » ، كأنه من صفة الراية نفسها ، تهتز وتميل فخراً وتنبأ لكثرة أتباعها من الفزاة والفرسان .

(٤) الشعر ليس لحميد بن ثور ، ولا هو فى ديوانه ، بل هو لأبى محمد التيمى عبد الله بن أيوب ، مولى بنى تيم ثم من بنى سليم ، من أهل الكوفة ، من شعراء الدولة العباسية . أحد الخلفاء المجان الوصافين للخمر ، كان صديقاً لإبراهيم الموصلى وابنه إسحاق ، وندباً لها . ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم ، واتصل بيزيد بن يزيد ، فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد . الأغاني ١٨ : ١١٥ . وهذا البيت من قصيدة له ، روى بعض أبياتها الجاحظ فى البيان ٣ : ١٩٥ ، وابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ : ٣٢٢ ، والراغب فى محاضرات الأدباء ٢ : ١٩٨ ، ومجموعة المعاني : ١٢٤ ، والشعر فيها جميعاً منسوب لأبى محمد التيمى ، وهو :

إِذَا كَانَتْ السَّبْعُونَ سَنَتَكَ ، لَمْ يَكُنْ لِدَائِكَ ، إِلَّا أَنْ تَمُوتَ ، طَيْبٌ

وأما تأويل اسمها أنها «السَّبْعُ»، فإنها سبعُ آيات، لا خلاف بين الجميع من القراء والعلماء في ذلك.

ولأنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات. فقال عظمُ أهل الكوفة: صارت سبع آيات: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ورؤي ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين. وقال آخرون: هي سبع آيات، وليس منهن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ولكن السابعة «أنعمت عليهم». وذلك قول عظمُ قُرْآنِ أهل المدينة ومُتَقْنِيهِمْ^(١).

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا الصواب من القول عندنا في ذلك في كتابنا: (اللطيف في أحكام شرائع الإسلام) بوجيز من القول، ونستقصي بيان ذلك بحكاية أقوال المختلفين فيه من الصحابة والتابعين والمتقدمين والمتأخرين في كتابنا: (الأكبر في أحكام شرائع الإسلام) إن شاء الله ذلك.

وأما وصف النبي صلى الله عليه وسلم آياتها السبع بأنهن مَثَان، فلأنها تُشَنَّى قراءتها في كل صلاة تطوُّع ومكتوبة. وكذلك كان الحسن البصري يتأول ذلك. ١٣٥- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابنُ عُليَّة، عن أبي رجاء، قال سألت الحسن عن قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾

وإن أمراً قد سار سَبْعِينَ حِجَّةً إلى مَنْهَلٍ، مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
إذا ما خلوتَ الدَّهْرَ يوماً، فلا تقل خلوتُ، ولكن قلْ على رَقِيبُ
إذا ما أُنْقِضَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ مِنْهُمْ وَخُلِّقْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ

ولبيت الثاني قصة في أمالي القالي ٣ : ١ ، وانظر زهر الآداب ٣ : ٢٢١ ، وذكر البيت الثاني والرابع وقال : « قال دعبل : وتزعم الرواة أنه لأعرابي من بني أسد ». واختلفوا في رواية قوله : « السبعون سنك » ، ففيها « الخمسون » ، و « الستون » . ولم أجد روايته « أمك » مكان « سنك » إلا في كتاب الطبري وحده .

(١) في المطبوعة : « أعظم أهل الكوفة . . . » ثم « أعظم قراء أهل المدينة » . وهو تغيير . وعظم الشيء أو الناس : معظمهم وأكثرهم . و « قرأة » جمع قارئ . وانظر ما سلف : ٥١ - ٥٢ التعليق رقم : ٣ و ص ٦٤ تعليق رقم : ٤ . وفي المطبوعة « ومتفقههم » ، غيروه أيضاً .

[سورة الحجر : ٨٧] قال : هي فاتحة الكتاب . ثم سئل عنها وأنا أسمع فقراها :
 ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حتى أتى على آخرها ، فقال : تُثْنَى في كل
 قراءة - أو قال - في كل صلاة . الشك من أبي جعفر الطبري ^(١) .

والمعنى الذي قلنا في ذلك قصد أبو النجم العجلي بقوله :

الحمد لله الذي عافاني وكل خير بعده أعطاني

من القرآن ومن المثاني ^(٢)

وكذلك قول الراجز الآخر :

نشدتكم بمنزل الفرقان أم الكتاب السبع من مثاني ^(٣)

ثنين من أي من القرآن والسبع سبع الطول الدواني ^(٤)

وليس في وجوب اسم « السبع المثاني » لفاتحة الكتاب ، ما يدفع صحة وجوب
 اسم « المثاني » للقرآن كله ، ولما ثنّى المثين من السور ^(٥) . لأن لكل وجهاً ومعنى
 مفهوماً ، لا يفسد - بتسميته بعض ذلك بالمثاني - تسمية غيره بها .

فأما وجه تسمية ما ثنّى المثين من سور القرآن بالمثاني ، فقد بينا صحته ، وسندل
 على صحة وجه تسمية جميع القرآن به عند انتهائنا إليه في سورة الزمر ، إن شاء الله .

(١) الأثر ١٣٥ - سيأتي في تفسير الآية : ٨٧ سورة الحجر ١٤ : ٣٨ - ٣٩ (بلاق) ، بهذا
 الإسناد ، بلفظ « في كل قراءة » ، ولم يشك الطبري هناك . و « أبو رجاء » ، في هذا الإسناد : هو
 « محمد بن سيف الأزدي الحداني البصري » ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وابن سعد والنسائي وغيرهم .
 (٢) اللسان (ثني) : ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ٧ . وقوله « بعده » الضمير عائد بالتذكير إلى
 معنى العافية في البيت السالف . ورواية اللسان وأبي عبيدة « وكل خير صالح » ، ثم روى الأخير :
 « رب مثاني الآي والقرآن » .

(٣) مجاز للقرآن لأبي عبيدة : ٧ « أم الكتاب » بدل من « الفرقان » .

(٤) في المطبوعة « تين » ، ولا معنى لها ، ومكان هذه الكلمة بياض في المخطوطة . و « ثنين » :
 كرر مرة بعد مرة . وقوله « الدواني » مكانها بياض في المخطوطة . وكأنه أراد جمع دانية ، ووصفها بأنها
 « دواني » ، أي قطوفها دانية .

(٥) في المطبوعة : « وجود » مكان « وجوب » في الموضعين السالفين . وفي المطبوعة « ولما يثنى من
 السور » ، وهي في المخطوطة : « ولما هي المثين... » وكلتاها خطأ . وقد سلف في ص : ١٠٣ قوله : « وأما
 المثاني ، فإنها ما ثنى المثين فتلاها ، وكان المثون لها أوائل ، وكان المثاني لها ثواني » وثني : أتى ثانياً له .

﴿القول في تأويل الاستعاذة﴾

تأويل قوله : ﴿أَعُوذُ﴾ .

قال أبو جعفر : والاستعاذة : الاستجارة . وتأويل قول القائل : ﴿أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ استجيرُ بالله - دون غيره من سائر خلقه - من الشيطان أن يضرّني في ديني ، أو يصدّني عن حق يلزمّني لرّبي .

تأويل قوله : ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ .

قال أبو جعفر : والشيطان ، في كلام العرب : كل متمرّد من الجن والإنس والدوابّ وكل شيء . وكذلك قال ربنا جل ثناؤه : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [سورة الأنعام : ١١٢] ، فجعل من الإنس شياطين ، مثل الذي جعل من الجن .

وقال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ، وركب برذوناً فجعل يتبختر به ، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترأ ، فنزل عنه ، وقال : ما حملتموني إلا على شيطان ! ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي .

١٣٦ - حدثنا بذلك يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال :

أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر^(١) .

قال أبو جعفر : وإنما سُمي المتمرّد من كل شيء شيطاناً ، لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله ، وبُعده من الخير . وقد قيل : إنه أخذ من

(١) الأثر : ١٣٦ نقله ابن كثير في التفسير ١ : ٣٢ من رواية ابن وهب ، بهذا الإسناد . وقال :

«إسناده صحيح» . وذكر الطبري في التاريخ ٤ : ١٦٠ نحو معناه بسياق آخر ، بدون إسناد .

قول القائل : شَطَنَتْ دَارِي مِنْ دَارِكْ - يريد بذلك : بَعُدَتْ . ومن ذلك قول نابغة بنى ذبيان :

نَأَتْ بِسُعَادَ عَنْكَ نَوَى شَطُونُ فَبَأَنْتَ ، وَالْفَوَادُ بِهَا رَهِينُ^(١)
والنوى : الوجه الذى نَوَتْه وقصَدَتْه . والشَطُونُ : البعيد . فكأن الشيطان -
على هذا التأويل - فِعْعَالٌ من شَطَنَ . ومما يدل على أن ذلك كذلك ، قول أمية
ابن أبى الصلت :

أَيَّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ثُمَّ يُلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَكْبَالِ^(٢)
ولو كان فعلاً ، من شَاطَ يَشِيطُ ، لقال أيُّمَا شَائِطٍ ، ولكنه قال : أيُّمَا
شَاطِنٍ ، لأنه من « شَطَنَ يَشْطُنُ » ، فهو شَاطِنٌ .

تأويل قوله : « الرَّجِيمُ » .

وأما الرجم فهو : فَعِيل بمعنى مفعول ، كقول القائل : كَفُّ خَضِيبٌ ،
ولحيةٌ دَهِينٌ ، ورجلٌ لَعِينٌ ، يريد بذلك : مخضوبة ومدهونة وملعون . وتأويل الرجم :
الملعون المشتوم . وكل مشتوم بقولٍ ردىء أو سبٍّ فهو مَرْجُومٌ . وأصل الرجم
الرَّمَى ، بقول كان أو بفعل . ومن الرجم بالقول قول أبى إبراهيم لإبراهيم صلوات
الله عليه : « لَيْنٌ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ » [سورة مريم : ٤٦] .

وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان رجمٌ ، لأن الله جل ثناؤه طرده من سمواته ،
ورجمه بالشهب الثواقب^(٣) .

(١) زيادات ديوانه : ٢٠ .

(٢) ديوانه : ٥١ ، واللسان (شطن) و (عكا) . وعكاه فى الحديد والثاق : شدة شدًّا وثيقاً .
والأكبال جمع كبل : وهو القيد من الحديد . وأظنه أراد هنا البيت فى السجن المضيق بالحديد ، من قولهم :
كبله كبلًا : حبسه فى سجن . هذا ما أستظهره من سياق الشعر .

(٣) الشهب ، جمع شهاب : وهو الشعلة من النار ، ثم استعير للكوكب الذى ينقض بالليل .
والثواقب ، جمع ثاقب : وهو المضيء المشتعل .

وقد روى عن ابن عباس ، أن أول ما نزل جبريلُ على النبي صلى الله عليه وسلم علّمه الاستعاذة .

١٣٧ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحّاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أول ما نزل جبريلُ على محمد قال : « يا محمد استعذ ، قل : أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم » ، ثم قال : قل : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ثم قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] . قال عبد الله : وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل (١) .
فأمره أن يتعوذ بالله دون خلقه .

(١) الحديث ١٣٧ - نقله ابن كثير في التفسير ١ : ٣٠ عن هذا الموضع من الطبري ، وقال : « وهذا الأثر غريب ! وإنما ذكرناه ليعرف ، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً » . وسيرويه الطبري بعد ذلك ، برقمي ١٣٨ ، ١٣٩ ، بهذا الإسناد نفسه ، بأطول مما هنا . وسنذكر الضعف الذي أشار إليه ابن كثير : وقوله « استعذ » ليست في المطبوعة .

أما عثمان بن سعيد ، فهو الزيات الأحول ، مترجم في التهذيب ، وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٥٢/١/٣ ، وروى عن أبيه أنه قال : « لا بأس به » . وأما بشر بن عمار ، فهو الخشعي الكوفي ، وهو ضعيف ، قال البخاري في التاريخ الكبير ٨١/٢/١ « تعرف وتنكر » ، وقال النسائي في الضعفاء : ص ٦ « ضعيف » ، وقال الدارقطني : « متروك » ، وقال ابن حبان في كتاب المجروحين : ص ١٢٥ رقم ١٣٢ : « كان يخطئ حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد ، ولم يكن يعلم الخطيئ ولا صناعته » ، وأما شيخه أبو روق - بفتح الراء وسكون الواو - فهو عطية بن الحارث الحمطاني ، وهو ثقة ، وقال أحد النسائي : « لا بأس به » .

وأما الانقطاع الذي أشار إليه ابن كثير ، فن أجل اختلافهم في سماع الضحّاك بن مزاسم الحلبي من ابن عباس . وقد رجعنا في شرح المسند : ٢٢٦٢ سماعه منه .

وكفى ببشر بن عمار ضعفاً في الإسناد ، إلى نكارة السياق الذي رواه وخرابته !!

﴿ القول في تأويل ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل : ﴿ بسم ﴾ .

قال أبو جعفر : إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدب نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته^(١) ، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه ، منه لجميع خلقه سنة يستنون بها^(٢) ، وسبيلاً يتبعونه عليها ، فيه افتتاح أوائل منطقتهم^(٣) ، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم ، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل : « بسم الله » ، على ما بطن من مراده الذي هو محذوف .

وذلك أن الباء من « بسم الله » مقتضية فعلاً يكون لها جالِباً ، ولا فعل معها ظاهر ، فأغنت سامع القائل « بسم الله » معرفته بمراد قائله ، عن إظهار قائل ذلك مراده قولاً^(٤) . إذ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمراً ، قد أحضر منطقته به — إما معه ، وإما قبله بلا فصل — ما قد أغنى سامعته عن دلالة شاهدة على الذي من أجله افتتح قلبه به^(٥) . فصار استغناء سامع ذلك منه عن إظهار ما حذف منه ، نظير استغنائه — إذا سمع قائلاً قيل له : « ما أكلت اليوم ؟ » فقال : « طعاماً » — عن أن يكرر السؤال مع قوله « طعاماً » ، أكلت . لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه^(٥) ، بتقدم مسألة السائل إياه عما أكل . فعقول إذاً أن قول

(١) تقدم إليه بشيء : أمره بفعله أو إتيانه .

(٢) يقول : جعل الله ذلك سنة منه لجميع خلقه يستنون بها . فقدم قوله « منه لجميع خلقه » .

(٣) في المطبوعة : « في افتتاح . . . » ، والضمير في « فيه » عائد إلى « ما أدبه به » .

(٤) في المطبوعة : « من إظهار » ، « من دلالة شاهدة » .

(٥) معناه : أي ما يعنيه ويقصده .

القائل إذا قال : « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم افتتح تالياً سورة ، أن إتباعه « بسم الله الرحمن الرحيم » تلاوة السورة ، يُنبئ عن معنى قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم » . ومفهومٌ به أنه يريد بذلك : أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . وكذلك قوله : « بسم الله » عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله ، ينبئ عن معنى مراده بقوله « بسم الله » ، وأنه أراد بقبليه « بسم الله » ، أقوم باسم الله ، وأقعد باسم الله . وكذلك سائر الأفعال .

وهذا الذي قلنا في تأويل ذلك ، هو معنى قول ابن عباس الذي : —

١٣٨ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، قال : حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : إنَّ أول ما نزل به جبريلُ على محمد ، قال : « يا محمد ، قل : أستعِذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم » ثم قال : « قل بسم الله الرحمن الرحيم » . قال : قال له جبريل : قل بسم الله يا محمد ، يقول : اقرأ بذكر الله ربك ، وقم واقعد بذكر الله ^(١) . قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فإن كان تأويلُ قول « بسم الله » ما وصفت ، والجالبُ الباءُ في « بسم الله » ما ذكرت ، فكيف قيل « بسم الله » بمعنى أقرأ باسم الله ، أو أقوم أو أقعد باسم الله ؟ وقد علمت أن كلَّ قارئٍ كتاب الله ، فبعون الله وتوفيقه قراءته ، وأن كل قائم أو قاعد أو فاعلٍ فعلاً ، فبالله قيامه وقعوده وفعله . وهلاً — إذ كان ذلك كذلك — قيل « بالله الرحمن الرحيم » ولم يُقل « بسم الله » ؟ فإن قول القائل : أقوم وأقعد بالله الرحمن الرحيم ، أو أقرأ بالله — أوضحُ معنى لسامعه من قوله « بسم الله » ، إذ كان قوله « أقوم أو أقعد باسم الله » ، يوهم سامعه أن قيامه وقعوده بمعنى غير الله .

قيل له ، وبالله التوفيق : إن المقصودَ إليه من معنى ذلك غيرُ ما توهمته في نفسك . وإنما معنى قوله « بسم الله » : أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء ،

(١) الحديث ١٣٨ — مضمي مختصراً ، بهذا الإسناد ١٣٧ . وفصلنا القول فيه هناك .

أو أقرأ بتسميتي الله ، أو أقوم وأقعد بتسميتي الله وذكره - لا أنه يعنى بقيله « بسم الله » : أقوم بالله ، أو أقرأ بالله ، فيكون قول القائل : أقرأ بالله ، أو أقوم أو أقعد بالله - أولى بوجه الصواب في ذلك من قوله « بسم الله » .

فإن قال : فإن كان الأمر في ذلك على ما وصفت ، فكيف قيل : « بسم الله » وقد علمت أن الاسم اسم ، وأن التسمية مصدر من قولك سَمَّيت ؟

قيل : إن العرب قد تخرج المصادر مبهمة على أسماء مختلفة ، كقولهم : أكرمت فلاناً كرامة . وإنما بناء مصدر « أفعلت » - إذا أخرج على فعله « الإفعال » . وكقولهم : أهنت فلاناً هواناً ، وكلمته كلاماً . وبناء مصدر : « فَعَّلْتُ » التفعيل .

ومن ذلك قول الشاعر :

أَكْفَرًا بِصَدْرَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وبعد عَطَائِكَ الْمِثَّةَ الرَّثَاعَا^(١)

يريد : إعطائك . ومنه قول الآخر :

وَإِنْ كَانَ هَذَا الْبُخْلُ مِنْكَ سَجِيَّةً لقد كُنْتُ فِي طَوْلِ رَجَاءِكَ أَشْعَبَا^(٢)

يريد : في إطالتي رجاءك . ومنه قول الآخر :

أُظْلِمَ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا ، أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ، ظُلْمٌ^(٣)

يريد : إصابتكم . والشواهد في هذا المعنى تكثر ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق

لفهمه .

(١) الشعر للقطامي ديوانه : ٤١ ، ويأتى في تفسير آية سورة يوسف : ١٢ (ج ١٢ ص ٩٤ بولاق) . يقوله لزفر بن الحارث الكلابي ، وكان أسره في حرب ، فن عليه وأعطاه مئة من الإبل ، ورد عليه ماله . يقول : أأكفر بما أوليتني ، وقد أعطيت ما أعطيت . والعطاء بمعنى الإعطاء ، ولذلك نصب به « المئة » . والرتاع جمع راتع : يعنى الإبل ترتع في مرعى خصب تذهب فيه وتجيء .

(٢) لم أجد البيت . وأشعب : الطماع الذي يضرب به المثل في الطمع المستمر .

(٣) الشعر للحارث بن خالا المخزومي ، الأغاني ٩ : ٢٢٥ - ٢٢٦ ، وهذا البيت الذي من أجله أشخص الواصل إليه أبا عثمان المازني النحوي ، وله قصة . انظر الأغاني ٩ : ٢٣٤ وغيره ، وفي المطبوعة : « أظلم » ، والصواب من المخطوطة ، والأغاني وأمالى الشجري ١ : ١٠٧ وغيرها . وهذه الشواهد السالفة استشهاد من الطبري على أن الأسماء تقوم مقام المصادر فتعمل عملها في النصب . وظلم : هي أم عمران ، زوجة عبد الله بن مطيع ، وكان الحارث ينسب بها ، فلما مات زوجها تزوجها .

فإذ كان الأمر — على ما وصفنا ، من إخراج العرب مصادر الأفعال على غير بناء أفعالها — كثيراً ، وكان تصديرها إياها على مخارج الأسماء موجوداً فاشياً^(١) ، فبيّن بذلك صواب ما قلنا من التأويل في قول القائل «بسم الله» ، أن معناه في ذلك عند ابتدائه في فعل أو قول : أبدأ بتسمية الله قبل فعل أو قبل قول . وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن : «بسم الله الرحمن الرحيم» ، ٤٠/١ ، إنما معناه : أقرأ مبتدئاً بتسمية الله ، أو أبتدئ قراءتي بتسمية الله . فجعل «الاسم» مكان «التسمية» ، كما جعل الكلام مكان التكليم ، والعطاء مكان الإعطاء . وبمثل الذي قلنا من التأويل في ذلك ، روى الخبر عن عبد الله بن عباس .

١٣٩ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، قال : حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال : «يا محمد ، قل : أستعِذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم» ، ثم قال : «قل : بسم الله الرحمن الرحيم» . قال : ابن عباس : «بسم الله» يقول له جبريل : يا محمد ، اقرأ بذكر الله ربك ، وقم واقعد بذكر الله^(٢) .

وهذا التأويل من ابن عباس ينبئ عن صحة ما قلنا — من أنه يراد بقول القائل مفتتحاً قراءته : «بسم الله الرحمن الرحيم» : أقرأ بتسمية الله وذكره ، وأفتح القراءة بتسمية الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی — ويوضح فساد قول من زعم أن معنى ذلك من قائله : بالله الرحمن الرحيم أول كل شيء^(٣) ، مع أن العباد

(١) أراد بقوله : «تصديرها» : أي جعلها مصادر تصدر عنها صوادر الأفعال ، وذلك كقولك : ذهب ذهاباً ، فذهب صدرت عن قولك «ذهاب» ، ويعمل عندئذ عمل الفعل . وعنى أنهم يخرجون المصدر على وزن الاسم فيعمل عمله ، كقولك «الكلام» هو اسم ما تتكلم به ، ولكنهم قالوا : كلمته كلاماً ، فوضعوا موضع التكليم ، وأخرجوا من «كلم» مصدراً على وزن اسم ما تتكلم به ، وهو الكلام ، فكان المصدر : «كلاماً» .

(٢) الحديث ١٣٩ — مضى هذا الخبر وتخرجه ، برقم ١٣٧ .

(٣) قوله : «يوضح» ساقطة من المطبوعة . وفيها مكان : «أول كل . . .» ، «في كل . . .» .

إنما أميروا أن يبتدئوا عند فواتح أمورهم بتسمية الله ، لا بالخبر عن عظمتة وصفاته ، كالذي أميروا به من التسمية على الذبائح والصييد ، وعند المَطْعَم والمشرب ، وسائر أفعالهم . فكذلك الذي أميروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله ، وصدور رسائلهم وكتبهم .

ولا خلاف بين الجميع من علماء الأمة ، أن قائلًا لو قال عند تذكّيته بعض بهائم الأنعام (١) : « بالله » ولم يقل : « بسم الله » أنه مخالف — بتركه قيل : « بسم الله » — ما سُئِنَ له عند التذكّية من القول . وقد علم بذلك أنه لم يُرد بقوله « بسم الله » « بالله » ، كما قال الزاعم أن اسم الله في قول الله : « بسم الله الرحمن الرحيم » هو الله . لأن ذلك لو كان كما زعم ، لوجب أن يكون القائل عند تذكّيته ذبيحته « بالله » ، قائلًا ما سُئِنَ له من القول على الذبيحة . وفي إجماع الجميع على أن قائل ذلك تارك ما سُئِنَ له من القول على ذبيحته — إذ لم يقل « بسم الله » — دليل واضح على فساد ما ادّعى من التأويل في قول القائل : « بسم الله » ، أنه مراد به « بالله » ، وأن اسم الله هو الله .

وليس هذا هو الموضع من مواضع الإبانة عن الاسم : أهو المسمى ، أم غيره ، أم هو صفة له ؟ فنطيل الكتاب به ، وإنما هذا موضع من مواضع الإبانة عن الاسم المضاف إلى الله : أهو اسم ، أم مصدر بمعنى التسمية (٢) ؟

(١) التذكّية : النحر والذبح . ذكيت الشاة تذكّية : ذبحتها .
(٢) استجاد أبو جعفر رضى الله عنه خير الراى لحجته . والذي كتبه قبل ، وما يأتى بعد ، من أقوم ما قيل في شرح هذا الموضع الذى لجت فيه العقول والأقلام . وبيان ما قال أبو جعفر : إن قولك « اسم » في « بسم الله » ، إنما هو اسم مصدر (أو اسم حدث) ، أى هو فى الأصل اسم لما تفعل من تسميتك الشيء ، مثل « الكلام » اسم حدث لما تفعل من التكليم ، ومثل « العطاء » اسم حدث لما تفعل من الإعطاء ، ومثل « الغسل » اسم حدث لما تفعل من الاغتسال . وكان أصله من قولك « سموت الشيء سموا » ، فأما تواتر فعله الثلاثى وبقى مصدره ، « سمو » ، فحذفوا واوه المتطرفة ، فصار « سم » فأعاضوه منها ألفاً فى أوله ، فصار « اسم » ، كما كان قولك : « كلام » من فعل ثلاثى هو « كلم » كلاماً ، على مثال « ذهب ذهاباً » ، فأما تواتر الفعل الثلاثى وبقى مصدره « كلام » ، فجعلوه اسم حدث لما تفعل من التكليم ، ثم أخرجوا مصدر الرباعى على مخرج اسم هذا الحدث ، فقالوا : « كلم يكلم كلاماً » ، بمعنى « كلم يكلم تكليماً » .

فإن قال قائل : فما أنت قائلٌ في بيت لبيد بن ربيعة :

إلى الحَوْلِ ، ثم اسمُ السلامِ عليكما ، ومن يَبْكِ حَوْلًا كاملاً فقد اعتذر^(١)
فقد تأوله مُقدِّم في العلم بلغة العرب ، أنه معنى به : ثم السلام عليكما ، وأن
اسمَ السلام هو السلام ؟^(٢)

قيل له : لوجاز ذلك وصح تأويله فيه على ما تأول ، لحاز أن يقال : رأيتُ
اسمَ زيد ، وأكلتُ اسمَ الطعام ، وشربتُ اسمَ الشراب ؛ وفي إجماع جميع العرب
على إحالة ذلك ، ما ينبئ عن فساد تأويل من تأول قول لبيد : « ثم اسم السلام

فكذلك فعلوا في قولهم « سمي يسمى تسمية » : أخرجوا لهذا الرباعي مصدراً على مخرج اسم الحدث وهو « اسم » ، فقالوا : « سمي يسمى اسماً » ؛ بمعنى « سمي يسمى تسمية » . فقولك « كلام » بمعنى « تكليم » وقولك « اسم » بمعنى « تسمية » صُدِّرا على مخرج أسماء الأحداث . وإذن فالمضاف إلى اسمه تعالى في قولك « بسم الله » وأشباهاها ، إنما هو مصدر صدر على مخرج اسم الحدث ، وهو اسم ، من فعل رباعي هو « سمي يسمى » ، فكان بمعنى مصدره وهو « تسمية » . وهو في هذا المكان وأمثاله بمعنى المصدر « تسمية » ، لا بمعنى اسم الحدث لما تفعل من التسمية . (انظر : ١٢٣-١٢٤ ، كلام الطبري في «أله»)
وهذا الذي قاله أبو جعفر رضي الله عنه أبرع ما قيل في شرح هذا الحرف من كلام العرب . وقد أحسن النظر وأدقه ، حتى خفي على جلة العلماء الذين تكلموا في شرح معنى « اسم » في « بسم الله » وأشباهاها ، فأغفلوه إغفالا لحفائه ووعورة مآتاه ، وإلفهم للكلام في الذي افتتحوه من القول في « الاسم » ، أهو المسمى أم غيره ، أم هو صفة له ، وما رسمه وما حده ؟ وهذا باب غير الذي نحن فيه ، فخلطوا فيه خلطاً ، فجاء الطبري فحصى الحق تمحيصاً ، وهو أرجح الآراء عندنا وأولاها بالتقديم ، لمن وفق لفهمه ، كما يقول أبو جعفر غفر الله له . وسيدكر بعد من الحجة ما يزيد المعنى وضوحاً وبياناً . ولولا خوف الإطالة ، لأتيت بالشواهد على ترجيح قول الطبري الذي أغفلوه ، على كل رأى سبقه أو أتى بعده .

(١) ديوانه ، القصيدة رقم : ٢١ ، والحزنة ٢ : ٢١٧ ، ثم يأتي في تفسير آية سورة التوبة : ٩٠ (١٠ : ١٤٤ بولاق) ، وآية سورة الرعد : ٣٥ (١٣ : ١٠٩) . والشعر يقوله لابنتيه ، إذ قال :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ !

ثم أمرهما بأمره فقال قبل بيت الشاهد :

فَقُومًا فَقُولَا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْنَا وَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا شَعْرَ
وَقُولَا : هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَ أَضَاعَ ، وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ ، وَلَا غَدَرَ

فقوله « إلى الحول . . . » أي افعل ذلك إلى أن يحول الحول . والحول : السنة كاملة بأسرها . وقوله « اعتذر » هنا بمعنى أعذر : أي بلغ أقصى الغاية في العذر .

(٢) هذا المقدم في العلم بلغة العرب ، هو أبو عبيدة معمر بن المثنى ، في كتابه مجاز القرآن :

١٦ . وقد وقع بين ما ضفى أسد ! وهذا الذي يأتي كله تقرير مريير من أبي جعفر لأبي عبيدة .

عليكما » ، أنه أراد : ثم السلام عليكما ، وادّعائه أن إدخال الاسم في ذلك وإضافته إلى السلام إنما جاز ، إذ كان اسم المسمّى هو المسمّى بعينه .
ويُسأل القائلون قول من حكينا قوله هذا ، فيقال لهم : أتستجيزون في العربية أن يقال : « أكلتُ اسمَ العسل » ، يعني بذلك : أكلت العسل ، كما جاز عندكم : اسم السلام عليك ، وأنتم تريدون : السلامُ عليك ؟
فإن قالوا : نعم ! خرجوا من لسان العرب ، وأجازوا في لغتها ما تخطّئه جميع العرب في لغتها . وإن قالوا : لا ، سئلوا الفرقَ بينهما : فلن يقولوا في أحدهما قولاً إلا ألزموا في الآخر مثله .

فإن قال لنا قائل : فما معنى قول ليبد هذا عندك ؟

قيل له : يحتمل ذلك وجهين ، كلاهما غير الذي قاله من حكينا قوله .
أحدهما : أن « السلام » اسمٌ من أسماء الله ، فجاثر أن يكون ليبد عنى بقوله : « ثم اسم السلام عليكما » ، ثم ألزما اسمَ الله وذكره بعد ذلك ، ودعا ذكرى والبكاء على ، على وجه الإغراء . فرفع الاسم ، إذ أخر الحرف الذي يأتي بمعنى الإغراء .^(١) وقد تفصلُ العرب ذلك ، إذا أخرت الإغراء وقدمت المغرّى به ، وإن كانت قد تنصبُ به وهو مؤخر . ومن ذلك قول الشاعر :

يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ دَلَوِي دُونَكَ ! إني رأيتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ !^(٢)

فأغرّى بـ « دونك » وهي مؤخرة ، وإنما معناه : دونك دلوي . فكذلك قول ليبد :

• إلى الحَوْلِ ، ثُمَّ اسمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا •

يعنى : عليكما اسمَ السلام ، أى ألزما ذكر الله ودعا ذكرى والوجدَ بـ ،

لأن من بكى حَوْلًا على امرئ ميت فقد اعتلر . فهذا أحد وجهيه .

(١) في المطبوعة : « إذا وآخر » . وقوله « فرفع الاسم » ، يعنى ما في قول ليبد « ثم اسم » ، وكان حقه أن ينصب على الإغراء لو قال : « ثم عليكما اسم السلام » بتقديم الإغراء .

(٢) هذا رجز في خبر طويل ، الخزانة ٣ : ١٧ قيل هزأ برجل ألقوه في بئر ثم رجزوا به . والمائح : هو الرجل الذى ينزل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها ، فيلقى الدلاء فيملؤها بيده ويميح لأصحابه .

والوجه الآخر منهما : ثم تسميتي الله عليكما ، كما يقول القائل للشيء يراه فيعجبه : « اسم الله عليك » يعوذه ، بذلك من سوء ، فكأنه قال : ثم اسم الله عليكما من سوء ، وكأن الوجه الأول أشبه المعنيين بقول لبيد^(١) .

ويقال لمن وجه بيت لبيد هذا إلى أن معناه : ثم السلام عليكما ، أترى ما قلنا — من هذين الوجهين — جائزاً ، أو أحدهما ، أو غير ما قلت فيه ؟

فإن قال : لا ! — أبان مقداره من العلم بتصاريف وجوه كلام العرب ، وأغنى خصمه عن مناظرته .

وإن قال : بلى !

قيل له : فما برهانك على صحة ما ادّعت من التأويل أنه الصواب ، دون الذي ذكرت أنه محتمل — من الوجه الذي يلزمنا تسليمه لك ؟ ولا سبيل إلى ذلك .

وأما الخبر الذي : —

١٤٠ — حدثنا به إسماعيل بن الفضل ، قال : حدثنا إبراهيم بن العلاء ابن الضحاك [وهو يلقب بزبريق] قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن ابن أبي مليكة ، عن حدثه ، عن ابن مسعود — وميسرة — ابن كيدآم ، عن عطية ، عن أبي سعيد — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عيسى بن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه ، فقال له المعلم : اكتب « بسم » فقال له عيسى : وما « بسم » ؟ فقال له المعلم : ما أدري ! فقال عيسى : الباء بهاء الله ، والسين سناؤه ، والميم مملكته^(٢) .

(١) الأول بغير شك أول الأقوال بالصواب . فإنه كان قد أمر ابتتيه — كما قدمنا في أبياته السالفة ، أن تقوما لتنوحا عليه بما أمرهما من نديه وتأيينه ورثائه ، وأن تفعل ذلك منذ يموت إلى أن يحول عليه الحول ، فلا معنى بعد أن يلقى السلام عليهما ، أى تحية المفارق ، بعد الحول ، فقد فارقهما منذ حول كامل . وأولى به أن يدعو لهما ، أو يستكفهما عما أمرهما به ، إذ قضتا ما أمرهما على الوجه الذي أحب ، « ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر » ، كأنه قال : كفا عندئذ عما أمرتكما ، فإن من بكى حولا فقد بلغ أقصى ما يسهه العذر . فسياق الشعر يقطع بترجيح ما ذهب إليه الطبرى عامة ، وإلى الجزم بأن معنى « ثم اسم السلام عليكما » هو : الزما ذكر الله ، ودعا ذكرى ، والبكاء على ، والوجد بى .

(٢) الحديث ١٤٠ — هذا حديث موضوع ، لا أصل له . وهو أطول من هذا ، وسيأتى بعضه برفعى ١٤٥ ، ١٤٧ ، فصل الطبرى كل قسم منه في موضعه ، وفيه زيادة أخرى ، في تفسير كلمات

— فأخشى أن يكون غلطاً من المحدث ، وأن يكون أراد [ب س م] ، على سبيل ما يعلم المبتدئ من الصبيان في الكتاب حروف أبي جاد ، فغلط بذلك فوصله ، فقال : « بسم » ، لأنه لا معنى لهذا التأويل إذا تلى « بسم الله الرحمن الرحيم » ، على ما يتلوه القارئ في كتاب الله ، لاستحالة معناه عن المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها ، إذا حُمِلَ تأويله على ذلك .

القول في تأويل قول الله : ﴿ الله ﴾ .

قال أبو جعفر : وأما تأويل قول الله تعالى ذكره « الله » ، فإنه على معنى ما روى لنا عن عبد الله بن عباس — : هو الذي يآلهه كل شيء ، ويعبده كل خلق .

« أبجد هوز » ، إلخ . رواه بطوله ابن حبان الحافظ ، في كتاب المجروحين ، في ترجمة إسماعيل بن يحيى ابن عبد الله التيمي ، رقم : ٤٤ ص ٨٥ ، وقال في إسماعيل هذا : « كان ممن يروى الموضوعات عن الثقات ، وما لا أصل له عن الأثبات ، لا تحل الرواية عنه ، ولا الاحتجاج به بحال » . ثم ضرب مثلاً من أكاذيبه ، فروى الحديث بطوله ، عن محمد بن يحيى بن رزين العطار عن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك ، بالإسناد الثاني الذي هنا ، من حديث أبي سعيد الخدري . وذكره ابن كثير في التفسير ١ : ٣٥ نقلاً عن ابن مردويه ، من حديث أبي سعيد وحده ، جمع فيه الأقسام الثلاثة التي فرقت هنا . ثم أشار إلى رواية الطبري إياه . ثم قال : « وهذا غريب جداً ، وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات » ! وما أدري كيف فات الحافظ ابن كثير أن في إسناده هذا الكذاب ، فتسقط روايته بكرة ، ولا يحتاج إلى هذا التردد . وأما السيوطي ، فقد ذكره في الدر المنثور ١ : ٨ ، ونسبه لابن جرير وابن عدى في الكامل وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخ دمشق والثعلبي ، ولم يغفل عن علته ، فذكر أنه « بسند ضعيف جداً » . وترجم الذهبي في الميزان ١ : ١١٧ ، وتبعه ابن حجر في لسان الميزان ١ : ٤٤١ — ٤٤٢ لإسماعيل بن يحيى هذا ، وفي ترجمته : « قال صالح بن محمد جزرة : كان يضع الحديث . وقال الأزدى : ركن من أركان الكذب ، لا تحل الرواية عنه . . . وقال أبو علي النيسابوري الحافظ والدراقطني والحاكم : كذاب » . وقال ابن حجر : « مجمع على تركه » . وذكر هو والذهبي هذا الحديث مثلاً من أكاذيبه .

ثم إن إسناده الأول ، الذي رواه إسماعيل بن يحيى عن أبي مليكة ، فيه أيضاً راو مجهول ، وهو « من حدثه عن ابن مسعود » . وإسناده الثاني ، الذي رواه إسماعيل هذا عن مسعر بن كدام ، فيه أيضاً « عطية ابن سعد بن جنادة العموي » ، وهو ضعيف ، ضعفه أحمد وأبو حاتم وغيرهما .

والزيادة بين قوسين ، في لقب إبراهيم بن العلاء من المخطوطة . و « زبريق » : بكسر الزاي والراء بينهما باء موحدة ساكنة . وهو لقب إبراهيم ، فيما قيل . والصحيح أنه لقب أبيه ، فقد قال البخاري في ترجمته في الكبير ٣٠٧/١/١ : « زعم إبراهيم أن أباه كان يدعى زبريق » . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٢١/١/١ : « إبراهيم بن العلاء . . . يعرف بابن الزبريق » .

١٤١ - وذلك أن أبا كريب حدثنا ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوَّاق ، عن الضحاك ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : « الله » ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين ^(١) .
فإن قال لنا قائل : فهل لذلك في « فعل ويفعل » أصل كان منه بناءٌ هذا الاسم ؟
قيل : أمّا سماعاً من العرب فلا ، ولكن استدلالاً .
فإن قال : وما دلّ على أن الألوهية هي العبادة ، وأنّ الإله هو المعبود ، وأنّ له أصلاً في « فعل ويفعل » .

قيل : لا تمنع بين العرب في الحكم لقول القائل ^(٢) - يصف رجلاً بعبادة ، وبطلب ما عند الله جل ذكره : « تأله فلان » - بالصحة ولا خلاف . ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج :

للهِ دَرُُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّةِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأْلِهِ ^(٣)
يعنى : من تعبدى وطلبى الله بعملى .

ولا شك أنّ « التأله » ، التفعّل من « ألّه يألّه » ، وأن معنى « ألّه » - إذا نُطق به : - عَبَدَ الله . وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ « فعل يفعل » ، بغير زيادة .

١٤٢ - وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن نافع ابن عمر ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس : أنه قرأ ﴿ وَيَذَرَكْ وَالْأَهْتَكْ ﴾ ٤٢/١ [سورة الأعراف : ١٢٧] قال : عبادتك ، ويقال : إنه كان يُعبد ولا يُعبد .

(١) الحديث ١٤١ - إسناد هذا الخبر ضعيف ، كما فصلنا القول فيه ، في إسناد الخبر ١٣٧ . وهذا الذى هنا نقله السيوطى في الدر المنثور ١ : ٨ مع باقيه الآتى برقم ١٤٨ بإسناد نفسه . ونسبه السيوطى لابن جرير (وكتب فيه : ابن جريج ، خطأ مطبعياً) ، وابن أبي حاتم .
(٢) قوله « لا تمنع » ، أى لا اختلاف بينهم ، يدعوا بعضهم إلى دفع ما يقوله الآخر . وسيأتى مثله في ص : ١٢٦ .

(٣) ديوانه : ١٦٥ . المدّة : جمع مادّة . ومدّه فلاناً يمدّه مدّها : نعت هيبته وجماله وأثني عليه ومدحه . و « استرجعن » : قلن : إنا لله وإنا إليه راجعون . يقلن حيرة عليه كيف تنسك وهجر الدنيا ، بعد الذى كان من شبابه وجماله وصبوته !

١٤٣ - حدثنا سفيان ، قال : حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو بن الحسن ، عن ابن عباس : ﴿ وَيَذَرُكَ وَإِلَهِتَكَ ﴾ ، قال : إنما كان فرعون يُعبد ولا يعبد^(١) .
وكذلك كان عبد الله يقرؤها ومجاهد .

١٤٤ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : أخبرني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : قوله « وَيَذَرُكَ وَإِلَهِتَكَ » قال : وعبادتك^(٢) .
ولا شك أن الإلاهة - على ما فسر ابن عباس ومجاهد - مصدر من قول القائل : أله الله فلان إلاهة ، كما يقال : عبد الله فلان عبادة ، وعبر الرؤيا عبارة . فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا : أن « أله » عبد ، وأن « الإلاهة » مصدره .

فإن قال : فإن كان جائزاً أن يقال لمن عبد الله : أله - على تأويل قول ابن عباس ومجاهد - فكيف الواجب في ذلك أن يقال ، إذا أراد المخبر الخبر عن استيجاب الله ذلك على عبده ؟

(١) الخبران ١٤٢، ١٤٣ - إسناداهما ضعيفان ، من أجل « سفيان بن وكيع بن الجراح » ، شيخ الطبري فيهما ، وسفيان هذا : ضعيف ، كان أبوه إماماً حجة ، وكان هو رجلاً صالحاً ، ولكن وراقه أفسد عليه حديثه ، وأدخل عليه ما ليس من روايته . ونصحنا العلماء أن يدعه فلم يفعل ، فن أجل ذلك تركوه . قال ابن حبان في كتاب المجروحين ، رقم ٤٧٠ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ : « فن أجل لإصراره على ما قيل له استحق الترك » .

وهذان الخبران ، سيذكرهما الطبري في تفسير آية سورة الأعراف : ١٢٧ (٩ : ١٨ بولاق) ، وهناك شيء من التحريف في أحدهما . ونقل معناهما السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٠٧ .
والقراءة الصحيحة المعروفة : (ويذرك وإلهتك) . وأما هذه القراءة « وإلاهتك » ، فقد نقلها صاحب إتحاف البشر : ٢٢٩ عن ابن عبيد بن عمير والحسن . ونقلها ابن خالويه في كتاب القراءات الشاذة : ٤٥ عن علي وابن مسعود وابن عباس . وذكرها أبو حيان في البحر ٤ : ٣٦٧ عن هؤلاء الثلاثة « وأنس وجماعة غيرهم » .

(٢) الخبر ١٤٤ - الحسين بن داود : اسمه « الحسين » ولقبه « سنيذ » ، بضم السين المهملة وفتح النون . واشتهر بهذا اللقب ، وترجم به في التهذيب ٤ : ٢٤٤ - ٢٤٥ ، وفي الجرح والتعديل ٣٢٦/١/٢ . وحجاج : هو ابن محمد المصيصي ، من شيوخ الإمام أحمد . وهذا الأثر عن مجاهد ، سيرويه الطبري في تفسير آية الأعراف (٩ : ١٨ بولاق) - بإسناد آخر .

قيل : أما الروايةُ فلا رواية فيه عندنا ، ولكن الواجب — على قياس ما جاء به الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي : —

١٤٥ — حدثنا به إسماعيل بن الفضل ، حدثنا إبراهيم بن العلاء ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن ابن أبي مليكة ، عن حدثه عن ابن مسعود — ومِسْعَر ابنِ كَدَّام ، عن عطية العوفى ، عن أبي سعيد — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم اكتب « الله » فقال له عيسى : « أتدرى ما الله ؟ الله إلهُ الآلهة (١) » . — أن يقال (٢) : اللهُ جل جلاله ألهُ العبدِ ، والعبدُ ألهه . وأن يكون قولُ القائل « الله » — من كلام العرب أصله « الإله » .

فإن قال : وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ، مع اختلاف لفظيهما ؟ قيل : كما جاز أن يكون قوله : ﴿ لَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] أصله : لكن أنا ، هو الله ربى ، كما قال الشاعر :

وَتَرْمِيَنِي بِالطَّرْفِ ، أَي أَنْتَ مُذْنِبٌ ، وَتَقْلِيَنِي ، لَكِنَّ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي (٣)

يريد : لكن أنا إياك لا أقلى ، فحذف الهمزة من « أنا » فالتقت نون « أنا » ونون « لكن » وهى ساكنة ، فأدغمت فى نون « أنا » فصارتا نونا مشددة . فكذلك « الله » أصله « الإله » ، أسقطت الهمزة التى هى فاء الاسم ، فالتقت اللام التى هى عين الاسم ، واللام الزائدة التى دخلت مع الألف الزائدة وهى ساكنة ، فأدغمت فى

(١) الحديث ١٤٥ — هو حديث لا أصل له . وهو جزء من الحديث الموضوع الذى روى الطبرى بعضه فيما مضى ١٤٠ ، بهذا الإسناد . وفصلنا القول فيه هناك .

(٢) قوله : « أن يقال » من تمام قوله فى السطر الثالث « ولكن الواجب — » خبر لكن .

(٣) الأضداد لابن الأنبارى : ١٦٣ ، والخزانة ٤ : ٤٩٠ ، وقال : « لم أقف على تشته وقائله ، مع أنه مشهور ، قلنا خلا منه كتاب نحوى ، والله أعلم » .

الأخرى التي هي عين الاسم ، فصارتا في اللفظ لهما واحدة مشددة ، كما وصفنا من قول الله « لكن هو الله ربى » .

القول في تأويل قوله : « الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » .

قال أبو جعفر : وأما « الرحمن » ، فهو فعْلان ، من رَحِمَ ، و « الرحيم » فعيل منه . والعرب كثيراً ما تبنى الأسماء من « فَعِيلٌ يَفْعَلُ » على « فعْلان » ، كقولهم من غَضِبَ : غَضبان ، ومن سَكِرَ : سكران ، ومن عَطَشَ : عطشان . فكذا قولهم « رَحْمَنٌ » من رَحِمَ ، لأن « فَعِيلٌ » منه : رَحِمَ يَرْحَمُ . وقيل « رحيم » ، وإن كانت عين « فَعِيلٌ » منها مكسورة . لأنه مدح . ومن شأن العرب أن يحملوا أبنية الأسماء — إذا كان فيها مدح أو ذم — على « فَعِيلٍ » . وإن كانت عين « فَعِيلٍ » منها مكسورة أو مفتوحة ، كما قالوا من « علم » عالم وعليم ، ومن « قدر » قادر وقدير . وليس ذلك منها بناء على أفعالها ، لأن البناء من « فَعِيلٍ يَفْعَلُ » و « فَعِيلٌ يَفْعَلُ » فاعل . فلو كان « الرحمن والرحيم » خارجين على بناء أفعالها ، لكانت صورتها « الراحم » . فإن قال قائل : فإذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة ، فما وجه تكرير ذلك ، وأحدهما مؤدٍ عن معنى الآخر ؟

قيل له : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت ، بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى مهما عنها .

فإن قال : وما المعنى الذى انفردت به كل واحدة منهما ، فصارت إحداهما غير مؤدية المعنى عن الأخرى ؟

قيل : أما من جهة العربية فلا تمنع^(١) بين أهل المعرفة بلغات العرب ، أن قول القائل : « الرحمن » — عن أبنية الأسماء من « فَعِيلٌ يَفْعَلُ » — أشدُّ عدولاً من قوله « الرحيم » . ولا خلاف مع ذلك بينهم ، أن كل اسم له أصل في « فَعِيلٌ يَفْعَلُ » — ثم كان عن أصله

(١) لا تمنع أى لا اختلاف بينهم ، يدعو بعضهم إلى دفع ما يقوله الآخر

من « فَعِلَ يَفْعَلُ » أشد عدولاً— أن الموصوف به مفضل على الموصوف بالاسم المبنى ٤٣/١
على أصله من « فَعِلَ يَفْعَلُ » ، إذا كانت التسمية به مدحاً أو ذمّاً . فهذا ما في
قول القائل « الرحمن » ، من زيادة المعنى على قوله « الرحيم » في اللغة .
وأما من جهة الأثر والخبر ، ففيه بين أهل التأويل اختلاف : —

١٤٦ — فحدثني السري بن يحيى التميمي ، قال : حدثنا عثمان بن زفر ،

قال : سمعت العرزمي يقول : « الرحمن الرحيم » ، قال : الرحمن بجميع الخلق ،
الرحيم ، قال : بالمؤمنين ^(١) .

١٤٧ — حدثنا إسماعيل بن الفضل ، قال : حدثنا إبراهيم بن العلاء ،

قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن ابن أبي مليكة ، عن
حدثه ، عن ابن مسعود — ومسر بن كدام ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد
يعني الخدرى — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عيسى بن مريم
قال : الرحمن رَحْمَنُ الآخرة والدنيا ، والرحيم رَحِيمُ الآخرة ^(٢) .

فهذان الخبران قد أنبا عن فرق ما بين تسمية الله جل ثناؤه باسمه الذي هو
«رحمن» ، وتسميته باسمه الذي هو «رحيم» ، واختلاف معني الكلمتين — وإن اختلفا في
معنى ذلك الفرق ، فدل أحدهما على أن ذلك في الدنيا ، ودل الآخر على أنه في الآخرة .
فإن قال : فأى هذين التأويلين أولى عندك بالصحة ؟

(١) الأثر ١٤٦ — نقله ابن كثير في التفسير ١ . ٤٠ عن هذا الموضع . و « السري بن يحيى
ابن السري التميمي الكوفي » . شيخ الطبري ، لم نجد له ترجمة إلا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم
٢٨٥/١/٢ ، وقال : « لم يقض لنا السماع منه ، وكتب إلينا بشيء من حديثه ، وكان صدوقاً » .
و « العرزمي » المروي عنه هذا الكلام هنا . ضعيف جداً ، قال الإمام أحمد في المسند ٦٩٣٨ :
« لا يساوى حديثه شيئاً » . وهو « محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العرزمي » . وأما عمه « عبد الملك بن
أبي سليمان العرزمي » ، فإنه تابعي ثقة ، ولكنه قديم ، مات سنة ١٤٥ ، فلم يدركه « عثمان بن زفر »
المتوفى سنة ٢١٨ . و « العرزمي » بفتح العين المهملة وسكون الراء وبعدها زاي ، نسبة إلى « عرزم » .
ووقع هنا في الطبري وابن كثير « العرزمي » ، بتقديم الزاي على الراء ، وهو تصحيف .

(٢) الحديث ١٤٧ — هذا إسناد ضعيف ، بل إسنادان ضعيفان ، كما فصلنا فيما مضى :

قيل : لجميعهما عندنا في الصحة مخرج ، فلا وجه لقول قائل : أيُّهما أولى بالصحة ؟ وذلك أنَّ المعنى الذي في تسمية الله بالرحمن ، دون الذي في تسميته بالرحيم : هو أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه ، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه ، إما في كل الأحوال ، وإما في بعض الأحوال . فلا شك - إذ كان ذلك كذلك - أنَّ ذلك الخصوص الذي في وصفه بالرحيم ، لا يستحيل عن معناه ، في الدنيا كان ذلك أو في الآخرة ، أو فيهما جميعاً .

فإذ كان صحيحاً ما قلنا من ذلك - وكان الله جل ثناؤه قد خصَّ عباده المؤمنين في عاجل الدنيا بما لطف بهم من توفيقه إياهم لطاعته ، والإيمان به وبرسله ، واتباع أمره واجتناب معاصيه ؛ مما خُدِّل عنه من أشرك به ، وكفر ، وخالف ما أمره به ، وركب معاصيه ؛ وكان مع ذلك قد جعلَ ، جلَّ ثناؤه ، ما أعد في آجل الآخرة في جناته من النعيم المقيم والفوز المبين ، لمن آمن به ، وصدق رسله ، وعمل بطاعته ، خالصاً ، دون من أشرك وكفر به - (١) كان بيّناً أن الله قد خص المؤمنين من رحمته في الدنيا والآخرة ، مع ما قد عمَّهم به والكفار في الدنيا من الإفضال والإحسان إلى جميعهم في البَسْط في الرزق ، وتسخير السحاب بالغَيْثِ ، وإخراج النبات من الأرض ، وصحة الأجسام والعقول ، وسائر النعم التي لا تُحصى ، التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون .

فربُّنا جل ثناؤه رحمنٌ جميع خلقه في الدنيا والآخرة ، ورحيمٌ المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة . فأما الذي عمَّ جميعهم به في الدنيا من رحمته فكان رحماناً لهم به ، فما ذكرنا مع نظائره التي لا سبيل إلى إحصائها لأحد من خلقه ، كما قال جل ثناؤه :

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٤ ، سورة النحل : ١٨] .

وأما في الآخرة ، فالذي عمَّ جميعهم به فيها من رحمته ، فكان لهم رحماناً ، في تسويته

(١) جواب قوله « فإذا كان صحيحاً » . وما بينهما فصل .

بين جميعهم جل ذكره في عدله وقضائه ، فلا يظلم أحداً منهم مثقال ذرة ، وإن تلك حسنة يُضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ، وتوفى كل نفس ما كَسَبَتْ. فذلك معنى عمومته في الآخرة جميعهم برحمته ، الذي كان به رحماناً في الآخرة. وأما ما خص به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته ، الذي كان به رحباً لهم فيها ، كما قال جل ذكره : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [سورة الأحزاب : ٤٣] -
فما وصفنا من اللطف لهم في دينهم ، فخصهم به ، دون من خذله من أهل الكفر به . ٤٤/١
وأما ما خصهم به في الآخرة ، فكان به رحباً لهم دون الكافرين ، فما وصفنا آنفاً
مما أعد لهم دون غيرهم من النعيم ، والكرامة التي تقصر عنها الأماني .
وأما القول الآخر في تأويله فهو ما :-

١٤٨- حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر
ابن عمار ، قال : حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال :
الرحمن ، الفعلان من الرحمة ، وهو من كلام العرب . قال : الرحمن الرحيم : الرقيق الرفيق بمن
أحب أن يرحمه ، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه^(١) . وكذلك أسماؤه كلها .
وهذا التأويل من ابن عباس يدل على أن الذي به ربنا رحمن ، هو الذي به
رحيم ، وإن كان لقوله «الرحمن» من المعنى ، ما ليس لقوله «الرحيم» . لأنه جعل معنى
«الرحمن» بمعنى الرقيق على من رقى عليه ، ومعنى «الرحيم» بمعنى الرفيق بمن
رفق به .

والقول الذي روينا في تأويل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرناه
عن العرزمي^(٢) ، أشبه بتأويله من هذا القول الذي روينا عن ابن عباس . وإن

(١) الحديث ١٤٨ - نقله ابن كثير في التفسير ١ : ٤١ عن هذا الموضع ، وقد مضى الكلام
في هذا الإسناد ، وبيان ضعفه : ١٢٧ ، ١٤١ . والنسبة في الدر المنثور ١ : ٨ - ٩ «عل من أحب
أن يعنف عليه العذاب» ، والظاهر أنه تصرف من ناسخ أو طابع .

(٢) إشارة إل ما مضى : ١٤٦ ، ووقع في الأصول هنا «العرزمي» أيضاً ، بتقديم الزاي ، وهو
خطأ ، كما بينا من قبل .

كان هذا القول موافقاً معناه معنى ذلك ، في أن للرحمن من المعنى ما ليس للرحيم ، وأن للرحيم تأويلاً غير تأويل الرحمن .

والقول الثالث في تأويل ذلك ما :-

١٤٩- حدثني به عمران بن بكّار الكلاعي ، قال : حدثنا يحيى بن صالح ، قال : حدثنا أبو الأزهر نصر بن عمرو اللّخمي من أهل فلسطين ، قال : سمعت عطاء الخراساني يقول : كان الرحمن ، فلما اختزل الرحمن من اسمه كان الرحمن الرحيم^(١) . والذي أراد ، إن شاء الله ، عطاء بقوله هذا : أن الرحمن كان من أسماء الله التي لا يتسمّى بها أحد من خلقه ، فلما تسمّى به الكذاب مسيلمة - وهو اختزاله إياه ، يعني اقتطاعه من أسمائه لنفسه - أخبر الله جلّ ثناؤه أن اسمه «الرحمن الرحيم» ليفصل بذلك لعباده اسمه من اسم من قد تسمّى بأسمائه ، إذ كان لا يسمّى أحد «الرحمن الرحيم» ، فيجتمع له هذان الاسمان ، غيره جلّ ذكره . وإنما يتسمّى بعض خلقه إما رحيمًا ، أو يتسمّى رحمن . فأما «رحمن رحيم» ، فلم يجمعاً قطّ لأحد سواه ، ولا يجمعان لأحد غيره . فكأن معنى قول عطاء هذا : أن الله جلّ ثناؤه إنما فصل بتكرير الرحيم على الرحمن ، بين اسمه واسم غيره من خلقه ، اختلف معناه أو اتفقا .

والذي قال عطاء من ذلك غير فاسد المعنى ، بل جائر أن يكون جلّ ثناؤه خصّ نفسه بالتسمية بهما معاً مجتمعين ، إبانة لها من خلقه ، ليعرف عباده بذكرهما مجموعين أنه المقصود بذكرهما دون من سواه من خلقه ، مع ما في تأويل كل واحد منهما من المعنى الذي ليس في الآخر منهما .

(١) الأثر ١٤٩ - نقله السيوطي في الدر المنثور ١ : ٩ ونسبه للطبري وحده . وعطاء الخراساني هو عطاء بن أبي مسلم ، وهو ثقة ، وضعفه بعض الأئمة . وهو كثير الرواية عن التابعين ، وكثير الإرسال عن الصحابة ، في سماعه منهم خلاف . وأما الراوي عنه «أبو الأزهر نصر بن عمرو اللّخمي» ، فإن لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المراجع ، إلا قول الدولابي في الكنى والأسماء ١ : ١١٠ : «أبو الأزهر الفلسطيني نصر بن عمرو اللّخمي ، روى عنه يحيى بن صالح الوحاظي» .

وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف « الرحمن » ، ولم يكن ذلك في لغتها^(١) ، ولذلك قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٠] ، إنكاراً منهم لهذا الاسم . كأنه كان محالاً عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته ، أو : لا ، وكأنه لم يتل من كتاب الله قول الله ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾ - يعنى محمداً - ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٦] ، وهم مع ذلك به مكذّبون ، ولنبوته جاحلون ! فيعلم بذلك أنهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحته ، واستحكمت لديهم معرفته . وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء :

أَلَا ضَرَبْتَ تِلْكَ الْفَتَاةُ هَجِيئَهَا أَلَا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا^(٢)

وقال سلامة بن جندل السعدي^(٣) :

عَجَلْتُمْ عَلَيْنَا عَجَلْتَيْنَا عَلَيْكُمْ وَمَا يَشَاءُ الرَّحْمَنُ يَعْقِدُ وَيُطْلِقُ^(٤)

(١) لا يزال أهل الغباء في عصرنا يكتبونه ، ويتبجحون بذكره في محاضراتهم وكتبهم ، نقلا عن الذين يتتبعون ما سقط من الأقوال ، وهم الأعاجم الذين يؤلفون فيما لا يحسنون باسم الاستشراق . ورد الطبري مفحم لمن كان له عن الجاهل والخطأ ردة تنهاه عن المكابرة .

(٢) لم أجد قائل البيت . واستشهد به ابن سيدة في المخصص ١٧ : ١٥٢ ، وعلق على البيت محمد محمود التركي الشنقيطي ، وادعى أن البيت مصنوع ، وأن « بعض الرجال الذين يحبون إيجاد الشواهد المعلومه لدعائهم المجردة ، صنعه ولفقه ، وأن الوضع والصنعة ظاهران فيه ظهور شمس الضحى ، وركاكته تنادى جهاراً بصحة وضعه وصنعتة ، والصواب وهو الحق المجمع عليه ، أن الشاعر الجاهل المشار إليه ، هو الشنفرى الأزدى ، وهذا البيت ليس في شعره » ، وأنه ملفق من قول الشنفرى :

أَلَا لَيْتَ شِفْرِي ، وَالتَّلْهُفُ ضَلَّةٌ بِمَا ضَرَبْتَ كَفُّ الْفَتَاةِ هَجِيئَهَا

والشنقيطي رحمه الله كان كثير الاستطالة ، سريماً إلى المباهاة بعلمه وروايته . والذي قاله من إبداع الصنعة لا يقوم . وكفى بالبيت الذي يليه دليلاً على فساد زعمه أن الدافع لصنعتة : إيجاد الشواهد المعلومه ، لدعائهم المجردة . وليس في البيت ركاكة ولا صنعة .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « الطهوى » مكان السعدي ، وهو خطأ . ليس سلامة طهوي .

(٤) ديوانه : ١٩ ، وقد جاء في طبقات فحول الشعراء : ١٣١ في نسب الشاعر : سلامة بن جندل بن عبد الرحمن ، وهذه رواية ابن سلام ، وغيره يقول : « ابن عبد » ، فإن صحّت رواية ابن سلام ، فهي دليل آخر قوياً على فساد دعوى الشنقيطي .

وقد زعم أيضاً بعض من ضعف معرفته بتأويل أهل التأويل ، وقلّت روايته
٥٠/١ : لأقوال السلف من أهل التفسير ، أن « الرحمن » مجازه : ذو الرحمة ، « والرحيم » مجازه :
الراحم^(١) . ثم قال : قد يقدرون اللفظين من لفظ والمعنى واحد ، وذلك لاتساع
الكلام عندهم . قال : وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا : ندمان ونديم ، ثم استشهد ببيت
برج بن مسهر الطائي :

وَنَدَمَانِ ، يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيْبًا ، سَقَيْتُ وَقَدْ تَفَوَّرَتِ النُّجُومُ^(٢)

واستشهد بأبيات نظائره في النديم والندمان ، ففرق بين معنى الرحمن والرحيم
في التأويل لقوله : الرحمن ذو الرحمة ، والرحيم الراحم ، وإن كان قد ترك بيان تأويل
معنييهما على صحته . ثم مثل ذلك باللفظين يأتیان بمعنى واحد ، فعاد إلى ما قد
جعله بمعنيين ، فجعله مثال ما هو بمعنى واحد مع اختلاف الألفاظ .
ولاشك أن ذا الرحمة هو الذي ثبت أن له الرحمة ، وصح أنها له صفة ، وأن
الراحم هو الموصوف بأنه سيرحم ، أو قد رحم فانقضى ذلك منه ، أو هو فيه .
ولا دلالة له فيه حيثئذ أن الرحمة له صفة ، كالدلالة على أنها له صفة ، إذا وُصف
بأنه ذو الرحمة . فأين معنى « الرحمن الرحيم » على تأويله ، من معنى الكلمتين تأنيان
مقدّرتين من لفظ واحد باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ؟ ولكن القول إذا كان
على غير أصل معتمد عليه ، كان واضحاً عوارضاً .

وإن قال لنا قائل : ولم قدّم اسم الله الذي هو « الله » ، على اسمه الذي هو
« الرحمن » ، واسمه الذي هو « الرحمن » ، على اسمه الذي هو « الرحيم » ؟
قيل : لأن من شأن العرب ، إذا أرادوا الخبر عن مخبر عنه ، أن يقدّموا
اسمه ، ثم يتبعونه صفاته ونعوته . وهذا هو الواجب في الحكم : أن يكون الاسم
مقدّم ما قبل نعته وصفته ، ليعلم السامع الخبر ، عن الخبر . فإذا كان ذلك كذلك -

(١) الذي عناء الطبري ، هو أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه « مجاز القرآن » : ٢١ ، وقد نقل
أكثر كلامه الآتي بنصه .

(٢) حماسة أبي تمام ٣ : ١٣٥ ، والمؤتلف والمختلف للأصمدي : ٦٢ .

وكانَ للهَ جَلَّ ذَكَرُهُ أَسْمَاءٌ قَدْ حُرِّمَ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يُتَسَمَّوْا بِهَا ، نَحْصٌ بِهَا نَفْسُهُ دُونَهُمْ ، وَذَلِكَ مِثْلُ «الله» و«الرحمن» و«الخالق» ؛ وَأَسْمَاءٌ أَبَاحَ لَهُمْ أَنْ يُسَمَّيَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِهَا ، وَذَلِكَ : كَالرَّحِيمِ وَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ وَالْكَرِيمِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ — كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ تَقْدَّمَ أَسْمَاؤُهُ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ دُونَ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، لِيَعْرِفَ السَّامِعُ ذَلِكَ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْحَمْدُ وَالتَّعْجِيدُ ، ثُمَّ يُتَّبَعُ ذَلِكَ بِأَسْمَائِهِ الَّتِي قَدْ تَسَمَّى بِهَا غَيْرُهُ ، بَعْدَ عِلْمِ الْمُخَاطَبِ أَوْ السَّامِعِ مِنْ تَوَجُّهِهِ إِلَيْهِ مَا يَتْلُو ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي . فَبَدَأَ اللهُ جَلَّ ذَكَرُهُ بِاسْمِهِ الَّذِي هُوَ «الله» ، لِأَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ لَيْسَتْ لغيرِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، لَا مِنْ جِهَةِ التَّسْمِيَةِ بِهِ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى . وَذَلِكَ أَنَا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَى «الله» تَعَالَى ذَكَرُهُ مَعْنَى الْمَعْبُودِ^(١) ، وَلَا مَعْبُودَ غَيْرُهُ جَلَّ جَلَالُهُ ، وَأَنَّ التَّسْمِيَةَ بِهِ قَدْ حُرِّمَتْهُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَإِنْ قَصِدَ الْمُتَسَمِّيُّ بِهِ مَا يَقْصِدُ الْمُتَسَمِّيُّ بِسَعِيدٍ وَهُوَ شَقِيٌّ ، وَيَحْسَنٍ وَهُوَ قَبِيحٌ .

أَوَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ قَالَ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ : ﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ فَاسْتَكْبَرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَقْرُوبِ بِهِ ، وَقَالَ تَعَالَى فِي تَخْصُوصِهِ نَفْسَهُ بِاللَّهِ وَبِالرَّحْمَنِ : ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ، أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [سورة الإسراء : ١١٠] . ثُمَّ ثَنَّى بِاسْمِهِ الَّذِي هُوَ «الرحمن» ، إِذْ كَانَ قَدْ مَنَعَ أَيْضاً خَلْقَهُ التَّسْمِيَةَ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ قَدْ يَسْتَحِقُّ تَسْمِيَتَهُ بِبَعْضِ مَعَانِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ وَصْفُ كَثِيرٍ مِمَّنْ هُوَ دُونَ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ ، بِبَعْضِ صِفَاتِ الرَّحْمَةِ . وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَسْتَحِقَّ بَعْضُ الْأُلُوهِيَّةِ أَحَدٌ دُونَهُ . فَلِلَّذَلِكَ جَاءَ الرَّحْمَنُ ثَانِياً لِاسْمِهِ الَّذِي هُوَ «الله» . وَأَمَّا اسْمُهُ الَّذِي هُوَ «الرحيم» فَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ مِمَّا هُوَ جَائِزٌ وَصْفُ غَيْرِهِ بِهِ . وَالرَّحْمَةُ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ ذَكَرُهُ ، فَكَانَ — إِذْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْنَا — وَاقِعاً مَوَاقِعَ نَعْوَتِ الْأَسْمَاءِ اللَّوَاتِي هُنَّ تَوَابِعُهَا ، بَعْدَ تَقْدِيمِ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهَا . فَهَذَا وَجْهٌ تَقْدِيمِ اسْمِ اللَّهِ

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : «أَنَّ مَعْنَى اللَّهِ هُوَ الْمَعْبُود» .

الذى هو « الله » ، على اسمه الذى هو « الرحمن » ، واسمه الذى هو « الرحمن » ،
على اسمه الذى هو « الرحيم » (١) .

وقد كان الحسن البصرى يقول فى « الرحمن » مثل ما قلنا ، أنه من أسماء الله
التي منع التسمي بها العباد (٢) . ٤٦/١

١٥٠ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا حماد بن مسعدة ، عن عوف ،

عن الحسن ، قال : « الرحمن » اسم ممنوع (٣) .

مع أن فى إجماع الأمة من منع التسمي به جميع الناس ، ما يُغنى عن الاستشهاد
على صحة ما قلنا فى ذلك بقول الحسن وغيره .

(١) هذا الاحتجاج من أجود ما قيل ، ودقته تدل على حسن نظر أبى جعفر فيما يعرض له .
وتفسيره كله شاهد على ذلك . رحمة الله عليه .

(٢) غيره فى المطبوعة : « لعباده » .

(٣) الأثر ١٥٠ - نقله ابن كثير فى التفسير ١ : ٤١ - ٤٢ عن هذا الموضع . والسيوطى
فى الدر المنثور ١ : ٩ ، ونسبه للطبرى وحده . و « عوف » الراوية عن الحسن : هو عوف بن أبى جميلة
المبلى ، المعروف بابن الأعرابي ، وهو ثقة ثبت .

﴿ القول في تأويل فاتحة الكتاب ﴾

﴿ الحمد لله ﴾ :

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ الحمد لله ﴾ : الشكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه ، ودون كل ما برأ من خلقه^(١) ، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يُحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره أحد ، في تصحيح الآلات لطاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلّفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبّههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم . فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخرأ .

وبما ذكرنا من تأويل قول ربنا جل ذكره وتقدّست أسماؤه ﴿ الحمد لله ﴾ ، جاء الخبر عن ابن عباس وغيره : —

١٥١ — حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة : ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد صلى الله عليهما : قل يا محمد « الحمد لله » قال ابن عباس : « الحمد لله » : هو الشكر لله ، والاستخذاء لله ، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه ، وغير ذلك^(٢) .

(١) في المطبوعة « ما يرى » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير ١ : ٤٢ .
(٢) الحديث ١٥١ — هذا الإسناد سبق بيان ضعفه في ١٣٧ . و« محمد بن العلاء » شيخ الطبري : هو « أبو كريب » نفسه في الإسناد السابق ، مرة يسميه ومرة يكنيه . وهذا الحديث نقله ابن كثير في التفسير ١ : ٤٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ١ : ١١ ، والشوكاني في تفسيره الذي سماه فتح القدير ١ : ١٠ ، ونسبوه أيضاً لابن أبي حاتم في تفسيره .

١٥٢- حدثني سعيد بن عمر السكوني ، قال : حدثنا بقية بن الوليد ، قال :

حدثني عيسى بن إبراهيم ، عن موسى بن أبي حبيب ، عن الحكم بن عُمير - وكانت له صحبة - قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا قلت « الحمد لله رب العالمين » ، فقد شكرت الله ، فزادك (١) .

(١) الحديث ١٥٢ - نقله ابن كثير ١ : ٤٣ بإسناد الطبري هذا ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ١١ ونسبه للطبري والحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي « بسند ضعيف » . وإسناده ضعيف حقاً ، بل هو إسناد لا تقوم له قائمة ، كما سذكر : أما بقية بن الوليد ، فالحق أنه ثقة ، وإنما نعوا عليه التدليس ، ولا موضع له هنا ، فإنه صرح بالتحديث .

ولكن عيسى بن إبراهيم ، وهو القرشي الهاشمي ، كل البلاء منه في هذا الحديث ، وفي أحاديث من نحوه ، رواها بهذا الإسناد . وقد قال فيه البخاري في الضعفاء : ٢٧ : « منكر الحديث » ، وكذلك النسائي : ٢٢ . وترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ٣ / ٢٧١ - ٢٧٢ ، وروى عن أبيه قال : « متروك الحديث » ، وعن ابن معين : « ليس بشيء » ، وقال ابن حبان في الضعفاء ، الورقة ١٦٣ : « لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد » . وترجمته في الميزان ولسان الميزان فيها المصعب . وشيخه « موسى بن أبي حبيب » مثله : ضعيف تالف ، وقال الذهبي في الميزان : « ضعفه أبو حاتم ، وغيره ساقط . وله عن الحكم بن عُمير ، رجل قيل : له صحبة . والذي أراه أنه لم يلقه . وموسى سمع ضعفه - فتأخر عن لقى صحابي كبير » . فالبلاء من هذين أو من أحدهما .

حتى لقد شك بعض الحفاظ في وجود الصحابي نفسه « الحكم بن عُمير » ، من أجلهما ! فترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ٢ / ١٢٥ ، قال : « الحكم بن عُمير : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يذكر السماع ولا لقاء ، أحاديث منكورة ، من رواية ابن أخيه موسى بن أبي حبيب ، وهو شيخ ضعيف الحديث ، ويروى عن موسى بن أبي حبيب عيسى بن إبراهيم ، وهو ذاهب الحديث ، سمعت أبي يقول ذلك » .

وحتى إن الذهبي أنكر صحبته وترجم له في الميزان ، وأخطأ في النقل فيه عن أبي حاتم ، ذكر أنه ضعف الحكم ! وكلام أبي حاتم - كما ترى - غير ذلك . وتعقبه الحفاظ في لسان الميزان ٢ : ٢٢٧ وأثبت أنه صحابي ، بما ذكره ابن عبد البر وابن منلة وأبو نعيم والترمذي وغيرهم ، وأن الدارقطني قال : « كان يدرياً » .

وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات (ص ٥٤) في طبقة الصحابة ، وقال : « يقال إن له صحبة » . ونقل الحفاظ هذا في اللسان عن ابن حبان ، ولكن سها فزعم أنه ذكره « في ثقات التابعين » . وترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب ، رقم ٤٧٦ : باسم « الحكم بن عمرو الثمال ، وثمالة في الأزدي ، شهد بدرأ ، ورويت عنه أحاديث مناكير من أحاديث أهل الشام ، لا تصح » . وتسمية أبيه باسم « عمرو » خطأ قديم في نسخ الاستيعاب ، لأن ابن الأثير تبعه في أسد الغابة ١ : ٢٦ ، وأشار إلى الغلط فيه ، ثم ترجمه على الصواب : « الحكم بن عُمير » ١ : ٢٧ ، وترجمه ابن سعد في الطبقات ١٣٤ / ٢ / ٧ على الصواب : « الحكم بن عُمير الثمال ، من الأزدي ، وكان يسكن حمص » . وحقق الحفاظ ترجمته في الإصابة ٢ : ٣٠ تحقيقاً جيداً .

قال : وقد قيل : إن قول القائل « الحمد لله » ، ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنی ، وقوله : « الشكر لله » ، ثناء عليه بنعمه وأياديه .

وقد روى عن كعب الأحبار أنه قال : « الحمد لله » ، ثناء على الله . ولم يبين في الرواية عنه ، من أى معنى الثناء اللذين ذكرنا ذلك .

١٥٣- حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصدقي ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : حدثني عمر بن محمد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه قال : أخبرني السلولى عن كعب ، قال : من قال « الحمد لله » ، فذلك ثناء على الله (١) .

١٥٤- حدثني علي بن الحسن الخزاز ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الجرمي ، قال : حدثنا محمد بن مصعب القرقيساني ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن الأسود بن سريع : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس شيء أحب إليه الحمد ، من الله تعالى ، ولذلك أثنى على نفسه فقال : « الحمد لله » (٢) .

(١) الخبر ١٥٣ - هذا الإسناد صحيح ، وسواء صح أم ضعف ، فلا قيمة له ، إذ منتهاه إلى كعب الأحبار . وما كان كلام كعب حجة قط ، في التفسير وغيره . و « الصدقي » : بفتح الصاد والذال المهملتين ، نسبة إلى « الصدف » بفتح الصاد وكسر الدال ، وهي قبيصة من حير ، نزلت مصر . و « السلولى » ، هو : عبد الله بن ضمرة السلولى ، تابعى ثقة .

وهذا الخبر - عن كعب - ذكره ابن كثير ١ : ٤٣ دون إسناد ولا نسبة . وذكر السيوطى ١ : ١١ ونسبه للطبرى وابن أبي حاتم .

(٢) الحديث ١٥٤ - إسناده صحيح . عل بن الحسن بن عبدويه أبو الحسن الخزاز ، شيخ الطبرى : ثقة ، مترجم في تاريخ بغداد ١١ : ٣٧٤ - ٣٧٥ . و « الخزاز » : ثبت في الطبرى بالخاء والراء وآخره زاي . وفي تاريخ بغداد « الخزاز » بزاءين ، ولم نستطع الترجيح بينهما . مسلم بن عبد الرحمن الجرمي : مترجم في لسان الميزان ٦ : ٣٢ باسم « مسلم بن أبي مسلم » فلم يذكر اسم أبيه ، وهو هو . ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ : ١٠٠ ، قال : « مسلم بن أبي مسلم الجرمي » ، وهو مسلم بن عبد الرحمن ، وقال : « كان ثقة » ، نزل طرسوس ، وبها كانت وفاته . و « الجرمي » : رُسمت في أصول الطبرى ولسان الميزان « الجرمي » بدون نقط . ولكنهم لم ينصوا على ضبطه . وعادتهم في مثل هذا أن ينصوا على ضبط القليل والشاذ ، وأن يدعوا الكثير الذى يأتى على الجادة في الضبط ، والجادة في هذا الرسم « الجرمي » بالجيم ، وبذلك رسم في تاريخ بغداد ، فمن هذا أو ذاك رجحناه . و « محمد بن مصعب القرقيساني » ، و « مبارك بن فضالة » : مختلفان فيهما . وقد رجحنا توثيقهما في شرح المسند : الأول في ٣٠٤٨ ، والثاني في ٥٢١ . و « الحسن » : هو البصرى ، وقد أثبتنا في شرح صحيح ابن حبان ، في الحديث ١٣٢ أنه سمع من الأسود بن سريع .

قال أبو جعفر : ولا تمنع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم^(١) -
لقول القائل : « الحمد لله شكراً » - بالصحة . فقد تبين - إذ كان ذلك عند جميعهم
صحيحاً - أن الحمد لله قد ينطق به في موضع الشكر ، وأن الشكر قد يوضع موضع
الحمد . لأن ذلك لو لم يكن كذلك ، لما جاز أن يقال « الحمد لله شكراً » ، فيُخرَج
من قول القائل « الحمد لله » مُصدَّر : « أشكر » ، لأن الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد ،
كان خطأ أن يُصدَّر من الحمد غير معناه وغير لفظه^(٢) .

فإن قال لنا قائل : وما وجه إدخال الألف واللام في الحمد ؟ وهلاً قيل :
حمداً لله رب العالمين ؟

قيل : إن لدخول الألف واللام في الحمد ، معنى لا يؤديه قول القائل « حمداً »
بإسقاط الألف واللام . وذلك أن دخولهما في الحمد مُنْشَبِيٌّ عن أن معناه^(٣) : جميع
المحامد والشكر الكامل لله . ولو أسقطنا منه لما دلّ إلا على أن « حمداً قائل ذلك
لله ، دون المحامد كلها . إذ كان معنى قول القائل : « حمداً لله » أو « حمد الله » :

وقد ذكر السيوطي هذا الحديث في الدر المنثور ١ : ١٢ عن تفسير الطبري . ورواه أحمد في المسند
بمعناه مختصراً ١٥٦٥٠ (٣ : ٤٣٥ حلي) عن روح بن عبادة عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن
الأسود بن سريع ، قال : « قلت : يا رسول الله ، ألا أنشدك محامد حمدت بها ربّي ؟ قال : أما إن ربك
يحب الحمد » . وهذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات أثبات . وذكره ابن كثير في التفسير ١ : ٤٣
عن المسند . وكذلك ذكره السيوطي ، ونسبه أيضاً للنسائي والحاكم وغيرهما .
ورواه أحمد أيضاً ١٥٦٥٤ ، والبخاري في الأدب المفرد : ٥١ ، بنحوه ، في قصة مطولة ، من
رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن الأسود بن سريع .

ومعناه ثابت صحيح ، من حديث ابن مسعود ، في المسند ٤١٥٣ : « لا أحد أغير من الله ، ولذلك
حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، ولذلك مدح نفسه » . ورواه
أيضاً البخاري ومسلم وغيرهما .

(١) انظر ما كتبناه آنفاً : ١٢٦ عن معنى « لا تمنع » .
(٢) تكلم العلماء في نقض ما ذهب إليه أبو جعفر من أن « الحمد والشكر » بمعنى ، وأن أحدهما
يوضع موضع الآخر ، وهو ما ذهب إليه المبرد أيضاً . انظر القرطبي ١ : ١١٦ ، وابن كثير ١ : ٤٢ ،
وأخطأ النقل عن القرطبي ، فظنه استدلال لصحة قول الطبري ، وهو وهم . والذي قاله الطبري أقوى حجة
وأعرق عربية من الذين ناقضوه . وقوله « مصدر أشكر » ، وقوله « أن يصدر من الحمد » ، يعني به المفعول
المطلق . وانظر ما مضى : ١١٧ ، تعليق : ١ .

(٣) في المطبوعة : « مبنى على أن معناه » ، أدخلوا عليه التبديل .

أحمد الله حمداً ، وليس التأويل في قول القائل : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، تالياً سورة أم القرآن : أحمد الله ، بل التأويل في ذلك ما وصفنا قبل ، من أن جميع المحامد لله بألوهيته وإنعامه على خلقه بما أنعم عليهم به من النعم ، التي لا كفاء لها ٤٧/١ في الدين والدنيا ، والعاجل والآجل .

ولذلك من المعنى ، تتابعت قراءة القراء وعلماء الأمة على رفع الحمد من ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ دون نصبها ، الذي يؤدي إلى الدلالة على أن معنى تاليه كذلك : أحمد الله حمداً . ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب ، لكان عندي 'محيلاً' معناه ، ومستحقاً العقوبة على قراءته إياه كذلك ، إذا تعمد قراءته كذلك ، وهو عالم بخطئه وفساد تأويله .

فإن قال لنا قائل : وما معنى قوله « الحمد لله » ؟ أحمد الله نفسه جل ثناؤه فأثني عليها ، ثم علمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه ؟ فإن كان ذلك كذلك ، فما وجه قوله تعالى ذكره إذا ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وهو عز ذكره معبود لا عابد ؟ أم ذلك من قيل جبريل أو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقد بطل أن يكون ذلك لله كلاماً .

قيل : بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه ، ولكنه جل ذكره حميد نفسه وأثني عليها بما هو له أهل ، ثم علم ذلك عباده ، وفرض عليهم تلاوته ، اختباراً منه لهم وابتلاءً ، فقال لهم قولوا : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، وقولوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . فقوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ مما علمهم جل ذكره أن يقولوه ويدينوا له بمعناه ، وذلك موصول بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، وكأنه قال : قولوا هذا وهذا .

فإن قال : وأين قوله : « قولوا » ، فيكون تأويل ذلك ما ادّعت ؟ قيل : قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها — إذا عرفت مكان الكلمة ،

ولم تشكك أن سامعها يعرف ، بما أظهرت من منطقها ، ما حذفت — (١) حذف ما كفى منه الظاهر من منطقها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حذفت ، قولاً ، أو تأويل قول ، كما قال الشاعر :

وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأَكُونُ رَمْسًا إِذَا سَارَ النَّوَاعِجُ لَا يَسِيرُ^(٢)

فَقَالَ السَّائِلُونَ لِمَنْ حَقَرْتُمُ ؟ فَقَالَ الْمُخْبِرُونَ لَهُمْ : وَزِيرُ^(٣)

قال أبو جعفر : يريد بذلك ، فقال المخبرون لهم : الميت وزير ، فأسقط الميت ، إذ كان قد أتى من الكلام بما دل على ذلك . وكذلك قول الآخر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكَ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا^(٤)

وقد علم أن الرمح لا يُتَقَلَّدُ به ، وأنه إنما أراد : وحامل رمحاً ، ولكن لما كان معلوماً معناه ، اكتفى بما قد ظهر من كلامه ، عن إظهار ما حذف منه . وقد يقولون للمسافر إذا ودَّعوه : « مُصَاحِبًا مُعَافًى » ، يحذفون « سر » ، واخرج ، إذ كان معلوماً معناه ، وإن أسقط ذكره .

فكذلك ما حُذف من قول الله تعالى ذكره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، لما علم بقوله جل وعز ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ما أراد بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ،

(١) سياق الكلام : « أن العرب من شأنها . . . حذف » وما بينهما فصل .

(٢) تأتي في تفسير آية سورة المؤمنون : ٨٧ (١٨ : ٣٧ بولاق) ، ونسبها لبعض بني عامر ، وكذلك في معاني القرآن للفراء ١ : ١٧٠ وهما في البيان والتبيين ٣ : ١٨٤ منسوبان للوزير ، ولم أعرفه ، وفيها اختلاف في الرواية . الرمس : القبر المسوى عليه التراب . يقول : أصبح قبراً يزار أو يناح عليه . ورواه الجاحظ : « سَاصِيرٌ مِيتاً » ، وهي لا شيء . والنواعج جمع ناعجة : وهي الإبل السراع ، نعتت في سيرها ، أي سارت في كل وجه من نشاطها . وفي البيان ومعاني الفراء « النواعج » ، وليست بشيء .

(٣) رواية الجاحظ : « فقال السائلون : من المسجي » . وفي المعاني « السائرون » .

(٤) يأتي في تفسير آيات سورة البقرة : ٧ / سورة آل عمران : ٤٩ / سورة المائدة : ٥٣ / سورة الأنعام : ٩٩ / سورة الأنفال : ١٤ / سورة يونس : ٧١ / سورة الرحمن : ٢٢ . وهو بيت مستشهد به في كل كتاب .

من معنى أمره عبادة ، أغنت دلالة ما ظهر عليه من القول عن إبداء ما حذف .
وقد روينا الخبر الذي قدمنا ذكره مبتدأ في تأويل قول الله (١) : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، عن ابن عباس ، وأنه كان يقول : إن جبريل قال لمحمد : قل يا محمد :
« الحمد لله رب العالمين » ، وبيتنا أن جبريل إنما علم محمداً صلى الله عليه وسلم ما أمر بتعليمه إياه (٢) . وهذا الخبر يُنبئ عن صحة ما قلنا في تأويل ذلك .

• • •

القول في تأويل قول الله ﴿ رَبِّ ﴾ .

قال أبو جعفر : قد مضى البيان عن تأويل اسم الله الذي هو « الله » ، في « بسم الله » ، فلا حاجة بنا إلى تكراره في هذا الموضع .

وأما تأويل قوله ﴿ رَبِّ ﴾ ، فإن الرّب في كلام العرب منصرفٌ على معان .
فالسيد المطاع فيهم يدعى ربّاً ، ومن ذلك قول كبيد بن ربيعة :

وأهلكن يوماً ربّاً كندةً وأبنه وربّاً معدٍ ، بين خبثٍ وعَرَعرٍ (٣)

يعني برّب كندة : سيد كندة . ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

تَنَجَّبُ إِلَى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ فِدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفٍ وَتَالِدِي (٤) ٤٨/١
والرجل المصلح للشيء يُدعى ربّاً ، ومنه قول الفرزدق بن غالب :

(١) في المطبوعة : « في تنزيل قول الله » .

(٢) انظر ما مضى آنفاً الحديث رقم : ١٥١ .

(٣) ديوانه القصيدة : ١٥ / ٣٢ . وسيد كندة هو حجر أبو امرئ القيس . ورب معد : حذيفة بن بدر ، كما يقول شارح ديوانه ، وأنا في شك منه ، فإن حذيفة بن بدر قتل بالهبة . ولبيد يذكر خبثاً وعَرَعرًا ، وهما موضعان غيره .

(٤) ديوانه : ٨٩ ، والمخصص ٧ : ١٥٤ . الطريف والطارف : المال المستحدث ، خلاف التليد والتالد : وهو العتيق الذي ولد عندك

كَانُوا كَسَالَةً حَمَقَاءَ إِذْ حَقَّتْ سِلَآءُهَا فِي أَدِيمٍ غَيْرِ مَرْبُوبٍ^(١)

يعنى بذلك : فى أديم غير مُصلَح . ومن ذلك قيل : إن فلاناً يَرْبُ صُنيعته عند فلان ؛ إذا كان يحاول إصلاحها وإدامتها ، ومن ذلك قول علقمة بن عبدة :

فَكُنْتُ أَمْرًا أَفْضْتُ إِلَيْكَ رَبَّابَتِي وَقَبْلَكَ رَبَّنَتْنِي، فَضِغْتُ، رُبُوبٍ^(٢)

يعنى بقوله : « أفضت إليك » أى وصلت إليك ربابتي ، فصرت أنت الذى تَرْبُ أُمْرِي فتصلحه ، لما خرجت من ربابة غيرك من الملوك كانوا قبلك على^(٣) ، فضيغوا أُمْرِي وتركوا تفقده - وهم الرُّبُوب : واحد رَّبٌّ . والمالك للشئ يدعى رَبَّهُ . وقد يتصرف أيضاً معنى « الرب » فى وجوه غير ذلك ، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة .

فَرَبَّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ : السيد الذى لا شبه له ، ولا مثل فى مثل سُودده ، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذى له الخلق والأمر .
وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله جلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، جاءت الرواية عن ابن عباس : -

١٥٥ - حدثنا أبو كريب . قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا

(١) ديوانه : ٢٥ . سَلَا السَّمْنُ يَسْلُوهُ : طبخه وعالجه فأذاب زبدته . والسلاء ، بكسر السين : السمن . وحقن اللبن فى الوطب ، والماء فى السقاء : حبسه فيه وعبأه . رب نحى السمن يربه : دهنه بالرب ، وهو دبس كل ثمرة ، وكانوا يدهنون أديم النحى بالرب حتى يمتنوه ويصلحوه ، فتطيب رائحته ، ويمنع السمن أن يرشح ، من غير أن يفسد طعمه أو ريحه . وإذا لم يفعلوا ذلك بالنحى فسد السمن . وأديم مربوب : جلد قد أصلح بالرب . يقول : فعلوا فعل هذه الحمقاء ، ففسد ما جهدوا فى تدبيره وعمله .

(٢) ديوانه : ٢٩ ، ويأتى فى تفسير آية سورة آل عمران : ٧٩ ، (٣ : ٢٣٣ بولاق) والمخصص ١٧ : ١٥٤ ، والشعر يقوله للحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان ، وهو الحارث الأعرج المشهور . قال ابن سيدة : « ربوب : جمع رب ، أى الملوك الذين كانوا قبلك ضيعوا أُمْرِي ، وقد صارت الآن ربابتي إليك - أى تدبير أُمْرِي وإصلاحه - فهذا رب بمعنى مالك ، كأنه قال : الذين كانوا يملكون أُمْرِي قبلك ضيعوه » . وقال الطبرى فيما سأتى : « يعنى بقوله : ربنتى : ول أُمْرِي والقيام به قبلك من يربه ويصلحه فلم يصلحوه ، ولكنهم أضاعوا فضعت » . والربابة : المملكة ، وهى أيضاً الميثاق والعهد . وبها فسر هذا البيت ، وأينده برواية من روى بدل « ربابتي » ، « أمانتي » . والأول أجود .

(٣) فى المطبوعة : « من الملوك الذين كانوا » ، غير وه ليوافق ما ألفوا من العبارة .

بشر بن عمار ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد : « يا محمد قل : ﴿ الحمد لله ربَّ العالمين ﴾ » ، قال ابن عباس : يقول : قل الحمد لله الذي له الخلق كله - السموات كلهن ومن فيهن ، والأرضون كلهن ومن فيهن وما بينهما ، مما يُعلم ومما لا يُعلم . يقول : اعلم يا محمد أن ربَّك هذا لا يشبهه شيء ^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ .

قال أبو جعفر : والعالمون جمع عالم ، والعالم : جمع لا واحد له من لفظه ، كالأنام والرهط والجيش ، ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعات على جماع لا واحد له من لفظه .

والعالم اسم لأصناف الأمم ، وكل صنف منها عالم ، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان . فالإنس عالم ، وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان . والجن عالم ، وكذلك سائر أجناس الخلق ، كل جنس منها عالم زمانه . ولذلك جمع فقيلاً : عالمون ، وواحد جمع ، لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان . ومن ذلك قول العجاج :

فَخَنَدَفُ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمِ ^(٢) .

فجعلهم عالم زمانه . وهذا القول الذي قلناه ، قول ابن عباس وسعيد بن جبیر ، وهو معنى قول عامة المفسرين .

(١) الحديث ١٥٥ - سبق الكلام مفصلاً في ضعف هذا الإسناد ، برقم ١٣٧ . وهذا الحديث في ابن كثير ١ : ٤٤ ، والدر المنثور ١ : ١٣ ، والشوكاني ١ : ١١ . ونسبه الأخير أيضاً لابن أبي حاتم . وفي المطبوع وابن كثير « والأرض ومن فيهن » .
(٢) ديوانه : ٦٠ ، وطبقات فحول الشعراء : ٦٤ ، وخندف : أم بني إلياس بن مضر ، مدركة وطائفة ، وتشعبت منهم قواعد العرب الكبرى .

١٥٦- حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوَّق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، الحمد لله الذي له الخلق كله : السموات والأرضون ومن فيهن ، وما بينهن ، مما يُعلم ولا يعلم ^(١) .

١٥٧- حدثني محمد بن سنان القزَّاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ رب العالمين ﴾ : الجن والإنس ^(٢) .

١٥٨- حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قول الله جل وعز ﴿ رب العالمين ﴾ ، قال : رب الجن والإنس ^(٣) .

١٥٩- حدثنا أحمد بن إسحق بن عيسى الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير : قوله : ﴿ رب العالمين ﴾ ، قال : الجن والإنس ^(٤) .

(١) الحديث ١٥٦ - هو مختصر مما قبله : ١٥٥ .
(٢) الخبر ١٥٧ - إسناده صحيح . محمد بن سنان القزَّاز ، شيخ الطبري : تكلّموا فيه من أجل حديث واحد . والحق أنه لا بأس به ، كما قال الدارقطني . وهو مترجم في التهذيب ، وله ترجمة جيدة في تاريخ بغداد ٥ : ٣٤٣ - ٣٤٦ . أبو عاصم : هو النّيل ، الضحاك بن مخلد ، الحافظ الحجة . شبيب : هو ابن بشر البجلي ، وقع في التهذيب ٤ : ٣٠٦ « الحلبي » ، وهو خطأ مطبعي ، صوابه في التاريخ الكبير للبخاري ٢ / ٢ / ٢٣٢ / ٢٣٣ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٣٥٧ - ٣٥٨ والتقريب وغيرها ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين .
(٣) الخبر ١٥٨ - إسناده حسن على الأقل ، لأن عطاء بن السائب تغير حفظه في آخر عمره ، وقيس بن الربيع قديم ، لعله سمع منه قبل لاختلاط ، ولكن لم نتيقن ذلك بدليل صريح . ووقع في هذا الإسناد خطأ في المطبوع « حدثنا مصعب » ، وصوابه من المخطوطة « حدثنا محمد بن مصعب » ، وهو القرقيساني ، كما مضى في الإسناد ١٥٤ .

(٤) الخبر ١٥٩ - إسناده حسن كالذي قبله . وأبو أحمد الزبيري : هو محمد بن عبد الله ابن الزبير الأسدي ، من الثقات الكبار ، من شيوخ أحمد بن حنبل وغيره من الحفاظ . وقيس : هو ابن الربيع . وهذه الأخبار الثلاثة ١٥٧ - ١٥٩ ، ولفظها واحد ، ذكرها ابن كثير ١ : ٤٤ خبراً واحداً دون إسناد . وذكرها السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٣ خبراً واحداً ونسبه إلى « الفريابي » ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وصححه ، عن ابن عباس «

١٦٠- حدثني أحمد بن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثني ابن أبي مريم ،

عن ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، قوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ،

قال : ابن آدم والجن والإنس ، كل أمة منهم عالمٌ على حديثه (١) . ٤٩/١

١٦١- حدثني محمد بن حميد ، قال : حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد :

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، قال : الإنس والجن (٢) .

١٦٢- حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال حدثنا أبو أحمد الزبيري ، عن

سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد بمثله (٣) .

١٦٣- حدثنا بشر بن معاذ العقدي ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن

سعيد ، عن قتادة : ﴿ رب العالمين ﴾ ، قال : كل صنف عالم (٤) .

(١) الأثر ١٦٠ - أحمد بن عبد الرحيم البرقي : اشتهر بهذا ، منسوباً إلى جده ، وكذلك أخوه « محمد » . وهو : أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم . وقد مضت رواية الطبري عنه أيضاً برقم ٢٢ باسم « ابن البرقي » . ابن أبي مريم : هو سعيد . ابن لهيعة : هو عبد الله . عطاء بن دينار المصري : ثقة ، وثقه أحمد بن حنبل وأبو داود وغيرهما ، وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٣٣٢ وفي المراسيل : ٥٨ عن أحمد بن صالح ، قال : « عطاء بن دينار ، هو من ثقات أهل مصر ، وتفسيره - فيما يروى عن سعيد بن جبير : صحيحة ، وليست له دلالة على أنه سمع من سعيد بن جبير » . وروى في الجرح عن أبيه أبي حاتم ، قال : « هو صالح الحديث ، إلا أن التفسير أخذه من الديوان ، فإن عبد الملك ابن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن ، فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه ، فوجده عطاء بن دينار في الديوان ، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير » .

(٢) الأثر ١٦١ - إسناده إلى مجاهد ضعيف . لأن سفيان ، وهو الثوري ، لم يسمع من مجاهد . لأن الثوري ولد سنة ٩٧ ، ومجاهد مات سنة ١٠٠ أو بعدها بقليل ، والظاهر عندي أن هذه الرواية من أغلاط مهران بن أبي عمر ، راوياً عن الثوري . فإن رواياته عن الثوري فيها اضطراب ، كما بينا في إسناده الحديث الماضي ١١ .

وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٤٤ دون نسبة ولا إسناده . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٣ ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد .

(٣) الأثر ١٦٢ - إسناده ضعيف ، لإبهام الرجل راويه عن مجاهد . وهو يدل على غلط مهران في الإسناده قبله ، إذ جعله عن الثوري عن مجاهد مباشرة ، دون واسطة .

(٤) الأثر ١٦٣ - سعيد : هو ابن أبي عروبة . وقد مضى أثر آخر عن قتادة بهذا الإسناده ١١٩ . وهذا الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٣ ، وفي نسبه هناك خطأ مطبعي : « ابن جريج » بدل « ابن جرير » . وكلام ابن جريج سيأتي ١٦٥ مروياً عنه لا راوياً .

١٦٤- حدثني أحمد بن حازم الغِفَارِي، قال حدثنا عبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر، عن ربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال: الإنس عالم، والجن عالم، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم، أو أربعة عشر ألف عالم - هو يشك - من الملائكة على الأرض. وللأرض أربع زوايا، في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم، وخمسمائة عالم، خلقهم لعبادته (١).

١٦٥- حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: الجن والإنس (٢).

• • •

القول في تأويل قوله ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

قال أبو جعفر: قد مضى البيان عن تأويل قوله «الرحمن الرحيم» في تأويل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

ولم نحتاج إلى الإبانة عن وجه تكرير ذلك في هذا الموضع، إذ كنا لا نرى أن «بسم الله الرحمن الرحيم» من فاتحة الكتاب - آية، فيكون علينا لسائل مسألة بأن يقول: ما وجه تكرير ذلك في هذا الموضع، وقد مضى وصف الله عز وجل به نفسه في قوله «بسم الله الرحمن الرحيم»، مع قرب مكان إحدى الآيتين من الأخرى، ومجاورتها صاحبيتها؟ بل ذلك لنا حجة على خطأ دعوى من ادعى أن

(١) الأثر ١٦٤ - أبو جعفر: هو الرازي التميمي، وهو ثقة، تكلم فيه بعضهم، وقال ابن عبد البر: «هو عندهم ثقة، عالم بتفسير القرآن». وله ترجمة وافية في تاريخ بغداد ١١: ١٤٣ - ١٤٧. وهذا الأثر عن أبي العالية ذكره ابن كثير ١: ٤٥ والسيوطي ١: ١٣ بأطول مما هنا قليلا، ونسباه أيضاً لابن أبي حاتم، وقال ابن كثير: «وهذا كلام غريب، يحتاج مثله إلى دليل صحيح». وهذا حق.

(٢) الأثر ١٦٥ - سبق الكلام على هذا الإسناد ١٤٤. وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١: ٤٤ دون نسبة ولا إسناد.

« بسم الله الرحمن الرحيم » من فاتحة الكتاب آية. إذ لو كان ذلك كذلك، لكان ذلك إعادة آية بمعنى واحد ولفظ واحد مرتين من غير فصل يفصل بينهما . وغير موجود في شيء من كتاب الله آيتان متجاورتان مكررتان بلفظ واحد ومعنى واحد، لا فصل بينهما من كلام يخالف معناه معناهما . وإنما يؤتى بتكرير آية بكما لها في السورة الواحدة ، مع فصول تفصيل بين ذلك ، وكلام يعترض به بغير معنى الآيات المكررات أو غير ألفاظها ، ولا فاصل بين قول الله تبارك وتعالى اسمه « الرحمن الرحيم » من « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وقول الله : « الرحمن الرحيم » من « الحمد لله رب العالمين » .

فإن قال : فإن ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فاصل من ذلك (١) .

قيل : قد أنكر ذلك جماعة من أهل التأويل ، وقالوا : إن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ، وإنما هو : الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين ملك يوم الدين . واستشهدوا على صحة ما ادعوا من ذلك بقوله « ملك يوم الدين » ، فقالوا : إن قوله « ملك يوم الدين » تعليم من الله عبده ، أن يصفه بالملك في قراءة من قرأ « ملك » وبالملك في قراءة من قرأ « مالك » . قالوا : فالذي هو أولى أن يكون مجاور وصفه بالملك أو الملك ، ما كان نظير ذلك من الوصف ، وذلك هو قوله : « رب العالمين » ، الذي هو خبر عن ملكه جميع أجناس الخلق ؛ وأن يكون مجاور وصفه بالعظمة والألوهة ، ما كان له نظيراً في المعنى من الثناء عليه ، وذلك قوله : « الرحمن الرحيم » . فزعموا أن ذلك لهم دليل على أن قوله « الرحمن الرحيم » ، بمعنى التقديم قبل « رب العالمين » ، وإن كان في الظاهر مؤخراً . وقالوا : نظائر ذلك — من التقديم الذي هو بمعنى التأخير ، والمؤخر الذي هو بمعنى التقديم — في كلام العرب أفشى ، وفي منطقتها أكثر ، من أن يحصى . من ذلك قول جرير بن عطية :

(١) في المطبوعة : « فاصل بين ذلك » ، والذي في المخطوطة عربية جيدة .

طَافَ الْخَيَالُ — وَأَيْنَ مِنْكَ؟ — لِمَا فَارَّجِعْ لَزُورِكَ بِالسَّلَامِ سَلَامًا^(١)

بمعنى : طاف الخيال لما ، وأين هو منك ؟ وكما قال جل ثناؤه في كتابه :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا ﴾ ٥٠/١

[سورة الكهف : ١] بمعنى^(٢) : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل

له عوجاً ، وما أشبه ذلك . ففي ذلك دليل شاهد على صحة قول من أنكر أن تكون —

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ من فاتحة الكتاب — آية^(٣) .

القول في تأويل قوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

قال أبو جعفر : القراء مختلفون في تلاوة ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ . فبعضهم

يتلوه ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، وبعضهم يتلوه ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، وبعضهم يتلوه

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بنصب الكاف . وقد استقصينا حكاية الرواية عن روى عنه

في ذلك قراءة في « كتاب القراءات » ، وأخبرنا بالذي نختار من القراءة فيه ، والعلة

الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه . فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع ، إذ كان

الذي قصدنا له ، في كتابنا هذا ، البيان عن وجوه تأويل آي القرآن ، دون وجوه قراءتها .

ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب ، أن المَلِكِ من « المُلْكِ »

(١) ديوانه : ٥٤١ ، والنقائض : ٣٨ . طاف الخيال : ألم بك في الليل ، والهام : اللقاء اليسير .

والزور : الزائر ، يقال للواحد والمثنى والجمع : زور . « فارجع لزورك » ، يقول : رد عليه السلام كما سلم عليك .

(٢) في المطبوعة : « المعنى : الحمد لله . . . »

(٣) وهكذا ذهب أبو جعفر رحمه إلى أن « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية من الفاتحة ،

واحتج لقوله بما ترى . وليس هذا موضع بسط الخلاف فيه ، والدلالة على خلاف ما قال ابن جرير .

وقد حققت هذه المسئلة ، وأقيمت الدلائل الصحاح — في نظري وفقهي — على أنها آية من الفاتحة — : في

شرحى لسنن الترمذى ٢ : ١٦ — ٢٥ . وفي الإشارة إليه غنية هنا . أحمد محمد شاكر .

مشتق ، وأن المالك من « المِلْك » مأخوذٌ . فتأويل قراءة من قرأ ذلك ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، أن لله المُلْك يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه ، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكاً جبابة ينازعونه الملك ، ويدافعونه الانفراداً بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية^(١) . فأيقنوا بقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغَرَةُ الأذِلَّةُ^(٢) ، وأن له — من دُونهم ، ودون غيرهم — المُلْك والكبرياء ، والعزة والبهاء ، كما قال جل ذكره وتقدسست أسماؤه في تنزيله : ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [سورة غافر : ١٦] . فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا ، الذين صاروا يوم الدين من مُلْكهم إلى ذِلَّة وصَغَار ، ومن دُنْيَاهم في المعاد إلى خَسَار .

وأما تأويلُ قراءة من قرأ « مالك يوم الدين » ، فما : —

١٦٦ — حدثنا به أبو كُريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عُمارة ،

قال : حدثنا أبو رَوَاق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، يقول : لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه حُكماً كملكهم في الدنيا . ثم قال : ﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ [سورة النبأ : ٣٨] . وقال : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ [سورة طه : ١٠٨] . وقال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾^(٣) [سورة الأنبياء : ٢٨] .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية ، وأصحُّ القراءتين في التلاوة عندي ،

(١) الجبرية والجبروت واحد ، وهو من صفات الله العلي . الجبار : القاهر فوق عباده ، يقهرهم على ما أراد من أمر ونهي ، سبحانه وتعالى .

(٢) الصغرة جمع صاغر : وهو الراضى بالذل المقر به . والأذلة جمع ذليل .

(٣) الخبر ١٦٦ — سبق الكلام مفصلاً في ضعف هذا الإسناد ١٣٧ . وهذا الخبر ، مع باقيه الآتي ١٦٧ نقله ابن كثير ١ : ٤٦ دون إسناد ولا نسبة ، ونقله السيوطي ١ : ١٤ ونسبه أيضاً لابن أبي حاتم . وقال ابن كثير : « وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف . وهو ظاهره .

التأويل الأول، وهي قراءة من قرأ ﴿مَلِكٍ﴾ بمعنى المُلْك . لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك، إيجاباً لانفراده بالملك، وفضيلة زيادة المليك على المالك^(١)، إذ كان معلوماً أن لا مَلِك إلا وهو مالك، وقد يكون المالك لا ملكاً.

وبعد، فإن الله جل ذكره، قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله ﴿مَلِكٍ﴾ يوم الدين أنه مالك جميع العالمين، وسيدهم، ومصلحهم، والناظر لهم، والرحيم بهم في الدنيا والآخرة، بقوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾. الرحمن الرحيم. وإذا كان جل ذكره قد أنبأهم عن ملكه إياهم كذلك بقوله ﴿رب العالمين﴾، فأولى الصفات من صفاته جل ذكره أن يتبع ذلك، ما لم يحويه قوله ﴿رب العالمين﴾ الرّحمن الرحيم، مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة، إذ كانت حكمته الحكمة التي لا تشبهها حكمة، وكان في إعادة وصفه جل ذكره بأنه ﴿مالك يوم الدين﴾، إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله ﴿رب العالمين﴾، مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين. وكان في إعادة ذلك تكراراً ألفاظ مختلفة بمعان متفقة، لا تفيد سامع ما كرّر منه فائدة به إليها حاجة. والذي لم يحويه من صفاته جل ذكره ما قبل قوله «مالك يوم الدين»، المعنى الذي في قوله «مَلِك يوم الدين»، وهو وصفه بأنه المالك.

فبيّن إذاً أن أولى القراءتين بالصواب، وأحق التأويلين بالكتاب، قراءة من قرأ ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾، بمعنى إخلاص المُلْك له يوم الدين، دون قراءة من قرأ «مالك يوم الدين» الذي بمعنى أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء، متفرداً به دون سائر خلقه.

فإن ظنّ ظان أن قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نبأ عن ملكه إياهم في الدنيا دون الآخرة، يوجب وصل ذلك بالنبأ عن نفسه أنه: «مَلِكهم في الآخرة على نحو ملكه

٥١/١

(١) في المخطوطة: «المالك على الملك»، وهما سواء.

إياهم في الدنيا بقوله «مالك يوم الدين» - فقد أغفلَ وظنَّ خطأ^(١).
 وذلك أنه لو جاز لظان أن يظن أن قوله ﴿رب العالمين﴾ محصورٌ معناه
 على الخبر عن ربوبيّة عالم الدنيا دونَ عالم الآخرة، مع عدم الدلالة على أن معنى
 ذلك كذلك في ظاهر التتريل، أو في خبرٍ عن الرسول صلى الله عليه وسلم به
 منقول، أو بحجة موجودة في المعقول - لجاز لآخر أن يظن أن ذلك محصور على
 عالم الزمان الذي فيه نزل قوله ﴿رب العالمين﴾، دون سائر ما يحدث بعده في الأزمنة
 الحادثة من العالمين. إذ كان صحيحاً بما قد قدمنا من البيان، أن عالم كل زمان
 غير عالم الزمان الذي بعده.

فإن غبى - عن علم صحة ذلك بما قد قدمنا - ذو غباء، فإن في قول الله جل ثناؤه:
 ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الحاثية: ١٦] دلالة واضحة على أن
 عالم كل زمان، غير عالم الزمان الذي كان قبله، وعالم الزمان الذي بعده،
 إذ كان الله جل ثناؤه قد فضل أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم
 الخالية، وأخبرهم بذلك في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾
 الآية [سورة آل عمران: ١١٠]. فعلومٌ بذلك أن بني إسرائيل في عصر نبينا لم يكونوا
 - مع تكذيبهم به صلى الله عليه وسلم - أفضل العالمين، بل كان أفضل العالمين
 في ذلك العصر وبعده إلى قيام الساعة، المؤمنون به المتسبِّعون منهاجه، دون من
 سواهم من الأمم المكذبة الضالة عن منهاجه.

وإذ كان بيننا فساد تأويل متأولٍ لو تأول قوله ﴿رب العالمين﴾ أنه معنى به

(١) قوله «أغفل» ، فعل لازم غير متعد . ومعناه : دخل في الغفلة والنسيان ووقع فيهما ، وهي
 عربية معرقة ، وإن لم توجد في المعاجم ، وهي كقولهم : أنجد ، دخل فجدأ ، وأشباهها . وحسبك بها
 عربية أنها لغة الشافعي ، أكثر من استعمالها في الرسالة والام . من ذلك قوله في الرسالة : ٤٢ رقم : ١٣٦ :
 «وبالتقليد أغفل من أغفل منهم» .

أن الله ربُّ عالمي زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، دون عالمي سائر الأزمنة غيره — كان واضحاً فساد قول من زعم أن تأويله : ربُّ عالم الدنيا دون عالم الآخرة ، وأن « مالك يوم الدين » استحق الوصل به ليُعلم أنه في الآخرة من ملكهم وربوبيهم بمثل الذي كان عليه في الدنيا .

ويُسأل زاعم ذلك ، الفرق بينه وبين متحكم مثله — في تأويل قوله ﴿ رب العالمين ﴾ ، تحكم فقال : إنه إنما عني بذلك أنه رب عالمي زمان محمد صلى الله عليه ، دون عالمي غيره من الأزمان الماضية قبله ، والحادثة بعده ، كالذي زعم قائل هذا القول : أنه عني به عالمي الدنيا دون عالمي الآخرة — من أصل أو دلالة (١) . فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله .

وأما الزاعم أن تأويل قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أنه الذي يملك إقامة يوم الدين ، فإن الذي ألزمنا قائل هذا القول الذي قبله — له لازم . إذ كانت إقامة القيامة ، إنما هي إعادة الخلق الذين قد بادوا لهيئاتهم التي كانوا عليها قبل الهلاك ، في الدار التي أعد لهم فيها ما أعد . وهم العالمون الذين قد أخبر جل ذكره عنهم أنه ربهم في قوله ﴿ رب العالمين ﴾ .

وأما تأويل ذلك في قراءة من قرأ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، فإنه أراد : يا مالك يوم الدين ، فنصبه بنية النداء والدعاء ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ [سورة يوسف : ٢٩] بتأويل : يا يوسف أعرض عن هذا ، وكما قال الشاعر من بني أسد ، وهو شعر — فيما يقال — جاهلي :

إِنْ كُنْتَ أَزْنَتْنِي بِهَا كَذِبًا جَزَاءً ، فَلَا قِيَتَ مِثْلَهَا عَجَلًا (٢)

(١) سياق العبارة : « ويسأل زاعم ذلك ، الفرق من أصل أو دلالة » ، وما بينهما فصل .
(٢) الشعر لجاهل مخضرم هو حضرمي بن عامر الأسدي ، وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من بني أسد فأسلموا جميعاً . وسبب قوله هذا الشعر : أن إخوته كانوا تسعة ، فجلسوا على بئر فانخسفت بهم ، فورثهم ، فحسده ابن عمه جزء بن مالك بن جميع ، وقال له : من مثلك ؟ مات إخوتك فورثهم ، فأصبحت ناعماً جديلاً . وما كاد ، حتى جلس جزء وإخوته له تسعة على بئر فانخسفت بإخوته

يريد : يا جزء ، وكما قال الآخر :

كَذَبْتُمْ وَيَتِ اللَّهُ لَا تُنْكِحُونَهَا، بَنِي شَابَ قَرْنَاهَا تَصُرُّوْا تَحْلُبُ^(١)

يريد : يا بني شَابَ قَرْنَاهَا . وإنما أَوْرطه في قراءة ذلك - بنصب الكاف من «مالك» ، على المعنى الذى وصفت - حيرته في توجيه قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وجهته ، مع جر ﴿مالك يوم الدين﴾ وخفضه . فظن أنه لا يصح معنى ذلك بعد جره ﴿مالك يوم الدين﴾ ، فنصب «مالك يوم الدين» ليكون «إياك نعبد» له خطاباً . كأنه أراد : يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين . ولو كان علم تأويل أول السورة ، وأن «الحمد لله رب العالمين» ٥٢/١ أمر من الله عبده بقيل ذلك - كما ذكرنا قبل من الخبر عن ابن عباس : أن جبريل قال للنبي صلى الله عليهما وسلم عن الله تعالى ذكره : قل يا محمد ، «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين» ، وقل أيضاً يا محمد : «إياك نعبد وإياك نستعين»^(٢) - وكان عقلاً^(٣) عن العرب أن من شأنها إذا حكّت أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول ، أن تخاطب ثم تخبر عن غائب ، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب ، لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب ، كقولهم للرجل : قد قلت لأخيك : لو قمت لقيت ، وقد قلت لأخيك : لو قام لقيت -^(٤) لسهل عليه مخرج ما استصعب عليه وجهته من جر «مالك يوم الدين» .

ونجا هو ، فبلغ ذلك حضرياً فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قدراً وأبقت حقداً . يعنى قوله بلز : «فلاقيت مثلها عجلاً» . وأزنته بشيء : أهنته به . انظر أمالي القالى ١ : ٦٧ ، والكامل ١ : ٤١ - ٤٢ وغيرهما .

(١) نسبة في اللسان (قرن) ومجاز القرآن : ١٠٠ إلى رجل من بني أسد والبيت في سيبويه ١ : ٢٥٩ / ٢ : ٧ ، ٦٥ ، وهو شاهد مشهور . «وبني شَابَ قَرْنَاهَا» ، يعنى قومياً ، يقول : بنى التى يقال لها : شَابَ قَرْنَاهَا ، أى يا بنى المجوز الراحية ، لا هم لها إلا أن تصر ، أى تشد الصرار على الضرع حتى تجتمع الدرة ، ثم تحلب . وذلك ذم لها . والقرن : الضفيرة .

(٢) انظر : ١٥١ ، ١٥٥ .

(٣) عطف على قوله : «ولو كان علم . . .» .

(٤) جواب «لو كان علم . . .» وكان عقل .

ومن نظير «مالك يوم الدين» مجروراً ، ثم عَوَّده إلى الخطاب بـ «إياك نعبد» ،
كما ذكرنا قبل - البيت السائر من شعر أبي كبير الهذلي :

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِسْدُهُ خَالِدٍ وَيَبَاضُ وَجْهَكَ لِلتُّرَابِ الْأَغْفَرِ^(١)

فرجع إلى الخطاب بقوله «ويباض وجهك» ، بعد ما قد مضى الخبر
عن خالد على معنى الخبر عن الغائب .

ومنه قول لبید بن ربیعۃ :

بَاتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهِشَةً وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَ^(٢)

فرجع إلى مخاطبة نفسه ، وقد تقدم الخبر عنها على وجه الخبر عن الغائب .

ومنه قول الله ، وهو أصدق قيل وأثبت حجة : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [سورة يونس : ٢٢] ، فخاطب ثم رجع إلى الخبر

عن الغائب ، ولم يقل : وَجَرَيْنَ بِكُمْ . والشواهد من الشعر وكلام العرب في ذلك
أكثر من أن تُحصى ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه .

فقراءة «مالك يوم الدين» محظورة غير جائزة ، لإجماع جميع الحجة من القراء
وعلماء الأمة على رفض القراءة بها .

• • •

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١٠١ . في المطبوعة : «جلدة» وهو خطأ وقوله «جلدة» يعني شبايه
الجلدية . والجلدة : فقيض البلى . والتراب الأعفر : الأبيض ، قل أن يطأه الناس لجدبه . وخالد : صديق
له من قومه ، يرثيه .

(٢) القسم الثاني من ديوانه : ٤٦ ، وقال ابن سلام في طبقات فحول الشعراء : ص ٥٠ وذكر
البيت ويبدأ معه ، أنهما قد رويَا عن الشعبي (ابن سعد ٦ : ١٧٨) ، وهما يحملان على لبيد ، ثم قال :
«ولا اختلاف في أن هذا مصنوع تكثر به الأحاديث» ، ويستعان به على السهر عند الملوك ، والملوك
لا تستقصي . أجهش بالبكاء : تهيأ له وغثقه بكاءه .

القول في تأويل قوله ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ .

قال أبو جعفر : والدين في هذا الموضع ، بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال ، كما قال كعب بن جعيل :

إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمْ وَدِنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرَضُونَا^(١)
وكما قال الآخر :

وَأَعْلَمَ وَأَيُّقِنُ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ مَا تَدِينُ تُدَانُ^(٢)
يعنى : ما تجزى تجازى .

ومن ذلك قول الله جل ثناؤه ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ — يعنى : بالجزاء —
﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [سورة الانقطار : ١٠، ٩] يُحْصُونَ مَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ ،
وقوله تعالى ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [سورة الواقعة : ٨٦] ، يعنى غير
مجزيين بأعمالكم ولا مُحاسنين .

وللدين معانٍ في كلام العرب ، غير معنى الحساب والجزاء ، سندكرها في
أما كتبها إن شاء الله .

(١) الكامل للمبرد ١ : ١٩١ ، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ١ : ٥٢ ، المخصص ١٧ : ١٥٥ .
(٢) الكامل ١ : ١٩٢ منسوباً إلى يزيد بن الصعق الكلابي ، وكذلك في جمهرة الأمثال للعسكري :
١٦٩ ، والمخصص ١٧ : ١٥٥ ، وفي اللسان (زناً) و (دان) منسوبين إلى خويلد بن نوفل الكلابي ،
وفي الخزانة ٤ : ٢٣٠ إلى بعض الكلابيين . يقولون : إن الحارث بن أبي شمر الغساني كان إذا أعجبته امرأة
من قيس عيلان بعث إليها واغتصبها ، فأخذ بنت يزيد بن الصعق الكلابي ، وكان أبوها غائباً ، فلما
قدم أخبر . فوفد إليه فوقف بين يديه وقال :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُقِيتُ ! أَمَا تَرَى
هَلْ تَسْتَطِيعُ الشَّمْسُ أَنْ تَأْتِيَ بِهَا
يَا حَارِ ، أَيُّقِنُ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ
لَيْلًا وَصُبْحًا كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ ؟
لَيْلًا ؟ وَهَلْ لَكَ بِالْمَلِكِ يَدَانِ ؟
.....

وبما قلنا في تأويل قوله « يوم الدين » ، جاءت الآثار عن السلف من المفسرين ، مع تصحيح الشواهد تأويلهم الذي تأولوه في ذلك .

١٦٧- حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، قال حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله ابن عباس : « **يَوْمَ الدِّينِ** » ، قال : يوم حساب الخلائق ، وهو يوم القيامة ، يدينهم بأعمالهم ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشرّاً ، إلا من عفا عنه ، فالأمرُ أمرُهُ . ثم قال : « **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** » [سورة الأعراف : ٥٤] ^(١) .

١٦٨- حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد القنّاد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر الهمداني ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدّي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس أصحّاب النبي صلى الله عليه وسلم : « **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ** » ، هو يوم الحساب ^(٢) .

١٦٩- حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

(١) الخبر ١٦٧ - سبق تخريجه في الخبر ١٦٦ .

(٢) الخبر ١٦٨ - هذا الإسناد من أكثر الأسانيد دوراناً في تفسير الطبري ، إن لم يكن أكثرها ، فلا يكاد يخلو تفسير آية من رواية بهذا الإسناد . وقد عرض الطبري نفسه في (ص ١٢١ بولاق ، سطر : ٢٨ وما بعده) ، فقال ، وقد ذكر الخبر عن ابن مسعود وابن عباس بهذا الإسناد : « فإن كان ذلك صحيحاً ، ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً . . . » . ولم يبين علة ارتيابه في إسناده ، وهو مع ارتيابه قد أكثر من الرواية به . ولكنه لم يجعلها حجة قط .

بيد أني أراه إسناداً يحتاج إلى بحث دقيق . ولأئمة الحديث كلام فيه وفي بعض رجاله . وقد تتبعنا ما قالوا وما يدعوا إليه ببحث ، ما استطعت ، وبدأ لي فيه رأي ، أرجو أن يكون صواباً ، إن شاء الله . وما توفيقي إلا بالله :

أما شيخ الطبري ، وهو « موسى بن هرون الهمداني » : فما وجدت له ترجمة ، ولا ذكراً في شيء مما بين يدي من المراجع ، إلا ما يرويه عنه الطبري أيضاً في تاريخه ، وهو أكثر من خمسين موضعاً في الجزئين الأول والثاني منه . وما بنا من حاجة إلى ترجمته من جهة الجرح والتعديل ، فإن هذا التفسير الذي يرويه عن عمرو بن حماد ، معروف عند أهل العلم بالحديث . وما هو إلا رواية كتاب ، لا رواية حديث بعينه . و« عمرو بن حماد » : هو عمرو بن حماد بن طلحة القنّاد ، وقد ينسب إلى جده ، فيقال « عمرو بن طلحة » ، وهو ثقة ، روى عنه مسلم في صحيحه ، وترجمه ابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٨٥ ، وقال :

« وكان ثقة إن شاء الله » . مات سنة ٢٢٢ . وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٢٢٨ ، وروى عن أبيه ويحيى بن معين أنها قالوا فيه : « صدوق » . أسباط بن نصر الهمداني : مختلف فيه ، وضعفه أحمد ، وذكره ابن حبان في الثقات : ٤١٠ ، وترجمه البخاري في الكبير ١ / ٢ / ٥٣ فلم يذكر فيه جرحاً ، وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ / ٣٣٢ ، وروى عن يحيى بن معين قال : « أسباط بن نصر ثقة » . وقد رجحنا توثيقه في شرح المسند ، في الحديث ١٢٨٦ .

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي : هو السدي الكبير ، قرشي بالولاء ، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة ، من بني عبد مناف ، كما نص على ذلك البخاري في تاريخه : الصغير : ١٤١ - ١٤٢ ، والكبير ١ / ١ / ٣٦١ ، وهو تابعي ، سمع أنساً ، كما نص على ذلك البخاري أيضاً ، وروى عن غيره من الصحابة ، وعن كثير من التابعين . وهو ثقة . أخرج له مسلم في صحيحة ، وثقه أحمد بن حنبل ، فيما روى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ / ١٨٤ ، وروى أيضاً عن أحمد ، قال : « قال لي يحيى بن معين يوماً عند عبد الرحمن بن مهدي : السدي ضعيف ، فغضب عبد الرحمن ، وكره ما قال » . وفي الميزان والتهذيب « أن الشعبي قيل له : إن السدي قد أعطى حظاً من علم القرآن ، فقال : قد أعطى حظاً من جهل بالقرآن ! » . وعندى أن هذه الكلمة من الشعبي قد تكون أساساً لقول كل من تكلم في السدي بغير حق . ولذلك لم يعبأ البخاري بهذا القول من الشعبي ، ولم يروه ، بل روى في الكبير عن مسدد عن يحيى قال : « سمعت ابن أبي خالدة يقول : السدي أعلم بالقرآن من الشعبي » . وروى في تاريخه عن ابن المديني عن يحيى ، وهو القطان ، قال : « ما رأيت أحداً يذكر السدي إلا بخير ، وما تركه أحد » . وفي التهذيب : « قال المجلي : ثقة عالم بالتفسير راوية له » . وقد رجحنا توثيقه في شرح المسند ٨٠٧ . وتوفي السدي سنة ١٢٧ .

و « السدي » : بضم السين وتشديد الدال المهملتين ، نسبة إلى « السدة » ، وهي الباب ، لأنه كان يجلس إلى سدة الجامع بالكوفة ، ويبيع بها المقلنec .

أبو مالك : هو الغفاري ، واسمه غزوان . وهو تابعي كوفي ثقة . ترجمه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٠٨ ، وابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٠٦ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣ / ٢ / ٥٥ ، وروى توثيقه عن يحيى بن معين .

أبو صالح : هو مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، واسمه باذام ، ويقال باذان . وهو تابعي ثقة ، رجحنا توثيقه في شرح المسند ٢٠٣٠ ، وترجمه البخاري في الكبير ١ / ٢ / ١٤٤ ، وروى عن محمد ابن بشار ، قال : « ترك ابن مهدي حديث أبي صالح » . وكذلك روى ابن أبي حاتم في ترجمته في الجرح والتعديل ١ / ١ / ٤٣١-٤٣٢ عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدي . ولكنه روى أيضاً عن يحيى بن سعيد القطان ، قال : « لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ ، وما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً ، ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبدالله بن عثمان » . وروى أيضاً عن يحيى بن معين ، قال : « أبو صالح مولى أم هانئ ليس به بأس ، فإذا روى عنه الكلبي فليس بشيء » ، وإذا روى عنه غير الكلبي فليس به بأس ، لأن الكلبي يحدث به مرة من رأيه ، ومرة عن أبي صالح ، ومرة عن أبي صالح عن ابن عباس » . يعني بهذا أن الظن فيما يروى عنه إنما هو في رواية الكلبي ، كما هو ظاهر .

هذا عن القسم الأول من هذا الإسناد . فإنه في حقيقته إسنادان أو ثلاثة . أولهما هذا المتصل بابن عباس .

والقسم الثاني ، أو الإسناد الثاني : « وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود » . والذي يروى عن مرة الهمداني : هو السدي نفسه .

ومرة : هو ابن شراحيل الهمداني الكوفي ، وهو تابعي ثقة ، من كبار التابعين ، ليس فيه خلاف بينهم .

والقسم الثالث ، أو الإسناد الثالث : « وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » . وهذا أيضاً من رواية السدي نفسه عن ناس من الصحابة .

فالسدي يروى هذه التفاسير لآيات من القرآن : عن اثنين من التابعين عن ابن عباس ، وعن تابعي واحد عن ابن مسعود ، ومن رواية نفسه عن ناس من الصحابة .

والعلماء الأئمة الأقدمين كلام في هذا التفسير ، بهذه الأسانيد ، قد يومم أنه من تأليف من دون السدي من الرواة عنه ، إلا أني استيقنت بعد ، أنه كتاب ألفه السدي .

فن ذلك قول ابن سعد في ترجمة « عمرو بن حماد القناد » ٦ : ٢٨٥ : « صاحب تفسير أسباط ابن نصر عن السدي » . وقال في ترجمة « أسباط بن نصر » ٦ : ٢٦١ : « وكان راوية السدي ، روى عنه التفسير » . وقال قبل ذلك في ترجمة « السدي » ٦ : ٢٢٥ : « إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، صاحب التفسير » . وقال قبل ذلك أيضاً ، في ترجمة « أبي مالك الغفاري » ٦ : ٢٠٦ : « أبو مالك الغفاري صاحب التفسير ، وكان قليل الحديث » .

ولكن الذي يرجح أنه كتاب ألفه السدي ، جمع فيه التفسير ، بهذه الطرق الثلاث ، قول أحمد بن حنبل في التهذيب ١ : ٣١٤ ، في ترجمة السدي : « إنه ليحسن الحديث ، إلا أن هذا التفسير الذي يجهل به ، قد جعل له إسناداً ، واستكلفه » . وقول الحافظ في التهذيب أيضاً ١ : ٣١٥ : « قد أخرج الطبري وابن أبي حاتم وغيرهما ، في تفاسيرهم ، تفسير السدي ، مفرقاً في السور ، من طريق أسباط ابن نصر عنه » . وقول السيوطي في الإتيقان ٢ : ٢٢٤ فيما نقل عن الخليل في الإرشاد : « وتفسير إسماعيل السدي ، يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس . وروى عن السدي الأئمة ، مثل الثوري وشعبة . ولكن التفسير الذي جمعه ، رواه أسباط بن نصر . وأسباط لم يتفقوا عليه . غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي » . ثم قال السيوطي : « وتفسير السدي ، [الذي] أشار إليه ، يورد منه ابن جرير كثيراً ، من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، و [عن] ناس من الصحابة . هكذا . ولم يورد منه ابن أبي حاتم شيئاً ، لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد . والحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء ، ويصححه ، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود وناس ، فقط ، دون الطريق الأول ، وقد قال ابن كثير : إن هذا الإسناد يروى به السدي أشياء فيها غرابة » .

وأول ما نشير إليه في هذه الأقوال : التناقض بين قول الحافظ ابن حجر والسيوطي ، في أن ابن أبي حاتم أخرج تفسير السدي مفرقاً في تفسيره ، كما صنع الطبري ، في نقل الحافظ ، وأنه أعرض عنه ، في نقل السيوطي . ولست أستطيع الجزم في ذلك بشيء ، إذ لم أر تفسير ابن أبي حاتم . ولكني أميل إلى ترجيح نقل ابن حجر ، بأنه أكثر ثبوتاً ودقة في النقل من السيوطي .

ثم قد صدق السيوطي فيما نقل عن الحاكم . فإنه يروى بعض هذا التفسير في المستدرك ، بإسناده ،

إلى أحمد بن نصر : «حدثنا عمرو بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . ثم يصححه على شرط مسلم ، ويوافقه الذهبي في تلخيصه . من ذلك في المستدرک ٢ : ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢١ . والحاكم في ذلك على صواب ، فإن مسلماً أخرج لجميع رجال هذا الإسناد . من عمرو بن حماد بن طلحة القناد إلى مرة الهمداني . ولم يخرج لأبي صالح باذام ولا لأبي مالك الغفاري ، في القسم الأول من الإسناد الذي روى به السدي تفاسيره .

أما كلمة الإمام أحمد بن حنبل في السدي «إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به ، قد جعل له إسناداً واستكلفه» - فإنه لا يريد بها ما قد يفهم من ظاهرها : أنه اصطنع إسناداً لا أصل له ؛ إذ لو كان ذلك ، لكان - عنده - كذاباً وضاعاً للرواية . ولكنه يريد - فيما أرى ، والله أعلم - أنه جمع هذه التفاسير ، من روايته عن هؤلاء الناس : عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة ، ثم ساقها كلها مفصلة ، على الآيات التي ورد فيها شيء من التفسير ، عن هذا أو ذاك أو أولئك ، وجعل لها كلها هذا الإسناد ، وتكلف أن يسوقها به مساقاً واحداً .

أعني : أنه جمع مفرق هذه التفاسير في كتاب واحد ، جعل له في أوله هذه الأسانيد . يريد بها أن ما رواه من التفاسير في هذا الكتاب ، لا يخرج عن هذه الأسانيد . ولا أكاد أعقل أنه يروى كل حرف من هذه التفاسير عنهم جميعاً . فهو كتاب مؤلف في التفسير ، مرجع ما فيه إلى الرواية عن هؤلاء ، في الجملة ، لا في التفصيل .

إنما الذي أوقع الناس في هذه الشبهة ، تفريق هذه التفاسير في مواضعها ، مثل صنيع الطبري بين أيدينا ، ومثل صنيع ابن أبي حاتم ، فيما نقل الحافظ ابن حجر ، ومثل صنيع الحاكم في المستدرک . فأنا أكاد أجزم أن هذا التفريق خطأ منهم ، لأنه يوهم القارئ أن كل حرف من هذه التفاسير مروي بهذه الأسانيد كلها ، لأنهم يسوقونها كاملة عند كل إسناد ، والحاكم يختار منها إسناداً واحداً يذكره عند كل تفسير منها يريد روايته . وقد يكون ما رواه الحاكم - مثلاً - بالإسناد إلى ابن مسعود ، ليس مما روى السدي عن ابن مسعود نصاً . بل لعله ما رواه من تفسير ابن عباس ، أو مما رواه عن أناس من الصحابة ، روى عن كل واحد منهم شيئاً ، فأسند الجملة ، ولم يسند التفاصيل .

ولم يكن السدي ببدع في ذلك ، ولا يكون هذا جرحاً فيه ولا قدحاً . إنما يريد إسناد هذه التفاسير إلى الصحابة ، بعضها عن ابن عباس ، وبعضها عن ابن مسعود ، وبعضها عن غيرهما منهم . وقد صنع غيره من حفاظ الحديث وأئمة نحواً مما صنع ، فما كان ذلك بمطمن فيهم ، بل تقبلها الحفاظ بعدهم ، وأخرجوها في دواوينهم . ويحضرني الآن من ذلك صنيع معاصره : ابن شهاب الزهري الإمام . فقد روى قصة حديث الإفك ، فقال : «أخبرني سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا . وكلهم حدثني طائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً ، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني ، وبعض حديثهم يصدق بعضاً» ، إلخ . فذكر الحديث بطوله . وهو في صحيح مسلم ٢ : ٣٢٣ - ٣٢٥ . وسيأتي في تفسير الطبري (١٨) : (٧١ - ٧٤ بولاق) . ورواه الإمام أحمد والبخاري في صحيحه ، كما في تفسير ابن كثير ٦ : ٦٨ - ٧٣ . ثم قال ابن كثير : «وهكذا رواه ابن إسحق عن الزهري كذلك ، قال : «وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله

معمر، عن قتادة في قوله ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال: يوم يدين الله العباد بأعمالهم^(١).
 ١٧٠- حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، «مالك يوم الدين» قال: يوم يدين الناس بالحساب^(٢).

• • •

القول في تأويل قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

قال أبو جعفر: وتأويل قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لك اللهم نخشع ونذل ونستكين، إقراراً لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك.
 ١٧١- كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار قال: حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: قال جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، إياك نُوحِدُ ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك^(٣).

ابن الزبير عن أبيه عن عائشة، وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة. وإسناد ابن إسحق الأخير في الطبري أيضاً. وإسنادان كلاهما رواهما ابن إسحق عن الزهري، في السيرة (ص ٧٣١ من سيرة ابن هشام).

والمثل على ذلك كثيرة، يعسر الآن تتبعها.

وقد أفادنا هذا البحث أن تفسير السدي من أوائل الكتب التي ألقت في رواية الأحاديث والآثار. وهو من طبقة عالية، من طبقة شيوخ مالك من التابعين.

وبعد: فأما هذا الخبر بعينه، فقد رواه الحاكم في المستدرک ٢: ٢٥٨، بالإسناد الذي أشرنا إليه، من رواية السدي عن مرة عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وافقه الذهبي. ونقله السيوطي في الدر المنثور ١: ١٤ عن «ابن جرير والحاكم، وصححه، عن ابن مسعود وناس من الصحابة».

(١) الأثر ١٦٩ - نقله السيوطي ١: ١٤، ونسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد. وهو ظاهر في رواية الطبري هذه - أنه من مصنف عبد الرزاق. ونسبه للشوكاني ١: ١٢ لها والطبري.

(٢) الأثر ١٧٠ - مضى الكلام على هذا الإسناد: ١٤٤. وأما لفظه فلم يذكره أحد منهم.

(٣) الخبر ١٧١ - إسناده ضعيف، بيناه في: ١٣٧. وهذا الخبر والذي بعده ١٧٢ جمعهما السيوطي ١: ١٤، ونسبهما أيضاً لابن أبي حاتم.

وذلك من قول ابن عباس بمعنى ما قلنا . وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه بمعنى نخشع ونذل ونستكين ، دون البيان عنه بأنه بمعنى نرجو ونخاف — وإن كان الرجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة — لأن العبودية ، عند جميع العرب ، أصلها الذلة ، وأنها تسمى الطريق المذلل الذي قد وطئته الأقدام ، وذلته السابلة : معبداً . ومن ذلك قول طرفة بن العبد :

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ ، وَأَتَّبَعْتَ وَظِيفًا وَظِيفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبَّدٍ^(١)

يعنى بالمور : الطريق . وبالمعبد : المذلل الموطوء^(٢) . ومن ذلك قيل للبعير المذلل بالركوب في الحوائج : معبد . ومنه سمي العبد عبداً لذلته لمولاه . والشواهد على ذلك — من أشعار العرب وكلامها — أكثر من أن تُحصى ، وفيما ذكرناه كفاية لمن وفق لفهمه إن شاء الله تعالى .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

قال أبو جعفر : ومعنى قوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ : وإياك ربنا نستعين على عبادتنا إياك وطاعتنا لك في أمورنا كلها — لا أحداً سواك ، إذ كان من يكفر بك يستعين في أموره معبوده الذي يعبدُه من الأوثان دونك ، ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة .

١٧٢ — كالذي حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال :

(١) ديوان الستة الجاهليين : ٣١ . يصف ناقته . تبارى : تجارها وتسابقها . والعِتَاق جمع عتيق : وهو الكريم المعرق في كرم الأصل . وناجيات : مسرعات في السير ، من النجاء ، وهو سرعة السير . والوظيف : من رضى البعير إلى ركبتيه في يديه ، وأما في رجليه فن رضىه إلى عرقوبيه . وعنى بالوظيف هنا : الخلف .

(٢) في المخطوطة : « الموطن » ، وهو قريب المعنى .

حدثني بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحّاك ، عن عبد الله ابن عباس : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، قال : إياك نستعينُ على طاعتك وعلى أمورنا كلها^(١) .

فإن قال قائل : وما معنى أمر الله عباده بأن يسألوه المعونة على طاعته ؟ أو جائزٌ ، وقد أمرهم بطاعته ، أن لا يعينهم عليها ؟ أم هل يقول قائل لربه : إياك نستعينُ على طاعتك ، إلا وهو على قوله ذلك مُعانٌ ؟ وذلك هو الطاعة . فما وجهُ مسألة العبد ربه ما قد أعطاه إياه ؟

قيل : إن تأويلَ ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه ، وإنما الداعي ربه من المؤمنين أن يعينه على طاعته إياه ، داعٍ أن يعينه فيما بقي من عمره على ما كلفه من طاعته ، دون ما قد تَقَضَّى وَمَضَى من أعماله الصالحة فيما خلا من عمره . وجازت مسألة العبد ربه ذلك ، لأن إعطاء الله عبده ذلك — مع تمكينه جوارحه لأداء ما كلفه من طاعته ، واقتراض عليه من فرائضه — فضلٌ منه جل ثناؤه تفضل به عليه ، ولُطْفٌ منه لَطَفَ له فيه . وليس في تركه التفضل على بعض عبيده بالتوفيق — مع اشتغال عبده بمعصيته ، وانصرافه عن محبته ، ولا في بسطه فضله على بعضهم ، مع إجهاد العبد نفسه في محبته ، ومسارعة إلى طاعته — فسادٌ في تدبير ، ولا جور في حكم ، فيجوز أن يجهل جاهل موضع حكم الله في أمره عبده بمسألته عونه على طاعته^(٢) .

وفي أمر الله جل ثناؤه عباده أن يقولوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، بمعنى مسألته إياه المعونة على العبادة ، أدلُّ الدليل على فساد قول القائلين بالتفويض ٥٤/١ من أهل القدر^(٣) ، الذين أحالوا أن يأمر الله أحداً من عباده بأمرٍ ، أو يكلفه

(١) الخبر ١٧٢ — هو بالإسناد الضعيف قبله . وأشرنا إليه هناك .

(٢) في المطبوعة : « حكم الله وأمره عبده » ، وفي المخطوطة : « حكم الله أمره » بغير واو . والذي أثبتناه أصوب . والحكم : الحكمة ، كما مر مراراً .

(٣) أهل القدر : هم نفاة القدر لا مثبتوه . والقائلون بالتفويض هم القدريّة والمعتزلة والإمامية .

فرض عمل ، إلا بعد إعطائه المعونة على فعله وعلى تركه . ولو كان الذي قالوا من ذلك كما قالوا ، لبطلت الرغبة إلى الله في المعونة على طاعته . إذ كان — على قولهم ، مع وجود الأمر والنهي والتكليف — حقاً واجباً على الله للعبد إعطاؤه المعونة عليه ، سأل ذلك عبده أو ترك مسألة ذلك . بل ترك إعطائه ذلك عندهم منه جورٌ . ولو كان الأمر في ذلك على ما قالوا ، لكان القائل : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، إنما يسأل ربه أن لا يحور .

وفي إجماع أهل الإسلام جميعاً — على تصويب قول القائل : « اللهم إنا نستعينك » ، وتخطئتهم قول القائل : « اللهم لا تجر علينا » — دليل واضح على خطأ ما قاله الذين وصفت قولهم . إذ كان تأويل قول القائل عندهم : اللهم إنا نستعينك — اللهم لا تترك معونتنا التي ترككها جورٌ منك .

فإن قال قائل : وكيف قيل : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ، فقدّم الخبر عن العبادة ، وأخرت مسألة المعونة عليها بعد ها ؟ وإنما تكون العبادة بالمعونة ، فمسألة المعونة كانت أحقّ بالتقديم قبل المعان عليه من العمل ، والعبادة بها .

قيل : لما كان معلوماً أن العبادة لا سبيل للعبد إليها إلا بمعونة من الله جل ثناؤه ، وكان محالاً أن يكون العبد عابداً إلا وهو على العبادة معان ، وأن يكون معاناً عليها إلا وهو لها فاعل — كان سواء تقديم ما قدم منهما على صاحبه . كما سواء قولك للرجل إذا قضى حاجتك فأحسن إليك في قضائها : « قضيت حاجتي فأحسنيت إلى » ، فقدّمت ذكر قضائه حاجتك ، أو قلت : « أحسنت إلى فقضيت حاجتي » ، فقدّمت ذكر الإحسان على ذكر قضاء الحاجة . لأنه لا يكون قاضياً حاجتك إلا وهو إليك محسن ، ولا محسناً إليك إلا وهو لحاجتك قاضٍ . فكذلك سواء قول القائل : اللهم إنا إياك نعبدُ فأعيننا على عبادتك ، وقوله : اللهم أعنا على عبادتك فإننا إياك نعبدُ .

يزعمون أن الأمر فوض إلى الإنسان (أي رد إليه) ، فأرادته كافية في إيجاد فعله ، طاعة كان أو معصية ، وهو خالق لأفعاله ، والاختيار بيده .

قال أبو جعفر : وقد ظنَّ بعض أهل الغفلة أنَّ ذلك من المقدَّم الذي معناه التأخيرُ ، كما قال امرؤ القيس :

وَلَوْ أَنَّ مَا أَسْقَى لِأُذُنِي مَعِيشَةً كَفَانِي ، وَلَمْ أَطْلُبْ ، قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ ^(١)

يريد بذلك : كفاني قليلٌ من المال ولم أطلب كثيراً . وذلك — من معنى التقديم والتأخير ، ومن مشابهة بيت امرئ القيس — بمعزل . من أجل أنه قد يكفيه القليلُ من المال ويطلبُ الكثيرَ ، فليس وجودُ ما يكفيه منه بموجب له ترك طلب الكثير ، فيكونَ نظيرَ العبادة التي بوجودها وجود المعونة عليها ، وبوجود المعونة عليها وجودها ، فيكونَ ذكرُ أحدهما دالًّا على الآخر ، فيعتدلُ في صحة الكلام تقديم ما قدَّم منهما قبل صاحبه ، أن يكونَ موضوعاً في درجته ومرتباً في مرتبته .

فإن قال : فما وجه تكراره « إياك » مع قوله : نستعين ، وقد تقدَّم ذلك قبل « نعبد » ؟ وهلاً قيل : « إياك نعبدُ ونستعين » ، إذ كان المخبرُ عنه أنه المعبودُ ، هو المخبر عنه أنه المستعانُ ؟

قيل له : إن الكاف التي مع « إيتاً » ، هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل — أعني بقوله « نعبد » — لو كانت مؤخراً بعد الفعل . وهي كنايةُ اسم المخاطب المنصوب بالفعل فكُثِّرَتْ بـ « إيتاً » متقدِّمةً ، إذ كانت الأسماء إذا انفردت بأنفسها لا تكون في كلام العرب على حرف واحد .

فلما كانت الكاف من « إياك » هي كناية اسم المخاطب التي كانت تكون كافاً وحدها متصلةً بالفعل إذا كانت بعد الفعل ، ثم كان حظُّها أن تعادَ مع كلِّ فعل اتصلت به ، فيقال : « اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك » ، وكان ذلك أفصحَ في كلام العرب ، من أن يقال : « اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد » — كان كذلك ، إذا قدِّمت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولةً بـ « إيتاً » ،

٥٥/١ كان الأفصح إعادتها مع كل فعل . كما كان الفصيحُ من الكلام إعادتها مع

كل فعل ، إذا كانت بعد الفعل متصلةً به ، وإن كان تركُ إعادتها جائزاً .
وقد ظن بعض من لم يُنعم النظر^(١) أن إعادة « إياك » مع « نستعين » ، بعد تقدّمها في قوله « إياك نعبد » ، بمعنى قول عدى بن زيد العبادي :
وَجَاعِلِ الشَّمْسِ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا^(٢)
وكقول أعشى همدان :

بَيْنَ الْأَشَجِّ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٌ بَخْجٌ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ^(٣)

وذلك من قائله جهل ، من أجل أن حظ « إياك » أن تكون مكررة مع كل فعل ، لما وصفنا آنفاً من العلة ، وليس ذلك 'حكم' « بين » ، لأنها لا تكون — إذ اقتضت اثنين — إلا تكريراً إذا أعيدت ، إذ كانت لا تنفرد بالواحد . وأنها لو أفردت بأحد الاسمين ، في حال اقتضاها اثنين ، كان الكلام كالمستحيل . وذلك أن قائله لو قال : « الشمس قد فصلت بين النهار » ، لكان من الكلام خلطاً^(٤) ، لنقصان الكلام عما به الحاجة إليه ، من تمامه الذي يقتضيه « بين » .

ولو قال القائل : « اللهم إياك نعبد » ، لكان ذلك كلاماً تاماً . فكان معلوماً بذلك أن حاجة كل كلمة — كانت نظيرة « إياك نعبد » — إلى « إياك » كحاجة

(١) في المطبوعة : « لم يمن النظر » ، بدلوها ، كما فعلوا في ص : ٥٥ ، تعليق : ٣ .
(٢) في اللسان (مصر) منسوباً إلى أمية بن أبي الصلت . واستدركه ابن بري ونسبه لعدى بن زيد . والمصر : الحاجز والحد بين الشيئين . يقول : جعل الشمس حداً وعلامة بين الليل والنهار .
(٣) ديوان الأعشى : ٢٢٣ ، والأغاني ٦ : ٤٦ ، ٦١ . وأعشى همدان هو عبد الرحمن بن عبد الله الحمداني أبو مصبح ، كان أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر . يمدح عبد الرحمن بن الأشعث ابن قيس الكندي ، وكان خرج على الحجاج ، فخرج معه الفقهاء والقراء ، فلما أسر الحجاج الأعشى ، قال له : أأنت القائل : وأنشد البيت — والله لا تبخج بعدها أبداً ! وقتله . الأشج : هو الأشعث والد عبد الرحمن ، وقيس جده . و بَخْجٌ بَخْجٌ : كلمة للتعظيم والتفخيم . وهذا البيت والذي سبقه شاهدان على صحة تكرار « بين » ، مع غير الضمير المتصل ، ومثلها كثير . وأهل عصرنا يخطئون من يقوله ، وهم في شرك الخطأ .

(٤) الخلف (بفتح فسكون) : الردى من القول . يقال : هذا خلف من القول ، أي ردى . وفي المثل : « سكت ألفاً ونطق خلفاً » ، يقال للرجل يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم بالخطأ . أي سكت حمراً طويلاً ، ثم تكلم بخطأ . كنى بالآلف عن الزمن الطويل ، ألف ساعة مثلاً .

« نَعْبُدُ » إليها^(١) ، وأن الصواب أن تكون معها « إياك » ، إذ كانت كل كلمة منها جملة خبر مبتدأ ، وبيئاً بحكم مخالفة ذلك لحكم « بين » ، فيما وفق بينهما الذي وصفنا قوله .

القول في تأويل قوله ﴿ اهْدِنَا 》 .

قال أبو جعفر : ومعنى قوله ﴿ اهْدِنَا الصراط المستقيم ﴾ ، في هذا الموضع عندنا : وَفَّقْنَا للثبات عليه ، كما روى ذلك عن ابن عباس : —
١٧٣ — حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال حدثنا بشر ابن عمار ، قال حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاک ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد صلى الله عليه : « قل ، يا محمد ، اهْدِنَا الصراط المستقيم » . يقول : أَلْهَمْنَا الطريق الهادي^(٢) .

والهامه إياه ذلك ، هو توفيقه له ، كالذي قلنا في تأويله . ومعناه نظير معنى قوله « إياك نستعين » ، في أنه مسألة العبد ربه التوفيق للثبات على العمل بطاعته ، وإصابة الحق والصواب فيما أمره به ونهاه عنه ، فيما يستقبل من عمره ، دون ما قد مضى من أعماله ، وتقضى فيما سلف من عمره . كما قوله « إياك نستعين » ، مسألة منه ربه المعونة على أداء ما قد كلفه من طاعته ، فيما بقي من عمره .

فكان معنى الكلام : اللهم إياك نعبدُ وحدك لا شريك لك ، مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان ، فأعيننا على عبادتك ، ووفقنا لما

(١) يعني أن حاجة الأولى منها كحاجة الثانية ، فلذلك وجب تكرارها . سياق العبارة : « فكان معلوماً أن حاجة كل كلمة . . . وكان معلوماً أن الصواب أن تكون معها . . . وكان بيناً . . . » إلى آخر الفقرة .

(٢) يأتي بتمامه وتخرجه برقم ١٧٩ .

وفقت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك ، من السبيل والمنهاج .
 فإن قال قائل : وأننى وجدت الهداية فى كلام العرب بمعنى التوفيق ؟
 قيل له : ذلك فى كلامها أكثر وأظهر من أن يُحصى عدد ما جاء عنهم فى
 ذلك من الشواهد . فمن ذلك قول الشاعر :

لَا تَحْرِمْنِي ، هَذَاكَ اللَّهُ ، مَسَالَتِي وَلَا أَكُونَنَّ كَمَنْ أَوْدَى بِهِ السَّفَرُ^(١)

يعنى به : وفقتك الله لقضاء حاجتى . ومنه قول الآخر :

وَلَا تُجِلِّنِي هَذَاكَ الْمَلِكُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا^(٢)

فعلوم أنه إنما أراد : وفقتك الله لإصابة الحق فى أمرى .

ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ فى غير آية
 من تنزيله . وقد علم بذلك ، أنه لم يعن أنه لا يُبين للظالمين الواجب عليهم من
 فرائضه . وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه ، وقد عم بالبيان جميع المكلفين من
 خلقه ؟ ولكنه عنى جل وعز أنه لا يُوفقهم ، ولا يشرح للحق والإيمان صدورهم . ٥٦/١

وقد زعم بعضهم أن تأويل قوله ﴿ اهْدِنَا ﴾ : زدنا هداية .

وليس يخلو هذا القول من أحد أمرين : إما أن يكون ظناً قائله أن النبى
 صلى الله عليه وسلم أمر بمسألة ربه الزيادة فى البيان ، أو الزيادة فى المعونة والتوفيق .
 فإن كان ظن أنه أمر بمسألة الزيادة فى البيان ، فذلك مالا وجه له . لأن الله
 جل ثناؤه لا يكلف عبداً فرضاً من فرائضه ، إلا بعد تبينه له وإقامة الحجة
 عليه به . ولو كان معنى ذلك معنى مسألته البيان ، لكان قد أمر أن يدعو ربه
 أن يبين له ما فرض عليه ، وذلك من الدعاء "خلف"^(٣) ، لأنه لا يفرض فرضاً إلا مبيناً

(١) لم أعرف نسبة البيت ، وأخشى أن يكون من أبيات ودقة الأسدى يقولها لمن بن زائدة . أمالى
 المرتضى ١ : ١٦٠ .

(٢) نسبة المفضل بن سلمة فى الفاخر : ٢٥٣ ، وقال : « أول من قال ذلك طرفة بن العبد ، فى
 شعر يعتذر فيه إلى عمرو بن هند » ، وليس فى ديوانه ، وانظر أمثال الميدانى ٢ : ١٢٥ .

(٣) أى ردىء من القول . انظر ما سلف ص ١٦٥ رقم : ١ .

لمن فرضه عليه. أو يكون أميراً أن يدعو ربه أن يفرض عليه الفرائض التي لم يفرضها.
وفي فساد وجه مسألة العبد ربه ذلك ، ما يوضح عن أن معنى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ، غير معنى : بين لنا فرائضك وحدودك .

أو يكون ظناً أنه أمير بمسألة ربه الزيادة في المعونة والتوفيق . فإن كان ذلك كذلك ، فلن تخلو مسألته تلك الزيادة من أن تكون مسألة للزيادة في المعونة على ما قد مضى من عمله ، أو على ما يحدث . وفي ارتفاع حاجة العبد إلى المعونة على ما قد تقضى من عمله^(١) ، ما يُعْلِمُ أن معنى مسألة تلك الزيادة إنما هو مسألته الزيادة لما يحدث من عمله . وإذا كان ذلك كذلك ، صار الأمر إلى ما وصفنا وقلنا في ذلك : من أنه مسألة العبد ربه التوفيق لأداء ما كُلف من فرائضه ، فيما يستقبل من عمره .

وفي صحة ذلك ، فساد قول أهل القدر الزاعمين أن كل مأمور بأمر أو مكلف فرضاً ، فقد أعطى من المعونة عليه ، ما قد ارتفعت معه في ذلك الفرض حاجته إلى ربه^(٢) . لأنه لو كان الأمر على ما قالوا في ذلك ، لبطل معنى قول الله جل ثناؤه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اهدنا الصراط المستقيم . وفي صحة معنى ذلك ، على ما بيننا ، فساد قولهم .

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ : أسلكنا طريق الجنة في المعاد ، أي قد منّا له وامض بنا إليه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة الصافات : ٢٣] ، أي أدخلوهم النار ، كما تُهْدَى المرأة إلى زوجها ، يُعْنَى بذلك أنها تُدْخَلُ إليه ، وكما تُهْدَى الهدية إلى الرجل ، وكما تُهْدَى الساق القدم ، نظير قول طرفة بن العبد :

(١) ارتفع الأمر : زال وذهب ، كأنه كان موضوعاً حاضراً ثم ارتفع . ومنه : ارتفع الخلاف بينهما .

(٢) انظر ص : ١٦٢ التعليق رقم : ٢ .

لَعَبْتُ بَعْدَى السُّيُولُ بِهِ وَجَرَى فِي رَوْنَقِ رِهْمِهِ^(١)

لَلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهُ^(٢)

أى تَرَدُّ به الموارد .

وفى قول الله جل ثناؤه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ما ينبىء عن خطأ هذا التأويل ، مع شهادة الحجة من المفسرين على تخطئته . وذلك أن جميع المفسرين من الصحابة والتابعين مجمعون على أن معنى « الصراط » فى هذا الموضع ، غير المعنى الذى تأوله قائل هذا القول ، وأن قوله : « إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » مسألة العبدِ ربّه المعونة على عبادته . فكذلك قوله « اهْدِنَا » إنما هو مسألة الثبات على الهدى فيما بقى من عُمره .

والعربُ تقول : هَدَيْتُ فَلَانًا الطَّرِيقَ ، وَهَدَيْتُهُ للطريق ، وَهَدَيْتُهُ إِلَى الطريق ، إِذَا أَرَشَدْتَهُ إِلَيْهِ وَسَدَّدْتَهُ لَهُ . وبكل ذلك جاء القرآن ، قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] ، وقال فى موضع آخر : ﴿ أَجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة النحل : ١٢١] ، وقال : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

وكل ذلك فاش فى منطقها ، موجودٌ فى كلامها ، من ذلك قول الشاعر :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ، رَبِّ الْعِبَادِ ، إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ^(٣)

(١) ديوان الستة الجاهلين : ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، والبيت الأول فى فاتحة الشعر ، والأخير خاتمته . والضمير فى قوله : « لعبت » للربيع ، فى أبيات سلفت . ورونق السيف والشباب والنبات : صفاؤه وحسنه وماؤه . ويروى : « فى ريق » . وريق الشباب : أوله والتماعه ونضرتة . وعنى نباتاً نضيراً كأنه يقول : فى ذى رونق ، أو فى ذى ريق . والرهـم — بكسر الراء — جمع رهمة : وهى المطرة الضعيفة المتتابعة ، وهى مكرومة للنبات . يقول : أعشبت الأرض ، وجرى ماء السماء فى النبات يترقرق . والضمير فى « رهم » عائده على الغيث ، غائب كذكور .

(٢) يقول : حيث سار الفتى عاش بعقله وتدبيره واجتهاده .

(٣) يأتى فى تفسير آية سورة آل عمران : ١٢١ ، وآية سورة القصص : ٨٨ . وسيبويه ١ :

١٧ ، والخزانة ١ : ٤٨٦ ، وهو من أبيات سيبويه الحسين التى لا يعرف قائلها . قال الششتري :

يريد : أستغفر الله لذنب ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدَنْبِكَ ﴾ [سورة غافر : ٥٥] .

ومنه قول نابغة بنى ذُبَيَّان :

٥٧/١

فَيَصِيدُنَا الْعَيْرَ الْمَدْلَ بِحُضْرِهِ قَبْلَ الْوَنَى ، وَالْأَشْعَبَ النَّبَاحَا^(١)

يريد : فيصيد لنا . وذلك كثير في أشعارهم وكلامهم ، وفيما ذكرنا منه كفاية .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

قال أبو جعفر : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن « الصراط المستقيم » ، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه . وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطّني :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ - إِذَا أَعَوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمَ^(٢)

يريد : على طريق الحق . ومنه قول الهذلي أبي ذؤيب :

صَبَحْنَا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى تَرَكْنَاهَا أَدَقَّ مِنَ الصِّرَاطِ^(٣)

« أراد من ذنب ، فحذف الجار وأوصل الفعل فنصب . والذنب هنا اسم جنس بمعنى الجمع . فلذلك قال : « لست محصيه » . والوجه : القصد والمراد ، وهو بمعنى التوجه » .

(١) البيت ليس في ديوانه . ومن القصيدة أبيات فيه : ٢٣ ، (مطبوعة محمد جمال) ، والمحتنى لابن دريد : ٢٣ ، يصف فرساً . والير : حمار الوحش . والحضر : العدو الشديد ، وحمار الوحش شديد العدو . والونى : التعب والفترة في العدو أو العمل . والأشعب : الظبي تفرق قرناه فانشعبا وتباينا بينونة شديدة . ونبح الكلب والظبي والتيس ينبع نباحاً ، فهو نباح ، إذا كثرت صياحه ، من المرح والنشاط . والظبي إذا أسن ونبتت لقروته شعب ، نبع (الحيوان ١ : ٣٤٩) . يصف فرسه بشدة آعدو ، يلحق العير المدل بحضره ، والظبي المستحكم السريع ، فيصيدها قبل أن يناله تعب .

(٢) ديوانه : ٥٠٧ ، يمدح هشام بن عبد الملك . والموارد جمع موردة : وهي الطرق إلى الماء . يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم ، كما يسلكون الموارد إلى الماء .

(٣) ليس في ديوانه ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١ : ١٢٨ لعامر بن الطفيل ، وليس في ديوانه ،

ومنه قول الراجز :

« فَصَدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّرَاطِ الْقَاصِدِ ^(١) » .

والشواهد على ذلك أكثر من أن تُحصى ، وفيما ذكرنا غنى عما تركنا .
ثم تستعير العرب « الصراط » فتستعمله في كل قول وعمل وصيف باستقامة
أو اعوجاج ، فتصف المستقيم باستقامته ، والمعوج باعوجاجه .

والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندى ، أعنى : « اهدنا الصراط المستقيم » ،
أن يكون معنياً به : وفقنا للثبات على ما ارتضيتَه ووفقتَ له من أنعمتَ عليه من
عبادك ، من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم . لأن من وفق لما وفق له
من أنعم الله عليه من النبيين والصدّيقين والشهداء ، فقد وفق للإسلام ، وتصديق
الرسول ، والتمسك بالكتاب ، والعمل بما أمر الله به ، والانزجار عما زجره عنه ،
واتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلى . وكل
عبد لله صالح ، وكل ذلك من الصراط المستقيم .

وقد اختلفت تراجمة القرآن في المعنى بالصراط المستقيم ^(٢) . يشمل معانى
جميعهم في ذلك ، ما اخترنا من التأويل فيه .

ومما قالته في ذلك ، ما روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، عن النبي
صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ، وذكر القرآن ، فقال : هو الصراط المستقيم .

١٧٤ - حدثنا بذلك موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا حسين
الجعفي ، عن حمزة الزيات ، عن أبي المختار الطائي ، عن ابن أخي الحارث ، عن
الحارث ، عن علي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

فإن يكن هذلياً ، فاعله من شعر المتنخل ، وله قصيدة في ديوان الهذليين ٢ : ١٨ - ٢٨ ، على هذه
القافية . ولعمرو بن معد يكرب أبيات مثلها رواها القالي في النوادر ٣ : ١٩١ .

(١) رواه القرطبي في تفسيره ١ : ١٢٨ « الصراط الواضح » .

(٢) تراجمة القرآن ، جمع ترجمان : وأراد المفسرين ، وانظر ما مضى : ٧٠ تعليق : ١

(٣) الحديث ١٧٤ - إسناده ضعيف جداً . موسى بن عبد الرحمن المسروقي : ثقة ، روى عنه

١٧٥- وُحِدْتُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ، قَالَ: حَلَسْنَا مُحَمَّدَ بْنَ سَلَمَةَ،

عَنْ أَبِي سَيْنَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ الْحَارِثِ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَهُ (١).

الترمذي، والنسائي، وابن خزيمة، وغيرهم. مات سنة ٢٥٨، مترجم في التهذيب. حسين الجعفي: هو حسين بن علي بن الوليد، ثقة معروف، روى عنه أحمد، وابن معين، وغيرهم، بل روى عنه ابن عينية وهو أكبر منه. وأخرج له أصحاب الكتب الستة. حمزة الزيات: هو حمزة بن حبيب، القاري المعروف. وتكلم في روايته بعضهم، والحق أنه ثقة، وأخرج له مسلم في صحيحه. أبو المختار الطائي: قيل اسمه: سعد، وهو مجهول، جهله المديني وأبو زرعة. ابن أخى الحارث الأعور: أشد جهالة من ذلك، لم يسم هو ولا أبوه. عمه الحارث: هو ابن عبد الله الأعور الحمداني، وهو ضعيف جداً. وقد اختلف فيه العلماء اختلافاً كثيراً، حتى وصفه الشعبي وغيره بأنه «كان كذاباً»، وقد رجحت في شرح الحديث ٥٦٥ وغيره من المسند أنه ضعيف جداً.

وأما متن الحديث: فقد رواه - بمعناه - ابن أبي حاتم، عن الحسن بن عرفة عن يحيى بن يمان عن حمزة الزيات، بهذا الإسناد، فيما نقل ابن كثير ١: ٥٠. ووقع فيه تحريف في الإسناد هناك. وهو جزء من حديث طويل، في فضل القرآن - رواه الترمذي (٤: ٥١ - ٥٢ من تحفة الأحوزي)، عن عبد بن حميد عن حسين الجعفي، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال». كذلك رواه الدارمي في سننه ٢: ٤٣٥ عن محمد بن يزيد الرفاعي عن حسين الجعفي. ونقله السيوطي ١: ١٥ ونسبه أيضاً لابن أبي شيبة وابن الأنباري في المصاحف واليهوق في شعب الإيمان. وأشار إليه الذهبي في الميزان ٣: ٣٨٠ في ترجمة أبي المختار الطائي، قال: «حديثه في فضائل القرآن منكر». ونقله ابن كثير في الفضائل ١٤: ١٥ - عن الترمذي، ونقل تضعيفه إياه، ثم قال: «لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد ابن إسحق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور. فبرئ حمزة من عهده، على أنه وإن كان ضعيف الحديث، فإنه إمام في القراءة. والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث - فلا. وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين على رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح». وسيأتي ١٧٥، ١٧٦ بإسنادين آخرين، موقوفاً، من كلام على رضي الله عنه.

ورواية ابن إسحق - التي أشار إليها ابن كثير - هي حديث أحمد في المسند: ٥٦٥. عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحق. وقد ضعفنا إسناده هناك، بالحارث الأعور، وبانقطاعه بين ابن إسحق ومحمد بن كعب. وليس فيه الحرف الذي هنا، في تفسير «الصراط المستقيم».

(١) الحديث ١٧٥ - هو الحديث السابق بإسناد آخر. وهذا الإسناد جيد إلى الحارث الأعور،

ثم يضعف به الحديث جداً، كما قلنا من قبل.

ومحمد بن سلمة: هو الباهل الحرائي، وهو ثقة، روى عنه أحمد بن حنبل وغيره، وأخرج له مسلم في صحيحه، مات سنة ١٩١. وشيخه أبو سنان: وهو سعيد بن سنان الشيباني، وهو ثقة، ومن تكلم فيه إنما يكون من جهة خطئه بعض الخطأ، وقال أبو داود: «ثقة من رفقاء الناس»، وأخرج له مسلم في الصحيح. وعمرو بن مرة: هو المرادي الجعفي، ثقة مأثور بلا خلاف، قال مسعر: «عمرو

١٧٦- حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا حمزة الزيات ، عن أبي المختار الطائى ، عن ابن أخى الحارث الأعور ، عن الحارث ، عن على ، قال : الصراط المستقيم : كتاب الله تعالى ذكره^(١) .

١٧٧- حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا سفيان - ح - وحدثنا محمد بن حميد الرازى ، قال : حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي وائل ، قال : قال عبدالله : « الصراط المستقيم » كتاب الله^(٢) .

١٧٨- حدثني محمود بن خيداش الطالقاني ، قال : حدثنا حميد بن عبدالرحمن الرؤاسي ، قال : حدثنا على والحسن ابنا صالح ، جميعاً ، عن عبد الله بن محمد ابن حنبل ، عن جابر بن عبد الله : « اهدنا الصراط المستقيم » قال : الإسلام ، قال : هو أوسع مما بين السماء والأرض^(٣) .

من معادن الصدق . وأبو البخترى - بفتح الباء الموحدة والتاء المثناة بينهما خاء معجمة ساكنة : هو سعيد بن فيروز الطائى الكوفى ، تابعى ثقة معروف .

(١) الخبر ١٧٦ - هو الحديث السابق بالإسنادين قبله ، بمعناه . ولكنه هنا موقوف على ابن أبي طالب . والإسناد إليه منهار انهيار الإسناد ١٧٤ ، من أجل الحارث الأعور وابن أخيه . أما من دونهما ، فأبو المختار الطائى وحمزة مضيافى ١٧٤ ، وأبو أحمد الزبيرى وأحمد بن إسحق مضيافى ١٥٩ .

(٢) الخبر ١٧٧ - هذا موقوف من كلام عبد الله بن مسعود . وقد رواه الطبرى بإسنادين إلى سفيان ، وهو الثورى . أما أولهما : أحمد بن إسحق عن أبي أحمد الزبيرى عن سفيان الثورى - بإسناده صحيح ، لا كلام فيه . وأما ثانيهما : محمد بن حميد الرازى عن مهران ، وهو ابن أبي عمر العطار - فقد بينا فى الإسناد ١١ أن فى رواية مهران عن الثورى اضطراباً ، ولكنه هنا تابعه عن روايته حافظ ثقة ، هو أبو أحمد الزبيرى . وقد رواه الثورى عن منصور ، وهو ابن المعتز الكوفى ، وهو ثقة ثبت حجة ، لا يختلف فيه أحد . وأبو وائل : هو شقيق بن سلمة الأسدى ، من كبار التابعين الثقات ، قال ابن معين : « ثقة لا يسأل عن مثله » .

وهذا الخبر ، رواه الحاكم فى المستدرک ٢ : ٢٥٨ من طريق عمر بن سعد أبى داود الحضرى عن الثورى ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . وذكره السيوطى ١ : ١٥ ، والشوكانى ١ : ١٣ .

(٣) الخبر ١٧٨ - وهذا موقوف على جابر بن عبد الله . وإسناده صحيح : محمود بن خدّاش بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وآخره شين معجمة - الطالقاني : ثقة من أهل الصدق ، مات يوم الأربعاء ١٤ شعبان سنة ٢٥٠ ، كفى التاريخ الصغير للبغارى : ٢٤٧ . وحيد بن عبد الرحمن الرؤاسي :

١٧٩- حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوَّح ، عن الضحَّاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد : قل يا محمد ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ يقول : أهدنا الطريق الهادي ، وهو دين الله الذي لا عوج له ^(١) .

١٨٠- حدثنا موسى بن سهل الرازي ، قال : حدثنا يحيى بن عوف ، عن الفرَّات بن السائب ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال : ذلك الإسلام ^(٢) .

١٨١- حدثني محمود بن خِدَّاش ، قال : حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي ، عن إسماعيل الأزرق ، عن أبي عُمر البزار ، عن ابن الحنفية ، في قوله

ثقة ثبت عاقل ، روى عنه أحمد وغيره من الحفاظ . والحسن وعلى ابنا صالح بن صالح بن حي : ثقتان ، وهما أعوان توأم . ومن تكلم في الحسن تكلم بغير حجة ، وقد وثقناه في المسند : ٢٤٠٣ . وأخاه فيه : ٢٢٠ . وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، وأمه زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب : تابعي ثقة ، ولا حجة لمن تكلم فيه .

والخبر رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٥٨ - ٢٥٩ ، من طريق أبي نعيم عن الحسن بن صالح - وحده - بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير ١ : ٥٠ ، والسيوطي ١ : ١٥ ، والشوكاني ١ : ١٣ .

(١) الحديث ١٧٩ - إسناده ضعيف ، سبق بيان ضعفه : ١٣٧ . وهذا اللفظ نقله ابن كثير ١ : ٥٠ دون إسناد ولا نسبة . ونقله السيوطي ١ : ١٤ مختصراً ، ونسبه للطبري فقط .

(٢) الخبر ١٨٠ - إسناده ضعيف جداً ، على ما فيه من جهلنا بحال بعض رجاله : فوسى ابن سهل الرازي ، شيخ الطبري : لم نجزم بأى الرجال هو ؟ ولعله « موسى بن سهل بن قادم ، ويقال ابن موسى ، أبو عمر الرملي ، نسائي الأصل » . فهر شيخ الطبري مترجم في التهذيب ١٠ : ٣٤٧ ، ولكنه لم ينسب « رازيا » . وكتب في المخطوطة : « سهل بن موسى » ! ولم نجد هذه الترجمة أيضاً ، ونرجح أنه خطأ من الناسخ . . ويحيى بن عوف : لم نجد ترجمة بهذا الاسم قط فيما لدينا من مراجع . وأما علة الإسناد ، فهو « الفرَّات بن السائب الجزري » ، وهو ضعيف جداً ، قال البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٣٠ : « تركوه ، منكر الحديث » ، وكذلك قال الأئمة فيه ، وقال ابن حبان في المجروحين (في الورقة ١٨٧) : « كان ممن يروى الموضوعات عن الأثبات ، ويأتي بالمعضلات عن الثقات ، لا يجوز الاحتجاج به ، ولا الرواية عنه ، ولا كتبه حديثه إلا على سبيل الاختبار » . وأما ميمون بن مهران فتابعي ثقة معروف ، فقيه حجة .

وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٥٠ مجعلاً بلفظ « وقيل : هو الإسلام » . ونقله السيوطي ١ : ١٥ منسوباً لابن جرير فقط ، على خطأ مطبعي فيه « ابن جريج » !

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال : هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره^(١) .

١٨٢- حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن طلحة القنّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال : هو الإسلام^(٢) .

١٨٣- حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس في قوله : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ، قال : الطريق^(٣) .

١٨٤- حدثنا عبد الله بن كثير أبو صديق الآملي ، قال : حدثنا هاشم بن القاسم ، قال : حدثنا حمزة بن المغيرة ، عن عاصم ، عن أبي العالية ، في قوله : «اهدنا الصراط المستقيم» ، قال : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه من بعده أبو بكر وعمر . قال : فذكرت ذلك للحسن فقال : صدق أبو العالية ونصح^(٤) .

(١) الأثر ١٨١ - ابن الحنفية : هو محمد بن علي بن أبي طالب ، والحنفية أمه ، وهي خولة بنت جعفر من بني حنيفة ، عرف بالنسبة إليها . وهذا الإسناد إليه ضعيف : محمد بن ربيعة الكلّابي الرّواصي : ثقة من شيوخ أحمد وابن معين . وإسماعيل الأزرق : هو إسماعيل بن سليمان ، وهو ضعيف ، قال ابن معين : «ليس حديثه بشيء» ، وقال ابن نمير والنسائي : «متروك» ، وقال ابن حبان في كتاب المجروحين (ص ٧٨ رقم ٣٥) : «ينفرد بمناكير يرويها عن المشاهير» . وأبو عمر البزار : هو دينار بن عمر الأسدي الكوفي الأعمى ، وهو ثقة . والأثر ذكره ابن كثير ١ : ٥١ دون نسبة ولا إسناد .

(٢) الخبر ١٨٢ - هذا من تفسير السدي ، وقد سبق شرح إسناده ١٦٨ . وقد نقله ابن كثير ١ : ٥٠ والسيوطي ١ : ١٥ .

(٣) الخبر ١٨٣ - نقله السيوطي ١ : ١٤ منسوباً للطبري وابن المنذر . وقد سبق أول هذا الإسناد : ١٤٤ ، وهو هنا منقطع ، لأن ابن جريج لم يدرك ابن عباس ، إنما يروي عن الرواة عنه .

(٤) الأثر ١٨٤ - عبد الله بن كثير أبو صديق الآملي ، شيخ الطبري : لم أعرف من هو ، ولم أجد له ذكراً ، وأخشى أن يكون فيه تحريف . هاشم بن القاسم : هو أبو النضر - بالنون والضماد

١٨٥- حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال حدثنا ابن وهب، قال : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « اهدنا الصراط المستقيم » ، قال : الإسلام ^(١) .

١٨٦- حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، أن عبد الرحمن بن جبير حدثه ، عن أبيه ، عن نَوَّاس بن سَمْعَانَ الأنصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، والصَّراط : الإسلام .

١٨٧- حدثنا المثنى قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا الليث ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن نَوَّاس ابن سَمْعَانَ الأنصاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله ^(٢) .

المعجمة - الحافظ الحراساني الإمام ، شيخ الأئمة : أحمد وابن راهويه وابن المديني وابن معين وغيرهم . حمزة بن المغيرة بن نشيط - بفتح النون وكسر الشين المعجمة - الكوفي العابد : ثقة ، مترجم في التهذيب ، وترجمه البخاري في الكبير ٤٤/١/٢ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢١٤ - ٢١٥ ، وذكره ابن حبان في الثقات ٤٤٣ ، قال : « حمزة بن المغيرة العابد ، من أهل الكوفة . يروى عن عاصم الأحول عن أبي العالية (اهدنا الصراط المستقيم) ، قال : هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه . روى عنه أبو النضر هاشم بن القاسم » . ووقع هنا : في الأصول « حمزة بن أبي المغيرة » . وهو خطأ من الناسخين . عاصم : هو ابن سليمان الأحول ، تابعي ثقة ثبت . أبو العالية : هو الرياحي - بكسر الراء وتخفيف الياء ، واسمه : رفيع - بالتصغير - بن مهران ، من كبار التابعين الثقات ، مجمع على توثيقه .

وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٥١ ونسبه أيضاً لابن أبي حاتم . والسيوطي ١ : ١٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن عدي وابن عساكر . وأبو العالية لم يقله من قبل نفسه : فقد رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٥٩ من طريق أبي النضر بهذا الإسناد إلى « أبي العالية عن ابن عباس » . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي . واختصره السيوطي ونسبه للحاكم فقط .

(١) الأثر ١٨٥ - هذا من كلام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقد نقله ابن كثير ١ : ٥١ دون نسبة . وعبد الرحمن بن زيد : متأخر ، من أتباع التابعين ، مات سنة ١٨٢ . وهو ضعيف جداً ، بينت ضعفه في حديث المسند : ٥٧٢٣ ، ويكنى منه قول ابن خزيمة : « ليس هو بمن يحتاج أهل العلم بحديثه ، لسوء حفظه ، وهو رجل صناعته العبادة والتقشف ، ليس من أحلاس الحديث » .

(٢) الحديث ١٨٦ ، ١٨٧ - رواه الطبري عن شيخه « المثنى » بإسنادين ، أولها أعلى من الثاني درجة : بين المثنى وبين معاوية بن صالح في أولها شيخ واحد ، وفي ثانيهما شيخان .

أما المثنى شيخ الطبري : فهو المثنى بن إبراهيم الأمل ، يروى عنه للطبري كثيراً في التفسير والتاريخ . وأبو صالح ، في الإسناد الأول : هو عبد الله بن صالح المصري ، كاتب الليث بن سعد ، صحبه عشرين سنة . وهو ثقة ، ومن تكلم فيه ، في بعض حديثه عن الليث ، تكلم بغير حجة . وله ترجمة في

قال أبو جعفر : وإنما وصفه الله بالاستقامة ، لأنه صواب لا خطأ فيه . وقد زعم بعض أهل الغباء ، أنه سماه الله مستقيماً ، لاستقامته بأهله إلى الجنة . وذلك تأويل لتأويل جميع أهل التفسير خلاف ، وكفى بإجماع جميعهم على خلافه دليلاً على خطئه .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

وقوله ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، إيالة عن الصراط المستقيم ، أي الصراط هو ؟ إذ كان كل طريق من طرق الحق صراطاً مستقيماً . فقليل لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : اهتدنا يا ربنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك ، من ملائكتك وأنبيائك والصدّيقين والشهداء والصالحين . وذلك نظير ما قال ربنا جل ثناؤه في تنزيله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا . وَإِذَا لَا تَيْسَآهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا . وَلَهْدَيْنَاهُمْ

التّهذيب جيدة ، وكذلك في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨٦/٢/٢ - ٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٣٥١ - ٣٥٣ . ولد عبد الله بن صالح سنة ١٣٧ ومات سنة ٢٢٢ . ووقع تاريخ مولده في التّهذيب (١٧٢) وهو خطأ مطبعي ، صوابه في تذكرة الحفاظ . وآدم المسقلاني ، في الإسناد الثاني : هو آدم ابن أبي إياس ، وهو ثقة مأمون متعبد ، من خيار عباد الله ، كما قال أبو حاتم . الليث : هو ابن سعد ، إمام أهل مصر . معاوية بن صالح ، في الإسنادين : هو الحمصي ، أحد الأعلام وقاضي الأندلس ، ثقة ، من تكلم فيه خطأ . عبد الرحمن بن جبير بن نفير - بالتصغير فيهما - الحمصري الحمصي : تابعي ثقة . وأبوه : من كبار التابعين ، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم . وهو ثقة مشهور بالعلم ، وذكره الطبري في طبقات الفقهاء . النواس - بفتح النون وتشديد الواو - بن سيمان الكلبي : صحابي معروف . وهذا الحديث مختصر من حديث طويل ، رواه أحمد في المسند : ١٧٧١١ (ج ٤ : ص ١٨٢ ح ١) عن الحسن بن سوار عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح ، به . ونقله ابن كثير ١ : ٥١ من رواية المسند ، قال : « وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد ، به . ورواه الترمذي والنسائي جميعاً عن علي بن حنبل عن بقية عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سيمان ، به . وهو إسناد حسن صحيح » . ونسبه السيوطي ١ : ١٥ ، والشوكاني ١ : ١٣ أيضاً للمعاصم « ومصححه » ، ولغيره .

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا • وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴿ [سورة النساء : ٦٦ - ٦٩] •

قال أبو جعفر : فالذي أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمرته أن يسألوا ربهم من الهداية للطريق المستقيم ، هي الهداية للطريق الذي وصف الله جل ثناؤه صفته . وذلك الطريق ، هو طريق الذين وصفهم الله بما وصفهم به في تنزيله ، ووعد من سلكه فاستقام فيه طائعاً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، أن يُورده مواردهم ، والله لا يخلف الميعاد .

وبنحو ما قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس وغيره : —

- ١٨٨ — حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « صراط الذين أنعمت عليهم » يقول : طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ، الذين أطاعوك وعبّدوك^(١) .
- ١٨٩ — حدثني أحمد بن حازم الغفاري ، قال : أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي جعفر ، عن ربيع : « صراط الذين أنعمت عليهم » ، قال : النبيون^(٢) .
- ١٩٠ — حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : « أنعمت عليهم » قال : المؤمنين^(٣) .
- ١٩١ — حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : قال وكيع : « أنعمت عليهم » ، المسلمين^(٤) .

(١) الخبر ١٨٨ — ضعف هذا الإسناد مفصل في : ١٣٧ . وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٥٢ . وانظر أيضاً : ١٧٩ .

(٢) الأثر ١٨٩ — ربيع : هو ابن أنس البكري . وسبق شرح هذا الإسناد إليه : ١٦٤ . والأثر نقله ابن كثير ١ : ٥٢ ، والسيوطي ١ : ١٦ .

(٣) الخبر ١٩٠ — هذا كالخبر ١٨٣ منقطع بين ابن جريج وابن عباس . وقد نقله ابن كثير ١ : ٥٢ ، والسيوطي ١ : ١٦ ، ولكن وقع فيه « ابن حميد » بدل « ابن جريج » .

(٤) الأثر ١٩١ — وهذا نقله ابن كثير أيضاً ١ : ٥٣ .

١٩٢- حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد في قول الله « صراط الذين أنعمت عليهم » ، قال : النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ^(١) .

قال أبو جعفر : وفي هذه الآية دليل واضح على أن طاعة الله جل ثناؤه ، لا ينالها المطيعون إلا بإنعام الله بها عليهم ، وتوفيقه إياهم لها . أو لا يسمعون به يقول : « صراط الذين أنعمت عليهم » ، فأضاف كل ما كان منهم من اهتداء وطاعة وعبادة إلى أنه إنعام منه عليهم ؟

فإن قال قائل : وأين تمام هذا الخبر ؟ وقد علمت أن قول القائل لآخر : « أنعمت عليك » مقتضى الخبر عما أنعم به عليه ، فأين ذلك الخبر في قوله « صراط الذين أنعمت عليهم » ؟ وما تلك النعمة التي أنعمها عليهم ؟

قيل له : قد قدمنا البيان - فيما مضى من كتابنا هذا - عن اجتزاء العرب في منطقتها ببعض من بعض ، إذا كان البعض الظاهر دالاً على البعض الباطن وكافياً منه . فقوله « صراط الذين أنعمت عليهم » من ذلك . لأن أمر الله جل ثناؤه عباده بمسألته المعونة ، وطلبهم منه الهداية للصراط المستقيم ، لما كان متقدماً قوله « صراط الذين أنعمت عليهم » ، الذي هو إبانة عن الصراط المستقيم وإبدال منه - كان معلوماً أن النعمة التي أنعم الله بها على من أمرنا بمسألته الهداية لطريقهم ، هو المنهاج القويم والصراط المستقيم ، الذي قد قدمنا البيان عن تأويله آنفاً . فكان ظاهر ما ظهر من ذلك - مع قرب تجاور الكلمتين - مغنياً عن تكراره .

كما قال نابغة بني ذبيان :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقِيْشٍ يُقَعِّمُ خَلْفَ رَجْلَيْهِ بَشَنَ ^(٢)

(١) الأثر ١٩٢ - مضى هذا الإسناد : ١٨٥ . وأما نص الأثر ، فهو عند ابن كثير ١ : ٥٣ . وقال بعد هذه الروايات : « والتفسير المتقدم عن ابن عباس أعم وأشمل » . يعني الخبر ١٨٨ .

(٢) ديوانه : ٥٨ ، سيبويه ١ : ٣٧٥ ، مجاز القرآن : ١٠١ الخزانة ٢ : ٣١٤ ، وهذا الشعر يقوله النابغة لغبيثة بن حصن الفزاري . بنو أقيش : هم بنو أقيش بن منقر بن عبيد . وقيل :

يريد : كأنك من جمال أقيش ، جمل "يقمع" خلف رجله بشن" ، فاكتفى
بما ظهر من ذكر « الجمال » الدال على المحذوف ، من إظهار ما حذف .
وكما قال الفرزدق بن غالب :

تَرَى أَرْبَاعَهُمْ مُتَقَلِّدِيهَا إِذَا صَدَى الْحَدِيدُ عَلَى الْكُمَا^(١)

يريد : متقلديها هم ، فحذف « هم » ، إذ كان الظاهر من قوله أرباعهم ،
دالاً عليها . والشواهد على ذلك من شعر العرب وكلامها أكثر من أن تحصى .
فكذلك ذلك في قوله « صراط الذين أنعمت عليهم » .

• • •

القول في تأويل قوله : « غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ » .

قال أبو جعفر : والقراءة مجعدة على قراءة « غير » بجر الراء منها^(٢) .
والخفض يأتيها من وجهين :

أحدهما : أن يكون « غير » صفة لـ « الذين » ونعتاً لهم فتخفضها . إذ كان « الذين »
خفضاً . وهي لهم نعت وصفة . وإنما جاز أن يكون « غير » نعتاً لـ « الذين » ،
و « الذين » ، معرفة و « غير » نكرة ، لأن « الذين » بصلتها ليست بالمعرفة الموقفة كالأسماء

فخذ من أشجع . وقيل : حمى من اليمن في إبلهم نفار شديد . وقيل : هم حمى من الجن يزعمون . وقمع
حرك شيئاً يابساً فتسمع له صوت . والشن : القربة البالية . يصف عينة بالجن والخور وشدة الفزع ،
كأنه جمل شديد النفار ، إذا سمع صوت شن يقمع به .

(١) ديوانه : ١٣١ والنقائض : ٧٧٣ ، ويأتي في تفسير آية سورة الشعراء : ٤ (١٩ : ٣٨
بولاق) ، وهو هناك « على الكتاب » ، وهو خطأ . يهجو جريراً وقومه بني كليب بن يربوع . الأرباق :
جمع ربق ، والربق جمع ربة : وهو الحبل تشد به الغنم الصغار لئلا تترفع . وتقاد السيف : وضع نجاده
على منكبيه . والكماة ، جمع كمي : وهو البطل الشديد البأس . يصف بني كليب بأنهم رعاء أخصاء بخلاء ،
لا هم لهم إلا رعية الغنم ، والأبطل في الحرب يصلون حرماً الأيام الطوال حتى يصدأ حديد الدروع على
أبدانهم من العرق .

(٢) في المطبوعة « والقراء مجعدة » ، والقراءة : جمع قارئ . انظر ما مضى : ٥١ في التعليق ، و ٦٤
تعليق : ٤ : و : ١٠٩ تعليق : ١ .

التي هي أمارات بين الناس، مثل زيد وعمرو وما أشبه ذلك^(١)، وإنما هي كالنكرات المجهولات، مثل الرجل والبعر وما أشبه ذلك. فلما كان «الذين» كذلك صفتها، وكانت «غير» مضافة إلى مجهول من الأسماء، نظير «الذين»، في أنه معرفة غير موقته، كما «الذين» معرفة غير موقته - جاز من أجل ذلك أن يكون «غير المفضوب عليهم» نعتاً لـ «الذين أنعمت عليهم» كما يقال: «لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل»، يراد: لا أجلس إلا إلى من يعلم، لا إلى من يجهل. ولو كان «الذين أنعمت عليهم» معرفة موقته، كان غير جائز أن يكون «غير المفضوب عليهم» لها نعتاً. وذلك أنه خطأ في كلام العرب - إذا وصفت معرفة ٦٠/١ موقته بنكرة - أن تلزم نعتها النكرة لإعراب المعرفة المنعوت بها، إلا على نية تكرير ما أعرب المنعوت بها. خطأ في كلامهم أن يقال: «مرت بعبد الله غير العالم»، فتخفّض «غير»، إلا على نية تكرير الباء التي أعربت عبد الله. فكان معنى ذلك لو قيل كذلك: «مرت بعبد الله»، مرت بغير العالم. فهذا أحد وجهي الخفض في «غير المفضوب عليهم».

والوجه الآخر من وجهي الخفض فيها: أن يكون «الذين» بمعنى المعرفة الموقته. وإذا وجه إلى ذلك، كانت «غير» مخفوضة بنية تكرير «الصراط» الذي خفّض «الذين» عليها، فكأنك قلت: صراط الذين أنعمت عليهم، صراط غير المفضوب عليهم. وهذان التأويلان في «غير المفضوب عليهم»، وإن اختلفا في اختلاف مغريبتيهما، فإنهما يتقارب معناهما. من أجل أن من أنعم الله عليه فهداه لدينه الحق، فقد سلم من غضبه. ونجا من الضلال في دينه. فسواء - إذا كان كذلك - أهله «أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت

(١) يعني بقوله «المعرفة الموقته» المعرفة المحددة، وهو العلم الشخصي الذي يمين مساه تعييناً مطلقاً غير مقيد. فتقولك «زيد» يميناً. تعييناً مطلقاً أو محدداً. والمعرف بالألف واللام إنما يمين مساه ما دامت فيه «أل»، فإذا فارقت فاركتين. وانظر مداني الفراء ١: ٧.

عليهم « غير جائر » أن يرتاب ، مع سماعه ذلك من تاليه ، في أن الذين أنعم الله عليهم بالهداية للصراط غير غاضب ربهم عليهم ، مع النعمة التي قد عظمت مَنِّته بها عليهم في دينهم ؛ ولا أن يكونوا ضلَّالاً وقد هداهم الحق ربهم . إذ كان مستحيلاً في فِطْرِهِم اجتماع الرضى من الله جل ثناؤه عن شخص والغضب عليه في حال واحدة ، واجتماع الهدى والضلَّال له في وقت واحد - أوْصِف (١) القوم ؛ مع وَصَف الله إياهم بما وصفهم به من توفيقه إياهم وهدايته لهم ، وإنعامه عليهم بما أنعم الله به عليهم في دينهم ، بأنهم غير مغضوب عليهم ولا هم ضالُّون ؛ أم لم يوصفوا بذلك . لأن الصِّفة الظاهرة التي وُصفوا بها ، قد أنبأت عنهم أنهم كذلك ، وإن لم يصرَّح وصفهم به .

هذا ، إذا وجهنا « غير » إلى أنها مخفوضة على نية تكرير « الصراط » الخافض « الذين » ، ولم نجعل « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » من صفة « الذين أنعمت عليهم » ، بل إذا جعلناهم غيرهم . وإن كان الفريقان لا شك مُنْعَمًا عليهما في أدبيانهما .

فأما إذا وجهنا « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » إلى أنها من نعت « الذين أنعمت عليهم » ، فلا حاجة بسماعه إلى الاستدلال ، إذ كان الصريح من معناه قد أغنى عن الدليل .

وقد يجوز نصب « غير » في « غير المغضوب عليهم » ، وإن كنت للقراءة بها كارهاً لشذوذها عن قراءة القراء . وإنَّ ما شذ من القراءات عما جاءت به الأمة نقلاً ظاهراً مستفيضاً ، فرأى للحق مخالف ، وعن سبيل الله وسبيل رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل المسلمين متجانف . وإن كان له - لو كان جائزاً القراءة به (٢) - في الصواب مخرج .

(١) سياق العبارة : « سواء . . . أوصف القوم . . . أم لم يوصفوا » ، وما بين هذين فصل طويل كذاب أبي جعفر في بيانه .

(٢) في المطبوعة : « لو كانت القراءة جائزة به » ، بدلوه ليوافق عبارتهم ، دون عبارة الطبرى .

وتأويل وجه صوابه إذا نصبت: أن يوجه إلى أن يكون صفةً للهاء والميم اللتين في «عليهم»، العائدة على «الذين». لأنها وإن كانت مخفوضة بـ «على» فهي في محل نصب بقوله «أنعمت». فكان تأويل الكلام — إذا نصبت «غير» التي مع «المغضوب عليهم» — : صراط الذين هدّيتهم إنعاماً منك عليهم ، غير مغضوب عليهم ، أى لا مغضوباً عليهم ولا ضالين . فيكون النصب في ذلك حينئذ ، كالنصب في «غير» في قولك: مررت بعبد الله غير الكريم ولا الرشيد ، فتقطع «غير الكريم» من «عبد الله»، إذ كان «عبد الله» معرفة موقته ، و«غير الكريم» نكرة مجهولة . وقد كان بعض نحويي البصريين يزعم أن قراءة من نصب «غير» في «غير المغضوب عليهم» ، على وجه استثناء «غير المغضوب عليهم» من معاني صفة «الذين أنعمت عليهم» ، كأنه كان يرى أن معنى الذين قرأوا ذلك نصباً : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، إلا المغضوب عليهم — الذين لم تُنعم عليهم في أديانهم ولم تهدهم للحق — فلا تجعلنا منهم . وكما قال نابغة بنى ذبيان :

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلًا لَا أَسْأَلُهَا عَيْتَ جَوَابًا ، وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدٍ ^(١) ٦١/١
إِلَّا أَوَارِيَّ لَأَيًّا مَا أُبَيِّنُهَا وَالتَّوْبَى كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ ^(٢)

(١) ديوانه : ٢٣ ، ويأتى في تفسير آية البقرة : ٣٥ (١ : ١٨٦ بولاق) ، وآية النساء : ١١٤ (٥ : ١٧٨) ، وآية يونس : ٩٨ (١١ : ١١٧) وآية سورة الليل : ٢٠ (٣٠ : ١٤٦) . يقال : لقيته أصيلاً وأصيلاً ، إذا لقيته بالعشى . وذلك أن الأصل هو العشى ، وجمعه أصل (بضمين) وأصلان (بضم فسكون) ، ثم صغروا الجمع فقالوا : أصيلان ، ثم أبدلوا من النون لآماً . فعلوا ذلك اقتداراً على عربيتهم ، ولكثرة استعمالهم له حتى قل من يجهل أصله ومعناه . وعى في منطقته : عجز عن الكلام .

(٢) أوارى جمع آرى (مشدد الياء) : وهو محبس الدابة ومأواها ومربطها ، من قولهم : تآرى بالمكان أقام وتحبس . ولأيا : بعد جهد ومشقة وإبطاء . والتوى : حفرة حول الحباء تعل جوانبها بالتراب ، فتحجز الماء لا يدخل الحباء ، والمظلومة : يعنى أرضاً مروا بها في برية فتحوضوا حوضاً سقوا فيه إبلهم ، وليس بموضع تحريض لبعدها عن موطن السابلة . فلذلك سماها مظلومة ، والظلم : وضع الشيء في غير موضعه . والجلد : الأرض الصلبة ، يعنى أنها لا تنبت شيئاً فلا يرعاها أحد .

والأواريُّ معلومٌ أنها ليست من عدّاد «أحد» في شيء . فكذلك عنده ، استثنى « غير المغضوب عليهم » من « الذين أنعمت عليهم » ، وإن لم يكونوا من معانيهم في الدين في شيء .

وأما نجويُّ الكوفيين ، فأنكروا هذا التأويل واستخفوه^(١) . وزعموا أن ذلك لو كان كما قاله الزاعم من أهل البصرة ، لكان خطأ أن يقال « ولا الضالين » ، لأن « لا » نفي وجحد ، ولا يعطف بجحد إلا على جمحد . وقالوا : لم نجد في شيء من كلام العرب استثناءً يُعطف عليه بجحد ، وإنما وجدناهم يعطفون على الاستثناء بالاستثناء وبالجحد على الجحد ، فيقولون في الاستثناء : قام القومُ إلا أخاك وإلا أباك . وفي الجحد : ما قام أخوك ولا أبوك . وأما : قام القومُ إلا أباك ولا أخاك . فلم نجده في كلام العرب . قالوا : فلما كان ذلك معدوماً من كلام العرب ، وكان القرآن بأفصح لسان العرب نُزِلَ ، علمنا — إذ كان قوله « ولا الضالين » معطوفاً على قوله « غير المغضوب عليهم » — أن « غير » بمعنى الجحد لا بمعنى الاستثناء ، وأن تأويل من وجهها إلى الاستثناء خطأ .

فهذه أوجه تأويل « غير المغضوب عليهم » ، باختلاف أوجه إعراب ذلك . وإنما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه إعرابه — وإن كان قصدنا في هذا الكتاب الكشف عن تأويل آي القرآن — لما في اختلاف وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله . فاضطررنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه ، لتكشف لطالب تأويله وجوه تأويله ، على قدر اختلاف المختلّة في تأويله وقراءته . والصوابُ من القول في تأويله وقراءته عندنا . القول الأول . وهو قراءة « غير المغضوب عليهم » بخفض الراء من « غير » ، بتأويل أنها صفة لـ « الذين أنعمت عليهم » ونعت لهم — لما قد قدمنا من البيان — إن شئت ، وإن شئت فبتأويل تكرير « صراط » . كل ذلك صوابٌ حسنٌ .

(١) في المطبوعة : « واستخفوه » ، واستخفوه : رأوه خفيفاً لا وزن له .

فإن قال لنا قائل : فنَّ هؤلاء المغضوبُ عليهم ، الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسألتهم أن لا يجعلنا منهم ؟

قيل : هم الذين وصفهم الله جل ثناؤه في تنزيله فقال : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ، مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٦٠] . فأعلمنا جل ذكره ثمة^(١) ، ما أحلَّ بهم من عقوبته بمعصيتهم إياه . ثم علمنا ، منةً منه علينا ، وجه السبيل إلى النجاة من أن يحلَّ بنا مثل الذي حلَّ بهم من المثلات ، ورأفة منه بنا^(٢) .

فإن قال : وما الدليلُ على أنهم أولاء الذين وصفهم الله وذكر نبأهم في تنزيله ، على ما وصفت ؟

قيل :

١٩٣— حدثني أحمد بن الوليد الرملي ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن عدي ابن حاتم ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : المغضوبُ عليهم ، اليهود^(٣) .

١٩٤— حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت عباد بن حبيش يحدث ، عن عدي ابن حاتم ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ المغضوبَ عليهم اليهود^(٤) .

(١) بدلوها في المطبوعة إلى « بمنه » ؛ وثم وثمة (بفتح الثاء) : إشارة للبعد بمنزلة « هنا » للقريب

(٢) المثلات جمع مثلة (بفتح فضم ففتح) : وهي العقوبة والتنكيل .

(٣) الحديث ١٩٣ — هذا إسناد صحيح ، وسيأتي بعض هذا الحديث أيضاً بهذا الإسناد ٢٠٧ .

وتغريجه سيأتي في ١٩٥ .

(٤) الحديث ١٩٤ — وهذا إسناد صحيح أيضاً . عباد بن حبيش ، بضم الحاء المهملة وفتح الباء

الموحدة وآخره شين معجمة ، الكوفي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وابن أبي حاتم ٧٨/١/٣ . وبعض الحديث سيأتي أيضاً ٢٠٨ بهذا الإسناد .

١٩٥- حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال :

حدثنا محمد بن مصعب ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن مري حدثنا محمد بن مصعب ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن مري ابن قطري ، عن عدي بن حاتم ، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله جل وعز « غير المغضوب عليهم » قال : هم اليهود^(١) .

١٩٦- حدثنا حميد بن مسعدة السامي ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ،

٦٢/١ قال : حدثنا الجريزي ، عن عبد الله بن شقيق : أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر وادي القرى ، فقال : « من هؤلاء الذين تمحاصروا يا رسول الله ؟ قال : هؤلاء المغضوب عليهم ، اليهود^(٢) .

(١) الحديث ١٩٥ - وهذا إسناد صحيح أيضاً . مري بن قطري الكوفي : ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه البخاري في الكبير ٥٧/٢/٤ ، وقال : « سمع عدي بن حاتم ، روى عنه سماك بن حرب ، يعد في الكوفيين » . و « مري » : بضم الميم وتشديد الراء المكسورة مع تشديد الياء . و « قطري » : بفتح القاف والطاء وبعد الراء ياء مشددة . وبعضه سيأتي أيضاً بالإسناد نفسه ٢٠٩ . وهذا الحديث عن عدي بن حاتم : أصله قصة مطولة في إسلامه . فرواه - بطوله - أحمد في المسند ٤ : ٣٧٨ - ٣٧٩ عن محمد بن جعفر عن شعبة ، بالإسناد السابق ١٩٤ . ورواه الترمذي ٤ : ٦٧ من طريق عمرو بن أبي قيس عن سماك بن عباد بن حبيش عن عدي . وقال : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب . وروى شعبة عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم - الحديث بطوله » . وروى بعضه الطيالسي في مسنده : ١٠٤٠ عن عمرو بن ثابت « عن سمع عدي بن حاتم » . وقد تبين لنا من روايات الطبري هنا أن سماك بن حرب سمعه من عباد بن حبيش ومن مري بن قطري ، كلاهما عن عدي ، وأن سماك بن حرب لم يتفرد بروايته أيضاً ، إذ رواه إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي . وأن لم يعرفه الترمذي إلا من حديث سماك - لا ينفي أن يعرفه غيره من وجه آخر . وذكره ابن كثير ١ : ٥٤ من رواية أحمد في المسند ، وأشار إلى رواية الترمذي ، وإلى روايات الطبري هنا ، ثم قال : « وقد روى حديث عدي هذا من طرق ، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها » . وذكره الحافظ في الإصابة ، في ترجمة عدي ٢ : ٢٢٩ من رواية أحمد والترمذي . وذكر السيوطي منه ١ : ١٦ تفسير الحرفين ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه . وكذلك صنع الشوكاني ١ : ١٥ .

(٢) الحديث ١٩٦ - حميد بن مسعدة السامي ، شيخ الطبري : هو « السامي » بالسين المهملة ، نص على ذلك الحافظ ابن حجر في التقریب . وهو نسبة إلى « سامة بن لؤي بن غالب » . ووقع في نسخ الطبري - هنا وفيما يأتي ٢١٠ - « الشامي » بالمدجمة ، وهو تصحيف . و « الجريزي » : بضم الجيم : هو سعيد بن إلياس البصري . و « عبد الله بن شقيق العقيلي » ، بضم العين وفتح القاف : تابعي كبير ثقة . وهذا الإسناد مرسل ، لقول عبد الله بن شقيق : « أن رجلاً » . وسيأتي مرسل أيضاً ١٩٧ ، ١٩٩ . ولكنه سيأتي موصولاً ١٩٨

١٩٧- حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : حدثنا ابن عُلَبة ، عن سعيد الجُرَيْرِي ، عن عروة ، عن عبد الله بن شقيق : أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

١٩٨- حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن بُدَيْلِ الْعَقِيلِي ، قال : أخبرني عبد الله بن شقيق : أنه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم - وهو بوادي القُرَى ، وهو على فرسه ، وسأله رجل من بني القَيْن فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ - قال : المغضوبُ عليهم . وأشار إلى اليهود^(١) .

١٩٩- حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال حدثنا خالد الواسطي ، عن خالد الحَذَّاء ، عن عبد الله بن شقيق : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

٢٠٠- حدثنا أبو كريب ، قال حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « غير المغضوب عليهم » ، يعني اليهود الذين غضب الله عليهم^(٢) .

(١) الحديث ١٩٨ - بديل ، بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة : هو ابن ميسرة العقيلي ، وهو تابعي ثقة . وهذه الرواية متصلة بإسناد صحيح . لأن عبد الله بن شقيق صرح فيها بأنه أخبره « من سمع النبي صلى الله عليه وسلم » ، وجهالة الصحابي لا تضر ، كما هو معروف . والوصل بذكر الصحابي المبهم - زيادة من الثقة ، فهي مقبولة .

وقد ذكر ابن كثير ١ : ٥٤ - ٥٥ هذه الرواية الموصولة ، ثم أشار إلى الروايات الثلاث المرسلة ، ثم قال : « ووقع في رواية عروة تسمية : عبد الله بن عمرو ، فالله أعلم » . ولكنه لم يذكر من خرج رواية عروة التي يشير إليها . ثم قال ابن كثير : « وقد روى ابن مردويه من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم ، قال : اليهود ، قلت : الضالين ؟ قال : النصاري » . وأشار الحافظ في الفتح ٨ : ١٢٢ إلى رواية ابن مردويه هذه عن أبي ذر « بإسناد حسن » . وذكر أيضاً أن رواية عبد الله بن شقيق الموصولة « أنه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم » - رواها أحمد . وهذه الروايات أيضاً عند السيوطي ١ : ١٦ ، والشوكاني ١ : ١٤ - ١٥ . وسيأتي تفسير (الضالين) بهذه الأسانيد ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ . وسيأتي في ٢١١ بيان من عروة الذي في الإسناد ١٩٧ .

(٢) الأثر ٢٠٠ - أثر الضحاك عن ابن عباس لم يخرجوه . وسيأتي باقيه ٢١٥ .

٢٠١- حدثني موسى بن هرون الهمداني، قال : حدثنا عمرو بن طلحة ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « غير المغضوب عليهم » ، هم اليهود^(١) .

٢٠٢- حدثنا ابن حميد الرازي ، قال : حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد ، قال : « غير المغضوب عليهم » قال : هم اليهود .

٢٠٣- حدثنا أحمد بن حازم الغفاري ، قال : حدثنا عبد الله ، عن أبي جعفر ، عن ربيع : « غير المغضوب عليهم » ، قال : اليهود .

٢٠٤- حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : « غير المغضوب عليهم » قال : اليهود .

٢٠٥- حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : « غير المغضوب عليهم » ، اليهود .

٢٠٦- حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن زيد ، عن أبيه ، قال : المغضوب عليهم ، اليهود^(٢) .

قال أبو جعفر : واختلف في صفة الغضب من الله جل ذكره : فقال بعضهم : غضب الله على من غضب عليه من خلقه ، إحلال عقوبته بمن غضب عليه ، إما في دنياه وإما في آخرته ، كما وصف به نفسه جل ذكره في كتابه فقال : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الزخرف : ٥٥] . وكما قال : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ ﴾

(١) الخبر ٢٠١ - ابن كثير ١ : ٥٥ ، والدر المنثور ١ : ١٦ ، والشوكاني ١ : ١٥ . وسأني بآيه : ٢١٧ .

(٢) الآثار ٢٠٢ - ٢٠٦ : في ابن كثير ، والدر المنثور ، الشوكاني كالذي مضى . وسأني بآيها : ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴿ [سورة المائدة : ٦٠] .

وقال بعضهم : غضبُ الله على من غضب عليه من عباده ، ذمُّ منه لهم ولأفعالهم ، وشتنُّ لهم منه بالقول .

وقال بعضهم : الغضبُ منه معنى مفهومٌ كالذى يُعرف من معاني الغضب ، غيرَ أنه - وإن كان كذلك من جهة الإثبات ^(١) - فمخالفٌ معناه منه معنى ما يكون من غضب الآدميين الذين يُزعجهم ويحركهم ويشقُّ عليهم ويؤذيهم . لأن الله جل ثناؤه لا تحمل ذاته الآفات ، ولكنه له صفةٌ ، كما العلم له صفةٌ ، والقدرة له صفةٌ ، على ما يُعقل من جهة الإثبات ، وإن خالفت معاني ذلك معاني علوم العباد ، التى هى معارف القلوب ، وقواهم التى توجد مع وجود الأفعال وتُعدَّم مع عدَمها ^(٢) .

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

قال أبو جعفر : كان بعضُ أهل البصرة يزعم أن : « لا » مع « الضالين » أدخلت تسمى للكلام ، والمعنى إلغاؤها ، ويستشهد على قيله ذلك بيت العجاج :

(١) الإثبات : منسوب أهل السنة فى إثبات الصفات لله تعالى كما وصف نفسه ، وإثبات القدر بلا تأويل ، خلافاً لأهل القدر ، وهم قفاته ، والجهمية والمعتلة للصفات .

(٢) بعد هذا الموضع من نسخة دار الكتب المصرية رقم : ١٠٠ تفسير ، ما نصه :

« وصلى الله على محمد النبي الأمى وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

— على الأصل المنقول منه —

سمعت وأحمد ومحمد والحسن بنى عبد الله بن أحمد الفرغانى فى يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وثلاثمئة . ومحمد بن محمد الطوسى .

فِي بَثْرًا حُورٍ سَرَى وَمَا شَعَرَ^(١)

ويتأوله بمعنى : في بثرٍ حُورٍ سَرَى ، أى في بثر هلكة ، وأن « لا » بمعنى الإلغاء والصله . ويعتل أيضاً لذلك بقول أبي النجم :

فَمَا أَلُومَ الْبَيْضَ أَنْ لَا تَسْخَرَا لَمَّا رَأَيْنِ الشَّمْطَ الْقَفْنَدَرَا^(٢)

وهو يريد : فما أَلُومَ البَيْضَ أَنْ تَسْخَرَا . وبقول الأحوص :

٦٣/١

وَيَلْحَنِي فِي اللَّهِو أَنْ لَا أَحِبَّهُ وَلِلَّهِو دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ^(٣)

يريد : وَيَلْحَنِي فِي اللَّهِو أَنْ أَحِبَّهُ ، وبقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] ، يريد أَنْ تَسْجُدَ . وحكى عن قائل هذه المقالة أنه كان يتأول « غير » ، التي مع « المغضوب عليهم » ، أنها بمعنى سوى^(٤) . فكان معنى الكلام كان عنده : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، الذين هم سوى المغضوب عليهم والضالين .

وكان بعض نحويي الكوفيين يستنكر ذلك من قوله^(٥) ، ويزعم أن « غير »

(١) ديوانه : ١٦ ، ومعاني القرآن للفراء : ١ : ٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٥ والخزانة : ٢ : ٩٥ ، وأمالى الشجرى : ٢ : ٢٣١ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٨٦ . والقائل بأنها زائدة من البصريين هو أبو عبيدة .

(٢) نسبه شارح القاموس عن الصاغاني لأبي النجم وقال : روايته :

« إِذَا رَأَتْ ذَا الشَّيْبَةِ الْقَفْنَدَرَا »

وضبطوا « الشمط » بفتح الميم ، أى الشيب ، وجائز أن يكون أبو النجم قاله « الشمط » بكسر الميم على أنه فرح ، طرح ألف « أشمط » ، كما فعلوا في أشعث وشعث . وأحذب وحذب ، وأنعس وتنعس ، وأحول وحول ، في الصفات المشبهة من العيوب الظاهرة والحلى . وانظر الفائق للزحشرى : ٢ : ٣٢٦ فقد عدد ألفاظاً غيرها . وكان الصاغاني أبى من رواية « الشمط » بفتحيتين ، لأن القفندر : هو الصغير الرأس القبيح المنظر .

والبيت برواية الطبرى في مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٦ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٨٥ ، واللسان (قفندر) ، ثم انظر أمالى الشجرى : ٢ : ٢٣١ ، وغيرها .

(٣) الكامل : ١ : ٤٩ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٨٦ ، ولحاه يلحاه لحياً : عدله ولامه .

(٤) هو أبو عبيدة كما أسلفنا في أول هذه الفقرة . وأشار إليه الفراء في معاني القرآن : ٨ بقوله :

« وقد قال بعض من لا يعرف العربية ... » ، وكذلك فعل الطبرى من قبل في مواضع . وانظر اللسان (غير) .

(٥) يعنى الفراء الكوفى في كتابه معاني القرآن : ٨ ، أو غيره من كتبه .

التي مع « المفضوب عليهم » ، لو كانت بمعنى سوى ، لكان خطأ أن يعطف عليها بـ « لا » ، إذ كانت « لا » لا يعطف بها إلا على جمحد قد تقدمها . كما كان خطأ قول القائل : « عندى سوى أخيك ولا أهلك » ، لأن سوى ليست من حروف النفي والجمحد . ويقول : لما كان ذلك خطأ فى كلام العرب ، وكان القرآن بأفصح اللغات من لغات العرب ، كان معلوماً أن الذى زعمه القائل : أن « غير » مع « المفضوب عليهم » بمعنى سوى المفضوب عليهم ، خطأ . إذ كان قد كرر عليه الكلام بـ « لا » . وكان يزعم أن « غير » هنالك ، إنما هى بمعنى الجمحد . إذ كان صحيحاً فى كلام العرب ، وفاشياً ظاهراً فى منطقها ، توجيه « غير » إلى معنى النفي ، ومستعملاً فيهم : « أخوك غير محسن ولا مجمل » يراد بذلك : أخوك لا محسن ولا مجمل . ويستنكر أن تأتى « لا » بمعنى الحذف فى الكلام مُبتدأً ، ولما يتقدمها جمحد . ويقول : لو جاز مجيئها بمعنى الحذف مُبتدأً ، قبل دلالة تدل على ذلك من جمحد سابق ، لصح قول قائل قال : « أردت أن لا أكرم أخاك » ، بمعنى : أردت أن أكرم أخاك . وكان يقول : فى شهادة أهل المعرفة بلسان العرب على تخطئة قائل ذلك ، دلالة واضحة على أن « لا » لا تأتى مبتدأة بمعنى الحذف ، ولما يتقدمها جمحد . وكان يتأول فى « لا » التى فى بيت العجاج ، الذى ذكرنا أن البصرى استشهد به ، بقوله : إنها جمحدٌ صحيح ، وأن معنى البيت : سرى فى بر لا تحير عليه خيراً ، ولا يتبين له فيها أثر عمل ، وهو لا يشعر بذلك ولا يدري به (١) . من قولهم : « طاحت الطاحنة فما أحارت شيئاً » ، أى لم يتبين لها أثر عمل . ويقول فى سائر الأبيات الأخر ، أعنى مثل بيت أبى النجم :

فما ألوم البيض أن لا تسخرًا

إنما جاز أن تكون « لا » بمعنى الحذف ، لأن الجمحد قد تقدمها فى أول الكلام ، فكان الكلام الآخر مواصلاً للأول ، كما قال الشاعر :

(١) عبارة الفراء فى معانى القرآن : « كأنك قلت : إلى غير رشد توجه وما درى » .

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ فَعَلَهُمْ وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمرُ^(١)

فجاز ذلك ، إذ كان قد تقدّم الجحد في أول الكلام .

قال أبو جعفر : وهذا القول الآخر أولى بالصواب من الأول ، إذ كان غير موجود في كلام العرب ابتداءً الكلام من غير جحد تقدّمه بـ « لا » التي معناها الحذف ، ولا جائر العطف بها على « سوى » ، ولا على حرف الاستثناء . وإنما لـ « غير » في كلام العرب معان ثلاثة ، أحدها : الاستثناء ، والآخر : الجحد ، والثالث : سوى . فإذا ثبت خطأ أن تكون « لا » بمعنى الإلغاء مبتدأ^(٢) ، وفسد أن يكون عطفاً على « غير » التي مع « المفضوب عليهم » ، لو كانت بمعنى « إلا » التي هي استثناء ، ولم يجوز أيضاً أن يكون عطفاً عليها لو كانت بمعنى « سوى » ، وكانت « لا » موجودة عطفاً بالواو التي هي عاطفة لها على ما قبلها — صح^(٣) وثبت أن لا وجه لـ « غير » ، التي مع « المفضوب عليهم » ، يجوز توجيهها إليه على صحة ، إلا بمعنى الجحد والنفي ، وأن لا وجه لقوله « ولا الضالين » إلا العطف على « غير المفضوب عليهم » . فتأويل الكلام إذاً — إذ كان صحيحاً ما قلنا بالذي عليه استشهدنا — اهتدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، لا المفضوب عليهم ولا الضالين . فإن قال لنا قائل : ومن هؤلاء الضالّون الذين أمرنا الله بالاستعاذة بالله أن يسلّك بنا سبيلهم ونضلّ ضلالهم ؟

قيل : هم الذين وصفهم الله في تنزيله فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ ١٤/١ ﴾

(١) الشعر الحريز يهجو الأخطل ، ديوانه : ٢٦٣ ، ونقائض جرير والأخطل : ١٧٤ ، وأضداد ابن الأنباري : ١٨٦ ، ثم تفسير آية سورة البقرة : ١٥٨ .
(٢) في المخطوطة : « فإذا ثبت خطأ أن لا يكون بمعنى الإلغاء » غير منقوطة ، ولم يحسن طابعو المطبوعة قراءتها فجعلوها : « فإذا بطل خطأ لا أن تكون بمعنى الإلغاء » . وقد صححنا ما في المخطوطة من تقديم « لا » على « يكون » .
(٣) جواب قوله « فإذا ثبت خطأ . . . » .

وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ [سورة المائدة : ٧٧] .

فإن قال : وما برهانك على أنهم أولاء ؟

قيل :

٢٠٧- حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن عدي بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولا الضالين » ، قال : النصارى^(١) .

٢٠٨- حدثنا محمد بن المثنى ، أنبأنا محمد بن جعفر ، أنبأنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت عباد بن حبيش يحدث ، عن عدي بن حاتم ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الضالين ، النصارى .

٢٠٩- حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن مرمى ابن قطري ، عن عدي بن حاتم ، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله : « ولا الضالين » ، قال : النصارى هم الضالون .

٢١٠- حدثنا حميد بن مسعدة السامى ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ، قال : حدثنا الجري ، عن عبد الله بن شقيق أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر وادى القرى ، قال : قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الضالون ، النصارى .

٢١١- حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن سعيد الجري ، عن عروة - يعنى ابن عبد الله بن قيس - ، عن عبد الله بن شقيق ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه^(٢) .

(١) هذه الأحاديث والأخبار والآثار ٢٠٧ - ٢٢٠ ، في تفسير (الضالين) ، سبقت أوائلها في تفسير (المفصوب عليهم) ، مع تخريجها ، في الأرقام ١٩٣ - ٢٠٦ ، مع شيء من التقديم والتأخير .
(٢) الحديث ٢١١ - سبق هذا الإسناد ١٩٧ ولم ينسب فيه «عروة» هذا ، وفي التعليق على الحديث ١٩٨ إشارة ابن كثير إلى رواية «عروة» ، ولم يذكر نسبه أيضاً . وقد بين الطبرى هنا أنه

٢١٢- حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن بُدَيْلِ الْعُقَيْلِيِّ ، قال : أخبرني عبد الله بن شقيق : أنه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم - وهو بوادي القرى ، وهو على فرسه ، وسأله رجل من بني القَيْن ، فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ - قال : هؤلاء الضَّالُّون ، يعني النصارى .

٢١٣- حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين ، قال : حدثنا خالد الواسطي ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن شقيق : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصرٌ وادي القرى ، وهو على فرس : من هؤلاء ؟ قال : الضَّالُّون . يعني النصارى .

٢١٤- حدثنا محمد بن حميد : قال : حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد : « ولا الضالين » ، قال : النصارى .

٢١٥- حدثنا أبو كريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ولا الضالين » قال : وغير طريق النصارى الذين أضلَّهم الله بِفِرْيَتِهِمْ عليه . قال : يقول : فألهِمنا دينك الحق ، وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حتى لا تغضب علينا كما غضبت على اليهود ، ولا تضلُّنا كما أضلَّت النصارى ، فتعلمنا بما تعدُّ بهم به . يقول : امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك وقدرتك .

٢١٦- حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الضالين ، النصارى .

« عروة بن عبد الله بن قيس » . وأنا أرجح أن كلمة « قيس » محرفة من الناصحين عن كلمة « قشير » . فإن لم أجد في التراجم قط من يسمى « عروة بن عبد الله بن قيس » ، ويبعد جداً أن لا يذكره ، وهو يروى عن رجل من كبار التابعين . والذي في هذه الطبقة ، هو « عروة بن عبد الله بن قشير أبو مهمل الكوفي » ، مترجم في التهذيب ٧ : ١٨٦ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٤ / ١ / ٣٤ ، والجرج والتعديل لابن أبي حاتم ٣ / ١ / ٣٩٧ ، والشقات لابن حبان : ٥٧٤ ، والكنى للولابي ٢ : ١٣٥ . وذكر الأخير أن قولاً آخر في اسم جده ، أنه « بشير » . و « أبو مهمل » : بفتح الميم والهاء ، كما ذكره الذهبي في المشتبه : ٥٠٨ .

- ٢١٧- حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ولا الضالين » ، هم النصارى .
- ٢١٨- حدثني أحمد بن حازم الغيفاري ، قال : أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي جعفر ، عن ربيع : « ولا الضالين » ، النصارى .
- ٢١٩- حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد : « ولا الضالين » ، النصارى .
- ٢٢٠- حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن زيد ، عن أبيه ، قال : الضالين ، النصارى .

• • •

قال أبو جعفر : فكل حائد عن قصد السبيل ، وسالك غير المنهج القويم ، فضالٌّ عند العرب ، لإضلاله وجه الطريق . فلذلك سمي الله جل ذكره النصارى ضلّالاً . لخطئهم في الحق "منهج السبيل" . وأخلّهم من الدين في غير الطريق المستقيم . فإن قال قائل : أوليس ذلك أيضاً من صفة اليهود ؟

قيل : بلى !

فإن قال : كيف خصّ النصارى بهذه الصفة ، وخصّ اليهود بما وصفهم ١٥/١ به من أنهم مغضوب عليهم ؟

قيل : كلا الفريقين ضلّال مغضوب عليهم ، غير أن الله جل ثناؤه وسم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به ، إذا ذكره لهم أو أخبرهم عنه . ولم يسم واحداً من الفريقين إلا بما هو له صفة على حقيقته ، وإن كان له من صفات الذم زيادات عليه .

فيظن بعض أهل الغباء من القلرية أن في وصف الله جل ثناؤه النصارى

بالضلال، بقوله « ولا الضالين » ، وإضافته الضلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه ، وتركه وصفهم بأنهم المضللون ، كالذى وصف به اليهود أنهم المغضوب عليهم — دلالة على صحة ما قاله إخوانه من جهالة القدرية ، جهلاً منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه .

ولو كان الأمر على ما ظنه الغبي الذى وصفنا شأنه ، لوجب أن يكون شأن كل موصوف بصفة أو مضاف إليه فعل ، لا يجوز أن يكون فيه سبب لغيره ، وأن يكون كل ما كان فيه من ذلك لغيره سبب ، فالحق فيه أن يكون مضافاً إلى مسببه . ولو وجب ذلك ، لوجب أن يكون خطأ قول القائل : « تحركت الشجرة » ، إذ حركتها الريح ، و « اضطربت الأرض » ، إذ حركتها الزلزلة ، وما أشبه ذلك من الكلام الذى يطول بإحصائه الكتاب .

وفى قول الله جل ثناؤه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ [سورة يونس : ٢٢] — بإضافته الجرى إلى الفلك ، وإن كان جريها بإجراء غيرهما إياها — مادل على خطأ التأويل الذى تأوله من وصفنا قوله فى قوله « ولا الضالين » ، وادّعائه أن فى نسبة الله جل ثناؤه الضلالة إلى من نسبها إليه من النصارى ، تصحيحاً لما ادّعى المنكرون : أن يكون لله جل ثناؤه فى أفعال خلقه سبب من أجله وجدت أفعالهم ، مع إبانة الله عز ذكره نصاً فى آية كثيرة من تنزيله ، أنه المفضل الهادى ، فمن ذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣] . فأنبأ جل ذكره أنه المفضل الهادى دون غيره .

ولكن القرآن نزل بلسان العرب على ما قدّمنا البيان عنه فى أول الكتاب ، ومن شأن العرب إضافة الفعل إلى من وجد منه — وإن كان مسببه غير الذى وجد

منه — أحياناً ، وأحياناً إلى مسببه ، وإن كان الذي وجد منه الفعل غيره . فكيف
بالفعل الذي يكتسبه العبد كسباً ، ويؤجده الله جل ثناؤه عيناً منشأة ؟ بل
ذلك أخرى أن يُضاف إلى مكتسبه ؛ كسباً له ، بالقوة منه عليه ، والاختيار منه له —
وللى الله جل ثناؤه ، بإيجاد عينه وإنشائها تدبيراً .

﴿مسألة يسأل عنها أهل الإلحاد الطاعنون في القرآن﴾

إن سألنا منهم سائل فقال : إنك قد قدّمتَ في أول كتابك هذا في وصف البيان : بأنّ أعلاه درجة وأشرفه مرتبة ، أبلغه في الإبانة عن حاجة المُبين به عن نفسه ، وأبينّه عن مُراد قائله ، وأقربّه من فهم سامعه . وقلتَ ، مع ذلك : إنّ أولى البيان بأن يكون كذلك ، كلامُ الله جل ثناؤه ، لِفَضْلِهِ على سائر الكلام بارتفاع درجته على أعلى درجات البيان^(١) ، فما الوجه — إذ كان الأمرُ على ما وصفتَ — في إطالة الكلام بمثل سورة أم القرآن بسبع آيات؟ وقد تحوّت معاني جميعها منها آيتان ، وذلك قوله ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، إذ كان لا شك أن من عرف ملك يوم الدين ، فقد عرفه بأسمائه الحسنی وصفاته المُثلى . وأن من كان لله مطيعاً ، فلا شك أنه لسبيل من أنعم الله عليه في دينه مُتَّبِع ، وعن سبيل من غَضِبَ عليه وضلَّ مُنْعَدِل . فما في زيادة الآيات الخمس الباقية ، من الحكمة التي لم تحوِّها الآيتان اللتان ذكرنا ؟

قيل له : إنّ الله تعالى ذكره جمع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته — بما أنزل إليه من كتابه — معاني لم يجمعهنّ بكتاب أنزله إلى نبيّ قبله ، ولا لأمة من الأمم قبلهم . وذلك أن كلّ كتاب أنزله جلّ ذكره على نبيّ من أنبيائه قبله ، فلنما أنزله ببعض المعاني التي يحوى جميعها كتابه الذي أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . كالتّوراة التي هي مواعظ وتفصيل ، والزبور الذي هو تحميد وتمجيد ، والإنجيل الذي هو مواعظ وتذكير — لا مُعْجَزة في واحد منها تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق . والكتاب الذي أنزل على نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يحوى معاني ذلك كله ، ويزيد عليه كثيراً من المعاني التي سائر الكتب غيره منها خال .

(١) انظر ما مضى : ٩ - ١١ .

وقد قدّمنا ذكرها فيما مضى من هذا الكتاب (١).

ومن أشرف تلك المعاني التي فصل بها كتابنا سائر الكتب قبله، نظم العجيب ورصفه الغريب (٢) وتأليفه البديع، الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء، وكلت عن وصف شكل بعضه البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء، وتبلّدت - قصوراً عن أن تأتي بمثله - لديه أفهام الفُهماء، فلم يجدوا له إلا التسليم والإقرار بأنه من عند الواحد القهار. مع ما يحوى، مع ذلك، من المعاني التي هي ترغيب وترهيب، وأمر وزجر، وقصص وجدل ومثل، وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء.

فهما يكن فيه من إطالة، على نحو ما في أم القرآن (٣)، فلما وصفت قبل من أن الله جل ذكره أراد أن يجمع - برصفه العجيب ونظمه الغريب، المنعدل عن أوزان الأشعار ويجمع الكهّان وخطب الخطباء ورّسائل البلغاء، العاجز عن رصف مثله جميع الأنام، وعن نظم نظيره كل العباد - الدلالة (٤) على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ وبما فيه من تحميد وتمجيد وثناء عليه - تنبيه (٥) العباد على عظمتهم وسلطانهم وقدرتهم وعظم مملكتهم، ليذكروهم بآلائه، ويحمدوه على نعمائه، فيستحقّوا به منه المزيد، ويستوجبوا عليه الثواب الجزيل؛ وبما فيه من نعت من أنعم عليه بمعرفته، وتفضل عليه بتوفيقه لطاعته - تعريف (٥) عباده أن كل ما بهم من نعمة، في دينهم ودنياهم، فنه، ليصرفوا رغبتهم إليه، ويبتغوا حاجاتهم من عنده دون ما سواه من الآلهة والأنداد؛ وبما فيه من ذكره ما أحل بمن عصاه من مثلاته، وأنزل بمن خالف أمره من عقوباته - ترهيب (٥) عباده عن ركوب

(١) انظر ما مضى : ٧١ .

(٢) في المطبوعة «ورصفه». ورصف الشيء ضم بعضه إلى بعض ونظمه حتى يكون مستوياً محكماً منضداً.

(٣) في المخطوطة : «آه القرآن» غير منقوطة .

(٤) «الدلالة» مفعول «أن يجمع» . . . ، ثم عطف عليها بعد ، ما سننبه له .

(٥) هذه جميعاً معطوفة على قوله «الدلالة» ، كما ذكرنا آنفاً .

معاصيه، والتعرض لما لا قبل لهم به من منخطفه، فيسلك بهم في النكال والنقيصات
سبيل من ركب ذلك من الهلاك.

فذلك وجه إطالة البيان في سورة أم القرآن، وفيما كان نظيراً لها من سائر صور
الفرقان. وذلك هو الحكمة البالغة والحجة الكاملة.

٢٢١ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المحاربي، عن محمد بن إسحق،

قال: حدثني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي السائب مولى زهرة، عن
أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قال العبد: «الحمد لله
رب العالمين»، قال الله: «حمدني عبي». وإذا قال: «الرحمن الرحيم»، قال:
«أنتي علي عبي». وإذا قال: «مالك يوم الدين»، قال: «مجدني عبي. فهذا لي». وإذا
قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» إلى أن يختم السورة، قال: «فذاك له»^(١).

٢٢٢ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبدة، عن ابن إسحق، عن العلاء

ابن عبد الرحمن، عن أبي السائب، عن أبي هريرة، قال: إذا قال العبد:
«الحمد لله»، فذكر نحوه، ولم يرفعه^(٢).

٢٢٣ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا الوليد بن

كثير، قال: حدثني العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة، عن أبي السائب، عن
أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثله^(٣).

٢٢٤ - حدثني صالح بن مسمار المروزي، قال: حدثنا زيد بن الحباب،

(١) الحديث ٢٢١ - المحاربي: هو عبد الرحمن بن محمد بن زياد، وهو ثقة، أخرج له الجماعة.
محمد بن إسحق: هو ابن يسار، صاحب السيرة، ثقة معروف، تكلم فيه بعضهم بغير حجة وبغير
وجه. العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة - بضم الحاء وفتح الراء - تابعي ثقة. أبو السائب
مولى زهرة: تابعي ثقة، قال ابن عبد البر: «أجمعوا على أنه ثقة مقبول النقل». والحديث رواه الطبري
بعد هذا موقوفاً بإسنادين. وسنذكر تخريجه في آخرها: ٢٢٣.

(٢) الحديث ٢٢٢ - عبدة: هو ابن سايان الكلبي، من شيوخ أحمد وإسحق، قال أحمد:
«ثقة ثقة وزيادة، مع صلاح في بدنه».

(٣) الحديث ٢٢٣ - أبو أسامة: هو حماد بن أسامة. الوليد بن كثير الخزوي: ثقة ثبت
أخرج له الجماعة.

قال : حدثنا عنبسة بن سعيد ، عن مطرف بن طريف ، عن سعد بن إسحق ابن كعب بن عجرة ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : « قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلَهُ مَا سَأَلَ » . فإذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله : « حمدني عبدي » ، وإذا قال : « الرحمن الرحيم » ، قال : « أثنى عليّ عبدي » وإذا قال : « مالك » ١٧/١ : « يوم الدين » قال : « مجدني عبدي » قال : « هذا لي ، وله ما بقي » (١) .

« آخر تفسير سورة فاتحة الكتاب »

وهذا الحديث - بإسناده الموقر - مرفوع حكماً ، وإن كان في هاتين الروایتين موقوفاً لفظاً . فإن هذا مما لا يعلم بالرأى ، ولا يدخل فيه مناط الاجتهاد . ثم إن الرفع زيادة من الثقة ، وهي مقبولة . وفوق هذا كله ، فإنه لم ينفرده برفعه راويه في الإسناد الأول ، وهو المحاربي ، بل ورد بأسانيد آخر مرفوعاً .

وهو قطعة من حديث طويل ، رواه مالك في الموطأ : ٨٤ - ٨٥ عن العلاء بن عبد الرحمن ، بهذا الإسناد ، مرفوعاً . وكفى بمالك حجة في التوثيق من رفعه لفظاً فوق رفعه حكماً . وكذلك رواه مسلم ١ : ١٦٦ (٤ : ١٠١ - ١٠٤ من شرح النووي) ، من طريق مالك ، ومن طريق سفيان بن عيينة ، ومن طريق ابن جريج ، ومن طريق أبي أويس - كلهم عن العلاء عن أبي السائب ، به مرفوعاً . وزاد أبو أويس عن العلاء قال : « سمعت من أبي ومن أبي السائب ، وكانا جليسي أبي هريرة . . . » ، فذكره مرفوعاً . ونسبه السيوطي ١ : ٦ لسفيان بن عيينة في تفسيره ، وأبي عبيدة في فضائله ، وابن أبي شيبة ، وأحمد ، والبخاري في جزء القراءة ، وأصحاب السنن الأربعة ، وابن حبان ، وغيرهم . وذكر ابن كثير ١ : ٢٤ - ٢٥ بعض طرقه مفصلة .

(١) الحديث ٢٢٤ - هذا إسناد جيد صحيح . صالح بن مسمار السلمى المروزي : ثقة ، روى عنه مسلم في صحيحه ، وقال أبو حاتم : « صدوق » ، كما في كتاب ابنه ١٥٠/١/٢ ، وذكره ابن حبان في الثقات . عنبسة بن سعيد بن الضريس الرازي قاضي الري : ثقة ، وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو داود وغيرهم ، وصرح البخاري في الكبير ٣٥ / ١ / ٤ بأنه يروى عن مطرف . و « الضريس » : بضم الضاد المعجمة وآخره سين مهملة ، كما ضبطه الحافظ في التقريب . مطرف بن طريف : ثقة ثبت ، أخرج له الجماعة . سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة : ثقة لا يختلف فيه ، كما قال ابن عبد البر ، وهو من شيوخ مالك . وروايته عن جابر متصلة ، لأنه يروى عن أبيه « إسحق بن كعب » المقتول يوم الحرة سنة ٦٣ ، وقد عاش جابر بعدها أكثر من عشر سنين .

والحديث ذكره السيوطي ١ : ٦ ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما . وذكره ابن كثير ١ : ٢٥ عن هذا الموضع من الطبري - ووقع في إسناده غلط مطبعي - وقال : « وهذا غريب من هذا الوجه » ! ولعله يريد أنه لم يروه أحد من حديث جابر إلا بهذا الإسناد . وليس من ذلك بأس ، وقد ثبت معناه من حديث أبي هريرة ، فهو شاهد قوي لصحته .

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعْنِ

﴿ القول في تفسير السورة التي يذكّر فيها البقرة ﴾

القول في تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت تراجمة القرآن في تأويل قول الله تعالى ذكره ^(١) : « أَلَمْ » فقال بعضهم : هو اسم من أسماء القرآن . ذكر من قال ذلك :
٢٢٥ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « أَلَمْ » ، قال : اسم من أسماء القرآن .
٢٢٦ - حدثني المثنى بن إبراهيم الأملی ، قال : حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : « أَلَمْ » ، اسم من أسماء القرآن .

٢٢٧ - حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : « أَلَمْ » ، اسم من أسماء القرآن .

وقال بعضهم : هو فواتح يفتح الله بها القرآن . ذكر من قال ذلك :
٢٢٨ - حدثني هرون بن إدريس الأصم الكوفي ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربي ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : « أَلَمْ » ، فواتح يفتح الله بها القرآن .

(١) تراجمة القرآن : مفرووه ، كما مر آنفاً : ١٧٠ ، تعليق : ٤ وما قبلها ٧٠ ، تعليق : ١٠

٢٢٩ - حدثنا أحمد بن حازم الغفاري ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا سفيان ، عن مجاهد ، قال : « ألم » ، فواتح .

٢٣٠ - حدثني المثنى بن إبراهيم قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن يحيى ابن آدم ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : « ألم » ، و « حم » ، و « ألمص » ، و « ص » ، فواتحُ افتتح الله بها ^(١) .

٢٣١ - حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث هرون بن إدريس .

وقال آخرون : هو اسم للسورة . ذكر من قال ذلك :

٢٣٢ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا عبد الله بن وهب ، قال : سألت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن قول الله : « ألم ذلك الكتاب » ، و « ألم تنزيل » ، و « ألم تلك » ، فقال : قال أبي : إنما هي أسماء السور .

وقال بعضهم : هو اسم الله الأعظم . ذكر من قال ذلك :

٢٣٣ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سألت السدي عن « حم » و « طسم » و « ألم » ، فقال : قال ابن عباس : هي اسم الله الأعظم .

٢٣٤ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثني أبو النعمان ، قال : حدثنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن مرة الهمداني ، قال : قال عبد الله : فذكر نحوه .

٢٣٥ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، قال : فواتح السور من أسماء الله .

وقال بعضهم : هو قسم أقسم الله به ، وهو من أسمائه . ذكر من

قال ذلك :

(١) الأثر ٢٣٠ - إسحق بن الحجاج : هو الطاحوني المقرئ ، ترجمه ابن أبي حاتم في المرح والتعديل ٢١٧/١/١ ، وقال : « سمعت أبا زرعة يقول : كتب عبد الرحمن اللشكبي تفسير عبد الرزاق عن إسحق بن الحجاج » .

٢٣٦ - حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : هو قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله .

٢٣٧ - حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن 'عليّة ، قال : حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، قال : « ألم » ، قسم ^(١) .

وقال بعضهم : هو 'حُرُوفُ مَقْطَعَةٌ' من أسماء وأفعال ، كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر . ذكر من قال ذلك :

٢٣٨ - حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع - وحدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا أبي عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس : « ألم » قال : أنا الله أعلم ^(٢) .

٢٣٩ - حَدَّثْتُ عَنْ أَبِي 'عبيد ، قال : حدثنا أبو اليقظان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قوله : « ألم » ، قال : أنا الله أعلم .

٢٤٠ - حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد القناد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن 'مرّة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ألم » قال : أما « ألم » فهو 'حَرْفٌ اشْتُقَّ مِنْ حُرُوفِ هِجَاءِ أَسْمَاءِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ .

٦٨/١

٢٤١ - حدثنا محمد بن معمر ، قال : حدثنا عباس بن زياد الباهلي ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « ألم » و « حم » و « ن » ، قال : اسم مُقْطَع ^(٣) .

(١) الأثر ٢٣٧ - يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح : هو الثوري الحافظ البغدادي .
(٢) الخبر ٢٣٨ - رواه الطبري عن شيعين عن وكيع : عن أبي كريب ، وعن سفيان بن وكيع ، كلاهما عن وكيع عن شريك ، وهو ابن عبد الله النخعي القاضي . وجاء الإسناد الثاني منهما في مطبوعة بولاق محرّفاً : « سفيان بن وكيع قال حدثنا ابن أبي شريك » . وصحح من المخطوطة .

(٣) الخبر ٢٤١ - محمد بن معمر بن ربهى ، شيخ الطبري : هو المعروف بالبحراني ، وهو

وقال بعضهم هي حروف هجاء موضوع . ذكر من قال ذلك :

٢٤٢ - حَدَّثْتُ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ أَبِي نُوَيْرَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْمُؤَدَّبُ ،

عَنْ خُصَيْفٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : فَوَاتِحُ السُّورِ كُلُّهَا « ق » و « ص » و « حَم » و « طَسَم » و « أَلَر » وَغَيْرَ ذَلِكَ ، هَجَاءُ مُوَضَّع .

وقال بعضهم : هي حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى

مختلفة . ذكر من قال ذلك :

٢٤٣ - حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الطَّبْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ الْحُجَّاجِ ،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، فِي

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ : « أَلَمْ » ، قَالَ : هَذِهِ الْأَحْرَفُ ، مِنَ التَّسْعَةِ وَالْعَشْرِينَ حَرْفًا ،

دَارَتْ فِيهَا الْأَلْسُنُ كُلُّهَا . لَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ مِفْتَاحُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ ، وَلَيْسَ

مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ فِي آيَاتِهِ وَبَلَايَتِهِ ، وَلَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ فِي مَدَّةِ قَوْمٍ

وَأَجَالِهِمْ . وَقَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ : « وَعَجِيبٌ يَنْطِقُونَ فِي أَسْمَائِهِ ، وَيَعِيشُونَ فِي

رِزْقِهِ ، فَكَيْفَ يَكْفُرُونَ ؟ » . قَالَ : الْأَلْفُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ : « اللَّهُ » ، وَاللَّامُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ :

« لَطِيفٌ » ، وَالْمِيمُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ : « مُجِيدٌ » . الْأَلْفُ آلاءُ اللَّهِ ، وَاللَّامُ لَطْفُهُ ، وَالْمِيمُ

مَجْدُهُ . الْأَلْفُ سَنَةٌ ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ سَنَةً .

٢٤٤ - حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَكَّامٌ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ خُوَيْهٍ ^(١)

وقال بعضهم : هي حروف من حساب الجُمَّل - كرهنا ذكر الذي

حكى ذلك عنه ، إذ كان الذي رواه ممن لا يُعتمد على روايته ونقله . وقد مضت

الروايةُ بنظير ذلك من القول عن الربيع بن أنس ^(٢) .

ثقة ، روى عنه البخاري ومسلم في الصحيحين ، وهو متأخر الوفاة ، مات في العام الذي مات فيه البخاري

سنة ٢٥٦ ، كما ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢ : ١٢٩ ، وأما شيخه « عباس بن زياد الباهلي » فلم

أجد له ترجمة قط .

(١) الأخبار ٢٢٥ - ٢٤٤ : ذكرها ابن كثير ١ : ٦٥ - ٦٦ ، بعضها بالإسناد ، وبعضها

دون إسناد ، وسردها السيوطي ٢ : ٢٢ - ٢٣ مع غيرها من الروايات . ونقل الشوكاني بعضها ١ : ٢١ .

(٢) يشير إلى الروایتين السابقتين : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

وقال بعضهم : لكل كتاب سرٌ ، وسرُّ القرآن فواتحه .

* * *

وأما أهل العربية ، فإنهم اختلفوا في معنى ذلك . فقال بعضهم : هي حروف من حُرُوف المعجم ، استُغْنِيَ بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها ، التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفاً ، كما استغنى المخبرُ - عن أخبر - عنه أنه في حروف المعجم الثمانية والعشرين حرفاً - بذكر « أ ب ت ث » ، عن ذكر بواقي حروفها التي هي تنمة الثمانية والعشرين : قال . ولذلك رُفِعَ ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ، لأنَّ معنى الكلام : الألف واللام والميم من الحروف المقطعة ، ذلك الكتاب الذي أنزلته إليك مجموعاً لا ريب فيه .

فإن قال قائل : فإن « أ ب ت ث » ، قد صارت كالاسم في حروف الهجاء ، كما كان « الحمد » اسماً لفاتحة الكتاب .

قيل له : لما كان جائزاً أن يقول القائل : ابني في « ط ظ » ، وكان معلوماً بقبيله ذلك لو قاله أنه يريد الخبر عن ابنه أنه في الحروف المقطعة - علم بذلك أن « أ ب ت ث » ليس لها باسم ، وإن كان ذلك آثراً في الذكر من سائرهما ^(١) . قال : وإنما خولف بين ذكر حُرُوف المعجم في فواتح السور ، فذكرت في أوائلها مختلفة ، وذكرها إذا ذكرت بأوائلها التي هي « أ ب ت ث » ، مؤلفة ، ليفصل بين الخبر عنها إذا أريد - بذكر ما ذكر منها مختلفاً - الدلالة على الكلام المتصل ؛ وإذا أريد - بذكر ما ذكر منها مؤلفاً - الدلالة على الحروف المقطعة بأعيانها . واستشهدوا - لإجازه قول القائل : ابني في « ط ظ » وما أشبه ذلك ، من الخبر عنه أنه في حُرُوف المعجم ، وأن ذلك من قبيله في البيان يقوم مقام قوله : ابني في « أ ب ت ث » - برجز بعض الرُّجَّاز من بني أسد :

لَمَّا رَأَيْتُ أَمْرَهَا فِي حُطًى وَفَنَكَّتْ فِي كَذِبٍ وَلَطٍّ

(١) في المطبوعة : « يؤثر في الذكر » . وأثر : يؤثره الناس ويقدمونه .

أَخَذْتُ مِنْهَا بَقْرُونَ مُشْمَطٍ فَلَمْ يَزَلْ صَوْبِي بِهَا وَمَعْطَى
حَقِّ عِلَّا الرَّأْسَ دَمٌ يُفْطَى^(١)

٢٩/١ فزعم أنه أراد بذلك الخبر عن المرأة أنها في « أبي جاد » ، فأقام قوله : « لما رأيت أمرها في « حطى » مقام خبره عنها أنها في « أبي جاد » ، إذ كان ذاك من قوله ، يدلّ سامعه على ما يدلّه عليه قوله : لما رأيت أمرها في « أبي جاد » .

• • •

وقال آخرون : بل ابتدئت بذلك أوائل السور ليفتح لاستماعه أسماع المشركين — إذ تواصلوا بالإعراض عن القرآن — حتى إذا استمعوا له ، تلى عليهم المؤلف منه .
وقال بعضهم : الحروف التي هي فواتح السور حروف يستفتح الله بها كلامه .
فإن قيل : هل يكون من القرآن ما ليس له معنى ؟

قيل^(٢) : معنى هذا أنه افتتح بها ليُعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت ، وأنه قد أخذ في أخرى ، فجعل هذا علامة انقطاع ما بينهما . وذلك في كلام العرب ، ينشد الرجل منهم الشعر فيقول :

بل • • • وبلدة ما الإنس من آهالها^(٣)

ويقول :

لا بل • ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجاً^(٤)

« بل » ليست من البيت ولا تعدّ في وزنه ، ولكن يقطع بها كلاماً ويستأنف

الآخر :

(١) أولها في اللسان (فنك) . فنك في الكذب : مضى فيه ولج وعحك . ولط الحق : جمعه ومنعه وخاصم فأحى الخصومة . والقرون ، جمع قرن : وهو الصغيرة . وشمط ، جمع أشمط : وهو الذي اشتعل رأسه شيئاً . صاب يصوب صوباً : انحدر من علو إلى سفلى . وفي المطبوعة : « ضربى » . والمعط : المد والجذب ، ومعنى بذلك إصعاده بها وهو يجذب صفائرها ، وذلك في انحداره بها وصعوده .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « فإن قيل : هل يكون من القرآن ما ليس له معنى ؟ فإن معنى هذا » وهو كلام مضطرب ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) اللسان (أهل) غير منسوب ، وكأنه لأبي النجم فيما أذكر .

(٤) هو للمجاج ، ديوانه : ٧ ، ويأتى بعد قليل في : ٢١٢ أيضاً و : ٢٢٣ .

قال أبو جعفر : ولكل قول من الأقوال التي قالها الذين وصفنا قولهم في ذلك ،
وجهٌ معروفٌ .

فأما الذين قالوا : « ألم » ، اسم من أسماء القرآن ، فلقولهم ذلك وجهان :
أحدهما : أن يكونوا أرادوا أن « ألم » اسم للقرآن ، كما الفُرقان اسم له . وإذا كان
معنى قائل ذلك كذلك ، كان تأويل قوله ﴿ ألم ذلك الكتاب ﴾ ، على معنى القسم .
كأنه قال : والقرآن ، هذا الكتاب لا ريب فيه .
والآخر منهما : أن يكونوا أرادوا أنه اسمٌ من أسماء السورة التي تُعرف به ، كما
تُعرف سائر الأشياء بأسمائها التي هي لها أمارات تعرف بها ، فيفهم السامع
من القائل بقول : — قرأت اليوم « ألمص » و « ن » — ، أي السُور التي قرأها من سُورِ
القرآن^(١) ، كما يفهم عنه — إذا قال : لقيتُ اليوم عمراً وزيداً ، وهما يزيد وعمرو
عارقان — مَنْ الذي لقي من الناس .

وإن أشكل معنى ذلك على امرئ فقال : وكيف يجوز أن يكون ذلك
كذلك ، ونظائر « ألم » ، « ألر » في القرآن جماعةً من السُور ؟ وإنما تكون الأسماء
أمارات إذا كانت مميزةً بين الأشخاص ، فأما إذا كانت غير مميزة فليست
أمارات .

قيل : إن الأسماء — وإن كانت قد صارت ، لاشتراك كثير من الناس في
الواحد منها ، غير مميزة إلا بعمانٍ آخر معها من ضمٍّ نسبة المسمى بها إليها أو نعته
أو صفته ، بما يفرق بينه وبين غيره من أشكالها — فإنها وُضعت ابتداءً للتمييز
لاشكٍّ . ثم احتيج ، عند الاشتراك ، إلى المعاني المفرقة بين المسمين بها^(٢) . فكذلك
ذلك في أسماء السور . « جعل كل اسم — في قول قائل هذه المقالة — أمانةً للمسمى
به من السُور . فلما شارك المسمى به فيه غيره من سور القرآن ، احتاج المخبر عن

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أي السورة التي قرأها . . . » .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « بين المسمى بها » .

سورة منها أن يضم إلى اسمها المسمى به من ذلك ، ما يفرق به السامع بين الخبر عنها وعن غيرها ، من نعت وصفة أو غير ذلك . فيقول المخبر عن نفسه أنه تلا سورة البقرة ، إذا سماها باسمها الذي هو « ألم » : قرأت « ألم البقرة » . وفي آل عمران : قرأت « ألم آل عمران » ، و « ألم ذلك الكتاب » ، و « ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم » . كما لو أراد المخبر عن رجلين ، اسم كل واحد منهما « عمرو » ، غير أن أحدهما تيمى والآخر أزدى ، للزمه أن يقول لمن أراد إخباره عنهما : لقيت عمراً التيمى وعمراً الأزدى ، إذ كان لا يفرق بينهما وبين غيرهما ممن يشاركهما في أسمائهما ، إلا نسبتهما كذلك . فكذلك ذلك في قول من تأول في الحروف المقطعة أنها أسماء للسور .

وأما الذين قالوا : ذلك فواتح يفتح الله عز وجل بها كلامه ، فإنهم وجهوا ذلك إلى نحو المعنى الذى حكينا عن حكيما ذلك عنه من أهل العربية ، أنه قال : ذلك أدلة على انقضاء سورة وابتداء فى أخرى ، وعلامة لانقطاع ما بينهما ، كما جعلت « بل » فى ابتداء قصيدة دلالة على ابتداء فيها ، وانقضاء أخرى قبلها . كما ذكرنا عن العرب إذا أرادوا الابتداء فى إنشاد قصيدة قالوا :

بل • ما هاجَ أحزاناً وشجواً قد شجاً

و « بل » ليست من البيت ولا داخلة فى وزنه ، ولكن ليبدل به على قطع كلام وابتداء آخر .

وأما الذين قالوا : ذلك حروف مقطعة بعضها من أسماء الله عز وجل ، وبعضها من صفاته ، ولكل حرف من ذلك معنى غير معنى الحرف الآخر ، فإنهم نحوا بتأويلهم ذلك نحو قول الشاعر :

قلنا لها : قفى لنا ، قالت : قاف لا تحسبى أنا نسينا الإيجاف^(١)

(١) الرجز للربيع بن عقبة . الأغاني ٥ : ١٣١ ، شرح شواهد الشافية : ٢٧١ ، ومشكل القرآن : ٢٣٨ . الإيجاف : حيث الدابة على سرعة السير ، وهو الوجيف .

يعنى بقوله : « قالت قاف » ، قالت : قد وقفت . فدللت بإظهار القاف من « وقفت » ، على مرادها من تمام الكلمة التى هى « وقفت » . فصرفوا قوله « ألم » وما أشبه ذلك ، إلى نحو هذا المعنى . فقال بعضهم : الألف ألف « أنا » ، واللام لام « الله » ، والميم ميم « أعلم » ، وكل حرف منها دال على كلمة تامة . قالوا : فجملة هذه الحروف المقطعة إذا ظهر مع كل حرفٍ منهن تمام حروف الكلمة ، « أنا الله أعلم » . قالوا : وكذلك سائر جميع ما فى أوائل سور القرآن من ذلك ، فعلى هذا المعنى وبهذا التأويل . قالوا : ومستفيض ظاهرٌ فى كلام العرب أن ينقص المتكلم منهم من الكلمة الأحرف ، إذا كان فيما بقى دلالة على ما حذف منها — ويزيد فيها ما ليس منها ، إذا لم تكن الزيادة مُلبسةً معناها على سامعها — كحذفهم فى النقص فى الترخيم من « حارث » الثاء ، فيقولون : يا حارٍ ، ومن « مالك » الكاف ، فيقولون : يا مالٍ ، وما أشبه ذلك ، وكقول راجزهم :

مَا لِلظَّالِمِ عَالٌ ؟ كَيْفَ لَا يَا يَنْقَدُ عَنْهُ جِلْدُهُ إِذَا يَا^(١)

كأنه أراد أن يقول : إذا يفعل كذا وكذا ، فاكتفى بالياء من « يفعل » ، وكما قال آخر منهم :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا

يريد : فشرًّا .

وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْ^(٢)

يريد : إلا أن تشاء ، فاكتفى بالتاء والفاء فى الكلمتين جميعاً ، من سائر حروفهما ، وما أشبه ذلك من الشواهد التى يطول الكتاب باستيعابه .

(١) شرح شواهد الشافية : ٢٦٧ . عال : دعاء عليه ، من قولهم « عال عوله » أى ثكلته أمه ، فاختصر : و « يا » فى البيت الأول كأنه أراد أن يقول « ينقد عنه . . . » فوقف ، ثم عاد يقول : « ينقد » ، و « يا » فى الآخر : أى إذا يعلو هذا العلو .

(٢) سيويه ٢ : ٦٢ ، الكامل ١ : ٢٤٠ ، والموشح : ١٢٠ ، وشرح شواهد الشافية : ٢٦٢ ، ونسبه فى ٢٦٤ للقيم بن أوس .

٢٤٥ - وكما حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : حدثنا ابنُ عُليّة، عن أيوب، وابنِ عون، عن محمد، قال : لما مات يزيدُ بن معاوية قال لي عَبْدَةُ : إلى لا أراها إلا كائنةً فتنةً ، فافزع من ضيَعَتِكَ والحق بأهلك . قلت : فما تأمرني ؟ قال : أحبُّ إلىَّ لك أنْ تا - قال أيوبُ وابنُ عون بيده . تحت خدّه الأيمن ، يصف الاضطجاع - حتى ترى أمراً تعرفه^(١) .

قال أبو جعفر : يعني بـ « تا » تضطجع ، فاجترأ بالتاء من تضطجع . وكما قال الآخر في الزيادة على الكلام^(٢) ، على النحو الذي وصفت :

أَقُولُ إِذْ خَرَّتْ عَلَى الْكَلْكَالِ يَا نَاقَتِي مَا جُلْتِ مِنْ مَجَالٍ^(٣)

يريد : الكلكل ، وكما قال الآخر :

إِنْ شَكَلِي وَإِنْ شَكَلَكَ شَتَّى فَالزَّمِي الْخُصَّ وَاخْفِضِي تَبْيِضُضِي^(٤)

فزاد ضاداً ، وليست في الكلمة .

قالوا : فكذلك ما نقص من تمام حروف كل كلمة من هذه الكلمات التي ذكرنا أنها تنمة حروف « ألم » ونظائرها - نظير ما نقص من الكلام الذي حكيناه عن العرب في أشعارها وكلامها .

وأما الذين قالوا : كل حرف من « ألم » ونظائرها ، دالٌّ على معانٍ شتى -

(١) الأثر ٢٤٥ - محمد : هو ابن سيرين . وعبدَةُ : لم أوقن من هو ولم أرجح . بل أكاد أوقن أن هذا تحريف ، صوابه « عبيدة » بفتح العين وكسر الباء الموحدة وآخره هاء . وهو عبيدة بن عمرو - أو ابن قيس - السلماني ، من كبار التابعين ، من طبقة الصحابة ، أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يلقه . وكان ابن سيرين من أروى الناس عنه . وهو مترجم في التهذيب ، وفي ابن سعد ٦ : ٦٢ - ٦٤ ، وعند ابن أبي حاتم ٩١/١/٣ . وأما يزيد : فهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، مات سنة ٦٤ . وقوله : « قال أيوب . . . » ، أي أشار .

(٢) في المطبوعة : « في الكلام » .

(٣) اللسان (كلل) ، وشكل القرآن : ٢٣٥ . والكلكل : الصدر من البعير وغيره .

(٤) اللسان (بيض) (خفض) ، وشكل القرآن : ٢٣٤ . يقوله لامراته . والخص : البيت من

نصب . وقوله « اخفضي » من الخفض : وهو الدعة ولين العيش . يقول لها : فحن مختلفان ، فالزمي بيتك وعيشي في حنة وخفض ، يزدك لين العيش بياناً ونعمة . أما أنا فالرحلة دأبي ، تشقيني وتلوحنى .

نحو الذي ذكرنا عن الربيع بن أنس - فإنيهم وجَّهوا ذلك إلى مثل الذي له وجَّهه إليه من قال : هو بتأويل « أنا الله أعلم » ، في أن كل حرف منه بعض حروف كلمة تامة ، استغنى بدلالته على تمامه عن ذكر تمامه - وإن كانوا له مخالفين في كل حرف من ذلك : أهو من الكلمة التي ادعى أنه منها قائلو القول الأول ، أم من غيرها ؟ فقالوا : بل الألف من « ألم » من كلمات شتى ، هي دالة على معاني جميع ذلك وعلى تمامه . قالوا : وإنما أفرد كل حرف من ذلك ، وقصر به عن تمام حروف الكلمة ، أن جميع حروف الكلمة لو أظهرت ، لم تدل الكلمة التي تظهر - التي بعض هذه الحروف المقطعة بعض لها - إلا على معنى واحد لا على معنيين وأكثر منهما . قالوا : وإذا كان لا دلالة في ذلك ، لو أظهر جميعها ، إلا على معناها الذي هو معنى واحد ، وكان الله جل ثناؤه قد أراد الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لشيء واحد - لم يجوز إلا أن يفرد الحرف الدال على تلك المعاني ، ليعلم المخاطبون به أن الله عز وجل لم يقصد قصد معنى واحد ودلالة على شيء واحد بما خاطبهم به ، وأنه إنما قصد الدلالة به على أشياء كثيرة . قالوا : فالألف من « ألم » مقتضية معاني كثيرة ، منها تمام اسم الرب الذي هو « الله » ، وتمام اسم نعماء الله التي هي آلاء الله ، والدلالة على أجل قوم أنه سنة ، إذ كانت الألف في حساب الجُمَّل واحداً . واللام مقتضية تمام اسم الله الذي هو لطيف ، وتمام اسم فضله الذي هو لطيف ، والدلالة على أجل قوم أنه ثلاثون سنة . والميم مقتضية تمام اسم الله الذي هو مجيد ، وتمام اسم عظمته التي هي مجد ، والدلالة على أجل قوم أنه أربعون سنة . فكان معنى الكلام - في تأويل قائل القول الأول - أن الله جل ثناؤه افتتح كلامه بوصف نفسه بأنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء ، وجعل ذلك لعباده منهجاً يسلكونه في مفتتح خطبهم ورسائلهم ومهم أمورهم ، وابتلاء منه لهم به ليستوجبوا به عظيم الثواب في دار الجزاء ، كما افتتح به الحمد لله رب العالمين ، و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ، [سورة الأنعام : ١]

وما أشبه ذلك من السُّور التي جعل مفاتيحها الحمدَ لنفسه ، وكما جعل مفاتيح بعضها تعظيمَ نفسه وإجلالها بالتسبيح ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [سورة الإسراء : ١] ، وما أشبه ذلك من سائر سور القرآن ، التي جعل مفاتيح بعضها تحميدَ نفسه ، ومفاتيح بعضها تمجيدَها ، ومفاتيح بعضها تعظيمَها وتزويدها . فكذا جعل مفاتيح السور الأخر التي أوائلها بعضُ حروف المعجم ، مدائحَ نفسه ، أحياناً بالعلم ، وأحياناً بالعدل والإنصاف ، وأحياناً بالإفضال والإحسان ، بإيجاز واختصار ، ثم اقتصاصَ الأمور بعد ذلك .

وعلى هذا التأويل يجب أن يكون الألف واللام والميم في أماكن الرفع ، مرفوعاً بعضها ببعض ، دون قوله ﴿ ذلك الكتاب ﴾ ، ويكون « ذلك الكتاب » خبراً مبتدأً منقطعاً عن معنى « ألم » . وكذلك « ذلك » في تأويل قول قائل هذا القول الثاني ، مرفوعٌ بعضه ببعض ، وإن كان مخالفاً معناه معنى قول قائل القول الأول .

وأما الذين قالوا : هنَّ حروفٌ من حروف حساب الجُمَّل دون ما خالف ذلك من المعاني ، فإنهم قالوا : لا نعرف للحروف المقطعة معنى يفهم سوى حساب الجُمَّل ، وسوى تهجِّي قول القائل : « ألم » . قالوا : وغيرُ جائز أن يخاطبَ الله جل ثناؤه عباده إلا بما يفهمون ويعقلون عنه . فلما كان ذلك كذلك — وكان قوله « ألم » لا يُعقل لها وجهٌ تُوجَّه إليه ، إلا أحد الوجهين اللذين ذكرنا ، فبطل أحدُ وجهيه ، وهو أن يكون مراداً بها تهجِّي « ألم » — صحَّ وثبت أنه مرادٌ به الوجه الثاني ، وهو حساب الجُمَّل ، لأن قول القائل : « ألم » لا يجوز أن يليه من الكلام « ذلك الكتاب » ، لاستحالة معنى الكلام وخروجه عن المعقول ، إن وُكِّي « ألم » « ذلك الكتاب » . واحتجوا لقولهم ذلك أيضاً بما : —

٢٤٦ — حدثنا به محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا سلمة بن

الفضل ، قال : حدثني محمد بن إسحق ، قال : حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله بن رثاب ، قال : مرَّ

أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ ، فأتى أخاه حبي بن أخطب من يهود فقال : تعلمون والله^(١) ، لقد سمعتُ محمداً يتلو فيما أنزل الله عز وجل عليه ﴿ألم ذلك الكتاب﴾ فقالوا : أنت سمعته ؟ قال : نعم ! قال : فشى حبي بن أخطب في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك ﴿ألم ذلك الكتاب﴾ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ! فقالوا : أجماعك بهذا جبريل من عند الله ؟^(٢) قال : نعم ! قالوا : لقد بعث الله جل ثناؤه قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين نبي منهم ، ما مدّة ملكه وما أكل أمته غيرك !^(٣) فقال : حبي بن أخطب ، وأقبل على من كان معه فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة . أفندخلون في دين نبي إنعام مدّة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة^(٤) ؟ قال : ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ! قال : ماذا ؟ قال : ﴿المص﴾ . قال : هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه مئة وإحدى وستون سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ، قال : نعم ! قال : ماذا ؟ قال : ﴿الر﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول . الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مثنان ، فهذه إحدى وثلاثون ومثنتان سنة ، فقال : هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم ، ﴿المر﴾ ، قال : فهذه

(١) هكذا في المطبوعة والمخطوطة : «تعلمون» ، ونص محمد بن إسحاق ، سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٤ . «تعلموا» بتشديد اللام ، أى اعلّموا . وهي كثيرة الورد في سيرة ابن هشام وغيره .

(٢) الذى في سيرة ابن هشام : «أجماعك بها جبريل من عند الله» .

(٣) في المطبوعة ، وفي سائر الكتب التى خرجت الخبر عن الطبرى : «ما أجل» .

(٤) في المطبوعة «قال ، فقال لهم : ألدخلون . . .» و «أجل أمته» والتصحيح من المخطوطة وابن هشام . والأكل (بضم فسكون) : الرزق . يقال : هو عظيم الأكل في الدنيا ، أى واسع الرزق ، وهو الحظ من الدنيا ، كأنه يؤكل . ويراد به : مدة العمر التى يعيشها الناس في الدنيا يأكلون مما رزقهم الله . فيقال للميت : انقطع أكله ، بمعنى : انقضى عمره .

والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مثنان ، فهذه إحدى وسبعون ومثنا سنة . ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه . فقال أبو ياسر لأخيه حجي بن أخطب ، ولمن معه من الأخبار : ما يدريكم لعلّه قد جمع هذا كله لمحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومئة ، ومثنان وإحدى وثلاثون ، ومثنان وإحدى وسبعون ، فذلك سبعمئة سنة وأربع وثلاثون ! فقالوا : لقد تشابه علينا أمره ! ويزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ ^(١) [سورة آل عمران : ٧] .

(١) الحديث ٢٤٦ - هذا حديث ضعيف الإسناد ، رواه محمد بن إسحق بهذا الإسناد الضعيف ، وبأسانيد آخر ضعاف :

فرواه في السيرة ، التي هذبها عبد الملك بن هشام النحوي البصري ، ورواها عن زياد بن عبد الله البكائي عن ابن إسحق ، وعرفت واشتهرت بأنها « سيرة ابن هشام » . وابن هشام هذا ثقة ، وثقه ابن يونس وغيره ، مات سنة ٢١٨ . وشيخه زياد البكائي : ثقة ، من شيوخ أحمد . و« البكائي » ، بفتح الباء وتشديد الكاف : نسبة إلى « البكاء » ، وهو : ربيعة بن عامر بن صعصعة .

فقال ابن هشام ٢ : ١٩٤ - ١٩٥ (٢ : ٣٥ - ٣٧ من الروض الأنف شرح السيرة) : قال ابن إسحق : وكان ممن نزل فيه القرآن بخاصة من الأخبار وكفار يهود ، الذين كانوا يسألونه ويتمتونه ، ليلبسوا الحق بالباطل ، فيما ذكر لي عن عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله بن رثاب : أن أبا ياسر ابن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم

فهذا إسناد ضعيف ، جهله ابن إسحق ، فجاء به معلقاً بصيغة التقرير . وفيه أن الرواية عن ابن عباس وجابر ، معاً .

ورواه البخاري في التاريخ الكبير ، في ترجمة « جابر بن عبد الله بن رثاب » ١ / ٢ / ٢٠٧ - ٢٠٨ بثلاثة أسانيد ، بمادته الدقيقة المتقنة ، في الإيجاز والإشارة إلى الأسانيد وعللها :

وأولها : « حدثني عمرو بن زارة ، قال : حدثنا زياد : قال ابن إسحق : حدثني مولى لزيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة ، عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله : أن أبا ياسر بن أخطب مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو (ألم . ذلك الكتاب) » .

فهذه هي إشارة البخاري إلى الإسناد الأول من الثلاثة الأسانيد .

و « زياد » في هذا الإسناد : هو البكائي . فهذا إسناد صحيح إلى ابن إسحق . ولكن فيه الضعف بجهالة أحد رواة « مولى لزيد بن ثابت » . وهو كإسناد السيرة : عن ابن عباس وجابر معاً . ولعل عمرو ابن زارة - شيخ البخاري - روى السيرة عن البكائي ، كما رواها عنه ابن هشام .

وثانيها : « وقال سلمة : حدثني ابن إسحق ، قال : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو

سعيد ، عن ابن عباس : (ألم . ذلك الكتاب) - بطوله .
وهذه إشارة البخاري إلى الإسناد الثاني . يريد أنه رواه سلمة - وهو ابن الفضل الذي في إسناد الطبري
هنا - عن ابن إسحق . ولم يذكر لفظ الحديث ، اكتفاء بهذه الإشارة إليه .
وابن إسحق - في هذا الإسناد - يرويه عن « محمد بن أبي محمد » ، وهو الأنصاري المدني ، مولى
زيد بن ثابت . زعم الذهبي في الميزان أنه « لا يعرف » ! وهو معروف ، ترجمه البخاري في الكبير
٢٢٥/١/١ فلم يذكر فيه جرحاً ، وذكره ابن حبان في الثقات . وكفى بذلك معرفة وتوثيقاً . ولعله هو
« مولى زيد بن ثابت » الذي أبهم في الإسناد الأول . ولكن اضطرب هذا الإسناد على ابن إسحق ، أو على
سلمة بن الفضل - فكانت الرواية فيه : عن عكرمة ، أو سعيد ، يعني ابن جبير ، على الشك . ثم كانت
عن ابن عباس ، دون ذكر « جابر بن عبد الله بن رثاب » .
ثالثاً : « وعن ابن إسحق : كان ما نزل فيه القرآن من الأحبار ، فيما حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ،
عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله بن رثاب : مر أبو ياسر بن أخطب بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو يتلو (ألم) ، بطوله - في الحساب » .
وهذه الرواية الثالثة ، بالإسناد الذي عند الطبري هنا . تابعة للرواية الثانية ، عن سلمة بن الفضل ،
حفظها عليها بقوله « وعن ابن إسحق » ، ليست تعليقاً جديداً .
وأشار البخاري - بصنيعه هذا - إلى اضطراب الرواية على سلمة بن الفضل ، بين هذا وذاك . ولذلك
ذهب إلى جرح « سلمة » بهذا الاضطراب ، فقال عقب ذلك : « قال على [يريد به شيخه على بن المديني ،
إمام الجرح والتعديل] : ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة » .
وقال في ترجمة سلمة ٨٥ / ٢ / ٢ : « سلمة بن الفضل أبو عبد الله الأبرش الرازي الأنصاري ،
سمع محمد بن إسحق ، روى عنه عبد الله بن محمد الجعفي . عنده من أكبر . يقال : مولايم . مات بعد اتسمين .
وهو على » ، يعني شيخه ابن المديني . ويعني أن سلمة مات بعد سنة ١٩٠ . وقال في التاريخ الصغير
ص ٢١٧ : « مات سلمة بن الفضل أبو عبد الله الأبرش الرازي الأنصاري بعد تسعين ومائة . قال على
[يعني ابن المديني] : رمينا بحديثه قبل أن نخرج من الري . وضعفه إسحق بن إبراهيم » . وقال في ترجمته
أيضاً ، في كتاب الضعفاء (ص ١٦) : « سمع محمد بن إسحق ، روى عنه عبد الله بن عمر بن أبان
ومحمد بن حميد . ولكن عنده من أكبر . وفيه نظر » .
وأنا أذهب إلى توثيق سلمة بن الفضل ، فقد وثقه ابن معين ، فيما رواه ابن أبي حاتم في كتابه ، وله
عنده ترجمة جيدة وإافية ١٦٨/١/٢ - ١٦٩ . وروى أيضاً عن جرير ، قال : « ليس من لدن بغداد
إلى أن تبلغ خراسان أثبت في ابن إسحق - من سلمة بن الفضل » . وقد رجحت توثيقه أيضاً في شرح المستد:
٨٨٦ .
وعندي أن هذا الاضطراب إنما هو من ابن إسحق ، أو لعله رواه بهذه الأسانيد كما سمعه . وكلها
ضعيف مضطرب . وأشدّها ضعفاً الرواية التي هنا ، والتي أشار إليها البخاري : من رواية الكلبي عن أبي
صالح .
وقد در الحفاظ ابن كثير ، فقد وضع الحق موضعه ، حين قال في التفسير ١ : ٦٩ - ٧٠ : « وأما
من زعم أنها دالة على معرفة المدد ، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفن والملاحم - فقد ادعى
ما ليس له ، وطار في غير مطاره ! وقد ورد في ذلك حديث ضعيف ، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا

قالوا : فقد صرح هذا الخبر بصحة ما قلنا في ذلك من التأويل ، وفساد ما قاله مخالفونا فيه .

والصواب من القول عندى في تأويل مفاتيح السور ، التى هى حروف المعجم : أن الله جل ثناؤه جعلها حروفاً مقطعة ولم يصل بعضها ببعض - فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف - لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة ، لا على معنى واحد ، كما قال الربيع بن أنس . وإن كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة ، دون ما زاد عليها .

والصواب في تأويل ذلك عندى : أن كل حرف منه يحوى ما قاله الربيع ، وما قاله سائر المفسرين غيره فيه - سوى ما ذكرت من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية : أنه كان يوجه تأويل ذلك إلى أنه حروف هجاء ، استغنى

المسلك من التمسك به على صحته . ثم نقل هذا الحديث من هذا الموضع من الطبرى - ثم قال : « فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي ، وهو من لا يحتج بما انفرد به ، ثم كان مقتضى هذا المسلك - إن كان صحيحاً : أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التى ذكرناها . وذلك يبلغ منه جملة كثيرة . وإن حسبت مع التكرار ، فأظم وأعظم !! » .

ومحمد بن السائب الكلبي : ضعيف جداً ، روى بالكذب ، بل روى ابن أبي حاتم في الجرح ١/٣ / ٢٧٠ - ٢٧١ في ترجمته ، عن أبي عاصم النبيل ، قال : « زعم لي سفيان الثوري قال : قال لنا الكلبي : ما حدثت عنى عن أبي صالح عن ابن عباس ، فهو كذب ، فلا تروه » . وقال أبو حاتم : « الناس مجتمعون على ترك حديثه ، لا يشتغل به ، هو ذاهب الحديث » .

والطبرى نفسه قد ضعفه جداً ، فيما مضى : ٦٦ إذ أشار إلى رواية عن ابن عباس : « روى جميع ذلك عن ابن عباس ، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله » ، ثم ذكر أن الذى روى ذلك « الكلبي عن أبي صالح » . ووصف الحديث : ٧٢ الذى رواه من طريقه ، بأنه « خبر فى إسناده نظر » .

فكان عجباً منه بعد هذا ، أن يحتج بهذه الروايات المتهافة ، ويرضى هذا التأويل المستنكر ، بحساب الجمل ١ إذ يختار فيها سياتى (هذه الصفحة سطر : ٨ وما بعدها) ، أن هذه الأحرف تحوى سائر المعانى التى حكاهما إلا قولاً واحداً غير هذا المعنى المنكر . بل هو يصرح بعد ذلك ص : ٢٢٢ سطر : ٨ أن من المعانى التى ارتضاها : أنهم « من حروف حساب الجمل » !!

وقد نقل السيوطي هذا الحديث فى الدر المنثور ١ : ٢٢ ، و ٢ : ٤ - ٥ ، ووصفه فى الموضع الأول بالضعف . وكذلك نقله الشوكاني ١ : ٢٠ ، وضعفه .

وقوله فى آخره : « ويزعمون أن هؤلاء الآيات . . . » - هو من تشبه الرواية . وهو من كلام ابن إسحق حكاية عن روى عنهم .

يذكر ما ذكر منه في مفاتيح السور ، عن ذكر تمة الثمانية والعشرون حرفاً من حروف المعجم ، بتأويل : أن هذه الحروف ، ذلك الكتاب ، مجموعة ، لا ريب فيه - فإنه قول خطأ فاسد ، لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين من أهل التفسير والتأويل^(١) . فكفى دلالة على خطئنا ، شهادة الحجّة عليه بالخطأ ، مع إبطال قائل ذلك قوله الذي حكينا عنه - إذ صار إلى البيان عن رفع « ذلك الكتاب » - بقوله مرة إنه مرفوع كل واحد منهما بصاحبه ، ومرة أخرى إنه مرفوع بالراجع من ذكره في قوله « لا ريب فيه » ، ومرة بقوله « هدى للمتقين » . وذلك ترك منه لقوله : إن « ألم » رافعة « ذلك الكتاب » ، وخروج من القول الذي ادّعاه في تأويل « ألم ذلك الكتاب » ، وأن تأويل ذلك : هذه الحروف ذلك الكتاب .

فإن قال لنا قائل : وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملاً للدلالة على معان كثيرة مختلفة ؟

قيل : كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة ، ٧٣/١ كقولهم للجماعة من الناس : أمة ، ولالحين من الزمان : أمة ، وللرجل المتعبّد المطيع لله : أمة ، وللدين والملة : أمة . وكقولهم للجزاء والقصاص : دين ، وللسلطان والطاعة : دين ، وللتدليل : دين ، وللحساب : دين ، في أشباه ذلك كثيرة يطول الكتاب بإحصائها - مما يكون من الكلام بلفظ واحد ، وهو مشتمل على معان كثيرة . وكذلك قول الله جل ثناؤه : « ألم » و « ألر » و « ألمص » وما أشبه ذلك من حروف المعجم التي هي فواتح أوائل السور ، كل حرف منها دال على معان شتى ، شامل جميعها من أسماء الله عز وجل وصفاته ما قاله المفسرون من الأقوال التي ذكرنا عنهم . وهنّ ، مع ذلك ، فواتح السور ، كما قاله من قال ذلك . وليس

(١) الخالفين جمع خالف . خلف قوم بعد قوم يخلفون خلفاً فهم خالفون : جاؤا بعدهم وتبعوهم على آثارهم . تقول : أنا خالفة وخالفته : أي جئت بعده .

كون ذلك من حروف أسماء الله جل ثناؤه وصفاته ، بما فيها أن تكون للسور فواتح . لأن الله جل ثناؤه قد افتتح كثيراً من سور القرآن بالحمد لنفسه والثناء عليها ، وكثيراً منها بتمجيدها وتعظيمها ، فغير مستحيل أن يتبدى بعض ذلك بالقسم بها .

فالتى ابتدئ أوائلها بحروف المعجم ، أحد معاني أوائلها : أنهم فواتح ما افتتح بهن من سور القرآن . وهن مما أقسم بهن ، لأن أحد معانيهن أنهن من حروف أسماء الله تعالى ذكره وصفاته ، على ما قد منّا البيان عنها ، ولا شك في صحة معنى القسم بالله وأسمائه وصفاته . وهن من حروف حساب الحُمْل . وهن للسور التى افتتحت بهن شعاراً وأسماء . فذلك يحوى معاني جميع ما وصفنا ، مما بيننا ، من وجوهه . لأن الله جل ثناؤه لو أراد بإمك ، أو بشيء منه ، الدلالة على معنى واحد مما يحتمله ذلك ^(١) ، دون سائر المعاني غيره ، لأبان ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إبانة غير مشككة . إذ كان جل ثناؤه إنما أنزل كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم ليسبب لهم ما اختلفوا فيه . وفي تركه صلى الله عليه وسلم إبانة ذلك — أنه مراد به من وجوه تأويله البعض دون البعض — أوضح الدليل على أنه مراد به جميع وجوهه التى هو لها محتمل . إذ لم يكن مستحيلاً فى العقل وجه منها أن يكون من تأويله ومعناه ، كما كان غير مستحيل اجتماع المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة ، باللفظ الواحد ، فى كلام واحد .

ومن أبى ما قلناه فى ذلك ، سئل النزق بين ذلك ، وبين سائر الحروف التى تأتى بلفظ واحد ، مع اشتغالها على المعاني الكثيرة المختلفة ، كالأمة والدين وما أشبه ذلك من الأسماء والأفعال . فلن يقول فى واحد من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

وكذلك يُسأل كل من تأول شيئاً من ذلك — على وجه دون الأوجه الأخر

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « مما لا يحتمله ذلك » ، وهو محتمل لمعناه .

التي وصفنا — عن البرهان على دعواه، من الوجه الذي يجب التسليم له . ثم يُعارض بقول مُخالفه في ذلك ، ويسأل الفرقَ بينه وبينه : من أصل ، أو بما يدل عليه أصل . قلن يقول في أحدهما قولاً إلا ألزم في الآخر مثله .

وأما الذي زعم من النحويين : أن ذلك نظيرُ « بل » في قول المنشد شعراً :

بل • ما هاج أحراناً وشجواً قد شجاً

وأنه لا معنى له ، وإنما هو زيادة في الكلام معناه الطَّرْح — فإنه أخطأ من وجوه شتى (١) :

أحدها : أنه وصفَ الله تعالى ذكره بأنه خاطب العرب بغير ما هو من لغتها ، وغير ما هو في لغة أحد من الآدميين . إذ كانت العرب — وإن كانت قد كانت تفتح أوائل إنشادها ما أنشدت من الشعر بـ « بل » — فإنه معلوم منها أنها لم تكن تبدئ شيئاً من كلامها بـ « ألم » و « ألر » و « ألمص » ، بمعنى ابتدائها ذلك بـ « بل » . وإذا كان لك ليس من ابتدائها — وكان الله جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم من القرآن ، بما يعرفون من لغاتهم ، ويستعملون بينهم من منطقهم ، في جميع آيهِ — فلا شك أن سبيل ما وصفنا من حروف المعجم ، التي افتتحت بها أوائل السور ، التي هن لها فواتح ، سبيلُ سائر القرآن ، في أنه لم يعدلُ بها عن لغاتهم التي كانوا بها عارفين ، ولها بينهم في منطقهم مستعملين . لأن ذلك لو كان معدولاً به عن

سبيل لغاتهم ومنطقهم ، كان خارجاً عن معنى الإبانة التي وصف الله عز وجل ٧٤/١ بها القرآن ، فقال تعالى ذكره : ﴿ تَزَلَّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۚ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۚ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥] . وأننى يكون مُبيناً ما لا يعقله ولا يفهمه أحد من العالمين (٢) ، في قول قائل هذه المقالة ، ولا يُعرَف في منطق أحد من المخلوقين ، في قوله ؟ وفي إخبار الله جل ثناؤه عنه أنه عربي مبين ، ما يُكذَّب هذه المقالة ، وينبئ عنه أن العرب كانوا به

(١) انظر ما مضى : ٢١٠ .

(٢) في المطبوعة : « ما لا يعقله ولا يفهمه » .

عالمين ، وهو لها مُستبينٌ . فذلك أحدُ أوجه خطئه .

والوجه الثاني من خطئه في ذلك : إضافته إلى الله جل ثناؤه أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له ، من الكلام الذي سواء الخطابُ فيه به وترك الخطاب به . وذلك إضافة العبث الذي هو منقُ في قول جميع الموحدين عن الله — إلى الله تعالى ذكره . والوجه الثالث من خطئه : أن « بل » في كلام العرب مفهومٌ تأويلها ومعناها ، وأنها تُدخلها في كلامها رجوعاً عن كلامٍ لها قد تقضى ، كقولهم : ما جاءني أخوك بل أبوك ، وما رأيتُ عمراً بل عبد الله ، وما أشبه ذلك من الكلام ، كما قال أعشى بني ثعلبة :

وَلَأَشْرَبَنَّ ثَمَانِيًا وَثَمَانِيًا وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا^(١)
ومضى في كلمته حتى بلغ قوله :
بِالْجُلْسَانِ ، وَطَيْبٌ أَرْدَانُهُ بِالْوَنِّ يَضْرِبُ لِي يَكْرُ الْإِصْبَعَا^(٢)
ثم قال :

بَلْ عَدُّ هَذَا ، فِي قَرِيضٍ غَيْرِهِ وَاذْكُرْ قَتَى سَمَحَ الْخَلِيقَةِ أَرْوَعَا
فكانه قال : دَعْ هذا وخذ في قريض غيره . فـ « بل » إنما يأتي في كلام العرب على هذا النحو من الكلام ، فأما افتتاحاً لكلامها مُبتدأ بمعنى التطول والحذف^(٣) ، من غير أن يدل على معنى ، فذلك مما لا نعلم أحداً ادعاه من أهل المعرفة بلسان العرب ومنطقها ، سوى الذي ذكرتُ قوله ، فيكون ذلك أصلاً يشبه به حُرُوف المعجم التي هي فواتح سور القرآن التي افتتحت بها — لو كانت له مُشبهة — فكيف وهي من الشبه به بعيد ؟

(١) ديوان الأعشى ، زيادات : ٢٤٨ ، باختلاف في الرواية . وانظر مراجعه هناك .

(٢) الجلّسان : قبة أوبيت ينثر فيه الورد والريحان للشرب . وقوله : « وطيب أردانه » يعني قينة تغنيهم وتمزف لهم ، طيبة الريح ، تفسخت وتزينت . والأردان جمع ردن (بضم فسكون) : وهو مقدم كم القميص . والون : صنج يضرب بالأصابع . وقوله « يكر » أي يرد لإصبعه مرة بعد مرة في ضربه بالصنج ، وأراد به سرعة حركة أصابعها بالصنج . وفي المطبوعة « يكده » بالذال ، وهو خطأ .

(٣) انظر ما مضى : ١٨ تعليق : ٢ ، وعنى بالتطول : الزيادة .

* * *

القول في تأويل قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾

قال عامة المفسرين : تأويل قول الله تعالى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ : هذا الكتاب .

ذكر من قال ذلك :

٢٤٧ - حدثني هرون بن إدريس الأصم الكوفي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن محمد

المخاربي ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ذلك الكتاب » قال : هو هذا الكتاب .

٢٤٨ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا

نخالة الحذاء ، عن عكرمة ، قال : « ذلك الكتاب » : هذا الكتاب .

٢٤٩ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبير ،

قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدّي ، في قوله « ذلك الكتاب » قال :

هذا الكتاب ^(١) .

٢٥٠ - حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود . قال :

حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله : « ذلك الكتاب » : هذا الكتاب . قال :

قال ابن عباس : « ذلك الكتاب » : هذا الكتاب ^(٢) .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يكون « ذلك » بمعنى « هذا » ؟ و « هذا » لا

شكّ إشارة إلى حاضرٍ معيّن ، و « ذلك » إشارة إلى غائب غير حاضر ولا معيّن ؟

(١) الأثر ٢٤٩ - الحكم بن ظهير - بضم الظاء المعجمة - الفزاري ، أبو محمد بن أبي ليل

الكوفي : ضعيف جداً ، روى بوضع الحديث . قال البخاري في الكبير ١ / ٢ / ٣٤٢ - ٣٤٣ : « تركوه

منكر الحديث » . وقال ابن أبي حاتم في الجرح ١ / ٢ / ١١٨ - ١١٩ عن أبي زرعة : « واهى الحديث » .

وقال ابن حبان في كتاب المبروحين ، رقم ٢٣٩ : « كان يشتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يروى

عن الثقات الأشياء الموضوعات » .

(٢) هذه الآثار جميعاً ٢٤٧ - ٢٥٠ ذكرها ابن كثير في تفسيره ١ : ٧٠ ، والدر المنثور

١ : ٢٤ ، والشوكاني ١ : ٢١ .

قيل : جاز ذلك ، لأن كل ما تقضى ، بقرب تقضيه من الإخبار^(١) ، فهو - وإن صار بمعنى غير الحاضر - فالحاضر عند المخاطب . وذلك كالرجل يحدث الرجل الحديث فيقول السامع : « إن ذلك والله لكما قلت » ، و « هذا والله كما قلت » ، و « هو والله كما ذكرت » ، فيخبر عنه مرة بمعنى الغائب ، إذ كان قد تقضى ومضى ، ومرة بمعنى الحاضر ، لقرب جوابه من كلام مخبره ، كأنه غير منقضى . فكذلك « ذلك » في قوله ﴿ ذلك الكتاب ﴾ لأنه جل ذكره لما قدم قبل « ذلك الكتاب » « ألم » ، التي ذكرنا تصرفها في وجوها من المعاني على ما وصفنا ، قال لنبه صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، هذا الذى ذكرته وبيئته لك ، الكتاب . ولذلك أحسن وضع « ذلك » فى مكان « هذا » ، لأنه أشير به إلى الخبر عما تضمنته قوله « ألم » من المعاني ، بعد تقضى الخبر عنه بـ « ألم » ، فصار لقرب الخبر عنه من تقضيه ، كالحاضر المشار إليه ، فأخبر به بـ « ذلك » لانقضائه ، ومصير الخبر عنه كالخبر عن الغائب ، وترجمه المفسرون^(٢) : أنه بمعنى « هذا » ، لقرب الخبر عنه من انقضائه ، فكان كالشاهد المشار إليه بـ « هذا » ، نحو الذى وصفناه من الكلام الجارى بين الناس فى محاوراتهم ، وكما قال جل ذكره : ﴿ وَإِذْ كُنَّا نَمُوتُ وَإِذْ كُنَّا نَمُوتُ وَإِذْ كُنَّا نَمُوتُ ﴾ [سورة ص : ٤٨ ، ٤٩] فهذا ما فى « ذلك » إذا عني بها « هذا » .

وقد يحتمل قوله جل ذكره ﴿ ذلك الكتاب ﴾ ، أن يكون معنياً به السور التى نزلت قبل سورة البقرة بمكة والمدينة ، فكأنه قال جل ثناؤه لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، اعلم أن ما تضمنته سور الكتاب التى قد أنزلتها إليك ، هو الكتاب الذى لا ريب فيه . ثم ترجمه المفسرون^(٣) بأن معنى « ذلك » « هذا الكتاب » ،

(١) فى المطبوعة « وقرب تقضيه » . يريد : أن ذكر ما انقضى ، وانقضائه قريب من إخباره عنه .

(٢) ترجمه : أى فسر المفسرون وبينوه بوضع حرف مكان حرف . انظر ما مضى ٧٠ تعليق

١ / ٩٣ : ٤ / ومواضع أخر .

إذ كانت تلك السُّور التي نزلت قبل سورة البقرة ، من جملة جميع كتابنا هذا ، الذي أنزله الله عز وجل على نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم .
وكان التأويل الأول أولى بما قاله المفسرون ، لأن ذلك أظهر معاني قولهم الذي قالوه في « ذلك » .

وقد وجّه معنى « ذلك » بعضهم ، إلى نظير معنى بيت خُفاف بن نُدبة السُّلمي :

فَإِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مَالِكَهَا^(١)
أَقُولُ لَهُ ، وَالرُّمَحُ يَاطِرُ مَتْنَهُ ، تَأْمَلْ خُفَافًا ، إِنِّي أَنَا ذَلِكَا^(٢)
كأنه أراد : تأملني أنا ذلك . فزعم أن « ذلك الكتاب » بمعنى « هذا » ،
نظيره^(٣) . أظهر خُفاف من اسمه على وجه الخبر عن الغائب ، وهو مخبر عن نفسه .
فكذلك أظهر « ذلك » بمعنى الخبر عن الغائب^(٤) ، والمعنى فيه الإشارة إلى الحاضر
المشاهد .

والقول الأول بتأويل الكتاب ، لماذا ذكرنا من العلل .

وقد قال بعضهم : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ ، يعني به التوراة والإنجيل ، وإذا وجّه

(١) الأغاني ٢ : ١٣/٣٢٩ ، ١٣٤ : ١٦/١٣٥ ، والحزاة ٢ : ٤٧٠ ، وغيرهما ،
ويأتى في الطبري ١ : ٣١٤ ، ٤٣٧ . يقول الشعر في مقتل ابن عمه معاوية بن عمرو أخى الخنساء . ومالك ،
هو مالك بن حمار الشمخي الفزاري . والحيل هنا : هم فرسان الغارة ، وكان معاوية وخُفاف غزواً ببنى مرة
وفزارة . والصميم : الخالص المحض من كل شيء . وأراد معاوية ومقتله يومئذ . ويقال : « فعلت هذا الأمر
عمد عين ، وعمداً على عين » ، إذا تعمده مواجهةً بمجد ويقين . وتيسم : قصد وأم .
(٢) « أقول له » ، يعني لمالك بن حمار . وأطر الشيء يأطره أطراً : هو أن تقبض على أحد طرفي
الشيء ثم تعوجه وتعطفه وتشنيه . وأراد أن حر الطعنة جعله يتثنى من ألمها ، ثم ينحنى ليهوى صريعاً إذ أصاب
الرمح مقتله . وأرى أن الإشارة في هذا البيت إلى معنى غائب ، كأنه قال : « أنا ذلك الذي سمعت به وبيأسه » .
وهذا المعنى يخرج البيت عن أن يكون شاهداً على ما أراد الطبري .
(٣) في المطبوعة : « كأنه أراد : تأملني أنا ذلك » ، فرأى أن « ذلك الكتاب » بمعنى « هذا » نظير
ما أظهر خُفاف من اسمه ، وهو تغيير لا خبر فيه .
(٤) في المطبوعة : « فلذلك أظهر ذلك . . . » .

تأويل « ذلك » إلى هذا الوجه ، فلا مؤونة فيه على متأوله كذلك ، لأن « ذلك » يكون حينئذ إخباراً عن غائب على صحة .

القول في تأويل قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾

وتأويل قوله : « لا ريب فيه » « لا شك فيه » . كما : —

- ٢٥١ — حدثني هرون بن إدريس الأصم ، قال : حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن ابن جريج ، عن مجاهد : لا ريب فيه ، قال : لا شك فيه .
- ٢٥٢ — حدثني سلام بن سالم الخزاعي ، قال : حدثنا خلف بن ياسين الكوفي ، عن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عطاء ، « لا ريب فيه » : قال : لا شك فيه ^(١) .
- ٢٥٣ — حدثني أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي ، قال : « لا ريب فيه » ، لا شك فيه .
- ٢٥٤ — حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ريب فيه » ، لا شك فيه .

- ٢٥٥ — حدثنا محمد بن حميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبیر ،

(١) الأثر ٢٥٢ — سلام ، شيخ الطبري : لم أجد له ترجمة إلا في تاريخ بغداد ٩ : ١٩٨ . قال : « سلام بن سالم أبو مالك الخزاعي الضرير : حدث عن يزيد بن هرون ، وعمر بن سعيد التنوخي ، وموسى بن إبراهيم المروزي ، والفضل بن جبیر الوراق . روى عنه الحسين بن إسماعيل المحاملي » . ليس غير . وأما شيخ سلام في هذا الإسناد «خلف بن ياسين الكوفي» : فلم أجد إلا ترجمة في الميزان ١ : ٢١١ . ولسان الميزان ٢ : ٤٠٥ لراو اسمه «خلف بن ياسين بن معاذ الزيات» ، وهو رجل سخي ف كذاب ، لا يشتغل به . لا أدري أهو هذا أم غيره ؟

عن ابن عباس : « لا ريب فيه » ، قال : لا شك فيه .

٢٥٦ - حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ،

عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : « لا ريب فيه » ، يقول : لا شك فيه .

٢٥٧ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

معمر ، عن قتادة : « لا ريب فيه » ، يقول : لا شك فيه .

٢٥٨ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : قوله « لا ريب فيه » ، يقول : لا شك فيه^(١) .

وهو مصدر من قول القائل : رابى الشيء يربى ريباً . ومن ذلك قول ٧٦/١

ساعة بن جؤبة الهذلي :

فقالوا : تَرَ كُنَّا الْحَيَّ قَدْ حَصَرُوا بِهِ ، فَلَا رَيْبَ أَنْ قَدْ كَانَ ثَمَّ لَحِيمٌ^(٢)

ويروى : « حَصَرُوا » و « حَصِرُوا » والفتح أكثر ، والكسر جائز . يعنى

بقوله « حَصَرُوا بِهِ » : أطافوا به . ويعنى بقوله « لا ريب » . لا شك فيه . وبقوله

« أَنْ قَدْ كَانَ ثَمَّ لَحِيمٌ » ، يعنى قتيلاً ، يقال : قد لَحِمَ ، إِذْ اقْتُلَ .

والهاء التى فى « فيه » عائدة على الكتاب ، كأنه قال : لا شك فى ذلك الكتاب

أنه من عند الله هُدًى للمتقين .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ هُدًى ﴾

٢٥٩ - حدثني أحمد بن حازم الغفارى ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا

(١) هذه الآثار جميعاً ٢٥١ - ٢٥٨ ساقها ابن كثير ١ : ٧١ ، وبعضها فى الدر المنثور

١ : ٢٤ ، والشوكانى ١ : ٢٢ . وقال ابن كثير بعد سياقتها : « قال ابن أبي حاتم : لا أعلم فى هذا خلافاً » .

(٢) ديوان المهديين ١ : ٢٣٢ ، واللسان (حصر) .

سفيان ، عن بيان ، عن الشعبي ، « هُدًى » قال : هُدًى من الضلالة^(١) .

٢٦٠ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السُّدِّي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس وعن مرة الهَمْدَانِي ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، « هدى للمتقين » ، يقول : نور للمتقين^(٢) .

والهدى في هذا الموضع مصدرٌ من قولك : هديتُ فلاناً الطريق - إذا أرشدته إليه ، ودلّته عليه ، وبينته له - أهديه هُدًى وهداية .

فإن قال لنا قائل : أو ما كتابُ الله نوراً إلا للمتقين ، ولا رشاداً إلا للمؤمنين ؟ قيل : ذلك كما وصفه ربنا عز وجل . ولو كان نوراً لغير المتقين ، ورشاداً لغير المؤمنين ، لم يخصَّ الله عز وجل المتقين بأنه لهم هُدًى ، بل كان يعمُّ به جميع المُنذَرِينَ . ولكنه هُدًى للمتقين ، وشفاءٌ لما في صدور المؤمنين ، ووقْرٌ في آذان المكذِبِينَ ، وعمى لأبصار الجاحدين ، وحجةٌ لله بالغة على الكافرين . فالمؤمن به مُهتدٍ ، والكافر به محجوجٌ^(٣) .

وقوله « هدى » يحتمل أوجه من المعاني :

أحدها : أن يكون نصباً ، لمعنى القطع من الكتاب ، لأنه نكرة والكتاب معرفة^(٤) . فيكون التأويل حينئذ : ألم ذلك الكتاب هادياً للمتقين . و« ذلك » مرفوع بـ « ألم » ، و« ألم » به ، والكتابُ نعت لـ « ذلك » .

وقد يحتمل أن يكون نصباً ، على القطع من راجع ذكر الكتاب الهدي في

(١) الأثر ٢٥٩ - بيان ، بفتح الباء الموحدة والياء التحتية المخففة : هو ابن بشر الأحمسي ، ثقة من الثقات ، كما قال أحمد . وسفيان ، الراوي عنه : هو الثوري . وهذا الأثر نقله السيوطي ١ : ٢٤ ، ونسبه لوكيع والطبري .

(٢) الخبر ٢٦٠ - نقله ابن كثير ١ : ٧١ ، ونقله السيوطي ١ : ٢٤ ، والشوكاني ١ : ٢٢ مع الخبر الآتي ٢٦٣ ، جملة خبراً واحداً ، وذكره عن ابن مسعود فقط .

(٣) حجه يحجه فهو محجوج : غلبه بالحجة فهو مغلوب .

(٤) يريد بقوله « لمعنى القطع » ، أن يقطع عن نعت الكتاب ، ويصير حالاً .

« فيه » ، فيكونُ معنى ذلك حينئذ : ألم الذي لا ريب فيه هادياً .
 وقد يحتمل أن يكون أيضاً نصباً على هذين الوجهين ، أعنى على وجه القطع
 من الهاء التي في « فيه » ، ومن « الكتاب » ، على أن « ألم » كلام تام ، كما قال ابن
 عباس إن معناه : أنا الله أعلم . ثم يكون « ذلك الكتاب » خبراً مستأنفاً ، فيرفع حينئذ
 « الكتاب » بـ « ذلك » ، و « ذلك » بـ « الكتاب » ، ويكون « هُدى » قطعاً من « الكتاب » ،
 وعلى أن يرفع « ذلك » بالهاء العائدة عليه التي في « فيه » ، و « الكتاب » نعت له ،
 والهدى قطع من الهاء التي في « فيه » . وإن جعل الهدى في موضع رفع ، لم يجوز أن
 يكون « ذلك الكتاب » إلا خبراً مستأنفاً ، و « ألم » كلاماً تاماً مكثفاً بنفسه ، إلا
 من وجه واحد ، وهو أن يرفع حينئذ « هُدى » بمعنى المدح ، كما قال الله جل وعز :
 ﴿ أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ • هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة لقمان : ١ - ٢]
 في قراءة من قرأ « رحمة » . بالرفع ، على المدح للآيات .

والرفع في « هدى » حينئذ يجوز من ثلاثة أوجه : أحدها ما ذكرنا من أنه
 مدح مستأنف . والآخر : على أن يجعل مُرافِعَ « ذلك » ، و « الكتاب » نعت
 « لذلك » . والثالث : أن يجعل تابعاً لموضع « لا ريب فيه » ، ويكون « ذلك الكتاب »
 مرفوعاً بالعائد في « فيه » . فيكون كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ
 مُبَارَكٌ ﴾ [سورة الأنعام : ٩٢] .

وقد زعم بعض المتقدمين في العلم بالعربية من الكوفيين ، أن « ألم » مرافعٌ « ذلك
 الكتاب » بمعنى : هذه الحروف من حروف المعجم ، ذلك الكتاب الذي وعدتُك أن
 أوحيه إليك ^(١) . ثم نقض ذلك من قوله فأسرع نقضه ، وهُدًى ما بنى فأسرع
 هُدًى منه ، فزعم أن الرفع في « هُدى » من وجهين ، والنصب من وجهين . وأن أحد وجهي
 الرفع : أن يكون « الكتاب » نعتاً لـ « ذلك » و « الهدى » في موضع رفع خبر لـ « ذلك » .

(١) يعني بصاحب هذا القول ، الفراء في كتابه معاني القرآن ١ : ١٠ .

٧٧/١ كأنك قلت : ذلك هدى لا شك فيه^(١) . قال : وإن جعلت « لا ريب فيه » خبره ، رفعت أيضاً « هدى » ، يجعله تابعاً لموضع « لا ريب فيه » ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ ، كأنه قال : وهذا كتاب هدى من صفته كذا وكذا . قال : وأما أحد وجهي النصب فإن تجعل الكتاب خبراً لـ « ذلك » ، وتنصب « هدى » على القطع ، لأن « هدى » نكرة اتصلت بمعرفة ، وقد تم خبرها فنصبته^(٢) ، لأن النكرة لا تكون دليلاً على معرفة . وإن شئت نصبت « هدى » على القطع من الهاء التي في « فيه » كأنك قلت : لا شك فيه هادياً^(٣) .

قال أبو جعفر : فترك الأصل الذي أصله في « ألم » وأنها مرفوعة بـ « ذلك » الكتاب ، ونبذه وراء ظهره . واللازم كان له على الأصل الذي أصله ، أن لا يميز الرفع في « هدى » بحال إلا من وجه واحد ، وذلك من قبيل الاستثناف ، إذ كان مَدْحاً . فأما على وجه الخبر « لذلك » ، أو على وجه الإتيان لموضع « لا ريب فيه » ، فكان اللازم له على قوله أن يكون خطأ . وذلك أن « ألم » إذا رافعت « ذلك » الكتاب ، فلا شك أن « هدى » غير جائز حيثئذ أن يكون خبراً « لذلك » ، بمعنى المرافع له ، أو تابعاً لموضع « لا ريب فيه » ، لأن موضعه حيثئذ نصب ، تمام الخبر قبله ، وانقطاعه — بمخالفته إياه — عنه .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

٢٦١ — حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، قوله : « للمتقين » قال : اتَّقُوا ما حُرِّمَ عليهم ، وأدِّوا ما افترض عليهم .

(١) في المطبوعة والمخطوطة « ذلك لا شك فيه » ، والتصحيح من معاني القرآن للفراء ١ : ١١ .

(٢) في المطبوعة « فنصبها » ، والتصحيح من المخطوطة ومعاني القرآن للفراء .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ١١ - ١٢ .

٢٦٢ - حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « للمتقين » ، أي الذين يحذرون من الله عز وجل عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاء به .

٢٦٣ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « هدى للمتقين » ، قال : هم المؤمنون .

٢٦٤ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، قال : سألت الأعمش عن « المتقين » ، قال : فأجبتُه ، فقال لي : سل عنها الكلبي . فسألتُه ، فقال : الذين يَحْتَنِبُونَ كبائرَ الإثم . قال : فرجعتُ إلى الأعمش ، فقال : نرى أنه كذلك . ولم ينكره .

٢٦٥ - حدثني المثنى بن إبراهيم الطبري ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال حدثنا عمر أبو حفص ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : « هدى للمتقين » ، هم مَنْ نَعَتَهُمْ ووصفَهُمْ فأثبت صفتهم ، فقال : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ .

٢٦٦ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « للمتقين » قال : للمؤمنين الذين يتَّقُونَ الشُّرْكَ بِي ، ويعملون بطاعتي ^(١) .

وأولى التأويلات بقول الله جل ثناؤه ﴿ هدى للمتقين ﴾ ، تأويلٌ من وصف القوم بأنهم الذين اتَّقُوا اللهَ تبارك وتعالى في ركوب ما نهاهم عن ركوبه ، فتجنبوا

(١) الآثار ٢٦١ - ٢٦٦ ساقها جميعاً ابن كثير في تفسيره ١ : ٧١ - ٧٢ ، وبمضا

في الدر المنثور ١ : ٢٤ ، والشوكاني ١ : ٢٢ .

معاصيته، واتَّقَوْهُ فيما أمرهم به من فرائضه، فأطاعوه بأدائها . وذلك أن الله عز وجل وصفهم بالتقوى، فلم يحصر تقواهم إياه على بعض ما هو أهل له منهم دون بعض^(١). فليس لأحد من الناس أن يحصر معنى ذلك، على وصفهم بشيء من تقوى الله عز وجل دون شيء، إلا بحجة يجب التسليم لها. لأن ذلك من صفة القوم - لو كان محصوراً على خاص من معاني التقوى دون العام منها - لم يدع الله جل ثناؤه بيان ذلك لعباده : إما في كتابه، وإما على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، إذ لم يكن في العقل دليل على استحالة وصفهم بعموم التقوى.

٧٨/١

فقد تبين إذاً بذلك فساد قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو : الذين اتَّقَوْا الشرك وبرثوا من النفاق . لأنه قد يكون كذلك، وهو فاسق غير مستحق أن يكون من المتقين، إلا أن يكون - عند قائل هذا القول - معنى النفاق : ركوب الفواحش التي حرّمها الله جل ثناؤه، وتضييع فرائضه التي فرضها عليه . فإن جماعة من أهل العلم قد كانت تسمى من كان يفعل ذلك منافقاً . فيكون - وإن كان مخالفاً في تسميته من كان كذلك بهذا الاسم - مصيباً تأويل قول الله عز وجل « للمتقين ».

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾

٢٦٧ - حدثنا محمد بن حميد الرازي، قال : حدثنا سلمة بن الفضل، عن

محمد بن إسحق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس : « الذين يؤمنون »، قال : يصدقون .

٢٦٨ - حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي، قال : حدثنا أبو صالح،

(١) في المطبوعة : « وذلك أن الله عز وجل إنما وصفهم »، ولا فائدة من زيادة « إنما ». ثم جاء في المخطوطة والمطبوعة : « فلم يحصر تقواهم إياه على بعضها من أهل منهم دون بعض » ؛ وهو كلام مختلط، وصوابه ما أثبتته، وهو معنى الكلام كما ترى بعد.

قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « يؤمنون » : يصدقون^(١) .

٢٦٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « يؤمنون » : يَحْشَوْنَ .
٢٧٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الزهري : الإيمانُ العملُ^(٢) .

٢٧١ - حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : الْإِيمَانُ التَّصَدِيقُ^(٣) .

ومعنى الإيمان عند العرب : التصديق ، فيُدْعَى المصدق بالشئ قولاً ، مؤمناً به ، ويدْعَى المصدق قوله بفعله ، مؤمناً . ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [سورة يوسف : ١٧] ، يعنى : وما أنت بمصدق لنا في قولنا . وقد تدخل الحشية لله في معنى الإيمان ، الذى هو تصديق القول بالعمل . والإيمان كلمة جامعة الإقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويل الآية ، وأشبه بصفة القوم : أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولاً واعتقاداً وعملاً ، إذ كان جل ثناؤه لم يحصرهم من معنى الإيمان على معنى دون معنى ، بل أجمل وصفهم به ، من غير خصوص شئ من معانيه أخرجه من صفتهم بخبر ولا عقل .

(١) الأثر ٢٦٧ - سيأتى باقية هذا الإسناد : ٢٧٢ . ونقلهما ابن كثير ١ : ٧٣ مفرقين . ونقل ٢٦٨ مع أولها . ونقل السيوطى ١ : ٢٥ الثلاثة مجتمعة .

(٢) الأثران ٢٦٩ - ٢٧٠ : ذكرهما ابن كثير ١ : ٧٣ .

(٣) الخبر ٢٧١ - عبد الله : هو ابن مسعود . وقد نقل ابن كثير هذا الخبر وحده ١ : ٧٣ ، ثم نقل الخبر الآتى ٢٧٣ وحده . وفصل إسناد كل واحد منهما . أما السيوطى ١ : ٢٥ فقد جمع اللفظين دون بيان ، وأدخل معهما لفظ الخبر ٢٧٧ ! وهو تصرف غير سديد ، لاختلاف الإسنادين أولاً ، ولأن ٢٧٣ ، ٢٧٧ ليسا عن ابن مسعود وحده ، كما ترى .

* * *

القول في تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾

٢٧٢ - حدثنا محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « بالغيب » ، قال : بما جاء منه ، يعني : من الله جل ثناؤه .

٢٧٣ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، « بالغيب » : أما الغيبُ فما غابَ عن العباد من أمر الجنة وأمر النار ، وما ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن . لم يكن تصديقهم بذلك - يعني المؤمنين من العرب - من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم .

٢٧٤ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرار ، قال : الغيبُ القرآن^(١) .

٢٧٥ - حدثنا بشر بن معاذ العقدي ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في قوله « الذين يؤمنون بالغيب » ، قال : آمنوا بالجنة والنار ، والبعث بعد الموت ، ويوم القيامة ، وكلُّ هذا غيب^(٢) .

٢٧٦ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،

(١) الأثر ٢٧٤ - سفيان : هو الثوري ، عاصم : هو ابن أبي النجود - بفتح النون - القاري . زر ، بكسر الزاي وتشديد الراء : هو ابن حبش ، بضم الحاء . وهو تابعي كبير إمام . وهذا الأثر عند ابن كثير ١ : ٧٣ - ٧٤ .

(٢) الأثر ٢٧٥ - ذكره ابن كثير والسيوطي أيضاً .

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، « الذين يؤمنون بالغيب » : آمنوا بالله وملائكته ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ ، وجَنَّتَهُ وناره ولقائه ، وآمنوا بالحياة بعد الموت . فهذا كله غيب^(١) .

وأصل الغيب : كل ما غاب عنك من شيء . وهو من قولك : غاب فلان يغيبُ غيباً .

٧٩/١

وقد اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أنزل الله جل ثناؤه هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم ، وفي نعتهم وصفتهم التي وصفهم بها ، من إيمانهم بالغيب ، وسائر المعاني التي حوتها الآيتان من صفاتهم غيره .

فقال بعضهم : هم مؤمنو العرب خاصة ، دون غيرهم من مؤمنى أهل الكتاب . واستدلوا على صحة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم ، بالآية التي تتلو هاتين الآيتين ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . قالوا : فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم ، تدين بتصديقه والإقرار والعمل به . وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرها . قالوا : فلما قص الله عز وجل نبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله — بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب — علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر ، وأن المؤمنين بالغيب نوع غير النوع المصدق بالكتابين اللذين أحدهما منزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، والآخر منهما على من قبل رسول الله^(٢) .

(١) الأثر ٢٧٦ — ذكره ابن كثير ١ : ٧٣ هكذا : « قال أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية . . . » وذكره السيوطي ١ : ٢٥ هكذا : « وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية . . . » فأخشي أن يكون ذكر « عن أبي العالية » سقط من الإسناد من نسخ الطبري ، لشبوته عند هذين الناقلين عنه .

(٢) في المخطوطة : « والآخر منهما على من قبله رسول الله » ، والظاهر أن صوابها : « على من قبل رسول الله » ، كما أثبتناها . وأما المطبوعة ففيها : « على من قبله من رسل الله تعالى ذكره » .

قالوا : وإذ كان ذلك كذلك ، صح ما قلنا من أن تأويل قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ، إنما هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار ، والثواب والعقاب والبعث ، والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وجميع ما كانت العرب لا تدين به في جاهليتها ، مما أوجب الله جل ثناؤه على عبياده الدينونة به — دون غيرهم .

ذكر من قال ذلك :

٢٧٧ — حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أما ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ، فهم المؤمنون من العرب ، ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ . أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار ، وما ذكر الله في القرآن . لم يكن تصديقهم بذلك من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم . ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب ^(١) .

وقال بعضهم : بل نزلت هذه الآيات الأربع في مؤمنى أهل الكتاب خاصة . لإيمانهم بالقرآن عند إخبار الله جل ثناؤه إياهم فيه عن الغيوب التي كانوا يخفونها بينهم ويسرونها ، فعلموا عند إظهار الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك منهم في تنزيله ، أنه من عند الله جل وعز ، فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وصدقوا بالقرآن وما فيه من الإخبار عن الغيوب التي لا علم لهم بها ، لما استقر عندهم — بالحجة التي احتج الله تبارك وتعالى بها عليهم في كتابه ، من الإخبار فيه عما كانوا يكتُمونه من ضمائرهم — أن جميع ذلك من عند الله .

(١) الخبر ٢٧٧ — سبق أوله بهذا الإسناد : ٢٧٣ . ولم يذكره ابن كثير بهذا اللفظ المطول . وقد مضى في شرح ٢٧١ أن السيوطي جمع الألفاظ الثلاثة : ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ في سياقة واحدة !

وقال بعضهم : بل الآيات الأربع من أول هذه السورة ، أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم ، وأهل الكتابين وسواهم^(١) . وإنما هذه صفة صنف من الناس ، والمؤمن بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل من قبله ، هو المؤمن بالغيب .

قالوا : وإنما وصفهم الله بالإيمان بما أنزل إلى محمد وبما أنزل إلى من قبله ، بعد تقضى وصفه إياهم بالإيمان بالغيب ، لأن وصفه إياهم بما وصفهم به من الإيمان بالغيب ، كان معنياً به أنهم يؤمنون بالجنة والنار والبعث وسائر الأمور التي كلفهم الله جل ثناؤه الإيمان بها ، مما لم يرووه ولم يأت بعد مما هو آت ، دون الإخبار عنهم أنهم يؤمنون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الرسل ومن ٨٠/١ الكتب .

قالوا : فلما كان معنى قوله تعالى ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ غير موجود في قوله ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ - كانت الحاجة من العباد إلى معرفتهم صفتهم بذلك ليعرفوهم ، نظير حاجتهم إلى معرفتهم بالصفة التي وصفوا بها من إيمانهم بالغيب ، ليعلموا ما يرضى الله من أفعال عبادهم ويحببه من صفاتهم ، فيكونوا به - إن وفقهم له ربهم - [مؤمنين]^(٢) .

ذكر من قال ذلك :

٢٧٨ - حدثني محمد بن عمرو بن العباس الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون المكي ، قال : حدثنا عبد الله ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين ،

(١) في المطبوعة والمخطوطة « وأهل الكتابين سواهم » ، والصواب أن يقال « وسواهم » . فقد ذكر الطبري ثلاثة أقوال : أما الأول : فهو أن المعنى به العرب خاصة ، والثاني : أن المعنى به أهل الكتاب خاصة ، فيكون الثالث : أن يعنى به الصنفين جميعاً وسواهم من الناس .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين واجبة لتمام المعنى . وليست في المطبوعة ولا المخطوطة .

وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في المنافقين^(١) .

٢٧٩ - حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، بمثله^(٢) .

٢٨٠ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا موسى بن مسعود ، قال : حدثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، مثله^(٣) .

٢٨١ - حدثت عن عمار بن الحسن قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : أربع آيات من فاتحة هذه السورة - يعني سورة البقرة - في الذين آمنوا ، وآيتان في قادة الأحزاب .

وأولى القولين عندي بالصواب ، وأشبههما بتأويل الكتاب ، القول الأول ، وهو : أن الذين وصفهم الله تعالى ذكره بالإيمان بالغيب ، وبما وصفهم به جل ثناؤه في الآيتين الأولتين^(٤) ، غير الذين وصفهم بالإيمان بالذي أنزل على محمد والذي أنزل على من قبله من الرسل ، لما ذكرت من العلل قبل لمن قال ذلك .

وبما يدل أيضاً مع ذلك على صحة هذا القول ، أنه جنس - بعد وصف المؤمنين بالصفتين اللتين وصف ، وبعد تصنيفه كل صنف منهما على ما صنف الكفار -

(١) الأثر ٢٧٨ - أبو عاصم : هو النبيل ، الحافظ الكبير . عيسى بن ميمون المكي : هو المعروف بابن داية ، قال ابن عيينة : « كان قارئاً للقرآن . قرأ على ابن كثير » . وثقه أبو حاتم وغيره .
(٢) الأثر ٢٧٩ - هذا إسناده ضعيف ، بضعف سفيان بن وكيع ، وإلزام الرجل الذي روى عنه سفيان الثوري . ولكن الأثر موصول بالإسنادين اللذين قبله وبعده .

(٣) الأثر ٢٨٠ - موسى بن مسعود : هو أبو حذيفة النهدي ، وهو ثقة ، روى عنه البخاري في صحيحه ، ووثقه ابن سعد والعلجل . وترجمه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ٢٩٥ . شبيل : هو ابن عباد المكي القاري . وهو ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما .

وهذا الأثر ، بأسانيده الثلاثة ، ذكره ابن كثير ١ : ٨٠ دون تفصيلها ، قال : « والظاهر قول مجاهد - فيما رواه الثوري عن رجل عن مجاهد ، ورواه غير واحد عن ابن أبي نجيع عن مجاهد ، أنه قال ... » .

(٤) الأولى : الأولى ، وليست خطأ .

جَنَسَيْنِ^(١) : فجعل أحدهما مطبوعاً على قلبه ، مختوماً عليه ، مأبوساً من إيباه^(٢) ، والآخر منافقاً ، يُرَأَى بإظهار الإيمان في الظاهر ، ويستسرُّ النفاق في الباطن . فصير الكفار جنسَيْنِ ، كما صير المؤمنين في أول السورة جنسَيْنِ . ثم عرّف عباده نعت كل صنف منهم وصفتهم ، وما أعد لكل فريق منهم من ثواب أو عقاب ، وذم أهل الذم منهم ، وشكر سعى أهل الطاعة منهم .

...

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيُقِيمُونَ ﴾

وإقامتها : أداؤها — بحدودها وفروضها والواجب فيها — على ما فرضت عليهم . كما يقال : أقام القوم سوقهم ، إذا لم يعطلوها من البيع والشراء فيها ، وكما قال الشاعر :

أَقَمْنَا لِأَهْلِ الْعِرَاقَيْنِ سُوقًا ۖ ضُرَابٌ فَخَامُوا وَوَلَّوْا جَمِيعًا^(٣)

٢٨٢ — وكما حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، « ويقيمون الصلاة » ، قال : الذين يقيمون الصلاة بفروضها .

٢٨٣ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، « ويقيمون الصلاة » قال : إقامة

(١) سياقه : « جنس . . . جنسين » ، وما بينهما فصل ، وجنس الشيء : جمعه أجناساً ، كصنفه أصنافاً .

(٢) في المطبوعة : « إيمانه » ، وهي صحيحة المعنى أيضاً . والإيباب : الرجوع إلى الله بالتوبة والطاعة . ومنه قوله تعالى : « وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ »

(٣) في المطبوعة « فحاسوا » ، وفي المخطوطة « مجأرا » . وخام في الحرب عن قرنه يخيم خيماً : جبن ونكس وانكسر . ولم أعرف قائل البيت .

الصلاة تمام الركوع والسجود ، والتلاوة والخشوع ، والإقبال عليها فيها^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الصَّلَاة ﴾

٢٨٤ - حدثني يحيى بن أبي طالب ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا

جويبر ، عن الضحاك في قوله : « الذين يقيمون الصلاة » : يعني الصلاة المفروضة^(٢) .

وأما الصلاة فإنها في كلام العرب الدعاء ، كما قال الأعشى :

لَهَا حَارِسٌ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا وَإِنْ ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمَزَمًا^(٣)

يعنى بذلك : دعا لها ، وكقول الأعشى أيضاً^(٤) :

وَقَابَلَهَا الرِّيحَ فِي دَنْهَا وَصَلَّى عَلَى دَنْهَا وَارْتَسَمَ^(٥)

(١) الخبران ٢٨٢ ، ٢٨٣ - في تفسير ابن كثير ١ : ٧٧ ، والدر المنثور ١ : ٢٧ ، والشوكاني ١ : ٢٥ .

(٢) الأثر ٢٨٤ - إسناده ضعيف جداً . يحيى بن أبي طالب جعفر بن الزبير قال الذهبي : « محدث مشهور . . . وثقه الدارقطني وغيره . . . والدارقطني من أخبر الناس به » . مات سنة ٢٧٥ عن ٩٥ سنة . يزيد : هو ابن هرون ، أحد الحفاظ الأعلام المشاهير ، من شيوخ الأئمة أحمد وابن معين وابن راهويه وابن المديني . جويبر - بالتصغير : هو ابن سعيد الأزدي البلخي ، ضعيف جداً ، ضعفه يحيى القطان ، فيما روى عنه البخاري في الكبير ٢/١/٢٥٦ ، والصغير : ١٧٦ ، وقال النسائي في الضعفاء : ٨ « متروك الحديث » ، وفي التهذيب ٢ : ١٢٤ « قال أبو قدامة السرخسي : قال يحيى القطان : تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث . ثم ذكر الضحاك وجويبراً ومحمد بن السائب . وقال : هؤلاء لا يحتمل حديثهم ، ويكتب التفسير عنهم » .

(٣) ديوانه : ٢٠٠ ، يذكر الخمر في دنها . وزمزم العليج من الفرس : إذا تكلف الكلام عند الأكل وهو مطبق فيه بصوت خفي لا يكاد يفهم . وفعلهم ذلك هو الزمزمة . « ذبحت » أي بزلت وأزيل ختمها . وعندئذ يدعو مخافة أن تكون فاسدة ، فيخسر .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « وكقول الآخر أيضاً » ، والصواب أنه الأعشى ، وسبق قلم الناسخ .

(٥) ديوان الأعشى : ٢٩ . وقوله « وقابلها الريح » أي جعلها قبالة مهب الريح ، وذلك عند بزلها وإزالة ختمها . ويروى : « فأقبلها الريح » وهو مثله . وارتم الرجل : كبر ودعا وتعوذ ، مخافة أن يجدها قد فسدت ، فتبور تجارتها .

وأرى أن الصلاة المفروضة سُميت «صلاة»، لأنَّ المصلِّي متعرِّضٌ لاستنجاح ٨١/١
 طَلِبَتِهِ من ثواب الله بعمله، مع ما يسأل رَبَّهُ من حاجاته، تعرِّضُ الداعي بدعائه
 رَبَّهُ استنجاحَ حاجاته وسؤاله.

...

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣)

اختلف المفسرون في تأويل ذلك، فقال بعضهم بما :-

٢٨٥ - حدثنا به ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق،
 عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير،
 عن ابن عباس، «ومما رزقناهم ينفقون»، قال: يؤتون الزكاة احتساباً بها.

٢٨٦ - حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن
 علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، «ومما رزقناهم ينفقون»، قال: زكاة أموالهم^(١).
 ٢٨٧ - حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر،
 عن الضحاك، «ومما رزقناهم ينفقون»، قال: كانت النفقات قُرْبَات يتقربون بها إلى الله
 على قدر ميسورهم وجهلهم، حتى نزلت فرائض الصدقات: سبعُ آيات في سورة
 براءة، مما يذكر فيهنَّ الصدقات، هنَّ المُشَبَّات الناصحات^(٢).

وقال بعضهم بما :-

٢٨٨ - حدثني موسى بن هرون قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال:
 حدثنا أسباط، عن السُّدِّي في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن
 ابن عباس - وعن مُرَّة الهَمْدَانِي، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب

(١) الخبر ٢٨٦ - في المخطوطة «ابن المثنى»، وهو خطأ. والخبر ذكره ابن كثير ١: ٧٧.

(٢) الأثر ٢٨٧ - ذكره ابن كثير ١: ٧٧، والسيوطي ١: ٢٧، والشوكاني ١: ٢٥.
 وقوله «المُشَبَّات»: بفتح الباء، أي التي أثبت حكمها ولم ينسخ، ويجوز كسرها، بمعنى أنها أثبتت
 الفريضة بعد نسخها ما سبقها في النزول. وبدلها عند السيوطي والشوكاني «الناصرات المبيّنات». وليس بشيء.

النبي صلى الله عليه وسلم ، « وما رزقناهم ينفقون » : هي نفقة الرجل على أهله . وهذا قبل أن تنزل الزكاة (١) .

وأولى التأويلات بالآية وأحقها بصفة القوم : أن يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم في أموالهم ، مؤدين ، زكاة كان ذلك أو نفقة من لزمته نفقته ، من أهل وعيال وغيرهم ، ممن تجب عليهم نفقته بالقرابة والمالك وغير ذلك . لأن الله جل ثناؤه عم وصفهم إذ وصفهم بالإتفاق مما رزقهم ، فمدحهم بذلك من صفهم . فكان معلوماً أنه إذ لم يخص مدحتهم ووصفهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبها دون نوع بخبر ولا غيره - أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمود عليها صاحبها من طيب ما رزقهم ربهم من أموالهم وأملاكهم ، وذلك الحلال منه الذي لم يشبهه حرام .

...

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾

قد مضى البيان عن المنعوتين بهذا النعت ، وأى أجناس الناس هم (٢) : غير أننا نذكر ما روى في ذلك عن روى عنه في تأويله قول :

٢٨٩ - فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » : أى يصدقونك

(١) الخبر ٢٨٨ - نقله ابن كثير أيضاً . ونقله السيوطي مختصراً ، وجعله من كلام ابن مسعود وحده . ونقله الشوكاني دون بحث .

(٢) انظر ٢٣٧-٢٤١ .

بما جئت به من الله جلّ وعزّ وما جاء به منّ قبلك من المرسلين ، لا يفرّقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاؤهم به من عند ربهم^(١) .

٢٩٠ - حدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرَّة الهَمْدَانِي ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » : هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب^(٢) .

...

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ①

قال أبو جعفر : أما الآخرة فلإنها صفة للدار ، كما قال جل ثناؤه ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النكبت : ٦٤] . وإنما وصفت بذلك لمصيرها آخرة لأولى كانت قبلها ، كما تقول للرجل : « أنعمت عليك مرّة بعد أخرى ، فلم تشكر لى الأولى ولا الآخرة » ، وإنما صارت آخرة للأولى ، لتقدّم الأولى أمامها . فكذلك الدار الآخرة ، سُمّيت آخرة لتقدّم الدار الأولى أمامها ، ٨٢/١ فصارت التالية لها آخرة . وقد يجوز أن تكون سُمّيت آخرة لتأخرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا « دنيا » ليدنووها من الخلق .

(١) الخبر ٢٨٩ - ذكره ابن كثير ١ : ٧٩ مع باقيه الآتي : ٢٩١ . وذكره السيوطي ١ : ٢٧ ، والشوكاني ١ : ٢٥ بزيادة أخرى على الروایتين ، منسوباً لابن إسحق وابن جرير وابن أبي حاتم .
(٢) الخبر ٢٩٠ - وهذا ذكره ابن كثير أيضاً ، لكن بالإشارة إليه دون سياقة لفظه . وقلده الشوكاني .

وعلى الأصل المخطوط بعد هذا ما نصه

سمع أحمد ومحمد والحسن ، بنو عبد الله بن أحمد الفرغاني جميعه .

سمع محمد بن محمد الطرسوسي والحسن بنو محمد بن عبدان ، والحسن بن إبراهيم الحناس جميعه . والحمد لله كثيراً .

وأما الذى وَصَفَ الله جل ثناؤه به المؤمنين — بما أنزل إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل إلى مَنْ قبله من المرسلين — من إيقانهم به من أمر الآخرة ، فهو إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين : من البعث والنشور والثواب والعقاب والحساب والميزان ، وغير ذلك مما أعد الله لخلقهِ يومَ القيامة . كما : —

٢٩١ — حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ : أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى ، لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ، ويكفرون بما جاءك من ربك ^(١) .

وهذا التأويل من ابن عباس قد صرح عن أن السورة من أولها — وإن كانت الآيات التى فى أولها من نعت المؤمنين — تعريضاً من الله عز وجل بدم كُفَّار أهل الكتاب ، الذين زعموا أنهم — بما جاءت به رُسُلُ الله عز وجل الذين كانوا قبل محمد صلوات الله عليهم وعليه — مُصدِّقون ، وهم بمحمد صلى الله عليه مكدِّبون ، ولما جاء به من التنزيل جاحدون ، ويدعون مع جحودهم ذلك أنهم مهتدون ، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى . فأكذب الله جل ثناؤه ذلك من قيلهم بقوله : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ . وأخبر جل ثناؤه عباده : أن هذا الكتاب هُدًى لأهل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، المصدِّقين بما أنزل إليه وإلى من قبله من رسله من البينات والهدى — خاصةً ، دون من كذَّب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وادَّعى أنه مُصدِّقٌ بمن قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الرُّسل

(١) الخبر ٢٩١ — هو تنمة الخبر السابق ٢٨٩ وقد أشرنا إليه هناك .

وبما جاء به من الكتب. ثم أكد جل ثناؤه أمر المؤمنين من العرب ومن أهل الكتاب المصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل إليه وإلى من قبله من الرسل - بقوله : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فأخبر أنهم هم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم ، وأن غيرهم هم أهل الضلال والخسار .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾

اختلف أهل التأويل فيمن عني الله جل ثناؤه بقوله : «أولئك على هدى من ربهم» :

فقال بعضهم : عني بذلك أهل الصفتين المتقدمتين ، أعني : المؤمنين بالغيب من العرب ، والمؤمنين بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى من قبله من الرسل . وإياهم جميعاً وصّف بأنهم على هدى منه ، وأنهم هم المفلحون .

ذكر من قال ذلك من أهل التأويل :

٢٩٢ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أما «الذين يؤمنون بالغيب» ، فهم المؤمنون من العرب ، «والذين يؤمنون بما أنزل إليك» ، المؤمنون من أهل الكتاب . ثم جمع الفريقين فقال : «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» (١) .

وقال بعضهم : بل عني بذلك المتقين الذين يؤمنون بالغيب ، وهم الذين يؤمنون

(١) الخبر ٢٩٢ - نقله ابن كثير ١ : ٨١ ، والشوكاني ١ : ٢٦ . ونقله السيوطي ١ : ٢٥ مطولاً ، جمع معه الأخبار الماضية : ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، جعلها سياقاً واحداً ، عن ابن مسعود وحده ، ونسبه للطبري .

بما أنزل إلى محمد ، وبما أنزل إلى من قبله من الرسل .

وقال آخرون : بل عنى بذلك الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وبما أنزل إلى من قبله ، وهم مؤمنو أهل الكتاب الذين صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وكانوا مؤمنين من قبلُ بسائر الأنبياء والكتب . ٨٣/١

وعلى هذا التأويل الآخر يُحتمل أن يكون ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ في محل خفضٍ ، ومحل رفع .

فأما الرفع فيه فإنه يأتيها من وجهين : أحدهما : من قبل العطف على ما في « يؤمنون بالغيب » من ذكر « الذين » ، والثاني : أن يكون خبر مبتدأ ، أو يكون « أولئك على هدى من ربهم » ، مرفعها .

وأما خفض فعل العطف على « المتقين » ، وإذا كانت معطوفة على « الذين » اتجه لها وجهان من المعنى : أحدهما : أن تكون هي و « الذين » الأولى ، من صفة المتقين . وذلك على تأويل من رأى أن الآيات الأربع بعد « ألم » ، نزلت في صنف واحد من أصناف المؤمنين . والوجه الثاني : أن تكون « الذين » الثانية معطوفة في الإعراب على « المتقين » بمعنى الخفض ، وهم في المعنى صنفٌ غيرُ الصنف الأول . وذلك على مذهب من رأى أن الذين نزلت فيهم الآيتان الأولتان من المؤمنين بعد قوله « ألم » ، غيرُ الذين نزلت فيهم الآيتان الآخرتان اللتان تليان الأولتين .

وقد يُحتمل أن تكون « الذين » الثانية مرفوعة في هذا الوجه بمعنى الائتلاف^(١) ، إذ كانت مبتدأ بها بعد تمام آية وانقضاء قصة . وقد يجوز الرفع فيها أيضاً بنية الائتلاف ، إذ كانت في مبتدأ آية ، وإن كانت من صفة المتقين .

فالرفع إذاً يصح فيها من أربعة أوجه ، والخفض من وجهين .

وأولى التأويلات عندى بقوله ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ما ذكرت من قول ابن مسعود وابن عباس ، وأن تكون « أولئك » إشارة إلى الفريقين ، أعنى :

(١) في المطبوعة : « الائتلاف » في هذا الموضع والذي يليه . وهما بمعنى .

المتقين ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وتكون « أولئك » مرفوعة بالعائد من ذكرهم في قوله « على هدى من ربهم » ؛ وأن تكون « الذين » الثانية معطوفة على ما قبل من الكلام ، على ما قد بيناه .

ولما رأينا أن ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن الله جل ثناؤه نعت الفريقين بنعتهم المحمود ، ثم أثبت عليهم . فلم يكن عز وجل ليخص أحد الفريقين بالثناء ، مع تساويهما فيما استحقا به الثناء من الصفات . كما غير جائر في عدله أن يتساويا فيما يستحقان به الجزاء من الأعمال ، فيخص أحدهما بالجزاء دون الآخر ، ويحرم الآخر جزاء عمله . فكذلك سبيل الثناء بالأعمال ، لأن الثناء أحد أقسام الجزاء .

وأما معنى قوله ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ فإن معنى ذلك : أنهم على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد ، بتسديد الله إياهم ، وتوفيقه لهم . كما : —
 ٢٩٣ — حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، « أولئك على هدى من ربهم » : أى على نور من ربهم ، واستقامة على ما جاءهم ^(١) .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥)

وتأويل قوله : « أولئك هم المفلحون » أى أولئك هم المنجحون المذركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورأسه ، من الفوز بالثواب ، والخلود في الجنان ، والنجاة مما أعد الله تبارك وتعالى لأعدائه من العقاب . كما : —
 ٢٩٤ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحق ،

(١) الخبر ٢٩٣ — ذكره ابن كثير ١ : ٨١ مع تنسبه الآية : ٢٩٤ .

عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي الذين أدركوا ما طلبوا ، ونجوا
من شر ما منه هربوا .

ومن الدلالة على أن أحد معاني الفلاح ، إدراك الطلبة والظفر بالحاجة ، قول
ليد بن ربيعة :

إِعْقِلِي ، إِنْ كُنْتِ لَمَّا تَعْقِلِي ، وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقْلٌ^(١)

يعنى ظفر بحاجته وأصاب خيراً ، ومنه قول الراجز :

٨٤/١

عَدِمْتُ أُمًّا وَلَدْتُ رِيحًا جَاءَتْ بِمُفْرَكْحَا فِرْكَاحَا^(٢)

تَحْسِبُ أَنْ قَدْ وَلَدْتُ نَجَاحَا ! أَشْهَدُ لَا يَزِيدُهَا فَلَاحَا

يعنى : خيراً وقرباً من حاجتها . والفلاح مصدر من قولك : أفلح فلان

يفلح إفلحاً وفلاحاً وفلحاً . والفلاح أيضاً : البقاء ، ومنه قول لبيد :

تَحُلُّ بِلَادًا ، كُلُّهَا حُلٌّ قَبْلَنَا وَنَزَجُوا الْفَلَاحَ بَعْدَ عَادٍ وَحِمِيرٍ^(٣)

يريد : البقاء ، ومنه أيضاً قول عبيد :

أَفْلَحَ بِمَا شِئْتُ ، فَقَدْ يَذْرُكُ بِالضَّغْفِرِ ، وَقَدْ يُخْدَعُ الْأَرِيبُ^(٤)

يريد : عش وابق بما شئت ، وكذلك قول نابغة بني ذبيان :

وَكُلُّ قَتَى سَتَشْعَبُهُ شَعُوبٌ وَإِنْ أَثَرَى ، وَإِنْ لَأَقَى فَلَاحَا^(٥)

أي نجاحاً بحاجته وبقاء .

(١) ديوانه ٢ : ١٢ ، والخطاب في البيت لصاحبه .

(٢) البيت الثاني في اللسان (فركح) . والفركحة : تباعد ما بين الأليتين . والفركاح والمفركح منه ، يعنى به الذم وأنه لا يطيق حمل ما يحمل في حرب أو مأثرة تبقى .

(٣) ديوانه القصيدة رقم : ١٤ ، يرثى من هلك من قومه .

(٤) ديوانه : ٧ ، وفي المطبوعة والديوان « فقد يبلغ » ، وهما روايتان مشهورتان .

(٥) من قصيدة ليست في زيادات ديوانه منها إلا أبيات ثلاثة ، ليس هذا أحدها . وشعوب : اسم للعنية والموت ، غير مصروف ، لأنها تشعب الناس ، أي تصدعهم وتفرقهم . وشعبته شعوب : أي حطته من ألافه فذهبت به وهلك .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦)

اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية ، وفيمن نزلت . فكان ابن عباس يقول ، كما : —

٢٩٥ — حدثنا به محمد بن حميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا » ، أى بما أنزل إليك من ربك ، وإن قالوا إنا قد آمنا بما قد جاءنا من قبلك (١) .

وكان ابن عباس يرى أن هذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توبيخاً لهم في جُحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به ، مع علمهم به ومعرفتهم بأنه رسول الله إليهم وإلى الناس كافة .

٢٩٦ — وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن صدر سورة البقرة إلى المئة منها ، نزل في رجال سَمَّاهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار يهود ، من المناهقين من الأوس والخزرج ، كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم (٢) .

(١) الخبر ٢٩٥ — ذكره ابن كثير ١ : ٨٢ مع باقيه الآتي : ٢٩٩ . وساقه السيوطي ١ : ٢٩ بأطول من ذلك ، زاد فيه ما يأتي : ٣٠٧ ، ٣١١ ، ونسبه أيضاً لابن إسحق وابن أبي حاتم ، وكذلك نسبه الشوكاني ١ : ٢٨ دون الزيادة الأخيرة .

(٢) الخبر ٢٩٦ — ذكره ابن كثير ١ : ٨٦ بنحوه ، من رواية ابن إسحق . ونقله السيوطي ١ : ٢٩ بلفظ الطبري ، عنه وعن ابن إسحق . ونقله الشوكاني موجزاً ١ : ٢٩ . ومن الواضح أن قوله

وقد روى عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر ، وهو ما :-

٢٩٧ - حدثنا به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحريص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى ، فأخبره الله جل ثناؤه أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، ولا يفضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول ^(١) .

وقال آخرون بما :-

٢٩٨ - حدثت به عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : آيتان في قادة الأحزاب : ﴿ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ، قال : وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٨ ، ٢٩] ، قال : فهم الذين قتلوا يوم بدر ^(٢) .

وأولى هذه التأويلات بالآية تأويل ابن عباس الذي ذكره محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبيرة عنه . وإن كان لكل قول مما قاله الذين ذكرنا قولهم في ذلك مذهب .

« كرهنا تطويل الكتاب . . . » من كلام الطبري نفسه . وانظر ما يأتي : ٣١٢ .

- (١) الخبر ٢٩٧ - هو في ابن كثير ١ : ٨٢ ، والسيوطي ١ : ٢٨ - ٢٩ ، والشوكاني ١ : ٢٨ ، ونسبناه أيضاً لابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي .
- (٢) الأثر ٢٩٨ - هكذا هو في الطبري ، من قول الربيع بن أنس . وذكره ابن كثير ١ : ٨٢ - ٨٣ مختصراً من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية ، ولم يذكر من خرج . ونقله السيوطي ١ : ٢٩ ، والشوكاني ١ : ٢٨ ، بأطول مما هنا يذكر الأثر : ٣٠٩ معه ، من قول أبي العالية أيضاً ، ونسبناه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . فالظاهر أن الطبري قصر بإسناده أو قصر به شيخه المهيم .

فأما مذهب من تأوّل في ذلك ما قاله الربيع بن أنس ، فهو أن الله تعالى ذكره لما أخبر عن قوم من أهل الكفر بأنهم لا يؤمنون ، وأن الإنذار غير نافعهم ، ٨٥/١ ثم كان من الكفار من قد نفعه الله بإنذار النبي صلى الله عليه وسلم إياه ، لإيمانه بالله وبالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله بعد نزول هذه السورة (١) — لم يجوز أن تكون الآية نزلت إلا في خاص من الكفار وإذ كان ذلك كذلك — وكانت قادة الأحزاب لا شك أنهم ممن لم ينفعه الله عز وجل بإنذار النبي صلى الله عليه وسلم إياه ، حتى قتلهم الله تبارك وتعالى بأيدي المؤمنين يوم بدر — علم أنهم ممن عسى الله جل ثناؤه بهذه الآية .

وأما علّتنا في اختيارنا ما اخترنا من التأويل في ذلك ، فهي أن قول الله جل ثناؤه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، عقيب خبر الله جل ثناؤه عن مؤمنى أهل الكتاب ، وعقيب نعتهم وصفهم وثنائه عليهم بإيمانهم به وبكتبه ورسوله . فأولى الأمور بحكمة الله ، أن يتلى ذلك الخبر عن كفارهم ونعوتهم ، وذم أسبابهم وأحوالهم (٢) ، وإظهار شتمهم والبراءة منهم . لأن مؤمنهم ومشركيهم — وإن اختلفت أحوالهم في اختلاف أديانهم — فإن الجنس يجمع جميعهم بأنهم بنو إسرائيل .

ولما احتج الله جل ثناؤه بأوّل هذه السورة لنبيه صلى الله عليه وسلم على مشركي اليهود من أحبار بني إسرائيل ، الذين كانوا مع علمهم بنبوته منكرين نبوته — بإظهار نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كانت تسيرُهُ الأحبار منهم وتكتمه ، فيجهله عظم اليهود وتعلمه الأحبار منهم (٣) — ليعلموا أن الذي أطلعه على علم ذلك ، هو الذي أنزل الكتاب على موسى . إذ كان ذلك من الأمور التي لم يكن محمد

(١) سياق عبارته « فهو أن الله تعالى ذكره لما أخبر عن قوم . . . لم يجوز . . . »

(٢) الأسباب جمع سبب : وأراد بها الطرق والوسائل .

(٣) عظم اليهود : معظمهم وأكثرهم .

صلى الله عليه وسلم ولا قومه ولا عشيرته يعلمونه ولا يعرفونه من قبل نزول الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم ، فيمكنهم ادعاء اللبس في أمره عليه السلام أنه نبي ، وأن ما جاء به فن عند الله^(١) . وأننى يمكن ادعاء اللبس في صديق أمى^(٢) نشأ بين أميين لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب ، فيقال قرأ الكتب فعلم ، أو حسب^(٣) فنجم ؟ انبعث على أخبار قراء كتبة^(٣) - قد درسوا الكتب ورأسوا الأمم - يخبرهم عن مستور عيوبهم ، ومصنوع علومهم ، ومكتوم أخبارهم ، وخفيات أمورهم التي جهلها من هو دونهم من أخبارهم . إن أمر من كان كذلك لغير مشكل ، وإن صدقه لبيّن .

ومما ينبت عن صحة ما قلنا - من أن الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ هم أخبار اليهود الذين قتلوا على الكفر وماتوا عليه - اقتصاص الله تعالى ذكره نبأهم ، وتذكيره إياهم ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق في أمر محمد عليه السلام ، بعد اقتصاصه تعالى ذكره ما اقتص من أمر المنافقين ، واعتراضه بين ذلك بما اعترض به من الخبر عن إبليس وآدم - في قوله : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ الآيات [سورة البقرة : ٤٠ وما بعدها] ، واحتجاجه لنبئه عليهم ، بما احتج به عليهم فيها بعد جحودهم نبوته . فإذا كان الخبر أولاً عن مؤمنى أهل الكتاب ، وآخرأ عن مشركيهم ، فأولى أن يكون وسطاً : - عنهم . إذ كان الكلام بعضه لبعض تبع ، إلا أن تأنيهم دلالة واضحة بعدول بعض ذلك عما ابتدأ به من معانيه ، فيكون معروفاً حيثئذ انصرافه عنه .

(١) في المطبوعة : « من عند الله » .

(٢) يعني بالحساب هنا : حساب سير الكواكب وبروجها ، وبها يعرف المنجم أخبار ما يدعى

من علم الغيب .

(٣) في المطبوعة : « وانبعث على أخباره » ، كأنه معطوف على كلام سابق . وليس صحيحاً ، بل هو

استئناف كلام جديد .

وأما معنى الكفر في قوله « إن الذين كفروا » فإنه الجحود . وذلك أن الأحبار من يهود المدينة جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وستره عن الناس وكنتموا أمره ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

وأصل الكفر عند العرب : تغطية الشيء ، ولذلك سموا الليل « كافراً » ، لتغطية ظلمته ما لبسته ، كما قال الشاعر :

فَتَذَكَّرَا ثَقَلًا رَثِيْدًا ، بَعْدَ مَا أَلْقَتْ ذُكَاةٌ يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ ^(١)

٨٦/١

وقال لبيد بن ربيعة :

• فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومُ غَمَامَهَا ^(٢) •

يعني غطّاها . فكذاك الأحبار من اليهود غطّوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكنتموه الناس - مع علمهم بنبوته ، ووجودهم صِفَتَه في كتبهم - فقال الله جل ثناؤه فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٥٩] ، وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

• • •

(١) الشعر لشعبة بن صعيبر المازني ، شرح المفضليات : ٢٥٧ . والضمير في قوله « فتذكرا » للنعام والظليم . والثقل : بيض النعام المصون ، والعرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون : ثقل . ورثد المتاع وغيره فهو مرثود ورثيد : وضع بعضه فوق بعض ونفضه . وعن بيض النعام ، والنعام تنفضه وتسويه بعضه إلى بعض . وذكاء : هي الشمس .

(٢) معلقته المشهورة ، ويأتي في تفسير آية سورة المائدة : ١٢ (٦ : ٩٨ بولاق) . ويروى « ظلامها » . وصدره :

« يَعلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرًا »

يعني البقرة الوحشية ، قد ولجت كناسها في أصل شجرة ، والرمل يتساقط على ظهرها .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

وتأويل «سواء»: معتدل. مأخوذ من التَّساوى، كقولك: «مُتَسَاوٍ هذان الأمران عندي»، و«هما عندي سواء»، أى هما متعادلان عندي، ومنه قول الله جل ثناؤه: ﴿فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [سورة الأنفال : : ٥٨]، يعنى: أعلمهم وأذنبهم بالحرب، حتى يستوى علمك وعلمهم بما عليه كل فريق منهم للفريق الآخر. فكذلك قوله «سواء عليهم»: معتدل عندهم أى الأمرين كان منك إليهم، الإنذار أم ترك الإنذار لأنهم لا يؤمنون^(١)، وقد آخمت على قلوبهم وسمعهم. ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرقييات:

نُفِذَ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلٌ أَوْ نَهَارٌ^(٢)

يعنى بذلك: معتدل عندها فى السير الليل والنهار، لأنه لا فتور فيه.

ومنه قول الآخر^(٣):

وَلَيْلٍ يَقُولُ الْمَرْءُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ الْعُيُونِ وَغُورُهَا

لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصراً ضعيفاً من ظلمته.

وأما قوله: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فإنه ظهر به الكلام

ظهور الاستفهام وهو خبر، لأنه وقع موقع «أى» كما تقول: «لا نبألى أقمت أم

(١) فى المطبوعة «كانوا لا يؤمنون».

(٢) ديوانه : ١٦٣ ، والكامل للمبرد ١ : ٣٩٨ ، ٣٩٩ . يمدح عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . أغذ السير وأغذ فيه . أسرع . ورواية ديوانه ، والكامل «تقدت» . وتقضى به بغيره : أسرع حل سنن الطريق . والشهباء : فرسه ، ألونها الأشهب ، وهو أن يشق سوادها أو كتبها شعرات بيض حتى تكاد تغلب السواد أو الكتلة .

(٣) للشعر لمصر بن ربهى الفقمى . حاسة ابن الشجرى : ٢٠٤ .

فعدت»، وأنت مخبرٌ لا مستفهم، لوقوع ذلك موقع «أى». وذلك أن معناه إذا قلت ذلك: ما نبأى أى هذين كان منك. فكذلك ذلك فى قوله: «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم»، لما كان معنى الكلام: سواء عليهم أى هذين كان منك إليهم - حسن فى موضعه مع سواء: «أفعلت أم لم تفعل».

وكان بعض نحويى البصرة يزعم أن حرف الاستفهام إنما دخل مع «سواء»، وليس باستفهام، لأن المستفهم إذا استفهم غيره فقال: «أزيد عندك أم عمرو؟» مستثب صاحبها أيهما عنده. فليس أحدهما أحق بالاستفهام من الآخر. فلما كان قوله: «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم» بمعنى التسوية، أشبه ذلك الاستفهام، إذ أشبهه فى التسوية. وقد بينا الصواب فى ذلك.

فتأويل الكلام إذا: معتدل يا محمد - على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك من أخبار يهود المدينة بعد علمهم بها، وكتبوا بيان أمرك للناس بأنك رسول إلى خلقى، وقد أخذت عليهم العهد والميثاق أن لا يكتموا ذلك، وأن يبينوه للناس، ويُخبروهم أنهم يجدون صفتك فى كتبهم - أأنذرتهم أم لم تنذرهم، فإنهم لا يؤمنون، ولا يرجعون إلى الحق، ولا يصدقون بك وبما جئتكم به. كما:-

٢٩٩ - حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد ابن إسحق، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»، أى أنهم قد كفروا بما عندهم من العلم من ذكر، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يسمعون منك إنذاراً وتحذيراً، وقد كفروا بما عندهم من علمك؟^(١)

• • •

(١) الخبر ٢٩٩ - سبق تفريجه مع الخبر ٢٩٥.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى

سَمْعِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : وأصل الختم : الطَّبْع . والخاتم هو الطَّابِع . يقال منه : ختمتُ الكتابَ ، إذا طبعته .

فإن قال لنا قائل : وكيف يختم على القلوب ، وإنما الختم طبع على الأوعية

٨٧/١ والظروف والغلف^(١) ؟

قيل : فإن قلوب العباد أوعية لما أُودِعَت من العلوم ، وظروف لما أُجعل فيها من المعارف بالأمور^(٢) . فعنى الختم عليها وعلى الأسماع - التي بها تدرَك المسموعات ، ومن قبيلها يوصل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المُنْغِيبَات - نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف .

فإن قال : فهل لذلك من صفة تصفها لنا فنفهمها ؟ أم هي مثل الختم الذي يُعرَف لما ظهر للأبصار ، أم هي بخلاف ذلك ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل في صفة ذلك ، وسنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم :

٣٠٠ - فحدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرَّمْلِي ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : أَرَانَا مُجَاهِدٌ يَبْدُوهُ فَقَالَ : كَانُوا يُرَوْنَ أَنَّ الْقَلْبَ فِي مِثْلِ هَذَا - يَعْنِي الْكَفَّ - فَإِذَا أَذِنَ الْعَبْدُ ذَنْباً ضَمَّ مِنْهُ - وَقَالَ بِإِصْبَعِهِ الْخَنْصِرَ هَكَذَا^(٣) - فَإِذَا أَذِنَ ضَمَّ - وَقَالَ بِإِصْبَعٍ أُخْرَى - فَإِذَا أَذِنَ ضَمَّ - وَقَالَ بِإِصْبَعٍ أُخْرَى هَكَذَا ، حَتَّى ضَمَّ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا ، قَالَ : ثُمَّ يُطْبَعُ عَلَيْهِ بِطَابَعٍ . قَالَ

(١) الغلف جمع غلاف : وهو الصوان الذي يشتل على ما أوعيت فيه .

(٢) في المخطوطة : « من المعارف بالعلوم » .

(٣) قال بإصبعه : أشار بإصبعه .

مُجَاهِد : وَكَانُوا يُرَوُّنَ أَنَّ ذَلِكَ : الرَّيِّنُ^(١) .

٣٠١ - حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيب ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيع ، عَنْ الْأَعْمَش ، عَنْ مُجَاهِد ، قَالَ : الْقَلْبُ مِثْلُ الْكَفِّ ، فَإِذَا أَذْنِبَ ذَنْبًا قَبَضَ أَصْبَعًا حَتَّى يَقْبِضَ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا - وَكَانَ أَصْحَابُنَا يُرَوْنَ أَنَّهُ الرَّانُ^(٢) .

٣٠٢ - حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاج ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْج ، قَالَ : قَالَ مُجَاهِد : نُبِشَتْ أَنَّ الذَّنُوبَ عَلَى الْقَلْبِ تَحُفُّ بِهِ مِنْ نَوَاحِيهِ حَتَّى تَلْتَقِيَ عَلَيْهِ ، فَالْتَقَاؤُهَا عَلَيْهِ ، الطَّبَعُ ، وَالطَّبَعُ : الْخَتَمُ . قَالَ ابْنُ جُرَيْج : الْخَتَمُ ، الْخَتَمُ عَلَى الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ^(٣) .

٣٠٣ - حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاج ، عَنْ ابْنِ جُرَيْج ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ مُجَاهِدًا يَقُولُ : الرَّانُ أَيْسَرُ مِنَ الطَّبَعِ ، وَالطَّبَعُ أَيْسَرُ مِنَ الْأَقْفَالِ ، وَالْأَقْفَالُ أَشَدُّ ذَلِكَ كُلَّهُ^(٤) .

(١) الأثر ٣٠٠ - عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرحمن ، التميمي النهشلي : قال النسائي : « صالح » . وهو من شيوخ الترمذي وابن مندة وغيرهما ، مات سنة ٢٥١ ، وروى عنه البخاري أيضاً في التاريخ الصغير : ٢٢٤ في ترجمة عمه . وعمه « يحيى بن عيسى » . وثقه أحمد والمجلى وغيرهما ، وترجمه البخاري في الصغير ، قال : « حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى ، قال : مات يحيى بن عيسى أبو زكريا التميمي سنة ٢٠١ أو نحوها . كوفي الأصل ، وإنما قيل : الرمل ، لأنه حدث بالرملة ومات فيها » ، وترجمه في الكبير أيضاً ٢/٤ : ٢٩٦ « يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن الرمل ، سمع الأعمش ، وهو التميمي أبو زكريا الكوفي ، سكن الرملة . . . » . ولم يذكر فيه جرحاً . وهذا الأثر ، سياق بهذا الإسناد في تفسير آية سورة المطففين : ١٤ (٣٠ : ٦٣ بولاق) . وذكره ابن كثير ١ : ٨٢ ، والسيوطي ٦ : ٣٢٦ .

(٢) الأثر ٣٠١ - سياق أيضاً (٣٠ : ٦٣ بولاق) . وأشار إليه ابن كثير ١ : ٨٣ دون أن يذكر لفظه . وكذلك السيوطي ٦ : ٣٢٥ .

(٣) الأثر ٣٠٢ - هذا من رواية ابن جريج عن مجاهد ، والظاهر أنه منقطع ، لأن ابن جريج يروي عن مجاهد بالواسطة ، كما سياق في الأثر بعده . وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٨٣ ، ولكنه محرف فيه من النسخ أو الطابع .

(٤) الأثر ٣٠٣ - عبد الله بن كثير : هو الداري المكي ، أحد القراء السبعة المشهورين ، وهو ثقة . وقد قرأ القرآن على مجاهد . وقد خلط ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/٢ : ١٤٤ بينه وبين « عبد الله بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي » . ويظهر من كلام الحافظ في التهذيب ٥ : ٣٦٨ أن هذا الهم كان من البخاري نفسه ، فلمل ابن أبي حاتم تبعه في وهمه دون تحقيق .

وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٨٣ ، وكذلك السيوطي ٦ : ٣٢٦ ، وزاد نسبه إلى البيهقي .

وقال بعضهم : إنما معنى قوله « ختم الله على قلوبهم » إخبارٌ من الله جل ثناؤه عن تكبرهم ، وإعراضهم عن الاستماع لما دُعُوا إليه من الحق ، كما يقال : « إن فلاناً لأصمُّ عن هذا الكلام » ، إذا امتنع من سماعه ، ورفع نفسه عن تفهّمه تكبراً . قال أبو جعفر : والحق في ذلك عندي ما صحَّ بنظيره الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما :-

٣٠٤ - حدثنا به محمد بن بشار قال : حدثنا صفوان بن عيسى ، قال : حدثنا ابن عجلان ، عن القعقاع ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نُكْتةٌ سوداءُ في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر ، صَقَلَتْ قلبه ، فإن زاد زادت حتى تُغْلِقَ قلبه ، فذلك « الرّانُ » الذي قال الله جل ثناؤه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(١) [سورة المطففين : ١٤] .

(١) الحديث ٣٠٤ - سيأتي في الطبري بهذا الإسناد ٣٠ : ٦٢ بولاق . ورواه هناك بإسناد آخر قبله ، وبإسنادين آخرين بعده : كلها من طريق محمد بن عجلان عن القعقاع . محمد بن بشار : هو الحافظ البصري ، عرف بلقب « بشار » بضم الباء وسكون النون . روى عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم من الأئمة . ووقع في المطبوعة هنا « محمد بن يسار » ، وهو خطأ . ابن عجلان ، بفتح العين وسكون الجيم : هو محمد بن عجلان المدني ، أحد العلماء العاملين الثقات . القعقاع بن حكيم الكنانى المدنى : تابعى ثقة . أبو صالح : هو السمان ، واسمه « ذكوان » . تابعى ثقة ، قال أحمد : « ثقة ثقة ، من أجل الناس وأوثقهم » .

والحديث رواه أحمد في المسند ٧٩٣٩ (٢ : ٢٩٧ حلى) عن صفوان بن عيسى ، بهذا الإسناد . ورواه الحاكم ٢ : ٥١٧ من طريق بكار بن قتيبة القاضي عن صفوان . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . ورواه الترمذى ٤ : ٢١٠ ، وابن ماجه ٢ : ٢٩١ ، من طريق محمد بن عجلان . قال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

وذكره ابن كثير ١ : ٨٤ من رواية الطبري هذه ، ثم قال : هذا الحديث من هذا الوجه ، قد رواه الترمذى والنسائى عن قتيبة عن الليث بن سعد ، وابن ماجه عن هشام بن عمار عن حاتم بن إسماعيل والوليد ابن مسلم - ثلاثتهم عن محمد بن عجلان ، به . وقال الترمذى : « حسن صحيح » ، ثم ذكره مرة أخرى ٩ : ١٤٣ من رواية هؤلاء ومن رواية أحمد في المسند . وذكره السيوطى ٦ : ٣٢٥ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن حبان ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقى في شعب الإيمان .

وفي متن الحديث هنا ، في المطبوعة « كان نُكْتةٌ . . . صقل قلبه . . . حتى يغلف قلبه » . وهو في رواية الطبري الآتية ، كما في المخطوطة ، إلا قوله « حتى تغلق قلبه » ، فهي هناك « حتى تغلف قلبه » .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا تابعت على القلوب أغلقها ، وإذا أغلقها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع^(١) ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر منها مخلص ، فذلك هو الطبع . والختم الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ ، نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف ، التى لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها . فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصّف الله أنه ختم على قلوبهم ، إلا بعد فضّه خاتمته وحلّه رباطه عنها .

ويقال لقائل القول الثانى ، الزاعمين أن معنى قوله جل ثناؤه « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ، هو وصّفهم بالاستكبار والإعراض عن الذى دُعوا إليه من الإقرار بالحق تكبراً : أخبرونا عن استكبار الذين وصّفهم الله جل ثناؤه بهذه الصفة ، وإعراضهم عن الإقرار بما دُعوا إليه من الإيمان وسائر المعانى اللّواحق به — أفعل منهم ، أم فعل من الله تعالى ذكره بهم ؟

فإن زعموا أن ذلك فعل منهم — وذلك قولهم — قيل لهم : فإن الله تبارك وتعالى قد أخبر أنه هو الذى ختم على قلوبهم وسمعهم . وكيف يجوز أن يكون إعراض^{٨٨/١} الكافر عن الإيمان ، وتكبره عن الإقرار به — وهو فعله عندكم — ختماً من الله على قلبه وسمعه ، وختمه على قلبه وسمعه ، فعل الله عز وجل دون الكافر ؟

فإن زعموا أن ذلك جائز أن يكون كذلك — لأن تكبره وإعراضه كانا عن ختم الله على قلبه وسمعه ، فلما كان الختم سبباً لذلك ، جاز أن يسمى مسبباً به — تركوا قولهم ، وأوجبوا أن الختم من الله على قلوب الكفار وأسماعهم ، معنى غير كفر الكافر ، وغير تكبره وإعراضه عن قبول الإيمان والإقرار به . وذلك الدخول فيها أنكره^(٢) .

(١) فى المطبوعة : « أغلقها » فى الموضعين ، والتصحيح من المخطوطة وابن كثير .

(٢) فى المطبوعة : « وذلك دخول فيما أنكره » .

وهذه الآية من أوضح الدليل على فساد قول المنكرين تكليف ما لا يُطاق إلا بمعونة الله ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه ختم على قلوب صنف من كفار عباده وأسماعهم ، ثم لم يسقط التكليف عنهم ، ولم يضع عن أحد منهم فرائضه ، ولم يعذره في شيء مما كان منه من خلاف طاعته بسبب ما فعل به من الختم والطبع على قلبه وسمعه - بل أخبر أن لجميعهم منه عذاباً عظيماً على تركهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده وفرائضه ، مع حتمه القضاء عليهم مع ذلك ، بأنهم لا يؤمنون .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : وقوله ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ خبر مبتدأ بعد تمام الخبر عما ختم الله جل ثناؤه عليه من جوارح الكفار الذين مضت قصصهم . وذلك أن « غِشَاوَةٌ » مرفوعة بقوله « وعلى أبصارهم » ، فذلك دليل على أنه خبر مبتدأ ، وأن قوله « ختم الله على قلوبهم » ، قد تنهى عند قوله « وعلى سمعهم » .
وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين :

أحدهما : اتفاق الحجة من القراء والعلماء على الشهادة بتصحيحها ، وانفراد المخالف لهم في ذلك ، وشذوذه عما هم على تخطئته مجمعون . وكفى بإجماع الحجة على تخطئة قراءته شاهداً على خطئها .

والثاني : أن الختم غير موصوفة به العيون في شيء من كتاب الله ، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا موجود في لغة أحد من العرب . وقد قال تبارك وتعالى في سورة أخرى : ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ

قَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةٌ ﴿ [سورة البقرة : ٢٢] ، فلم يدخل البصر في معنى الختم .
وذلك هو المعروف في كلام العرب ، فلم يجز لنا ، ولا لأحد من الناس ، القراءة
بنصب الغشاوة ، لما وصفت من العلتين اللتين ذكرت ، وإن كان لتصبها مخرج
معروف في العربية .

وبما قلنا في ذلك من القول والتأويل ، روى الخبر عن ابن عباس :
٣٠٥ - حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي الحسين
ابن الحسن ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : « ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم » ، والغشاوة على أبصارهم ^(١) .

(١) الخبر ٣٠٥ - هذا الإسناد من أكثر الأسانيد دورانا في تفسير الطبري ، وقد مضى أول مرة ١١٨ ،
ولم أكن قد اهتمت إلى شرحه . وهو إسناد مسلسل بالضعفاء من أسرة واحدة ، إن صح هذا التعبير .
وهو معروف عند العلماء بـ « تفسير العوفي » ، لأن التابعي - في أعلاه - الذي يرويه عن ابن عباس ، هو
« عطية العوفي » ، كما سذكر . قال السيوطي في الإتيان ٢ : ٢٢٤ : « وطريق العوفي عن ابن عباس ، أخرج
منها ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، كثيرا . والعوفي ضعيف ، ليس بهواه ، وربما حسن له الترمذي » .
ونشرحه هنا مفصلا ، إن شاء الله :

محمد بن سعد ، الذي يروي عنه الطبري : هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد
بن جندادة العوفي ، من « بني عوف بن سعد » فخذ من « بني عمرو بن عياد بن يشكر بن بكر بن وائل » .
وهو لين في الحديث ، كما قال الخطيب . وقال الدارقطني : « لا بأس به » . مات في آخر ربيع الآخر
سنة ٢٧٦ . ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ٥ : ٣٢٢ - ٣٢٣ . والحافظ في لسان الميزان ٥ : ١٧٤ .
وهو غير « محمد بن سعد بن منيع » كاتب الواقدي ، وصاحب كتاب الطبقات الكبير ، فهذا أحد الحفاظ
الكبار الثقات المتحررين ، قديم الوفاة ، مات في جمادى الآخرة سنة ٢٣٠ .

أبوه « سعد بن محمد بن الحسن العوفي » : ضعيف جدا ، سئل عنه الإمام أحمد ، فقال : « ذاك جهلي » ،
ثم لم يره موضعاً للرواية ولو لم يكن ، فقال : « لو لم يكن هذا أيضاً لم يكن من يستأهل أن يكتب عنه » ،
ولا كان موضعاً لذلك . وترجمته عند الخطيب ٩ : ١٢٦ - ١٢٧ ، ولسان الميزان ٣ : ١٨ - ١٩ .
عن عمه : أي عم سعد ، وهو « الحسين بن الحسن بن عطية العوفي » . كان على قضاء بغداد ، قال
ابن معين : « كان ضعيفاً في القضاء . ضعيفاً في الحديث » . وقال ابن سعد في الطبقات : « وقد سمع
سماعاً كثيراً ، وكان ضعيفاً في الحديث » . وضعفه أيضاً أبو حاتم والنسائي . وقال ابن حبان في المجهولين :
« منكر الحديث . . . ولا يجوز الاحتجاج بخبره » . وكان طويل اللحية جدا ، روى الخطيب من أخبارها
طرائف ، مات سنة ٢٠١ . مترجم في الطبقات ٧/٢/٧٤ ، والجرح والتعديل ١/٢/٤٨ ، وكتاب
المجهولين لابن حبان ، رقم ٢٢٨ ص ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٢٩ - ٣٢ ، ولسان الميزان ٢ : ٢٧٨ .
عن أبيه : وهو « الحسن بن عطية بن سعد العوفي » ، وهو ضعيف أيضاً ، قال البخاري في الكبير :
« ليس بذلك » ، وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث » . وقال ابن حبان : « يروي عن أبيه » ،

فلان قال قائل : وما وجهُ مخرج النَّصْب فيها ؟

قيل له : أن تنصبها بإضمار «جعل»^(١) ، كأنه قال : وجعل على أبصارهم غِشَاوَةً ، ثم أسقط «جعل» ، إذ كان في أول الكلام ما يدل عليه . وقد يحتمل نصبها على إتباعها موضع السمع ، إذ كان موضعه نصباً ، وإن لم يكن حسناً إعادة العامل فيه على «غشاة» ، ولكن على إتباع الكلام بعضه بعضاً ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٍ عِينٍ ﴾ ، [سورة الواقعة : ١٧-٢٢] ، فخفض اللحم والخور على العطف به على الفاكهة ، إتباعاً لآخر الكلام أوله . ومعلوم أن اللحم لا يطاف به ولا بالخور العين ، ولكن كما قال الشاعر يصف فرسه :

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَّتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا^(٢)

روى عنه ابنه محمد بن الحسن ، منكر الحديث ، فلا أدري : البلية في أحاديثه منه ، أو من أبيه ، أو منهما معاً ؟ لأن أباه ليس بشيء في الحديث ، وأكثر روايته عن أبيه ، فن هنا اشتبه أمره ، ووجب تركه . مترجم في التاريخ الكبير ٢٩٩/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٢٦/٢/١ ، والمجروحين لابن حبان ، رقم ٢١٠ ص ١٥٨ ، والتهذيب .

عن جده : وهو «عطية بن سعد بن جنادة العوفي» ، وهو ضعيف أيضاً ، ولكنه يختلف فيه ، فقال ابن سعد : «كان ثقة إن شاء الله» ، وله أحاديث صالحة . ومن الناس من لا يحتج به ، وقال أحمد : «هو ضعيف الحديث» . بلغني أن عطية كان يأتي الكلابي فيأخذ عنه التفسير . وكان الثوري وهشيم يضعفان حديث عطية . وقال أبو حاتم : «ضعيف الحديث» ، يكتب حديثه . وسئل يحيى بن معين : «كيف حديث عطية ؟ قال : صالح» . وقد رجحنا ضعفه في شرح حديث المسند : ٣٠١٠ ، وشرح حديث الترمذي : ٥٥١ ، وإنما حسن الترمذي ذلك الحديث لمتابعات ، ليس من أجل عطية . وقد ضعفه النسائي أيضاً في الضعفاء : ٢٤ . وضعفه ابن حبان جده ، في كتاب المجروحين ، قال : «... فلا يحل كنية حديثه إلا على وجه التعجب» ، الورقة : ١٧٨ . وانظر أيضاً : ابن سعد ٦ : ٢١٢ - ٢١٣ والكبير البخاري ٨/١/٤ - ٩ . والصغير ١٢٦ . وابن أبي حاتم ٣/١/٢ - ٣٨٢ . والتهذيب . والخبر نقله ابن كثير ١ : ٨٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ١ : ٢٩ ، وزاد نسبه لابن أبي حاتم . وكذلك صنع الشوكاني ١ : ٢٨ .

(١) في المطبوعة : «إن نصبها...»

(٢) لا يعرف قائله ، وأنشده الفراء في معاني القرآن ١ : ١٤ وقال : «أنشأني بعض بني أمد يصف فرسه» ، وفي الخزانة ١ : ٤٩٩ : «رأيت في حاشية صحيحة من الصحاح أنه للذي الرمة ، ففتشت ديوانه فلم أجده» . وسيأتي في تفسير آية سورة المائدة : ١٠٩ (٧ : ٨١ بولاق) . وقوله «شنت»

ومعلوم أن الماء يُشْرَب ولا يعلف به ، ولكنه نصب ذلك على ما وصفت قبل ، وكما قال الآخر :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعْيِ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا^(١)

وكان ابن جريج يقول - في انتهاء الخبر عن الختم إلى قوله « وعلى سمعهم » ، ٨٩/١
وابتداء الخبر بعده - بمثل الذي قلنا فيه ، ويتأول فيه من كتاب الله ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [سورة الشورى : ٢٤] .

٣٠٦ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال :
حدثنا ابن جريج ، قال : الختم على القلب والسمع ، والغشاوة على البصر ، قال
الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣] .

والغشاوة في كلام العرب : الغطاء ، ومنه قول الحارث بن خالد بن العاص :
تَبِعْتُكَ إِذْ عَنَى عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَلُومَهَا^(٣)
ومنه يقال : تغشاه الهم ، إذا تجلله وركبه ، ومنه قول نابغة بني ذبيان :

من شتا بالمكان : أقام فيه زمن الشتاء ، وهو زمن الجذب ، وهالة : تهمل دمعها أي تسكبه وتصبه من
شدة البرد .

(١) مضى تخريج هذا البيت في ص ١٤٠ .

(٢) الأثر ٣٠٦ - ساقه ابن كثير في تفسيره ١ : ٨٥ ، والشوكاني ١ : ٢٨ .

(٣) الشاعر هو الحارث بن خالد الخزومي ، ويأتي البيت في تفسير آية سورة الأعراف : ١٨
(٨ : ١٠٣ بولاق) ، وروايته هناك : « صعبتك إذ عني . . . أذيمها » ، شاهدأ على « الذام » ، وهو أبلغ
في العيب من الذم ، ثم قال أبو جعفر : « وأكثر الرواة على إنشاده : ألوها » ، وخبر البيت : أن
عبد الملك بن مروان لما ول الخلافة حج البيت ، فلما انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت له
منه جفوة ، وأقام ببابه شهراً لا يصل إليه ، فانصرف عنه وقال البيت الشاهد وبعده :

وما بي إن أقصيتني من ضراعةٍ وَلَا أفتقرت نفسي إلى من يضيئها

(انظر الأغاني ٣ : ٣١٧) ، وبلغ عبد الملك شعره ، فأرسل إليه من رده إليه .

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي دُبْيَانَ مَا حَسَبِي إِذَا الدُّخَانُ تَفَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرَمَا^(١)

يعنى بذلك : تجلّله وخالطه .

ولنما أخبر الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عن الذين كفروا به من أحبار اليهود ، أنه قد ختم على قلوبهم وطبع عليها — فلا يعقلون الله تبارك وتعالى موعظةً وعظهم بها ، فيما آتاهم من علم ما عندهم من كتبه ، وفيما حدّد في كتابه الذى أوحاه وأنزله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم — وعلى سمعهم ، فلا يسمعون من محمد صلى الله عليه وسلم نبيّ الله تحذيراً ولا تذكيراً ولا حجةً أقامها عليهم بنبوته ، فيتذكروا ويحذروا عقاب الله عز وجلّ في تكذيبهم إياه ، مع علمهم بصدقه وصحة أمره . وأعلمه مع ذلك أن على أبصارهم غشاوةً عن أن يبصروا سبيل الهدى ، فيعلموا قبّح ما هم عليه من الضلالة والردى .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، روى الخبر عن جماعة من أهل التأويل :

٣٠٧ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ﴾ ، أى عن الهدى أن يصيبوه أبداً بغير ما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك ، حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك^(٢) .

٣٠٨ — حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول

(١) ديوانه : ٥٢ . والأشمت : الذى شاب رأسه من الكبر ، والبرم : الذى لا يدخل مع القوم في الميسر . قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٤١٠ ، ١٢٣٨ : « وإنما خص الأشمت ، لأنه قد كبر وضعف ، فهو يأتي مواضع اللحم » .

(٢) الخبر ٣٠٧ — ذكره السيوطي ١ : ٢٩ متصلاً بما مضى : ٢٩٥ ، ٢٩٩ وبما يأتي :

٣١١ . ساقها سياقاً واحداً .

الله صلى الله عليه وسلم : «نختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» يقول : فلا يعقلون ولا يسمعون . ويقول : «ونجعل على أبصارهم غشاوة» يقول : على أعينهم فلا يبصرون^(١) .

وأما آخرون ، فإنهم كانوا يتأولون أن الذين أخبر الله عنهم من الكفار أنه فعل ذلك بهم ، هم قادة الأحزاب الذين قتلوا يوم بدر .

٣٠٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : هاتان الآيتان إلى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هم ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٨] ، وهم الذين قتلوا يوم بدر ، فلم يدخل من القادة أحد في الإسلام إلا رجلاً : أبو سفيان بن حرب ، والحكم بن أبي العاص^(٢) .

٣١٠ - وحدثت عن عمار بن الحسن ، قال حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن الحسن ، قال : أما القادة فليس فيهم مجيب ولا ناج ولا مهتد .

وقد دللنا فيما مضى على أولى هذين التأويلين بالصواب ، كرهننا إعادته .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٧)

وتأويل ذلك عندي ، كما قاله ابن عباس وتأوله :

(١) الخبر ٣٠٨ - ساقه ابن كثير ١ : ٨٥ . وذكره السيوطي ١ : ٢٩ ، والشوكاني ١ : ٢٨ عن ابن مسعود فقط .

(٢) الأثر ٣٠٩ - هو تشمة الأثر الماضي : ٢٩٨ ، كما ساقه السيوطي ١ : ٢٩ ، والشوكاني ١ : ٢٨ . وقد أشرنا إليه هناك .

٣١١ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ولم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم . قال : فهذا في الأخبار من يهود ، فيما ٩٠/١ كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربك بعد معرفتهم ^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا

بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٨)

قال أبو جعفر : أما قوله : « ومن الناس » ، فإن في « الناس » وجهين : أحدهما : أن يكون جمعاً لا واحداً له من لفظه ، وإنما واحداهم « إنسان » ، وواحدتهم « إنسانة » ^(٢) .

والوجه الآخر : أن يكون أصله « أناس » أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها ، ثم دخلتها الألف واللام المعرفتان ، فأدغمت اللام - التي دخلت مع الألف فيها للتعريف - في النون ، كما قيل في ﴿ لَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] ، على ما قد بينا في « اسم الله » الذي هو الله ^(٣) . وقد زعم بعضهم أن « الناس » لغة غير « أناس » ، وأنه سمع العرب تصغره « نؤيس » من الناس ، وأن الأصل لو كان أناس لقليل في التصغير : أنيس ، فرداً إلى أصله .

وأجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق ، وأن هذه الصفة صفتهم .

(١) الخبر ٣١١ - هو تنمة الأخبار : ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ساقها السيوطي ١ : ٢٩ مساقاً واحداً ، كما أشرنا من قبل . ولكنه حذف من آخره ما بعد قوله « فهذا في الأخبار من يهود » . لعله ظنه من كلام الطبري . والسياق واضح أنه من تنمة الخبر .

(٢) في المطبعة : « واحده إنسان ، وواحدته إنسانة » .

(٣) انظر ما مضى ص ١٢٥ - ١٢٦ .

ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بأسمائهم :

٣١٢- حدثنا محمد بن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم . وقد سُمِّي في حديث ابن عباس هذا أسماؤهم عن أبي بن كعب ، غير أنى تركت تسميتهم كراهة إطالة الكتاب بذكرهم ^(١) .

٣١٣- حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ فَمَا رَبيحتَ تجارتَهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ قال : هذه في المنافقين ^(٢) .

٣١٤- حدثنا محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هذه الآية إلى ثلاث عشرة ، في نعت المنافقين .

٣١٥- حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شيبان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٣١٦- حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .

(١) الخبر ٣١٢ - مضى نحو معناه : ٢٩٦ ، وأشرنا إلى هذا هناك .

وأسماء المنافقين ، من الأوس والخزرج ، الذين كره الطبرى إطالة الكتاب بذكرهم - حفظها علينا ابن هشام ، في اختصاره سيرة ابن إسحق ، بتفصيل واف : ٣٥٥-٣٦١ (طبعة أوربة) ، ٢ : ١٦٦-١٧٤ (طبعة الحلبي) ، ٢ : ٢٦-٢٩ (الروض الأنف) .

(٢) الأثر ٣١٣ - الحسن بن يحيى ، شيخ الطبرى ؛ وقع في الأصول هنا « الحسين » ، وهو خطأ . وقد مضى مثل هذا الإسناد على الصواب ، رقم : ٢٥٧ .

٣١٧ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن إسماعيل السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ هم المنافقون .

٣١٨ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، في قوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ إلى ﴿ فزادهم الله مرَضاً ولهم عَذَابٌ أليم ﴾ ، قال : هؤلاء أهلُ النفاق .

٣١٩ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ قال : هذا المنافق ، يخالفُ قوله فعله ، وسره علانيته ، ومدخله مخرجه ، ومشهدُه مغيبه^(١) .

وتأويل ذلك : أن الله جل ثناؤه لما جمع لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أمره في دار هجرته ، واستقر بها قراره ، وأظهر الله بها كلمته ، وفشا في دور أهلها الإسلام ، وقهر بها المسلمون مَنْ فيها من أهل الشرك من عبدة الأوثان ، وذَلَّ بها مَنْ فيها من أهل الكتاب - أظهر أخبارُ يهودها لرسول الله صلى الله عليه وسلم الضغائن ، وأبدوا له العداوة والشنآن ، حسداً وبغياً^(٢) ، إلا نفرًا منهم هداهم الله للإسلام فأسلموا ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٩] ، وطابقتهم سرًّا على مُعاداة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

(١) الروايات ٣١٤ - ٣١٩ : ساق بعضها ابن كثير ١ : ٨٦ بين نص وإشارة . وساق بعضها أيضاً السيوطي ١ : ٢٩ . والشوكاني ١ : ٢٩ .

(٢) في المخطوطة « العداوة والشنار » ، وهو خطأ . والشنآن والشناءة : اللبغض يكشف عنه الفيظ الشديد . شئ الشيء يشنؤه : أبغضه بغضاً شديداً .

وَبَغْيِهِمُ الْغَوَائِلَ ، قومٌ — من أَرَاهَطُ الأنصار الذين آوَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩١/١
وَنَصَرُوهُ^(١) — وكانوا قد عَسَوْا في شركهم وجاهليتهم^(٢) قد سُمُوا لنا بأسمائهم ، كرهنا
تطويل الكتاب بذكر أسمائهم وأنسابهم ، وظاهرهم على ذلك في خفاء غير جِهَارٍ ، حذارَ
القتل على أنفسهم ، والسبِّاءِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وركونا
إلى اليهود لما هم عليه من الشرك وسوء البصيرة بالإسلام . فكانوا إذا لَقُوا رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به من أصحابه قالوا لهم — حذارِ أَعلى أنفسهم — : إنا مؤمنون
بالله وبرسوله وبالبعث ، وأعطَوْهم بالسنتهم كلمة الحق ، ليدرأوا عن أنفسهم حكم الله
فيمن اعتقد ما هم عليه مقيمون من الشرك ، لو أظهروا بالسنتهم ما هم معتقدوه من
شركهم . وإذا لَقُوا إخوانهم من اليهود وأهل الشرك والتكذيب بمحمد صلى الله عليه
وسلم وبما جاء به ، فخلَوْا بهم ﴿ قَالُوا : إنا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ . فإياهم
عَنَى جل ذكره بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ
بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يعني بقوله تعالى خبراً عنهم : آمَنَّا بالله — : وصدقنا بالله^(٣) .
وقد دللنا على أن معنى الإيمان : التصديق ، فيما مضى قبل من كتابنا
هذا^(٤) .

وقوله : ﴿ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، يعني : بالبعث يوم القيامة ، وإنما سُمِّيَ يومُ القيامة
« اليوم الآخر » ، لأنه آخر يوم ، لا يوم بعده سواه .
فإن قال قائل : وكيف لا يكون بعده يوم ، ولا انقطاع للآخرة ولا فناء
ولا زوال ؟

(١) الغوائل جمع غائلة : وهي : النائبة التي تغول وتهلك . وأَرَاهَطُ جمع رهط ، والرهط : عدد
يجمع من الثلاثة إلى العشرة ، لا يكون فيهم امرأة . وعنى بهم العدد القليل من بطون الأنصار .
(٢) في المطبوعة : « عتوا في جاهليتهم » وكلتاها صواب . عسا الشيء يعسو : اشتد وصلب وغلظ
من تقادم العهد عليه ، وعسا الرجل : كبر . والعاسي : هو الجافي ، ومثله العاق . وعتا يمتو ، في معناه .
وانظر ما مضى ص : ٣٦ ، تعليق .

(٣) في المطبوعة « وصدقنا بالله » ، وزيادة الواو خطأ .

(٤) انظر ما مضى ص : ٢٣٤ — ٢٣٥ .

قيل : إن اليومَ عند العرب إنما سُمي يوماً بليلته التي قبله ، فإذا لم يتقدم النهار ليلٌ لم يسمَّ يوماً . فيوم القيامة يوم لا ليلَ بعده ، سوى الليلة التي قامت في صبيحتها القيامة ، فذلك اليوم هو آخر الأيام . لذلك سَمَّاه الله جل ثناؤه « اليوم الآخر » ، ونعته بالعقيم . ووصفه بأنه يوم عقيم ، لأنه لا ليل بعده ^(١) .
وأما تأويل قوله : « وما هم بمؤمنين » ، ونفيه عنهم جل ذكره اسم الإيمان ، وقد أخبر عنهم أنهم قد قالوا بالسنتهم : آمنا بالله وباليوم الآخر - فإن ذلك من الله جل وعز تكذيبٌ لهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الإيمان والإقرار بالبعث ، وإعلامٌ منه نبيه صلى الله عليه وسلم أن الذي يُسبِّحونه له بأفواههم خلافٌ ما في ضمائر قلوبهم ، وضيدٌ ما في عزائم نفوسهم .

وفي هذه الآية دلالةٌ واضحة على بطول ما زعمته الجهمية : من أن الإيمان هو التصديق بالقول ، دون سائر المعاني غيره . وقد أخبر الله جل ثناؤه عن الذين ذكرهم في كتابه من أهل النفاق ، أنهم قالوا بالسنتهم : « آمنا بالله وباليوم الآخر » ، ثم نفى عنهم أن يكونوا مؤمنين ، إذ كان اعتقادهم غير مُصدَّقٍ قبيلتهم ذلك . وقوله « وما هم بمؤمنين » : يعني بمصدقين « فيما يزعمون أنهم به مُصدقون » .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامَنُوا ﴾

قال أبو جعفر : وخداعُ المنافق ربّه والمؤمنين ، إظهاره بلسانه من القول والتصديق ، خلافَ الذي في قلبه من الشك والتكذيب ، ليدّراً عن نفسه ، بما أظهر بلسانه ، حكمَ الله عز وجل - - اللازمَ مَنْ كان بمثل حاله من التكذيب ، لو لم يُظهِرْ

(١) وذلك قول ربنا سبحانه في سورة الحج : ٥٥ : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ

مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ .

بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار - من القتل والسبأ . فذلك خيادعه ربه وأهل الإيمان بالله .

فإن قال قائل : وكيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعاً ، وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقداً إلا تقيّة ؟

قيل : لا تمتنع العرب من أن تُسمى من أعطى بلسانه غير الذي هو في ضميره تقيّة لينجو مما هو له خائف ، فنجا بذلك مما خافه - مخادعاً لمن تخلص منه بالذي أظهر له من التقيّة . فذلك المنافق ، سمي مخادعاً لله وللمؤمنين ، بإظهاره ما أظهر بلسانه تقيّة ، مما تخلص به من القتل والسبأ والعذاب العاجل ، وهو لغير ما أظهر مستبطن . وذلك من فعله - وإن كان خيادعاً للمؤمنين في عاجل الدنيا - فهو لنفسه بذلك من فعله خادع ، لأنه يُظهر لها بفعله ذلك بها ، أنه يُعطىها أمانيها ، ويُسقيها كأس سرورها ، وهو مُوردُها به حياض عطشها ، ومجرّعها به كأس عذابها ، ومُزيرها من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به (١) . فذلك خديعته نفسه ، ظناً منه - مع إساءته إليها في أمر معادها - أنه إليها محسن ، كما قال جل ثناؤه : « وما يُخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون » . إعلاماً منه عبادة المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسقاطهم ربهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم - غير شاعرين ولا دارين ، ولكنهم على عمياء من أمرهم مُقيمون .

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك ، كان ابن زيد يقول .

٣٢٠ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سألت

عبد الرحمن بن زيد عن قول الله جل ذكره : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلى

(١) في المطبوعة : « ومذيقها من غضب الله » ، وفي المخطوطة : « ويربدها . . . » ، وفي تفسير ابن كثير ١ : ٨٧ « ومزبرها . . . » ، والصواب ما أثبتناه ، وأزاره : حمله على الزيارة . وفي حديث طلحة : « . . . حتى أزرتة شرب » ، وشعوب هي المنية ، أي أوردته المنية فزارها . وجعلها زيارة ، وهي هلاك . مخزية بهم واستهزاء ، لقبج غرورهم برهم ، وفرحهم بما مد لهم من العمر والمال والمتاع .

آخر الآية ، قال : هؤلاء المنافقون ، يخادعون الله ورسوله والذين آمنوا ، أنهم مؤمنون بما أظهروا^(١) .

وهذه الآية من أوضح الدليل على تكذيب الله جل ثناؤه الزاعمين : أن الله لا يُعذَّب من عباده إلا من كفر به عناداً ، بعد علمه بوحدانيته ، وبعد تقرر صحة ما عاند ربه تبارك وتعالى عليه من توحيدِهِ ، والإقرار بكتبه ورُسُلِهِ—عنده . لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عن الذين وصفهم بما وصفهم به من النفاق ، وخداعهم لإياه والمؤمنين— أنهم لا يشعرون أنهم مُبْطَلون فيما هم عليه من الباطل مُقِيمون ، وأنهم يخدعونهم—الذى يحسبون أنهم به يُخادعون ربهم وأهل الإيمان به— مخدوعون . ثم أخبر تعالى ذكره أن لهم عذاباً أليماً بتكذيبهم بما كانوا يكذبون من نبوة نبيِّهِ ، واعتقاد الكفر به ، وبما كانوا يكذبون في زعمهم أنهم مؤمنون ، وهم على الكفر مُصِرُّون . فإن قال لنا قائل : قد علمت أن «المُفاعلة» لا تكون إلا من فاعليْن ، كقولك : ضاربتُ أخاك ، وجالستُ أباك— إذا كان كل واحد مجالس صاحبه ومضاربه . فأما إذا كان الفعل من أحدهما ، فإنما يقال : ضربتُ أخاك ، وجلستُ إلى أهلك . فمَنْ خادع المنافق فجاز أن يُقال فيه : خادع الله والمؤمنين ؟

قيل : قد قال بعضُ المنسويين إلى العلم بلغات العرب^(٢) : إن ذلك حرفٌ جاء بهذه الصورة أعنى «يُخَادِع» بصورة «يُفَاعِل» ، وهو بمعنى «يَفْعَل» ، في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب ، نظير قولهم : قاتلك الله ، بمعنى قَتَلَكَ اللهُ . وليس القول في ذلك عندي كالذى قال ، بل ذلك من «التفاعل» الذى لا يكون إلا من اثنين ، كسائر ما يُعرف من معنى «يفاعل ومفاعل» في كل كلام العرب . وذلك : أن المنافق يُخادع الله جل ثناؤه بكذبه بلسانه— على ما قد تقدم

(١) الأثر ٢٢٠— في الدر المنثور ١ : ٣٠ ، والشوكاني ١ : ٣٠ بتمامه ، ويأتى تمامه في تفسير

بقية الآية برقم : ٣٢١ .

(٢) يعنى أبا حبيدة في كتابه «مجاز القرآن» : ٣١ .

وصفه - والله تبارك اسمه خادِعُهُ، بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في آجل معادِهِ، كالذى أخبر في قوله : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٨] ، وبالمعنى الذى أخبر أنه فاعلٌ به في الآخرة بقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحديد : ١٣] ، فذلك نظيرٌ سائر ما يأتى من معانى الكلام : « يُفَاعِلُ وَمُفَاعِلٌ » . وقد كان بعض أهل النحو من أهل البصرة يقول : لا تكون المفاعلة إلا من شيئين ، ولكنه إنما قيل : « يُخَادِعُونَ الله » عند أنفسهم ، بظنهم أن لا يعاقبوا ، فقد علموا خلاف ذلك في أنفسهم ، بحجة الله تبارك اسمه الواقعة على خلقه بمعرفته ، وما يخدعون إلا أنفسهم . قال : وقد قال بعضهم : « وما يخدعون » ، يقول : يخدعون أنفسهم بالتَّخْلِيَةِ بها^(١) . وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾

إن قال قائل : أو ليس المناقون قد خدعوا المؤمنين - بما أظهروا بالسننهم من قيل الحق - عن أنفسهم وأموالهم وذرائعهم حتى سلمت لهم دنياهم ، وإن

(١) يعنى بقوله « بالتَّخْلِيَةِ بها » ، أى بالانفراد بها وإخفاء ما يبطنون من الكفر . كأن أراد أن يجعل اشتقاق « يخدعون » من المخدع ، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير ، وأراد السر الشديد لما يبطنون . وأخل بفلان يخلى به إخلاء : انفرد به في مكان خال . واستعمل « التَّخْلِيَةِ » بمعنى أنه حمل على الخلوة ، كأنه حمل نفسه على الخلوة بها والانفراد ، ليخفى ما فيها . وهذا الذى ذكره شرح لبقية الآية الذى سبأى بعد .

٩٢/١ كانوا قد كانوا مخلصين في أمر آخرتهم ؟

قيل : خطأ أن يقال إنهم خدعوا المؤمنين. لأننا إذا قلنا ذلك، أوجبنا لهم حقيقة خدعةٍ جازت لهم على المؤمنين^(١). كما أننا لو قلنا: قتل فلان فلاناً، أوجبنا له حقيقة قتلٍ كان منه لفلان. ولكننا نقول: خادع المنافقون ربهم والمؤمنين، ولم يخذعواهم بل خدعوا أنفسهم، كما قال جل ثناؤه، دون غيرها، نظير ما تقول في رجل قاتل آخر، فقتل نفسه ولم يقتل صاحبه: قاتل فلان فلاناً فلم يقتل إلا نفسه، فتوجب له مقاتلة صاحبه، وتنفي عنه قتله صاحبه، وتوجب له قتل نفسه. فكذلك تقول: «خادع المنافق ربهم والمؤمنين فلم يخذع إلا نفسه»، فثبت منه مخادعة ربه والمؤمنين، وتنفي عنه أن يكون خدع غير نفسه، لأن الخادع هو الذي قد صحت الخديعة له، ووقع منه فعلها. فالمنافقون لم يخذعوا غير أنفسهم، لأن ما كان لهم من مال وأهل، فلم يكن المسلمون مملوكوه عليهم — في حال خداعهم إياهم عنه بنفاقهم ولا قبلها — فيستنقذوه بخداعهم منهم، وإنما دافعوا عنه بكذبهم وإظهارهم بالسنتهم غير الذي في ضمائرهم، وبحكم الله لهم في أموالهم وأنفسهم وذرائعهم في ظاهر أمورهم بحكم ما انتسبوا إليه من الملة، والله بما يخفون من أمورهم عالم. وإنما الخادع من ختل غيره عن شئيه، والمخلص غير عالم بموضع خديعة خادعه. فأما والمخادع عارف بخداع صاحبه إياه = غير لاحق به من خداعه إياه مكروه، بل إنما يتجافى للظن به أنه له مخادع، استدراجاً، ليبلغ غاية يتكامل له عليه الحجة للعقوبة التي هو به موقوع عند بلوغ إياها^(٢)، والمستدرج غير عالم بحال نفسه عند مستدرجه، ولا عارف باطلاعه على ضميره، وأن إمهال مستدرجه إياه، تركه معاقبته على جرمه^(٣)، ليبلغ المخاتيل المخادع — من استحقاقه عقوبة مستدرجه،

(١) في المطبوعة: «جاءت لهم على المؤمنين»، وهو خطأ.

(٢) في المطبوعة: «التي هو بها موقوع»، وعنى: العقوبة التي هو موقوعها به...

(٣) في المطبوعة: «وأن إمهال مستدرجه، وتركه إياه معاقبته على جرمه»، وهو خطأ مفسد للمعنى.

بكثرة إساءته ، وطول عِصْيَانِهِ إِيَّاهُ ، وكثرة صفح المستدرج ، وطول عفوه عنه — أقصى غاية^(١) = فإنما هو خادع نفسه لا شك ، دون من حدّثته نفسه أنه له مخادع . ولذلك تنى الله جل ثناؤه عن المنافق أن يكون خَدَعَ غير نفسه ، إذ كانت الصِّفَةُ التي وَصَفْنَا صِفَتَهُ .

وإذ كان الأمر على ما وصفنا من خِدَاعِ المنافق ربّه وأهل الإيمان به ، وأنه غير صائر بخداعه ذلك إلى خديعة صحيحة إلا لنفسه دون غيرها ، لما يورّطها بفعله من الهلاك والعطب — فالواجب إذاً أن يكون الصحيح من القراءة : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ دون ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ لأن لفظ «المخادع» غير موجب تثيت خديعة على صحّة ، ولفظ «خادع» موجب تثيت خديعة على صحّة . ولا شك أن المنافق قد أوجب خديعة الله عز وجل لِنَفْسِهِ بما ركب من خداعه ربّه ورسوله والمؤمنين — بنفاقه ، فلذلك وجبت الصّحّة لقراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ .

ومن الدلالة أيضاً على أن قراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ أولى بالصّحة من قراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ ، أن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم يُخَادِعُونَ الله والمؤمنين في أول الآية ، فحال أن يتنى عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه ، لأن ذلك تضاد في المعنى ، وذلك غير جائر من الله جل وعز .

القول في تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ①

يعنى بقوله جل ثناؤه « وما يشعرون » ، وما يدرون . يقال : ما شعر فلان بهذا الأمر ، وهو لا يشعر به — إذا لم يدّر ولم يعلم — شعراً وشعوراً . وقال الشاعر :

(١) سياق هذه العبارة : « ليلغ الخفاة المخادع ... أقصى غاية » ، وسياق الذي يليها من صدر الجملة : « فأما والمخادع عارف ... فإنما هو خادع نفسه ... » ، وما بينهما فصل طويل .

عَقُّوا بِسَهْمٍ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ ثُمَّ اسْتَفَاوُا وَقَالُوا: حَبِّذَا الْوَضَحُ^(١)

يعنى بقوله : لم يشعر به ، لم يدرك به أحد ولم يعلم . فأخبر الله تعالى ذكره عن المنافقين : أنهم لا يشعرون بأن الله خادعهم ، بإملائه لهم واستدراجيه إياهم ، الذى هو من الله جل ثناؤه إبلاغ إليهم فى الحجة والمعدرة ، ومنهم لأنفسهم خديعة ، ولها فى الآجل مضرة ، كالذى - :

٣٢١- حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سألت

٩٤/١

ابن زيد عن قوله : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، قال : ما يشعرون أنهم ضرؤا أنفسهم ، بما أسروا من الكفر والنفاق . وقرأ قول الله تعالى ذكره : ﴿ يَوْمَ يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾ ، قال : هم المنافقون حتى بلغ ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [سورة المجادلة : ١٨] ، قد كان الإيمان ينفعهم عندكم^(٢) .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾

قال أبو جعفر : وأصل المَرَض : السَّقَم ، ثم يقال ذلك فى الأجساد والأديان . فأخبر الله جل ثناؤه أن فى قلوب المنافقين مَرَضاً ، وإنما عنى تبارك وتعالى بخبره

(١) الشعر للمتدخل الهدلى ، ديوان الهذليين ٢ : ٣١ ، وأمالى القالى ١ : ٢٤٨ ، وسمط اللالى ٥٦٣ . عقى بالسهم : رمى به فى السماء لا يريد به شيئاً ، وأصله فى النار والدية ، وذلك أنهم كانوا يجتمعون إلى أولياء المقتول بدية مكلمة ، ويسألونهم قبول الدية . فإن كانوا أقوياء أبوا ذلك ، وإلا أخذوا سهماً ورموا به فى السماء ، فإن عاد مضرراً بدم ، فقد زعموا أن ربهم نهاهم عن أخذ الدية . وإن رجع كما صعد ، فقد زعموا أن ربهم أمرهم بالعفو وأخذ الدية . وكل ذلك أبطل الإسلام . وفاء واستفاء : رجع . والوضح : اللبن . يهجوهم بالذلة والدناءة ، فأعدروا دم قتيالهم ، ورموا بالسهم الذى يزعمونه يأمرهم وينهاهم ، ورجعوا عن طاب الترة إلى قبيل الدية ، وآثروا إبل الدية وألبانها على دم قاتل صاحبهم ، وقالوا فى أنفسهم : اللبن أحب إلينا من القود وأنفع .

(٢) الأثر ٣٢١ - هو تمام الأثر الذى سلف : ٣٢٠ .

عن مرض قلوبهم ، الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد = ولكن لما كان معلوماً بالخبر عن مرض القلب ، أنه معنى به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد — استغنى بالخبر عن القلب بذلك = والكفاية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم^(١) ، كما قال عمر بن الخطاب :

وَسَبَّحْتَ الْمَدِينَةَ ، لَا تَلْهَاهَا ، رَأَتْ قَمَرًا بِسُوقِهِمْ نَهَارًا^(٢)

يريد : وسبح أهل المدينة ، فاستغنى بمعرفة السامعين خبره بالخبر عن

المدينة ، عن الخبر عن أهلها . ومثله قول عنزة العبسي :

هَلَا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ ؟ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي^(٣)

يريد : هلا سأل أصحاب الخيل ؟ ومنه قولهم : « يا خيّل الله اركبي » ،

يراد : يا أصحاب خيل الله اركبوا . والشواهد على ذلك أكثر من أن يُحصيها كتاب ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه .

فكذلك معنى قول الله جل ثناؤه : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ إنما يعني : في اعتقاد

قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين ، والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله — مَرَضٌ وَسُقُمٌ . فاجترأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه ، عن تصريح الخبر عن اعتقادهم .

والمرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفنا : هو شكهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله ، وتحيرهم فيه ، فلا هم به موقنون إيمان ، ولا هم له منكرون إنكار إشراك ، ولكنهم ، كما وصفهم الله عز وجل ، مُذَبْذَبُونَ بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء^(٤) ، كما يقال : فلان يُمرّض في هذا الأمر ،

(١) في المطبوعة : « والكناية عن تصريح الخبر . . . » ، وقوله : « والكفاية عن تصريح الخبر . . . » معطوف على قوله « الخبر عن مرض ما في قلوبهم . . . »

(٢) يأتي البيت في تفسير آية البقرة : ١١٠ (١ : ٣٩١ بولاق) .

(٣) في معلقته المشهورة .

(٤) تفسين آية سورة النساء : ١٤٣ .

أَيُّ يُضَعِّفُ الْعِزْمَ وَلَا يَصْحَحُ الرُّوْيَةَ فِيهِ .

وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك ، كَظَاهِرُ الْقَوْلِ فِي تَفْسِيرِهِ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

٣٢٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ،

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » ، أَيُّ شَكٌّ .

٣٢٣ - وَحَدَّثْتُ عَنْ الْمِنْجَنَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عَمَارَةَ ، عَنْ أَبِي

رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْمَرَضُ : النِّفَاقُ .

٣٢٤ - حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَرُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا

أَسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
- وَعَنْ مَرْثَةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » يَقُولُ : فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ .

٣٢٥ - حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » ، قَالَ : هَذَا مَرَضٌ فِي الدِّينِ ،
وَلَيْسَ مَرَضًا فِي الْأَجْسَادِ ، قَالَ : وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ .

٣٢٦ - حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ نَصْرٍ ، قَالَ :

أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ قِرَاءَةً ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ »
قَالَ : فِي قُلُوبِهِمْ رِيْبَةٌ وَشَكٌّ فِي أَمْرِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ .

٣٢٧ - وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ،

عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنْسٍ : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » قَالَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ
النِّفَاقِ ، وَالْمَرَضُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ : الشَّكُّ فِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ .

٣٢٨ - حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ

زَيْدٍ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ فِي ﴾

﴿ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ قال : المرض : الشك الذى دخلهم فى الإسلام^(١).

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾

قد دللنا آنفاً على أن تأويل المرض الذى وصف الله جل ثناؤه أنه فى قلوب ١٥/١ المنافقين ، هو الشك فى اعتقادات قلوبهم وأديانهم ، وما هم عليه — فى أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر نبوته وما جاء به — مقيمون.

فالمرض الذى أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنه زادهم على مرضهم ، نظير ما كان فى قلوبهم من الشك والحيرة قبل الزيادة ، فزادهم الله بما أحدث من حدوده وفرائضه — التى لم يكن فرضها قبل الزيادة التى زادها المنافقين — من الشك والحيرة ، إذ شكوا وارتابوا فى الذى أحدث لهم من ذلك —^(٢) إلى المرض والشك الذى كان فى قلوبهم فى السالف ، من حدوده وفرائضه التى كان فرضها قبل ذلك . كما زاد المؤمنين به إلى إيمانهم الذى كانوا عليه قبل ذلك ، بالذى أحدث لهم من الفرائض والحدود إذ آمنوا به ، إلى إيمانهم بالسالف من حدوده وفرائضه — إيماناً . كالذى قال جل ثناؤه فى تنزيله : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْسَكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي

(١) الأخبار : ٣٢٢ — ٣٢٨ ، نقلها ابن كثير ١ : ٨٨ ، والسيوطى ١ : ٣٠ ، والشوكانى

١ : ٣٠ — مع تتمتها الآتية فى تفسير بقية الآية ، بالأرقام : ٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ — على هذا التوالى . ولكن ٣٣٦ لم يذكر فيه عن ابن عباس .

و « المنجاب » فى ٣٢٣ ، ٣٣٦ : هو ابن الحارث بن عبد الرحمن التميمى ، من شيوخ مسلم ، روى عنه فى صحيحه ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وهو بكسر الميم وسكون النون وفتح الجيم وآخره باء موحدة .

(٢) سياق العبارة : « فزادهم الله بما أحدث من حدوده . . . من الشك والحيرة . . . إلى المرض والشك الذى كان فى قلوبهم . . . » .

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٤﴾
 [سورة التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥]. فالزيادة التي زيدها المنافقون من الرجاسة إلى رجاستهم ،
 هو ما وصفنا. والتي زيدها المؤمنون إلى إيمانهم ، هو ما بينا. وذلك هو التأويل
 المجمع عليه .

ذكر بعض من قال ذلك من أهل التأويل :

٣٢٩ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد
 بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن
 عباس : « فزادهم الله مَرَضًا » ، قال : شكًا

٣٣٠ - حدثني موسى بن هرون ، قال : أخبرنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
 أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن
 ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم : « فزادهم الله مَرَضًا » ، يقول : فزادهم الله ريبةً وشكًا .

٣٣١ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا
 ابن المبارك قراءةً ، عن سعيد ، عن قتادة : « فزادهم الله مرضًا » ، يقول : فزادهم
 الله ريبةً وشكًا في أمر الله .

٣٣٢ - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول
 الله : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا » ، قال : زادهم رجسًا ، وقرأ قول الله عز
 وجل : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴿١٢٤﴾ قال : شرًا إلى شرهم ، وضلالةً إلى ضلالهم .
 ٣٣٣ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ،
 عن الربيع : « فزادهم الله مَرَضًا » ، قال : زادهم الله شكًا (١) .

(١) الأخبار : ٣٢٩ - ٣٣٣ : هي تمام الآثار السالفة : ٣٢٢ - ٣٢٨ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قال أبو جعفر : والأليم : هو المٌوجع . ومعناه : ولهم عذاب مؤلم . بصرف « مؤلم » إلى « أليم »^(١) ، كما يقال : ضُربٌ وجيعٌ بمعنى مُوجع ، والله بَدِيع السموات والأرض ، بمعنى مُبْدِع . ومنه قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ^(٢)

بمعنى المُسْمِع . ومنه قول ذي الرمة :

وَتَرَفَّعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرَدَلَاتٍ يَصْدُ وَجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمٌ^(٣)

ويروى « يَصُكُّ » ، وإنما الأليم صفةٌ للعذاب ، كأنه قال : ولهم عذاب مؤلم . وهو مأخوذ من الألم ، والألم : الوجع . كما - :

٣٣٤ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الله بن

أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : الأليم ، المٌوجع .

٣٣٥ - حدثنا يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا جُوَيْبِر ، عن

الضحاك ، قال : الأليم ، المٌوجع^(٤) .

(١) في المطبعة : « فصرف مؤلم . . . » .

(٢) الأصمعيات : ٤٣ ، ويأتي في تفسير آية سورة يونس : ١ (١١ : ٥٨ بولاق) . وريحانة : هي بنت معديكرب ، أخت عمرو بن معديكرب ، وهي أم دريد بن الصمة ، وكان أبوه للصمة ، سبأها وتزوجها . (الأغاني ١٠ : ٤) .

(٣) ديوانه : ٥٩٢ . وقوله « وترفع من صدور . . . » أي نستعنها في السير ، والإبل إذا أسرعت رفعت من صدورها . وشمردلات جمع شمردلة : وهي الناقة الحسنة الجميلة الخلق الفتية المريعة . وقوله « يصد وجوهها » أي يستقبل وجوهها ويضربها وهج أليم ، فتصد وجوهها أي تلاويها كالمرضة عن لثنته . ورواية ديوانه : « يصك » ، وصكه صكة : ضربه ضربة شديدة . والوهج : حرارة الشمس ، أو حرارة النار من بعيد .

(٤) الأثر ٣٣٥ - يعقوب : هو ابن إبراهيم الدورقي الحافظ . هشيم - بضم الهاء : هو ابن بشير ، بفتح الباء وكسر الشين الممجنة ، بن القاسم ، أبو معاوية الواسطي ، إمام حافظ كبير ، روى عنه

٣٣٦ - وحديث عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله « أليم » ، قال : هو العذاب المجمع . وكل شيء في القرآن من الأليم فهو المجمع ^(١) .

...

٩٦/١

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ^(١)

اختلفت القرآنة في قراءة ذلك ^(٢) ، فقرأه بعضهم : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ مخففة الذال مفتوحة الياء ، وهي قراءة عظم قرآنة أهل الكوفة . وقرأه آخرون : ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ بضم الياء وتشديد الذال ، وهي قراءة عظم قرآنة أهل المدينة والحجاز والبصرة ^(٣) .

وكأن الذين قرأوا ذلك ، بتشديد الذال وضم الياء ، رأوا أن الله جل ثناؤه إنما أوجب للمنافقين العذاب الأليم بتكذيبهم نبيه صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وأن الكذب لولا التكذيب لا يوجب لأحد اليسير من العذاب ، فكيف بالأليم منه ؟ وليس الأمر في ذلك عندي كالذي قالوا . وذلك : أن الله عز وجل أنبا عن المنافقين في أول النبأ عنهم في هذه السورة ، بأنهم يكذبون بدعواهم الإيمان ، وإظهارهم ذلك بالسنتهم ، خداعاً لله عز وجل ولرسوله وللمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يخادعون الله والذين آمنوا

الأئمة : أحمد وابن المديني وغيرهما ، وقال عبد الرحمن بن مهدي : « كان هشيم أحفظ للحديث من سفيان الثوري » . ومعنى هذا الأثر مضمن في الذي بعده : ٣٣٦ .

(١) الأثر ٣٣٦ - ذكره السيوطي ١ : ٣٠ . وأشار إليه الشوكاني ١ : ٣٠ .

(٢) في المطبوعة : « اختلفت القراءة » ، والقراءة : جمع قارئ ، وانظر ما مضى ، ٥١ تعليق ،

وص ٦٤ تعليق : ٤ ، وص ١٠٩ تعليق : ١ .

(٣) في المطبوعة : « قراءة معظم أهل الكوفة » ، و « قراءة معظم أهل المدينة . . . » ، وعظم

الناس : معظمهم وأكثرهم . وانظر للتعليل السالف ، ثم ص ١٠٩ تعليق : ١ .

بذلك من قبلهم ، مع استسراهم الشك والريبة ، ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ بصنيعهم ذلك ﴿ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ﴾ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ؛ ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بموضع خديعتهم أنفسهم ، واستلراج الله عز وجل إيتامهم بإملائه لهم ، ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ شك النفاق وريبته^(١) والله زائلهم شكاً وريبة بما كانوا يكذبون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم بالسنتهم آمناً بالله وبالיום الآخر ، وهم في قبلهم ذلك كذبة ، لاستسراهم الشك والمرض في اعتقادات قلوبهم في أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم . فأولى في حكمة الله جل جلاله ، أن يكون الوعيد منه لهم على ما افتتح به الخبر عنهم من قبيح أفعالهم وذمهم أخلاقهم ، دون ما لم يجز له ذكر من أفعالهم . إذ كان سائر آيات تنزيله بذلك نزل ، وهو : أن يفتتح ذكر محاسن أفعال قوم ، ثم يختم ذلك بالوعد على ما افتتح به ذكره من أفعالهم ، ويفتح ذكر مساوي أفعال آخرين ، ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتداء به ذكره من أفعالهم . فكذاك الصحيح من القول — في الآيات التي افتتح فيها ذكر بعض مساوي أفعال المنافقين — أن يختم ذلك بالوعد على ما افتتح به ذكره من قبائح أفعالهم . فهذا هذا^(٢) ، مع دلالة الآية الأخرى على صحة ما قلنا ، وشهادتها بأن الواجب من القراءة ما اخترنا ، وأن الصواب من التأويل ما تأولنا ، من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذاب الأليم على الكذب الجامع معنى الشك والتكذيب ، وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [سورة المنافقون : ٢٤] . والآية

(١) في المطبوعة : « في قلوبهم شك » ، أي نفاق وريبة . واللى في المخطوطة أصح .

(٢) في المطبوعة : « فهذا مع دلالة الآية الأخرى . . . » ، ولم يأت في الجملة خبر قوله « فهذا » ، واللى في المخطوطة هو الصواب .

الأخرى في المجادلة: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [سورة المجادلة : ١٦]. فأخبر جل ثناؤه أن المنافقين - بقليلهم ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع اعتقادهم فيه ما هم معتقدون - كاذبون . ثم أخبر تعالى ذكره أن العذاب المهيّن لهم ، على ذلك من كذبهم . ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القاريّون في سورة البقرة: «ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون» لكانت القراءة في السورة الأخرى: «والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيداً على التكذيب لا على الكذب. وفي إجماع المسلمين على أن الصواب من القراءة في قوله: «والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» بمعنى الكذب - وأن إيعاد الله تبارك وتعالى فيه المنافقين العذاب الأليم على ذلك من كذبهم - أوضح الدلالة على أن الصحيح من القراءة في سورة البقرة: «بما كانوا يكذبون» بمعنى الكذب، وأن الوعيد من الله تعالى ذكره للمنافقين فيها على الكذب - حق - لا على التكذيب الذي لم يجر له ذكر - نظير الذي في سورة المنافقين سواء.

وقد زعم بعض نحويّ البصرة أن «ما» من قول الله تبارك اسمه «بما كانوا يكذبون»، اسم للمصدر، كما أن «أن» و «الفعل» اسمان للمصدر في قولك: أحب أن تأتي، وأن المعنى إنما هو بكذبهم وتكذيبهم. قال: وأدخل «كان» ليخبر أنه كان فيما مضى، كما يقال: ما أحسن ما كان عبد الله، فأنت تعجب من عبد الله لا من كونه، وإنما وقع التعجب في اللفظ على كونه. وكان بعض نحويّ الكوفة ينكر ذلك من قوله ويستخطئه، ويقول: إنما الغيبة «كان» في التعجب، لأن الفعل قد تقدّمها، فكأنه قال: «حسنًا كان زيد» و«حسن كان زيد» يبطل «كان»، ويعمّل مع الأسماء والصفات التي بالفاظ الأسماء، إذا جاءت قبل «كان»، ووقعت «كان» بينها وبين الأسماء. وأما العلة في إبطالها إذا أبطلت في هذه الحال، فليشبهه الصفات والأسماء: «فعل» و«يفعل» اللتين لا يظهر عمل

« كان » فيهما . ألا ترى أنك تقول : « يقوم كان زيد » ولا يظهر عمل « كان » في « يقوم » ، وكذلك « قام كان زيد » . فلذلك أبطل عملها مع « فاعل » تمثيلاً بـ « فعل » و « يفعل » ، وأعملت مع « فاعل » أحياناً لأنه اسم ، كما تعمل في الأسماء . فأما إذا تقدمت « كان » الأسماء والأفعال ، وكان الاسم والفِعْلُ بعدها ، فخطأ عنده أن تكون « كان » مبطله . فلذلك أحال قول البصري الذي حكيناه ، وتأول قول الله عز وجل « بما كانوا يكذبون » أنه بمعنى : الذي يكذبونه .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ ﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية :

فروى عن سلمان الفارسي أنه كان يقول : لم يجي هؤلاء بعد .

٣٣٧ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثام بن علي ، قال : حدثنا

الأعمش ، قال : سمعت المنهال بن عمرو يحدث ، عن عباد بن عبد الله ، عن

سلمان ، قال : ما جاء هؤلاء بعد ، الذين ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ^(١)

(١) الخبر ٣٣٧ - عثام - بفتح العين المهملة وتشديد الراء المثناة - بن علي العامري : ثقة ، وثقه أبو زرعة وابن سعد وغيرهما . ترجمه ابن سعد ٦ : ٢٧٣ ، والبخاري في الكبير ٩٣/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٤/٢/٣ . المنهال بن عمرو الأسدي : ثقة ، رجحنا توثيقه في المسند : ٧١٤ ، وقد جزم البخاري في الكبير ١٢/٢/٤ أن شعبة روى عنه ، ورواية شعبة عنه ثابتة في المسند : ٣١٣٣ . عباد ابن عبد الله : هو الأسدي الكوفي ، قال البخاري : « فيه نظر » ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وضعفه ابن المديني ، وذكر ابن أبي حاتم ٨٢/١/٣ أنه « سمع علياً » . وقد بينت في شرح المسند : ٨٨٣ أن حديثه حسن . وسلمان : هو سلمان الخير الفارسي الصحابي ، رضى الله عنه . وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٩١ ، والسيوطي ١ : ٣٠ ، ونسبه أيضاً لوكيع وابن أبي حاتم ، وذكره الشوكاني ١ : ٢١ ونسبه لابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم ، ولم أجد نسبته لابن اسحق عند غيره .

٣٣٨- حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم، قال : حدثنا عبد الرحمن بن شريك، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثني الأعمش ، عن زيد بن وهب وغيره ، عن سلمان ، أنه قال في هذه الآية ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، قال : ما جاء هؤلاء بعد^(١) .

وقال آخرون بما - :

٣٣٩- حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، هم المنافقون . أما « لا تفسدوا في الأرض » ، فإن الفساد، هو الكفر والعمل بالمعصية.

٣٤٠- وجدت عن عمار بن الحسن، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يقول : لا تعصوا في الأرض ﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ ، قال : فكان فسادهم ذلك معصية الله جل ثناؤه ، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته ، فقد أفسد في الأرض ، لأن إصلاح الأرض والسماء بالطاعة^(٢) .

(١) الخبر ٣٣٨ - أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي : ثقة ، وثقه النسائي والبزار وغيرهما ، روى عنه البخاري ومسلم في الصحيحين ، وهو من الشيوخ القلائل الذين روى عنهم البخاري ومسلم أحياء ، فإنه مات سنة ٢٦٠ أو ٢٦١ ، والبخاري مات سنة ٢٥٦ . عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله النخعي : ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : « واهي الحديث » . وإسناده عندي حسن ، وقد مضى قبله بإسناد آخر حسن . فكل منهما يقوى الآخر ، وقد نقله ابن كثير ١ : ٩١ عن الطبري بهذا الإسناد .

(٢) الأثر ٣٤٠ - قوله : « قالوا إنما نحن مصلحون » ، من المخطوطة ، وليس في المطبوعة ، وفي المطبوعة والمخطوطة : « فكان فسادهم على أنفسهم ذلك معصية الله . . . » ، و « على أنفسهم » كأنها زيادة من الناسخ ، وليست فيما نقله ابن كثير عن الطبري .

وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : إن قول الله تبارك اسمه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان معنياً بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة .

وقد يحتمل قول سلمان عند تلاوة هذه الآية : « ما جاء هؤلاء بعد » ، أن يكون قاله بعد فناء الذين كانوا بهذه الصفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خبراً منه عن هو جاء منهم بعدهم ولما يحيى بعد^(١) ، لا أنه عنى أنه لم ٩٨/١ يمحض ممن هذه صفته أحد .

وإنما قلنا أولى التأويلين بالآية ما ذكرنا ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك صفة من كان بين ظهراني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — من المنافقين ، وأن هذه الآيات فيهم نزلت . والتأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن ، من قول لا دلالة على صحته من أصل ولا نظير . والإفساد في الأرض ، العمل فيها بما نهى الله جل ثناؤه عنه ، وتضييع ما أمر الله بحفظه ، فذلك جملة الإفساد ، كما قال جل ثناؤه في كتابه مخبراً عن قبيلا ملائكته : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠] ، يعنون بذلك : أتجعل في الأرض من يعصيك ويخالف أمرك ؟ فكذلك صفة أهل النفاق : مُفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه ، وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من أحد عملاً إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته^(٢) ، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ، وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكُتُبه ورسله على أولياء الله ، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً . فذلك إفساد المنافقين في أرض الله ، وهم

(١) في المطبوعة : « عن جاء منهم بعدهم » ، وهو محيل للمعنى ، والصواب من المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « بحقيقته » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير .

يحسبون أنهم يفعلهم ذلك مصلحون فيها . فلم يسقط الله جل ثناؤه عنهم عقوبته ، ولا خفف عنهم أليم ما أعد من عقابه لأهل معصيته — بحسبانهم أنهم فيما أتوا من معاصي الله مصلحون — بل أوجب لهم الدرك الأسفل من ناره ، والأليم من عذابه ، والعار العاجل بسبب الله إياهم وشتيمه لهم ، فقال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . وذلك من حكم الله جل ثناؤه فيهم ، أدل الدليل على تكذيبه تعالى قول القائلين : إن عقوبات الله لا يستحقها إلا المعاند ربّه فيما لزمه من حقوقه وفروضه ، بعد علمه وثبوت الحجّة عليه بمعرفته بلزوم ذلك إياه .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١١)

وتأويل ذلك كالذى قاله ابن عباس ، الذى — :

٣٤١ — حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، أى قالوا : إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب .
وخالفه فى ذلك غيره .

٣٤٢ — حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، قال : إذا ركبوا معصية الله ففعلوا كذا وكذا ، قالوا : إنما نحن على الهدى ، مصلحون (١) .

(١) الخبران ٣٤١، ٣٤٢ — ساقهما ابن كثير ٩١ : ١ ، والسيوطى ٢٠ : ١ والشوكانى ٣٠ : ١ .

قال أبو جعفر : وأى الأمرين كان منهم في ذلك ، أعنى في دعواهم أنهم مُصلحون ، فهم لاشك أنهم كانوا يحسبون أنهم فيما أتوا من ذلك مصلحون . فسواء بين اليهود والمسلمين كانت دعواهم الإصلاح ، أو في أديانهم ، وفيما ركبوا من معصية الله ، وكذبهم المؤمنين فيما أظهروا لهم من القول وهم لغير ما أظهروا مُستبطنون ، لأنهم كانوا في جميع ذلك من أمرهم عند أنفسهم محسنين ، وهم عند الله مُسيئون ، ولأمر الله مخالفون . لأن الله جل ثناؤه قد كان فرض عليهم عداوة اليهود وحربهم مع المسلمين ، وألزمهم التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله ، كالذى ألزم من ذلك المؤمنين . فكان لقاءهم اليهود - على وجه الولاية منهم لهم ، وشكهم في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به أنه من عند الله - أعظم الفساد ، وإن كان ذلك كان عندهم إصلاحاً وهُدًى : في أديانهم أو فيما بين المؤمنين واليهود ، فقال جل ثناؤه فيهم : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ الذين يهونهم من المؤمنين عن الإفساد في الأرض ، ﴿ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

٩٩/١

...

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾

وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

وهذا القول من الله جل ثناؤه تكذيب للمنافقين في دعواهم . إذا أمروا بطاعة الله فيما أمرهم الله به ، ونهوا عن معصية الله فيما نهاهم الله عنه ، قالوا : إنما نحن مصلحون لا مفسدون ، ونحن على رُشدٍ وهُدًى - فيما أنكرتموه علينا - دونكم لا ضالُّون . فكذبهم الله عز وجل في ذلك من قبلهم فقال : ألا إنهم هم المفسدون المخالفون أمر الله عز وجل ، المتعدُّون حدَّ ودِّه ، الراكبون معصيته ، التاركون فروضه ، وهم لا يشعرون ولا يتدرون أنهم كذلك - لا الذين يأمرهم بالقسط من المؤمنين ،

وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

• • •

القول في تأويل قول الله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا

آمَنَ النَّاسُ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾

يعنى : وإذا قيل لهؤلاء الذين وصّفهم الله ونعتهم بأنهم يقولون : ﴿آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ : صدّقوا بمحمد وبما جاء به من عند الله ، كما صدّق به الناس . ويعنى بـ « الناس » : المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ونبوته وما جاء به من عند الله ، كما — :

٣٤٣ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ،

عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ ، يقول : وإذا قيل لهم صدّقوا كما صدّق أصحاب محمد ، قولوا : إنه نبيٌّ ورسول ، وإنّ ما أنزل عليه حقّ ، وصدّقوا بالآخرة ، وأنّكم مبعوثون من بعد الموت ^(١) .

ولأنما أدخلت الألف واللام في « الناس » ، وهم بعضُ الناس لا جميعهم ، لأنهم كانوا معروفين عند الذين خُوطبوا بهذه الآية بأعيانهم ، ولأنما معناه : آمِنُوا كما آمَنَ الناس الذين تعرفونهم من أهل اليقين والتصديق بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر . فلذلك أدخلت الألف واللام فيه ، كما أدخلت في قوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

(١) الخبر ٣٤٣ — نقله السيوطي ١ : ٣٠ ، والشوكاني ١ : ٣١ ، ويأتى تمامه في تفسير

بقية الآية ، برقمي : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

فَاخْشَوْهُمْ ﴿ [سورة آل عمران : ١٧٣] ، لأنه أشير بدخولها إلى ناس معروفين عند مَنْ
خُوطب بذلك .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ كَمَاءِ مَنْ السُّفَهَاءِ ﴾

قال أبو جعفر : والسفهاء جمع سَفِيه ، كما العلماء جمع عليم ^(١) ، والحكماء
جمعُ حكيم . والسفيه : الجاهل ، الضعيفُ الرأي ، القليلُ المعرفة بمواضع المنافع
والمضار . ولذلك سَمَى الله عز وجل النساء والصبيان سفهاء ، فقال تعالى :
﴿ وَلَا تُوْثِقُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [سورة النساء : ٥] ،
فقال عامة أهل التأويل : هم النساء والصبيان ، لضعف آرائهم ، وقلة معرفتهم بمواضع
المصالح والمضار التي تصرف إليها الأموال .

ولمَّا عَنَى المنافقون بقبيلهم : أنؤمن كما آمن السفهاء — إذ دُعوا إلى التصديق
بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، والإقرار بالبعث فقبل
لهم : آمنوا كما آمن [الناس] ^(٢) — أصحاب محمد وأتباعه من المؤمنين المصدقين
به ، من أهل الإيمان واليقين ، والتصديق بالله ، وبما افترض عليهم على لسان رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم وفي كتابه ، وباليوم الآخر . فقالوا إجابة لقائل ذلك
لهم : أنؤمن كما آمن أهل الجهل ، ونصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم كما صدق
به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا أفهام ؟ كالذى — :

٣٤٤ — حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السُّدِّيِّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن

(١) في المطبوعة : « كالعلماء . . . »

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « فقال لهم آمنوا كما آمن أصحاب محمد . . . » ، وهو كلام مضطرب
والصواب ما أثبتناه . وقوله : « أصحاب محمد » مفعول قوله : « ولما عنى المنافقون بقبيلهم . . . » .

عباس - وعن مرة الهَمْدَانِي، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ ، يعنون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٤٥ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : ١٠٠/١ حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

٣٤٦ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : « قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ » ، قال : هذا قول المناققين ، يريدون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٤٧ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ يقولون : أنقول كما تقول السفهاء ؟ يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، لخلافهم لدينهم ^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله تعالى عن المناققين الذين تقدم نعتهم لهم ، ووصفهم إياهم بما وصفهم به من الشك والتكذيب - أنهم هم الجهال في أديانهم ،

(١) الأخبار ٣٤٤ - ٣٤٧ : أشار إليها ابن كثير ١ : ٩٢ والسيوطي ١ : ٣٠ والشوكاني

١ : ٣١ والأخير منها من تسمية الخبر : ٣٤٣ .

الضعفاء الآراء في اعتقاداتهم واختياراتهم التي اختاروها لأنفسهم ، من الشك والريب في أمر الله وأمر رسوله وأمر نبوته ، وفيما جاء به من عند الله ، وأمر البعث ، لإساءتهم إلى أنفسهم بما أتوا من ذلك وهم يحسبون أنهم إليها مُحْسِنُونَ. وذلك هو عَيْنُ السُّفْهَةِ ، لأن السفه إنما يُفسد من حيث يرى أنه يُصلح ، ويُضيع من حيث يرى أنه يحفظ ، فكذلك المنافق : يَعْصِي رَبَّهُ من حيث يرى أنه بطبعه ، ويكفر به من حيث يرى أنه يؤمن به ، ويسىء إلى نفسه من حيث يحسب أنه يُحسن إليها ، كما وصفهم به ربنا جل ذكره ، فقال : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾ — دون المؤمنين المصدقين بالله وبكتابه ، وبرسوله وشوابه وعقابه — ﴿ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ . وكذلك كان ابن عباس يتأول هذه الآية .

٣٤٨ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس يقول الله جل ثناؤه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾ ، يقول : الجهال ، ﴿ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ، يقول : ولكن لا يعقلون^(١) .
وأما وَجْهُ دُخُولِ الألف واللام في « السُّفَهَاء » ، فشبهه بوجه دُخُولِهما في « الناس » في قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ ، وقد بيَّنا العلة في دُخُولِهما هنالك ، والعلة في دُخُولِهما في « السُّفَهَاء » نظيرتها في دُخُولِهما في « الناس » هنالك ، سواء .

والدلالة التي تدل عليه هذه الآية من خطأ قول من زعم أن العقوبة من الله لا يستحقها إلا المعاند ربّه ، بعد علمه بصحة ما عانده فيه — نظير دلالة الآيات الأخر التي قد تقدم ذكرنا تأويلها في قوله « وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ » ، ونظائر ذلك^(٢) .

• • •

(١) الخبر ٣٤٨ — هوتمة الخبرين : ٣٤٣ ، ٣٤٧ .

(٢) في المطبوعة : « مع علمه بصحة ما عانده فيه » ، وفيها أيضاً : « . . . ونظائر ذلك » .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وهذه الآية نظيرة الآية الأخرى التي أخبر الله جل ثناؤه فيها عن المنافقين بخداعهم الله ورسوله والمؤمنين، فقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . ثم أكذبهم تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وأنهم بقليلهم ذلك يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا . وكذلك أخبر عنهم في هذه الآية أنهم يقولون — للمؤمنين المصدقين بالله وكتابه ورسوله — بالسنتهم : آمنا وصدقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله ، خداعاً عن دمائهم وأموالهم وذرائعهم ، ودرءاً لهم عنها ، وأنهم إذا خَلَوْا إلى مَرَدَّتِهِمْ وأهل العُتُوِّ والشر والخُبث منهم ومن سائر أهل الشرك^(١) ، الذين هم على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله — وهم شياطينهم ، وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن شياطين كل شيء مَرَدَّتُهُ — قالوا لهم : « إنا معكم » ، أى إنا معكم على دينكم ، وظُهِرَ أَوَّكَمَ على من خالفكم فيه ، وأولياؤكم دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، « إنما نحن مستهزئون » بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه ، كالذى — :

٣٤٩ — حدثنا محمد بن العلاء^(٢) ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا

١٠١/١ بيشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ ، قال : كان رجال من اليهود إذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو بعضهم ، قالوا : إنا على دينكم . وإذا خلوا إلى أصحابهم ، وهم شياطينهم ، قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

(١) في المخطوطة : « وأنهم إذا خلوا إلى أهل مودتهم » ، والذي في المطبوعة أصح في سياق تفسيره .

(٢) « محمد بن العلاء » ، هو « أبو كريب » ، الذي أكثر الرواية عنه فيما مضى وفيما يستقبل .

٣٥٠ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ قال : إذا خلوا إلى شياطينهم من يهود ، الذين يأمرونهم بالكذب وخلاف ما جاء به الرسول ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، أى إنا على مثل ما أنتم عليه ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾ .

٣٥١ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، أما شياطينهم ، فهم رؤوسهم في الكفر .

٣٥٢ - حدثنا بشر بن معاذ العقدي^(١) ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ أى رؤوسهم في الشر ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾ .

٣٥٣ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا معمر عن قتادة في قوله ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، قال : المشركون .

٣٥٤ - حدثني محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، قال : إذا خلا المنافقون إلى أصحابهم من الكفار .

٣٥٥ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، عن شبيل ابن عباد ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، قال : أصحابهم من المنافقين والمشركين .

٣٥٦ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي

(١) بشر بن معاذ العقدي : ثقة معروف ، روى عنه الترمذي : والنسائي وابن ماجه وغيرهم .
و « العقدي » : بالعين المهملة والقاف المفتوحين ، نسبة إلى « العقدة » : بطن من بحيلة .

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، قال : إخوانهم من المشركين ، ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴾ .

٣٥٧- حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج في قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ ، قال : إذا أصاب المؤمنين رخاء قالوا : إنا نحن معكم ، إنما نحن إخوانكم ، وإذا خلوا إلى شياطينهم استهزأوا بالمؤمنين .

٣٥٨- حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : وقال مجاهد : شياطينهم : أصحابهم من المنافقين والمشركين^(١) . فإن قال لنا قائل : أرايت قوله ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ؟ فكيف قيل : ﴿ خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، ولم يقل خَلَّوْا بشياطينهم ؟ فقد علمت أن البخاري بين الناس في كلامهم : « خلوتُ بفلان » أكثر وأفشى من : « خلوتُ إلى فلان » ، ومن قولك : إن القرآن أفصح البيان !

قيل : قد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب . فكان بعض نحويي البصرة يقول : يقال « خلوتُ إلى فلان » إذا أريد به : خلوتُ إليه في حاجة خاصة . لا يَحْتَمِلُ - إذا قيل كذلك - إلا الخلاء إليه في قضاء الحاجة . فأما إذا قيل : « خلوتُ به » احتمل معنيين : أحدهما الخلاء به في الحاجة ، والآخر في السخرية به . فعلى هذا القول ، ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، لا شك أفصح منه لو قيل « وإذا خلوا بشياطينهم » ، لما في قول القائل : « إذا خلوا بشياطينهم » من التباس المعنى على سامعيه ، الذي هو مُنتَفٍ عن قوله : « وإذا خلوا إلى شياطينهم » . فهذا أحد الأقوال . والقول الآخر : فَأَنْ تَوَجَّهَ معنًى^(٢) قوله ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، « وإذا

(١) هذه الآثار السالفة : ٢٤٩ - ٢٥٨ : ذكر أكثرها ابن كثير في تفسيره ١ : ٩٢ ،

والسيوطي ١ : ٢١ ، والشوكاني ١ : ٢٢ .

(٢) في المطبوعة : « والقول الآخر : أن توجيه معنًى قوله » .

خلوا مع شياطينهم ، إذ كانت حروف الصفات يُعاقِبُ بعضها بعضاً ^(١) ، كما قال الله مخبراً عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [سورة الصف : ١٤] ، يريد : مع الله . وكما توضع « على » في موضع « من » ، و« في » و« عن » و« الباء » ، وكما قال الشاعر :

إِذَا رَضِيتَ عَلَى بَنُو قَشِيرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أُعْجِبَنِي رِضَاهَا ^(٢)
بمعنى عَنَى .

وأما بعض نحوي أهل الكوفة ، فإنه كان يتأول أن ذلك بمعنى : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم — فيزعم أن الجالب لـ « إلى » ، المعنى الذي دل عليه الكلام : من انصرف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم ، لا قوله « خَلَوْا » . وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع « إلى » غيرها ، لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها . وهذا القول عندى أولى بالصواب ، لأن لكل حرف من حُرُوف المعاني وجهاً هو به أولى من غيره ^(٣) ، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها . ولـ « إلى » في كل موضع دخلت من الكلام حُكْمٌ ، وغيرُ جائز سلبها معانيها في أماكنها .

• • •

(١) حروف الصفات : هي حرف الجر ، وسميت حروف الجر ، لأنها تجر ما بعدها ، وسميت حروف الصفات ، لأنها تحدث في الاسم صفة حادثة ، كقولك : « جلست في الدار » ، دلت على أن الدار وعاء للجلوس . وقيل : سميت بذلك ، لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات . ويسمى الكوفيون أيضاً : حروف الإضافة ، لأنها تضيف الاسم إلى الفعل ، أي توصله إليه وتربطه به . (مع الموامع ٢ : ١٩) وتسمى أيضاً حروف المعاني ، كما سيأتي بعد قليل . والمعاقبة : أن يستعمل أحدهما مكان الآخر بمثل معناه .

(٢) الشعر للقحيف المقييل ، يمدح حكيم بن المسيب القشيري . نوادر أبي زيد : ١٧٦ ، خزانة الأدب ٤ : ٢٤٧ ، وغيرهما كثير .

(٣) حروف المعاني ، هي حروف الصفات ، وحروف الجر ، كما مضى آنفاً ، تعليق : ١

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١٤)

أجمع أهل التأويل جميعاً — لا خلاف بينهم — على أن معنى قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ : إنما نحن مستهزون . فمعنى الكلام إذاً : وإذا انصرف المنافقون خالين إلى مردتهم من المنافقين والمشركين قالوا : إنا معكم على ما أنتم عليه من التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، ومعاداته ومعاداة أتباعه ، إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، بقلنا لهم إذا لقيناهم : آمناً بالله وباليوم الآخر (١) ، كما — :

٣٥٩— حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : قالوا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

٣٦٠— حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، أى : إنما نحن نستهزئ بالقوم ونلعبُ بهم .

٣٦١— حدثنا بشر بن معاذ العقدي ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، إنما نستهزئ بهؤلاء القوم ونسخر بهم .

٣٦٢— حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، أى نستهزئ بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

(١) في المطبوعة : « في قلنا لهم إذا لقيناهم » .
(٢) هذه الآثار تنمة الآثار السالفة في تفسير أول الآية .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف في صفة استهزاء الله جلّ جلاله ، الذي ذكر أنه فاعله بالمنافقين ، الذين وصّف صفتهم . فقال بعضهم : استهزاؤه بهم ، كالذي أخبرنا تبارك اسمه أنه فاعل بهم يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى] [سورة الحديد : ١٣ ، ١٤] . الآية . وكالذي أخبرنا أنه فعل بالكفار بقوله : ﴿ وَلَا يَخْشَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٨] . فهذا وما أشبهه من استهزاء الله جلّ وعزّ ومخزيتيه ومكره وخديعتيه للمنافقين وأهل الشرك به — عند قائل هذا القول ، ومتأويل هذا التأويل .

وقال آخرون : بل استهزاؤه بهم ، توبيخه إياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصي الله والكفر به ، كما يقال : « إن فلاناً ليُستهزأ منه منذ اليوم ، ويُسخر منه » ، يُراد به توبيخ الناس إياه ولومهم له ، أو إهلاكه إياهم وتدميرُهُ بهم^(١) ، كما قال عبّيد ابن الأبرص :

سَائِلُ بِنَا حُجْرَ ابْنِ أُمٍّ قَطَامٍ ، إِذْ ظَلَّتْ بِهِ السَّمَرُ النَّوَاهِلُ تَلْعَبُ^(٢)

(١) الضمير لله سبحانه وتعالى ، وهو مطوف على قوله « توبيخه إياهم . . . » .

(٢) ديوانه : ١٦ ، وأمالى المرتضى ١ : ٤١ ، وحجر ، أبو امرئ القيس ، وكانت قتلته بنو أسد رهط عبّيد بن الأبرص . وأم قطام ، هي أم حجر ملك كندة . والنواهل جمع فاهل وناهلة : والناهل : المطشان ، توصف به الرياح ، كأنها تمطش إلى الدم ، فإذا شرعت في الدم رويت .

فزعوا أن السُّمَر - وهي القنَّاء - لا لعب منها ، ولكنها لما قتلتهم وشرَّدتهم ،
 ١٠٣/١ جعل ذلك من فعلها لعباً بمن فعلت ذلك به . قالوا : فكذلك استهزاءُ الله جل
 ثناؤه بمن استهزأ به من أهل النفاق والكفر به : إما إهلاكه إياهم وتدميرُه بهم ،
 وإما إملاؤه لهم ليأخذهم في حال أمنهم عند أنفسهم بغتةً ، أو توبيخه لهم ولائمتهم إياهم .
 قالوا : وكذلك معنى المكر منه والخديعة والسُّخْرية .

وقال آخرون قوله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾^(١) [سورة النساء : ١٤٢] ،
 على الجواب ، كقول الرجل لمن كان يَخْدَعُه إذا ظفربه : « أنا الذي خدعتك » ،
 ولم تكن منه خديعة ، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه . قالوا : وكذلك قوله :
 ﴿ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٤] ، و « الله
 يستهزئ بهم » ، على الجواب . والله لا يكونُ منه المكرُ ولا الهُزءُ ، والمعنى أن
 المكرَ والهُزءَ حاقَ بهم .

وقال آخرون : قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يُسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، وقوله :
 ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٤٢] ، وقوله : ﴿ فَيَسْخَرُونَ
 مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٧٩] ، ﴿ وَنَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٦٢] ،
 وما أشبه ذلك ، إخبارٌ من الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ، ومعاقبهم عقوبة
 الخداع . فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم ، «مُخْرِجُ خبره عن فعلهم الذي
 عليه استحقُّوا العقاب في اللفظ ، وإن اختلف المعنيان . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَجَزَاءُ
 سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [سورة الشورى : ٤٠] ، ومعلومٌ أن الأولى من صاحبها سيئة ،
 إذ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية ، وأن الأخرى عدلٌ ، لأنها من الله جزاءٌ

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ » ، وهي آية
 سورة البقرة : ٩ ، ولم يرد الطبري إلا آية سورة النساء ، كما يدل عليه سياق كلامه ، وكما ستأتي الآية
 بعد أسطر .

للعاصي على المعصية ، فهما — وإن اتفق لفظاهما — مختلفتا المعنى . وكذلك قوله : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٤] ، فالعدوان الأول ظلم ، والثاني جزاء لا ظلم ، بل هو عدل ، لأنه عقوبة للظالم على ظلمه ، وإن وافق لفظه لفظ الأول .

وإلى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك ، مما هو خبر عن مكر الله جل وعزّ يقوم ، وما أشبه ذلك .

وقال آخرون : إن معنى ذلك : أن الله جل وعزّ أخبر عن المنافقين أنهم إذا خلتوا إلى مردّتهم قالوا : إنا معكم على دينكم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وإنما نحن بما نظهر لهم — من قولنا لهم : صدقنا بمحمد عليه السلام وما جاء به — مستهزون . يعنون : إنا نظهر لهم ما هو عندنا باطل لاحق ولا هدى . قالوا : وذلك هو معنى من معاني الاستهزاء ، فأخبر الله أنه « يستهزئ بهم » ، فيظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف الذي لهم عنده في الآخرة ، كما أظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في الدين ما هم على خلافه في سرائرهم . والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا : أن معنى الاستهزاء في كلام العرب : إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه^(١) ظاهراً ، وهو بذلك من قبيله وفعله به مورثه مساة باطلاً^(٢) . وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر . فإذا كان ذلك كذلك = وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام — بما أظهروا بالسنتهم ، من الإقرار بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله ، المدخل لهم في عداد من يشمله اسم الإسلام^(٣) ، وإن كانوا لغير ذلك

(١) في المطبوعة : « ما يرضيه ويوافقه ظاهراً » .

(٢) في المخطوطة : « مورثه مساة باطلاً » .

(٣) في المطبوعة : « المدخل لهم في عداد » . . . ، وقوله : « المدخلهم » نعت لقوله : « من »

الإقرار » .

مستبطين - (١) أحكام المسلمين المصدقين إقرارهم بالسنتهم بذلك ، بضماير قلوبهم ، وصحاح عزائمهم ، وحيد أفعالهم المحققة لهم صحة إيمانهم - مع علم الله عز وجل بكذبهم ، وإطلاعه على خبث اعتقادهم ، وشكهم فيما ادّعوا بالسنتهم أنهم به مصدقون (٢) ، حتى ظنوا في الآخرة إذ حشروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا ، أنهم واردون مورد هم . وداخلون مدخلهم . والله جل جلاله - مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام الملحقينهم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة إلى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه ، وتفريقه بينهم وبينهم - (٣) معد لهم من ألم عقابه ونكال عذابه ، ما أعد منه لأعدى أعدائه وشر عباده ، حتى ميز بينهم وبين أوليائه ، فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل = (٤) كان معلوماً أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم - وإن كان جزاء لهم على أفعالهم ، وعدلاً ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم له - كان بهم - بما أظهر لهم من الأمور التي أظهرها لهم : من إلحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء ، وحشره إليهم في الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين - إلى أن ميز بينهم وبينهم - مستهزئاً ، وبهم ساخراً ، ولهم خادعاً ، وبهم ما كراً (٥) . إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل ، دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم ، أو عليه فيها غير عادل ، بل ذلك معناه في كل أحواله ، إذا وجدت الصفات التي قدّمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره .

(١) في المطبوعة : « من أحكام المسلمين . . . » ، وهي زيادة خطأ ، وقوله « أحكام » منصوب بقوله « قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام . . . » ، وما بينهما فصل .

(٢) في المطبوعة : « أنهم مصدقون » .

(٣) سياق العبارة : « والله جل جلاله . . . معد لهم . . . » .

(٤) قوله : « كان معلوماً » جواب قوله « فإذا كان ذلك كذلك . . . » ، في أول هذه الفقرة .

(٥) أكثر الطبرى الفصل بين الكلام في هذه الفقرة ، وسياق العبارة هو كما يلى : « . . . كان

معلوماً أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم . . . كان بهم . . . مستهزئاً ، وبهم ساخراً . . . » ، وما بين الكلام في هذين الموضعين فصل للبيان .

وينحو ما قلنا فيه روى الخبر عن ابن عباس :

٣٦٣ - حدثنا أبو كُريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله : « الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » ، قال : يسخر بهم للنقمة منهم^(١) .

وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره : « الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » ، إنما هو على وجه الجواب ، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة ، فنافيئون عن الله عز وجل ما قد أثبتته الله عز وجل لنفسه ، وأوجبه لها . وسواء^٢ قال قائل : لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية^٣ بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به ، أو قال : لم يخسف الله بمن أخبر أنه يخسف به من الأمم ، ولم يُغرق من أخبر أنه أغرقه منهم .

ويقال لقائل ذلك : إن الله جل ثناؤه أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرههم ، وأخبر عن آخرين أنه خسف بهم ، وعن آخرين أنه أغرقهم ، فصدّقنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك ، ولم نُفرّق بين شيء منه . فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه ، بزعمك : أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرقه وخسف به ، ولم يَمَكُرْ بمن أخبر أنه قد مكر به ؟

ثم نعكس القول عليه في ذلك ، فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله .

فإن لجأ إلى أن يقول : إن الاستهزاء عبث ولعب^٤ ، وذلك عن الله عز وجل مني^٥ .

قيل له : إن كان الأمر عندك على ما وصفت من معنى الاستهزاء ، أفلست

(١) الخبر ٣٦٣ - ساقه ابن كثير في تفسيره ١ : ٩٤ ، والسيوطي ١ : ٣١ ، والشوكاني ١ : ٣٣ .

تقول : « الله يستهزئ بهم » ، و « سخر الله منهم » ، و « مكر الله بهم » ، وإن لم يكن من الله عندك هزء ولا سخرية ؟

فإن قال : « لا » ، كذب بالقرآن ، وخرج عن ملة الإسلام .

وإن قال : « بلى » ، قيل له : أفتقول من الوجه الذى قلت : « الله يستهزئ بهم » و « سخر الله منهم » — « يلعب الله بهم » و « يعبت » — ولا لعب من الله ولا عبث ؟ فإن قال : « نعم » ! و « وصف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه » ، وعلى تخطئة واصفه به ، وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه إليه .

وإن قال : لا أقول : « يلعب الله بهم » ولا « يعبت » ، وقد أقول « يستهزئ بهم » و « يسخر منهم » .

قيل : فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث ، والهزء والسخرية ، والمكر والخديعة . ومن الوجه الذى جاز قيل هذا ، ولم يجوز قيل هذا ، افرق معنيهما . فعلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر . ولل كلام فى هذا النوع موضع غير هذا ، كررنا إطالة الكتاب باستقصائه . وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه .

...

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيَمْدُهم ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : ﴿ وَيَمْدُهم ﴾ ، فقال بعضهم بما — :

٣٦٤ — حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ،

عن السدي فى خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس —

وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :
« يَمْدُهُمْ » ، بجلى لهم .

وقال آخرون بما - :

٣٦٥- حدثني به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سُوَيْد بن نصر ، عن ابن

المبارك ، عن ابن جريج قراءة عن مجاهد : « يمدُّهم » ، قال : يزيدُهم ^(١) .

وكان بعضُ نحويِّ البصرة يتأول ذلك أنه بمعنى : يَمْدُ لَهُمْ ، ويزعم أن ذلك
نظيرُ قول العرب : الغلامُ يلعبُ الكِعَابَ ، يراد به يلعب بالكعب . قال : وذلك
أنهم قد يقولون : « قد مَدَدْتُ له وأمددتُ له » في غير هذا المعنى ، وهو قول الله
تعالى ذكره : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ ﴾ [سورة الطور : ٢٢] ، وهذا من : « مَدَدْنَاهُمْ » ^(٢) .

قال : ويقال : قد « مَدَّ البحرُ فهو مَادٌّ » و « أَمَدَّ الجرحُ فهو مُمِيدٌ » .
وحكى عن يونس الحرثي أنه كان يقول : ما كان من الشر فهو « مَدَدْتُ » ،
وما كان من الخير فهو « أَمَدَدْتُ » . ثم قال : وهو كما فسر لك ، إذا أردت
أنك تركته فهو « مَدَدْتُ له » ، وإذا أردت أنك أعطيته قلت : « أَمَدَدْتُ » .

وأما بعضُ نحويِّ الكوفة فإنه كان يقول : كل زيادة حدثت في الشيء من
نفسه فهو « مَدَدْتُ » بغير ألف ، كما تقول : « مَدَّ النهر ، ومدَّ نهرٌ آخر غيره » ،
إذا اتصل به فصار منه ، وكل زيادة أحدثت في الشيء من غيره فهو بألف ،
كقولك : « أَمَدَّ الجرحُ » ، لأن المدة من غير الجرح ، وأمددتُ الجيش بمَدَدٍ .
وأولى هذه الأقوال بالصواب في قوله : « وَيَمْدُهُمْ » : أن يكون بمعنى يزيدهم ،
على وجه الإملاء والترك لهم في عتوِّهم وتمردهم ، كما وصف ربنا أنه فعل بنظرائهم في قوله

(١) الخبران ٣٦٤ ، ٣٦٥ - سابقهما ابن كثير ٣١ : ١ ، والسيوطي ٣١ : ١ ، والشوكاني ١ : ٣٣ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « وهذا من أمددناهم » ، ولعل الصواب ما أثبتناه . وعنى أن قوله تعالى (ويمدُّهم في طغيانهم) من « مَدَدْتُ له » التي هي مثل « أَمَدَدْتُ له » ، بعد طرح حرف الجر ، كما مثل في قول العرب « الغلام يلعب الكعب » أي « يلعب بالكعب » .

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٠] ، يعنى نذرهم ونتركهم فيه ، ونملى لهم ليزدادوا إثماً إلى إثمهم .

ولا وجه لقول من قال : ذلك بمعنى « يَمُدُّ لهم » ، لأنه لا تدافع بين العرب وأهل المعرفة بلغتها^(١) ، أن يستجيزوا قول القائل : « مدّ النهر نهر آخر » ، بمعنى : اتصل به فصار زائداً ماءً المتّصل به بماء المتّصل — من غير تأوّل منهم . وذلك أن معناه : مدّ النهر نهر آخر . فكذلك ذلك فى قول الله : « وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ »

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : و « الطُغْيَان » « الفُعلَان » ، من قولك : « طَغَى فلان يطغى طُغْيَاناً » . إذا تجاوز فى الأمر حده فبغى . ومنه قول الله : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ لِيَظُنَّ أَنْ رَآهُ اسْتَفْتَى ﴾ [سورة العلق : ٦ ، ٧] ، أى يتجاوز حده . ومنه قول أمية بن أبى الصلت :

وَدَعَا اللَّهَ دَعْوَةً لَا تَهْنَأُ بَعْدَ طُغْيَانِهِ ، فَظَلَّ مُشِيرًا^(٢)

ولمّا عنى الله جل ثناؤه بقوله « وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ » ،

(١) فى المخطوطة : « لأنه لا تدافع العرب » ، وهما سواء فى المعنى .
(٢) ديوانه : ٣٤ مع اختلاف فى الرواية . والضمير فى قوله « ودعا الله » إلى فرعون حين أدركه للفرق . والهاء فى قوله « طغيانه » إلى فرعون ، أو إلى الماء لما طغا وأطبق عليه . وقوله « لات هنا » ، كلمة تدور فى كلامهم يريدون بها : « ليس هذا حين ذلك » ، والتاء فى قولهم « لات » صلة وصلت بها « لا » ، أصلها « لا هنا » أى ليس هنا ما أردت ، أى مضى حين ذلك . و « هنا » مفتوحة الهاء مشددة النون ، مثل « هنا » مضمومة الهاء مخففة النون . وقوله : « مشيراً » ، أى مشيراً بيده فى دعاء ربه أن ينجيه من الفرق .

أنه يُملى لهم ، وَيَذَرُهُمْ يَبْغُونَ فِي ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ حِيَارَى يَتَرَدَّدُونَ . كما - :
 ٣٦٦ - حَدَّثْتُ عَنْ الْمِنْجَاب ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ
 الضَّحَّاك ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : « فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » ، قَالَ :
 فِي كُفْرِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ .

٣٦٧ - حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَرُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ،
 عَنْ السُّدِّيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -
 وَعَنْ مُرَّةٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « فِي طُغْيَانِهِمْ » ، فِي كُفْرِهِمْ .

٣٦٨ - حَدَّثَنَا بَشْرٌ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، عَنْ سَعِيدٍ ،
 عَنْ قَتَادَةَ ، « فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » ، أَيْ فِي ضَلَالَتِهِمْ يَعْمَهُونَ .

٣٦٩ - حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
 جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : « فِي طُغْيَانِهِمْ » ، فِي ضَلَالَتِهِمْ .

٣٧٠ - وَحَدَّثَنَا يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي
 قَوْلِهِ « فِي طُغْيَانِهِمْ » ، قَالَ : طُغْيَانِهِمْ ، كُفْرُهُمْ وَضَلَالَتُهُمْ ^(١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : والعَمَهُُ نَفْسُهُ : الضَّلَالُ . يقال منه : عَمِيَ فلان يَعْمَهُ عَمَّهُاناً
 وَعُمُوهَا ، إِذَا ضَلَّ ^(٢) . ومنه قول رؤبة بن العجاج يصف مَضَلَّةً من المهامه :

وَنَخْفَى مِنْ لُئْلُؤٍ وَلُئْلُؤٍ مِنْ مَهْمَةٍ يَجْتَنِبْنَهُ فِي مَهْمَةٍ

(١) الأخبار ٣٦٦ - ٣٧٠ : ساقها ابن كثير ١ : ٩٥ ، والسيوطي ١ : ٣١ ، والشوكاني
 ٢٣ : ١ .

(٢) في ابن كثير ١ : ٩٥ « عَمِيَ وَعُمِيَ » ، والذي في الطبري صحيح : « عَمِيَ وَعُمِيَ وَعَمَّهُاناً » .

أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةُ^(١)

و « الْعُمَّة » جمع عامية ، وهم الذين يضلون فيه فيتحيرون . فعنى قوله إذا :
 « فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » : في ضلالهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسه ، وعلاهم
 رجسه ، يترددون حيارى ضللاً ، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً ، لأن الله قد
 طبع على قلوبهم ونخم عليها ، وأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها ، فلا يبصرون
 رشداً ولا يهتدون سبيلاً .

وبنحو ما قلنا في « الْعَمَّة » جاء تأويل المتأولين .

١٠٦/١

٣٧١ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ،
 عن السدي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس -
 وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :
 « يَعْمَهُونَ » ، يهَادُونَ في كفرهم .

٣٧٢ - وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن
 معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « يَعْمَهُونَ » ، قال :
 يهَادُونَ .

٣٧٣ - حدثت عن المنجاب ، قال : حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن
 الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « يَعْمَهُونَ » ، قال : يترددون .

٣٧٤ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن
 ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : « يَعْمَهُونَ » : المتلدد^(٢) .

(١) ديوانه : ١٦٦ . والمحقق : الأرض الواسعة المستوية التي يخفق فيها السراب ، أي يضطرب .
 ولله : أرض واسعة يضطرب فيها السراب ، والجمع لهاله . والمهمة : القلاة المقفرة ليس بها ماء ولا أنيس .
 وجاب المفازة واجتأها : قطعها سيراً . وقوله « في مهمة » : أي يقطعته ويدخلن في مهمة آخر موغلين
 في الصحراء .

(٢) تلدد للرجل فهو متلدد : إذا لبث في مكانه حائراً متبلداً يتلفت يمينا وشمالاً .

٣٧٥- حدثنا محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال حدثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ ﴾ ، قال : يترددون .

٣٧٦- وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٣٧٧- حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .

٣٧٨- حدثني المثنى ، قال : حدثنا سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة ، عن مجاهد ، مثله .

٣٧٩- حدثت عن عمار ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، ﴿ يَعْمَهُونَ ۝ ﴾ ، قال : يترددون (١) .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا

الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : إن قال قائل : وكيف اشترى هؤلاء القوم الضلالة بالهدى ، وإنما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم لإيمان^١ فيقال فيهم : باعوا هداهم الذي كانوا عليه بضاللتهم التي استبدلوها منه ؟ وقد علمت أن معنى الشراء المفهوم : اعتياض^٢ شيء ببدل شيء مكانه عوضاً منه ، والمنافقون الذين وصفهم الله بهذه الصفة ، لم يكونوا قط على هدى فيتركوه ويعتاضوا منه كفرًا ونفاقاً ؟

(١) الأخبار : ٣٧٢ - ٣٧٩ : ساقها السيوطي ١ : ٣١ ، والشوكاني ١ : ٣٣ ، وخرجا أثر مجاهد في تفسير الآية : « أي يلعبون ويترددون في الضلالة » .

قيل : قد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فنذكر ما قالوا فيه ، ثم نبين الصحيح من التأويل في ذلك إن شاء الله :

٣٨٠- حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، أى الكفر بالإيمان .

٣٨١- وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » ، يقول : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى .

٣٨٢- حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » ، استحبوا الضلالة على الهدى .

٣٨٣- حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قوله : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » ، آمنوا ثم كفروا .

٣٨٤- حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، مثله (١) .

قال أبو جعفر : فكان الذين قالوا في تأويل ذلك : « أخذوا الضلالة وتركوا الهدى » - وجهها معنى الشراء إلى أنه أخذ المشتري مكان الثمن المشتري به ، فقالوا : كذلك المنافق والكافر ، قد أخذ مكان الإيمان الكفر ، فكان ذلك منهما شراء

(١) الأخبار : ٣٨٠ - ٣٨٤ : ساقها ابن كثير في تفسيره ١ : ٩٥ ، ٩٦ ، والسيوطي ١ : ٣١ ،

٣٢ ، والشوكاني ١ : ٢٢ ، ٢٤ .

للكفر والضلالة اللذين أخذاهما بتركهما ما تركا من الهدى ، وكان الهدى الذى تركاه هو الثمن الذى جعلاه عوضاً من الضلالة التى أخذاهما .

وأما الذين تأولوا أن معنى قوله « اشترَوْا » : « استحبُّوا » ، فإنهم لما وجدوا الله جل ثناؤه قد وصف الكفار فى موضع آخر ، فنسبهم إلى استحبابهم الكفر على الهدى ، فقال : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [سورة فصلت : ١٧] ، ١٠٧/١ ، صرفوا قوله « اشترَوْا الضلالةَ بِالْهُدَى » إلى ذلك . وقالوا : قد تدخل « الباء » مكان « على » ، و « على » مكان « الباء » ، كما يقال : مررت بفلان ، ومررت على فلان ، بمعنى واحد ، وكقول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٥] ، أى على قنطار . فكان تأويل الآية على معنى هؤلاء : أولئك الذين اختاروا الضلالةَ على الهدى . وأراهم وجهوا معنى قول الله جل ثناؤه « اشترَوْا » إلى معنى اختاروا ، لأن العرب تقول : اشتريت كذا على كذا ، واشترَيْتُهُ — يَعْنُونِ اخْتَرْتُهُ عَلَيْهِ .

ومن الاستراء قول أعشى بنى ثعلبة (١) :

فَقَدْ أَخْرَجُ الْكَاعِبَ الْمُسْتَرَاةَ مِنْ خِدْرِهَا وَأَشِيعَ الْقِمَارَ (٢)
يعنى بالمستراة : المختارة .

وقال ذو الرمة ، فى الاشتراء بمعنى الاختيار :

يَذُبُّ الْقَصَايَا عَنْ شَرَاةٍ كَأَنَّهَا جَاهِيرُ تَحْتَ الْمُدْجِنَاتِ الْهَوَاضِبِ (٣)
يعنى بالشراة : المختارة .

(١) فى المطبوعة « الاشتراء » بالشين المعجمة ، وهو خطأ ، صوابه بالسین المهملة .

(٢) ديوانه : ٣٥ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٦ ، واللسان (سرا) . وفى المطبوعة : « المشتراة » فى الموضعين ، والصواب ما أثبتناه . والكاعب : التى كعب ثديها ، أى نهد ، يعنى أنها غريرة منعمة محبوبة . وخدر الجارية : سترها الذى يمد لها لتلزمه بعد البلوغ ، وأشاع المال بين القوم : فرقه فيهم . وأراد بالقمار : لعب الميسر ، وعنى نصيب الفائز فى الميسر من لحم الجزور ، يفرقه فى الناس من كرمه .

(٣) ديوانه : ٦٢ . والفسير فى قوله « يذب » لفعل الإبل . ويذب : يدفع ويطرده . والقصايا ،

وقال آخر في مثل ذلك :

إِنَّ الشِّرَاءَ رُوقَةً الْأَمْوَالِ وَحَزْرَةً الْقَلْبِ خِيَارُ الْمَالِ^(١)

قال أبو جعفر : وهذا ، وإن كان وجهاً من التأويل ، فلست له بمختار . لأن الله جل ثناؤه قال : «فَمَا رَبَّحْتُمْ تِجَارَتُهُمْ» ، فدل بذلك على أن معنى قوله «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى» ، معنى الشراء الذي يتعارفه الناس ، من استبدال شيء مكان شيء ، وأخذ عيوض على عوض .

وأما الذين قالوا : إن القوم كانوا مؤمنين وكفروا ، فإنه لا مؤونة عليهم ، لو كان الأمر على ما وصفوا به القوم . لأن الأمر إذا كان كذلك ، فقد تركوا الإيمان ، واستبدلوا به الكفر عوضاً من الهدى . وذلك هو المعنى المفهوم من معاني الشراء والبيع ، ولكن دلائل أول الآيات في نعتهم إلى آخرها ، دالة على أن القوم لم يكونوا قط استضاءوا بنور الإيمان ، ولا دخلوا في ملة الإسلام . أو ما تسمع الله جل ثناؤه من لدن ابتدأ في نعتهم ، إلى أن أتى على صفتهم ، إنما وصفهم بإظهار الكذب بالسنتهم : بدعواهم التصديق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، خداعاً لله ولرسوله وللمؤمنين عند أنفسهم ، واستهزاءً في نفوسهم بالمؤمنين ، وهم لغير ما كانوا يظهرون مستبطنون . يقول الله جل جلاله^(٢) : «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» ، ثم اقتصر قصصهم إلى قوله : «أُولَئِكَ الَّذِينَ

جمع قصية : وهي من الإبل رذالتها ، ضعفت فتخلقت . وجاهير ، جمع جمهور : وهو رملة مشرفة على ما حولها ، تراكم رملها وتعقد . والمدجنات ، من قولهم «محبابة داجنة ومدجنة» ، وهي : المطبقة الكثيفة المطر . والمواضب : التي دام مطرها وعظم قطرها . شبه الإبل في جلالة خلقها وضخامتها بجاهير الرمل المتليدة في رأي العين من بعيد .

(١) البيت الثاني في اللسان (حزر) . وروقة الناس : خيارهم وأجسامهم منظرًا . ويقال : هذا الشيء حزرة نفسي وقلبي : أي خير ما عندي ، وما يتعلق به القلب لنفاسه .

(٢) في المطبوعة : «لقول الله . . .» .

اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى ؟ فَأَيْنَ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَفَكَّرُوا ؟
 فَإِنْ كَانَ قَائِلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ظَنَّ أَنَّ قَوْلَهُ : « أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى »
 هُوَ لِلدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ فَانْتَقَلُوا عَنْهُ إِلَى الْكُفْرِ ، فَلِذَلِكَ قِيلَ
 لَهُمْ « اشْتَرَوْا » — فَإِنْ ذَلِكَ تَأْوِيلٌ غَيْرُ مُسَلِّمٍ لَهُ ، إِذَا كَانَ الْإِشْتِرَاءُ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ
 قَدْ يَكُونُ أَخَذَ شَيْءٍ بِتَرْكِ آخَرَ غَيْرِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْإِخْتِيَارِ ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
 لَمَعَانِي . وَالْكَلِمَةُ إِذَا احْتَمَلَتْ وَجْهًا ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ صَرْفُ مَعْنَاهَا إِلَى بَعْضِ
 وَجْهَيْهَا دُونَ بَعْضٍ ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالَّذِي هُوَ أَوَّلُ عُنْدِي بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ ، مَا رَوَيْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
 وَابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ تَأْوِيلِهِمَا قَوْلَهُ : « اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى » : أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكَوا
 الْهَدَى . وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كَافِرٍ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ مُسْتَبَدِّلٌ بِالْإِيمَانِ كُفْرًا ، بِاِكْتِسَابِهِ الْكُفْرَ
 الَّذِي وَجَدَ مِنْهُ ، بَدَلًا مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ . أَوْ مَا تَسْمَعُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ
 فِيمَنْ اِكْتَسَبَ كُفْرًا بِهِ مَكَانَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ : ﴿ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
 فَقَدْ ضَلَّ مَوَازٍ السَّبِيلِ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٨] ؟ وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الشِّرَاءِ ، لِأَنَّ كُلَّ
 مُشْتَرٍ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَسْتَبَدِّلُ مَكَانَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ مِنَ الْبَدَلِ آخَرَ بَدِيلًا مِنْهُ . فَكَذَلِكَ
 الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ ، اسْتَبَدَّلَا بِالْهَدَى الضَّلَالَةَ وَالنِّفَاقَ ، فَأَضْلَاهُمَا اللَّهُ ، وَسَلَبَهُمَا نُورَ
 الْهَدَى ، فَتَرَكُوا جَمِيعَتَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ .

١٠٨/١

• • •

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ فَمَا رَجَبَتْ تَجَرُّسُهُمْ ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ — بِشِرَائِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى —
 نَخَسَرُوا وَلَمْ يَرْجَحُوا ، لِأَنَّ الرَّابِحَ مِنَ التَّجَارِ : الْمُسْتَبَدِّلُ مِنْ مِلْعَتِهِ الْمَمْلُوكَةَ عَلَيْهِ

بدلاً هو أنفـس من سلـعته المملوكة أو أفضل من ثمنها الذي يبتاعها به . فأما المستبدل من سلـعته بدلاً دُونها ودون الثمن الذي ابتاعها به^(١) ، فهو الخاسر في تجارته لا شك . فكذلك الكافر والمنافق ، لأنهما اختاراً الحيرة والعمى على الرشاد والهدى ، والخوف والرعب على الحفظ والأمن ، واستبدلا في العاجل : بالرشاد الحيرة ، وبالهدى الضلالة ، وبالحفظ الخوف ، وبالأمن الرعب — مع ما قد أعدّ لهما في الآجل من ألم العقاب وشديد العذاب ، فخابا وخسيرا ، ذلك هو الخسران المبين .

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان قتادة يقول .

٣٨٥ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، «فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» : قد وآله رأيتهم يخرجوا من الهدى إلى الضلالة ، ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الأمن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة^(٢) .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فما وجه قوله : «فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ» ؟ وهل التجارة مما تربح أو توكس ، فيقال : رَبَّحَتْ أو وُضِعَتْ^(٣) ؟ قيل : إن وجه ذلك على غير ما ظننت . وإنما معنى ذلك : فما ربحوا في تجارتهم — لا فيما اشتروا ، ولا فيما شروا . ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عرباً فسلك في خطابه إياهم وبيانه لهم ، مسلك خطاب بعضهم بعضاً ، وبيانهم المستعمل بينهم^(٤) . فلما كان فصيحاً لديهم قول القائل لآخر : خاب سعيك ، ونام ليلك ، وخسر بيعك ، ونحو ذلك من الكلام الذي لا يتحقق على سامعه ما يريد قائله — خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام ، فقال : «فَمَا رَبَّحَتْ

(١) في المطبوعة : « يبتاعها » .

(٢) الأثر ٣٨٥ — في ابن كثير ١ : ٩٦ ، والسيوطي ١ : ٣٢ ، والشوكاني ١ : ٣٤ .

(٣) وضع في تجارته يوضع وضعية : غبن فيها وخسر ، ومثله : وكس .

(٤) في المخطوطة : « المستعمل بينهم » ، ولعلها سبق قلم .

تِجَارَتُهُمْ « إذ كان معقولا عندهم أن الربح إنما هو في التجارة ، كما النوم في الليل . فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك ، عن أن يقال : فما ربحوا في تجارتهم ، وإن كان ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ وَسَطَ أَهْلِهِ كَهْلِكِ الْفَتَاةِ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ ^(١)

يعنى بذلك : وشر المنايا منيئة ميت وسط أهله ، فاكتفى بفهم سامع قبليه مراده من ذلك ، عن إظهار ما ترك إظهاره ، وكما قال رؤبة بن العجاج :

حَارِثٌ أَقْدَفَرَجَّتْ عَنِّْي هَمِّي فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى غَمِّي ^(٢)

فوصف بالنوم الليل ، ومعناه أنه هو الذي نام ، وكما قال جرير

ابن الحطافى :

وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَأَعْمَى ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ ^(٣)

فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار ، ومراده وصف النبهاني

بذلك .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (١٦)

يعنى بقوله جل ثناؤه « وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ » : ما كانوا رُشْدَاءَ في اختيارهم الضلالة على الهدى ، واستبدلهم الكفر بالإيمان ، واشترائهم النفاق بالتصديق والإقرار .

(١) هو للحطيئة ، من أبيات ليست في ديوانه ، بل في طبقات فحول الشعراء : ٩٥ ، وسيبويه ١ : ١٠٩ وأمالى الشريف المرتضى ١ : ٣٨ ، مع اختلاف في بعض الرواية ، ورواية الطبقات أجودهن . « أيقظ الحى » ، يعنى أيقظ الحى حاضر الموت ، فقامت البواكى ترن وتندب ، وكان رواية من روى « أسلم الحى » ، تعنى أسلمهم للبكاء .

(٢) ديوانه : ١٤٢ ، يمدح الحارث بن سليم ، من آل عمرو بن سعد بن زيد مناة .

(٣) ديوانه : ٢٠٦ ، والنقائض : ٣٥ ، والمؤتلف والمختلف : ٣٩ ، ١٦١ ، ومعجم الشعراء ٢٥٣ ، من شعر في هجاء الأعور النبهاني ، وكان هجا جريراً ، فأكله جرير . قال أبو عبيدة : « أى هو أعور النهار عن الخيرات ، بصير الليل بالسوءات ، يسرق ويزنى » .

...

القول في تأويل قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا

أضأت مَاحْوَلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وكيف قيل «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا»، وقد علمت أن «الماء والميم» من قوله «مَثَلُهُمْ» كناية جِماعٍ — من الرجال أو الرجال والنساء — و«الذي» دلالة على واحد من الذكور؟ فكيف جعل الخبر عن واحد مَثَلًا لجماعة؟ وهلا قيل: مثلهم كمثل الذين استوقدوا نارا؟ وإن جاز عندك أن تمثل الجماعة بالواحد، فتجيز لقائل رأى جماعة من الرجال فأعجبته صُورهم وتمايم خلقهم وأجسامهم، أن يقول: كأن هؤلاء، أو كأن أجسام هؤلاء، نخلة؟

١٠٩/١ قيل: أما في الموضع الذي مثل ربنا جل ثناؤه جماعة من المنافقين، بالواحد الذي جعله لأفعالهم مثلاً، فجاءت حسن^(١)، وفي نظائره^(٢)، كما قال جل ثناؤه في نظير ذلك: ﴿تَدْوَرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩]، يعني كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت — وكقوله: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بِعُكُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة لقمان: ٢٨] بمعنى: إلا كبعث نفس واحدة.

وأما في تمثيل أجسام الجماعة من الرجال، في الطول وتمايم الخلق، بالواحدة من النخيل، فغير جائز، ولا في نظائره، لفرق بينهما.

فأما تمثيل الجماعة من المنافقين بالمستوقد الواحد، فلأنما جاز، لأن المراد من

(١) «وفي نظائره»، أي هو في نظائره جائز حسن أيضاً. ومثلها ما يأتي بعد أسطر في قوله «ولا في نظائره»، حذف فيها جهاً.

الخبر عن مثل المنافقين ، ان خبرٌ عن مثل استضاءتهم بما أظهروا بالسنتهم من الإقرار وهم لغيره مستبطنون - من اعتقاداتهم الرديئة ، وخلطهم نفاقهم الباطن بالإقرار بالإيمان الظاهر . والاستضاءة - وإن اختلفت أشخاص أهلها - معنى واحد ، لا معانٍ مختلفة . فالمثل لها في معنى المثل للشخص الواحد ، من الأشياء المختلفة الأشخاص . وتأويل ذلك : مثل استضاءة المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، قولاً ، وهم به مكذبون اعتقاداً ، كمثل استضاءة الموقد ناراً . ثم أسقط ذكر الاستضاءة ، وأضيف المثل إليهم ، كما قال نابغة بنى جعدة :

وكيف توأصيل من أضيحت خِلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ^(١)

يريد : كخلالة أبي مرحب ، فأسقط « خلالة » ، إذ كان فيما أظهر من الكلام ، دلالةً لسامعيه على ما حذف منه . فكذلك القول في قوله : « مثْلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا » ، لما كان معلوماً عند سامعيه بما أظهر من الكلام ، أن المثل إنما ضرب لاستضاءة القوم بالإقرار دون أعيان أجسامهم - بحسن حذف ذكر الاستضاءة ، وإضافة المثل إلى أهله . والمقصود بالمثل ما ذكرنا . فلما وصفتنا ، جاز وحسن قوله : « مثْلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا » ، ويشبه مثل الجماعة في اللفظ بالواحد ، إذ كان المراد بالمثل الواحد في المعنى . وأما إذا أريد تشبيه الجماعة من أعيان بنى آدم - أو أعيان ذوى الصور والأجسام ، بشيء - فالصواب من الكلام تشبيه الجماعة بالجماعة ، والواحد بالواحد ، لأن عين كل واحد منهم غير أعيان الآخرين .

ولذلك من المعنى ، افرق القول في تشبيه الأفعال والأسماء . فجاز تشبيه أفعال الجماعة من الناس وغيرهم - إذا كانت بمعنى واحد - بفعل الواحد ،

(١) الشعر للنابغة الجعفى . اللسان (رحب) و (خلل) . والخلة والخلالة : الصداقة المختصة التي ليس في علاقتها خلل . وأبو مرحب : كنية الظل ، يريد أنها تزول كما يزول الظل ، لا تبقى له مودة .

ثم حذف أسماء الأفعال وإضافة المثل والتشبيه إلى الذين لهم الفعل . فيقال : ما أفعالكم إلا كفعل الكلب ، ثم يحذف فيقال : ما أفعالكم إلا كالكلب أو كالكلاب ، — وأنت تعنى : إلا كفعل الكلب ، وإلا كفعل الكلاب . ولم يحجز أن تقول : ما هم إلا نخلة ، وأنت تريد تشبيه أجسامهم بالنخل في الطول والتمام .

وأما قوله : « استوقد ناراً » ، فإنه في تأويل : أوقد ، كما قال الشاعر :

وَدَاعِ دَعَا : يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ^(١)

يريد : فلم يجبه . فكان معنى الكلام إذا : مثل استضاءة هؤلاء المنافقين — في إظهارهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالسنتهم ، من قولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، وصدقنا بمحمد وبما جاء به ، وهم للكفر مستبطنون — فيما الله فاعل بهم^(٢) ، مثل استضاءة موقد نار بناره ، حتى أضاءت له النار ما حوله ، يعنى : ما حول الموقد .

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة : أن « الذى » فى قوله : « كمثل الذى استوقد ناراً » بمعنى الذين ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ

بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] ، وكما قال الشاعر :

فَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ^(٣)

قال أبو جعفر : والقول الأول هو القول ، لما وصفنا من العلة . وقد أغفل قائل

(١) الشعر لكعب بن سعد الغنوى . الأصمعيات : ١٤ ، وأما القائل ٢ : ١٥١ ، وهى من حسان

قصائد الرثاء .

(٢) سياق عبارته : « مثل استضاءة هؤلاء . . . فيما الله فاعل بهم ، مثل استضاءة . . . » .

(٣) الشعر للأشهب بن رميلة . الخزائن ٢ : ٥٠٧ — ٥٠٨ ، والبيان ٤ : ٥٥ ، وسيبويه

١ : ٩٦ ، والمؤتلف والمختلف للأمدى : ٣٣ ، وذكر البغدادى أن أبا تمام أنشد البيت فى أبيات لحريث

ابن محفض ، فى كتابه « مختار أشعار القبائل » . وروايته : « وإن الألى » . ولا شاهد فيه . وهم يقولون

إن النون حذفت من « الذين » ، فصارت « الذى » لطول الكلام والتخفيف ، وهى بمعنى الجمع لا المفرد .

وفلج : واد بين البصرة وحى ضرية ، كانت فيه هذه الوقعة التى ذكرها

ذلك فرق ما بين « الذي » في الآيتين وفي البيت . لأن « الذي » في قوله : « والذي جاء بالصدق » ، قد جاءت الدلالة على أن معناها الجمع ، وهو قوله : « أولئك هم المتقون » ، وكذلك « الذي » في البيت ، وهو قوله « دماؤهم » . وليست هذه الدلالة في قوله : « كمثل الذي استوقد نارا » . فذلك فرق ما بين « الذي » في قوله : « كمثل الذي استوقد نارا » ، وسائر شواهد التي استشهد بها على أن معنى « الذي » في قوله : « كمثل الذي استوقد نارا » بمعنى الجماع . وغير جائز لأحد نقل الكلمة — التي هي الأغلب في استعمال العرب على معنى — إلى غيره ، إلا بحجة يجب التسليم لها . ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فروى عن ابن عباس فيه أقوال : أحدها : ما —

٣٨٦ — حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ضرب الله للمنافقين مثلاً فقال : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون » أي يبصرون الحق ويقولون به ، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم في ظلمات الكفر ، فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق .

والآخر : ما —

٣٨٧ — حدثنا به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا » إلى آخر الآية : هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام ، فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم النية ، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز ، كما سلب صاحب النار ضوؤه . « وتركهم في ظلمات » يقول : في عذاب .

والثالث : ما —

٣٨٨ — حدثني به موسى بن هرون، قال : حدثنا عمرو، قال : حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس — وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون »، زعم أن أناسا دخلوا في الإسلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، ثم إنهم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد نارا فأضاءت له ما حوله من قذى أو أذى فأبصره حتى عرف ما يتقى . فبينما هو كذلك، إذ طفئت ناره، فأقبل لا يدري ما يتقى من أذى . فكذلك المنافق : كان في ظلمة الشرك فأسلم، فعرف الحلال من الحرام، والخير من الشر، فبينما هو كذلك إذ كفر، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر . وأما النور، فالإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت الظلمة نفاقهم .

والآخر : ما —

٣٨٩ — حدثني به محمد بن سعد، قال : حدثني أبي سعد بن محمد^(١)، قال : حدثني عمي، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس : قوله : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا » إلى « فهم لا يرجعون »، ضرب به الله مثلا للمنافق . وقوله : « ذهب الله بنورهم » قال : أما النور، فهو إيمانهم الذي يتكلمون به . وأما الظلمة، فهي ضلالتهم وكفرهم يتكلمون به، وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم، فعتوا بعد ذلك .

وقال آخرون : بما —

٣٩٠ — حدثني به بشر بن معاذ، قال : حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، قوله : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون »، وأن المنافق تكلم

(١) في المطبوعة « محمد بن سعيد »، « سعيد بن محمد ». وهو خطأ، صوابه من المخطوطة، ومن مراجع التراجم . وانظر شرح هذا السند مفصلا : ٣٠٥ .

بلا إله إلا الله ، فأضاعت له في الدنيا ، فناكس بها المسلمين ، وغازى بها المسلمين^(١) ، ووارث بها المسلمين ، وحقن بها دمه وماله . فلما كان عند الموت ، ١١١/١ سلبها المنافق ، لأنه لم يكن لها أصل في قلبه ، ولا حقيقة في علمه .

٣٩١ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » هي : لا إله إلا الله ، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا ، وأمنوا في الدنيا ، ونكحوا النساء ، وحقنوا بها دماءهم ، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .

٣٩٢ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني أبو تيميلة ، عن عبيد بن سليمان^(٢) ، عن الضحاك بن مزاحم ، قوله : « كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » ، قال : أما النور ، فهو إيمانهم الذى يتكلمون به ، وأما الظلمات ، فهي ضلالتهم وكفرهم .

وقال آخرون بما : -

٣٩٣ - حدثني به محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » ، قال : أما إضاءة النار ، فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى ؛ وذهاب نورهم ، إقبالهم إلى الكافرين والضلالة .

(١) في المطبوعة : « وعاد بها المسلمين » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير في تفسيره ، والدر المنثور ، كما سيأتى في التخريج .

(٢) أبو تيميلة ، بضم التاء المثناة وفتح الميم : هو يحيى بن واضح الأنصارى المروزي الحافظ ، من شيوخ أحمد وإسحق وغيرهما من الأئمة ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وابن سعد وأبو حاتم وغيرهم ، وهم أبو حاتم ، إذ نسب إلى البخارى أنه ذكره في الضعفاء . وما كان ذلك ، والبخارى ترجمه في الكبير ٤ / ٢ / ٣٠٩ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، ولم يذكره في كتاب الضعفاء الصغير . وقال الذهبي في الميزان ٣ : ٢٠٥ حين ذكر كلام أبي حاتم : « فلم أر ذلك ، ولا كان ذلك . فإن البخارى قد احتج به » . ووقع في مطبوعة الطبرى هنا « أبو تيميلة » بالنون ، وهو خطأ مطبعي . و « عبيد بن سليمان » : هو الباهلي الكوفي أبو الحارث ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وذكر ابن أبي حاتم ٢ / ٢ / ٤٠٨ أنه سأل عنه أباه ، فقال : « لا بأس به » .

٣٩٤ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، عن شيبان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » ، أما إضاءة النار ، فلإقبالهم إلى المؤمنين والهدى ، وذهاب نورهم ، لإقبالهم إلى الكافرين والضلالة .

٣٩٥ - حدثني القاسم ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

٣٩٦ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ضرب مثل أهل النفاق فقال : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » ، قال : إنما ضوء النار ونورها ما أوقدتها ، فإذا خمدت ذهب نورها . كذلك المنافق ، كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له ، فإذا شك وقع في الظلمة .

٣٩٧ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني عبد الرحمن بن زيد ، في قوله : « كمثل الذي استوقد ناراً » إلى آخر الآية ، قال : هذه صفة المنافقين . كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم ، كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ، ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزع ، كما ذهب بضوء هذه النار ، فتركهم في ظلمات لا يبصرون^(١) .

وأولى التأويلات بالآية ما قاله قتادة ، والضحاك ، وما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وذلك : أن الله جل ثناؤه إنما ضرب هذا المثل للمنافقين - الذين وصفت صفتهم وقص قصصهم ، من لدن ابتداء بكرهم بقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » - لا المعلنين بالكفر المجاهرين

(١) الأخبار ٣٨٦ - ٣٩٧ : هذه الآثار السالفة جميعاً ، وما سيق إلى قوله تعالى (فهم لا يرجعون) بالأرقام ٣٩٨ - ٤٠٤ ساقها ابن كثير ١ : ٩٧ - ٩٩ ، والدر المنثور ١ : ٣٢ - ٣٣ ، وفتح القدير ١ : ٣٥ .

بالشرك^(١). ولو كان المثل لمن آمنَ إيماناً صحيحاً ثم أعلن بالكفر إعلاتاً صحيحاً — على ما ظنَّ المتأول قولَ الله جل ثناؤه: «كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهبَ الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون» : أن ضوءَ النار مثلُ إيمانهم الذي كان منهم عندَه على صحةٍ ، وأن ذهاب نورهم مثلُ لارتدادهم وإعلانهم الكفر على صحةٍ — لم يكن^(٢) هناك من القوم خداعٌ ولا استهزاءٌ عند أنفسهم ولا نفاقٌ . وأننى يكون خداعٌ ونفاقٌ ممن لم يُبد لك قولاً ولا فعلاً إلا ما أوجب لك العلم بحاله التى هو لك عليها ، وبغزيمة نفسه التى هو مقيم عليها ؟ إن هذا بغير شكٍّ من النفاق بعيدٌ ، ومن الخداع برىءٌ . وإذا كان القوم لم تكن لهم إلا حالتان^(٣) : حالُ إيمان ظاهر ، وحالُ كفر ظاهر ، فقد سقط عن القوم اسمُ النفاق . لأنهم فى حال إيمانهم الصحيح كانوا مؤمنين ، وفى حال كفرهم الصحيح كانوا كافرين . ولا حالة هناك ^{ثالثة} كانوا بها منافقين .

وفى وصف الله جل ثناؤه إياهم بصفة النفاق ، ما ينبىء عن أن القول غيرُ القول الذى زعمه من زعم : أن القوم كانوا مؤمنين ، ثم ارتدوا إلى الكفر فأقاموا عليه ، إلا أن يكون قائلٌ ذلك أراد أنهم انتقلوا من إيمانهم الذى كانوا عليه ، إلى الكفر الذى هو نفاق . وذلك قولٌ إن قاله ، لم تُترك صحته إلا بنجر مستفيض ، أو ببعض المعانى الموجبة صحته . فأما فى ظاهر الكتاب فلا دلالة على صحته ، لاحتiale من التأويل ما هو أولى به منه .

فإذا كان الأمر على ما وصفنا فى ذلك ، فأولى تأويلات الآية بالآية : مثل استضاءة المنافقين — بما أظهروا بالسنتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الإقرار به ، وقولهم له وللمؤمنين : آمناً بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، حتى حُكم لهم بذلك

(١) فى المطبوعة : «أى ، لا المعلنين» ، وفى المخطوطة : «المعلنين بالكفر» ، وسياق عبارته «إنما ضرب الله هذا المثل للمنافقين . . . لا المعلنين بالكفر» .

(٢) السياق : «ولو كان المثل لمن آمنَ إيماناً صحيحاً . . . لم يكن هناك من القوم . . .» .

(٣) فى المطبوعة : «فإن كان القوم . . .» ، وهو خطأ .

في عاجل الدنيا بحكم المسلمين : في تحقن الدماء والأموال ، والأمن على الذرية من السبأ ، وفي المناكحة والموارثة — كمثل استضاءة الموقد النار بالنار ، حتى إذا ارتفق بضياؤها ، وأبصر ما حوله مستضيئاً بنوره من الظلمة ، تخذت النار وانطفأت ، ^(١) فذهب نوره ، وعاد المستضيء به في ظلمة وحيرة .

وذلك أن المنافق لم يزل مستضيئاً بضوء القول الذي دافع عنه في حياته القتل والسبأ ، مع استبطائه ما كان مستوجباً به القتل وسلب المال لو أظهره بلسانه — تخيل إليه بذلك نفسه أنه بالله ورسوله والمؤمنين مستهزئ مخادع ، حتى سوت له نفسه — إذ ورد على ربه في الآخرة — أنه ناج منه بمثل الذي نجا به في الدنيا من الكذب والنفاق . أو ما تسمع الله جل ثناؤه يقول إذ نعتهم ، ثم أخبر خبرهم عند ورودهم عليه : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ مُّكَاذِبُونَ ﴾ [سورة المجادلة : ١٨] ، ظناً من القوم أن نجاتهم من عذاب الله في الآخرة ، في مثل الذي كان به نجاؤهم من القتل والسبأ وسلب المال في الدنيا ^(٢) : من الكذب والإفك ، وأن خداعهم نافعهم هنالك نفعه إياهم في الدنيا ، حتى عاينوا من أمر الله ما أيقنوا به أنهم كانوا من ظنونهم في غرور وضلال ، واستهزاء بأنفسهم وخداع ، إذ أطفأ الله نورهم يوم القيامة ، فاستنظروا المؤمنين ليقتبسوا من نورهم فقيل لهم : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً واصلوا سعيماً . فذلك حين ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، كما انطفأت نار المستوقد النار بعد إضاءتها له ، فبقى في ظلمته حيران تائهاً ، يقول الله جل ثناؤه : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « حتى ارتفق بضياؤها وأبصر ما حوله . . . حتى تخذت النار » ، وهي عبارة مختلفة ، صوابها ما أثبتناه .

(٢) في المطبوعة : « كان به نجاتهم من القتل » ، وهما سواء في المعنى .

مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ
فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ • يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى
وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ
اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ • فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿ [سورة الحديد : ١٣ - ١٥] .

فإن قال لنا قائل : إنك ذكرت أن معنى قول الله تعالى ذكره « كمثل الذي
استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » : تهمت وانطفأت ، وليس ذلك بموجود في
القرآن . فما دلالتك على أن ذلك معناه ؟

قيل : قد قلنا إن من شأن العرب الإيجاز والاختصار ، إذا كان فيما نطقت
به الدلالة الكافية على ما حذف وتركت ، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ ، إِنِّي لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ ، فَمَا أَذْرِي أَرْشُدُ طِلَابُهَا !^(١)

يعنى بذلك : فما أدرى أُرشدُ طِلَابُهَا أم غيٌّ ، فحذف ذكر « أم غيٌّ » ،
إذ كان فيما نطق به الدلالة عليها ، وكما قال ذو الرمة في نعت حمير :

فَلَمَّا لَبَسَ اللَّيْلَ ، أَوْحِينَ ، نَصَبْتُ لَهُ مِنْ خَذَا آذَانَهَا وَهُوَ جَاوِحٌ^(٢)

(١) ديوان الهذليين ١ : ٧١ ، وسيأتي في تفسير آية آل عمران : ١١٣ (٤ : ٣٤ بولاق)
ورواية الطبري للبيت في الموضعين لا يستقيم بها معنى ، ورواية ديوانه :

« عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهِ »

ويروى « دعاني إليها . . » ، وهما روايتان صحيحتان . وتمام معنى البيت في الذي يليه :

فَقُلْتُ لِقَلْبِي : يَا لَكَ الْخَيْرُ ! إِنَّمَا يُدَلِّيكَ لِلْمَوْتِ الْجَدِيدِ حِبَابُهَا

فهو يؤامر قلبه ، ولكنه أطاعه .

(٢) ديوانه : ١٠٨ وسيأتي في تفسير آية يونس : ٧٧ (١١ : ١٠١ بولاق) ، وآية سورة

يعنى : أو حين أقبل الليل ، فى نظائر لذلك كثيرة ، كرهنا إطالة الكتاب
بذكرها. فكذلك قوله : « كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » ، لما كان ١١٣/١
فيه وفيما بعده من قوله : « ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » دلالة
على المتروك كافية من ذكره - اختصر الكلام طلب الإيجاز .

وكذلك حذف ما حذف واختصار ما اختصر من الخبر عن مثل المنافقين
بعده ، نظير ما اختصر من الخبر عن مثل المستوقد النار . لأن معنى الكلام :
فكذلك المنافقون ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون - بعد الضياء
الذى كانوا فيه فى الدنيا بما كانوا يظهرون بألسنتهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره
مستبطنون - كما ذهب ضوء نار هذا المستوقد ، بانطفاء ناره وخمودها ، فبقى فى ظلمة
لا يبصر .

و « الهاء والميم » فى قوله « ذهب الله بنورهم » ، عائدة على « الهاء والميم » فى قوله
« مثلهم » .

القول فى تأويل قول الله : ﴿ صُمِّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهَمَّ

لَا يَزْجُمُونَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : وإذ كان تأويل قول الله جل ثناؤه : « ذهب الله بنورهم

النبا : ١٠ (٣٠ : ٣ بولاق) . يصف عانة حر ، وقفت ترقب مغيب الشمس ، حتى إذا غربت
انطلقت مسرعة إلى مرد الماء الذى تنوى إليه . وقوله : « لبس الليل » يعنى الحر ، حين غشين الليل وهن
مترقيات مغيب الشمس . ونصبت : رفعت وأقامت آذانها . وخذيت الأذن خذاً : استرخت من أصلها
مقبلة على الخدين ، وذلك يصيب الحر فى الصيف من حر الشمس والظلمة . ونصبت خذاً آذانها ، استعداداً
للعو إلى الماء . وجنح الليل فهو جانح : أقبل ، وهو من جنح الطائر : إذا كسر من جناحيه ثم أقبل
كالواقع اللاجئ إلى موضع . وهو وصف جيد لإقبال الظلام من جانب الأفق . وأراد الطبرى أن ذا الرمة
أراد أن يقول : أو حين أقبل الليل ، نصبت له من خذاً آذانها ، وهو جانح . ولا ضرورة توجب ما
قال به من الحذف فى هذا البيت .

وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، هو ما وصفنا — من أن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عما هو فاعل بالمنافقين في الآخرة ، عند هتك أستارهم ، وإظهاره فضائح أسرارهم ، وسلبه ضياء أنوارهم ، من تركهم في ظلم أهوال يوم القيامة يترددون ، وفي حنادسها لا يبصرون — فبيّن أن قوله جل ثناؤه : «صم بكم عى فهم لا يرجعون» من المؤخر الذى معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، صم بكم عى فهم لا يرجعون ، مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، أو كمثل صيب من السماء .

وإذ كان ذلك معنى الكلام : فعلوم أن قوله : «صم بكم عى» ، يأتيه الرفع من وجهين ، والنصب من وجهين :

فأما أحد وجهى الرفع : فعلى الاستئناف ، لما فيه من الذم . وقد تفعل العرب ذلك فى المدح والذم ، فتصيب وترفع ، وإن كان خبراً عن معرفة ، كما قال الشاعر :

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْمَدَاقِ وَآفَةُ الْجُزْرِ^(١)
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَقَرٍّ تَرَكَ^(٢) وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ^(٣)

فيروى : «النازلون» و «النازلين» ، وكذلك «الطيبون» و «الطيبين» ، على ما وصفت من المدح .

(١) الشعر للخرنق بنت بدر بن خفان ، أخت طرفة لأمه ، أمهما وردة ، ديوانها : ١٠ ، ترقى زوجها بشر بن عمرو بن مرثد . وسيأتى فى تفسير آية سورة غافر : ٣ (٢٤ : ٢٧ بولاق) ، وفى سيبويه ١ : ١٠٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، وخزانة الأدب ٢ : ٣٠١ . وقولها «لا يبعدن قوى» : أى لا يهاكمن قوى ، تدعو لهم . وفعله : بعد يبعد بعداً (من باب فرح) : هلك . والمدة جمع عاد ، وهو العدو . والجزر جمع جزور : وهى الناقة التى تنحر . وآفة الجزر : علة هلاكها ، لا يبقون على أموالهم من الكرم .

(٢) المترك : موضع القتال حيث يعتركون ، يطعن بعضهم بعضاً . وإذا ضاق المترك نزل الفرمان ، وتطاعنوا واقتربوا حتى يعتنق بعضهم بعضاً إذا حس القتال . والأزر جمع إزار : وهو ما ستر النصف الأسفل ، والرداء : ما ستر الأعلى . ومعاقد الأزر : حيث يعقد لثلا تسقط . وكنت بذلك عن عفتهم وطهارتهم ، لا يقربون فاحشة فيحلون معاقد الأزر .

والوجهُ الآخرُ : على نية التكرير من « أولئك » ، فيكون المعنى حينئذ : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، أولئك صمٌ بكم عمى فهم لا يرجعون .

وأما أحد وجهي النصب : فإن يكون قطعاً مما في « مهتدين » من ذكر « أولئك » ، (١) لأن الذي فيه من ذكرهم معرفة ، والصم نكرة .

والآخر : أن يكون قطعاً من « الذين » ، لأن « الذين » معرفة و « الصم » نكرة (١) . وقد يجوز النصب فيه أيضاً على وجه الذم ، فيكون ذلك وجهاً من النصب ثالثاً .

فأما على تأويل ما روينا عن ابن عباس من غير وجه رواية على بن أبي طلحة عنه ، فإنه لا يجوز فيه الرفع إلا من وجه واحد ، وهو الاستئناف . وأما النصب فقد يجوز فيه من وجهين : أحدهما : الذم ، والآخر : القطع من « الهاء والميم » اللتين في « تركهم » ، أو من ذكرهم في « لا يبصرون » .

وقد بينا القول الذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك . والقراءة التي هي القراءة ، الرفع دون النصب (٢) . لأنه ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين . وإذا قرئ نصباً كانت قراءة مخالفة رسم مصاحفهم .

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن المنافقين : أنهم باشتراهم الضلالة بالهدى لم يكونوا للهدى والحق مهتدين ، بل هم صمٌ عنهما فلا يسمعونهما ، لغلبة خذلان الله عليهم ، بكم عن القيل بهما فلا ينطقون بهما — والبكم : الخرس ، وهو جماع أبكم — عمى عن أن يبصروها فيعقلوها ، لأن الله قد طبع على قلوبهم بنفاقهم فلا يهتدون .

وبمثل ما قلنا في ذلك قال علماء أهل التأويل :

٣٩٨ — حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ،

(١) قطعاً : أى حالا ، وانظر ما سلف : ٢٣٠ تعليق : ٤ .

(٢) في المطبوعة : « والقراءة التي هي قراءة الرفع . . . » ، وهو خطأ محض .

عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « صمٌ بكم عُمى » ، عن الخير .

٣٩٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « صم بكم عُمى » ، يقول : لا يسمعون الهدى ولا يُبصرونه ولا يعقلونه .

٤٠٠ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « بكم » ، هم الخُرس .

٤٠١ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَّيع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله « صم بكم عُمى » : صمٌ عن الحق فلا يسمعون ، عمى عن الحق فلا يبصرونه ، بكم عن الحق فلا ينطقون به (١) .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : وقوله « فهم لا يرجعون » ، إخبارٌ من الله جل ثناؤه عن هؤلاء المنافقين - الذين نعتهم الله باشرائهم الضلالة بالهدى ، وصممهم عن سماع الخير والحق ، وبكمهم عن القيل بهما ، وعماهم عن إبصارهما - (٢) أنهم لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلاتهم ، ولا يتوبون إلى الإنابة من نفاقهم . فأَيَسُ المؤمنين من أن يبصر هؤلاء رشداً ، أو يقولوا حقاً ، أو يسمعوا داعياً إلى الهدى ، أو أن يذكروا فيتوبوا من ضلاتهم ، كما آيس من توبة قادة كفار أهل الكتاب

(١) هذه الأخبار ٣٩٨ - ٤٠١ : تنمة ماضى في تفسير صدر الآية ، بالأرقام : ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ .

(٢) سياقه : « إخبار من الله عز وجل . . . أنهم لا يرجعون . . . » .

والمشركين وأحبارهم ، الذين وصّفهم بأنه قد ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وغشى على أبصارهم .

وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك :

٤٠٢ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « فهم لا يرجعون » ، أى : لا يتوبون ولا يذكرون .

٤٠٣ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي فى خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « فهم لا يرجعون » : فهم لا يرجعون إلى الإسلام .

وقد روى عن ابن عباس قول " يخالف معناه معنى هذا الخبر ، وهو ما : -

٤٠٤ - حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فهم لا يرجعون » ، أى : فلا يرجعون إلى الهدى ولا إلى خير ، فلا يصيبون نجاتاً ما كانوا على ما هم عليه ^(١) .

وهذا تأويل ظاهر التلاوة بخلافه . وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن القوم أنهم لا يرجعون - عن اشتراطهم الضلالة بالهدى - إلى ابتغاء الهدى وإبصار الحق ، من غير حصر منه جل ذكره ذلك من حالهم على وقت دون وقت ^(٢) وحال دون حال . وهذا الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس ، " ينبئ أن ذلك من صفتهم محصور على وقت ^(٣) ، وهو ما كانوا على أمرهم مقيمين ، وأن لهم السبيل إلى الرجوع

(١) هذه الأخبار ٤٠٢ - ٤٠٤ : تنمى ماضى فى تفسير صدر الآية . بالأرقام : ٤٠١ ، ٤٠٠ ، ٣٩٨

(٢) فى المطبعة : « إلى وقت دون وقت » ، وهو خطأ .

(٣) فى المطبعة : « ينبئ عن أن . . . » .

عنه . وذلك من التأويل دعوى باطلة^(١) ، لا دلالة عليها من ظاهر ولا من خبر .
تقوم بمثله الحجة فيسلم لها .

...

القول في تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ

السَّمَاءِ ﴾

قال أبو جعفر : والصَّيِّبُ الفَيْسَعِيلُ من قولك : صَابَ المطرُ يَصُوبُ صَوْباً ، إذا
انحدرَ وتَزَلَّ ، كما قال الشاعر :

فَلَسْتُ لِلْإِنْسِيِّ وَلَكِنْ لِمَلَأِكُ تَنْزَلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٢)

وكما قال علقمة بن عبدة :

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيْبُ^(٣)

١١٥/١

(١) في المخطوطة « دعوى ناظر » ، وصوابها « دعوى باطل » بالإضافة .

(٢) ينسب هذا البيت لعلقمة بن عبدة ، وليس له ، ولا هو في ديوانه . وسيأتي في تفسير آية
سورة البقرة ٣٠ (١ : ١٥٥ بولاق) ، وبغير هذه الرواية ، وهو من أبيات سيبويه ١ : ٣٧٩ وشرح
شواهد الشافية : ٢٨٧ ، واللسان (ألك) وغيرها ، غير منسوب . ويقال إنه لرجل من عبد القيس
جاهل يمدح النعمان . وحكى السيرافي أنه لأبي وجزة السعدي ، يمدح عبداً بن الزبير . وجاء في المخطوطة
« ولكن ملاكاً » . وقبل البيت :

تَعَالَيْتَ أَنْ تُهْزَى إِلَى الْإِنْسِ خَلَّةً ، وَلِلْإِنْسِ مِنْ يَمْزُوكَ ، فَهُوَ كَذُوبُ

(٣) ديوانه : البيت الأول : ٣٤ ، والثاني قبله : ١٩ ، وشرح المفضليات : ٧٨٤ ، ٧٦٩ ،
يمدح بها الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني ، وكان أسر أخاه شاماً ، فرحل إليه يطلب فكه . ويذكر
في هذا البيت يوم عين أباغ ، وفيه غزا الحارث الغساني ، المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فالتقوا بعين
أباغ ، فهزم جيش المنذر ، وقتل المنذر يومئذ . وقوله « كأنهم » يعني جيش المنذر . وصاب المطر :
انحدر وانصب . وكان وصف الجيش المهزم في البيت الذي قبله ، بين ساقط قد صرع ، وبين قتيل
قد هلك . فشبههم بطير أصابها المطر الفزير وأخذتها الصواعق ، ففرغت ، ولم تستطع أن تنهض فتطير ،
فهى تدب تطلب النجاة . والتفسير في قوله : « لطيرهن » للصواعق ، أي لطير الصواعق ، وأراد الطير
التي أفزعها الصواعق ، ولبدها المطر .

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُفْعَرٍ ، سَقَيْتِ رَوَايَا الْمُرْنِ حِينَ تَصُوبُ (١)

يعنى : حين تنحدر . وهو فى الأصل «صَيُوب» ، ولكن الواو لما سبقتها ياء ساكنة ، صيرتا جميعاً ياءً مشددةً ، كما قيل : سَيِّدٌ ، من ساد يسود ، وجيِّدٌ ، من جاد يجود . وكذلك تفعل العرب بالواو إذا كانت متحركة وقبلها ياء ساكنة ، تصيرهما جميعاً ياءً مشددةً .

وبما قلنا من القول فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

٤٠٥ - حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : حدثنا محمد بن عبيد ، قال : حدثنا هرون بن عنترة ، عن أبيه (٢) ، عن ابن عباس فى قوله «أو كصيب من السماء» ، قال : القطر .

٤٠٦ - حدثنى عباس بن محمد ، قال : حدثنا حجاج ، قال : قال : ابن جريج ، قال لى عطاء : الصيب ، المطر .

٤٠٧ - حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قال : الصيب ، المطر .

٤٠٨ - حدثنى موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن

(١) هذا البيت فى صدر القصيدة . يخاطب صاحبه ، فى المطبوعة «معر» وهو خطأ . والمفعر والقمير : الجاهل الذى لم يجرب الأمور ، كأن الجاهل غمره وطفا عليه . والشطر الثانى دعاء لها بالخصب والنعمة . والروايا جمع راوية : وهى الدابة التى تحمل مزاد الماء . والمزن : السحاب الأبيض ، شبه بالروايا حاملات الماء . ورواية ديوانه والمفضليات «سقتك» .

(٢) الإسناد ٤٠٥ - محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى - شيخ الطبرى : ثقة ، روى عنه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وغيرهم . له ترجمة فى التهذيب . وترجمه ابن أبى حاتم ٣ / ٢ / ١٩٠ . محمد بن عبيد : هو الطنافسى الأحمد ، وهو ثقة معروف ، روى عنه أحمد ، وإسحق ، وابن معين ، وغيرهم . هرون بن عنترة بن عبد الرحمن : ثقة ، وثقه أحمد وابن سعد وغيرهما . وترجمه البخارى فى الكبير ٤ / ٢ / ٢٢١ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، وابن سعد ٦ : ٢٤٣ . أبوه : هو عنترة بن عبد الرحمن ، وكنيته «أبو وكيع» ، وهو تابعى ، قال البخارى فى الكبير ٤ / ١ / ٨٤ «رأى : علياً» ، روى عنه ابنه هرون ، وأبو سنان ، وترجمه ابن سعد فى الطبقات ٦ : ١٦٣ ، وابن أبى حاتم ٣ / ٢ / ٣٥ ، وذكر أنه روى عن عثمان ، وعلى ، وابن عباس ، وأن أبا زرعة سئل عنه فقال : «كوفى ثقة» .

السُّدِّيَّ فِي خَبَرِ ذِكْرِهِ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
— وَعَنْ مُرَّةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
الصَّيْبُ ، الْمَطَرُ

٤٠٩ — حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي سَعْدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى
الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، مِثْلَهُ .

٤١٠ — حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ :
« أَوْ كَصَيْبٍ » ، يَقُولُ : الْمَطَرُ .

٤١١ — حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَنْبَأَنَا
مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، مِثْلَهُ .

٤١٢ — حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ ، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو
عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ مِيمُونٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الصَّيْبُ ،
الرَّبِيعُ^(١) .

٤١٣ — حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ
ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الصَّيْبُ ، الْمَطَرُ .

٤١٤ — حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ : الصَّيْبُ ، الْمَطَرُ .

٤١٥ — حَدَّثْتُ عَنْ الْمِنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ عَمَّارٍ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ،
عَنْ الضُّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الصَّيْبُ ، الْمَطَرُ .

٤١٦ — حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
بْنُ زَيْدٍ : « أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ » قَالَ : أَوْ كَفَيْتٍ مِنَ السَّمَاءِ .

٤١٧ — حَدَّثَنَا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَنْبَرِيُّ ، قَالَ : قَالَ سَفِيَّانُ : الصَّيْبُ ،
الَّذِي فِيهِ الْمَطَرُ .

(١) فِي الْمَطْبُوعَةِ : « الصَّيْبُ : الْمَطَرُ » . وَالرَّبِيعُ : الْمَطَرُ فِي أَوَّلِ الرَّبِيعِ .

٤١٨ — حدثنا عمرو بن هلى، قال : حدثنا أبو معاوية، قال : حدثنا ابن جريج، عن عطاء، فى قوله : « أو كصيب من السماء »، قال : المطر ^(١).

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : مثل استضاءة المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام ، مع استسرارهم الكفر ، مثل إضاءة موقد نار بضوء ناره ، على ما وصف جل ثناؤه من صفته ، أو كمثل مطر مظلم ودقّه تحدّر من السماء ^(٢)، تحمله مُرّة ظلماء فى ليلة مظلمة . وذلك هو الظلمات التى أخبر الله جل ثناؤه أنها فيه .

فإن قال لنا قائل : أخبرنا عن هذين المشكين : أهما مثلان للمنافقين ، أو أحدهما ؟ فإن يكونا مثليّن للمنافقين ، فكيف قيل : « أو كصيب » ، و « أو » تأتى بمعنى الشك فى الكلام ، ولم يقل « وكصيب » بالواو التى تلحق المثل الثانى بالمثل الأول ؟ أو يكون مثل القوم أحدهما ، فما وجه ذكر الآخر « أو » ؟ وقد علمت أن « أو » إذا كانت فى الكلام فلانما تدخل فيه على وجه الشك من المخبر فيها أخبر عنه ، كقول القائل : « لقينى أخوك أو أبوك » وإنما لقيه أحدهما ، ولكنه جهل بعين الذى لقيه منهما ، مع علمه أن أحدهما قد لقيه . وغير جائز فى الله جل ثناؤه أن يُضاف إليه الشك فى شيء ، أو عزوب عليم شيء عنه ، فيها أخبر أو ترك الخبر عنه .

قيل له : إن الأمر فى ذلك بخلاف الذى ذهبت إليه . و « أو » — وإن كانت فى بعض الكلام تأتى بمعنى الشك — فلانها قد تأتى دالة على مثل ما تدل عليه الواو ، إما بسابق من الكلام قبلها ، وإما بما يأتى بعدها ، كقول توبة ابن الحُسَين :

وقد زعمت ليلي بآنى فاجر
لنفسى ثقأها أو عَليها فجورها ^(٣)

١١٦/١

(١) الأخبار ٤٠٥ - ٤١٨ : ساقها مختصرة ابن كثير ١ : ٩٩ ، والدر المنثور ١ : ٣٣ .
(٢) الودق : المطر يخرج من خلل السحاب مسترخياً .
(٣) من قصيدة له ، أمالى القالى ١ : ٨٨ ، ١٣١ ، وأمالى الشريف المرتضى ٣ : ١٤٦ ، وأمالى الشجرى ٢ : ٣١٧ ، والأضداد لابن الأنبارى : ٢٤٣ ، وغيرها كثير .

ومعلوم أن ذلك من توبة على غير وجه الشك فيما قال ، ولكن لما كانت « أو » في هذا الموضع دالة على مثل الذى كانت تدل عليه « الواو » لو كانت مكانها ، وضعتها موضعها ، وكذلك قول جرير :

نال الخلافة أو كانت له قدراً ، كما أنى ربه موسى على قدر^(١)

وكما قال الآخر :

فلو كان البكاء يرُدُّ شيئاً بكيتُ على بُحَيْرٍ أو عِناقٍ^(٢)

على المرأين إذ مضى جميعاً لشأنهما ، بحزنٍ واشتياقٍ^(٣)

فقد دلّ بقوله « على المرأين إذ مضى جميعاً » أن بكاءه الذى أراد أن يبكيه لم يُرد أن يقصد به أحدهما دون الآخر ، بل أراد أن يبكيهما جميعاً . فذلك ذلك في قول الله جل ثناؤه « أو كصيب من السماء » . لما كان معلوماً أن « أو » دالة على ذلك على مثل الذى كانت تدل عليه « الواو » لو كانت مكانها — كان سواءً نطق فيه بـ « أو » أو بـ « الواو » . وكذلك وجه حذف « المثل » من قوله « أو كصيب » . لما كان قوله : « كمثل الذى استوقد ناراً » دالاً على أن معناه : كمثل صيب ، حذف « المثل » ، واكتفى — بدلالة ما مضى من الكلام في قوله :

(١) ديوانه : ٢٧٥ ، وسياق في تفسير آية البقرة : ٧٤ (١ : ٢٨٧ بولاق) ، وآية طه : ٤٠ (١٦ : ١٢٨ بولاق) ، وأمال الشجرى ١ : ٣١٧ ، يقولها في أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . وروايته « إذ كانت » ، وفي المطبوعة : « جاء الخلافة » ، وهي رواية سقيمة .

(٢) البيتان لمتنم بن نويرة اليربوعي . اللسان (عفق) ، أمال الشجرى ، ٢ : ٣١٨ ، أمال المرتضى ٣ : ١٤٧ ، الأضداد لابن الأنبارى : ٢٤٣ . وفي المطبوعة والمخطوطة « على جبير » ، وهو خطأ محض ، وفي المطبوعة : « عناق » ، وهو خطأ أيضاً . وهذا الشعر يقوله متنم بن نويرة في رثاء بجير بن عبد الله بن الحارث اليربوعي ، وهو بجير بن أبي مليل ، وأخوه عفاق بن أبي مليل . قتل أولهما يوم قشارة ، قتله لقيم بن أوس (النقااض : ٢٠) ، وقتل عفاق يوم المظالم ، قتله الدعاء ، وقيل قتله الفريس بن مسلمة (النقااض : ٥٨٣) .

(٣) يروى « بحزن واحترق » و « بشجو واشتياق » . وقوله : « مضى لشأنهما أى ، هلكا ولقيا ما يلحق كل حي .

« كمثل الذي استوقد ناراً » على أن معناه : أو كمثل صيب - من إعادة ذكر المثل ، طلب الإيجاز والاختصار .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْمَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي إِذَائِهِمْ مِنْ الصَّوْءِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝١٩ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾

قال أبو جعفر : فأما الظلمات ، فجمع ، واحداً ظلمة .

أما الرعد ، فإن أهل العلم اختلفوا فيه :

فقال بعضهم : هو ملك يزجر السحاب . ذكر من قال ذلك :

٤١٩ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا

شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : الرعد ، ملك يزجر السحاب بصوته .

٤٢٠ - حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ،

عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

٤٢١ - حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : حدثنا فضيل بن عياض ،

عن ليث ، عن مجاهد ، مثله ^(١) .

٤٢٢ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أنبأنا إسماعيل

ابن سالم ، عن أبي صالح ، قال : الرعد ، ملك من الملائكة يسبح ^(٢) .

(١) الإسناد ٤٢١ - يحيى بن طلحة اليربوعي : روى عنه الترمذي وغيره ، وذكره ابن حبان

في الثقات . وضعفه النسائي ، فقال في الضعفاء : ٣٢ : « ليس بشيء » .

(٢) الإسناد ٤٢٢ - إسماعيل بن سالم الأسدي : ثقة ، روى عنه الثوري وأبو عوانة ، قال

ابن سعد ٧ / ٢ / ٦٧ : « كان ثقة ثباتاً » . وأبو صالح : هو النعمان .

٤٢٣ - حدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدي، قال: حدثنا محمد بن يعقوب، عن أبي الخطاب البصري، عن شهر بن حوشب، قال: الرعد، ملك موكل بالسحاب يسوقه، كما يسوق الحادي الإبل، يُسَبِّح. كلما خالفت سحابة سحابة صاح بها، فإذا اشتد غضبه طارت النار من فيه، فهي الصواعق التي رأيتم^(١).

٤٢٤ - حدثت عن المنجاب بن الحارث، قال: حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: الرعد، ملك من الملائكة اسمه الرعد، وهو الذي تسمعون صوته.

٤٢٥ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا عبد الملك بن حسين، عن السدتي، عن أبي مالك، عن ابن عباس، قال: الرعد، ملك يزجر السحاب بالتسبيح والتكبير^(٢).

٤٢٦ - وحدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا علي بن عاصم، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: الرعد اسم ملك، وصوته هذا تسبيحه، فإذا اشتد زجره السحاب، اضطرب السحاب واحتك. فتخرج الصواعق من بينه.

٤٢٧ - حدثنا الحسن، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا أبو عوانة، عن

(١) الإسناد ٤٢٣ - نصر بن عبد الرحمن بن بكار التاجي، شيخ الطبري: ثقة، روى عنه الترمذي وابن ماجة وغيرهما، مترجم في التهذيب، وقال «ويقال: الأزدي»، فكذلك نسب هنا، وكذلك روى عنه الطبري في التاريخ ٢: ١٢٨، ونسبه «الأزدي»، ووقع في المطبوعة «الأودي» بالواو بدل الزاي، وهو تصحيف. محمد بن يعلى: هو السلمي الكوفي، ولقبه «زبور»، وهو ضعيف، وقال البخاري «يتكلمون فيه». أبو الخطاب البصري: لم أعرف من هو؟ ولكن ذكر الدولابي في الكنى ١: ١٦٧ «أبو الخطاب عبدالله»، ثم قال: «وروى محمد بن عبدالله بن عمار عن المعافى بن عمران عن عبدالله أبي الخطاب عن شهر بن حوشب» فذكر حديثاً. ولم يبين أكثر من ذلك، ولم أجد ترجمته.

(٢) الإسناد ٤٢٥ - عبد الملك بن حسين: هو أبو مالك النخعي الواسطي، اشتهر بكنيته وبها ترجم في التهذيب ١٢: ٢١٩، وترجمه ابن أبي حاتم باسمه ٢/ ٢/ ٣٤٧. وهو ضعيف ليس بشيء.

موسى البزار ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : الرعد مَلَكٌ يسوق السحاب بالتسييح ، كما يسوق الحادى الإبل بمُحْدَاثِهِ .

٤٢٨ - حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا يحيى بن عبيد ، وشبابه ،

قالا : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : الرعد مَلَكٌ يزجر السحاب .

٤٢٩ - حدثنا أحمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبير ، قال : حدثنا

عتاب بن زياد ، عن عكرمة ، قال : الرعد مَلَكٌ فى السحاب ، يجمع السحاب كما يجمع الراعى الإبل .

٤٣٠ - حدثنا بشر ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الرعد مَلَكٌ يخلق

من خلق الله جل وعز ، سامعٌ مطيعٌ لله جل وعز .

٤٣١ - حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال :

حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : إن الرعد مَلَكٌ يُؤمّر بإزجاء السحاب فيؤلف بينه ، فذلك الصوت تسييحه .

٤٣٢ - حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الرعد مَلَكٌ .

٤٣٣ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال : حدثنا

حماد بن سلمة ، عن المغيرة بن سالم ، عن أبيه ، أو غيره ، أن على بن أبى طالب قال : الرعد مَلَكٌ .

٤٣٤ - حدثنا المثنى ، قال : حدثنا حجاج ، قال : حدثنا حماد ، قال :

أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم ، مولى ابن عباس ، قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجهم يسأله عن الرعد ، فقال : الرعد مَلَكٌ ^(١) .

(١) الخبر ٤٣٤ - هذا إسناد منقطع : موسى بن سالم أبو جهضم : ثقة ، ولكن روايته عن ابن عباس مرسلّة . « أبو الجهم » : بفتح الجيم وسكون اللام وآخره دال مهملة ، ووقع فى الأصول هنا ، وفى الروايات التالية « أبو الجهم » بالحاء بدل الجيم ، وهو تصحيف . وأبو الجهم : هو جيلان - بكسر الجيم - بن أبى فروة ، ويقال : ابن فروة الأسدى البصرى ، كما ذكر البخارى فى ترجمته فى الكبير ٢٥٠ / ٢ / ١ . وقال ابن أبى حاتم ١ / ١ / ٥٤٧ : « صاحب كتب التوراة ونحوها » . ثم روى عن أحمد بن حنبل أنه وثقه . وترجمه ابن سعد ٧ / ١ / ١٦١ ، وقال : « أبو الجهم الجوفى ، حى من

٤٣٥ - حدثنا المثنى ، قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثنا عمر بن الوليد الشنّي ، عن عكرمة ، قال : الرعدُ ملكٌ يسوق السحاب كما يسوق الراعى الإبل (١) .

٤٣٦ - حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا حفص بن عمر ، قال : حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قال : كان ابن عباس إذا سمع الرعد قال : 'سبحان الذي سبّحت له' . قال : وكان يقول : إن الرعد ملكٌ ينطق بالغيث كما ينطق الراعى بغنمه (٢) .

وقال آخرون : إن الرعد ريح تختلق تحت السحاب فتصاعد ، فيكون منه ذلك الصوت .

ذكر من قال ذلك :

٤٣٧ - حدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد الزُّبيري ، قال : حدثنا بشر بن إسماعيل ، عن أبي كثير ، قال : كنت عند أبي الجحلد ، إذ جاءه رسول ابن عباس بكتاب إليه ، فكتب إليه : « كتبتَ تسألني عن الرعد ، فالرعد الريح (٣) »

٤٣٨ - حدثني إبراهيم بن عبد الله ، قال : حدثنا عمران بن ميسرة ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن الفرات ، عن أبيه (٤) ، قال : كتب ابن عباس

الأزد ، واسمه : جيلان بن فروة ، وكان ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات : ١٥٧ ، والنولاني في الكنى ١ : ١٣٩ ، والزبيدي في شرح القاموس (جلد) و (جيل) . وذكره الحافظ في لسان الميزان في الأسماء ٢ : ١٤٤ ، ووجدت ترجمته في الكنى « أبو الجحلد » ، ثم لم يفعل ، وروى عنه الطبري أثراً في التاريخ ٢ : ٢٠٣ . وسيأتي في الخبر : ٤٥ : أنه « رجل من أهل هجر » .

(١) عمر بن الوليد الشنّي أبو سلمة العبدى : ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما ، وقال أبو حاتم : « ما أرى بحديثه بأساً » . وهو مترجم في التعجيل : ٣٠٤ ، وابن أبي حاتم ٣ / ١ / ١٣٩ . « الشنّي » : بفتح الشين المعجمة ، كما في المشتبه : ٢٧٩ . ووقع في المطبوعة بالمهملة ، وهو تصحيف .

(٢) الإسناد ٤٣٦ - سعد بن عبد الله بن عبد الحكم : لم أجد له ترجمة إلا في كتاب ابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٩٢ ، وقال : « سمعت منه بمكة وبمصر ، وهو صلوق » .

(٣) الإسناد ٤٣٧ - هو إسناد مشكل . ما وجدت ترجمة « بشر بن إسماعيل » ، وما عرفت من هو . ثم لم أعرف من « أبو كثير » الراوى عن أبي الجحلد . وسيأتي هذا الإسناد مرة أخرى : ٤٤٣ .

(٤) الإسناد ٤٣٨ - عمران بن ميسرة المنقرى : ثقة ، من شيوخ البخارى وأبي داود وأبي زرعة وأبي حاتم . ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودى : ثقة مأمون حجة . الحسن بن الفرات : ثقة ، أخرج له مسلم في صحيحه . أبوه : فرات بن أبي عبد الرحمن القزاز التميمي ، ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، ولكن روايته عن ابن عباس منقطعة ، إنما هو يروى عن التابعين .

إلى أبي الجحلد يسأله عن الرعد ، فقال : الرعد ريح ^(١) .

قال أبو جعفر : فإن كان الرعد ما ذكره ابن عباس ومجاهد ، فمعنى الآية :
أو كصيب من السماء فيه ظلمات وصوت رعد . لأن الرعد إن كان ملكاً يسوق
السحاب ، فغير كائن في الصيب ، لأن الصيب إنما هو ما تحدّر من صوب
السحاب ، والرعد إنما هو في جو السماء يسوق السحاب . على أنه لو كان فيه ثم
لم يكن له صوت مسموع ، لم يكن هنالك رعب يُرعب به أحد ^(٢) . لأنه قد
قيل : إن مع كل قطرة من قطر المطر ملكاً ، فلا يعدو الملك الذي اسمه
« الرعد » ، لو كان مع الصيب ، إذا لم يكن مسموعاً صوته ، أن يكون كبعض
تلك الملائكة التي تنزل مع القطر إلى الأرض ، في أن لا رعب على أحد بكونه فيه .
فقد علم — إذ كان الأمر على ما وصفنا من قول ابن عباس — أن معنى الآية :
أو كمثل غيث تحدّر من السماء فيه ظلمات وصوت رعد ، إن كان الرعد هو
ما قاله ابن عباس ، وأنه استغنى بدلالة ذكر الرعد باسمه على المراد في الكلام
من ذكر صوته . وإن كان الرعد ما قاله أبو الجحلد ، فلا شيء في قوله « فيه
ظلمات ورعد » متروك . لأن معنى الكلام حيث ذكر : فيه ظلمات ورعد الذي
هو ما وصفنا صفته .

وأما البرق ، فإن أهل العلم اختلفوا فيه : فقال بعضهم بما : —
٤٣٩ — حدثنا مطر بن محمد الضبي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، — ح —
وحدثني محمد بن بشار ، قال : حدثني عبد الرحمن بن مهدي ، — ح —
وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قالوا جميعاً :
حدثنا سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن أشوع ، عن ربيعة

(١) الأخبار ٤١٩ — ٤٣٨ جميعاً : لم يذكرها ابن كثير ولا السيوطي في الدر المنثور ، وذكر
البغوي في تفسيره ١ : ٩٩ — ١٠٠ ، بعضها ، والقرطبي ١ : ١٨٧ وما بعدها .

(٢) في المطبوعة : « على أنه لو كان فيه يمر ، لم يكن له صوت مسموع ، فلم يكن هناك رعب »
وهو من تبديل النساخ .

ابن الأبيض ، عن علي ، قال : البرق مخاريقُ الملائكة (١) .

٤٤٠ - حدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا عبد الملك بن الحسين ، عن أبي مالك ، عن السُّدِّيِّ ، عن ابن عباس : البرقُ مخاريقُ بأيدي الملائكة ، يزجرون بها السحاب .

٤٤١ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد ، عن المغيرة بن سالم ، عن أبيه ، أو غيره ، أن علي بن أبي طالب قال : الرعد الملك ، والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد .

وقال آخرون : هو سوطٌ من نور يُزجي به الملكُ السحاب .
ذكر من قال ذلك :

٤٤٢ - حدثت عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، بذلك .
وقال آخرون : هو ماء .

ذكر من قال ذلك :

٤٤٣ - حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا بشر بن إسماعيل ، عن أبي كثير ، قال : كنت عند أبي الجحلد ، إذ جاء رسول ابن عباس بكتاب إليه ، فكتب إليه : « كتبت إلى تسألني عن البرق ، فالبرق الماء » .

٤٤٤ - حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، قال : حدثنا عمران بن ميسرة ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن الفرات ، عن أبيه ، قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجحلد يسأله عن البرق ، فقال : البرق ماء .

(١) الإسناد ٤٣٩ - سلمة بن كهيل الحضرمي : ثقة معروف ، سعيد بن أشوع : هو سعيد ابن عمرو بن أشوع الكوفي القاضي ، نسب إلى جده . وهو ثقة ، أخرج له الشيخان في الصحيحين ، ربيعة بن الأبيض - الذي روى عن علي - لم أجد له ترجمة إلا في كتاب الثقات لابن حبان : ١٨٤ . قال : « ربيعة بن الأبيض ، يروي عن علي بن أبي طالب ، روى عنه ابن أشوع » .
المخاريق جمع مخراق : وهو منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، ويلف فيفزع به ، وهو من لعب الصبيان ، ومنه سمي السيف مخراقاً .

٤٤٥ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن رجل ، من أهل البصرة من قُرَّأَهم ، قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجلد - رجل من أهل هَجَرَ - يسأله عن البرق ، فكتب إليه : « كتبت إلى تسألني عن البرق ، وإنه من الماء » .

وقال آخرون : هو مَصْع مَلَك^(١) .

٤٤٦ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : البرق ، مَصْع مَلَك^(٢) .

٤٤٧ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا هشام ، عن محمد ابن مسلم الطائفي ، قال : بلغني أن البرق مَلَكٌ له أربعة أوجه ، وجهُ إنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مَصْع بأجنحته فذلك البرق^(٣) .

٤٤٨ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائي قال : في كتاب الله : الملائكة تحمكة العرش ، لكل مَلَك منهم وجه إنسان وثور وأسد ، فإذا حركوا أجنحتهم فهو البرق^(٤) .

(١) المصع : الضرب بالسيف أو السوط أو غيرها . والمصاع : المجالدة بالسيف . يعني أن الملك يضرب السحاب بمخراقه .

(٢) الإسناد ٤٤٦ - عثمان بن الأسود بن موسى المكي : ثقة ثبت كثير الحديث ، يروى عن مجاهد ، ويروى عنه سفيان الثوري .

(٣) الإسناد ٤٤٧ - محمد بن مسلم بن سوسن الطائفي : وثقه ابن معين ، وقال ابن مهدي : « كتبه صحاح » ، وضعفه أحمد بن حنبل ، وأخرج له مسلم في صحيحه حديثاً واحداً متابعه .

(٤) الأثر ٤٤٨ - وهب بن سليمان الجندى - بفتح الجيم والنون - اليماني ، قال البخاري في

الكبير ٤ / ٢ / ١٦٩ - ١٧٠ : « عن شعيب الجبائي ، قوله ، روى عنه ابن جريج » . ولم أجد

له ترجمة عند غيره . شعيب الجبائي : بفتح الجيم والياء الموحدة مخففة ، نسبة إلى « جبأ » ، بوزن « جبل » ،

وهو جبل في اليمن قرب الهند ، كما قال ياقوت وغيره . وشعيب هذا ترجمه البخاري في الكبير ٢ / ٢ / ٢١٩ .

وترجمه ابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٣٥٣ ، قال : « شعيب الجبائي : يمانى ، يروى عن الكتب [يريد

الكتب المنسوبة لأهل الكتاب من الأساطير] ، روى عنه سلمة بن وهرام » ، ثم جزم ابن أبي حاتم بأنه

وقال أمية بن أبي الصلت :

رَجُلٌ وَثُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْآخِرَى ، وَلَيْثٌ مُرْصِدٌ ^(١)

٤٤٩ - حدثنا الحسين بن محمد ، قال : حدثنا علي بن عاصم ، عن ابن

جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : البرق ملك .

٤٥٠ - وقد حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ،

عن ابن جريج ، قال : الصواعق ملكات يضرب السحاب بالمخاريق ، يُصيب منه من يشاء ^(٢) .

قال أبو جعفر : وقد يحتمل أن يكون ما قاله علي بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد بمعنى واحد . وذلك أن تكون المخاريق التي ذكر علي رضي الله عنه أنها هي البرق ، هي السياط التي هي من نور ، التي يُزجى بها الملك السحاب ، كما قال ابن عباس . ويكون إزجاء الملك بها السحاب ، مَصْعَه إِيَّاه ^(٣) . وذلك أن المِصَاعَ عند العرب ، أصله : المجالدة بالسيوف ، ثم تستعمله في كل شيء جُولد به في حرب وغير حرب ، كما قال أعشى بني ثعلبة ، وهو يصف جوارى يلعبن بحلّيهن ويجالدن به ^(٤) :

١١٩/١

« شبيب بن الأسود » ، ثم روى بإسناده عن زعفة ، عن شبيب بن الأسود ، قال : أجد في كتاب الله . وله ترجمة في لسان الميزان ٣ : ١٥٠ وقال : « أخباري متروك » . ثم ذكر شيئاً مما لا يقبله العقل من كلامه ، وقال : « ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : كان قد قرأ الكتب » .

(١) ديوانه : ٢٥ ، وسيأتي في تفسير آية الرعد : ٣٥ (١٣ : ١٠٩ بولاق) . ورواية ديوانه : « تحت يمين رجله ، والنسر اليسرى » . قال الطبري في الموضع الآخر : « كأنه قال : تحت رجله ، أو تحت رجله اليمنى » . والتفسير في قوله : « رجله » ، يعني به إسماعيل ، وذكره في شعره قبل . وفي ديوانه ، وفي الموضع الآخر من الطبري : « زحل » ، كأنه يعني البروج ، ولكن استدلال الطبري هنا واضح ، دال على أن روايته « رجل » .

(٢) الأخبار ٤٣٩ - ٤٥٠ : لم تذكر في ابن كثير ، ولا في الدر المنثور . وانظر البغوي

١ : ٩٩ - ١٠٠ ، والقرطبي ١ : ١٨٨ .

(٣) في المطبوعة : « إزجاء الملك السحاب ، مصعه إياه بها » .

(٤) المجالدة : المضاربة بالسيوف وغيرها في المصارعة والقتال ، من الجالد .

إِذَا هُنَّ نَازِلْنَ أَقْرَانَهُنَّ وَكَانَ الْمِصَاعُ بِمَا فِي الْجُودِ^(١)

يقال منه : ماصعه مصاعاً . وكان مجاهداً إنما قال : « مَصْعُ ملك » ، إذ كان السحاب لا يماصع الملك ، وإنما الرعد هو المماصع له ، فجعله مصدراً من مَصْعَه يَمَصَعُه مَصْعاً .

وقد ذكرنا ما في معنى « الصاعقة » — ما قال شهر بن حوشب فيما مضى .

وأما تأويل الآية ، فإن أهل التأويل مختلفون فيه :

فروى عن ابن عباس في ذلك أقوال : أحدها : ما —

٤٥١ — حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد

ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد

ابن جبير ، عن ابن عباس : « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق »

يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت : أي هم من ظلمات

ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل — على الذي هم عليه من الخلاف والتخوف

منكم — على مثل ما وصف ، من الذي هو في ظلمة الصيب ، فجعل أصابعه في أذنيه

من الصواعق حذر الموت ، يكاد البرق يخطف أبصارهم — أي لشدة ضوء الحق —

كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ، أي يعرفون الحق ويتكلمون به ،

فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين^(٢) .

والآخر : ما —

(١) ديوانه : ١٥ ، وزعم الطبري كما ترى أنه أراد جوارى يلعبن بحلين ويخالدن بها . وقد أخطأ

المعنى . وإنما أراد الأعشى ما هو أبلغ . وذلك أن الأقران جمع قرن : وهو الذي يقارنك في القوة والشجاعة ،

وأراد به الرجال ، ويناظر : أراد ما يكون منهن من المداعبة والممارسة لإرادة الغلبة على عقول الرجال وعزائمهم .

والجود ، جمع جونة : وهي سلة صنيعة مستديرة مغطاة بالأدم يكون فيها الطيب . ويقال أيضاً : « جونة

وجون » بالهمز . وذكر الأعشى المعركة القديمة الدائرة بين الرجال والنساء ، يتخذن الزينة والطيب سلاحاً ،

فيتصدن للرجال ابتغاء الظفر والغلبة ، والفتنة التي تصرع الأبواب والعزائم ، فيقع الرجال أسرى في

أيديهن .

(٢) الخبر ٤٥١ — ذكره السيوطي في الدر المنثور بتمامه ١ : ٣٢ — ٣٣ ، ونسبه أيضاً لابن

إسحق ، وابن أبي حاتم . وفيه وفي المخطوطة « من الخلاف والتخويف منكم » ونقل ابن كثير بعضه ١ : ١٠٠ .

٤٥٢ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق » إلى « إن الله على كل شيء قدير » ، أما الصيب فالمطر ^(١) . كان رجلا من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله ، فيه رعد شديد وصواعق وبرق ، فجعلتا كلتاهما أضواء لهما الصواعق فجعلتا أصابعهما في آذانهما ، من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما . وإذا لمع البرق مشيا في ضوئه ^(٢) ، وإذا لم يلمع لم يبصرا وقاما مكانهما لا يمشيان ^(٣) ، فجعلتا يقولان : ليتنا قد أصبحنا فنأتى محمداً فنضع أيدينا في يده . فأصبحا ، فأتياه فأسلما ، ووضعنا أيديهما في يده ، وحسُن إسلامهما . فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة . وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، فرقا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا ، كما كان ذاك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما ، وإذا أضاء لهما مشوا فيه . فإذا كثرت أموالهم ، وولد لهم الغلمان ^(٤) ، وأصابوا غنيمة أو فتحاً ، مشوا فيه ، وقالوا : إن دين محمد صلى الله عليه وسلم دين صدق . فاستقاموا عليه ، كما كان ذاك المنافقان يمشيان ، إذا أضاء لهما البرق مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا ^(٥) . فكانوا

(١) في المطبعة : « وأما الصيب والمطر » ، وهو خطأ .

(٢) في الأصول : « مشوا » ، وصحناه من الدر المنثور والشوكاني .

(٣) في الأصول : « قاما مكانهما » بغير واو ، وفي إحدى النسخ المخطوطة : « فقاما مكانهما » ، واتفقت سائر الأصول وما نقل في الدر المنثور والشوكاني على حذف الفاء ، والجملة لا تستقيم ، فجعلناها « وقاما » ، وهو صواب العبارة .

(٤) في الدر المنثور : « وولدهم ، وأصابوا . . . » ، وفي الشوكاني : « وأولادهم وأصابوا . . . »

(٥) في المخطوطة : « إذا أضاء لهما مشيا ، وإذا أظلم عليهما قاما » . وفي الدر المنثور : « يمشيان »

إذا هلك أموالهم ، ووُلد لهم الجوارى ، وأصابهم البلاء^(١) ، قالوا : هذا من أجل دين محمد . فارتدوا كفاراً ، كما قام ذاك المنافقان حين أظلم البرق عليهما^(٢) .
موال الثالث : ما —

٤٥٣ — حدثني به محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : « أو كصيب من السماء » ، كطر ، « فيه ظلمات ورعد وبرق » إلى آخر الآية ، هو مثل المنافق في ضوء ما تكلم بما معه من كتاب الله وعمل ، مُراءاةً للناس ، فإذا خلا وحده عمل بغيره . فهو في ظلمة ما أقام على ذلك . وأما الظلمات فالضلالة ، وأما البرق فالإيمان ، وهم أهل الكتاب .

إذا أضاء بهما البرق ، وإذا أظلم عليهم قاموا » ، وفي الشوكاني : « يمشيان إذا أضاء لهم البرق ، وإذا أظلم عليهم قاموا » ، وأجودهن ما في المخطوطة ، وما في المطبوعة .

(١) في الدر المنثور والشوكاني : « إذا هلك أموالهم وأولادهم وأصابهم البلاء » .

(٢) الحديث ٤٥٢ — نقل في الدر المنثور ١ : ٣٢ ، والشوكاني ١ : ٣٦ - ٣٧ ، وسياق في ص ٣٥٤ قول الطبري عن هذا الحديث وعن إسناده : « ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً . » وانظر ما كتبه أخى السيد أحمد محمد شاكر في هذا الإسناد فيما مضى في الخبر رقم : ١٦٨ .

ويقول أحمد محمد شاكر عفا الله عنه : وحق لأبي جعفر رحمه الله أن يرتاب في إسناده . فإن هذا الإسناد فيه تساهل كثير ، من جهة جمع مفرق التفسير عن الصحابة في سياق واحد ، تجمع هذه الأسانيد ، كما بينا آنفاً . فإذا كان الأمر في تفسير معنى آية ، كان سهلاً ميسوراً قبوله ، إذ يكون رأياً أو آراء لبعض الصحابة في معنى الآية ، وما في ذلك بأس . أما إذا ارتفع الخبر إلى درجة الحديث ، بالإخبار عن واقعة معينة أو وقائع ، كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسباب لنزول بعض الآيات ، أو نحو ذلك ، مما يلحق بالحديث المرفوع لفظاً أو حكماً — كان قبول هذا الإسناد — إسناد تفسير السدى — محل نظر وارتياب . إذ هو رواية غير معروف مصدرها معرفة محددة : أى هؤلاء الذى قال هذا ؟ وأيهم الذى عبر عنه باللفظ الذى جاء به ؟ نعم ، إن ظاهره أنه عن الصحابة : إما ابن عباس ، وإما ابن مسعود ، وإما « ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » — فقد يقول قائل : إن مرجع الرواية فيه إلى الصحابة ، وسواء أعرف الصحابي الراوى أم أبهم اسمه ، فإن ذلك لا يخرج من رواية الصحابة ، وجهالة الصحابي لا تضر ؟ ولكن سياق هذه الروايات المطولة المفصلة ، في التفسير وفي الحوادث المتعلقة بأسباب النزول ، مثل الرواية التى هنا في هذا الموضع ، مع إعراض أئمة الحديث ، الذين خرجوا الروايات الصحيحة ، والروايات المقبولة مما هو دون الصحيح — عن إخراج هذه الرواية ونحوها ، وإعراض مؤرخى السيرة عن روايتها أيضاً ، كل أولئك يوجب الريبة في اتصال مثل هذه الرواية ، وفي الجزم بنسبتها إلى الصحابة . إذ لعلها مما أدرج في الرواية أثناء الحديث بها . والاحتياط في نسبة الحديث المرفوع وما في حكمه واجب .

وإذا أظلم عليهم ، فهو رجلٌ يأخذ بطرف الحق لا يستطيع أن يُجاوزه^(١) .
والرابع : ما —

١٢٠/١

٤٥٤ — حدثني به المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « أو كصيب من السماء » ، وهو المطر ، ضرب مثله في القرآن يقول : « فيه ظلمات » ، يقول : ابتلاء ، « ورعد » يقول : فيه تخويف ، « وبرق » ، « يكاد البرق يخطف أبصارهم »^(٢) ، يقول : يكاد يحكم القرآن يدل على عورات المنافقين ، « كلما أضاء لهم مشوا فيه » . يقول : كلما أصاب المنافقون من الإسلام عِزاً اطمأنوا ، وإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر^(٣) ، يقول : « وإذا أظلم عليهم قاموا » ، كقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْذُ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطمأنَّ به ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقلبَ عَلَى وَجْهِهِ ، خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [سورة الحج : ١١] ^(٤) .

ثم اختلف سائر أهل التأويل بعد في ذلك ، نظير ما روى عن ابن عباس من الاختلاف :

٤٥٥ — فحدثني محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ابن ميسون ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، قال : إضاءة البرق وإظلامه ، على نحو ذلك المثل .

٤٥٦ — حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شيبان ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، مثله .

(١) الخبر ٤٥٣ — في الدر المنثور ١ : ٣٢ ، والشوكاني ١ : ٣٧ ، مع اختلاف يسير في اللفظ .

(٢) في الدر المنثور والشوكاني : « رعد وبرق — تخويف » .

(٣) في المطبوعة : « قالوا رجعوا إلى الكفر » ، وهو خطأ محض .

(٤) الخبر ٤٥٤ — في الدر المنثور ١ : ٣٢ ، والشوكاني ١ : ٣٦ ، وبعضه في تفسير ابن

٤٥٧ - حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . مثله .

٤٥٨ - وحدثنا بشر بن معاذ ، قال حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قول الله : « فيه ظلمات ورعد وبرق » إلى قوله « وإذا أظلم عليهم قاموا » ، فالمنافق إذا رأى في الإسلام رخاءً أو طمأنينة أو سلوة من عيش قال : أنا معكم وأنا منكم ، وإذا أصابته شديدةٌ حَقَّقَ والله عندها ، فانقُطِعَ به ، فلا يصبر على بلائها ، ولم يحتسب أجرها ، ولم يرج عاقبتها ^(١) .

٤٥٩ - وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : « فيه ظلمات ورعد وبرق » ، يقول : أجبن قوم ^(٢) ، لا يسمعون شيئاً إلا إذا ظنوا أنهم هالكون فيه حذراً من الموت ، والله مُحِيطٌ بالكافرين . ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال : « يكاد البرق يُخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه » ، يقول : هذا المنافق ، إذا كثر ماله ، وكثرت ماشيته ، وأصابته عافية قال : لم يُصَبِّني منذُ دخلت في ديني هذا إلا خيراً . « وإذا أظلم عليهم قاموا » يقول : إذا ذهبت أموالهم ، وهلكت مواشيهم ، وأصابهم البلاء ، قاموا متحيرين ^(٣) .

٤٦٠ - حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « فيه ظلمات ورعد وبرق » ، قال : مثلكم

(١) الأثر ٤٥٨ - في الدر المنثور ١ : ٣٣ ، وهو جزء من أثر قتادة بتمامه ، ونصه هناك : « فإذا رأى المنافق من الإسلام طمأنينة وعافية ورخاء وسلوة عيش ، قالوا : إنا معكم ومنكم . وإذا رأى من الإسلام شدة وبلاء ، فحقَّق عند الشدة ، فلا يصبر لبلائها ، ولم يحتسب أجرها ، ولم يرج عاقبتها » . وقوله في الدر المنثور « فحقَّق » ، أظنه خطأ ، وإنما هو حَقَّق كما في أصول الطبري . والحققة : أرفع السير وأتعبه للظهر . يريد أنه يسرع إسرائاً في حيرته حتى يهلكه التعب ، وذلك أن المنافق لا يصبر على البلوى صبر المؤمن الراضى بما شاء الله وقدر . وقوله « فانقطع به » بالبناء للمجهول يقال للدابة وللرجل « قطع به وانقطع به » بالبناء للمجهول ، إذا عجز فلم ينهض ، وأتاه أمر لا يقدر على أن يتحرك معه ، وانقطع رجاؤه . وفي المخطوطة « فتقطع به » وليست بشيء . وفي المطبوعة : « وإذا أصابته شدة » .

(٢) في المطبوعة : « أخبر عن قوم » ، وهو كلام بلا معنى .

(٣) الأثر ٤٥٩ - لم أجده بلفظه ، وأثر قتادة في الدر المنثور ١ : ٣٣ شبيه به في المعنى دون اللفظ .

كمثل قوم ساروا في ليلة مظلمة ، ولها مطر ورعد وبرق على جادة ، فلما أبرقت أبصروا الجادة فمضوا فيها ، وإذا ذهب البرق تحيروا . وكذلك المنافق ، كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له ، فإذا شك تحير ووقع في الظلمة ، فكذا قال : « كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا » ، ثم قال : في أسماعهم وأبصارهم التي عاشوا بها في الناس ، « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم » .
قال أبو جعفر :

٤٦١ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان الباهلي ، عن الضحاك بن مزاحم ، « فيه ظلمات » ، قال : أما الظلمات فالضلالة ، والبرق الإيمان (١) .

٤٦٢ - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال حدثني عبد الرحمن ابن زيد ، في قوله : « فيه ظلمات ورعد وبرق » ، فقرأ حتى بلغ : « إن الله على كل شيء قدير » ، قال : هذا أيضاً مثل ضرب به الله للمنافقين ، كانوا قد استناروا بالإسلام ، كما استنار هذا بنور هذا البرق .

٤٦٣ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : ليس في الأرض شيء سمعه المنافق إلا ظن أنه يُراد به ، وأنه الموت ، كراهية له - والمنافق أكره خلق الله للموت - كما إذا كانوا بالبراز في المطر ، فرؤوا من الصواعق (٢) .

٤٦٤ - حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا ابن جريج ، عن عطاء ، في قوله : « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق » ، قال : مثل ضرب للكافر (٣) .

(١) الأثر ٤٦١ - في الأصول « أبو تميلة » بالنون ، وهو خطأ ، والصواب « أبو تميلة » بالتاء مصفراً ، وهو يحيى بن واضح ، كما مضى في : ٣٩٢ .

(٢) في المخطوطة : « كما إذا كانوا بالبر في المطر . . . » ، وهو شبيه بالصواب . والبراز : الفضاء من الأرض البعيد الواسع ، ليس به شجر ولا غيره مما يستتر به .

(٣) الآثار ٤٦٠ - ٤٦٤ : لم أجدها في مكان

وهذه الأقوال التي ذكرنا عن روينها عنه ، فإنها — وإن اختلفت فيها ألفاظ قائلها — متقاربات المعاني ، لأنها جميعاً تنبئ عن أن الله ضرب الصيب لظاهر إيمان المنافق مثلاً ، ومثل ما فيه من ظلمات لضلالاته ، وما فيه من ضياء برق لنور إيمانه^(١) ؛ وإتقائه من الصواعق بتصير أصابعه في أذنيه ، لضعف جنانته ونخب فؤاده من حلول عقوبة الله بساحته^(٢) ؛ ومشيه في ضوء البرق لاستقامته على نور إيمانه ؛ وقيامته في الظلام ، لحيرته في ضلالاته وارتكاسه في غممه^(٣) .

فتأويل الآية إذاً — إذ كان الأمر على ما وصفنا — : أو مثل ما استضاء به المنافقون — من قبلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالسنتهم : آمنا بالله وباليوم الآخر وبمحمد وما جاء به ، حتى صار لهم بذلك في الدنيا أحكام المؤمنين ، وهم — مع إظهارهم بالسنتهم ما يُظهرون — بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر ، مكذَّبون ، وتُخلاف ما يُظهرون بالألسن في قلوبهم معتقدون ، على غمى منهم ، وجهالة بما هم عليه من الضلال ، لا يدرون أى الأمرين اللذين قد شرعاً لهم [فيه] الهداية^(٤) : أى الكفر الذى كانوا عليه قبل إرسال الله محمداً صلى الله عليه وسلم بما أرسله به إليهم ، أم فى الذى أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربهم ؟ فهم من وعيد الله إياهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وجِيلون ، وهم مع وجَلهم من ذلك فى حقيقته شاكُّون ، فى قلوبهم مَرَض فزادهم الله مَرَضاً . كمثل غيثٍ سرى لبلاً فى مُرْنة ظلماء

(١) فى المخطوطة : « بضلّاته . . . بنور إيمانه » .

(٢) فى المطبوعة : « وتحرير فؤاده » . والنخب : الجبن وضعف القلب . ورجل نخب ونخب ومنخوب الفؤاد : جبان لا خير فيه ، كأنه منتزع الفؤاد ، فلا فؤاد له .

(٣) فى المطبوعة : « باستقامته . . . بهيرته فى ضلّاته . . . » .

(٤) فى المخطوطة : « مرعاً غير واضحة ولا متقوطة . ولعل الصواب « شرعاً » من قولهم شرعت الإبل الماء : أى دخلته وخاضت فيه لتشرب منه . والمنافق يخوض فى الإيمان بلسانه وفى الكفر بقلبه . وزدت ما بين القوسين ليستقيم المعنى . وفى المطبوعة بعد : « الهداية فى الكفر الذى كانوا عليه » ، بغير ألف الاستفهام ، وهو خطأ لا يستقيم .

هيلة مظلمة^(١) ، يخلوها رعد^٢ ، ويستطير في حافاتهما برق^٣ شديد لمعانه^(٢) ، كثير خطرانه^(٣) ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ويختطفها من شدة ضيائه ونور شعاعه ، وينهبط منها تارات صواعق^٤ ، تكاد تدع النفوس من شدة أهوالها زواحق .

فالصيِّبَ مثل^٥ لظاهر ما أظهر المنافقون بالسنتهم من الإقرار والتصديق ، والظلمات التي هي فيه لظلمات ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب . وأما الرعد^١ والصواعق^٢ ، فلما هم عليه من الوجَل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في آي كتابه ، إما في العاجل وإما في الآجل ، أن يحل بهم ، مع شكهم في ذلك : هل هو كائن أم غير كائن ؟ وهل له حقيقة أم ذلك كذب وباطل ؟ — مثل^(٤) . فهم من وجلهم ، أن يكون ذلك حقاً ، يتقونه بالإقرار بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بالسنتهم ، مخافة على أنفسهم من الهلاك ونزول النقيمات^(٥) . وذلك تأويل قوله جل ثناؤه « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت » ، يعني بذلك : يتقون وعيد الله الذي أنزله في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، بما يبدونه بالسنتهم من ظاهر الإقرار ، كما يتقن الخائف أصوات الصواعق بتغطية أذنيه وتصيير أصابعه فيها ، حذراً على نفسه منها .

وقد ذكرنا الخبر الذي روى عن ابن مسعود وابن عباس أنهما كانا يقولان : إن المنافقين كانوا إذا حضروا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلوا أصابعهم

(١) في المطبوعة : « وليل مظلمة » ، وهو خطأ بين .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « يخلوها » بالذال المعجمة ، وهو خطأ . وإنما هو من حذاء السائق بإبله : وهو غناؤه لها وزجره إياها ، وهو يسوقها . جعل صوت الرعد حذاء للسحاب . واستطار البرق : سطع وشق السحاب وانتشر في جوانب الغمام .

(٣) في المخطوطة : « خطوانه » غير منقوطة ، وهو تعريف . من قولهم خطر بسيفه أو سوطه يخطر خطراً : إذا رفعه مرة ووضعه أخرى ، شبه شقائق البرق بالسوط يلعب مرة ويخفي أخرى .

(٤) قوله « مثل » خبر مبتدأ محذوف ، فسياق الجملة كما ترى : أما الرعد والصواعق ، فثل لما هم عليه من الوجَل . . .

(٥) النقيمات : جمع نقيمة مثل كلمات وكلمة ، وهي العقوبات .

في آذانهم فرحاً من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل فيهم شيء ،
أو يذكروا بشيء فيقتلوا . فإن كان ذلك صحيحاً - ولست أعلمه صحيحاً ، إذ
كنت بإسناده مرتباً - فإن القول الذي روى عنهما هو القول (١) . وإن يكن
غير صحيح ، فأول بتأويل الآية ما قلنا ، لأن الله إنما قص علينا من خبرهم في
أول مبتدأ قصتهم (٢) : أنهم يخادعون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم : آمنا
بالله وباليوم الآخر ، مع شك قلوبهم ومرّض أفئدتهم في حقيقة ما زعموا أنهم
به مؤمنون ، مما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربهم . وبذلك
وصفهم في جميع آي القرآن التي ذكر فيها صفتهم . فكذلك ذلك في هذه الآية .
ولما جعل الله إدخالهم أصابعهم في آذانهم مثلاً لانتقامهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما ذكرنا أنهم يتقونهم به ، كما يتقّى سامع صوت
الصاعقة بإدخال أصابعه في أذنيه . وذلك من المثل نظير تمثيل الله جل ثناؤه ما
أنزل فيهم من الوعيد في آي كتابه بأصوات الصواعق . وكذلك قوله « حذر الموت » ،
جعل له جل ثناؤه مثلاً لخوفهم وإشفاقهم من حلول عاجل العقاب المهلكهم الذي
توعده بساحتهم (٣) ، كما يجعل سامع أصوات الصواعق أصابعه في أذنيه ، حذر
العطب والموت على نفسه ، أن تترحق من شدتها .

ولما نصب قوله « حذر الموت » على نحو ما تنصب به التكرمة في قولك :
« زرتك تكريمة لك » ، تريد بذلك : من أجل تكرمتك ، وكما قال جل ثناؤه ،
﴿ وَيَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٠] على التفسير للفعل (٤) .

وقد روى عن قتادة أنه كان يتأول قوله : « حذر الموت » ، حذراً من الموت .

(١) انظر الحديث رقم : ٤٥٢ والتعاقب عليه .

(٢) في المطبوعة : « قصصهم » ، ولا بأس بها . وبعد ذلك في المخطوطة : « أنهم عارفون يخادعون الله . . . » ، ولا معنى لإتمام قوله : « عارفون » .

(٣) في المطبوعة : « العقاب المهلك . . . » بدلوا لفظ الطبرى ، ليوافق ما اعتادوه من الكلام .

(٤) قوله « على التفسير للفعل » ، أى أنه مفعول لأجله .

٤٦٥ - حدثنا بذلك الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا معمر ، عنه .

وذلك مذهب من التأويل ضعيف ، لأن القوم لم يجعلوا أصابعهم في آذانهم تحذراً من الموت ، فيكون معناه ما قال إنه يراد به (١) : تحذراً من الموت ، وإنما جعلوها من حذر الموت في آذانهم .

وكان قتادة وابن جريج يتأولان قوله : « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت » ، أن ذلك من الله جل ثناؤه صفة للمنافقين بالهلع وضعف القلوب وكراهة الموت ، ويتأولان في ذلك قوله : « يحسبون كل صيحة عليهم » [سورة المنافقون : ٤] .

وليس الأمر في ذلك عندى كالذى قالوا . وذلك أنه قد كان فيهم من لا تنكر شجاعته ولا تدفع بسالته ، كقزيمان ، الذى لم يقم مقامه أحد من المؤمنين بأحد ، أو دونه (٢) . وإنما كانت كراهتهم شهود المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركهم معاونته على أعدائه ، لأنهم لم يكونوا في أديانهم مستبصرين ، ولا برسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين ، فكانوا للحضور معه مشاهدة كارهين ، إلا بالتخذيل عنه (٣) . ولكن ذلك وصف من الله جل ثناؤه لهم بالإشفاق من حلول عقوبة الله بهم على نفاقهم ، إما عاجلاً وإما آجلاً . ثم أخبر جل ثناؤه أن

(١) في المطبوعة « مراد به » ، وهما سواء .

(٢) هذه الجملة في المخطوطة هكذا : « كقزيمان الذى لم يقم مقامه من المؤمنين كثير أحد ودونه » . وهى عبارة مبهمة . وقد أثبت ما في المطبوعة ، وجعلت « ودونه » ، « أو دونه » . ليستقيم المعنى . ويدل على ذلك أن عدة الذين قتلوا يوم أحد من المشركين اثنان وعشرون رجلاً ، قتل قزيمان وحده منهم عشرة ، وقتل على بن أبى طالب أربعة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب ثلاثة ، وقتل عاصم ابن ثابت بن الأتاح رجلين ، وقتل سعد بن أبى وقاص رجلاً واحداً . وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل رجلاً صبراً ، وقتل آخر بيده صلى الله عليه وسلم . وقزيمان حليف بنى ظفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لمن أهل النار . فلما أبى يوم أحد ، قيل له : أبشر ! قال : بماذا أبشر ؟ فواقه ما قاتلت إلا عن أصحاب قوى ! ولولا ذلك ما قاتلت . ولما اشتدت به جراحته وآذته ، أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه .

(٣) التخذيل : حمل الرجل على خذلان صاحبه ، وتثبيطه عن نصرته .

المنافقين - الذين نعتهم الله النعت الذي ذكر ، وضرب لهم الأمثال التي وُصِفَ ، وإن اتقوا عقابه ، وأشفقوا عذابه إشفاق الجاعل في أذنيه أصابعه حذرًا حلّول الوعيد الذي توعدهم به في آي كتابه - غير مُنْجِيهم ذلك من نزوله بعقوباتهم^(١) ، وحلّوله بساحتهم ، إما عاجلاً في الدنيا ، وإما آجلاً في الآخرة ، للذي في قلوبهم من مَرَضٍ ، والشك في اعتقادها ، فقال : « والله مُحِيطٌ بالكافرين » ، بمعنى جامعهم ، فمُحِلٌّ بهم عُقوبته .
وكان مجاهدٌ يتأول ذلك كما : -

٤٦٦ - حدثني محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم . عن عيسى ابن ميمون ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، في قول الله : « والله مُحِيطٌ بالكافرين » ، قال : جامعهم في جهنم^(٢) .

وأما ابن عباس فروى عنه في ذلك ما : -

٤٦٧ - حدثني به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « والله مُحِيطٌ بالكافرين » ، يقول : الله منزلٌ ذلك بهم من النِّقْمَةِ^(٣) .
٤٦٨ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله : « والله مُحِيطٌ بالكافرين » ، قال : جامعهم .

١٢٣/١ ثم عاد جل ذكره إلى نعت إقرار المنافقين بالسنتهم ، والخبر عنه وعنهم وعن نفاقهم ، وإتمام المثل الذي ابتداء ضربته لهم ولشككتهم ومَرَضَ قلوبهم ، فقال : « يكاد البرق » ، يعني بالبرق ، الإقرار الذي أظهره بالسنتهم بالله وبرسوله وما جاء به من عند ربهم . فجعل البرق له مثلاً ، على ما قدّمنا صفته .

(١) في المطبوعة : « بعقوبتهم » ، وفي بعض المخطوطات : « بعقولهم » ، وكلتاها خطأ محض .
والمعقوبة : ساحة الدار ، وما كان حولها وقريباً منها .

(٢) الأثر ٤٦٦ - من تمام أثر في الدر المنثور ١ : ٣٣ .

(٣) الخبر ٤٦٧ - من تمام خبر في الدر المنثور ١ : ٣٢ - ٣٣ .

« يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ » ، يعنى : يذهب بها ويستلبها ويلتمعها من شدة ضيائه ونور شعاعه .

٤٦٩- كما حُدِّثَتْ عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، فى قوله : « يكاد البرقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ » ، قال : يلتَمِعُ أَبْصَارَهُمْ ولَمَّا يَفْعَلُ (١) .

قال أبو جعفر : والخطف السلب ، ومنه الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الخطفة ، يعنى بها النهبة (٢) . ومنه قيل للخطاف الذى يُنْجِزُ به الدلو من البئر خُطَّافٌ ، لاختطافه واستلابه ما علق به ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

خَطَّاطِيفٌ حُجْنٌ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدِى إِيَّاكَ نَوَازِعُ (٣)

- (١) الخبر ٤٦٩ - لم أجده . واتمم البصر أو غيره : اختلسه واختطفه وذهب به . ومنه الحديث : « إذا كان أحدكم فى الصلاة ، فلا يرفع بصره إلى السماء يلتَمِعُ بصره » ، أى يختلس .
- (٢) الذى ذكره ابن الأثير فى النهاية أن الخطفة : ما اختطف الذئب من أعضاء الشاة وهى حية ، لأن كل ما أبين من حى فهو ميت ، وذلك أن النهى عن الخطفة كان لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، رأى الناس يجبون أسنمة الإبل وأليات الغنم ويأكلونها . قال : والخطفة المرة الواحدة من الخطف ، فسئ بها العضو المختطف ، وأما النهبة والنهي ، فاسم لما ينهب ، وجاء بيانها فى حديث سنن أبى داود ٨٨ : ٣ « فأصاب الناس غنيمة فانتهبوها ، فقام عبد الرحمن بن سمرة خطيباً ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النهي » . وفى الباب نفسه من سنن أبى داود عن رجل من الأنصار قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فأصاب الناس حاجة شديدة وجهد ، وأصابوا غنماً فانتهبوها ، فإنا قدورنا لتغلى إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى على قوسه ، فأكفأ قدورنا بقوسه ، ثم جعل يرمل اللحم بالتراب ثم قال : إن النهبة ليست بأحل من الميتة » .
- (٣) ديوانه : ٤١ ، وقبلة البيت المشهور :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِى هُوَ مَدْرُكِي وَإِنْ خَلْتَ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

خطاطيف : جمع خطاف . وحجن : جمع أحجن ، وهو الموج الذى فى رأسه عقافة . وقال « تمتد بها » ولم يقل : تمتد ، لأنه لم يرد مد الحبال ذوات الخطاطيف ، وإنما أراد اليد التى تمتد بها وفيها الخطاطيف ، لأن اليد هى التى تتبع الشئ حيث ذهب (انظر ما سيأتى من إدخال الباء على مثل هذا الفعل ص ٣٦٠ س : ٦-٩) وقوله « إِيَّاكَ » متعلق بقوله « نَوَازِعُ » . ونوازع جمع نازع ونازعة ، من قولهم نزع الدلو من البئر ينزعها : جدها وأخرجها . أى أن هذه الأيدي تجذب ما تشاء إليك ، وترده عليك . والبيت متصل بالذى قبله ،

فجعل ضوء البرق وشدة شعاع نوره ، كضوء إقرارهم بالسنتهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله واليوم الآخر وشعاع نوره ، مثلاً .
ثم قال تعالى ذكره : «كلما أضاء لهم» ، يعنى أن البرق كلما أضاء لهم ، وجعل البرق لإيمانهم مثلاً . وإنما أراد بذلك : أنهم كلما أضاء لهم الإيمان ، وإضاءته لهم : أن يروا فيه ما يعجبهم في عاجل دنياهم ، من النصرة على الأعداء ، وإصابة الغنائم في المغازي ، وكثرة الفتوح ومنافعها ، والثراء في الأموال ، والسلامة في الأبدان والأهل والأولاد - فذلك إضاءته لهم ، لأنهم إنما يُظهرون بالسنتهم ما يُظهرونه من الإقرار ، ابتغاء ذلك ، ومدافعة عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذريتهم ، وهم كما وصفهم الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَصِدُّ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ [سورة الحج : ١١]

ويعنى بقوله «مشوا فيه» ، مشوا في ضوء البرق . وإنما ذلك مثل لإقرارهم على ما وصفنا . فعناه : كلما رأوا في الإيمان ما يعجبهم في عاجل دنياهم على ما وصفنا ، ثبتوا عليه وأقاموا فيه ، كما يمشى السائر في ظلمة الليل وظلمة الصيب الذي وصفه جل ثناؤه ، إذا برقت فيها بارقة أبصر طريقه فيها .

« وإذا أظلم » ، يعنى : ذهب ضوء البرق عنهم .
ويعنى بقوله «عليهم» ، على السائرين في الصيب الذي وصف جل ذكره . وذلك للمنافقين مثل . ومعنى إظلام ذلك : أن المنافقين كلما لم يروا في الإسلام ما يعجبهم في دنياهم - عند ابتلاء الله مؤمنى عباده بالضرأ ، وتمحيصه لإياهم بالشدائد والبلاء ، من إخفاقهم في مفزاهم ، وإدالة علومهم منهم^(١) ، أو إدبار من

وبيان لقوله «فإنك كالليل الذى هو مدركى» ، أراد تهويل الليل وما يرى فيه ، تنبيه حيث ذهب خطايف حجن لا مهرب له منها .

(١) في المطبوعة « وإزالة علومهم » ، وهو خطأ . والإدالة : الغلبة ، وهى من الدولة في الحرب ، وهو أن يهزم الجيش مرة ، ويهزمه الجيش الآخر قارة أخرى . يقال : اللهم أدلنا من عدونا ! أى اللهم اجعل لنا الدولة عليه وانصرنا .

دنياهم عنهم — أقاموا على نفاقهم^(١)، وكتبوا على ضلالتهم ، كما قام السائر في الصيب الذي وصف جل ذكره^(٢) ، إذا أظلم ونخفت ضوء البرق ، فحار في طريقه ، فلم يعرف منهجه .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمِهِمُ

وَأَبْصَرِهِمُ ﴾

قال أبو جعفر : وإنما نخص جل ذكره السمع والأبصار — بأنه لو شاء أذهبها من المنافقين دون سائر أعضاء أجسامهم^(٣) — للذي جرى من ذكرها في الآيتين ، أعنى قوله : « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق » ، وقوله : « يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه » ، فجرى ذكرها في الآيتين على وجه المثل . ثم عقب جل ثناؤه ذكر ذلك ، بأنه لو شاء أذهب من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم ، وعيداً من الله لهم ، كما توعدهم في الآية التي قبلها بقوله : « والله محيط بالكافرين » ، واصفاً بذلك جل ذكره نفسه ، أنه المقتدر عليهم ١٢٤/١ وعلى جمعهم ، لإحلال نخطه بهم ، وإنزال نقيمتهم عليهم ، ومخذّرهم بذلك سطوته ، ومخوّفهم به عقوبته ، ليتقوا بأسه ، ويسارعوا إليه بالتوبة .

٤٧٠ — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن

أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن شعيب بن جبير ، عن ابن عباس : « ولو شاء

(١) في المطبوعة : « قاموا على نفاقهم » . وهذه أجود .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « كما قام السائرون في الصيب » ، وهو خطأ ، صوابه من مخطوطة أخرى .

(٣) في المخطوطة : « دون سائر أجسامهم » .

الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ، لِمَا تركوا من الحق بعد معرفته ^(١) .

٤٧١ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ثم قال - يعني قال الله - في أسماعهم ،
يعني أسمع المنافقين ، وأبصارهم التي عاشوا بها في الناس : « ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وأبصارهم » ^(٢) .

قال أبو جعفر : وإنما معنى قوله : « لذهب بسمعهم وأبصارهم » ، لأذهب
سمعهم وأبصارهم . ولكن العرب إذا أدخلوا الباء في مثل ذلك قالوا : ذهبتُ ببصره ،
وإذا حذفوا الباء قالوا : أذهبتُ بصره . كما قال جل ثناؤه : ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا ﴾ [سورة
الكهف : ٦٢] ، ولو أدخلت الباء في الغداء ل قيل : آتينا بغداً آتينا ^(٣) .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « لذهب بسمعهم » فوحد ،
وقال : « وأبصارهم » فجمع ؟ وقد علمت أن الخبر في السمع خبرٌ عن سَمْع
جماعة ^(٤) ، كما أن الخبر عن الأبصار خبرٌ عن أبصار جماعة ^(٥) ؟

قيل : قد اختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحوي الكوفة : وحد
السمع لأنه عني به المصدر وقصد به الخرق ، وجمع الأبصار لأنه عني به العين .
وكان بعض نحوي البصرة يزعم : أن السمع وإن كان في لفظ واحد ، فإنه بمعنى
جماعة ^(٦) . ويحتج في ذلك بقول الله : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٢] ،
يريد : لا تترد إليهم أطرافهم ، وبقوله : ﴿ وَيُولُون الدُّبُرَ ﴾ [سورة القمر : ٤٥] ،

(١) الخبر ٤٧٠ - من تمام الخبر الذي ساقه في الدر المنثور ١ : ٣٢-٣٣ ، وقد مضى
صدره آنفاً : ٤٥١ ، ٤٦٧ .

(٢) الأثر ٤٧١ - هو من الأثر السالف رقم : ٤٦٠ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ١٩ . وانظر ما مضى من ٣٥٧ تعليق : ٣ .

(٤) في المخطوطة : « أن الخبر بالسمع » ، وهذه أجود ، وأجودهن « الخبر عن السمع » كما سيأتي

في الذي يل .

(٥) في المطبوعة : « كما الخبر في الأبصار » ، والذي في المخطوطة أجود .

(٦) في المخطوطة : « لمعنى جماعة » ، وهي صواب جيد .

يراد به أدبارهم . وإنما جاز ذلك عندى ، لأن فى الكلام ما يدل على أنه مراد به الجمع ، فكان فى دلالة على المراد منه ، وأداء معنى الواحد من السمع عن معنى جماعة ، مغنياً عن جماعه^(١) . ولو فعل بالبصر نظير الذى فعل بالسمع ، أو فعل بالسمع نظير الذى فعل بالأبصار — من الجمع والتوحيد — كان فصيحاً صحيحاً ، لما ذكرنا من العلة ، كما قال الشاعر :

كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَغْفُوا فَإِنْ زَمَانًا زَمَنْ خَمِصٌ^(٢)

فوحّد البطن ، والمراد منه البطون ، لما وصفنا من العلة .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : وإنما وصف الله نفسه جلّ ذكره بالقدرة على كل شيء فى هذا الموضع ، لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته ، وأخبرهم أنه بهم محيط ، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير . ثم قال : فاتقون أيّها المنافقون ، واحذروا خداعى وخداع رسولى وأهل الإيمان بى ، لا أحيل بكم نقتى ، فلاى على ذلك وعلى غيره من الأشياء قدير . ومعنى « قدير » قادر ، كما معنى « عليم » عالم ، على ما وصفت

(١) فى المطبوعة : « فكان فيه دلالة على المراد منه ، وأدى معنى الواحد من السمع عن معنى جماعة ، مغنياً عن جماعة » ، وهو كلام لا معنى له . وفى المخطوطة : « ... على المراد منه وأوا معنى الواحد ... » ، وقد صححت قراءتها كما ترى . وقوله « مغنياً عن جماعة » أى عن جمعه ، والطبرى يكثر استعمال « جماع » مكان جمع ، كما مضى وكما سيأتى .

(٢) البيت من أبيات سيبويه التى لا يعلم قائلها ، سيبويه ١ : ١٠٨ ، والخزاعة ٣ : ٣٧٩ — ٣٨١ ، وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٠٣١١ : ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٤٣ ، وروايته : « فى نصف بطنكم » . وفى المخطوطة : « تمشوا » ، مكان « تغفوا » ، وهى رواية ذكرها صاحب الخزاعة . وروايتهم جميعاً « فإن زمانكم ... » .

فيما تقدم من نظائره ، من زيادة معنى فعيل على فاعل في المدح والذم^(١) .

القول في تأويل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : فأمر جل ثناؤه الفريقين — اللذين أخبر الله عن أحدهما أنه سواءٌ عليهم أأنذروا أم لم يُنذروا أنهم لا يؤمنون^(٢) ، لطبعه على قلوبهم وعلى سمعهم^(٣) ، وعن الآخر أنه يُخادع الله والذين آمنوا بما يبدي بلسانه من قلبه : آمناً بالله وباليوم الآخر ، مع استبطانه خلاف ذلك ، ومرض قلبه ، وشكته في حقيقة ما يُبدي من ذلك ؛ وغيرهم من سائر خلقه المكلفين — بالاستكانة ، والخضوع له بالطاعة ، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة . ١٢٥/١

لأنه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم من آبائهم وأجدادهم ، وخالق أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم . فقال لهم جل ذكره : فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم ، وهو يقدر على ضرركم ونفعكم — أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضرر^(٤) .

وكان ابن عباس ، فيما روى لنا عنه ، يقول في ذلك نظير ما قلنا فيه ، غير أنه ذكر عنه أنه كان يقول في معنى « اعبدوا ربكم » : وحدوا ربكم . وقد دللنا — فيما مضى من كتابنا هذا — على أن معنى العبادة : الخضوع لله بالطاعة ،

(١) انظر تفسير قوله تعالى : « الرحيم » ، فيما مضى : ص ١٢٦ .

(٢) في المخطوطة : « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، وهما سواء في المعنى .

(٣) في المطبوعة : « ... وعلى سمعهم وأبصارهم » ، والصواب حذف « وأبصارهم » ، لأنها

غير داخلة في معنى الطبع ، كما مضى في تفسير الآية .

(٤) في المخطوطة : « على ضرر ولا نفع » ، وهما سواء .

والتذلل له بالاستكانة^(١). والذي أراد ابن عباس — إن شاء الله — بقوله في تأويل قوله : «اعبدوا ربكم» وحده، أى أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه^(٢).

٤٧٢ — حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال الله : «يا أيها الناس اعبدوا ربكم» ، للفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين ، أى وحلوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم^(٣).

٤٧٣ — وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم» يقول : «خلقكم وخلق الذين من قبلكم»^(٤).

قال أبو جعفر : وهذه الآية من أدل دليل على فساد قول من زعم : أن تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله غير جائز ، إلا بعد إعطاء الله المكلف المعونة على ما كلفه. وذلك أن الله أمر من وصفنا ، بعبادته والتوبة من كفره ، بعد إخباره عنهم أنهم لا يؤمنون ، وأنهم عن ضلالتهم لا يرجعون .

• • •

(١) مضى في تفسير قوله تعالى «إياك نعبد» ص : ١٦٠ .

(٢) في المخطوطة «وحده له أفردوا . . .» ، وليس لها معنى .

(٣) الخبر ٤٧٢ — في الدر المنثور ١ : ٣٣ ، وابن كثير ١ : ١٠٥ ، والشوكاني ١ : ٣٨ .

وفي الدر والشوكاني : «من الكفار والمؤمنين» ، ووافق ابن كثير أصول الطبري .

(٤) الخبر ٤٧٣ — في الدر المنثور ١ : ٣٣ ، ولم ينسب إخراج لابن جرير . وفي المخطوطة :

«خلقكم والذين . . .» .

القول في تأويل قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذى خلقكم ، وطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه ، وإفرادكم له العبادة^(١) لتتقوا سخطه وغضبه أن يحلّ عليكم ، وتكونوا من المتقين الذين رضى عنهم ربهم .
وكان مجاهد يقول في تأويل قوله : « لعلكم تتقون » : تطيعون .

٤٧٤ - حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثني أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : « لعلكم تتقون » ، قال : لعلكم تطيعون^(٢) .
قال أبو جعفر : والذى أظن أن مجاهداً أراد بقوله هذا : لعلكم أن تتقوا ربكم بطاعتكم إياه ، وإقلاعيكم عن ضلالتكم .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فكيف قال جل ثناؤه : « لعلكم تتقون » ؟
أولم يكن عالماً بما يصير إليه أمرهم إذا هم عبدوه وأطاعوه ، حتى قال لهم : لعلكم إذا فعلتم ذلك أن تتقوا ، فأخرج الخبر عن عاقبة عبادتهم إياه مخرج الشك ؟
قيل له : ذلك على غير المعنى الذى توهمت ، وإنما معنى ذلك : اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم ، لتتقوه بطاعته وتوحيده وإفراده بالربوبية والعبادة^(٣) ، كما قال الشاعر :

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الْحُرُوبَ ، لَعَلَّنَا نَكْفُ ! وَوَقَّعْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقٍ^(٤)
فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهودُكُمْ كَلَمَحِ سَرَابٍ فِي الْفَلَا مُتَالِقٍ^(٥)

(١) في المطبوعة : « له بالعبادة » وهو خطأ .

(٢) الأثر ٤٧٤ - في الدر المنثور ١ : ٣٤ .

(٣) يريد الطبرى أن العرب تستعمل « لعل » مجردة من الشك ، بمعنى لام كي ، كما قال ابن

الشجرى في أماليه ١ : ٥١ .

(٤) لم أعرف قائلهما ، ورواهما ابن الشجرى نقلاً عن الطبرى ، فيما أرجح ، في أماليه ١ : ٥١ .

(٥) رواية ابن الشجرى « في الملا » . والفلا جمع فلاة : وهى الأرض المستوية ليس فيها شئ .

والصحراء الواسعة . والملا : الصحراء والمتسع من الأرض - فهما سواء في المعنى .

يريد بذلك : قلم لنا كفوا لنكف . وذلك أن « لعل » في هذا الموضع لو كان شكاً ، لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق .

• • •

القول في تأويل قوله : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا »

وقوله : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » مردود على « الَّذِي » الأولى في قوله « اعبدوا ربكم الذي خلقكم » ، وهما جميعاً من نعت « ربكم » ، فكأنه قال : ١٢٦/١
اعبدوا ربكم الخالقكم ، والخالق الذين من قبلكم ، الجاعل لكم الأرض فراشاً .
يعنى بذلك أنه جعل لكم الأرض مهاداً موطئاً^(١) وقراراً يستقر عليها . يذكر ربنا جل ذكره — بذلك من قبيله — عباده نعمه عندهم وآلاءه لديهم^(٢) ، ليدكروا أياديته عندهم ، فينبوا إلى طاعته — تعطفاً منه بذلك عليهم ، ورأفةً منه بهم ، ورحمةً لهم ، من غير ما حاجة منه إلى عبادتهم ، ولكن ليستم نعمته عليهم ولعلهم يهتدون .
٤٧٥ — كما حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة^(٣) ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :
« الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » فهي فراش « يمشى عليها » ، وهي المهاد والقرار^(٤) .
٤٧٦ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » ، قال : مهاداً لكم .
٤٧٧ — حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، عن عبد الله بن أبي جعفر ،

(١) في المطبوعة : « مهاداً وموطئاً » ، وفي المخطوطة « مهاداً وتوطئاً » ، وكأن الصواب ما أثبتناه .
والموطأ : المهيا الملين المهد . وسيأتى أن الفراش هو المهاد .

(٢) في المطبوعة « زيادة نعمه عندهم » ، وآلائه لديهم ، والصواب ما في المخطوطة . وقوله « عباده » مفعول : « يذكر ربنا . . . » .

(٣) قوله « وعن مرة » ، ساقطة من المطبوعة ، وهذا هو الصواب .

(٤) الخبر ٤٧٥ — في الدر المنثور ١ : ٣٤ ، والشوكاني ١ : ٣٨ .

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « الذي جعل لكم الأرض فراشاً » ، أى مهاداً .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ بَنَاءً ﴾

قال أبو جعفر : وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكَّانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماءً . ولذلك قيل لسقف البيت : سَمَاوَةٌ^(١) ، لأنه فوقه مرتفعٌ عليه . ولذلك قيل : سَمَا فلان لفلان ، إذا أشرف له وقصد نحوه عالياً عليه ، كما قال الفرزدق :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِي وَأَهْلِهِ وَنَجْرَانَ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقَاوِلُهُ^(٢)
وكما قال نابغة بنى ذبيان :

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ ، فَرَأَيْتُ مِنْهَا تُحَيَّتُ الْخَدِرَ وَاضِعَةَ الْقِرَامِ^(٣)
يريد بذلك : أشرفت لي نظرةٌ وبدت . فكذلك السماءُ سُميت للأرض :
سَماً ، لعلوها وإشرافها عليها .

(١) في المطبوعة « سماءه » ، وكلتاها صواب ، سماء البيت ، وسماوته : سقفه .
(٢) ديوانه : ٧٣٥ ، والنقائض : ٦٠٠ . ونجران : أرض في مغاليف اليمن من ناحية مكة . وذكر نجران ، على لفظه وأصل معناه ، والنجران في كلام العرب : الخشبة التي يدور عليها رتاج الباب . وديث البعير : ذله بعض الذل حتى تذهب صعوبته . والمقاويل : جمع مقول . والمقول والقييل : الملك من ماله حير . يقول : هي أرض عز عزيز ، لم يلق ملوكها ضيماً يذلهم ويخنى هاماتهم .
(٣) ديوانه : ٨٦ ، وروايته : « صفحت بنظرة » . وقوله « صفحت » ، أى تصفحت الوجوه بنظرة ، أو رميت بنظرة متصفحاً . والقِرَام : ستر رقيق فيه رقم ونقوش . والخدر : خشبات تنصب فوق قتب البعير مستورة بثوب ، وهو الهودج . ووضع الشيء : ألقاه . وتحيت : تصغير « تحت » ، وصغر « تحت » ، لأنه أراد أن ستر الخدر بعد وضع القرام لا يبدى منها إلا قليلاً ، وهذا البيت متعلق بما قبله وما بعده . وقبله :

فَلَوْ كَانَتْ غَدَاةَ الْبَيْنِ مَنَّتْ وَقَدْ رَفَعُوا الْخُدُورَ عَلَى الْخِيَامِ

صَفَحْتُ بِنَظْرَةٍ

تَرَائِبَ يَسْتَضِيهِ الْحُلَى فِيهَا كَجَمْرِ النَّارِ يُذَرِّ فِي الظَّلَامِ

يريد بذلك : قلم لنا كُفُّوا لنكف . وذلك أن « لعل » في هذا الموضع لو كان شكاً ، لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق .

القول في تأويل قوله : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا »

وقوله : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » مردود على « الَّذِي » الأولى في قوله « اعبدوا ربكم الذي خلقكم » ، وهما جميعاً من نعت « ربكم » ، فكأنه قال : ١٢٦/١
اعبدوا ربكم الخالق لكم ، والخالق الذين من قبلكم ، الجاعل لكم الأرض فراشاً .
يعنى بذلك أنه جعل لكم الأرض مهاداً موطئاً^(١) وقراراً يستقر عليها . يذكّر ربنا جلّ ذكره — بذلك من قبيله — عباده نعمه عندهم وآلاءه لديهم^(٢) ، ليدّكروا أياديّه عندهم ، فينبوا إلى طاعته — تعطفاً منه بذلك عليهم ، ورأفةً منه بهم ، ورحمةً لهم ، من غير ما حاجة منه إلى عبادتهم ، ولكن ليستم نعمته عليهم ولعلهم يهتدون .
٤٧٥ — كما حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة^(٣) ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » فهي فراشٌ يمشى عليها ، وهي المهاد والقرار^(٤) .
٤٧٦ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » ، قال : مهاداً لكم .
٤٧٧ — حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، عن عبد الله بن أبي جعفر ،

(١) في المطبوعة : « مهاداً وموطئاً » ، وفي المخطوطة « مهاداً وتوطئاً » ، وكان الصواب ما أثبتناه . والموطأ : المهيأ الملين المهد . وسيأتى أن الفراش هو المهاد .

(٢) في المطبوعة « زيادة نعمه عندهم » ، وآلائه لديهم ، والصواب ما في المخطوطة . وقوله « عباده » مفعول : « يذكر ربنا . . . » .

(٣) قوله « وعن مرة » ، ساقطة من المطبوعة ، وهذا هو الصواب .

(٤) الخبر ٤٧٥ — في الدر المنثور ١ : ٣٤ ، والشوكاني ١ : ٣٨ .

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « الذي جعل لكم الأرض فراشاً » ، أى مهاداً .

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ بِنَاءً ﴾

قال أبو جعفر : وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكَّانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماءً . ولذلك قيل لسقف البيت : سماءة^(١) ، لأنه فوقه مرتفع عليه . ولذلك قيل : سماء فلان لفلان ، إذا أشرف له وقصد نحوه عالياً عليه ، كما قال الفرزدق :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِي وَأَهْلِهِ وَنَجْرَانَ أَرْضٍ لَمْ تَدَيْثْ مَقَاوِلُهُ^(٢)
وكما قال نابغة بنى ذبيان :

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ ، فَرَأَيْتُ مِنْهَا تُحَيَّتُ الْخَدْرَ وَاضِعَةَ الْقِرَامِ^(٣)
يريد بذلك : أشرفت لى نظرةً وبَدَت . فكذلك السماءُ سُميت للأرض : سماءً ، لعلوها وإشرافها عليها .

(١) فى المطبوعة « سماءة » ، وكلتاها صواب ، سماء البيت ، وسماءته : سقفه .
(٢) ديوانه : ٧٣٥ ، والنقائض : ٦٠٠ . ونجران : أرض فى مخاليف اليمن من ناحية مكة . وذكر نجران ، على لفظه وأصل معناه ، والنجران فى كلام العرب : الخشبة التى يدور عليها رتاج الباب . وديث البعير : ذلله بعض الذل حتى تنهب صعوبته . والمقاويل : جمع مقول . والمقول والقيل : الملك من ملوك حمير . يقول : هى أرض عز عزيز ، لم يلق ملوكها ضيماً يذلهم ويخنى هاماتهم .
(٣) ديوانه : ٨٦ ، وروايته : « صفحت بنظرة » . وقوله « صفحت » ، أى تصفحت الوجوه بنظرة ، أو رميت بنظرة متصفحاً . والقرام : ستر رقيق فيه رقم ونقوش . والخدر : خشبات تنصب فوق قتب البعير مستورة بثوب ، وهو الهودج . ووضع الشيء : ألقاه . وتحيت : تصغير « تحت » ، وصغر « تحت » ، لأنه أراد أن ستر الخدر بعد وضع القرام لا يبدى منها إلا قليلاً ، وهذا البيت متعلق بما قبله وما بعده . وقبله :

فَلَوْ كَانَتْ غَدَاةَ الْبَيْنِ مَنَّتْ وَقَدْ رَفَعُوا الْخُدُورَ عَلَى الْخِيَامِ

صَفَحْتُ بِنَظْرَةٍ

تَرَائِبَ يَسْتَضِيهِ الْحُلَى فِيهَا كَجَمْرِ النَّارِ يُبْذَرُ فِي الظَّلَامِ

٤٧٨ - كما حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « والسَّماءُ بناءٌ » ، فبناءُ السَّماءِ على الأرض كهيئة القبة ، وهي سقف على الأرض ^(١) .

٤٧٩ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة في قول الله : « والسَّماءُ بناءٌ » ، قال : جعل السَّماءَ سَقْفاً لك .

ولما ذكر تعالى ذكره السَّماءَ والأرض فيما عدَّ عليهم من نعمه التي أنعمها عليهم ، لأنَّ منهُما أقواتهم وأرزاقهم ومعاشهم ، وبهما قوامُ دُنياهم . فأعلمهم أنَّ الذي خلقهما وخلق جميع ما فيهما وما هم فيه من النعم ، هو المستحقُّ عليهم الطاعة ، والمستوجبُ منهم الشكرَ والعبادة ، دون الأصنام والأوثان ، التي لا تضرُّ ولا تنفع .

• • •

القول في تأويل قول الله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾

يعني تعالى ذكره بذلك أنَّه أنزل من السَّماءِ مطراً ، فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغرسهم ثمرات ^(٢) - رزقاً لهم ، غذاءً وأقواتاً . فنبههم بذلك على قدرته وسلطانه ، وذكرهم به آلاءه لديهم ، وأنه هو الذي خلقهم ، وهو الذي يرزقهم ويكفُلهم ، دون من جعلوه له نِدّاً وعِدْلاً من الأوثان والآلهة .

(١) الخبر ٤٧٨ - في الدر المنثور ١ : ٣٤ ، جمعه مع الخبر : ٤٧٥ خبراً واحداً .

(٢) في المخطوطة : « زرعهم وغرسهم » ، وهما سواء .

ثم زجرهم عن أن يجعلوا له ندًّا ، مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم ، وأنه لا نِدَّ له ولا عِدْل ، ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾

١٢٧/١ قال أبو جعفر : والأنداد جمع نِدَّ ، والنَّد : العِدْل والمِثْل ، كما قال حسان

ابن ثابت :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنْدٌ ؟ فَشَرُّكُمْ خَيْرٌ كَمَا الْفِدَاءُ^(١)

يعنى بقوله : « لست له بند » ، لست له بمثل ولا عِدْل . وكل شيء كان نظيراً لشيء وله شبيهاً فهو له ند^(٢) .

٤٨٠ - كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة :

« فلا تجعلوا لله أنداداً » ، أى عدلاء .

٤٨١ - حدثني المثنى ، قال : حدثني أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، أى عدلاء^(٣) .

٤٨٢ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ،

عن السُّدِّي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس -

وعن مروة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :

« فلا تجعلوا لله أنداداً » ، قال : أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله^(٤) .

(١) ديوانه : ٨ ، روايته « بكفاء » ، وكذلك في رواية الطبري الآتية (١٨ : ٦٩ - ٧٠ بولاق)

وقصيدة حسان هذه ، يهاجى بها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، قبل إسلامه ، وكان هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) في المطبوعة : « كان نظيراً لشيء وشبيهاً » .

(٣) الأثر ٤٨١ - في الدر المنثور ١ : ٣٥ ، والعدلاء : جمع عدل ، وهو النظير والمثيل ، كالعدل .

(٤) الخبر ٤٨٢ - في الدر المنثور ١ : ٣٤ - ٣٥ ، والشوكاني ١ : ٣٩ .

٤٨٣ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد^(١) في قول الله : « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، قال : الأنداد : الآلهة التي جعلوها معه ، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له .

٤٨٤ - حدثت عن المنجاب ، قال : حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله : « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، قال : أشباهاً^(٢) .

٤٨٥ - حدثني محمد بن سنان ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة : « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، أن تقولوا : لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار ، لولا كلبنا صاح في الدار ، ونحو ذلك^(٣) .

فهاهم الله تعالى أن يُشركوا به شيئاً ، وأن يعبدوا غيره ، أو يتخذوا له نِدّاً وعِدلاً في الطاعة ، فقال : كما لا شريك لي في خلقكم ، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ، ونعمي التي أنعمتها عليكم^(٤) - فكذاك فأفردوا لي الطاعة ،

(١) في المطبوعة : « ابن يزيد » ، وهو خطأ .

(٢) الخبر ٤٨٤ - في الدر المنثور ١ : ٣٤ ، والشوكاني ١ : ٣٩ .

(٣) الأثر ٤٨٥ - جاء مثله في خبر عن ابن عباس في ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والشوكاني ١ : ٣٩ . وفي المطبوعة : « أي تقولوا : لولا كلبنا . . . » ، وليست بشيء . وفي المخطوطة « ونحو هذا » مكان « ونحو ذلك » . والخبر الذي في ابن كثير ، ساقه مطولاً بالإسناد من تفسير ابن أبي حاتم ، من طريق الضحاك بن مخلد ، وهو أبو عاصم النبيل الذي في هذا الإسناد ، عن شبيب ، وهو ابن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، ولعل الطبري قصر بهذا الإسناد ، لأنه يروى مثل هذه الروايات ، بهذا الإسناد إلى عكرمة ، عن ابن عباس ، كما مضى برقم : ١٥٧ . ومن ذلك إعراض ابن كثير عن نقل رواية الطبري ، واختياره رواية ابن أبي حاتم . وسياق رواية ابن أبي حاتم - عن ابن عباس - فيها فوائد جمة . ولفظها : « قال : الأنداد ، هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل . وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلان ، وحياتي ، ويقول : لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت . وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها "فلان" . هذا كله به شرك » . ثم قال ابن كثير : « وفي الحديث : أن رجلاً قال لرسول الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ! قال : أجمعتني لله ندأ ؟ ! » . والحديث الذي يشير إليه ابن كثير ، رواه أحمد في المسند بأسانيد صحاح ، عن ابن عباس : ١٨٣٩ ، ١٩٦٤ ، ٢٥٦١ ، ٣٢٤٧ . وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد ص : ١١٦ ونسبه الحافظ ابن حجر في الفتح ١١ : ٤٧٠ للنسائي وابن عاجة .

(٤) في المطبوعة : « ونعمي » بالإنفراد .

وأخلصوا لي العباد ، ولا تجعلوا لي شريكاً ونيداً من خلقي ، فإنكم تعلمون أن كل
نعمة عليكم فنّي^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢)

اختلف أهل التأويل في الذين عُنيوا بهذه الآية :

فقال بعضهم : عني بها جميع المشركين من مشركي العرب وأهل الكتاب .

وقال بعضهم : عني بذلك أهل الكتابين ، أهل التوراة والإنجيل^(٢) .

ذكر من قال : عني بها جميع عبدة الأوثان من العرب وكفار

أهل الكتابين :

٤٨٦ — حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن

إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد

ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نزل ذلك في الفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين .

ولمّا عني تعالى ذكره بقوله : « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » ، أي لا تشركوا

بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم برزقكم

غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه^(٣) .

٤٨٧ — حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة في قوله :

« وأنتم تعلمون » أي تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض ، ثم تجعلون

له أنداداً^(٤) .

(١) في المطبوعة : « . . . كل نعمة عليكم مني » . وهذه أجود .

(٢) في المطبوعة : « أهل الكتابين التوراة والإنجيل » .

(٣) الخبر ٤٨٦ — مضى صدره في رقم : ٤٧٢ ، وتماه في ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والدر

المشور ١ : ٣٤ ، والشوكاني ١ : ٣٩ .

(٤) الأثر ٤٨٧ — في الدر المشور ١ : ٣٥ .

ذكر من قال : عنى بذلك أهل الكتابين :

٤٨٨ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » ، أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .
٤٨٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا قبيصة ، قال : حدثنا سفيان ، عن مجاهد ، مثله ^(١) .

٤٩٠ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شيبان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأنتم تعلمون » ، يقول : وأنتم تعلمون أنه لا ند له في التوراة والإنجيل ^(٢) .

قال أبو جعفر : وأحسب أن الذي دعى مجاهداً إلى هذا التأويل ، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم - الظن منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها ، يحمودها وحمدانية ربها ، وإشراكها معه في العبادة غيره . وإن ذلك لقول ! ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنها كانت تُقر بوحدانيتها ، غير أنها كانت تُشرك في عبادته ما كانت تُشرك فيها ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة الزخرف : ٨٧] ، وقال : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يَدَبِّرُ الْأُمُورَ ، فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس : ٢١] .

(١) الإسناد ٤٨٩ - قبيصة ، بفتح القاف : هو ابن عقبة بن محمد السوائي الكوفي ، وهو ثقة معروف ، من شيوخ البخاري ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة ، تكلم بعضهم في روايته عن سفيان الثوري ، بأنه يخطئ في بعض روايته ، بأنه سمع من الثوري صغيراً ، ولكن لم يجرحه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٧٧ ، وقال ابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٨١ : « كان ثقة صدوقاً ، كثير الحديث عن سفيان الثوري » . وسأل ابن أبي حاتم (المرح ٣ / ٢ / ١٢٦) أباه عن قبيصة وأبي حذيفة ، فقال : « قبيصة أجل عندي ، وهو صدوق . لم أر أحداً من المحدثين يأتي بالحديث على لفظ واحد لا يغيره ، سوى قبيصة بن عقبة ، وعمل بن الحمد ، وأبي نعيم - في الثوري » .

(٢) الأثر ٤٩٠ - ذكره ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٥ ، بنحوه .

فالذى هو أول بتأويل قوله : « وأنتم تعلمون » — إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحداية الله ، وأنه مُبدعُ الخلق وخالقهم ورازقهم ، نظير الذى كان من ذلك عند أهل الكتابين ، ولم يكن فى الآية دلالة على أن الله جل ثناؤه عني بقوله : « وأنتم تعلمون » أحدَ الحزبين ، بل مُخرَج الخطاب بذلك عامٌ للناس كافةً لهم ، لأنه تحدّى الناس كلهم بقوله : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » — أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة ، من أنه يعنى بذلك كل مكلف ، عالم بوحداية الله^(١) ، وأنه لا شريك له فى خلقه ، يُشرك معه فى عبادته غيره ، كائناً من كان من الناس ، عربياً كان أو أعجمياً ، كاتباً أو أمياً ، وإن كان الخطاب لكفار أهل الكتاب الذين كانوا حوالى دار هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل النفاق منهم ، ومن بين ظهرائهم ممن كان مشركاً فانتقل إلى النفاق بمقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا من الله عز وجل احتجاجٌ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى قومه من العرب ومناققيهم ، وكفار أهل الكتاب وضلّالهم ، الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه : « إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنزلتهم أم لم تنزلهم » ، وإياهم يخاطب بهذه الآيات ، وُضرباءهم يعنى بها^(٢) ، قال الله جلّ

(١) فى المخطوطة : « من أنه معنى بذلك . . . » ، وهما سواء .

(٢) فى المطبوعة : « وأخبر بأهم نعمتها » ، وهى فى المخطوطة « وحرّاهم نعى بها » غير منقوطة

ولا بينة ، فاختر المصححون لها قراءة لا تحمل معنى ! والضرباء : جمع ضريب ؛ فلان ضريب فلان : نظيره أو مثله .

ذكر من قال : عنى بذلك أهل الكتابين :

- ٤٨٨ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » ، أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .
- ٤٨٩ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا قبيصة ، قال : حدثنا سفيان ، عن مجاهد ، مثله (١) .

- ٤٩٠ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شيبان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأنتم تعلمون » ، يقول : وأنتم تعلمون أنه لا ند له في التوراة والإنجيل (٢) .

قال أبو جعفر : وأجسب أن الذي دعا مجاهداً إلى هذا التأويل ، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم - الظن منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها ، ببحودها وحدانية ربها ، وإشراكها معه في العبادة غيره . وإن ذلك لقول : « ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنها كانت تُقر بوحديته ، غير أنها كانت تُشرك في عبادته ما كانت تُشرك فيها ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة الزخرف : ٨٧] ، وقال : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس : ٣١] .

(١) الإسناد ٤٨٩ - قبيصة ، بفتح القاف : هو ابن عقبة بن محمد السوائي الكوفي ، وهو ثقة معروف ، من شيوخ البخاري ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة ، تكلم بعضهم في روايته عن سفيان الثوري ، بأنه يخطئ في بعض روايته ، بأنه سمع من الثوري صغيراً ، ولكن لم يجرسه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٧٧ ، وقال ابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٨١ : « كان ثقة صدوقاً ، كثير الحديث عن سفيان الثوري » . وسأل ابن أبي حاتم (المرح ٣ / ٢ / ١٢٦) أباه عن قبيصة وأبي حذيفة ، فقال : « قبيصة أجل عندي ، وهو صدوق . لم أر أحداً من الحديثين يأتي بالحديث على لفظ واحد لا يغيره ، سوى قبيصة بن عقبة ، وعلي بن الجعد ، وأبي نعيم - في الثوري » .

(٢) الأثر ٤٩٠ - ذكره ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٥ ، بنحوه .

فالذى هو أولى بتأويل قوله : « وأنتم تعلمون » — إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحداية الله ، وأنه مُبدعُ الخلق وخالقهم ورازقهم ، نظير الذى كان من ذلك عند أهل الكتابين ، ولم يكن فى الآية دلالة على أن الله جل ثناؤه عنى بقوله : « وأنتم تعلمون » أحدَ الحزبين ، بل مُخرَج الخطاب بذلك عامٌ للناس كافةً لهم ، لأنه تحدّى الناس كلهم بقوله : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » — أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة ، من أنه يعنى بذلك كل مكلف ، عالم بوحداية الله^(١) ، وأنه لا شريك له فى خلقه ، يُشرك معه فى عبادته غيره ، كائناً من كان من الناس ، عربياً كان أو أعجمياً ، كاتباً أو أمياً ، وإن كان الخطاب لكفار أهل الكتاب الذين كانوا حوالى دار هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل النفاق منهم ، ومن بين ظهرائهم ممن كان مشركاً فانتقل إلى النفاق بمقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا من الله عز وجل احتجاجٌ لنبى محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى قومه من العرب ومنافقيهم ، وكفار أهل الكتاب وضلّائهم ، الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه : « إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، وإياهم يخاطب بهذه الآيات ، وُضرباءهم يعنى بها^(٢) ، قال الله جلّ

(١) فى المخطوطة : « من أنه معنى بذلك . . . » ، وهما سواء .

(٢) فى المطبوعة : « وأخبر بأمر نعمتها » ، وهى فى المخطوطة « وحرّاهم نعى بها » غير منقوطة ولا بيّنة ، فاختر المصححون لها قراءة لا تحمل معنى ! والضرباء : جمع ضريب ؛ فلان ضريب فلان : نظيره أو مثله .

ثناؤه لهم : وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين ، في شك — وهو الريب — مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والبرهان وآيات الفرقان : أنه من عندي ، وأنتي الذي أنزلته إليه ، فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول ، فأتوا بحجة تدفع حجته ، لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة : أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق . ومن حجة محمد صلى الله عليه وسلم على صدقه ، وبرهانه على حقيقة نبوته ^(١) ، وأن ما جاء به من عندي — أعجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم ، عن أن تأتوا بسورة من مثله . وإذا أعجزتم عن ذلك — وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والذراية ^(٢) — فقد علمتم أن غيركم عما أعجزتم عنه من ذلك أعجز . كما كان برهان من سلف من رُسل وأنبياء على صدقه ، وحجته على نبوته من الآيات ، ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلق . فيتقرر حينئذ عندكم أن محمداً لم يتقوله ولم يخلفه ، لأن ذلك لو كان منه اختلاقاً وتقوُّلاً لم تعجزوا وجميع خلق عن الإتيان بمثله . لأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يعد أن يكون بشراً مثلكم ، وفي مثل حالكم في الجسم وبسطة الخلق وذراية اللسان — فيمكن أن يُظن به اقتدار على ما أعجزتم عنه ، أو يتوهم منكم عجز عما اقتدر عليه . ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « فأتوا بسورة من مثله » .

٤٩١ — فحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة :

« فأتوا بسورة من مثله » ، يعني : من مثل هذا القرآن حقاً وصدقاً ، لا باطل فيه ١٢٩/١ ولا كذب .

٤٩٢ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

(١) في المطبوعة : « وبرهانه على نبوته » .

(٢) في المطبوعة : « والذراية » ، ولا معنى لها هنا ، وستأتي بعد أسطر على الصواب . والذراية : الحدة في كل شيء ، وحدة اللسان وفصاحته ولده . ذرب الرجل يذرب ذرباً وذراية : فصيح وصار حديد اللسان ، فهو ذرب اللسان (بفتح الذال وكسر الراء) .

معمر، عن قتادة في قوله : « فأتوا بسورة من مثله » ، يقول : بسورة مثل هذا القرآن^(١) .
 ٤٩٣ - حدثني محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى
 ابن ميمون ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فأتوا بسورة من مثله » ،
 مثل القرآن .

٤٩٤ - حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن
 ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٤٩٥ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن
 ابن جريج ، عن مجاهد : « فأتوا بسورة من مثله » ، قال : « مثله » مثل القرآن^(٢) .
 فمضى قول مجاهد وقتادة الذي ذكرنا عنهما^(٣) : أن الله جل ذكره قال لمن
 حاجته في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار : فأتوا بسورة من مثل هذا
 القرآن من كلامكم أيتها العرب ، كما أتى به محمد بلغاتكم ومعاني منطقكم .
 وقد قال قوم آخرون : إن معنى قوله : « فأتوا بسورة من مثله » ، من مثل محمد
 من البشر ، لأن محمداً بشر مثلكم^(٤) .

قال أبو جعفر : والتأويل الأول ، الذي قاله مجاهد وقتادة ، هو التأويل
 الصحيح . لأن الله جل ثناؤه قال في سورة أخرى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا
 بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ [سورة يونس : ٣٨] ، ومعلوم أن السورة ليست لمحمد بنظير ولا
 شبيه ، فيجوز أن يقال : فأتوا بسورة مثل محمد .

فإن قال قائل : فإنك ذكرت أن الله عني بقوله^(٥) : « فأتوا بسورة من مثله » ،

(١) الأثر ٤٩٢ - في الدر المنثور ١ : ٣٥ ، والشوكاني ١ : ٤٠ .

(٢) الآثار ٤٩٣ - ٤٩٥ في الدر المنثور ١ : ٣٥ ، والشوكاني ١ : ٤٠ ، وابن كثير

١ : ١٠٨ .

(٣) في المطبوعة : « الذين ذكرنا عنهما » .

(٤) يعني فأتوا بسورة من عند بشر مثل محمد .

(٥) في المطبوعة : « إنك ذكرت » ، بغير فاء .

من مثل هذا القرآن ، فهل للقرآن من مثل فيقال : ائتوا بسورة من مثله ؟
 قيل : إنه لم يعن به : ائتوا بسورة من مثله في التأليف والمعاني التي باين بها
 سائر الكلام غيره ، وإنما عني : ائتوا بسورة من مثله في البيان ، لأن القرآن أنزله
 الله بلسان عربي ، فكلام العرب لا شك له مثل في معنى العربية . فأما في المعنى
 الذي باين به القرآن سائر كلام المخلوقين ، فلا مثل له من ذلك الوجه ولا نظير
 ولا شبيه .

وإنما احتج الله جل ثناؤه عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم بما احتج به له عليهم
 من القرآن^(١) ، إذ ظهر عجز القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله في البيان ، إذ
 كان القرآن بياناً مثل بيانهم ، وكلاماً نزل بلسانهم ، فقال لهم جل ثناؤه : وإن
 كنتم في ريب من أن ما أنزلت على عبدى من القرآن من عندى ، فأتوا بسورة
 من كلامكم الذى هو مثله في العربية ، إذ كنتم عرباً ، وهو بيان نظير بيانكم ،
 وكلام شبيه كلامكم . فلم يكلفهم جل ثناؤه أن يأتوا بسورة من غير اللسان الذى
 هو نظير اللسان الذى نزل به القرآن ، فيقدروا أن يقولوا : كلفتنا ما لو أحسنناه
 أتينا به ، وإنا لا نقدر على الإتيان به لأننا لسنا من أهل اللسان الذى كلفتنا الإتيان
 به ، فليس لك علينا بهذا حجة^(٢) . لأننا — وإن عجزنا عن أن نأتى بمثله من غير
 ألسنتنا لأننا لسنا من أهله^(٣) — فى الناس خلق كثير من غير أهل لساننا يقدر على
 أن يأتى بمثله من اللسان الذى كلفتنا الإتيان به . ولكنه جل ثناؤه قال لهم : ائتوا
 بسورة من مثله ، لأن مثله من الألسن ألسنكم^(٤) . وأنتم — إن كان محمد اختلقه
 وافتراه ، إذا اجتمعتم وتظاهرتكم على الإتيان بمثل سورة منه من لسانكم وبيانكم —

(١) فى المطبوعة : « بما احتج له عليهم » ، أسقط « به » .

(٢) فى المطبوعة : « حجة بهذا » على التأخير .

(٣) فى المطبوعة : « لسنا بأهله » .

(٤) فى المطبوعة : « ألسنتكم » .

أَقْدَرُ عَلَى اخْتِلَاقِهِ وَرَصْفِهِ وَتَأْلِيفِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) ، وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أَقْدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَلَنْ تَعْجِزُوا - وَأَنْتُمْ جَمِيعٌ - عَمَّا قَدَّرَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ وَحِيدٌ^(٢) ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ وَزَعْمِكُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ وَاخْتَلَقَهُ ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِي .

• • •

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ ٢٣ ﴾

فقال ابن عباس بما :

٤٩٦ - حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس : « وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ » ، يعني أعوانكم على ما أنتم عليه ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

١٣٠/١

٤٩٧ - حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ » ، ناس يشهدون .

٤٩٨ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٤٩٩ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال : قوم يشهدون لكم .

(١) يقول : « وَأَنْتُمْ » أقدر على اختلاقه ، مبتدأ وخبر ، وما بينهما فصل . وفي المطبوعة مكان « وَرَصْفِهِ » ، « وَوَضْعِهِ » . والرصف : ضم الشيء بعضه إلى بعض ونظمه وإحكامه حتى يستوى . ومنه : كلام رصيف : أى محكم لا اختلاف فيه .

(٢) في المطبوعة « وَهُوَ وَحْدَهُ » ، وهذه أجود .

٥٠٠ — حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وادعوا شهداءكم » ، قال : ناس يشهدون . قال ابن جريج : « شهداءكم » عليها إذا أتيتم بها — أنها مثله ، مثل القرآن ^(١) .

وذلك قول الله لمن شك من الكفار فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .
وقوله « فادعوا » ، يعنى : استنصروا واستغيثوا ^(٢) ، كما قال الشاعر :

فَلَمَّا التَقْتُ فُرْسَانَنَا وَرَجَالَهُمْ دَعَوًا : يَا لَكُفِّبِ اوَاعْتَزَيْنَا لِعَامِرٍ ^(٣)

يعنى بقوله : « دعوا بالكعب » ، استنصروا كعباً واستغاثوا بهم ^(٤) .

وأما الشهداء ، فإنها جمع شهيد ، كما الشركاء جمع شريك ^(٥) ، والخطباء جمع خطيب . والشهيد يسمى به الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه . وقد يسمى به المشاهد للشيء ، كما يقال : فلان جليس فلان — يعنى به مجالسه ، ونديمه — يعنى به مناديه ، وكذلك يقال : شهيد — يعنى به مشاهدته .

فإذا كانت « الشهداء » محتملة أن تكون جمع « الشهيد » الذى هو منصرف للمعنيين اللذين وصفت ، فأولى وجهيه بتأويل الآية ما قاله ابن عباس ، وهو أن يكون معناه : واستنصروا على أن تأتوا بسورة من مثله أعوانكم وشهداءكم الذين يشاهدونكم ويعاونونكم على تكذيبكم الله ورسوله ، ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم ، إن كنتم محققين فى جحودكم أن ما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم اختلاق وافتراء ، لمتحنوا أنفسكم وغيركم : هل تقدرون على أن تأتوا بسورة من

(١) الآثار ٤٩٦ — ٥٠٠ : فى ابن كثير ١ : ١٠٨ بعضها ، والدر المنثور ١ : ٣٥ ، والشوكانى ١ : ٤٠ ، وفى المخطوطة فى بعض المواضع : « أناس » مكان « ناس » ، وهما سواء .

(٢) فى المطبوعة : « واستعينوا » ، وهما متقاربتان ، والأولى أجود ، وهى كذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٩ .

(٣) البيت للراعى النيرى ، اللسان (عز) . واعتزى : انتسب ، ودعا فى الحرب بمثل قوله : يا لفلان ، أو يا للمهاجرين ، أو يا للأتصار ، والاسم العزاء والعزوة ، وهى دعوى المستغيث .

(٤) فى المطبوعة : « واستعانوا » ، كما سلف فى اختها قبل .

(٥) فى المطبوعة : « كالشركاء » .

مثله ، فيقدر محمد على أن يأتي بجميعه من قبيل نفسه اختلاقاً ؟
 وأما ما قاله مجاهد وابن جريج في تأويل ذلك ، فلا وجه له . لأن القوم كانوا
 على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافاً ثلاثة : أهل إيمان صحيح ، وأهل
 كفر صحيح ، وأهل نفاق بين ذلك . فأهل الإيمان كانوا بالله وبرسوله مؤمنين ،
 فكان من المحال أن يدعى الكفار أن لهم شهداء — على حقيقة ما كانوا يأتون به ،
 لو أتوا باختلاق من الرسالة ، ثم ادعوا أنه للقرآن نظير — من المؤمنين ^(١) . فأما
 أهل النفاق والكفر ، فلا شك أنهم لو دُعوا إلى تحقيق الباطل وإبطال الحق
 لتارعوا إليه مع كفرهم وضلالهم ^(٢) ، فمن أى الفريقين كانت تكون شهادتهم
 لو ادعوا أنهم قد أتوا بسورة من مثل القرآن ^(٣) ؟

ولكن ذلك كما قال جل ثناؤه : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ
 يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾
 [سورة الإسراء: ٨٨] ، فأخبر جل ثناؤه في هذه الآية ، أن مثل القرآن لا يأتي به الجن
 والإنس ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان به ، وتحداهم بمعنى التوبيخ لهم في سورة
 البقرة فقال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله
 وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » . يعنى بذلك : إن كنتم
 في شك في صدق محمد فيما جاءكم به من عندى أنه من عندى ، فأتوا بسورة

- (١) قوله « من المؤمنين » متعلق بقوله آتفاً « أن لهم شهداء . . . » ، يعنى شهداء من المؤمنين .
 ثم فصل ، لأن قوله « على حقيقة ما كانوا يأتون به . . . » متعلق أيضاً ، بشهداء .
 (٢) في المطبوعة : « لادعوا إليه مع كفرهم وضلالهم » . وتترع إلى الشيء : تسرع إليه ، يقال
 في التسرع إلى الشر وما لا ينبغي . وما في المخطوطة « تتارعوا » صحيح في اشتقاق العربية ، وإن لم تذكره
 المعاجم ، وهو مثل تسرع وتسارع ، سواء .
 (٣) في المطبوعة « فمن أى الفرق . . . » ، وكلام الطبرى استفهام واستنكار . لأن من المحال
 أن يشهد المؤمنون على هذا الباطل ، والكفار وأهل النفاق يتسرعون إلى الشهادة بالباطل لإبطال الحق ،
 فكان محالاً أن يكون معنى « الشهداء » هنا : الذين يشهدون لهم ، أن ما جاءوا به نظير ما جاء به رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى . وصار حتماً أن يكون معنى « الشهداء » : الذين يظاهرونهم
 ويعاونونهم ، كما جاء في الآية التالية .

من مثله ، وليستنصر بعضكم بعضاً على ذلك إن كنتم صادقين في زعمكم ، حتى تعلموا أنكم إذ عجزتم عن ذلك - أنه لا يقدر على أن يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا من البشر أحدٌ ، ويصحَّ عندكم أنه تنزيلي ووحى إلى عبدى .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره بقوله : « فإن لم تفعلوا » ، إن لم تأتوا بسورة من مثله ، فقد تظاهرت أنتم وشركاؤكم عليه وأعدائكم^(١) ، فبين لكم بامتحانكم واختباركم عجزكم وعجزُ جميع خلقه عنه ، وعلمتم أنه من عندى ، ثم أقسم على التكذيب به . وقوله : « ولن تفعلوا » ، أى لن تأتوا بسورة من مثله أبداً .

٥٠١ - كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة :

« فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » ، أى لا تقدرّون على ذلك ولا تطيقونه^(٢) .

٥٠٢ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد

ابن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » ، فقد بين لكم الحق^(٣) .

(١) فى المطبوعة : « وقد تظاهرت » ، وما فى المخطوطة أجود ، وسيأتى بعد قليل بيان ذلك .

(٢) الأثر ٥٠١ - ذكره السيوطى ١ : ٣٥ بنحوه ، ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير . وكتب فيه خطأ مطبعياً « ابن جريج » .

(٣) الأثران ٥٠١ ، ٥٠٢ - فى الدر المنثور ١ : ٣٥ ، والشوكانى ١ : ٤٠ . ولفظ الطبرى فى تفسير هذه الآية وفى التى تليها ، وما استدلل به من الأثر الأخير ، يدل على أنه يرى أن جواب الشرط محذوف ، لأنه معلوم قد دل عليه السياق ؛ وجواب الشرط « فقد بين لكم الحق » ، وأقسم على التكذيب به وبرسولى ، ثم قال مستأنفاً : « فاتقوا أن تصلوا النار بتكذيبكم رسولى » ، أنه جاءكم بوحي وتنزيل ، بعد أن تبين لكم أنه كتابى ومن عندى .

ولم أجد من تنبه لهذا غير الزمخشري ، فإنه قال فى تفسير الآية من كتابه « الكشاف » ما نصه : « فإن قلت : ما معنى اشتراطه فى اتقاء النار ، انقضاء إتيانهم بسورة من مثله ؟ قلت : إنهم إذا لم يأتوا بها ،

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله « فاتقوا النار » ، يقول : فاتقوا أن تصلوا النار بتكذيبكم رسولى بما جاءكم به من عندى أنه من وحي وتزيلي ، بعد تبينكم أنه كتابى ومن عندى ، وقيام الحجة عليكم بأنه كلامى ووحى ، بعجزكم وعجز جميع خلقى عن أن يأتوا بمثله .

ثم وصف جل ثناؤه النار التى حذرهم صليتها فأخبرهم أن الناس وقودها ، وأن الحجارة وقودها ، فقال : « التى وقودها الناس والحجارة » ، يعنى بقوله : « وقودها » حطبها ، والعرب تجعله مصدراً وهو اسم ، إذا فتحت الواو ، بمنزلة الحطب . فإذا ضمت الواو من « الوقود » كان مصدراً من قول القائل : وقدت النار فهى تقيد وقوداً وقيدة ووقدناً ووقداً ، يراد بذلك أنها التهمت .

فإن قال قائل : وكيف خصت الحجارة فقرنت بالناس ، حتى جعلت لنار جهنم حطباً ؟

وتبين عجزهم عن المعارضة ، صبح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا صبح عندهم صدقه ، ثم لزوا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا ، استوجبوا العقاب بالنار . فقيل لهم : إن استبتم العجز فاتركوا العناد . فوضع « فاتقوا النار » موضعه ، لأن اتقاء النار لصيقه وضميمة ترك العناد ، من حيث إنه من نتائجه . لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه : « إن أردتم الكرامة عندى ، فاحذروا سخطى » . يريد : فأطيعونى واتبعوا أمرى ، وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط . وهو من باب الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة . وفائدته : الإيجاز ، الذى هو حلية القرآن ، وتهويل شأن العناد ، بإنابة اتقاء النار منابه ، وإبرازه فى صورته ، مشياً ذلك بهويل صفة النار وتفطيم أمرها .

فقد تبين بهذا مراد الطبرى ، وأنه أراد أن يبين أن اتقاء النار غير داخل فى الشرط ، ولا هو من جوابه ، ليخرج بذلك من أن يكون معنى الكلام : قصر اتقائهم النار ، على عجزهم عن الإتيان بمثله . وتفسير الآتى دال على هذا المعنى تمام الدلالة . وهو من دقيق نظر الطبرى رحمه الله وغفر للزحشرى .

قيل : إنها حجارة الكبريت ، وهي أشد الحجارة — فيما بلغنا — حرّاً إذا أحييت .

٥٠٣ — كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة الزرّاد ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، في قوله : « وقودها الناس والحجارة » ، قال : هي حجارة من كبريت ، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا ، يُعدّها للكافرين .

٥٠٤ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا ابن عيينة ، عن مسعر ، عن عبد الملك الزرّاد ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود في قوله : « وقودها الناس والحجارة » ، قال : حجارة الكبريت ، جعلها الله كما شاء (١) .

(١) الخبر ٥٠٣ ، ٥٠٤ — مسعر ، بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين : هو ابن كدام — بكسر الكاف وتخفيف الدال ، وهو ثقة معروف ، أحد الأعلام . عبد الملك بن ميسرة الهلالي الكوفي الزرّاد ، نسبة إلى عمل الزرود : ثقة كثير الحديث ، من صفار التابعين . عبد الرحمن بن سابط الجسعي المكي : تابعي ثقة . عمرو بن ميمون الأودي : من كبار التابعين المخضرمين ، كان مسلماً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يره .

وهذا الخبر رواه الطبري هذين الإسنادين وبالإسناد الآتي : ٥٠٧ . وفي الأول والثالث أن عبد الملك ابن ميسرة يرويه عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون ، وفي الثاني : ٥٠٤ « عبد الملك الزرّاد عن عمرو بن ميمون » مباشرة ، بحذف « عبد الرحمن بن سابط » . ولو كان هذا الإسناد وحده لحمل على الاتصال ، لوجود المعاصرة ، فإن عبد الملك الزرّاد يروي عن ابن عمر المتوفى سنة ٧٤ ، وعمرو بن ميمون مات سنة ٧٤ أو ٧٥ . ولكن هذين الإسنادين : ٥٠٣ ، ٥٠٤ دلا على أنه إنما رواه عن عبد الرحمن ابن سابط عن عمرو بن ميمون .

والخبر رواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٦١ ، من طريق محمد بن عبيد عن مسعر عن عبد الملك الزرّاد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود . فهذه طريق ثلاثة تؤيد الطريقتين اللذين فيهما زيادة عبد الرحمن في الإسناد . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير ١ : ١١٠ — ١١١ من رواية الطبري ، ونسبه لابن أبي حاتم والحاكم ، ونقل تصحيحه إياه ولم يتعقبه . وذكره السيوطي ١ : ٣٦ وزاد نسبه إلى : عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، والفریابی ، وهناد بن السري في كتاب الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب .

٥٠٥ - حدثني موسى بن هرون، قال : حدثنا عمرو بن حماد، قال : حدثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار التي وقودُها الناس والحجارة » ، أما الحجارة ، فهي حجارة في النار من كبريت أسود ، يُعذبون به مع النار ^(١) .

٥٠٦ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله : « وقودها الناس والحجارة » ، قال : حجارة من كبريت أسود في النار ، قال : وقال لي عمرو بن دينار : حجارة أصلب من هذه وأعظم ^(٢) .

٥٠٧ - حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن مسعر ، عن عبد الملك ابن ميسرة ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : حجارة من الكبريت خلقها الله عنده كيف شاء وكما شاء ^(٣) .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢٤)

١٣٢/١ قد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا ، على أن « الكافر » في كلام العرب ، هو السائر شيئاً بغطاء ^(٤) ، وأن الله جل ثناؤه إنما سمي الكافر كافراً ، لجهوده آلاءه عنده ، وتغطيته نعماءه قبيله .

فعنى قوله إذاً : « أعدت للكافرين » ، أعدت النار للجاحدين أن الله ربهم المتوحدُ بخلقهم وخلق الدين من قبلهم ، الذي جعل لهم الأرض فراشاً ، والسماء

(١) الخبر ٥٠٥ - ذكره ابن كثير ١ : ١١١ دون أن ينسبه ، والسيوطي ١ : ٣٦ ، ونسبه لابن جرير رحمه الله .

(٢) الأثر ٥٠٦ - في ابن كثير ١ : ١١١ دون نسبة .

(٣) الخبر ٥٠٧ - سبق تفصيل إخراجهم مع ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

(٤) انظر ما مضى : ٢٥٥ .

بناءً ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم — المشركين معه في عبادته الأنداد والآلهة^(١) ، وهو المنفرد لهم بالإنشاء ، والمتوحد بالأقوات والأرزاق^(٢) .

٥٠٨ — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس : « أعدت للكافرين » ، أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر^(٣) .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَحْمِلُوا الصَّلَاةَ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

قال أبو جعفر : أما قوله تعالى : « وبشر » ، فإنه يعني : أخبرهم . والبشارة أصلها الخبر بما يسر به الخبر ، إذا كان سابقاً به كل خير سواء .

وهذا أمر من الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بإبلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه ، وصدقوا لإيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة ، فقال له : يا محمد ، بشر من صدقك أنك رسول — وأن ما جئت به من الهدى والنور فن عندي ، وحقق تصديقه ذلك قولاً بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتها عليه ، وأوجبته في كتابي على لسانك عليه — أن له جنات تجري من تحتها الأنهار ، خاصة ، دون من كذب بك وأنكر ما جئته به من الهدى من عندي وعانئك^(٤) ، ودون من أظهر تصديقك^(٥) ، وأقر

(١) قوله « المشركين » من صفة قوله آتياً : « للجاحدين » .

(٢) في المخطوطة : « بالآشياء » ، وهو خطأ .

(٣) الخبر ٥٠٨ — في ابن كثير ١ : ١١١ ، والدر المنثور ١ : ٣٦ ، والشوكاني ١ : ٤١ .

(٤) في المطبوعة : « ما جئت به من الهدى » .

(٥) في المخطوطة : « دون من أظهر » . بحذف الواو ، وهو قريب في المعنى .

أنّ ما جنته به فمن عندي قولاً ، وحججه اعتقاداً ، ولم يحققه عملاً . فإن لأولئك النار التي وقودها الناس والحجارة ، مُعدةً عندي .

والجنات : جمع جنة ، والجنة : ابستان .

ولنّما عني جلّ ذكره بذكر الجنة : ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروبها ، دون أرضها - ولذلك قال عز ذكره (١) : « تجري من تحتها الأنهار » . لأنّه معلوم أنّه إنّما أراد جل ثناؤه الخبر عن ماء أنهارها أنّه جارٍ تحت أشجارها وغروبها وثمارها ، لا أنّه جارٍ تحت أرضها . لأن الماء إذا كان جارياً تحت الأرض ، فلا حظّ فيها لعيون من فوقها إلا بكشف الساتر بينها وبينه . على أنّ الذي توصف به أنهار الجنة ، أنّها جارية في غير أخاديد .

٥٠٩ - كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن مسروق ، قال : نخل الجنة نصيدٌ من أصلها إلى فرعها ، وثمرها أمثال القلال ، كلما نزلت ثمرة عادت مكانها أخرى ، وماؤها يتجرى في غير أخلود (٢) .

٥١٠ - حدثنا مجاهد [بن موسى] ، (٣) قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا مسعر بن كدام ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، بنحوه .

٥١١ - وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا ابن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، قال : سمعت عمرو بن مرة يحدث ، عن أبي عبيدة - فذكر مثله - قال : فقلت لأبي عبيدة : من حدّثك ؟ فغضب ، وقال : مسروق .

(١) في المطبوعة : « فلذلك قال ... » ، وما في المخطوطة أجود .

(٢) الأثر ٥٠٩ - في الدر المنثور ١ : ٣٨ . وقال ابن كثير في تفسيره ١ : ١١٣ : « وقد جاء في الحديث أن أنهارها تجري في غير أخلود » ، ولم يبين ، وانظر ما سيأتي رقم : ٥١٧ .

(٣) الإسناد ٥١٠ - الزيادة بين القوسين من المخطوطة ، وهو مجاهد بن موسى بن فروخ الحراري ، أبو حل الختل (بضم ففتح) ، وثقه ابن معين والنسائي وغيرهما . مترجم في التهذيب ، وترجمه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ٤١٣ ، والصغير : ٢٤٥ ، والخطيب في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٦٥ - ٢٦٦ . وابن الأثير في الباب ١ : ٣٤٥ . مات مجاهد هذا في رمضان سنة ٢٤٤ . وشيخه يزيد : هو يزيد بن هرون .

فإذا كان الأمر كذلك ، في أن أنهارها جارية في غير أنخاديد ، فلا شك أن الذي أريد بالجنات : أشجار الجنات وغروسة وثمارها دون أرضها ، إذ كانت أنهارها تجري فوق أرضها وتحت غروسة وأشجارها ، على ما ذكره مسروق . وذلك أولى بصفة الجنة من أن تكون أنهارها جارية تحت أرضها .

ولما رغب الله جل ثناؤه بهذه الآية عباده في الإيمان ، وحضتهم على عبادته بما أخبرهم أنه أعدّه لأهل طاعته والإيمان به عنده ، كما حذرهم في الآية التي قبلها بما أخبر من إعداد ما أعدّه — لأهل الكفر به ، الجاعلين معه الآلهة والأنداد — من عقابه عن إشراك غيره معه ، والتعرض لعقوبته بركوب معصيته وترك طاعته (١) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ كَلَّمَآ رَزَقُوا مِنهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « كلما رزقوا منها » : من الجنات ، والهاء راجعة على الجنات ، وإنما المعنى أشجارها ، فكأنه قال : كلما رزقوا — من أشجار البساتين التي أعدّها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات في جناته — من ثمرة من ثمارها رزقاً قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « هذا الذي رزقنا من قبل » . فقال بعضهم : تأويل ذلك : هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا . ذكر من قال ذلك :

٥١٢ — حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

(١) في المخطوطة : « والتفريق لعقوبته » ، ولا معنى لها .

أسباط ، عن السُّدِّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : « هذا الذي رُزقنا من قبل » ، قال : إنهم أتوا بالثمرة في الجنة ، فلما نظروا^(١) إليها قالوا : هذا الذي رُزقنا من قبل في الدنيا .

٥١٣ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل » ، أى في الدنيا .

٥١٤ — حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل » ، يقولون : ما أشبه به .

٥١٥ — حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

٥١٦ — حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : « قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل » ، في الدنيا ، قال : « وأتوا به مُتشابهاً » ، يعرفونه^(٢) .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل تأويل ذلك : هذا الذي رُزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا ، لشدة مشابهة بعض ذلك في اللون والطعم بعضاً . ومن علة قائل هذا القول : أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله .

٥١٧ — كما حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، قال : سمعت عمرو بن مُرَّة يحدث ، عن أبي عبيدة ، قال : نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها ، وثمرها مثل القلال ، كلما نُزعت منها ثمرة عاد مكانها أخرى^(٣) .

(١) في الدر المنثور : « فينظروا » ، وفي الشوكاني : « فنظروا » ، وكذلك في المخطوطة .

(٢) الآثار ٥١٢-٥١٦ : في تفسير ابن كثير ١ : ١١٢-١١٤ ، والدر المنثور ١ : ٣٨ ، والشوكاني ١ : ٤٢ .

(٣) انظر الآثار السالفة رقم : ٥٠٩-٥١١ . وفي المخطوطة : « أمثال القلال » كما مر آفاً .

قالوا : فإنما اشتبهت عند أهل الجنة ، لأن التي عادت ، نظيرةُ التي نُزعت فأكلت ، في كل معانيها . قالوا : ولذلك قال الله جل ثناؤه : « وأتوا به متشابهاً » ، لاشتباه جميعه في كل معانيه .

وقال بعضهم : بل قالوا : « هذا الذي رزقنا من قبل » ، لمشابهته الذي قبله في اللون ، وإن خالفه في الطعم .
ذكر من قال ذلك :

٥١٨ — حدثنا القاسم بن الحسين ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا شيخ من المصيصية ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال : يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ، ثم يؤتى بأخرى فيقول : هذا الذي أتينا به من قبل . فيقول الملك : كُلْ ، فاللون واحد والطعم مختلف^(١) .

وهذا التأويل مذهب من تأول الآية . غير أنه يدفع صحته ظاهرُ التلاوة . والذي يدل على صحته ظاهرُ الآية ويحقق صحته ، قول القائلين : إن معنى ذلك : هذا الذي رزقنا من قبلُ في الدنيا . وذلك أن الله جل ثناؤه قال : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً » ، فأخبر جل ثناؤه أن من قيل أهل الجنة كلما رزقوا من ثمرة الجنة رزقاً ، أن يقولوا : هذا الذي رزقنا من قبلُ . ولم يخص بأن ذلك من قيلهم في بعض ذلك دون بعض . فإذا كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم في كل ما رزقوا من ثمرها ، فلا شك أن ذلك من قيلهم ١٣٤/١ في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها ، الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة . فإذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم في أوله ، كما هو من قيلهم في أوسطه وما يتلوه^(٢) — فعلوم أنه محال أن يكون من قيلهم لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل هذا من ثمار

(١) الأثر ٥١٨ — في ابن كثير ١ : ١١٤ ، والدر المنثور ١ : ٣٨ .

(٢) في المطبوعة : « في وسطه » .

الجنة ! وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمارها ولمَّا يتقدمه عندهم غيره : هذا هو الذى رزقناه من قبل ؟ إلا أن ينسبهم ذو غيئة وضلال إلى قبل الكذب الذى قد طهرهم الله منه^(١) ، أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قبلهم لأول رزق رزقوه منها من ثمارها ، فيدفع صحة ما أوجب الله صحته بقوله : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا » ، من غير نصب دلالة على أنه معنى به حال من أحوالهم دون حال . فقد تبين بما بيننا أن معنى الآية : كلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة رزقا قالوا : هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا^(٢) . فإن سألنا سائل ، فقال : وكيف قال القوم : هذا الذى رزقنا من قبل ، والذى رزقوه من قبل قد عُدَّ بأكملهم إياه ؟ وكيف يجوز أن يقول أهل الجنة قولاً لا حقيقة له ؟

قيل : إن الأمر على غير ما ذهبت إليه فى ذلك . وإنما معناه : هذا من النوع الذى رزقناه من قبل هذا ، من الثمار والرزق . كالرجل يقول لآخر : قد أعد لك فلان من الطعام كذا وكذا من ألوان الطبخ والشواء والحلوى . فيقول المقول له ذاك : هذا طعامى فى منزلى . يعنى بذلك : أن النوع الذى ذكر له صاحبه أنه أعدّه له من الطعام هو طعامه ، لا أن أعيان ما أخبره صاحبه أنه قد أعدّه له ، هو طعامه . بل ذلك مما لا يجوز لسامع سمعه يقول ذلك ، أن يتوهم أنه أراد أو قصده ، لأن ذلك خلاف مخرج كلام المتكلم . وإنما يوجه كلام كل متكلم إلى المعروف فى الناس من مخارجه ، دون المجهول من معانيه . فكذلك ذلك فى قوله : « قالوا هذا الذى رزقنا من قبل » ، إذ كان ما كانوا رزقوه من قبل قد فنى وعُدَّ . فعلوم أنهم عَنَوْا بذلك : هذا من النوع الذى رزقناه من قبل ، ومن جنسه

(١) فى المطبوعة مكان قوله : « ذو غيئة » ، « ذو غرة » ، وفى المخطوطة : « ذوعته » . والتمتة : نقص العقل ، أو الجنون ، وأجود من ما أثبتته عن كتاب حادى الأرواح لابن قيم الجوزية ١ : ٢٦٨ ، حيث نقل نص الطبرى .

(٢) هذا التفصيل الذى ذكره الطبرى من جيد النظر فى معانى الكلام .

في السّمات والألوان^(١) — على ما قد بينا من القول في ذلك في كتابنا هذا^(٢) .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ .

قال أبو جعفر : والهاء في قوله : « وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا » عائدة على الرزق، فتأويله : وأتوا بالذي رزقوا من ثمارها متشابهاً .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل « المتشابه » في ذلك :

فقال بعضهم : تشابه أن كله خيار لا رذّل فيه .

ذكر من قال ذلك :

٥١٩ — حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا

أبو عامر ، عن الحسن في قوله : « متشابهاً » قال : خياراً كلّها لا رذّل فيها .

٥٢٠ — حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء : قرأ

الحسنُ آيات من البقرة ، فأتى على هذه الآية : « وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا » قال : ألم تروا إلى ثمار الدنيا كيف تُرذّلون بعضه ؟ وإن ذلك ليس فيه رذّل .

٥٢١ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ،

قال : قال الحسن : « وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا » قال : يشبه بعضه بعضاً ، ليس فيه من رذّل^(٣) . ١٣٥/١

٥٢٢ — حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « وَأَتُوا بِهِ

(١) في المطبوعة : « في التسميات والألوان » ، وهو خطأ .

(٢) يعني بذلك الذي تقدم ، معنى قوله : « وإنما يوجه كلام كل متكلم إلى المعروف في الناس

من مخارجه ، دون المجهول من معانيه » ، وقد مضى ذكر ذلك في ص ٢٨٨

هذا ، وقد وقع في المطبوعة خطأ بين ، فقد وضع في هذا المكان ما نقلناه إلى حق موضعه في ص ٣٩٤ من أول قوله : « وقد زعم بعض أهل العربية . . . » إلى قوله : « بمخروجه عن قول جميع أهل العلم ، دلالة على خطئه » .

(٣) في المطبوعة : « ليس فيه مرذول » .

متشابهاً» ، أى خياراً لا رذال فيه ، وإن ثمار الدنيا يُنقّى منها ويرذّل منها ، وثمار الجنة خيارٌ كله ، لا يرذّل منه شيء .

٥٢٣ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج . قال : ثمر الدنيا منه ما يُرذّل ، ومنه نقاوةٌ ، وثمر الجنة نقاوة كله ، يشبه بعضه بعضاً في الطيب ، ليس منه مردول^(١) .

* * *

وقال بعضهم : تشابهه في اللون وهو مختلف في الطعم .
ذكر من قال ذلك :

٥٢٤ - حدثني موسى ، قال حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « وأتوا به متشابهاً » في اللون والمرأى ، وليس يشبه الطعم .

٥٢٥ - حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأتوا به متشابهاً » مثل الخيار .

٥٢٦ - حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : وأتوا به متشابهاً لونه مختلفاً طعمه ، مثل الخيار من القشأ .

٥٢٧ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « وأتوا به متشابهاً » ، يشبه بعضه بعضاً ويختلف الطعم .

٥٢٨ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : متشابهاً ، قال : مشتبهاً في اللون ، ومختلفاً في الطعم .

(١) الآثار : ٥١٩ - ٥٢٣ بعضها في الدر المنثور ١ : ٣٨ ، وبعضها في الشوكاني

٥٢٩ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وأتوا به متشابهاً » ، مثل الخيار^(١) .

* * *

وقال بعضهم : تشابهُه في اللون والطعم .
ذكر من قال ذلك :

٥٣٠ - حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، قوله : « متشابهاً » قال : اللون والطعم .
٥٣١ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ويحيى بن سعيد : « متشابهاً » قالوا : في اللون والطعم .

* * *

وقال بعضهم : تشابهه ، تشابه ثمر الجنة وثمر الدنيا في اللون ، وإن اختلف طعومهما .
ذكر من قال ذلك :

٥٣٢ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وأتوا به متشابهاً » قال : يشبه ثمر الدنيا ، غير أن ثمر الجنة أطيب .
٥٣٣ - حدثنا المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : قال حفص بن عمر ، قال : حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : « وأتوا به متشابهاً » ، قال : يشبه ثمر الدنيا ، غير أن ثمر الجنة أطيب .

* * *

وقال بعضهم : لا يُشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا ، إلا الأسماء .
ذكر من قال ذلك :

٥٣٤ - حدثني أبو كريب ، قال : حدثنا الأشجعي - ح - - وحدثنا محمد

(١) الآثار : ٥٢٤ - ٥٢٩ بعضها في ابن كثير ١ : ١١٤ - ١١٥ ، والدر المنثور

١ : ٣٨ ، والشوكاني ١ : ٤٢ .

ابن بشار، قال، حدثنا مؤمل، قالاجمياً: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس - قال أبو كريب في حديثه عن الأشجعي - : لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا، إلا الأسماء. وقال ابن بشار في حديثه عن مؤمل، قال : ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

٥٣٥ - حدثنا عباس بن محمد، قال : حدثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال : ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء. ٥٣٦ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال : أنبأنا ابن وهب، قال : قال عبد الرحمن بن زيد، في قوله : « وأتوا به متشابهاً »، قال : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا، التفاح بالتفاح والرمان بالرمان، قالوا في الجنة : « هذا الذي رزقنا من قبل » في الدنيا، « وأتوا به متشابهاً » يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم^(١).

١٣٦/١ قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية، تأويل من قال : وأتوا به متشابهاً في اللون والمنظر، والطعم مختلف. يعني بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا في المنظر واللون، مختلفاً في الطعم والذوق، لما قدمنا من العلة في تأويل قوله : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل » وأن معناه : كلما رزقوا من الجنان من ثمرة من ثمارها رزقاً قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا : فأخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا ذلك، ومن أجل أنهم أتوا بما أتوا به من ذلك في الجنة متشابهاً، يعني بذلك تشابه ما أتوا به في الجنة منه، والذي كانوا رزقوه في الدنيا، في اللون والمرأى والمنظر، وإن اختلفا في الطعم والذوق، فتباينا، فلم يكن لشيء مما في الجنة من ذلك نظير في الدنيا.

وقد دللنا على فساد قول من زعم أن معنى قوله : « قالوا هذا الذي رزقنا من قبل »، إنما هو قول من أهل الجنة في تشبيههم بعض ثمر الجنة ببعض^(٢). وتلك الدلالة

(١) الآثار : ٥٣٠ - ٥٣٦ بعضها في الدر المنثور ٣٨: ١، والشوكاني ١ : ٤٢.

(٢) انظر ما مضى ص ٣٨٧ وما بعدها.

على فساد ذلك القول ، هي الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله : « وأتوا به متشابهاً » ، لأن الله جل ثناؤه إنما أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم : « هذا الذى رزقنا من قبل » بقوله : « وأتوا به متشابهاً » .

ويُسأل من أنكر ذلك^(١) ، فزعم أنه غير جائز أن يكون شيء مما في الجنة نظيراً لشيء مما في الدنيا بوجه من الوجوه ، فيقال له : أيجوز أن يكون أسماء ما في الجنة من ثمارها وأطعمتها وأشربتها نظائر أسماء ما في الدنيا منها ؟

فإن أنكر ذلك خالف نص كتاب الله ، لأن الله جل ثناؤه إنما عرف عباده في الدنيا ما هو عنده في الجنة بالأسماء التى يسمى بها ما في الدنيا من ذلك . وإن قال : ذلك جائز ، بل هو كذلك .

قيل : فما أنكرت أن يكون ألوان ما فيها من ذلك ، نظير ألوان ما في الدنيا منه^(٢) ، بمعنى البياض والحمرة والصفرة وسائر صنوف الألوان ، وإن تباينت فتفاضلت بفضل حسن المرأة والمنظر ، فكان لما في الجنة من ذلك من البهاء والجمال وحسن المرأة والمنظر ، خلاف الذى لما في الدنيا منه ، كما كان جائزاً ذلك في الأسماء مع اختلاف المسميات بالفضل في أجسامها ؟ ثم يعكس عليه القول في ذلك ، فلن يقول في أحدهما شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله .

وكان أبو موسى الأشعري يقول في ذلك بما :

٥٣٧ - حدثني به ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، وعبد الوهاب ، ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن قسامة ، عن الأشعري ، قال : إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء ، فماركم هذه من ثمار الجنة ، غير أن هذه تغيّر وتلك لا تغيّر^(٣) .

(١) في المطبوعة : « وسئل من أنكر ... » ، وهو خطأ بين .

(٢) في المطبوعة : « نظائر ألوان » .

(٣) الحديث ٥٣٧ - هذا إسناد صحيح . وهو وإن كان موقوفاً لفظاً فإنه مرفوع حكماً ، لأنه لإخبار عن غيب لا يعلم بالرأى ولا القياس . والأشعري : هو أبو موسى ، ولم يكن ممن يهكى عن

(١) وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى قوله: « وأتوا به متشابهاً » ، أنه متشابه في الفضل ، أى كل واحد منه له من الفضل في نحوه ، مثل الذى للآخر في نحوه . قال أبو جعفر : وليس هذا قولاً نستجيز التشاغل بالدلالة على فساد ، لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل . وحسب قول - بخروجه عن قول جميع أهل العلم - دلالة على خطئه .

• • •

الكتب القديمة . عوف : هو ابن أبي جميلة الأعرابي ، وهو ثقة ثبت ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . قسامة - بفتح القاف وتخفيف السين المهملة : هو ابن زهير المازني التيمي البصري ، وهو ثقة تابعي قديم ، بل ذكره بعضهم في الصحابة فأخطأ . وله ترجمة في الإصابة ٥ : ٢٧٦ وابن سعد ١١٠/١/٧ ، وقال : « كان ثقة إن شاء الله ، وتوفي في ولاية الحجاج على العراق » ، وابن أبي حاتم ١٤٧/٢/٢ ، وروى توثيقه عن ابن معين .

والحديث ذكره ابن كثير في التاريخ ١ : ٨٠ ، من رواية عبد الرزاق عن معمر عن عوف ، بهذا الإسناد . وذكره ابن القيم في حادى الأرواح ١ : ٢٧٢ (ص ١٢٥ من الطبعة الثانية ، طبعة محمود ربيع سنة ١٣٥٧) من رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن عقبة بن مكرم العمى الحافظ ، عن ربيع بن إبراهيم بن علي عن عوف ، بهذا الإسناد ، مرفوعاً صراحة : « قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وكذلك ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ : ١٩٧ - ١٩٨ « عن أبي موسى رفعه » ، وقال : « رواه البزار ، والطبراني ، ورجاله ثقات » . وذكره ابن القيم في حادى الأرواح قبل ذلك (ص ٣٠ - ٣١) ، من رواية « هوزة بن خليفة عن عوف » بهذا الإسناد ، موقوفاً لفظاً . ورواية هوزة بن خليفة : رواها الحاكم في المستدرک ٢ : ٥٤٢ ، ولكن إسناده عنده أنه مغلوط ، والظاهر أنه غلط من النسخين . لأن الذى فيه : « هوزة بن خليفة حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري ، قال : إن الله لما أخرج آدم » إلخ . ثم قال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي ! ولا يمكن - فيما أعرف وأعتقد - أن يصحح الحاكم هذا الإسناد ، ثم يوافقه الذهبي ، إن كان على هذا الوجه ، لأن أبا بكر بن أبي موسى الأشعري تابعي ثقة ، فلو كان الإسناد هكذا كان الحديث مرسل لا حجة فيه ، سواء أرفعه أم قاله من قبل نفسه ، فالظاهر أن النسخين القدماء للمستدرک أخطوا في زيادة « أبي بكر بن » ، وأن صوابه : « عن أبي موسى الأشعري » ، كما تبين من نقل ابن القيم رواية هوزة ، وكما تبين من الروايات الأخرى التي سقناها . والحمد لله على التوفيق .

(١) هذه الفقرة كلها من أول قوله : « وقد زعم بعض أهل العربية . . . » كانت في المطبوعة في الموضع الذى أشرنا إليه آنفاً ص ٣٨٩ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : والهاء والميم اللتان في « لهم » عائدتان على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والهاء والألف اللتان في « فيها » عائدتان على الجنات . وتأويل ذلك : وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات فيها أزواج مطهرة .

والأزواج جمع زوج ، وهي امرأة الرجل . يقال : فلانة زوج فلان وزوجته .
وأما قوله : « مطهرة » فإن تأويله أنهن طهورن من كل أذى وقذى وريبة ، مما يكون في نساء أهل الدنيا ، من الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط والبصاق والمني ، وما أشبه ذلك من الأذى والأدناس والريب والمكاره .

٥٣٨ — كما حدثنا به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أما أزواج مطهرة ، فإنهن لا يحضن ولا يمتدثن ولا يتنخمن .

٥٣٩ — حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، ١٣٧/١ قال : حدثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : « أزواج مطهرة » . يقول : مطهرة من القذر والأذى .

٥٤٠ — حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا يحيى القطان^(١) ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولم فيها أزواج مطهرة » قال : لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمتدثن .

٥٤١ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه — إلا أنه زاد فيه : ولا يمتدثن ولا يحضن .

(١) في المخطوطة : « يحيى المطار » ، وهو خطأ .

- ٥٤٢ - حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ذكره : « ولم فيها أزواج مطهرة » قال : مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد .
- ٥٤٣ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سويد بن نصر ، قال : حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .
- ٥٤٤ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : لا يَبْلُغْنَ ولا يتغوطنَ ولا يحضنَ ولا يلدن ولا يُمْنين ولا يَبْزُقْنَ .
- ٥٤٥ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم .
- ٥٤٦ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « ولم فيها أزواج مطهرة » ، إى والله من الإثم والأذى .
- ٥٤٧ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ولم فيها أزواج مطهرة » ، قال : طهرهن الله من كل بول وغائط وقذر ، ومن كل مأثم .
- ٥٤٨ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثني ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال مطهرة من الحيض والحبل والأذى .
- ٥٤٩ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المطهرة من الحيض والحبل .
- ٥٥٠ - حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد : « ولم فيها أزواج مطهرة » قال : المطهرة التي لا تحيض . قال : وأزواج الدنيا ليست بمطهرة ، ألا تراهن يدميئن ويتركن الصلاة والصيام ؟ قال ابن زيد : وكذلك خلقت حواء حتى عصت ، فلما عصت قال الله : إني خلقتك مطهرة

وسأدملك كما أدميت هذه الشجرة^(١) .

- ٥٥١ - حدثت عن عمار ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن الحسن في قوله : « ولهم فيها أزواج مطهرة » ، قال يقول : مطهرة من الحيض .
- ٥٥٢ - حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا خالد بن يزيد ، قال : حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن الحسن في قوله : « ولهم فيها أزواج مطهرة » ، قال : من الحيض .
- ٥٥٣ - حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا ابن جريج ، عن عطاء ، قوله : « ولهم فيها أزواج مطهرة » ، قال : من الولد والحيض والغائط والبول ، وذكر أشياء من هذا النحو^(٢) .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : والذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنات خالدون . والهاء والميم من قوله « وهم » ، عائدة على الذين آمنوا وعملوا

(١) في المخطوطة : « كما دمت » بتشديد الميم ، وهما سواء ، ويعني بذلك دم الحيض . وهذا الأثر نقله ابن كثير ١ : ١١٥ عن هذا الموضع ، وفيه « أدميت » ، كما في المطبوعة هنا . وقال ابن كثير بعد سياقه : « وهذا غريب » .

(٢) الآثار ٥٣٨ - ٥٥٣ : بعضها في ابن كثير ١ : ١١٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٩ ، والشوكاني ١ : ٤٢ وكرهنا الإطالة بتفصيل مراجعها واحداً واحداً . ونقل ابن كثير ١ : ١١٥ - ١١٦ حديثاً مرفوعاً بهذا المعنى : يعني مطهرة « من الحيض والغائط والنخاعة والبزاق » ، من تفسير ابن مردويه بإسناده - من طريق محمد بن عبيد الكندي عن عبد الرزاق بن عمر البزيعي عن عبد الله ابن المبارك عن شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد ، مرفوعاً . وقال : « هذا حديث غريب » . ثم نقل عن الحاكم أنه رواه في المستدرک ، من هذا الوجه ، وأنه صححه على شرط الشيخين . ثم قال : « وهذا الذي ادعاه فيه نظر » ، فإن عبد الرزاق بن عمر البزيعي هذا - قال فيه أبو حاتم بن حبان البستي : لا يجوز الاحتجاج به . قلت : والأظهر أن هذا من كلام قتادة ، كما تقدم . وهو كما قال ابن كثير . انظر الميزان ٢ : ١٢٦ .

الصالحات . والهاء والألف في « فيها » على الجنات . وخلودهم فيها دوام بقائهم فيها على ما أعطاهم الله فيها من الحسنة والنعيم المقيم^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنْ أَلَّهِ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أنزل الله جل ثناؤه فيه هذه الآية وفي تأويلها . فقال بعضهم بما :

١٣٨/١ ٥٥٤ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : لما ضرب الله هذين المثليين للمنافقين - يعني قوله : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » وقوله : « أو كصيب من السماء » ، الآيات الثلاث - قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله : « إِنْ أَلَّهِ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً » إلى قوله : « أولئك هم الخاسرون » . وقال آخرون بما :

٥٥٥ - حدثني به أحمد بن إبراهيم ، قال حدثنا قرآد ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، في قوله تعالى : « إِنْ أَلَّهِ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ

(١) في الدر المنثور ١ : ٤١ ، والشوكاني ١ : ٤٢ ، أن ابن جرير أخرج عن ابن عباس في قوله « ومم فيها خاللون » - « أي خاللون أبدأ » ، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبدأ لا انقطاع له .

وهذا الخبر سيأتي عند تفسير الآية : ٨٢ من هذه السورة (١ : ٢٠٧ بولاق) . فنقله السيوطي إلى هذا الموضع ، وتبعه الشوكاني .

مثلاً ما بعوضةٌ فما فوقها . قال : هذا مثل ضربه الله للدنيا ، إن البعوضة تحيا ما جاءت ، فإذا سمعت ماتت . وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن : إذا امتثلوا من الدنيا ريباً أخذهم الله عند ذلك . قال : ثم تلا : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَاهُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] ^(١)

٥٥٦ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس بنحوه - إلا أنه قال : فإذا خلت آجالهم وانقطعت مدتهم ^(٢) ، صاروا كالبعوضة تحيا ما جاءت ، وتموت إذا رويت ، فكذلك هؤلاء الذين ضرب الله لهم هذا المثل ، إذا امتثلوا من الدنيا ريباً أخذهم الله فأهلكهم . فذلك قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَاهُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] .

وقال آخرون بما :

٥٥٧ - حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » ، أى إن الله لا يستحي من الحق أن يذكر منه شيئاً ما قل منه أو كثر ^(٣) . إن الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة : ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فأنزل الله :

(١) الأثر ٥٥٥ - « قراد » بضم القاف وفتح الراء مخففة : لقب له ، واسمه « عبد الرحمن ابن غزوان بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي ، الخزاعي » ، وهو ثقة ، وقال أحمد : « كان عاقلاً من الرجال » . وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢٧٤/٢/٢ .

(٢) في المطبوعة : « خلى آجالهم » ، وفي المخطوطة « خلا » ، والصواب ما أثبتته . وخلا العمر يخلو خلوا : مضى وانقضى .

(٣) في المخطوطة : « شيئاً قل منه أو كثر » بخلاف « ما » ، وفي ابن كثير « ما قل أو كثر » وكلها متقاربة .

« إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » .

٥٥٨ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : لما ذكر الله العنكبوت والذباب ، قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » ^(١) .

وقد ذهب كل قائل ممن ذكرنا قوله في هذه الآية ، وفي المعنى الذى نزلت فيه ، مذهباً ؛ غير أن أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ، ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس .

وذلك أن الله جلّ ذكره أخبر عباده أنه لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ، عقيب أمثال قد تقدمت في هذه السورة ، ضربها للمنافقين ، دون الأمثال التى ضربها في سائر السور غيرها . فلأن يكون هذا القول — أعنى قوله : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما » — جواباً لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال في هذه السورة ، أحق وأولى من أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال في غيرها من السور .

فإن قال قائل : إنما أوجب أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب من الأمثال في سائر السور ، لأن الأمثال التى ضربها الله لهم ولآلئهم في سائر السور أمثال موافقة المعنى لما أخبر عنه : أنه لا يستحي أن يضربه مثلاً ، إذ كان بعضها تمثيلاً لآلئهم بالعنكبوت ، وبعضها تشبيهاً لها في الضعف والمهانة بالذباب .
١٣٩/١ وليس ذكر شيء من ذلك بموجود في هذه السورة ، فيجوز أن يقال : إن الله لا يستحي أن يضربه مثلاً ^(٢) .

(١) الآثار : ٥٥٤ — ٥٥٨ أكثرها في ابن كثير ١ : ١١٧ ، وبعضها في الدر المنثور

١ : ٤١ ، والشركاني ١ : ٤٥ .

(٢) في المطبوعة : « أن يضرب مثلاً ما » ، وليست بشيء .

فإن ذلك بخلاف ما ظنّ. وذلك أن قول الله جلّ ثناؤه: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها»، إنما هو خبرٌ منه جلّ ذكره أنه لا يستحي أن يضرب في الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها، ابتلاءً بذلك عباده واختباراً منه لهم، ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به، إضلالاً منه به لقوم، وهدايةً منه به لآخرين.

...

٥٥٩ - كما حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «مثلاً ما بعوضة»، يعني الأمثال صغيرها وكبيرها، يؤمن بها المؤمنون، ويعلمون أنها الحق من ربهم، ويهديهم الله بها ويُضِلُّ بها الفاسقين. يقول: يعرفه المؤمنون فيؤمنون به، ويعرفه الفاسقون فيكفرون به.

٥٦٠ - حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٥٦١ - حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج عن مجاهد، مثله^(١).

...

قال أبو جعفر: - لا أنه جلّ ذكره قصد الخبر عن عين البعوضة أنه لا يستحي من ضرب المثل بها، ولكن البعوضة لما كانت أضعف الخلق -

٥٦٢ - كما حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، قال: البعوضة أضعف ما خلق الله.

٥٦٣ - حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، بنحوه^(٢).

(١) الآثار: ٥٥٩ - ٥٦١، وهي واحد كلها، في الدر المنثور ١: ٤٢، والشوكاني ١: ٤٥، وسأقي برقم: ٥٦٦.

(٢) الأثر: ٥٦٢ في الدر المنثور ١: ٤١.

— (١) خصها الله بالذكر في القيلة ، فأخبر أنه لا يستحي أن يضرب أقلّ الأمثال في الحق وأحقرها وأعلاها إلى غير نهاية في الارتفاع ، جواباً منه جل ذكره لمن أنكر من منافق خلقه ما ضرب لهم من المثل بموقد النار والصيب من السماء ، على ما نعتتهما به من نعتهما .

فإن قال لنا قائل : وأين ذكر نكير المنافقين الأمثال التي وصفت ، الذي هذا الخبر جوابه ، فنعلم أن القول في ذلك ما قلت ؟

قيل : الدلالة على ذلك بينة في قول الله تعالى ذكره (٢) : « فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً » . وإن القوم الذين ضرب لهم الأمثال في الآيتين المقدّمتين — اللتين مثل ما عليه المنافقون مقيمون فيهما (٣) : بموقد النار والصيب من السماء (٤) ، على ما وصف من ذلك قبل قوله : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً » — قد أنكروا المثل وقالوا : ماذا أراد الله بهذا مثلاً ؟ فأوضح لهم تعالى ذكره خطأ قيلهم ذلك ، وقبح لهم ما نطقوا به ، وأخبرهم بحكمهم في قيلهم ما قالوا منه ، وأنه ضلال وفسوق ، وأن الصواب والهدى ما قاله المؤمنون دون ما قالوه .

وأما تأويل قوله : « إن الله لا يستحي » ، فإن بعض المنسويين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى « إن الله لا يستحي » : إن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً ، ويستشهد على ذلك من قوله بقول الله تعالى : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧] ، ويزعم أن معنى ذلك : وتستحي الناس والله أحق أن تستحيه — فيقول : الاستحياء بمعنى الخشية ، والخشية بمعنى الاستحياء (٥) .

(١) قوله : « خصها ... » جواب قوله آنفاً : « ... لما كانت أضعف الخلق » .

(٢) في المطبوعة : « الدلالة على ذلك بينها جل ذكره في قوله » .

(٣) قوله : « فيهما » متعلق بقوله « مثل » ، أي : اللتين مثل فيهما — ما عليه المنافقون مقيمون — بموقد النار ...

(٤) في المطبوعة : « وبالصيب من السماء » .

(٥) لم أعرف قائل هذا القول من المنسويين إلى المعرفة بلغة العرب ، ولكن رأيت أبا حيان

وأما معنى قوله : « أن يضرب مثلاً » ، فهو أن يبين ويصف ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [سورة الروم : ٢٨] ، بمعنى وصف لكم ، وكما قال الكُمَيْت :

وَذَلِكَ ضَرْبُ أَخْمَاسٍ أُرِيدَتْ لِأَسَدَاسٍ ، عَسَى أَنْ لَا تَكُونَا ^(١)
بمعنى : وصف أخماس .

والمثل : الشبه ، يقال : هذا مثل هذا ومثله ، كما يقال : شبهته وشبهه ، ومنه قول كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ ^(٢) ١٤٠/١
يعنى شبهها ، فعنى قوله إذا : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً » : إن

يقول في تفسيره ١ : ١٢١ ، يزعم أن هذا المعنى هو الذى رجحه الطبرى ، ومن البين أنه خطأ فيما توهمه ، فإن لفظ الطبرى دال على أنه لم يحقق معناه ، ولم يرضه ، ولم ينصره . هذا على أن أظن أن مجاز اللفظ يجيز مثل هذا الذى قاله المنسوب إلى المعرفة بلغة العرب ، وإن كنت أكره أن أحل هذه الآية على هذا المعنى .

(١) هذا بيت استرقه الكيت استرقاً ، على أنه مثل اجتلبه . وأصله : أن شيخاً كان في إبله ، ومعه أولاده ، حالاً يرعونها ، قد طالت غربتهم عن أهلهم . فقال لهم ذات يوم : « ارجعوا إبلكم ربعا » (بكسر فسكون : وهو أن تحبس عن الماء ثلاثاً ، وترد في اليوم الرابع) ، فرعوا ربعا نحو طريق أهلهم . فقالوا : لو رعينها خمسا ! (بكسر فسكون : أن تحبس أربعاً وترد في الخامس) فزادوا يوماً قبل أهلهم . فقالوا : لو رعينها سداً ! (أن تحبس خمسا وترد في السادس) . ففطن الشيخ لما يريدون ، فقال : ما أنتم إلا ضرب أخماس لأسداس ، ما هتمكم رعيها ، إنما هتمكم أهلكم ! وأنشأ يقول :

وَذَلِكَ ضَرْبُ أَخْمَاسٍ أَرَاهُ ، لِأَسَدَاسٍ ، عَسَى أَنْ لَا تَكُونَا

فصار قولهم : « ضرب أخماس لأسداس » مثلاً مضروباً للذى يراوغ ويظهر أمراً وهو يريد غيره . وحقيقة قوله « ضرب » : بمعنى وصف ، أنه من ضرب البعير أو الدابة ليصرف وجهها إلى الوجه الذى يريد ، يسوقها إليه لتسلكه . فقولهم : ضرب له مثلاً ، أى ساقه إليه ، وهو يشعر بمعنى الإبانة بالمثل المسوق . وهذا بين .

(٢) ديوانه : ٨ ، وفي المخطوطة : « وما مواعيده » ، وعرقوب - فيما يزعمون - : هو عرقوب ابن نصر ، رجل من المألفة ، نزل المدينة قبل أن تنزلها يهود بعد عيسى ابن مريم عليه السلام . وكان يحتال في إخلاف المواعيد بالمأطلة ، كما هو معروف في قصته .

الله لا يخشى أن يصف شيئاً لما شبه به^(١).

وأما « ما » التي مع « مثل » ، فإنها بمعنى « الذي » ، لأن معنى الكلام : إن الله لا يستحي أن يضرب الذي هو بعوضة في الصغر والقيلة فما فوقها - مثلاً . فإن قال لنا قائل : فإن كان القول في ذلك ما قلت^(٢) ، فما وجه نصب البعوضة ، وقد علمت أن تأويل الكلام ما تأولت^(٣) : أن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً الذي هو بعوضة ؛ فالبعوضة على قولك في محل الرفع ؟ فأنى أتاها النصب ؟ قيل : أتاها النصب من وجهين : أحدهما ، أن « ما » لما كانت في محل نصب بقوله « يضرب » ، وكانت البعوضة لها صلة ، عُرِّبَتْ بتعريبها^(٤) ، فألزمت إعرابها ، كما قال حسان بن ثابت :

وَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا^(٥)

فَعُرِّبَتْ « غيرُ » بإعراب « من » . والعرب تفعل ذلك خاصة في « من » و « ما »^(٦) ، تعرب صلاتهما بإعرابهما ، لأنهما يكونان معرفة أحياناً ، ونكرة أحياناً .

(١) هذا بقية تفسير الكلمة على مذهب من قال إن الاستحياء بمعنى الخشية ، لا ما أخذ به الطبري ، وتفسير الطبري صريح بين في آخر تفسير الآية .

(٢) في المطبوعة : « كما قلت » .

(٣) في المطبوعة : « على ما تأولت » ، وليست بجيدة .

(٤) في المطبوعة « أعربت بتعريبها » . وقوله « عربت » : أي أجريت مجراها في الإعراب ، وهذا هو معنى « التعريب » في اصطلاح قدماء النحاة ، وستر بك كثيراً فاحفظها ، وهي أوجز مما اصطلاح عليه المحدثون منهم .

(٥) ليس في ديوانه ، ويأتي في الطبري ٤ : ٩٩ غير منسوب ، وفي الخزانة : ٢ : ٥٤٥ - ٥٤٦ أنه لكعب بن مالك ، ونسب إلى حسان بن ثابت ولم يوجد في شعره . ونسب لبشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، ونسب أيضاً لعبد الله بن رواحة . وذكره السيوطي في شرح شواهد المنى : ١١٦ ، ٢٥٢ ، وأثبت بيتاً قبله :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ بِنَصْرِ وَلِيِّهِ فَاللَّهُ ، عَزَّ ، بِنَصْرِهِ سَمَانًا

قال : يعني أن الله عز وجل سماهم « الأنصار » ، لأنهم نصروا النبي صلى الله عليه وسلم ومن والاه . والباء في « بنصر وليه » ، بمعنى « مع » .

(٦) في المطبوعة : « فالعرب تفعل . . . » .

وأما الوجه الآخر ، فإن يكون معنى الكلام : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها ، ثم حذف ذكر « بين » و « إلى » ، إذ كان في نصب البعوضة ودخول الفاء في « ما » الثانية ، دلالة عليهما ، كما قالت العرب : « مطيرنا ما زُبالة فالتعلبية » ، و « لعشرون ما ناقة فجملاً » ، و « هي أحسن الناس ما قرناً فقديماً » ، يعنون : ما بين قرنها إلى قدمها ^(١) . وكذلك يقولون في كل ما حسن فيه من الكلام دخول : « ما بين كذا إلى كذا » ، ينصبون الأول والثاني ، ليدل النصبُ فيهما على المحذوف من الكلام ^(٢) . فكذلك ذلك في قوله : « ما بعوضة فما فوقها » ^(٣) . وقد زعم بعض أهل العربية أن « ما » التي مع المثل صلة في الكلام بمعنى التطويل ^(٤) ، وأن معنى الكلام : إن الله لا يستحي أن يضرب بعوضة مثلاً فما فوقها . فعلى هذا التأويل ، يجب أن تكون « بعوضة » منصوبة بـ « يضرب » ، وأن تكون « ما » الثانية التي في « فما فوقها » معطوفة على البعوضة لا على « ما » .

وأما تأويل قوله « فما فوقها » : فما هو أعظم منها ^(٥) — عندي — لما ذكرنا قبل من قول قتادة وابن جريج : أن البعوضة أضعف خلق الله ، فإذا كانت أضعف خلق الله فهي نهاية في القلة والضعف . وإذا كانت كذلك ، فلا شك أن ما فوق أضعف الأشياء ، لا يكون إلا أقوى منه . فقد يجب أن يكون المعنى

(١) في المخطوطة : « يعنون بذلك من قرنها . . . » .

(٢) في المخطوطة : « ليدل النصب في الأسماء على المحذوف . . . » ، وهما سواء .

(٣) أكثر هذا من كلام الفراء في معاني القرآن ١ : ٢١ - ٢٢ ، وذكر الوجهين السالفين جميعاً ، وكلامه أبسط من كلام الطبري وأبين .

(٤) قد مضى قديماً شرح معنى التطويل (انظر : ٢٢٤ ، ١٨ وما يأتي ص : ٤٠٦ ، ١٥٤ من بولاق) ، وهو الزيادة في الكلام . وهذا الذي قال عنه : « زعم بعض أهل العربية » ، هو الفراء نفسه ، فقد ذكر هذا أول وجه من ثلاثة وجوه في الآية في معاني القرآن ١ : ٢١ ، وقال : « أولها : أن توقع الضرب على البعوضة ، وتجعل ما صلة ، كقوله : « عما قليل ليصبحن نادمين » يريد : عن قليل . المعنى — واه أعلم — : إن الله لا يستحي أن يضرب بعوضة فما فوقها مثلاً » . والذي يسميه الطبري البغدادى المذهب في النحو « تطولا » ، يسميه الفراء الكوفي المذهب في النحو « صلة » ، وهي الزيادة في الكلام .

(٥) في المخطوطة : « فهو ما قد عظم منها » ، وهو خطأ بلا معنى .

— على ما قالاه — فما فوقها في العظم والكبر ، إذ كانت البعوضة نهايةً في الضعف والقلة .
وقيل في تأويل قوله « فما فوقها » ، في الصغر والقلة . كما يقال في الرجل يذكره
الذاكر فيصفه باللؤم والشح ، فيقول السامع : « نعم ، وفوقَ ذلك » ، يعني فوقَ
الذي وصفت في الشح واللؤم ^(١) ، وهذا قولٌ خلافُ تأويل أهل العلم
الذين تَرْتَضِي معرفتهم بتأويل القرآن .

فقد تبين إذاً ، بما وصفنا ، أن معنى الكلام : إن الله لا يستحي أن يصف
شبهاً لما شبه به الذي هو ما بين بعوضةٍ إلى ما فوق البعوضة .
فأما تأويل الكلام لو رفعت البعوضة ، فغير جائز في « ما » ، إلا ما قلنا من
أن تكون اسماً ، لا صلة بمعنى التطول ^(٢) .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « فأما الذين آمنوا » ، فأما الذين
صدّقوا الله ورسوله . وقوله : « فيعلمون أنه الحق من ربهم » . يعني : فيعرفون
أن المثل الذي ضرب به الله ، لِمَا ضربه له ، مثل .

٥٦٤ — كما حدثني به المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا
عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « فأما الذين آمنوا

(١) في المطبوعة : « فوق الذي وصف » . وهذا التأويل الذي ذكره الطبري ، قد اقترحه
الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٠ — ٢١ وأبان عنه ، وقال : « ولو جعلت في مثله من الكلام « فما
فوقها » ، تريد أصغر منها ، لجاز ذلك . ولست أستحبه » ، يعني : أنه لا يستحبه في هذا الموضع
من تفسير كتاب الله .

(٢) قد شرحنا معنى « صلة » و « تطول » فيما مضى ص : ٤٠٥ .

فيعلمون أنه الحق من ربهم ، أن هذا المثل الحق من ربهم ، وأنه كلام الله ومن عنده (١) .

٥٦٥ - وكما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله « فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم » ، أى يعلمون أنه كلام الرحمن ، وأنه الحق من الله (٢) .

• • •

« وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً » .

قال أبو جعفر : وقوله « وأما الذين كفروا » ، يعنى الذين جحدوا آيات الله ، وأنكروا ما عرفوا ، وسترُوا ما علموا أنه حق ، وذلك صفة المنافقين ، وإياهم عنى الله جل وعز - ومن كان من نظرائهم وشركائهم من المشركين من أهل الكتاب وغيرهم - بهذه الآية ، فيقولون : ماذا أراد الله بهذا مثلاً ، كما قد ذكرنا قبل من الخبر الذى رويناه عن مجاهد الذى : -

٥٦٦ - حدثنا به محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم » الآية ، قال : يؤمن بها المؤمنون ، ويعلمون أنها الحق من ربهم ، ويهديهم الله بها ، ويضل بها الفاسقون . يقول : يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ، ويعرفه الفاسقون فيكفرون به (٣) .

وتأويل قوله : « ماذا أراد الله بهذا مثلاً » ، ما الذى أراد الله بهذا المثل مثلاً . « فذا » ، الذى مع « ما » ، فى معنى « الذى » ، وأراد صلته ، وهذا إشارة إلى المثل (٤) .

• • •

(١) الأثر : ٥٦٤ - هو عن الربيع بن أنس عن أبي الدالية ، كما مر كثيراً ، وكذلك جاء فى الدر المنثور ١ : ٤٢ .

(٢) الأثر ٥٦٥ - فى ابن كثير ١ : ١١٨ .

(٣) الأثر ٥٦٦ - قد مضى برقم : ٥٥٩ .

(٤) فى المطبوعة : « فذا مع ما فى معنى » .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي

بِهِ كَثِيرًا﴾

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل وعز: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا»، يُضِلُّ الله به كثيراً من خلقه. والهاء في «به» من ذكر المثل. وهذا خبر من الله جل ثناؤه مبتدأ، ومعنى الكلام: أن الله يُضِلُّ بالمثل الذي يضربه كثيراً من أهل النفاق والكفر: —

٥٦٧ — كما حدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس — وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا» يعني المنافقين، «ويهدي به كثيراً»، يعني المؤمنين^(١). — فيزيد هؤلاء ضللاً إلى ضلالتهم، لتكذيبهم بما قد علموه حقاً يقيناً من المثل الذي ضرب به الله لما ضرب به له، وأنه لما ضرب به له موافق. فذلك إضلال الله إياهم به. و«يهدي به»، يعني المثل، كثيراً من أهل الإيمان والتصديق، فيزيدهم هدى إلى هدايتهم وإيماناً إلى إيمانهم. لتصديقهم بما قد علموه حقاً يقيناً أنه موافق لما ضرب به الله له مثلاً، وإقرارهم به. وذلك هداية من الله لهم به.

وقد زعم بعضهم أن ذلك خبر عن المنافقين، كأنهم قالوا: ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد، يُضِلُّ به هذا ويهدي به هذا. ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله، فقال الله: «وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين». وفيما في سورة المدثر — من قول الله: «وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً. كذلك يُضِلُّ الله من يشاء ويهدي من يشاء» — ما ينبئ عن أنه في سورة البقرة كذلك، مبتدأ — أعني قوله: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ويهدي به كثيراً».

(١) الخبر: ٥٦٧ — في ابن كثير: ١١٩، والدر المنثور ١: ٤٢، والشوكاني ١: ٤٥، وهو فيها تام متصل، وتماه الأثر الذي يليه: ٥٦٨. ولكن ابن كثير أخطأ، فوصل هذا الخبر بكلام الطبري الذي يليه، كأنه كله من تفسير ابن عباس وابن مسعود، وهو خطأ محض. فقول الطبري بعد «فيزيد هؤلاء ضللاً...» هو من تمام قوله قبل هذا «أن الله يُضِلُّ بالمثل الذي يضربه كثيراً من أهل النفاق والكفر».

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٦)

وتأويل ذلك ما :-

٥٦٨ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه ١٤٢/١ وسلم : « وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين » ، هم المنافقون (١) .

٥٦٩ - وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين » ، فسقوا فأضلَّهم الله على فسقهم (٢) .

٥٧٠ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « وما يضل به إلا الفاسقين » ، هم أهل النفاق (٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وأصلُ الفسق في كلام العرب : الخروجُ عن الشيء . يقال منه : فسقت الرُّطبة إذا خرجت من قشرها . ومن ذلك سُميت الفأرة فَوَيْسِقَةً ، لخروجها عن جحرها (٤) ، فكذلك المنافق والكافر سُميا فاسقين ، لخروجهما عن طاعة ربهما . ولذلك قال جل ذكره في صفة إبليس : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، يعني به خرج عن طاعته واتباع أمره .

٥٧١ - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحق ،

(١) الخبر ٥٦٨ - تمام الأثر السالف ، وقد ذكرنا موضعه .

(٢) الأثر : ٥٦٩ - في ابن كثير ١ : ١١٩ ، وفي الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني

١ : ٤٥ ، وفيهما مكان « على فسقهم » ، « بفسقهم » .

(٣) الأثر : ٥٧٠ - في ابن كثير ١ : ١١٩ .

(٤) انظر الطبري ١٥ : ١٧٠ (بولاق) . وقوله : « يحكى عن العرب سمياً » فسقت

الرطبة من قشرها ، إذا خرجت . وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها ، وسائر ما قال هناك .

عن داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس في قوله : ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة البقرة : ٥٩] ، أى بما بعُدوا عن أمرى^(١) .

فمعنى قوله : « وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين » ، وما يُضِلُّ الله بالمثل الذى يضربه لأهل الضلال والنفاق ، إلا الخارجين عن طاعته ، والتاركين اتباع أمره ، من أهل الكفر به من أهل الكتاب ، وأهل الضلال من أهل النفاق .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾

قال أبو جعفر : وهذا وصف من الله جل ذكره الفاسقين الذين أخبر أنه لا يُضِلُّ بالمثل الذى يضربه لأهل النفاق غيرهم ، فقال : وما يُضِلُّ الله بالمثل الذى يضربه — على ما وصف قبلُ في الآيات المتقدمة — إلا الفاسقين الذين يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ .

ثم اختلف أهل المعرفة في معنى العهد الذى وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه : —

فقال بعضهم : هو وصية الله إلى خلقه ، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته ، في كتبه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . ونقضهم ذلك ، تركهم العمل به .

وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم ، وإياهم عَنِ اللَّهِ جل ذكره بقوله : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ ، وَبِقَوْلِهِ : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ » . فكل ما في هذه الآيات ، فَعَدْلٌ لَهُمْ وَتَوْبِيخٌ إِلَى انْقِضَاءِ قَصَصِهِمْ . قالوا : فعهدُ الله الذى

(١) الخبر : ٥٧١ — لم أجده في مكانه من تفسير آية البقرة ، ولا في أية آية ذكر فيها هذا الحرف . ولم يخرج أحد من أئمتنا ذكره . وفي المخطوطة : « من أمرى » .

نقضوه بعد ميثاقه ، هو ما أخذه الله عليهم في التوراة — من العمل بما فيها ،
واتباع محمد صلى الله عليه وسلم إذا بُعث ، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم .
ونقضهم ذلك ، هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته ، وإنكارهم ذلك ، وكتائبهم علم
ذلك الناس^(١) ، بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق لَيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يكتمونه .
فأخبر الله جل ثناؤه أنهم نبؤوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً .

وقال بعضهم : إن الله عني بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق .
وعهدُهُ إلى جميعهم في توحيدهِ : ما وَضَعَ لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته .
وعهدُهُ إليهم في أمره ونهيه : ما احتجَّ به لرسله من المعجزات التي لا يقدرُ أحد
من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها ، الشاهدة لهم على صدقهم . قالوا : ونقضهم ذلك ،
تركهم الإقرار بما قد تبينَّت لهم صحته بالأدلة ، وتكذيبهم الرسل والكتب ، مع
علمهم أن ما أتوا به حق .

وقال آخرون : العهدُ الذي ذكره الله جل ذكره ، هو العهدُ الذي
أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم ، الذي وصفه في قوله : ١٤٣/١
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا
غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ
بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣] .
ونقضهم ذلك ، تركهم الوفاء به .

وأولى الأقوال عندى بالصواب في ذلك قول من قال : إن هذه الآيات نزلت
في كفار أخبار اليهود الذين كانوا بين ظَهْرَانِي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) في المطبوعة : « عن الناس » ، و « الناس » منصوب ، مفعول ثان ، المصدر « كتائبهم » .
والفعل « كتم » يتعدى إلى مفعول ومفعولين ، تقول : كتمت فلاناً سراً ، وكتمت عن فلان سراً ،
وهما سواء .

وما قُرب منها من بقايا بني إسرائيل ، ومن كان على شركه من أهل النفاق الذين قد بينا قصصهم فيما مضى من كتابنا هذا .

وقد دللنا على أن قول الله جل ثناؤه : « إن الذين كفروا سواء عليهم » ، وقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر » ، فيهم أنزلت ، وفيمن كان على مثل الذى هم عليه من الشرك بالله . غير أن هذه الآيات عندى ، وإن كانت فيهم نزلت ، فإنه معنى بها كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الضلال ، ومعنى بما وافق منها صفة المنافقين خاصة^(١) ، وبما وافق منها صفة كفار أحبار اليهود ، جميع من كان لهم نظيراً في كفرهم .

وذلك أن الله جل ثناؤه يعم أحياناً جميعهم بالصفة ، لتقديمه ذكر جميعهم في أول الآيات التى ذكرت قصصهم ، ويخص أحياناً بالصفة بعضهم ، لتفصيله في أول الآيات بين فريقيهما ، أعنى : فريق المنافقين من عبدة الأوثان وأهل الشرك بالله ، وفريق كفار أحبار اليهود . فالذين ينقضون عهد الله ، هم التاركون ما عهد الله إليهم من الإقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وتبيين نبوته للناس ، الكاتمون بيان ذلك بعد علمهم به ، وبما قد أخذ الله عليهم فى ذلك ، كما قال الله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٧] ، ونبذهم ذلك وراء ظهورهم ، هو نقضهم العهد الذى عهد إليهم فى التوراة الذى وصفناه ، وتركهم العمل به .

ولما قلت : إنه عني بهذه الآيات من قلت إنه عني بها ، لأن الآيات — من مبتدأ الآيات الخمس والست من سورة البقرة^(٢) — فىهم نزلت ، إلى تمام قصصهم .

(١) سياق العبارة : « ومعنى جميع المنافقين ، بما وافق منها صفة المنافقين » وعبارة الطبرى أعرب .

(٢) فى المطبوعة : « من ابتداء الآيات » ، وكأنه تغيير من المصححين .

وفي الآية التي بعد الخبر عن خلق آدم وبيانه في قوله ^(١) : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٤٠] .
وخطابه إياهم جل ذكره بالوفاء بذلك خاصة دون سائر البشر ^(٢) - ما يدل على أن قوله : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » مقصود به كفارهم ومنافقوهم ، ومن كان من أشياعهم من مشركي عبدة الأوثان على ضلالهم . غير أن الخطاب - وإن كان لمن وصفت من الفريقين - فداخل في أحكامهم ، وفيما أوجب الله لهم من الوعيد والذم والتوبيخ ، كل من كان على سبيلهم ومنهجهم من جميع الخلق وأصناف الأمم المخاطبين بالأمر والنهي .

فغنى الآية إذا : وما يُضِلُّ به إلا التاركين طاعة الله ، الخارجين عن اتباع أمره ونبيه ، الناكثين عهود الله التي عهد لها إليهم ، في الكتب التي أنزلها إلى رُسُلِهِ وعلى ألسن أنبيائه ، باتباع أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وطاعة الله فيما افترض عليهم في التوراة من تبين أمره للناس ، وإخبارهم إياهم أنهم يجدونه مكتوباً عندهم أنه رسول من عند الله مفترضة طاعته ، وترك كتمان ذلك لهم ^(٣) . ونكثهم ذلك ونقضهم إياه ، هو مخالفتهم الله في عهده إليهم - فيما وصفت أنه عهد إليهم - بعد إعطائهم ربهم الميثاق بالوفاء بذلك . كما وصفهم به ربنا تعالى ذكره بقوله : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ . [سورة الأعراف : ١٦٩]

(١) في المطبوعة « عن خلق آدم وأبنائه في قوله » ، وهو خطأ محض . وقوله « وبيانه » ، مجرور معطوف على قوله : « وفي الآية التي بعد الخبر . . . » أي ، « وفي بيانه في قوله : . . . » .
(٢) قوله : « وخطابه » مجرور معطوف على قوله : « وفي الآية . . . » و « وبيانه . . . » كما أسلفنا في التعليق قبله . وفي المطبوعة : « في ذلك خاصة » . وليست بشيء .
(٣) هكذا في الأصول ، ولعل الأجود أن يقول : وترك كتمان ذلك عنهم .

وأما قوله : « من بعد ميثاقه » ، فإنه يعنى : من بعد توثق الله فيه ^(١) ،
بأخذ عهوده بالوفاء له ، بما عهد إليهم فى ذلك ^(٢) . غير أن التوثق مصدر
من قولك : توثقت من فلان توثقاً ، والميثاق اسمٌ منه . والهاء فى الميثاق عائدة
على اسم الله .

* * *

وقد يدخل فى حكم هذه الآية كل من كان بالصفة التى وصف الله بها
هؤلاء الفاسقين من المنافقين والكفار ، فى نقض العهد وقطع الرحم والإفساد فى
الأرض .

٥٧٢ - كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن
قتادة ، قوله : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » ، فإياكم ونقض هذا
الميثاق ، فإن الله قد ذكره نقضه وأوعده فيه ، وقدّم فيه فى آى القرآن حجة وموعظة
ونصيحة ، وإنا لا نعلم الله جل ذكره أوعده فى ذنب ما أوعده فى نقض الميثاق .
فمن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليصف به الله ^(٣) .

٥٧٣ - حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون » ، فهى
ستٌ خلال فى أهل النفاق ، إذا كانت لهم الظهرة ^(٤) ، أظهرُوا هذه الخلال الست

(١) فى المطبوعة : « منه » مكان « فيه » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « بما عهد إليه » ، وهو خطأ بين .

(٣) الأثر : ٥٧٢ - فى الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكانى ١ : ٤٥ . وقوله « من ثمرة
قلبه » ، أى خالص قلبه ، مأخوذ من ثمرة الشجرة ، لأنها خلاصتها وأطيب ما فيها . وفى حديث
المباينة : « فأعطاء صفقة يده وثمره قلبه » ، أى خالص عهده وهو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ،
فى المسند : ٦٥٠١ ، ٦٥٠٣ ، ٦٧٩٣ . ويقال : خصنى فلان بثمره قلبه : أى خالص مودته .

(٤) الظهرة (بثلاث فتحات) : الكثرة ، وأراد بها ظهور الأمر والغلبة . ولو أسكنت الهاء ،
كان صواباً ، من قولهم : ظهرت على فلان : إذا علوته وغلبته .

جميعاً : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا أؤتمنوا خانوا ، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض . وإذا كانت عليهم الظهيرة ، أظهروا الخلال الثلاث إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا أؤتمنوا خانوا^(١) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ

أَنْ يُوصَلَ ﴾

قال أبو جعفر : والذي رغب الله في وصله وذم على قطعه في هذه الآية : الرحيم . وقد بين ذلك في كتابه ، فقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [سورة محمد : ٢٢] . وإنما غنى بالرحم ، أهل الرحم الذين جمعهم وإياه رحيمٌ والدة واحدة . وقطع ذلك : ظلمه في ترك أداء ما ألزم الله من حقوقها ، وأوجب من برّها . ووصلها : أداء الواجب لها إليها من حقوق الله التي أوجب لها ، والتعطف عليها بما يحقّ التعطف به عليها .

« وأن » التي مع « يوصل » في محل خفض ، بمعنى ردّها على موضع الهاء التي في « به » : فكان معنى الكلام^(٢) : ويقطعون الذي أمر الله بأن يوصل . والهاء التي في « به » ، هي كناية عن ذكر « أن يوصل » . وبما قلنا في تأويل قوله : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » ، وأنه الرحم ، كان قتادة يقول :

(١) الأثر : ٥٧٣ - في ابن كثير ١ : ١٢٠ - ١٢١ عن أبي العالية ، ثم قال : « وكذا قال الربيع بن أنس أيضاً » . هذا ، وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ، والشوكاني خبراً خرجوه عن ابن جرير عن سعد بن أبي وقاص قال : « الحرورية هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، قال : إياكم ونقض هذا الميثاق . وكان يسميهم : الفاسقين » الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني ١ : ٤٥ . أما ابن كثير فقد رواه في تفسيره ١ : ١١٩ نقلاً عن ابن أبي حاتم ؛ بإسناده ، ولم ينسبه إلى الطبري . وأخشى أن يكون وهماً من السيوطي والشوكاني .

(٢) في المطبوعة : « وكان معنى الكلام » بالواو .

٥٧٤ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة :
« ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » ، فقطع والله ما أمر الله به أن يوصل بقطيعة
الرحم والقراية^(١) .

• • •

وقد تأول بعضهم ذلك : أن الله ذمهم بقطعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به وأرحامهم . واستشهد على ذلك بعموم ظاهر الآية ، وأن لا دلالة على أنه معنى بها بعض ما أمر الله بوصله دون بعض^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا مذهب من تأويل الآية غير بعيد من الصواب ، ولكن الله جل ثناؤه قد ذكر المنافقين في غير آية من كتابه ، فوصفهم بقطع الأرحام . فهذه نظيرة تلك ، غير أنها - وإن كانت كذلك - فهي دالة على ذم الله كل قاطع قطع ما أمر الله بوصله ، رحماً كانت أو غيرها .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : وفسادهم في الأرض : هو ما تقدم وصفناه قبل من معصيتهم ربهم ، وكفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ، وجحدهم نبوته ، وإنكارهم ما أتاهم به من عند الله أنه حق من عنده .

• • •

(١) الأثر : ٥٧٤ - في الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني ١ : ٤٦ مختصراً ، ونصه هناك : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » ، قال : الرحم والقراية .
(٢) في المخطوطة : « واستشهد على ذلك عموم ظاهر الآية ، ولا دلالة . . . » .

القول في تأويل قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : والخاسرون جمع خاسر^(١) ، والخاسرون : الناقصون أنفسهم حظوظها — بمعصيتهم الله — من رحمته ، كما يخسر الرجل في تجارته ، بأن يوضع من رأس ماله في بيعه^(٢) . فكذلك الكافر والمنافق ، خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة ، أحوج ما كان إلى رحمته . يقال منه : خسر الرجل يخسر خسراً وخسراً ، كما قال جرير بن عطية :

إِنْ سَلِيطًا فِي الْخَسَارِ إِنَّهُ أَوْلَادُ قَوْمٍ خَلَقُوا أَقِنَّهٗ^(٣)

يعنى بقوله : « في الخسار » ، أى فيما يوكسهم حظوظهم من الشرف والكرم . وقد قيل : إن معنى « أولئك هم الخاسرون » : أولئك هم الهالكون . وقد يجوز أن يكون قائل ذلك أراد ما قلنا من هلاك الذى وصف الله صفته بالصفة التي وصفه بها في هذه الآية ، بحرمان الله إياه ما حرّمه من رحمته ، بمعصيته إياه وكفره به . فحمل تأويل الكلام على معناه ، دون البيان عن تأويل عين الكلمة بعينها ، فإن أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعل كثيرة تدعوهم إليه .

وقال بعضهم في ذلك بما :

٥٧٥ — حَدَّثْتُ بِهِ عَنِ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عَمَّارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : كُلُّ شَيْءٍ نُسِبَ إِلَى اللَّهِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ اسْمٍ مِثْلِ « خَاسِرٌ » ، فَلَمَّا يَعْنَى بِهِ الْكُفْرَ . وَمَا نُسِبَ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا يَعْنَى بِهِ الذَّنْبَ .

(١) في المطبوعة : « جمع الخاسر » ، وليست بشيء .

(٢) وضع في البيع يوضع (مبنى للمجهول) وضيمة : إذا خسر خسارة من رأس المال .

(٣) ديوانه : ٥٩٨ ، والنقائض : ٤ ، واللسان (قن) ، وروايته : « أبناء قوم » .

وسليط : بطن من بني يربوع قوم جرير ، واسم سليط : كعب بن الحارث بن يربوع . وكان غسان ابن ذهيل السليطي هجاء بني الخطمي ، فهجاء جرير بهذا الرجز . وأقنة جمع قن (بكسر القاف) ، والقن : العبد الذى ملك هو وأبواه . والأنثى ، قن أيضاً بغير هاء .

القول في تأويل قول الله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٨)
هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك :

فقال بعضهم بما :

٥٧٦ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ » ، يقول : لم تكونوا شيئاً فخلقكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم يوم القيامة .

٥٧٧ - حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، في قوله : ﴿ أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ [سورة غافر : ١١] ، قال : هي كالتى في البقرة : « كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ » .

٥٧٨ - حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن يونس ، قال : حدثنا عبثر ، قال : حدثنا حصين ، عن أبي مالك ، في قوله : « أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ » ، قال : خلقنا ولم تكن شيئاً ، ثم أَمَتْنَا ، ثم أُحْيَيْنَا .

٥٧٩ - حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قوله : « أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ » ، قال : كانوا أَمْوَاتًا فَأَحْيَاهُمُ اللَّهُ ، ثُمَّ أَمَاتَهُمْ ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ (١) .

(١) الأثر : ٥٧٩ - « حصين » . بضم الحاء المهملة : هو ابن عبد الرحمن السلمي .

و « أبو مالك » : هو الغفاري الكوفي ، واسمه « غزوان » . سبقت ترجمته في : ١٦٨

٥٨٠ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » ، قال : لم تكونوا شيئاً حين خلقكم ، ثم يميتكم الموتة الحق ، ثم يحييكم . وقوله : « أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ، مثلها .

٥٨١ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدثني عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : هو قوله : « أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » .

١٤٦/١

٥٨٢ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثني أبو العالية ، في قول الله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » ، يقول : حين لم يكونوا شيئاً ، ثم أحياهم حين خلقهم ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، ثم رجعوا إليه بعد الحياة .

٥٨٣ - حدثت عن المنجاب ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله : « أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ، قال : كنتم تُراباً قبل أن يخلقكم ، فهذه ميتة ، ثم أحياكم فخلقكم ، فهذه إحياءة . ثم يميتكم فترجعون إلى القبور ، فهذه ميتة أخرى . ثم يبعثكم يوم القيامة ، فهذه إحياءة . فهما ميتتان وحياتان ، فهو قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » ، ثم إليه ترجعون .

وقال آخرون بما :

٥٨٤ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي صالح : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم » ، قال : يحييكم في القبر ، ثم يميتكم .

قال آخرون بما :

٥٨٥ - حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ،

عن قتادة ، قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » الآية ، قال : كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم^(١) ، فأحياهم الله وخلقهم ، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان وموتتان^(٢) .
وقال بعضهم بما :

٥٨٦ - حدثني به يونس ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » . قال : خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق ، وقرأ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّبُطُلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣] . قال : فكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق . قال : وانتزع ضلعاً من أضلاع آدم القصيرى^(٣) فخلق منه حواء - ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [سورة النساء : ١] ، قال : وبث منهما بعد ذلك في الأرحام خلقاً كثيراً^(٤) ، وقرأ : ﴿ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [سورة الزمر : ٦] ، قال : خلقاً بعد ذلك . قال : فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم ، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، فذلك قول الله : ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾ .

(١) في المخطوطة : « في أصلبة » ، والصواب « صلبة » (بكسر الصاد وفتح اللام) أو « أصلب » (بسكون الصاد وضم اللام) . وكلها جمع صلب (بضم فسكون) : وهو عظم الظهر من لدن الكاهل إلى عجب الذنب .

(٢) الآثار : ٥٧٥ - ٥٨٥ : بعضها في ابن كثير ١ : ١٢٢ جملة ، وبعضها في الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني ١ : ٤٦ ، وكرهنا الإطالة بتفصيلها .

(٣) القصيرى ، بالتصغير : هي الضلع التي تل الشاكلة أسفل الأضلاع ، وهي أقصرهن .

(٤) في المطبوعة : « وبث فيهما بعد ذلك . . . » ، وهو خطأ .

وقرأ قول الله : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧] .
قال : يومئذ . قال : وقرأ قول الله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي
وَاتَّقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ^(١) [سورة المائدة : ٧] .

قال أبو جعفر : ولكل قول من هذه الأقوال التي حكيناها عن روينها عنه ،
وجه ومذهب من التأويل .

فأما وجه تأويل من تأول قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » ،
أى لم تكونوا شيئاً ، فإنه ذهب إلى نحو قول العرب للشيء الدارس والأمر الحامل
الذكر : هذا شيء ميت ، وهذا أمر ميت — يراد بوصفه بالموت : نُحُول ذكره ،
ودُرُوس أثره من الناس . وكذلك يقال في ضد ذلك وخلافه : هذا أمر حي ،
وذكر حي — يراد بوصفه بذلك أنه نابِه مُتَعَالِم في الناس ، كما قال أبو نُخَيْلَة
السعدي :

فَأَحْيَيْتَ لِي ذِكْرِي ، وَمَا كُنْتُ خَامِلًا وَلَكِنْ بَعْضُ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضٍ ^(٢)

يريد بقوله : « فأحييت لي ذكري » ، أى : رفعته وشهرته في الناس حتى نبه فصار ١٤٧/١
مذكوراً حياً ، بعد أن كان خاملاً ميتاً . فكذلك تأويل قول من قال في قوله :
« وكنتم أمواتاً » لم تكونوا شيئاً ، أى كنتم نُحُولاً لا ذكر لكم ، وذلك كان موتكم
فأحياكم ، فجعلكم بشراً أحياء تُذكرون وتُعرفون ، ثم يميتكم بقبض أرواحكم
وإعادتكم ، كالذي كنتم قبل أن يحييكم ، من دروس ذكركم ، وتعفى آثاركم ،
ونُحُول أموركم ، ثم يحييكم بإعادة أجسامكم إلى هيئاتها ، ونفخ الروح فيها ،

(١) الأثر : ٥٨٦ - في ابن كثير ١ : ١٢٢ ، والشوكاني ١ : ٤٧ ، مختصراً جداً .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٤٠ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى : ١٩٣ ، وأبو نخيلة اسمه

لا كنيته ، كما قال أبو الفرج ، ويقال اسمه : يعمر بن حزن بن زائدة ، من بني سعة بن زيد مناة ، وكان
الأغلب عليه الرجز ، وله قصيد قليل ، وكان عاقاً بأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه . والبيت من أبيات ،
يمدح بها مسلمة بن عبد الملك .

وتصييركم بشراً كالذى كنتم قبل الإمامة ، تتعارفون في بعثكم وعند حشركم^(١) .

• • •

وأما وجه تأويل من تأول ذلك : أنه الإمامة التي هي خروج الروح من الجسد ، فإنه ينبغي أن يكون ذهب بقوله « وكنتم أمواتاً » ، إلى أنه خطاب لأهل القبور بعد إحيائهم في قبورهم . وذلك معنى بعيد ، لأن التوبيخ هنالك إنما هو توبيخ على ما سلف وفرط من إجرامهم ، لا استعتاب واسترجاع^(٢) . وقوله جل ذكره : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » ، توبيخ مستعجب عبادَه ، وتأنيب مسترجع خلقه من المعاصي إلى الطاعة ، ومن الضلالة إلى الإنابة ، ولا إنابة في القبور بعد الممات ، ولا توبة فيها بعد الوفاة .

• • •

وأما وجه تأويل قول قتادة ذلك : أنهم كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم . فإنه عني بذلك أنهم كانوا نطفاً لا أرواح فيها ، فكانت بمعنى سائر الأشياء الموات التي لا أرواح فيها . وإحياءه إياها تعالى ذكره ، نفخه الأرواح فيها ، وإماتته إياهم بعد ذلك ، قبضه أرواحهم . وإحياءه إياهم بعد ذلك ، نفخ الأرواح في أجسامهم يوم يُنفخ في الصور ، وينبعث الخلق للموعود .

• • •

وأما ابن زيد ، فقد أبان عن نفسه ما قصد بتأويله ذلك ، وأن الإمامة الأولى عنده إعادة الله جل ثناؤه عبادَه في أصلاب آبائهم ، بعد ما أخذهم من صلب آدم ، وأن الإحياء الآخر هو نفخ الأرواح فيهم في بطون أمهاتهم ، وأن الإمامة الثانية هي قبض أرواحهم للعود إلى التراب^(٣) ، والمصير في البرزخ إلى يوم

(١) في المطبوعة : « لتعارفوا » ، وهي قريبة في المعنى .

(٢) الاستعتاب : الاستقالة من الذنب ، والرجوع إلى ما يجلب الرضا ، أى أن يستقيلوا

وبهم ويستغفروه ، ويرجعوا عن إساءتهم ويطلبوا رضاه . واستعتبه : طلب إليه الرجوع إلى ما يرضى .

والاسترجاع : طلب الرجوع . واسترجعه : رده الله إلى الطاعة .

(٣) في المخطوطة : « للعودة إلى التراب » ، وهي قريب .

البعث ، وأن الإحياء الثالث هو نفخُ الأرواح فيهم لبعث الساعة ونشر القيامة .
وهذا تأويل إذا تدبره المتدبر وجده خلافاً لظاهر قول الله الذي زعم مفسرُه أن
الذي وصفنا من قوله تفسيره . وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه - عن الدين
أخبر عنهم من خلقه - أنهم قالوا : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ، وزعم ابن
زيد في تفسيره أن الله أحياهم ثلاث إحياءات ، وأماتهم ثلاث إِمَاطات . والأمر
عندنا - وإن كان فيها وَصَف من استخراج الله جل ذكره من صُلب آدم ذرِيَّته ،
وأخذه ميثاقه عليهم كما وصف - فليس ذلك من تأويل هاتين الآيتين - أعني
قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » الآية ، وقوله : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا
اثنتين » - في شيء . لأن أحداً لم يدع أن الله أمات من ذرّاً يومئذ غيرَ الإمامة التي
صار بها في البرزخ إلى يوم البعث ، فيكون جائزاً أن يوجه تأويل الآية إلى ما وجهه
إليه ابن زيد .

• • •

وقال بعضهم : الموتة الأولى مفارقة نطفة الرجل جسده إلى رحم المرأة ، فهي
ميتة من لدُنْ فراقها جسده إلى نفخ الروح فيها . ثم يحييها الله بنفخ الروح فيها
فيجعلها بشراً سوياً بعد تارات تأتي عليها . ثم يميتها الميتة الثانية بقبض الروح منه ،
فهو في البرزخ ميت إلى يوم ينفخ في الصور ، فيردّ في جسده روحه^(١) ، فيعود حياً
سوياً لبعث القيامة . فذلك موتتان وحياتان . وإنما دعا هؤلاء إلى هذا القول ، لأنهم^{١٤٨/١}
قالوا : موت ذى الروح مفارقة الروح لإياه . فرعموا أن كل شيء من ابن آدم حيّ
ما لم يفارق جسده الحى ذا الروح . فكل ما فارق جسده الحى ذا الروح ، فارقتُه
الحياةُ فصار ميتاً . كالعضو من أعضائه - مثل اليد من يديه ، والرجل من رجله -
لو قطعت فأبينت^(٢) ، والمقطوع ذلك منه حيّ ، كان الذي بان من جسده ميتاً
لا روح فيه بفراقه سائر جسده الذي فيه الروح . قالوا : فكذلك نطفته حية بحياته

(١) في المخطوطة : « فيرد في جسده » ، وهي قريب .

(٢) في المطبوعة : « وأبينت » ، وهذه أجود .

ما لم تفارق جسده ذا الروح ، فإذا فارقت مباينةً له صارت ميتةً ، نظير ما وصفنا من حكم اليد والرجل وسائر أعضائه . وهذا قولٌ ووجه من التأويل ، لو كان به قائلٌ من أهل القلوة الذين يرتضى القرآن تأويلهم .

• • •

وأولى ما ذكرنا - من الأقوال التي يسنّا - بتأويل قول الله جل ذكره : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » الآية ، القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وعن ابن عباس : من أن معنى قوله : « وكنتم أمواتاً » أموات الذكر ، نحولاً في أصلاب آبائكم نطفاً ، لا تعرفون ولا تُذكرون : فأحياكم بإنشائكم بشراً سوياً حتى ذُكرتم وعُرِّقتم وحبسْتُم ، ثم يُبَيِّتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رُفَاتاً لا تعرفون ولا تُذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون ، ثم يحْيِيكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصبيحة القيامة ، ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك ، كما قال : « ثم إليه تُرجعون » ، لأن الله جل ثناؤه يحييهم في قبورهم قبل حشرهم ، ثم يحشرهم لموقف الحساب ، كما قال جل ذكره : ﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ ﴾ [سورة المارج : ٤٣] ، وقال : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [سورة يس : ٥١] .

والعلة التي من أجلها اخترنا هذا التأويل ، ما قد قدّمنا ذكره للقائلين به ، وفساد ما خالفه بما قد أوضحناه قبل .

وهذه الآية توبيخٌ من الله جل ثناؤه للقائلين : « آمناً بالله وباليوم الآخر » ، الذين أخبر الله عنهم أنهم مع قتلهم ذلك بأفواههم ، غيرُ مؤمنين به . وأنهم إنما يقولون ذلك خداعاً لله وللمؤمنين ، فعذّ لهم الله بقوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » ، ووبّخهم واحتجّ عليهم - في نكيرهم ما أنكروا من ذلك وجحودهم ما جحدوا بقلوبهم المريضة - فقال : كيف تكفرون بالله فتجحدون قدرته على إحيائكم بعد إماتتكم ، [لبعث القيامة ، ومجازاة المسمى منكم بالإساءة والمحسن

بالإحسان ، وقد كنتم نطفاً أمواتاً في أصلاب آبائكم ، فأنشأكم خلقاً سوياً ، وجعلكم أحياء ، ثم أماتكم بعد إنشائكم . فقد علمتم أن مَنْ فعل ذلك بقدرته ، غير مُعجزه - بالقدرة التي فعل ذلك بكم - إحياءكم بعد إماتتكم^(١) ، وإعادتكم بعد إفنائكم ، وحشركم إليه لمجازاتكم بأعمالكم .

ثم عدد ربنا تعالى ذكره عليهم وعلى أوليائهم من أحبار اليهود - الذين جمع بين قصصهم وقصص المنافقين في كثير من آي هذه السورة التي افتتح الخبر عنهم فيها بقوله : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم لا يؤمنون » -^(٢) نِعَمَهُ التي سلفت منه إليهم وإلى آبائهم ، التي عظمت منهم مواقعها . ثم سلب كثيراً منهم كثيراً منها ، بما ركبوا من الآثام ، واجتزموا من الأجرام ، وخالفوا من الطاعة إلى المعصية ، محذّرهم بذلك تعجيل العقوبة لهم ، كالتى عجلها للأسلاف والأفراط قبلهم ، ومخوّفهم حلول مثلاته بساحتهم كالذى أحلّ بأوليهم ، ومُعرفهم ما لهم من النجاة في سرعة الأوبة إليه ، وتعجيل التوبة ، ومن الخلاص لهم يوم القيامة من العقاب^(٣) .

فبدأ بعد تعديده عليهم ما عدد من نعمه التي هم فيها مُقيمون ، بذكر أينا وأبيهم آدم أبى البشر صلوات الله عليه ، وما سلف منه من كرامته إليه ، وآلائه لديه ، وما أحلّ به وبعده إيليس من عاجل عقوبته : صيتهما التي كانت منهما ، ومخالفتهما أمره الذى أمرهما به . وما كان من تغفده آدم برحمته إذ تاب وأناب إليه . وما كان من إحلاله بإيليس من لعنته فى العاجل ، وإعداد له ما أعدّ له من العذاب المقيم فى الآجل ، إذ استكبر وأبى التوبة إليه والإنابة ، منبهاً لهم على حكمه ١٤٩/١

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

(٢) قوله « نعمه » مفعول قوله « ثم عدد ربنا . . . » ، وما بينهما فصل .

(٣) فى المطبوعة « يحذّرهم بذلك . . . ويخوّفهم . . . أحلّ بأوائلهم ، ويعرفهم » ، وانظر ما سيأتى فى ص : ١٥٤ بولاق . وفى المخطوطة والمطبوعة : « من الخلاص . . . بغير واو ، هو لا يستقيم ، فلذلك زدناها . وقوله : « حلول مثلاته » جمع مثلة (بفتح الميم وضم الشاء) : وهى العقوبة والعذاب والنكال .

في المنيين إليه بالتوبة، وقضائه في المستكبرين عن الإنابة، إعداراً من الله بذلك إليهم، وإنذاراً لهم، ليتدبروا آياته وليتذكر منهم أولو الألباب. وخاصاً أهل الكتاب — بما ذكر من قصص آدم وسائر القصص التي ذكرها معها وبعدها، مما علمه أهل الكتاب وجهلته الأمة الأمية من مشركي عبدة الأوثان — بالاحتجاج عليهم — دون غيرهم من سائر أصناف الأمم، الذين لا علم عندهم بذلك — لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم^(١)، ليعلموا بإخباره إياهم بذلك، أنه لله رسول مبعوث، وأن ما جاءهم به فن عنده. إذ كان ما اقتص عليهم من هذه القصص، من مكنون علومهم، ومصون ما في كتبهم، وخفي أمورهم التي لم يكن يدعي معرفة علمها غيرهم وغير من أخذ عنهم وقرأ كتبهم.

وكان معلوماً من محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن قط كاتباً، ولا لأسفارهم تالياً، ولا لأحد منهم مصاحباً ولا مجالساً، فيمكنهم أن يدعوا أنه أخذ ذلك من كتبهم أو عن بعضهم، فقال جل ذكره — في تعديده عليهم ما هم فيه مقيمون من نعمه، مع كفرهم به، وتركهم شكره عليها بما يجب له عليهم من طاعته^(٢) — : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة : ٢٩]. فأخبرهم جل ذكره أنه خلق لهم ما في الأرض جميعاً، لأن الأرض وجميع ما فيها لبني آدم منافع. أما في الدين، فدليل على وحدانية ربهم، وأما في الدنيا فعاش وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه.

فلذلك قال جل ذكره : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ».

(١) سياق هذه العبارة : « وخاصاً أهل الكتاب ... بالاحتجاج عليهم ... لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ». وما بين هذه الأحرف المتعلقة بمراجعتها، فصل متتابع، كمادة الطبرى في كتابته

وقوله : « هو » مكنى من اسم الله جل ذكره عائد على اسمه فى قوله : « كيف تكفرون بالله » . ومعنى خلقه ما خلق جل ثناؤه ، إنشاؤه عينه ، وإخراجه من حال العدم إلى الوجود . و « ما » بمعنى « الذى » .

فمعنى الكلام إذا : كيف تكفرون بالله وكنتم نطفاً فى أصلاب آبائكم فجعلكم بشراً أحياء ، ثم يميتكم ، ثم هو يحييكم بعد ذلك وباعثكم يوم الحشر للثواب والعقاب ، وهو المنعم عليكم بما خلق لكم فى الأرض من معاشكم وأدلتكم على وحدانية ربكم .

و « كيف » بمعنى التعجب والتوبيخ ، لا بمعنى الاستفهام ، كأنه قال : وينحکم كيف تكفرون بالله ، كما قال : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [سورة التکویر : ٢٦] . وحل قوله : « وكنتم أمواتاً فأحياكم » محل الحال . وفيه ضمير « قد »^(١) ، ولكنها حذفت لما فى الكلام من الدليل عليها . وذلك أن « فعل » إذا حلت محل الحال كان معلوماً أنها مقتضية « قد » ، كما قال ثناؤه ﴿ أَوْجَاءُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [سورة النساء : ٩٠] ، بمعنى : قد حَصِرَتْ صدورهم . وكما تقول للرجل : أصبحت كثرت ماشيتك ، تريد : قد كثرت ماشيتك .

وبنحو الذى قلنا فى قوله : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » ، كان قتادة يقول :

٥٨٧ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » ، نعم والله سخر لكم ما فى الأرض^(٢) .

• • •

(١) فى المطبوعة « وفيه إضمار قد » ، ولم يرد بالضمير ما اصطلاح عليه النحويون ، وإنما أراد المضمرة الذى أخفى وستر . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣ - ٢٥ .

(٢) الأثر : ٥٨٧ - فى الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني ١ : ٤٨ ، وفيهما زيادة على الذى فى أصول الطبى ، وهى : « ... ما فى الأرض جميعاً ، كرامة من الله ونعمة لابن

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهُنَّ ﴾

سَبْعَ سَمَوَاتٍ

قال أبو جعفر : اختلفوا في تأويل قوله : « ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ » . فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان مقبلاً على فلان ، ثُمَّ أَسْتَوِي عَلَى يَشَاتَمْنِي — وَأَسْتَوِي إِلَى يَشَاتَمْنِي . بمعنى أقبل على وإلى يَشَاتَمْنِي . واستشهد على أن الاستواء بمعنى الإقبال بقول الشاعر :
أَقُولُ وَقَدْ قَطَعَنَ بِنَا شَرَّوَرِي سَوَامِدَ ، وَأَسْتَوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ ^(١)
فزعم أنه عني به أنهم خرجن من الضجوع ، وكان ذلك عندهم بمعنى : أقبلن . وهذا من التأويل في هذا البيت خطأ ، وإنما معنى قوله : « وَأَسْتَوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ » ، استوين على الطريق خارجات ، بمعنى استقمن عليه . وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوّل ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ، ثم تحوّل إلى الشام . إنما يريد :

آدم متاعاً ، وَبُلَغَةً وَمَنْفَعَةً إِلَى أَجَلٍ .

هذا وقد زاداً مدّاً أثراً آخر قالاً أخرجه ابن جرير عن مجاهد ، هذا هو : « في قوله : هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، قال : سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » . وإسناد هذا الأثر ، هو الذي يأتي برقم : ٥٩١ ، لأنه من تمامه ، كما هو بين فيما نقاه السيوطي والشوكاني . ويوشك أن يكون في نسخ الطبري التي بين أيدينا حذف الجاء النساخ إليه طول الكتاب ، فقد مضى آنفاً مثل هذا النقص ، ومثل هذه الزيادة .

(١) البيت لقيم بن أبي بن مقبل (معجم ما استعجم : ٧٩٥ ، ٨٥٧) ، وروايته « ثواني » مكان « سوامد » . وشروى : جبل بين بني أمّد وبني عامر ، في طريق مكة إلى الكوفة . والضجوع — بفتح الضاد المعجمة — : موضع أيضاً بين بلاد هذيل وبني سليم . وقوله : « سوامد » جمع سامد . سمّدت الإبل في سيرها : جدت وسارت سيراً دائماً ، ولم تعرف الإعياء . وسوامد : دوايب لا يلحقهن كلال . والنون في « قطمن » للإبل .

تحوّل فعله . [وقال بعضهم : وله : « ثم استوى إلى السماء » يعنى به : استوت]^(١) .
كما قال الشاعر :

أقولُ له لما استوى في تَرابه على أى دين قتل الناس مُصعَب^(٢)
وقال بعضهم : « ثم استوى إلى السماء » ، عمدَ لها^(٣) . وقال : بل كلُّ تارك
عملاً كان فيه إلى آخر ، فهو مُستوى لما عمدَ له ، ومستوى إليه .
وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلو هو الارتفاع . ومن قال ذلك
الربيع بن أنس .

٥٨٨ - حَدَّثْتُ بِذَلِكَ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ » . يَقُولُ : ارْتَفَعَ
إِلَى السَّمَاءِ^(٤) .

ثم اختلف متأولوا الاستواء بمعنى العلو والارتفاع ، في الذى استوى إلى السماء .
فقال بعضهم : الذى استوى إلى السماء وعلا عليها ، هو خالقها ومنشئها . وقال
بعضهم : بل العالى عليها : الدّخان الذى جعله الله للأرض سماء^(٥) .

قال أبو جعفر : الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه : منها انتهاء
شباب الرجل وقوته ، فيقال ، إذا صار كذلك : قد استوى الرّجل . ومنها .
استقامة ما كان فيه أودّ من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى لفلان أمره .
إذا استقام بعد أودٍ ، ومنه قول الطّرمّاح بن حكيم :

طالَ على رَسْمٍ مَهْدِدٍ أَبْدُهُ وَعَفَا وَاسْتَوَى بِهِ بَلَدُهُ^(٦)

(١) هذه الجملة بين القوسين ، ليست في المخطوطة ، وكأنها مقحمة .
(٢) لم أجد هذا البيت . وفي المطبوعة : « قبل الرأس مصعب » ، وهو خطأ لا شك فيه .
وفي المخطوطة : « في ثرائه » ، ولا معنى لها ، ولعلها « في ترائه » . وأنا في شك من كل ذلك . بيد أن
مصعباً الذي ذكر في الشعر ، هو فيما أرجح مصعب بن الزبير .

(٣) في المطبوعة : « عمد إليها » .

(٤) الأثر : ٥٨٨ - في الدر المنثور ١ : ٤٣ ، والأثر التالي : ٥٨٩ ، من تمامه .

(٥) في المطبوعة : « العالى إليها » .

(٦) ديوانه : ١١٠ ، واللسان (سوى) قال : « وهذا البيت مختلف الوزن ، فالمصراع الأول

يعنى : استقام به . ومنها : الإقبال على الشيء يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الإحسان إليه . ومنها . الاحتياز والاستيلاء^(١) ، كقولهم : استوى فلان على المملكة . بمعنى احتوى عليها وحازها . ومنها : العلو والارتفاع ، كقول القائل ، استوى فلان على سريرته . يعنى به علوه عليه .

وأولى المعانى بقول الله جل ثناؤه : « ثم استوى إلى السماء فسواهن » ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهن بقدرته ، وخلقهن سبع سموات .

والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : « ثم استوى إلى السماء » ، الذى هو بمعنى العلو والارتفاع ، هرباً عند نفسه من أن يلزمه بزعمه — إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك — أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها — إلى أن تأوله بالجهول من تأويله المستنكر . ثم لم ينتج مما هرب منه ! فيقال له : زعمت أن تأويل قوله « استوى » أقبل ، أفكان مدبراً عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ، ولكنه إقبال تدير ، قيل له : فكذلك فقل : علا عليها علوٌ مُلك وسلطان ، لا علو انتقال وزوال . ثم لن يقول فى شيء من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله . ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال فى ذلك قولاً ، لقول أهل الحق فيه مخالفاً . وفيما بينا منه ما يشرف بذى الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل^(٢) : أخبرنا عن استواء الله جل ثناؤه إلى السماء ، كان قبل خلق السماء أم بعده ؟

قيل : بعده ، وقبل أن يسويهن سبع سموات ، كما قال جل ثناؤه :

من المنسرح ، والثانى من الخفيف . والرسم : آثار الديار اللاصقة بالأرض . ومهدد اسم امرأة . والأبد : الدهر الطويل ، والهاء فى « أبد » راجع إلى الرسم . وعفا : درس وذهب أثره . والبلد : الأثر يقول : انمحي رسمها حتى استوى بلا أثر .

(١) فى المخطوطة : « الاستيلاء والاحتواء » .

(٢) فى المطبوعة : « وإن قال ... » .

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾

[سورة فصلت : ١١] . والاستواء كان بعد أن خلقها دُخَانًا ، وقبل أن يسويها سبع سموات .

وقال بعضهم : إنما قال : «استوى إلى السماء» ، ولا سماء ، كقول الرجل لآخر : ١٥١/١

«اعمل هذا الثوب» ، وإنما معه غزل .

وأما قوله «فسواهن» فإنه يعنى هياهن وخلقهن ودبرهن وقومهن . والتسوية في كلام العرب ، التقويم والإصلاح والتوطئة ، كما يقال : سوى فلان لفلان هذا الأمر . إذا قومه وأصلحه ووطأه له . فكذلك تسوية الله جل ثناؤه سمواته : تقويمه إياهن على مشيئته ، وتدبيره لهن على إرادته ، وتفتيقهن بعد ارتفاقهن^(١) .

٥٨٩ - كما : حدثت عن عمار ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : «فسواهن سبع سموات» يقول : سوى خلقهن ، وهو بكل شيء عليم^(٢) .

وقال جل ذكره : «فسواهن» ، فأخرج مكنيَّهن مخرج مكنى الجميع^(٣) ، وقد قال قبل : «ثم استوى إلى السماء» فأخرجها على تقدير الواحد . وإنما أخرج مكنيَّهن مخرج مكنى الجميع ، لأن السماء جمع واحدتها سماوة ، فتقدير واحدتها وجميعها إذا تقدير بقرة وبقر ونخلة ونخل ، وما أشبه ذلك . ولذلك أنشئت السماء مرة فقليل : هذه سماء ، وذُكرت أخرى^(٤) فقليل : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [سورة المزمل : ١٨] ،

(١) في المطبوعة : «بعد إرتفاقهن» وليست بشيء ، وفي المخطوطة : «بعد أن شاقهن» ، وظاهر أنها تحريف لما أثبتناه . وارتقى الشيء : التأم والتحم حتى ليس به صدع . وهذا من تأويل ما في سورة الأنبياء : ٣٠ من قول الله سبحانه :

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ والفتق : الشق .

(٢) الأثر : ٥٨٩ - في الدر المنثور ١ : ٤٣ ، وهو من تمام الأثر السالف : ٥٨٨ .

(٣) المكنى : هو الضمير ، فيما اصطلح عليه النحويون ، لأنه كناية عن الذي أخفيت ذكره .

وفي المطبوعة : «الجمع» مكان «الجميع» حيث ذكرت في المواضع الآتية في هذه العبارة .

(٤) في المطبوعة : «أنث السماء» . . . وذكر «بطرح التاء» .

كما يفعل ذلك بالجميع الذي لا فرق بينه وبين واحده غير دخول الماء وخروجها ،
فيقال : هذا بقرو هذه بقر ، وهذا نخل وهذه نخل ، وما أشبه ذلك .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن السماء واحدة ، غير أنها تدل على السموات ،
ف قيل : « فسواهن » ، يراد بذلك التي ذُكرت وما دلت عليه من سائر السموات التي
لم تُذكر معها ^(١) . قال : وإنما تُذكر إذا ذُكرت وهي مؤنثة ، فيقال :
« السماء منفطر به » ، كما يذكر المؤنث ^(٢) ، وكما قال الشاعر :

فَلَا مِرْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلٍ إِبْقَالَهَا ^(٣)

وكما قال أعشى بنى ثعلبة :

فَإِذَا تَرَى لِمَتِي بَدَلْتُ فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أَزْرَى بِهَا ^(٤)

(١) « بعض أهل العربية » هو الفراء ، وإن لم يكن اللفظ لفظه ، في كتابه معاني القرآن
١ : ٢٥ ، ولكنه ذهب هذا المذهب ، في كتابه أيضاً ص : ١٢٦ - ١٣١ .
(٢) هكذا في الأصول « كما يذكر المؤنث » ، وأخشى أن يكون صواب هذه العبارة : « كما
تذكر الأرض ، كما قال الشاعر : . . . » وقد ذكر الفراء في معاني القرآن ذلك فقال : « . . . فإن
السماء في معنى جمع فقال : (فسواهن) للمعنى المعروف أنهن سبع سموات . وكذلك الأرض يقع عليها -
وهي واحدة - الجمع . ويقع عليهما التوحيد وهما مجموعتان ، قال الله عز وجل : (رب السموات
والأرض) ثم قال : (وما بينهما) ، ولم يقل : بينهما . فهذا دليل على ما قلت لك » . معاني القرآن
١ : ٢٥ ، وانظر أيضاً ص : ١٢٦ - ١٣١ .

(٣) البيت من شعر عامر بن جوين الطائي ، في سيبويه ١ : ٢٤٠ ، ومعاني القرآن
١ : ١٢٧ والخزاعة ١ : ٢١ - ٢٦ ، وشرح شواهد المفني : ٣١٩ ، والكامل ١ : ٤٠٦ ،
٢ : ٦٨ ، وقبله ، يصف جيشاً :

وَجَارِيَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْمَلُوكِ كَقَعَقَتْ بِالْخَيْلِ خَلْخَالَهَا
كَكَرْفِنَةِ الْفَيْثِ ذَاتِ الصَّبِيرِ تَرْمِي السَّحَابَ وَيَرْمِي لَهَا
تَوَاعِدُهَا بَعْدَ مَرٍّ النُّجُومِ ، كَلَفَاءُ تُكْثَرُ تَهْطَالُهَا
فَلَا مِرْنَةٌ

(٤) أعشى بنى ثعلبة ، وأعشى بنى قيس ، والأعشى ، كلها واحد ، ديوانه ١ : ١٢٠ ،
وفي سيبويه ١ : ٢٣٩ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ١٢٨ ، والخزاعة ٤ : ٥٧٨ ، ورواية الديوان :

فَإِنْ نَعَّيْنِي وَلِي لِمَةٍ فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أَلْوَى بِهَا

وقال بعضهم : السماء وإن كانت سماء فوق سماء وأرضاً فوق أرض ، فهي في التأويل واحدةٌ إن شئت ، ثم تكون تلك الواحدة جماعاً ، كما يقال : ثوبٌ أخلاقٌ وأسماٌلٌ ، وبرمةٌ أعشار ، للمتكسرة ، وبرمةٌ أكسار وأجبار . وأخلاق ، أى أن نواحيه أخلاق^(١) .

• • •

فإن قال لنا قائل : فإنك قد قلت إن الله جل ثناؤه استوى إلى السماء وهي دخان قبل أن يسويها سبع سموات ، ثم سواها سبعا بعد استوائه إليها ، فكيف زعمت أنها جماع ؟

قيل : إنهن كنّ سبعا غير مستويات ، فلذلك قال جل ذكره : فسواهن سبعا . كما : —

٥٩٠ — حدثني محمد بن حميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد ابن إسحق : كان أول ما خلق الله تبارك وتعالى النور والظلمة ، ثم ميز بينهما ، فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهراً مضيئاً مبصراً ، ثم سمك السموات السبع من دخان — يقال ، والله أعلم ، من دخان الماء — حتى استقلن ولم يحبكهن^(٢) . وقد أغطش في السماء الدنيا ليلها ، وأخرج ضحاها ، فجرى فيها الليل والنهار ، وليس فيها شمس ولا قمر ولا نجوم . ثم دحا الأرض وأرساها بالجبال ، وقدر فيها الأقوات ، وبث فيها ما أراد من الخلق ، ففرغ من الأرض وما قدر فيها من أقواتها في أربعة أيام . ثم استوى إلى السماء وهي دخان — كما قال — فحبكهن ، وجعل في السماء الدنيا شمسها وقمرها ونجومها ، وأوحى في كل سماء أمرها ، فأكل ورواية سيويه كما في الطبري ، إلا أنه روى « أودى بها » . وألوى به : ذهب به وأهلكه . وأودى به : أهلكه ، أيضاً . وأما « أوزى بها » : أى حقرها وأنزل بها الهوان ، من الزراية وهي التحقير . وكلها جيد .

(١) أخلاق ، جمع خلق (بفتح الخاء) : وهو البالي . وأسماٌل جمع سمل (بفتح السين) : وهو الرقيق المنزق البالي . وبرمة أجبار ، ضد قولهم برمة أكسار ، كأنه جمع برمة جبر (بفتح الجيم) (بفتح فسكون) وإن لم يقولوه مفرداً ، كما لم يقولوا برمة كسر ، مفرداً . وأصله من جبر العظم ، وهو لأمه بعد كسره . (٢) في المخطوطة : « ولم يحبكن » .

خلقهن في يومين ، ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام . ثم استوى في
اليوم السابع فوق سمواته ، ثم قال للسموات والأرض : اثبتا طوعاً أو كرهاً لما أردت
بكما ، فاطمئنا عليه طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين ^(١) .

فقد أخبر ابن إسحق أن الله جل ثناؤه استوى إلى السماء - بعد خلق الأرض ^(٢)
وما فيها - وهن سبع من دخان ، فسواهن كما وصف . وإنما استشهدنا لقولنا الذي
قلنا في ذلك بقول ابن إسحق ، لأنه أوضح بياناً - عن خلق السموات ^(٣) ،
أنهن كنَّ سبعاً من دخان قبل استواء ربنا إليها لتسويتها - من غيره ^(٤) ، وأحسن
شرحاً لما أردنا الاستدلال به ، من أن معنى السماء التي قال الله تعالى ذكره فيها :
« ثم استوى إلى السماء » بمعنى الجميع ^(٥) ، على ما وصفنا . وأنه إنما قال جل ثناؤه :
« فسواهن » ، إذ كانت السماء بمعنى الجميع ، على ما بينا .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فما صفة تسوية الله جل ثناؤه السموات التي
ذكرها في قوله « فسواهن » ، إذ كن قد خلِقن سبعاً قبل تسويته إياهن ؟ وما وجه
ذِكْر خلقهن بعد ذِكْر خلق الأرض ؟ لأنها خلقت قبلها ، أم لمعنى غير ذلك ^(٦) ؟
قيل : قد ذكرنا ذلك في الخبر الذي روينا عن ابن إسحق ، ونؤكد ذلك
تأكيداً بما نضم إليه من أخبار بعض السلف المتقدمين وأقوالهم ^(٧) :

(١) الأثر : ٥٩٠ - هذا الأثر في الحقيقة تفسير للآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت .
ولم يذكره الطبري في موضعه عند تفسيرها (٢٤ : ٦٠ - ٦٥ طبعة بولاق) . وكذلك لم يذكره
ابن كثير والسيوطي والشوكاني - في هذا الموضع ، ولا في موضعه من تفسير سورة فصلت . وهو من
كلام ابن إسحق ، ولا بأس عليهم في الإعراض عن إخراجهم . وقد صرح الطبري هنا - بعد - أنه
إنما ذكره استشهاداً ، لا استدلالاً ، إذ وجدناه أوضح بياناً ، وأحسن شرحاً .

(٢) في المطبوعة : « بعد خلقه الأرض » .

(٣) في المطبوعة : « عن خبر السموات » .

(٤) في المطبوعة : « بتسويتها » ، وسياق كلامه : « أوضح بياناً ... من غيره » ،

وما بينهما فصل .

(٥) في المطبوعة « بمعنى الجمع » ، وفي التي تليها ، وقد مضى مثل ذلك آنفاً .

(٦) في المطبوعة : « أم بمعنى » ، وهذه أجود .

(٧) في المطبوعة : « ولنزيد ذلك تأكيداً » .

٥٩١ - فحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » . قال : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء . فلما أراد أن يخلق الخلق ، أخرج من الماء دخاناً ، فارتفع فوق الماء فسماه عليه ، فسماه سماء . ثم أيّس الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين - في الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت ، والحوت هو النون الذي ذكره الله في القرآن : « ن والقلم » ، والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاء على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة في الريح - وهي الصخرة التي ذكر لقمان - ليست في السماء ولا في الأرض : فتحرك الحوت فاضطرب ، فترزلت الأرض ، فأرسي عليها الجبال فقرت ، فالجبال تفخر على الأرض ، فذلك قوله : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (١)

[سورة النحل : ١٥] . وخلق الجبال فيها ، وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين ، في الثلاثاء والأربعاء ، وذلك حين يقول : ﴿ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا ﴾ يقول : أنبت شجرها ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ يقول : أقواتها لأهلها ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴾ يقول : قل لمن يسألك : هكذا الأمر (٢) ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [سورة فصلت ٩ - ١١] ، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها

(١) في الأصول : « وجعل لها رواسي أن تميد بكم » ، وهو وهم سبق إليه القلم من النسخ فيما أرجح ، والآية كما ذكرتها في سورة النحل ، ومثلها في سورة لقمان : ١٠ .
(٢) في المخطوطة : « يقول : من سأل ، فهكذا الأمر » .

سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين - في الخميس والجمعة ، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض - « وأوحى في كل سماء أمرها » قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها ، من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها زينة وحفظاً ، تحفظ من الشياطين . فلما فرغ من خلق ما أحب ، استوى على العرش . فذلك حين يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] . ويقول : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ ^(١) [سورة الأنبياء : ٣٠] .

٥٩٢ - وحدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » ، ثم استوى إلى السماء . قال : خلق الأرض قبل السماء ، فلما خلق الأرض ثار منها دخان ، فذلك حين يقول : « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » . قال : بعضهن فوق بعض ، وسبع أرضين ، بعضهن تحت بعض ^(٢) .

(١) الخبر : ٥٩١ - في ابن كثير ١ : ١٢٣ ، والدر المنثور ١ : ٤٢ - ٤٣ ، والشوكاني ١ : ٤٨ . وقد مضى الكلام في هذا الإسناد ، واستوعب أخى السيد أحمد شاكر تحقيقه في موضعه (انظر الخبر : ١٦٨) ، وقد مضى أيضاً قول الطبري ، حين عرض لهذا الإسناد في الأثر رقم : ٤٦٥ ص : ٣٥٣ : « فإن كان ذلك صحيحاً ، ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً . . . » . وقد مضى الطبري في تفسيره على رواية مالم يصح عنده إسناده ، لعلمه أن أهل العلم كانوا يومئذ يقومون بأمر الإسناد والبصر به ، ولا يتلقون شيئاً بالقبول إلا بعد تمحيص إسناده . فلتن سألت : فيم يسوق الطبري مثل هذا الخبر الذي يرتاب في إسناده ؟ وجواب ذلك : أنه لم يسقه ليحتج بما فيه ، بل ساقه للاعتبار بمعنى واحد ، وهو أن الله سبحانه سمك السموات السبع من دخان ، ثم دحا الأرض وأرساها بالجبال ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، فحبكهن سبعاً ، وأوحى في كل سماء أمرها . وليس في الاعتبار بمثل هذا الأثر ضرر ، لأن المعنى الذي أراد هو ظاهر القرآن وصريحه . وإن كان الخبر نفسه ما تلقاه بعض الصحابة عن بنى إسرائيل ، لا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا حجة إلا فيما أنزل الله في كتابه ، أو في الذي أوحى إلى نبيه بما صح عنه إسناده إليه . وكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبلناه لا نحكم فيه أحداً ، فإن قوله هو المهيمن . بالحق على أقوال الرجال .

(٢) الأثر : ٥٩٢ - في ابن كثير ١ : ١٢٤ ، والدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني

٥٩٣ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فسواهن سبع سموات » قال : بعضهن فوق بعض ، بين كل سماءين مسيرة خمسمئة عام .

٥٩٤ - حدثنا المثنى بن إبراهيم قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : - حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء - « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [سورة النازعات : ٣٠] .

٥٩٥ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام أنه قال : إن الله بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرضيين في الأحد والاثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء ، وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عجل . فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

قال أبو جعفر : فعنى الكلام إذا : هو الذي أنعم عليكم ، فخلق لكم ما في الأرض جميعاً وسخره لكم تفضلاً منه بذلك عليكم ، ليكون لكم بلاغاً في دنياكم ومتاعاً إلى موافاة آجالكم ، ودليلاً لكم على وحدانية ربكم . ثم علا إلى السموات السبع وهي دخان ، فسواهن وجبكهن ، وأجرى في بعضهن شمس وقمر ونجومه ، وقدر في كل واحدة منهن ما قدر من خلقه (١) .

• • •

(١) الآثار : ٥٩٣ - ٥٩٥ ، لم نجد ما في شيء من تلك المراجع .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٩)

يعنى بقوله جل جلاله : « وهو » نفسه ، وبقوله : « بكل شيء » عليم « أن الذى خلقكم ، وخلق لكم ما فى الأرض جميعاً ، وسوى السموات السبع بما فيها فأحكمهن من دخان الماء ، وأتقن صنعهن ، لا يخفى عليه - أيها المنافقون والملحدون الكافرون - به من أهل الكتاب (١) - ما تبدون وما تكتمون فى أنفسكم ، وإن أبدى منافقوكم بألسنتهم قولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، وهم على التكذيب به منطوون . وكذبت أخباركم بما أتاهم به رسولى من الهدى والنور ، وهم بصحته عارفون . وجحدوه وكنتموا ما قد أخذت عليهم - ببيانه لخلقى من أمر محمد ونبوته - الموائيق وهم به عالمون . بل أنا عالم بذلك من أمركم وغيره من أموركم . وأمور غيركم (٢) ، لى بكل شيء عليم .

وقوله : « عليم » بمعنى عالم . ورؤى عن ابن عباس أنه كان يقول : هو الذى قد كمل فى علمه .

٥٩٦ - حدثنى المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثنا

معاوية بن صالح ، قال : حدثنى على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : العالم الذى قد كمل فى علمه (٣) .

• • •

(١) فى المخطوطة : « وأهل الكتاب » عطفاً ..

(٢) فى المطبوعة : « بل أنا عالم بذلك وغيره من أموركم ... » .

(٣) الخبر : ٥٩٦ - ليس فى مراجعنا .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾

قال أبو جعفر : زعم بعض المنسويين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة^(١) : أن تأويل قوله : « وإذ قال ربك » ، وقال ربك ، وأن « إذ » من الحروف الزوائد ، وأن معناها الحذف . واعتلّ لقوله الذي وصفنا عنه في ذلك بيت الأسود بن يَعْفَرُ :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَأَمَّاهَ لِذِكْرِهِ وَالذَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحًا بَفْسَادِ^(٢)

(١) هو أبو عبيدة (انظر تفسير ابن كثير ١ : ١٢٥) ، وكما مضى آنفاً في مواضع من كلام الطبري . ويؤيد ذلك أن البغدادى نقل في شرح بيت عبد مناف بن ربي ، (الخزانة ٣ : ١٧١) ، عن ابن السيد : « وقال أبو عبيدة : إذا ، زائدة ، فلذلك لم يؤت لها بجواب » . هذا والشاهدان الآتيان في زيادة « إذا » لا في زيادة « إذ » ، وهو من جرأة أبي عبيدة وخطئه ، وأيا ما كان قائله ، فهو جرىء مخطئ .

(٢) المفضليات ، القصيدة رقم : ٤٤ ، وليس البيت في رواية ابن الأنبارى شارح المفضليات . وقوله « لامه » ، يقال : ليس لعيشنا مه (بفتحيتين) ومه : أى ليس له حسن أو نصارة . وقد زعموا أن الواو في قوله « فإذا وذلك » زائدة مقحمة ، كأنه قال : فإذا ذلك ... ، وقد قال الطبري في تفسير قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طمّ فادخلوها خالدين » ج ٢٤ ص ٢٤ : « واختلف أهل العربية في موضع جواب « إذا » التي في قوله : (حتى إذا جاءوها) ، فقال بعض نحوي البصرة ، يقال إن قوله : (وقال لهم خزنتها) في معنى : قال لهم . كأنه يلغى الواو . وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون الواو زائدة ، كما قال الشاعر :

فَإِذَا وَذَلِكَ يَا كُبَيْشَةُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهْمَ حَالِمٍ بِخَيْالٍ

فيشبه أن يكون يريد : فإذا ذلك لم يكن . وقال أبو سعيد السكري في شرح أشعار الهذليين ٢ : ١٠٠ ، في شرح بيت أبي كبير الهذلي :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا حِينَهُ وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يُفْعَلِ

قال أبو سعيد : « الواو زائدة . قال : قلت لأبي عمرو : يقول الرجل : ربنا ولك الحمد . فقال : يقول الرجل : قد أخذت هذا بكذا وكذا . فيقول : وهو لك » .

وقال ابن الشجري في أماليه ١ : ٣٥٨ : « قيل في الآية إن الواو مقحمة ، وليس ذلك بشيء ، لأن زيادة الواو لم تثبت في شيء من الكلام الفصيح » . والذي ذهب إليه ابن الشجري هو الصواب ،

ثم قال : ومعناها : وذلك لامهاه لذكره - وببيت عبد مناف بن ربيع الهذلي :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوكُمْ فِي قَتَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدًا^(١)
وقال : معناه ، حتى أسلكوكم .

قال أبو جعفر : والأمر في ذلك بخلاف ما قال : وذلك أن « إذ » حرف يأتي بمعنى الجزاء ، ويدل على مجهول من الوقت . وغير جائز إبطال حرف كان دليلاً^{١٥٤/١} على معنى في الكلام . إذ سواء قيل قائل : هو بمعنى التطول ، وهو في الكلام دليل على معنى مفهوم - وقيل آخر ، في جميع الكلام الذي نطق به دليلاً على ما أريد به : هو بمعنى التطول^(٢) .

ولكل شاهد مما استشبهوا به وجه في البيان ، ليس هذا موضع تفصيله . وكفى برد الطبرى في هذا الموضع ما زعمه أبو عبيدة من زيادة « إذ » كما سيأتى : « وغير جائز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام » إلى آخر ما قال . وهو من سديد الفهم . وشرحه للبيت بعد ، يدل على أنه لا يرى زيادة الواو ، وذلك قوله في شرحه : « فإذا الذى نحن فيه ، وما مضى من عيشنا » .

(١) ديوان الهذليين ٢ : ٤٢ ، ويأتى في تفسير الطبرى ١٤ : ٨ ، ١٨ : ١٣ ، ٢٤ : ٢٥ (طبعة بولاق) والخزاة ٣ : ١٧٠ - ١٧٤ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٥٨ ، ٢ : ٢٨٩ ، وكثير غيرها . وسلك الرجل الطريق ، وسلكه غيره فيه ، وأسلكه الطريق : أدخله فيه أو اضطره إليه . وقائدة : جبل بين المنصرف والروحاء ، أى في الطريق بين مكة والمدينة . وشل السائق الإبل : طردها أمامه طرداً . ومر فلان يشل العدو بالسيف : يطردهم طرداً يفرون أمامه . والجمالة : أصحاب الجمال . وشرد البعير فهو شارد وشرود : نفر وذهب في الأرض ، وجمع شارد شرود (بفتحيتين) مثل خادم وخدم . وجمع شرود شرود (بضميتين) . ويذكر عبد مناف قوماً أغاروا على عمو لهم ، فأزعجهم عن منازلهم ، واضطروهم إلى « قائدة » يطردونهم بالسيوف والرماح والنبال ، كما تطرد الإبل الشوارد . وجواب « إذا » تقديره : شلوهم شلا ، فعل محذوف دل عليه المصدر ، كما سيأتى في كلام الطبرى بعد .

(٢) في المخطوطة : « هو بمعنى التطول في الكلام » . وهو خطأ . والتطول ، في اصطلاح الطبرى وغيره : الزيادة في الكلام بمعنى الإلغاء ، كما مضى آنفاً في ص ١٤٠ من بولاق ، وأراد الطبرى أن ينشأ ما لج فيه بعض النحاة من ادعاء اللغو والزيادة في الكلام ، فهو يقول : إذا كان للحرف أو الكلمة معنى مفهوم في الكلام ، ثم ادعيت أنه زيادة ملغاة ، فجائز لفيرك أن يدعى أن جملة كاملة مفهومة المعنى ، أو كلاماً كاملاً مفهوم المعنى - إنما هي زيادة ملغاة أيضاً . وبذلك يبطل كل معنى لكل كلام ، إذ يجوز لدع أن يبطل منه ما يشاء بما يهوى من الجرأة والادعاء . وهذا تأييد للمعنى الذى ارتضيناه في التعليق السالف .

وليس لما ادعى الذى وصفنا قوله^(١) — فى بيت الأسود بن يعفر : أن « إذا » بمعنى التطول — وجه مفهوم ، بل ذلك لو حذف من الكلام لبطل المعنى الذى أراده الأسود بن يعفر من قوله :

« فَإِذَا وَذَلِكَ لَأَمْهَاءَ لَذَكْرِهِ »

وذلك أنه أراد بقوله : فإذا الذى نحن فيه ، وما مضى من عيشنا . وأشار بقوله « ذلك » إلى ما تقدم وصفه من عيشه الذى كان فيه — « لأمهات لذكوره » يعنى لا طعم ولا فضل ، لإعقاب الدهر صالح ذلك بفساد . وكذلك معنى قول عبد مناف بن ربيع :

حتى إذا أسلكوهم فى قَتَائِدَةٍ شَلًّا

لو أسقط منه « إذا » بطل معنى الكلام ، لأن معناه : حتى إذا أسلكوهم فى قَتَائِدَةٍ سلكوا شلا ، فدل قوله . « أسلكوهم شلا » على معنى المحذوف ، فاستغنى عن ذكره بدلالة « إذا » عليه ، فحذف . كما دل — ما قد ذكرنا فيما مضى من كتابنا^(٢) — على ما تفعل العرب فى نظائر ذلك . وكما قال النمر بن تولب :

فَإِنْ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَاهَا فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا^(٣)

وهو يريد : أينما ذهب . وكما تقول العرب : « أتيتك من قبل ومن بعد » . تريد من قبل ذلك ، ومن بعد ذلك . فكذاك ذلك فى « إذا » كما يقول القائل :

(١) فى المطبوعة « وليس للمضى الذى . . . » وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « كما قد ذكرنا فيما مضى من كتابنا على ما تفعل . . . » وفى المخطوطة : « كما قال . قد ذكرنا فيما مضى . . . » ، وكلاهما خطأ ، الأول من تغيير المصححين ، والثانى تصحيف فى « قال » ، فهى « دل » ، والنقطة السوداء ، بياض كان فى الأصل المنقول عنه ، أو « ما » ضاعت ألفها وبقيت « م » مطبوعة ، فظنها ظان علامة فصل .

هذا وقد أشار الطبرى إلى ما مضى فى كتابه هذا ص : ١١٤ ، ص : ٣٢٧ فانظره .

(٣) من قصيدة بحكمة فى مختارات ابن الشجرى ١ : ١٦ ، والخزاعة ٤ : ٤٢٨ ، وشرح

شواهد المنى : ٦٥ ، وبعده :

وإن تتخطاك أسبابها فإن قصارك أن تهرمًا

« إذا أكرمك أخوك فأكرمه ، وإذا لا فلا » . يريد : وإذا لم يكرمك فلا تكرمه .
ومن ذلك قول الآخر :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَا يَضُرُّكَ ضُرُّهُ فِي يَوْمٍ أَسْأَلُ نَائِلًا أَوْ أَنْكَدًا^(١)

نظير ما ذكرنا من المعنى في بيت الأسود بن يعفر . وكذلك معنى قول الله جل ثناؤه : « وإذا قال ربك للملائكة » ، لو أَبْطَلت « إذ » وحذفت من الكلام ، لاستحال عن معناه الذي هو به^(٢) ، وفيه « إذ » .

فإن قال لنا قائل : فما معنى ذلك ؟ وما الجالب لـ « إذ » ، إذ لم يكن في الكلام قبله ما يُعْطَف به عليه^(٣) ؟

قيل له : قد ذكرنا فيما مضى^(٤) : أن الله جل ثناؤه خاطب الذين خاطبهم بقوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » ، بهذه الآيات والتي بعدها ، مَوْبِخَهُمْ مَقْبِحاً إِلَيْهِمْ سَوْءَ فَعَالِهِمْ وَمَقَامِهِمْ عَلَى ضِلَالِهِمْ ، مع النعم التي أنعمها عليهم وعلى أسلافهم ، ومذكّرهم - بتعدد نعمه عليهم وعلى أسلافهم - بأسه ، أن يسلكوا سبيل من هلك من أسلافهم في معصيته^(٥) ، فيسلك بهم سبيلهم في عقوبته ؛ ومعرّفهم ما كان منه من تعطفه على الثائب منهم استعتاباً منه لهم . فكان مما عدّد من نعمه عليهم أنه خلق لهم ما في الأرض جميعاً ، وسخر لهم ما في السموات من شمسها

(١) لم أعرف صاحبه . وفي المطبوعة :

« في يوم أثل نائلا أو أنكدا »

وهو خطأ عريق . وفي المطبوعة : « أسل نائلا » ، وهي أقرب إلى الصواب . الضر : سوء الحال من فقر أو شدة أو بلاء أو حزن . والنائل : ما تناله وتصيبه من معروف إنسان . ونكده ما سأل : قلل له العطاء ، أو لم يعطه البتة ، يقول القائل :

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيْبًا لَا خَيْرَ فِي الْمُنْكَودِ وَالنَّارِ كَدِ

(٢) قوله : « الذي هو به » ، أي : الذي هو به كلام قائم مفهوم .

(٣) في المطبوعة : « فإن قال قائل » ، بحذف : « لنا » .

(٤) انظر ما سلف في ص : ٢٤٤ وما بعدها .

(٥) في المطبوعة : « من أسلافهم في معصية الله » ، وفي المخطوطة : « سلافهم » مضبوطة بالقلم

بضم السين وتشديد اللام ، وفي المواضع السالفة : « أسلاف » . والأسلاف والسلاف جمع سلف وسالف : وهم آباؤنا الذين مضوا وتقدموا إلى لقائه سبحانه .

وقمرها ونجومها ، وغير ذلك من منافعها التي جعلها لهم ولسائر بني آدم معهم منافع . فكان في قوله تعالى : ذكره « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » ، معنى : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، إذ خلقتكم ولم تكونوا شيئاً . و خلقت لكم ما في الأرض جميعاً ، وسويت لكم ما في السماء . ثم عطف بقوله : « وإذ قال ربك للملائكة » على المعنى المقتضى بقوله : « كيف تكفرون بالله » ، إذ كان مقتضياً ما وصفت من قوله : اذكروا نعمتي إذ فعلت بكم وفعلت ، واذكروا فعلي بأبيكم آدم إذ قلت للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة^(١) .

١٥٥/١

فإن قال قائل : فهل لذلك من نظير في كلام العرب نعلم به صحة ما قلت ؟

قيل : نعم ، أكثر من أن يحصى ، من ذلك قول الشاعر :

أَجِدُّكَ لَنْ تَرَى بُثْعِيلِيَّاتٍ وَلَا بَيْدَانَ نَاجِيَةَ ذُمُولًا^(٢)

وَلَا مُتَدَارِكٍ وَالشَّمْسُ طِفْلٌ بِيَعُضِ نَوَاشِغِ الْوَادِي حُمُولًا^(٣)

فقال : « ولا متدارك » ، ولم يتقدمه فعل بلفظه يعطفه عليه^(٤) ، ولا حرف

(١) هذا الذي قاله أبو جعفر تغمد الله بمغفرته ، من أجود النظر في تأويل كتاب الله ، ومن حسن بصره بالعربية وأسرار إيجازها ، واعتمادها على الاكتفاء بالقليل من اللفظ الدال على الكثير من المعنى ، واتخاذها الحروف روابط للمعاني الجامعة ، لا لرد حرف على حرف سبق .

(٢) هو للمرار بن سعيد الفقمي ، معاني القرآن للفراء ١ : ١٧١ ، مجالس ثعلب : ١٥٩ ، اللسان (بيد) (طفل) (نشغ) ، ومعجم البلدان (ثعيليات) . وثعيليات وبيدان موضعان . والناجية : الناقة السريعة ، من النجاء : وهو سرعة السير . والذمول : الناقة التي تسير سيرا سريعا ليناً . ذملت ذميلا وذملاناً .

(٣) يروى « ولا متلافياً » بالنصب . وتدارك القوم (متعدياً) ، بمعنى أدركهم ، أو حاول اللحاق بهم . وتلافاه : تداركه أيضاً . والشمس طفل : يعني هنا : عند شروقها - لا عند غروبها - أخذت من الطفل الصغير . ونواشغ الوادي جمع ناشغة : وهي مجرى الماء إلى الوادي . الحمول : هي الهودج التي فيها النساء تحملها الإبل . وحيت الإبل وما عليها حمولا ، لأنهم يحملون عليها الهودج للرحلة . يقول : لن تدرکہم ، فقد بكروا بالرحيل .

(٤) في المطبوعة : « يعطف عليه » . وفي المخطوطة « يعطف به » ، وقوله « به » ملصقة بالصاقاً في الفاء من « يعطف » .

مُعَرَّب إعرابه ، فإِردَ « متدارك » عليه في إعرابه . ولكنه لما تقدّمه فعل مجحود بـ « لن » يدل على المعنى المطلوب في الكلام من المحذوف^(١) ، استغنى بدلالة ما ظهر منه عن إظهار ما حُذِفَ ، وعامل الكلام في المعنى والإعراب معاملته أن لو كان ما هو محذوف منه ظاهراً^(٢) . لأن قوله :

• أَجِدْكَ لَنْ تَرَى بِشَعَائِلِبَاتٍ •

بمعنى : « أَجِدْكَ لست بِرَأَى » ، فردَ « متداركاً » على موضع « ترى » ، كأن « لست » و « الباء » موجودتان في الكلام . فكذاك قوله : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ » ، لما سلف قبله تذكير الله المخاطبين به ما سلف قبْلَهُمْ وقَبْلَ آبائِهِمْ من أَيْادِيهِ وآلَائِهِ ، وكانَ قوله : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ » مع ما بعده من النعم التي عدّها عليهم ونبتّهم على مواقعها — رَدَ « إِذْ » على موضع « وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ » . لأن معنى ذلك : اذكروا هذه من نعمي ، وهذه التي قلت فيها للملائكة . فلما كانت الأولى مقتضية « إِذْ » ، عطف بـ « إِذْ » على موضعها في الأولى^(٣) ، كما وصفنا من قول الشاعر في « ولا متدارك » .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ لِلْمَلٰٓئِكَةِ ﴾

قال أبو جعفر : والملائكة جمع مَلَكٍ^(٤) ، غير أن أحدهم^(٥) ، بغير الهمزة أكثر وأشهر في كلام العرب منه بالهمز . وذلك أنهم يقولون في واحدٍ : مَلَكٌ من

-
- (١) في المطبوعة : « في الكلام » ، وعلى المحلوف « ، لعله من تغيير المصححين . وأراد الطبري أن الفعل المجحود ، يدل على المعنى المطلوب من المحذوف . وهذا بين .
- (٢) في المخطوطة : « إذ لو كان ما هو محذوف منه ظاهراً » ، وهو خطأ .
- (٣) في المطبوعة : « عطف » وإِذْ على موضعها في الأولى » ، وليس بشيء .
- (٤) في المطبوعة والمخطوطة : « جمع ملك » ، وظاهر كلام الطبري يدل على صواب ما أثبتناه .
- (٥) في المطبوعة : « غير أن واحداً » ، وهما سواء .

الملائكة ، فيحذفون الهمز منه ، ويحركون اللام التي كانت مسكنة لوهمز الاسم . وإنما يحركونها بالفتح ، لأنهم ينقلون حركة الهمزة التي فيه بسقوطها إلى الحرف الساكن قبلها : فإذا جمعوا واحدهم ، ردّوا الجمع إلى الأصل وهمزوا ، فقالوا : ملائكة .

وقد تفعل العرب نحو ذلك كثيراً في كلامها ، فترك الهمز في الكلمة التي هي مهموزة ، فيجري كلامهم بترك همزها في حال ، وبهمزها في أخرى ، كقولهم : « رأيت فلاناً » فجري كلامهم بهمز « رأيت » ثم قالوا : « نرى وترى ويرى » ، فجري كلامهم في « يفعل » ونظائرها بترك الهمز ، حتى صار الهمز معها شاذّاً ، مع كون الهمز فيها أصلاً . فكذلك ذلك في « ملك وملائكة » ، جرى كلامهم بترك الهمز من واحدهم ، وبالهمز في جميعهم . وربما جاء الواحد مهموزاً ، كما قال الشاعر :

فَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَأِكٍ تَحَذَّرُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(١)

وقد يقال في واحدهم ، مَأَلِك ، فيكون ذلك مثل قولهم : جَبَدَ وجذب ، وشَامَلَ وشَمَّل ، وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة . غير أن الذي يجب إذا سمي واحدهم « مَأَلِك » أن يجمع إذا جمع على ذلك « مَأَلِك » ، ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعاً ، ولكنهم قد يجمعون : ملائِك وملائكة ، كما يجمع أشعث : أشاعث وأشاعثة ، ومِسْمَع : مَسَامِع ومَسَامِعة ، قال أمية بن أبي الصلت في جمعهم كذلك :

وَفِيهِمَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَوْمٌ مَلَائِكٌ ذُلُّوا وَهُمْ صِعَابٌ^(٢)

وأصل المَلَأَك : الرسالة ، كما قال عدي بن زيد العبادي :

(١) سلف الكلام على هذا البيت في ص : ٣٣٣ ، ورواية المخطوطة في هذا الموضع :

« وَلَسْتُ لَجَنِّي وَلَكِنْ مَلَأَكَا »

(٢) ديوانه : ١٩ . « ذُلُّوا » من الذل (بكسر الهمزة) وذله : راضه حتى يذل ويلين ويطيع .

أَبْلَغُ النُّعْمَانِ عَنِّي مَلَأْكَ إِنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتَظَارِي^(١)

وقد ينشد : مَالَكَا ، على اللغة الأخرى . فمن قال : مَلَأْكَ فهو مَفْعَلٌ ، من
لَأَكَ إِلَيْهِ يَلَأُكَ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ رِسَالَةٌ مَلَأَكَةً^(٢) ، ومن قال : مَالَكَا فهو مَفْعَلٌ من
أَلَكْتَ إِلَيْهِ أَلَكْتَ : إِذَا أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ مَالَكَةً وَأَلُوكَا^(٣) ، كما قال لبيد بن ربيعة^(٤) :
وَعُغْلَامٍ أَرْسَلْتَهُ أُمَّهُ بِاللُّوكِ قَبْدَلْنَا مَا سَأَلُ^(٥)

فهذا من « أَلَكْتَ » ، ومنه قول نابغة بني ذبيان :

أَلِكني يَا عَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلًا سَاهِدِيهِ ، إِلَيْكَ إِلَيْكَ عَنِّي^(٦)

(١) الأغاني ٢ : ١٤ ، والعقد الفريد ٥ : ٢٦١ ، وفي المطبوعة « وانتظار » ، وهي إحدى قصائد عدى ، التي كان يكتبها إل النعمان ، لما حبسه في محبس لا يدخل عليه فيه أحد . وبعده البيت المشهور ، وهو من تمامه :

لَوْ بَغِيرَ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِقُ كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي
(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « يَلُوكِ » ، وهذا الثلاثي : « لَأَكَ يَلَأُكَ » لم أجده منصوصاً عليه في كتب اللغة ، بل الذي نصوا عليه هو الرباعي : « أَلِكني إل فلان : أبلغه عني . أصله أَلِكني ، فحذفت الهزة وألقيت حركتها على ما قبلها » ، ولكنهم نصوا على أنه مقلوب ، فإذا صح ذلك ، صح أيضاً أن تكون « لَأَكَ » مقلوب « أَلَك » الثلاثي ، وهو عما نصوا عليه .
(٣) كلام الطبري يشمر بأنه أراد وزن « مفعَل » بفتح العين ، فهي مَالَك ، بفتح اللام ، والأشهر الألفصح : والمَالَك والمَالَكَةُ (بفتح الميم وضم اللام فيهما) .
(٤) في المطبوعة : « لبيد بن أبي ربيعة » ، وهو خطأ .

(٥) ديوانه القصيدة رقم : ٣٧ ، البيت : ١٦ ، وقوله « وعُغْلَامٍ » مجرور بواو « رب » . أرسلت العُغْلَامَ أُمَّهُ تلتبس من معروف لبيد ، فأعطاهما ما سألت .

(٦) في المطبوعة : « سَهْدِيهِ الرِّوَاةُ إِلَيْكَ . . . » ، وأثبتنا نص المخطوطة ، والديوان : ٨٥ وغيرهما . ويضبطونه « سَاهِدِيكَ » بضم الهزة ، من الهدية ، أي سَاهِدِيهِ إِلَيْكَ ، ولست أرتضيه ، والشعر يختل بذلك معناه . وإنما هو عندي بفتح الهزة ، من « هَدَيْتَهُ الطَّرِيقَ » إِذَا عَرَفْتَهُ الطَّرِيقَ وَبَيَّنَّتَهُ لَهُ . ومنه أخلوا قولهم : هَادَانِي فَلَانُ الشَّرَّ وَهَادَيْتُهُ : أَي هَاجَانِي وَهَاجَيْتُهُ . وقوله : « إِلَيْكَ إِلَيْكَ » أي خذها ، كما قال القطامي :

إِذَا التَّيَّازُ ذُو الْمَضَلَاتِ قَلْنَا : إِلَيْكَ إِلَيْكَ ! ضَاقَ بِهَا ذِرَاعَا

وقوله : « عني » أي مني ، كما في قولهم : « عنك جاء هذا » أي منك ، أو من قبلك . وكذلك هو في قوله تعالى : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) ، أي من عباده ، وقوله تعالى : (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) ، أي نتقبل منهم . وليس قول النابغة من قولهم « إِلَيْكَ عني » ، أي كف وأمسك - في شيء . والشعر الذي يليه دال على ذلك ، والبيت الذي يلي هذا فيه الكلمة المنصوبة

وقال عبدُ بنى الحَسَنَ حَاص :
 أَلِكنى إليها عَمْرُكَ اللهُ يَأَقَى بِآيةٍ مَا جَاءَتْ إِيَّانَا نَهَادِيَا^(١)

يعنى بذلك : أبلغها رسالتى . فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة ، لأنها رُسِّلَ الله بينه وبين أنبيائه ، ومن أرسلت إليه من عباده .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنْى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ ﴾

اختلف أهل التأويل فى قوله : « إنى جاعل » ، فقال بعضهم : إنى فاعل . ذكر من قال ذلك :

٥٩٧ — حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن جرير بن حازم ، ومبارك ، عن الحسن ، وأبى بكر — يعنى الهذلى — عن الحسن ، وقتادة ، قالوا : قال الله تعالى ذكره للملائكة : « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة »^(٢) ، قال لهم : إنى فاعل^(٣) .

بقوله « إلك إلك » :

قَوَافِى كَالسَّلَامِ إِذَا اسْتَمَرَّتْ فَلَيْسَ يُرَدُّ مَذْهَبُهَا التَّظَنُّ

أى خذها قوافى كالسلام ، وهى الحجارة .

وقوله : « عين » يعنى عيينة بن حصن الفزارى ، وكان أعان بنى عيسى على بنى أسد حلفاء بنى ذبيان ، ربط النابغة .

(١) سلف القول فى هذا البيت : ١٠٦ آنفاً .

(٢) فى المطبوعة : « قال الله للملائكة إنى . . . » وهو موافق لما نقله ابن كثير .

(٣) الأثر : ٥٩٧ — نقله ابن كثير ١ : ١٢٧ عن الطبرى . ووقع فى إسناده هناك سقط ، والظاهر أنه خطأ مطبعى . وذكره السيوطى ١ : ٤٤ مختصراً . وسيأتى مرة أخرى : ٦١١ مطولاً ، بهذا الإسناد نصاً . وهو هنا بإسنادين بل ثلاثة : رواه الحجاج — وهو ابن المنهال — عن جرير ابن حازم ، وعن المبارك — وهو ابن فضالة — ثم رواه عن أبى بكر الهذلى ، ثلاثهم عن الحسن البصرى ، والإسنادان الأولان جيدان ، والثالث ضعيف ، بضعف أبى بكر الهذلى ، ضعفه ابن المدينى جداً ، وقال ابن معين : « ليس بشيء » ، وترجمه البخارى فى الكبير ١٩٩/٢/٢ باسم

وقال آخرون : إلى خالق . ذكر من قال ذلك :

٥٩٨ - حدثت عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، قال : كل شيء في القرآن « جعل » ، فهو خلق^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : والصواب في تأويل قوله : « إلى جاعل في الأرض خليفة » : أي مستخلف في الأرض خليفة ، ومُصَيَّر فيها خَلِيفاً^(٢) . وذلك أشبه بتأويل قول الحسن وقتادة .

وقيل : إن الأرض التي ذكرها الله في هذه الآية هي « مكة » . ذكر من قال ذلك :

٥٩٩ - حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن ابن سابط : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : دُحِيت الأرض من مكة ، وكانت الملائكة تطوف بالبيت ، فهي أول من طاف به ، وهي « الأرض » التي قال الله : « إلى جاعل في الأرض خليفة » ، وكان النبي إذا هلك قومه ، ونجا هو والصالحون ، أتاها هو ومن معه فعبدوا الله بها حتى يموتوا . فإن قبر نوح وهود وصالح وشعيب ، بين زمزم والرُّكن والمقام^(٣) .

• • •

« سمي أبو بكر الهذلي البصري » ، وقال : « ليس بالحافظ عندهم » . قال عمرو بن حل : عدلت عن أبي بكر الهذلي عمداً . وكذلك ترجمه ابن أبي حاتم ٣١٣/١/٢ - ٣١٤ ، وأبان عن ضعفه . و « سمي » : بضم السين وسكون اللام مع إمالة الألف المقصورة .

(١) الأثر : ٥٩٨ - نقله السيوطي ١ : ٤٤ عن الطبري ، ولكنه جمعه من كلام الضحاك . وأبو روق يكثر رواية التفسير عن الضحاك . فلعل ذكر « الضحاك » سقط من النسخين في بعض نسخ الطبري . وأياً ما كان فهذا الإسناد ضعيف . سبق بيان ضعفه : ١٣٧ . ويزيده ضعفاً هنا جهالة الشيخ الذي رواه عنه الطبري عن المنجاب ، في قوله « حدثت » ، بتجهيل من حدثه . (٢) في المخطوطة : « خنقاً » ، بالقاف .

(٣) الحديث : ٥٩٩ - نقل ابن كثير في التفسير ١ : ١٢٧ معناه من تفسير ابن أبي حاتم : « حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن ابن سابط » ، فذكره مرفوعاً بنحوه مختصراً . وقال ابن كثير : « وهذا مرسل » ، وفي سنده ضعف ، وفيه

القول في تأويل قوله ﴿ خَلِيفَةً ﴾

والخليفة الفعيلة من قولك : خلف فلان فلاناً في هذا الأمر ، إذا قام مقامه فيه بعده . كما قال جل ثناؤه ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس : ١٤] يعنى بذلك أنه أبدلكم في الأرض منهم ، فجعلكم خلفاء بعدهم . من ذلك قيل للسلطان الأعظم : خليفة ، لأنه خلف الذي كان قبله ، فقام بالأمر مقامه ، فكان منه خلفاً . يقال منه : خلف الخليفة ، يخلف خلافة وخليفته^(١) .

وكان ابن إسحق يقول بما :

٦٠٠ - حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إلى جاعل في الأرض خليفة » ، يقول : ساكناً وعامراً يسكنها ويعمرها خلفاً ، ليس منكم^(٢) .

وليس الذي قال ابن إسحق في معنى الخليفة بتأويلها - وإن كان الله جل

مدرج ، وهو أن المراد بالأرض مكة ، والله أعلم - فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك . أما إرساله : فإن « عبد الرحمن بن سابط » : تابعي ، وهو ثقة ، ولكنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، بل لم يدرك كبار الصحابة ، كعمر وسعد ومعاذ وغيرهم . ويقال إنه « عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط » . واختلف في ذلك جداً ، فلذلك ترجمه الحافظ لأبيه في الموضعين : « سابط » ، أو « عبد الله بن سابط » ، وفي الإصابة ٣ : ٥١ - ٥٢ ، و ٤ : ٧٣ . ونقله السيوطي ١ : ٤٦ ، ونسبه للطبري وابن أبي حاتم وابن عساكر ، مطولاً كرواية الطبري ، ونقله الشوكاني ١ : ٥٠ مختصراً ، كرواية ابن أبي حاتم ، ونقل تعليل ابن كثير إياه .

وفي المطبوعة « أتي هو ومن معه » . وفي المخطوطة « فيعبدا الله بها » .

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وخليفاً » ، والصواب ما أثبتناه . في حديث عمر : « لولا الخلق لأذنت » (بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة ، بعدها ياء ، ثم فاء مفتوحة) قالوا : وهو وأمثاله من الأبنية كالريمي والدليل ، مصدر يدل على معنى الكثرة . يريد عمر : كثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة وتصريف أعنتها .

(٢) الأثر : ٦٠٠ - في ابن كثير ١ : ١٢٧ وفي المطبوعة هنا ، وفي : ٦١٥ « خلقاً »

ثناؤه إنما أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة يسكنها - ولكن معناها ما وصفت قبل .

فإن قال قائل : فما الذي كان في الأرض قبل بني آدم لها عامراً ، فكان بنو آدم منه بدلاً^(١) ، وفيها منه خلفاً ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل في ذلك :

٦٠١ - فحدثنا أبو كريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر

ابن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : أول من سكن الأرض الجن فافسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضاً . فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال . ثم خلق آدم فأسكنه إياها ، فلذلك قال : « إني جاعل في الأرض خليفة »^(٢) .

فعلى هذا القول : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، من الجن ، يخلفونهم فيها فيسكنونها ويعمرونها .

٦٠٢ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس في قوله : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، الآية ، قال : إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم

ليس منكم « بالقاف ، وهو خطأ ، والصواب في ابن كثير ١ : ١٢٧ . وقوله « خلفاً » : أي بدلاً من مضى ، وهم سكان الأرض قبل آيينا آدم عليه السلام ، كما يأتي في الخبر التام : ٦١٥ . وقوله : « ليس منكم » ، كلام مستأنف ، أي ليس منكم أيها الملائكة . أما المخطوطة ففيها : « ليس خلفاً منكم » وهو خطأ محض .

(١) في المطبوعة : « بدلاً منه » بالتقديم .

(٢) الخبر : ٦٠١ - في ابن كثير ١ : ١٢٧ . وقد روى الحاكم في المستدرک ٢ : ٢٦١ خبراً يشبهه في بعض المعنى ويخالفه في اللفظ قال : « أخبرنا عبد الله بن موسى الصيدلاني ، حدثنا إسماعيل بن قتيبة ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ... » وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي . وأما إسناد الطبري هنا فضعيف ، كما بينا فيما سبق : ١٢٧ .

الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم ، فكانت الدماء ، وكان الفساد في الأرض^(١) .

وقال آخرون في تأويل قوله : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، أى خلفاً يخلف بعضهم بعضاً ، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم ، ويخلف كل قرن منهم القرن الذى سلف قبله . وهذا قول حكى عن الحسن البصرى .

ونظير له ما : —

٦٠٣ — حدثني به محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن ابن سابط في قوله : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » قال : يعنون به بنى آدم صلى الله عليه وسلم .

٦٠٤ — حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال الله تعالى ذكره للملائكة : إني أريد أن أخلق في الأرض خلقاً وأجعل فيها خليفة . وليس لله يومئذ خلق إلا الملائكة ، والأرض ليس فيها خلق^(٢) .

وهذا القول يحتمل ما حكى عن الحسن ، ويحتمل أن يكون أراد ابن زيد أن الله أخبر الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة له يحكم فيها بين خلقه بحكمه ، نظير ما : —

٦٠٥ — حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي

(١) الأثر : ٦٠٢ — رواه الطبري في التاريخ ١ : ٤٣ ، بهذا الإسناد . سيأتى أيضاً بهذا الإسناد بأطول منه : ٦١٢ . ونقله ابن كثير ١ : ١٢٨ ، والسيوطى ١ : ٤٥ بالرواية المطولة ، ولكنهما جملاهما من كلام أبي العالية . فهو من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية . وزاد السيوطى في نسبه أنه رواه أيضاً ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة .

(٢) الأثران : ٦٠٣ ، ٦٠٤ — في ابن كثير ١ : ١٢٨ .

صلى الله عليه وسلم : أن الله جل ثناؤه قال للملائكة : « إني جاعل في الأرض خليفة » . قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذُرِّيَّةٌ يُفْسِدُونَ في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً^(١) .

فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس : إني جاعل في الأرض خليفةً مني يخلفني في الحكم بين خلقي . وذلك الخليفة هو آدمُ ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه . وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها ، فمن غير خلفائه ، ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله — لأنهما أخيراً أن الله جل ثناؤه قال للملائكة — إذ سأله : ما ذاك الخليفة ؟ — : إنه خليفة يكون له ذُرِّيَّةٌ يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً . فأضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذُرِّيَّةٍ خليفته دونه ، وأخرج منه خليفته .

وهذا التأويل ، وإن كان مخالفاً في معنى الخليفة ما حكى عن الحسن من وجه ، فوافق له من وجه . فأما موافقته إياه ، فصرفُ متأوليه إضافة الإفساد في الأرض وسفك الدماء فيها إلى غير الخليفة . وأما مخالفته إياه ، فإضافتهما الخلافة إلى آدم^(٢) ، بمعنى استخلاف الله إياه فيها . وإضافة الحسن الخلافة إلى ولده ، بمعنى خلافة بعضهم بعضاً ، وقيام قرن منهم مقام قرن قبلهم ، وإضافة الإفساد في الأرض وسفك الدماء إلى الخليفة .

والذي دعا المتأولين قوله : « إني جاعل في الأرض خليفة » — في التأويل الذي ذكر عن الحسن — إلى ما قالوا في ذلك ، أنهم قالوا إن الملائكة إنما قالت لربها — إذ قال لهم ربهم : « إني جاعل في الأرض خليفة » — : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، إخباراً منها بذلك عن الخليفة الذي أخبر الله جل ثناؤه أنه

(١) الأثر : ٦٠٥ — في ابن كثير ١ : ١٢٧ .

(٢) في المطبوعة : « وإضافتهم » ، والصواب ما في المخطوطة ، ويعني بهما ابن مسعود وابن عباس كما مضى آنفاً .

جاعله في الأرض لا عن غيره^(١) . لأنّ المحاورة بين الملائكة وبين ربها عنه جرت . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك - وكان الله قد برأ آدم من الإفساد في الأرض وسفك الدماء ، وطهره من ذلك - علم أن الذي عني به غيره من ذريته . فثبت أن الخليفة الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء هو غير آدم ، وأنهم ولده الذين فعلوا ذلك ، وأن معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرناً غيرهم لما وصفنا .

وأغفل قائلو هذه المقالة ، ومتأولو الآية هذا التأويل ، سبيل التأويل . وذلك أن الملائكة إذ قال لها ربها : « إني جاعل في الأرض خليفة » ، لم تضيف الإفساد وسفك الدماء في جوابها ربها إلى خليفته في أرضه ، بل قالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ؟ وغير منكر أن يكون ربها أعلمها أنه يكون لخليفته ذلك ذرية يكون منهم الإفساد وسفك الدماء ، فقالت : يا ربنا ، « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » . كما قال ابن مسعود وابن عباس ، ومن حكينا ذلك عنه من أهل التأويل^(٢) .

(١) في المطبوعة « لا غيره » بإسقاط « عن » .

(٢) في الأصل المخطوط بعد هذا الموضع ما نصه :-

[بلفت من أوله بقراءتي على القاضي أبي الحسن الخصيب ابن عبد الله الخصبي ، عن أبي محمد القرغاني ، عن أبي جعفر الطبري . وسمع معي أخى على بن أحمد بن عيسى ، ونصر بن الحسن الطبري . وسمع أبو الفتح أحمد بن عمر الجهمي ، من موضع سماعه . وكتب محمد بن أحمد بن عيسى السعدي في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعمئة]

• • •

« تذكرة »

تبين لي مما راجعته من كلام الطبري ، أن استدلال الطبري بهذه الآثار التي يرويها بأسانيدها ، لا يراد به إلا تحقيق معنى لفظ ، أو بيان سياق عبارة . فهو قد ساق هنا الآثار التي رواها بإسنادها

القول في تأويل قوله جل ثناؤه خبراً عن ملائكته : ﴿ قَالُوا

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل (١) : وكيف قالت الملائكة لربها إذ أخبرها أنه جاعل في الأرض خليفة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، ولم يكن آدم بعد مخلوقاً ولا ذُرِّيَّته ، فيعلموا ما يدملون عياناً ؟ أعلمت الغيب فقالت ذلك ، أم قالت ما قالت من ذلك ظناً ؟ فذلك شهادة منها بالظن ، وقول « بما لا تعلم » وذلك ليس من صفتها . أم ما وجه قيلها ذلك لربها ؟ (٢)

ليدل على معنى « الخليفة » ، و « الخلافة » ، وكيف اختلف المفسرون من الأولين في معنى « الخليفة » . وجعل استدلاله بهذه الآثار ، كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ في كتاب الله . وهذا بين في الفقرة التالية للأثر رقم : ٦٠٥ ، إذ ذكر ما روى عن ابن مسعود وابن عباس ، وما روى عن الحسن في بيان معنى « الخليفة » ، واستظهر ما يدل عليه كلام كل منهم . ومن أجل هذا الاستدلال ، لم يبال بما في الإسناد من وهن لا يرتضيه . ودليل ذلك أن الطبري نفسه قال في إسناد الأثر : ٤٦٥ عن ابن مسعود وابن عباس ، فيما مضى من : ٣٥٣ « فإن كان ذلك صحيحاً ، ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً . . . » ، فهو مع ارتيابه في هذا الإسناد ، قد ساق الأثر للدلالة على معنى اللفظ وحده ، فيما فهمه ابن مسعود وابن عباس — إن صح عنهما — أو ما فهمه الرواة الأقدمون من معناه . وهذا مذهب لا بأس به في الاستدلال . ومثله أيضاً ما يسوقه من الأخبار والآثار التي لا يشك في ضعفها ، أو في كونها من الإسرائيليات ، فهو لم ينقها لتكون مهيمنة على تفسير آي التنزيل الكريم ، بل يسوق الطويل الطويل ، لبيان معنى لفظ ، أو سياق حادثة ، وإن كان الأثر نفسه بما لا تقوم به الحجة في الدين ، ولا في التفسير التام لآي كتاب الله .

فانستدلال الطبري بما ينكره المنكرون ، لم يكن إلا استظهاراً للمعاني التي تدل عليها ألفاظ هذا الكتاب الكريم ، كما يستظهر بالشعر على معانيها . فهو إذن استدلال يكاد يكون لغوياً . ولما لم يكن مستنكراً أن يستدل بالشعر الذي كذب قائله ، ما صححت لفته ، فليس بمستنكر أن تساق الآثار التي لا يرتضها أهل الحديث ، والتي لا تقوم بها الحجة في الدين ، للدلالة على المعنى المفهوم من صريح لفظ القرآن ، وكيف فهمه الأوائل — سواء كانوا من الصحابة أو من بعدهم .

وأرجو أن تكون هذه تذكيرة تنفع قارئ كتاب الطبري ، إذا ما انتهى إلى شيء مما حده أهل علم الحديث من الغريب والمتنكر . ولم يقصر أغني السيد أحمد شاكر في بيان درجة رجال الطبري عند أهل العلم بالرجال ، وفي هذا مقنع لمن أراد أن يعرف علم الأقدمين على وجهه ، والحمد لله أولاً وآخراً .

(١) في المطبوعة : « إن قال قائل » .

(٢) في المطبوعة : « فما وجه » .

قيل : قد قالت العلماء من أهل التأويل في ذلك أقوالاً . ونحن ذاكرنا أقوالهم في ذلك ، ثم نخبرون بأصحها برهاناً وأوضحها حجة . فروى عن ابن عباس في ذلك ما :
 ٦٠٦ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : كان إبليس من حَيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم « الحين » ، خلُقوا من نار السموم من بين الملائكة ^(١) ، قال : وكان اسمه الحارث ، قال : وكان خازناً من خزان الجنة . قال : وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحَيِّ . قال : وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار - وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت . قال : وخلق الإنسان من طين . فأول من سكن الأرض الجن . فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً . قال : فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة - وهم هذا الحَيِّ الذين يقال لهم الحين ^(٢) - فقتلهم إبليس ومن معه حتى أحرقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال . فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه . وقال : « قد صنعتُ شيئاً لم يصنعه أحد » ! قال : فاطلَّع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه . فقال الله للملائكة الذين معه : « إني جاعلٌ في الأرض خليفة » . فقالت الملائكة مجيبين له : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، كما

(١) في المطبوعة في الموضعين « الجن » بالجم ، وهو خطأ ، يدل عليه سياق هذا الأثر ، فقد ميز ما بين إبليس ، وبين الجن الذين ذكروا في القرآن . إبليس مخلوق من نار السموم ، والآخرون خلقوا من مارج من نار . والجن (بالجم) أول من سكن الأرض ، وإبليس جاء لقتالهم في جند من الملائكة . وهذا بين . وقد قال الجاحظ في الحيوان ٧ : ١٧٧ ، وبعض الناس يقسم الجن على قسمين فيقول : هم جن وحن (بالحاء) ، ويجعل آتى بالحاء أضعفهما . وقال في ١ : ٢٩١ - ٢٩٢ ، وبعض الناس يزعم أن الجن والجن صنفان مختلفان ، وذهبوا إلى قول الأعرابي حين أتى باب بعض الملوك ليكتب في الزمى فقال في ذلك :

إِنْ تَكْتُبُوا الزَّمَنِي فَإِنِّي لَزَمِنٌ مِنْ ظَاهِرِ الدَّاءِ وَدَاءِ مُسْتَكِنٍ

أَيُّتُ أَهْوَى فِي شَيَاطِينِ تَرِنٍ مُخْتَلَفٍ نِجَارُهُمْ جَنٌّ وَحِنٌ

ففرق بين هذين الجنسيتين . وانظر الحيوان ٦ : ١٩٣ ، أيضاً ، واللسان (جن) ، وغيرها

أفسدت الجن وسفكت الدماء ، وإنما بُعِثْنَا عليهم لذلك . فقال : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، يقول : إني قد اطلعتُ من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه ، من كبره واغتراره . قال : ثم أمر بشربة آدم فرفعت ، فخلق الله آدم من طين لازب - واللازبُ : اللزجُ الصُّلبُ ، من حمأ مسنون - مُسْتَنِ . قال : وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التراب . قال : فخلق منه آدم بيده ، قال فكث أربعين ليلة جسداً مُلَقًى . فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيُصَلِّصِل - أى فيصوت - قال : فهو قول الله : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [سورة الرحمن : ١٤] . يقول : كالشيء المنفوخ الذي ليس بمُصْمِت^(١) . قال : ثم يدخل في فيه ويخرج من دُبُرِهِ ، ويدخل من دُبُرِهِ ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئاً ! - للصِّلصلة - ولشيء ما خلقت ! لئن سُلِّطْتُ عليك لأهلكك ، ولئن سُلِّطْتُ على لأعصينك . قال : فلما نفخ الله فيه من روحه ، أتت النفخة من قبل رأسه ، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحماً ودماً . فلما انتهت النفخة إلى سُرَّتِهِ ، نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه ، فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو قول الله : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ [سورة الإسراء : ١١] قال : ضَجِيراً لا صَبْرَ له على سَرَاءٍ ولا ضَرَاءٍ . قال : فلما تمت النفخة في جسده عطس ، فقال : « الحمد لله رب العالمين » بإلهام من الله تعالى ، فقال الله له : يرحمك الله يا آدم . قال : ثم قال الله للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات : اسجدوا لآدم . فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر ، لما كان حدث به نفسه من كبره واغتراره . فقال : لا أسجد له ، وأنا خير منه وأكبرُ سنّاً وأقوى خلقاً ، خلقتني من نار وخلقته من طين - يقول : إن النار أقوى من الطين . قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله - أى آيسه من الخير كله^(٢) ، وجعله شيطاناً رجيماً

(١) المصمت : الذي لا جوف له ، وكل ذى جوف إذ قرع صوت ، أما المصمت فهو صامت لا صوت له . فن المصمت أخلوه .

(٢) في المطبوعة : « وآيسه الله . . . » .

عقوبة لمعصيته . ثم علم آدم الأسماء كلها ، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحرار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها . ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة - يعنى الملائكة الذين كانوا مع إبليس ، الذين خلقوا من نار السموم - وقال لهم : أنبئوني بأسماء هؤلاء - يقول : أخبروني بأسماء هؤلاء ، إن كنتم صادقين ، إن كنتم تعلمون أننى لم أجعل خليفة فى الأرض^(١) . قال : فلما علمت الملائكة مؤاخذه الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب ، الذى لا يعلمه غيره ، الذى ليس لهم به علم ، قالوا : سبحانك ، تنزيهاً لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره - تبنا إليك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا ، تبرئاً منهم من علم الغيب ، إلا ما علمتنا كما علمت آدم . فقال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم - يقول : أخبرهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم - أيها الملائكة خاصة - إني أعلم غيب السموات والأرض ، ولا يعلمه غيرى ، وأعلم ما تبدون - يقول : ما تُظهرون - وما كنتم تكتمون - يقول : أعلم السر كما أعلم العلانية ، يعنى ما كنتم إبليس فى نفسه من الكبر والاعتزاز^(٢) .

قال أبو جعفر : وهذه الرواية عن ابن عباس ، تنبئ عن أن قول الله جل ثناؤه : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة » ، خطاب من الله جل ثناؤه لخاص من الملائكة دون الجميع ، وأن الذين قيل لهم ذلك من الملائكة كانوا قبيلة إبليس خاصة - الذين قاتلوا معه جن الأرض قبل خلق آدم - وأن الله إنما خصهم بقيل ذلك امتحاناً منه لهم وابتلاءً ، ليعرفهم قصور علمهم وفضل كثير ممن هو أضعف خلقاً منهم من خلقه عليهم ، وأن كرامته

(١) فى المطبوعة : « أنكم تعلمون أنى أجعل فى الأرض خليفة » ، وقوله « لم أجعل ... » سقط « لم » من المخطوطة أيضاً . والصواب من الدر المنثور ، والشوكانى ، حيث يأتى تخريجه . ومبأى على الصواب أيضاً فى رقم : ٦٧١ ص : ٤٩٠ ، وهو مختصر من هذا الأثر .

(٢) الخبر : ٦٠٦ - خرجه السيوطى فى الدر المنثور مرفقاً ١ : ٤٤ - ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ . والشوكانى ١ : ٥٢ بعضه مرفقاً . وروى الطبرى قطعة منه ، بهذا الإسناد ، فى تاريخه ١ : ٤٢ - ٤٣ .

لا تنال بقوى الأبدان وشدة الأجسام، كما ظنه إبليس عدو الله . ومُصَرَّح بأن
 قِيلَ لَهُمْ لِرَبِّهِمْ^(١) : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، كانت هفوة
 منهم ورجماً بالغيب ، وأن الله جل ثناؤه أطلعهم على مكروه ما نطقوا به من ذلك ،
 ووقفهم عليه حتى تابوا وأنابوا إليه مما قالوا ونطقوا من رَجْم الغيب بالظنون ،
 وتبرأوا إليه أن يعلم الغيب غيره . وأظهر لهم من إبليس ما كان منظوياً عليه من
 الكبر الذي قد كان عنهم مستخفياً^(٢) .

• • •

وقد روى عن ابن عباس خلاف هذه الرواية ، وهو ما : —

٦٠٧ — حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
 حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ،
 عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله
 عليه وسلم : « لما فرغ الله من خلق ما أحب ، استوى على العرش ، فجعل إبليس
 على مُلْك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن^(٣) — وإنما سمو
 الجن لأنهم خزان الجنة . وكان إبليس مع مُلكه خازناً ، فوقع في صدره
 كبر ، وقال : ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي — هكذا قال موسى بن هرون ، وقد
 حدثني به غيره ، وقال : لمزية لي على الملائكة^(٤) — فلما وقع ذلك الكبر في نفسه ،

(١) في المطبوعة : « ويصرح » ، وسياق الكلام : « تنبى » عن أن قول الله . . . خطاب من
 الله جل ثناؤه لخاص من الملائكة دون الجميع ، .. ويصرح بأن قيلهم » ، عطفاً على خبر « أن » .
 (٢) هذا التعقيب على خبر ابن عباس ، دليل على ما ذهبنا إليه في بيان طريقة الطبري في الاستدلال
 بالأخبار والآثار انظر ص : ٤٥٣-٤٥٤ . فهو لم يروه لاعتقاد صحته ، بل رواه ليبيان أن قول الله سبحانه :
 « وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » ، إنما هو خطاب فيه لفظ العموم « الملائكة » ،
 ويراد به الخصوص لبعض الملائكة ، كما هو معروف في لسان العرب . وأن قول هؤلاء الملائكة : « أتجعل
 فيها من يفسد فيها . . . » ، لم يكن عن علم عرفوه من علم الغيب ، بل كان ظناً ظنوه . وسياق بعد
 ما يوضح مذهب الطبري في الاستدلال ، كما سأشير إليه في موضعه .

(٣) في المخطوطة : « الجن » بالحاء ، وتفسيرها التالي يدل على أنها بالميم . وانظر ما كتبناه
 آنفاً في ص : ٤٥٥ التعليق : ١
 (٤) غيره ، التي أبهمه الطبري هنا ، بينه في التاريخ ١ : ٤٣ ، قال : « وحدثني به
 أحمد بن أبي خيثمة ، عن عمرو بن حماد . »

اطلع الله على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : « إني جاعل في الأرض خليفة » .
قالوا : ربنا ، وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض
ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً . قالوا : ربنا ، « أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحنُ نسبح بحمدك ونُقَدِّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون » .
يعنى من شأن إبليس . فبعث جبريل إلى الأرض لياتيه بطين منها فقالت الأرض :
إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني . فرجع ، ولم يأخذ . وقال : رب
إنها عاذت بك فأعذتها . فبعث الله ميكائيل ، فعاذت منه فأعادها ، فرجع
فقال كما قال جبريل . فبعث ملك الموت فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن
أرجع ولم أنفذ أمره . فأخذ من وجه الأرض ، وخلط فلم يأخذ من مكان واحد ،
وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين . فصعد به ،
فبل التراب حتى عاد طيناً لازباً - واللازب : هو الذى يلتصق ببعضه ببعض -
ثم ترك حتى أتت وتغير^(١) . وذلك حين يقول : ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾
[سورة الحجر : ٢٨] . - قال : متن - ثم قال للملائكة : ﴿ إني خالق بشرٍ مِنْ طِينٍ
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [سورة ص : ٧١ - ٧٢] .
فخلقه الله بيديه لكيلا يتكبر إبليس عنه ، ليقول له : تتكبر عما عملت بيدي ،
ولم أتكبر أنا عنه ؟ فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار
يوم الجمعة : فمرت به الملائكة ففرعوا منه لما رأوه . وكان أشدهم منه فزعاً إبليس ،
فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار وتكون له صلصلة ،
فذلك حين يقول : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [سورة الرحمن : ١٤] . ويقول لأمر
ما خلقت ! ودخل من فيه فخرج من دُبُرِهِ . فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا ،

(١) في المطبوعة « حين أتت » ، وصحته « حتى أتت » ، كما في تاريخ الطبري ، وتفسير
ابن كثير - فيما نبين في تخريجه .

فإن ربكم صمدٌ وهذا أجوف^(١) . لئن سلطت عليه لأهلكنّه . فلما بلغ الحين الذى يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح ، قال للملائكة : إذا نفختُ فيه من رُوحى فاسجدوا له . فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح فى رأسه ، عطس ، فقالت له الملائكة : قل الحمد لله . فقال : الحمد لله . فقال له الله : رحمك ربك . فلما دخل الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة . فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عَجَلانَ إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٧] . فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين — أى استكبر^(٢) — وكان من الكافرين . قال الله له : ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقتُ يدي ؟ قال : أنا خير منه ، لم أكن لأسجد لبشر خلقتة من طين . قال الله له : اخرج منها فما يكون لك — يعنى ما ينبغى لك — . أن تتكبر فيها ، فاخرج إنك من الصاغرين — والصغار : هو الذل — . قال وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرض الخلق على الملائكة ، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أن بنى آدم يُفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء . فقالوا له : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال الله : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . قال قولهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، فهذا الذى أبدوا ، « وأعلم ما كنتم تكتمون » ، يعنى ما أسر إبليس فى نفسه من الكبر^(٣) .

(١) الصمد هنا : هو الذى لا جوف له ، والمصمد والمصمت واحد . وانظر ما سلف ص : ٤٥٦ تعليق : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « أبى واستكبر » ، وهو تحريف .

(٣) الخبر : ٦٠٧ — روى الطبرى قطعة منه فى تاريخه ١٠ : ٤١ — ٤٢ ، بهذا الإسناد . وقطعة أخرى أيضاً ١ : ٤٣ . وثالثة ١ : ٤٥ — ٤٦ . ورابعة ١ : ٤٧ . وخامسة ١ : ٤٧ — ٤٨ . وسادسة ١ : ٥٠ . وبعضه عن السيوطى ١ : ٤٥ — ٤٧ ، والشوكانى ١ : ٥٠ . وقد مضى تحليل هذا الإسناد ، فى : ١٦٨ ، ورأى الطبرى نفسه فيه : ٤٥٢ ، وأنه فيه مراتب . وقد ساقه ابن

قال أبو جعفر : فهذا الخبر أوله مخالف معناه معنى الرواية التي رويت عن ابن عباس من رواية الضحاك التي قد قدمنا ذكرها قبل ، وموافق معنى آخره معناها . وذلك أنه ذكر في أوله أن الملائكة سألت ربها : ما ذاك الخليفة ؟ حين قال لها : إني جاعل في الأرض خليفة . فأجابها أنه تكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً . فقالت الملائكة حينئذ : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ فكان قول الملائكة ما قالت من ذلك لربها ، بعد إعلام الله إياها أن ذلك كائن من ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض . فذلك معنى خلاف أوله معنى خبر الضحاك الذي ذكرناه .

وأما موافقته إياه في آخره ، فهو قولهم في تأويل قوله : « أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » : أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، وأن الملائكة قالت إذ قال لها ربها ذلك ، تبرئاً من علم الغيب — : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » .

وهذا إذا تدبره ذوالفهم ، علم أن أوله يفسد آخره ، وأن آخره يبطل معنى أوله . وذلك أن الله جل ثناؤه إن كان أخبر الملائكة أن ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض تفسد فيها وتسفك الدماء ، فقالت الملائكة لربها : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؛ فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت عن أخبرها الله عنه أنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، بمثل الذي أخبرها عنهم ربها ، فيجوز أن يقال لها فيما طوى عنها من العلوم : إن كنتم صادقين فيما علمتم بخبر الله إياكم أنه كائن من الأمور فأخبرتم به ، فأخبرونا بالذي قد طوى الله عنكم علمه ، كما قد أخبرتمونا بالذي قد أطلعكم الله عليه — بل ذلك خُلف من التأويل ، ودعوى على

كثير بطوله ١ : ١٣٧ - ١٣٨ ، ثم قال : « فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ، ويقع فيه إسرائيليّات كثيرة . فلعل بعضها مدرج ، ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة ، والله أعلم . والحاكم يروى في مستدركه ، بهذا الإسناد بعينه ، أشياء ، ويقول : على شرط البخاري ! » .

الله ما لا يجوز أن يكون له صفة^(١). وأخشى أن يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذي غلط على من رواه عنه من الصحابة ، وأن يكون التأويل منهم كان على ذلك : « أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العلم بخبري إياكم أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، حتى استجزم أن تقولوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » . فيكون التوبيخ حينئذ واقعاً على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم : « إنه يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء » ، لا على إخبارهم بما أخبرهم الله به أنه كائن . وذلك أن الله جل ثناؤه ، وإن كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرية خليفته في الأرض ، ما يكون منه فيها من الفساد وسفك الدماء ، فقد كان طوى عنهم الخبر عما يكون من كثير منهم ما يكون من طاعتهم ربهم ، وإصلاحهم في أرضه ، وحقن الدماء ، ورفع منزلتهم ، وكرامتهم عليه ، فلم يخبرهم بذلك . فقالت الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، على ظن منها — على تأويل هذين الخبرين اللذين ذكرتُ وظاهرهما — أن جميع ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء ، فقال الله لهم — إذ علم آدم الأسماء كلها — : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنكم تعلمون أن جميع بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، على ما ظننتم في أنفسكم — إنكاراً منه جل ثناؤه لقبلهم ما قالوا من ذلك على الجميع والعموم ، وهو من صفة خاص ذرية الخليفة منهم . وهذا الذي ذكرنا هو صفة منا لتأويل الخبر ، لا القول الذي نختاره في تأويل الآية^(٢) .

١٦٢/١

(١) نقد الطبري دال أيضاً على ما ذهبنا إليه من الاستدلال بالآثار كاستدلال المستدل بالشعر . وأنت تراه ينقض هذا الخبر نقضاً ، ويبين الخطأ في سياقه ، وتناقضه في معناه . وهذا بين إن شاء الله .

(٢) وهذا أيضاً دليل واضح على أن استدلال الطبري بالأخبار والآثار ، ليس معناه أنه ارتضاها ، بل معناه أنه أتى بها ليستدل على سياق تفسير الآية مرة ، وعلى بيان فساد الأخبار أنفسها مرة أخرى . وقد أخطأ كثير من نقل عن الطبري في فهم مراده ، وتعامل عليه آخرون لم يعرفوا مذهبه في هذا التفسير .

وَمَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ تَوْجِيهِ خَيْرِ الْمَلَائِكَةِ عَنْ إِفْسَادِ ذُرِّيَةِ الْخَلِيفَةِ وَسَفْكَهَا الدِّمَاءِ عَلَى الْعُمُومِ ، مَا : —

٦٠٨ — حدثنا به أحمد بن إسحق الأهوازي^(١) ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن بن سابط ، قوله : « أَتَجْعَلُ فِيهَا مِنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ » ، قال : يعنون الناس^(٢) .

وقال آخرون في ذلك بما : —

٦٠٩ — حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » ، فاستشار الملائكة في خلق آدم ، فقالوا : « أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ » — وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء أكره إلى الله من سفك الدماء والفساد في الأرض — « وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » فكان في علم الله جل ثناؤه أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياءٌ ورسول وقوم صالحون وساكنو الجنة . قال : وذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إن الله لما أخذ في خلق آدم قالت الملائكة : ما الله خالقٌ خلقاً أكرم عليه منّا ولا أعلم منّا ؟ فابتلوا بخلق آدم — وكل خلق مُبْتَلَى — كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة ، فقال الله : ﴿ ائْتِنِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(٣) [سورة فصلت : ١١] . وهذا الخبر عن قتادة يدل على أن قتادة كان يرى أن الملائكة قالت ما قالت من قولها : « أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ » ، على غير يقين علم تقدم منها بأن ذلك كائن ، ولكن على الرأي منها والظن ، وأن الله جل ثناؤه أنكر ذلك من

(١) في المطبوعة . « ابن أحمد بن إسحق الأهوازي » ، وزيادة « ابن » خطأ .

(٢) الأثر : ٦٠٨ — لم أجده .

(٣) الأثر : ٦٠٩ — في ابن كثير ١ : ١٢٩ ، وبعضه في الدر المنثور . فارقاً ١ :

قيلها ، ورد عليها ما رأت بقوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » من أنه يكون من ذرية ذلك الخليفة الأنبياء والرسل والمجاهدين في طاعة الله .

وقد روى عن قتادة خلاف هذا التأويل وهو ما : —

٦١٠ — حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال :

أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : « أتجعل فيها من يفسد فيها » قال : كان الله أعلمهم إذا كان في الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، فذلك قوله : « أتجعل فيها من يفسد فيها »^(١) .

وبمثل قول قتادة قال جماعة من أهل التأويل ، منهم الحسن البصري :

٦١١ — حدثنا القاسم : قال حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن جرير

بن حازم ، ومبارك ، عن الحسن — وأبي بكر ، عن الحسن وقاتدة — قال : قال الله للملائكة : « إني جاعل في الأرض خليفة » — قال لهم : إني فاعل — فعرضوا برأيهم ،

فعلمهم علماً وطوى عنهم علماً علمه لا يعلمونه ، فقالوا بالعلم الذي علمهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » — وقد كانت الملائكة علمت من علم الله أنه لا

ذنب أعظم عند الله من سفك الدماء — « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إني أعلم ما لا تعلمون » . فلما أخذ في خلق آدم همست الملائكة فيما بينها ، فقالوا : ليخلق

ربنا ما شاء أن يخلق ، فلن يخلق خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه . فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا ، ففضله عليهم ، فعلموا

أنهم ليسوا بخير منه ، فقالوا : إن لم نكن خيراً منه فنحن أعلم منه ، لأننا كنا قبله ، وخلقنا الأمم قبله . فلما أعجبوا بعملهم ابتلوا ، ف « علم آدم الأسماء كلها »^{١٦٣/١}

ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين « أنى لا أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه ، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قال : ففرع

القوم إلى التوبة — وإليها يفرع كل مؤمن — فقالوا : « سبحانك لا علم لنا إلا

(١) الأثر : ٦١٠ — لم أجده .

ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال: يا آدم أنبهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إني أعلمُ غيبَ السموات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون» — لقولهم: «ليخلق ربنا ما شاء، فلن يخلق خلقاً أكرمَ عليه منا ولا أعلم منا». قال: علمه اسم كل شيء، هذه الجبال وهذه البغال والإبل والجن والوحش، وجعل يسمي كل شيء باسمه، وعرضت عليه كل أمة، فقال: «ألم أقل لكم إني أعلم غيبَ السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»، قال: أما ما أبدوا فقولهم: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»، وأما ما كنتموا فقول بعضهم لبعض: «نحن خير منه وأعلم»^(١).

٦١٢ — وحدثنى المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا إسحق بن الحجاج، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، في قوله: «إني جاعل في الأرض خليفة» الآية، قال: إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجن يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة. قال: فكفر قوم من الجن، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم، فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض. فمن ثم قالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» الآية^(٢).

٦١٣ — [حدثنا محمد بن جرير، قال: حدثت عن عمار بن الحسن، قال: أخبرنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بمثله —: «ثم عرضهم

(١) الأثر : ٦١١ — سبق بعضه بهذا الإسناد نصاً. وشرحنا جودة بعضه وضعف بعضه. ونقل السيوطي ١ : ٤٩، بعضه عن هذا الموضع من تفسير الطبري. وذكر ابن كثير ١ : ١٢٨ قسماً منه، من تفسير ابن أبي حاتم: عن الحسن بن محمد بن الصباح، عن سعيد بن سليمان، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن — وهو البصري. وهذا إسناد صحيح إلى الحسن البصري: فإن «الحسن بن محمد بن الصباح»: هو الزعفراني الثقة المأمون، تلميذ الشافعي وراوي كُتبه بالعراق. وسعيد بن سليمان: هو سعدويه الضبي الواسطي، وهو ثقة مأمون من شيوخ البخاري ومن أقران الإمام أحمد. ومبارك بن فضالة: ثقة، من أخص الناس بالحسن البصري، جالسه ١٣ أو ١٤ سنة. (٢) الأثر : ٦١٢ — مضى صدره برقم : ٦٠٢، وأشرنا إلى هذا هناك.

على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . إلى قوله : « إنك أنت العليم الحكيم » . قال : وذلك حين قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » . قال : فلما عرفوا أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا بينهم : لن يخلق الله خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم . فأراد الله أن يخبرهم أنه قد فضل عليهم آدم . وعلم آدم الأسماء كلها ، فقال للملائكة : « أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ، إلى قوله : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، وكان الذي أبدوا حين قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، وكان الذي كتموا بينهم قولهم : « لن يخلق الله خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم » ، فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم^(١) .

وقال ابن زيد بما :-

٦١٤ - حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : لما خلق الله النار ذعرت منها الملائكة ذعراً شديداً ، وقالوا : ربنا لم خلقت هذه النار ؟ ولأى شيء خلقتها ؟ قال : لمن عصاني من خلقي . قال : ولم يكن لله خلق يومئذ إلا الملائكة ، والأرض ليس فيها خلق ، إنما خلق آدم بعد ذلك ، وقرأ قول الله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾ [سورة الإنسان : ١] . قال : قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ليت ذلك الحين^(٢) . ثم قال : قالت الملائكة : يارب ، أو يأتي علينا دهر نعصيك فيه ! - لا يروون له خلقاً غيرهم - قال : لا ، إني أريد أن أخلق في الأرض خلقاً

(١) الأثر : ٦١٣ - هو رواية أخرى للأثر السالف . ولم أجده في المراجع السالفة .
(٢) كلمة عمر رضى الله عنه : « ليت ذلك الحين » ، يعنى ليت الإنسان بقى شيئاً غير مذكور ، طيناً لازباً . يقولها من مخافة عذابه ربه يوم القيامة . وفي الدر المنثور ٦ : ٢٩٧ : « أخرج ابن المبارك ، وأبو عبيد في فضائله ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، عن عمر بن الخطاب : أنه سمع رجلاً يقرأ : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) ، فقال عمر : ليتها تمت » . فهذا في معنى كلمة عمر هنا .

وأجعل فيها خليفة ، يسفكون الدماء ويفسدون في الأرض . فقالت الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ » وقد اخترنا ، فاجعلنا نحن فيها ، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعمل فيها بطاعتك . وأعظمت الملائكة أن يجعل الله في الأرض من يعصيه فقال : « إني أعلم ما لا تعلمون » . « يا آدم أنبهم بأسمائهم » . فقال : فلان وفلان . قال : فلما رأوا ما أعطاه الله من العلم أقروا لآدم بالفضل عليهم ، وأبى الحبيث إبليس أن يقر له ، قال : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » . قال : « فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها » (١) .

وقال ابن إسحق بما : —

٦١٥ — حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق قال : لما أراد الله أن يخلق آدم بقدرته ليبتليه ويبتلي به ، لعلمه بما في ملائكته وجميع خلقه — وكان أول بلاء ابتليت به الملائكة مما لها فيه ما تحب وما تكره ، للبلاء والتمحيص لما فيهم مما لم يعلموا ، وأحاط به علم الله منهم — جمع الملائكة من سكان السموات والأرض ، ثم قال : « إني جاعل في الأرض خليفة » — يقول : ساكناً وعامراً ليسكنها ويعمرها — خلفاً ، ليس منكم (٢) . ثم أخبرهم بعلمه فيهم ، فقال : يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ويعملون بالمعاصي . فقالوا جميعاً : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك »

(١) الأثر : ٦١٤ — سيأتي بعض معناه بهذا الإسناد : (ص ١٧٦ بولاق) . وأما هذا النص ، فقد ذكر السيوطي بعضه ١ : ٤٥ ونسبه لابن جرير فقط . ولم يذكر فيه كلمة عمر ابن الخطاب . وقد أشرنا إلى ورود معناها من وجه آخر ، في الهامشة قبل هذه . وكلمة عمر هنا سبقت مساق الحديث المرفوع ، إذ قال : « يا رسول الله ، ليت ذلك الحين » . فتكون حديثاً مرفوعاً مرسلأ ، بل منقطعاً ، لأن ابن زيد — وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم — لم يدرك إلا بعض التابعين . هذا إلى أنه ضعيف جداً ، كما سبق في : ١٨٥ .

(٢) في المطبوعة : « عامر وساكن يسكنها ويعمرها خلقاً ليس منكم » ، وانظر ما مضى ، رقم : ٦٠٠ ، وانظر تخريجه بعد .

لا نعصى ، ولا نأتى شيئاً كرهته ؟ قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » - قال : إني أعلم فيكم ومنكم ولم يُبدها لهم - من المعصية والفساد وسفك الدماء وإتيان ما أكره منهم ، مما يكون في الأرض ، مما ذكرت في بني آدم . قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ • إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ • إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ • ﴾ [سورة ص : ٦٩ - ٧٢] .

فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم الذي كان من ذكره آدم حين أراد خلقه ، ومراجعة الملائكة إياه فيما ذكر لهم منه . فلما عزم الله تعالى ذكره على خلق آدم قال للملائكة : إني خالقٌ بشرًا من صلصال من حمَلٍ مسنون بيدي - تكمرة له وتعظيماً لأمره وتشريعاً له - حفظت الملائكة عهده ووعوا قوله ، وأجمعوا الطاعة إلا ما كان من عدو الله إبليس ، فإنه صمت على ما كان في نفسه من الحسد والبغى والتكبر والمعصية . وخلق الله آدم من أدمة الأرض ، من طين لازب من حمَلٍ مسنون بيديه ، تكمرة له وتعظيماً لأمره وتشريعاً له على سائر خلقه . قال : ابن إسحق : فيقال ، والله أعلم : خلق الله آدم ثم وضعه ينظر إليه أربعين عاماً قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالاً كالفخار ولم تمسه نار . قال : فيقال ، والله أعلم : إنه لما انتهى الروح إلى رأسه عطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، ووقع الملائكة حين استوى سجدوا له ، حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم ، وطاعة لأمره الذي أمرهم به . وقام عدو الله إبليس من بينهم فلم يسجد ، مكابراً متعظماً بغياً وحسداً . فقال له : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ إلى : ﴿ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة ص ٧٥ - ٨٥] .

قال : فلما فرغ الله من إبليس ومعاذته ، وأبى إلا المعصية ، أوقع عليه اللعنة وأخرجته من الجنة . ثم أقبل على آدم ، وقد علمه الأسماء كلها ، فقال : « يا آدم

أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » - أى ، إنما أجبتك فيما علمتنا ، فأما ما لم تعلمنا فانت أعلم به . فكان ما سمي آدم من شيء ، كان اسمه الذى هو عليه إلى يوم القيامة (١) .
وقال ابن جريج بما : -

٦١٦ - حدثنا به القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : إنما تكلموا بما أعلمهم أنه كائن من خلق آدم ، فقالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؟ وقال بعضهم : إنما قالت الملائكة ١٦٥/١ ما قالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » لأن الله أذن لها في السؤال عن ذلك ، بعد ما أخبرها أن ذلك كائن من بنى آدم . فسأله الملائكة ، فقالت - على التعجب منها - : وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم ؟ فأجابهم ربهم : إني أعلم ما لا تعلمون ، يعنى : أن ذلك كائن منهم - وإن لم تعلموه أنتم - ومن بعض من ترونه لى طائعاً . يعرفهم بذلك قصور علمهم عن علمه (٢) .

وقال بعض أهل العربية : قول الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها » على غير وجه الإنكار منهم على ربهم ، وإنما سأله ليعلموا ، وأخبروا عن أنفسهم أنهم يسبحون . وقال : قالوا ذلك لأنهم كرهوا أن يعصى الله ، لأن الجن قد كانت أمرت قبل ذلك فعصت .

وقال بعضهم : ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك ، فكأنهم قالوا : « يارب خبرنا » ، مسألة استخبار منهم لله ، لا على وجه مسألة التوبيخ . قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بقول الله جل ثناؤه ، مخبراً عن ملائكته قيلها له : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس

(١) الأثر : ٦١٥ - مضى صدره برقم : ٦٠٠ .

(٢) الأثر : ٦١٦ - لم أجده في مكان .

لك ، ، تأويل من قال : إن ذلك منها استخبار لربها ، بمعنى : أعلمنا يا ربنا أجاعل أنت في الأرض من هذه صفته ، وتارك أن تجعل خلفاءك منا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك — لا إنكار منها لما أعلمها ربها أنه فاعل . وإن كانت قد استعظمت لما أخبرت بذلك ، أن يكون لله خلق يعصيه .

وأما دعوى من زعم أن الله جل ثناؤه كان أذن لها بالسؤال عن ذلك فسألته على وجه التعجب ، فدعوى لا دلالة عليها في ظاهر التزيل ، ولا خبر بها من الحجة يقطع العذر . وغير جائز أن يقال في تأويل كتاب الله بما لا دلالة عليه من بعض الوجوه التي تقوم بها الحجة .

وأما وصف الملائكة من وصفت — في استخبارها ربها عنه — بالفساد في الأرض وسفك الدماء ، فغير مستحيل فيه ما روى عن ابن عباس وابن مسعود من القول الذي رواه السدي ، ووافقهما عليه قتادة — من التأويل : وهو أن الله جل ثناؤه أخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة تكون له ذرية يفعلون كذا وكذا ، فقالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، على ما وصفت من الاستخبار .

فإن قال لنا قائل : وما وجه استخبارها ، والأمر على ما وصفت ، من أنها قد أخبرت أن ذلك كائن ؟

قيل : وجه استخبارها حيثئذ يكون عن حالهم عند وقوع ذلك . وهل ذلك منهم ؟ وسألهم ربهم أن يجعلهم الخلفاء في الأرض حتى لا يعصوه . وغير فاسد أيضاً ما رواه الضحاك عن ابن عباس ، وتابعه عليه الربيع بن أنس ، من أن الملائكة قالت ذلك لما كان عندها من علم سكان الأرض — قبل آدم — من الجن ، فقالت لربها : « أجاعل فيها أنت مثلهم من الخلق يفعلون مثل الذي كانوا يفعلون » ؟ على وجه الاستعلام منهم لربهم ، لا على وجه الإيجاب أن ذلك كائن كذلك ، فيكون ذلك منها إخباراً عما لم تطلع عليه من علم الغيب . وغير خطأ أيضاً ما قاله ابن زيد من أن يكون قيل الملائكة ما قالت من ذلك ، على

وجه التعجب منها من أن يكون لله خلقٌ يعصى خالقه .

وإنما تركنا القول بالذي رواه الضحاك عن ابن عباس ، ووافقه عليه الربيع ابن أنس ، وبالذي قاله ابن زيد في تأويل ذلك ، لأنه لا خبر عندنا بالذي قالوه ١٦٦/١ من وجه يقطع مجيئه العذر ، ويلزم سامعته به الحجة . والخبر عما مضى وما قد سلف ، لا يُدرك علم صحته إلا بمجيئه مجيئاً يمتنع معه التشاغب والتواطؤ ، ويستحيل معه الكذب والخطأ والسهو (١) . وليس ذلك بموجود كذلك فيما حكاه الضحاك عن ابن عباس ووافقه عليه الربيع ، ولا فيما قاله ابن زيد .

فأولى التأويلات — إذ كان الأمر كذلك — بالآية ، ما كان عليه من ظاهر التزويل دلالة ، مما يصح مخرجه في المفهوم .

فإن قال قائل : فإن كان أولى التأويلات بالآية هو ما ذكرت ، من أن الله أخبر الملائكة بأن ذرية خليفته في الأرض يفسلون فيها ويسفكون فيها الدماء ، فمن أجل ذلك قالت الملائكة : «أتجعل فيها من يفسد فيها» ، فأين ذكر إخبار الله ليأمرهم في كتابه بذلك ؟

قيل له : اكتفى بدلالة ما قد ظهر من الكلام عليه عنه ، كما قال الشاعر :

فلا تدفِنُونِي، إِنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ خَامِرِي أُمٌّ عَامِرٌ (٢)

فحذف قوله : «دعوني لئى يقال لها عند صيدها» : خامري أم عامر . إذ كان فيها أظهر من كلامه ، دلالة على معنى مراده . فكذاك ذلك في قوله : «قالوا :

(١) في المخطوطة والمطبوعة : «يحتج منه ... ويستحيل منه» ، وليست بشيء . وفي المخطوطة مكان «التشاغب» : «السامر» غير مبينة .

(٢) البيت للشنفرى الأزدى في قصة . شرح الحماسة ٢ : ٢٤-٢٦ ، والأغانى ٢١ : ٨٩ وفي غيرها . ويرى : «لا تقبروني إن قبري» ، «ولكن أبشري» . وقوله «خامري» : أى استقرى ، وأصله من الخمرة (بكسر فسكون) وهو الاستخفاء . ويريدون بذلك دفن الضبع مستخفية ملازمة لمكانها حتى تغالب القنبل فتصيب منه . وأم عامر : كنية الضبع . وذلك ما يقوله لها الصائده حين يريه صيدها ، ينهاها بذلك حتى يتمكن منها ، فيقول لها : «أبشري أم عامر بشيأه هزلي ، وجراد حظلي ، وكمر وجمال قتلي» ، فتسبل الضبع إليه فيصيدها .

« أتجعل فيها من يفسد فيها » ، لما كان فيه دلالة على ما ترك ذكره بعد قوله :
 « إني جاعل في الأرض خليفة » ، من الخبر عما يكون من إفساد ذريته في الأرض ،
 اكتفى بدلالته وحذف ، فترك ذكره كما ذكرنا من قول الشاعر . ونظائر ذلك في
 القرآن وأشعار العرب وكلامها أكثر من أن يحصى . فلما ذكرنا من ذلك ،
 اخترنا ما اخترنا من القول في تأويل قوله : « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
 الدماء » .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
 وَتُقَدِّسُ لَكَ ﴾

قال أبو جعفر : أما قوله : « ونحن نسبح بحمدك » فإنه يعنى : إنا نعظمك
 بالحمد لك والشكر ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [سورة النصر : ٣] ،
 وكما قال : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ (سورة الشورى : ٥) .
 وكل ذكر لله عند العرب فتسبيح وصلاة . يقول الرجل منهم : تَسَبَّحْتُ سُبْحَتِي من
 الذكر والصلاة . وقد قيل : إن التسبيح صلاة الملائكة .

٦١٧ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بأن بي
 المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي ، فرأى
 رجل من المسلمين على رجل من المنافقين ، فقال له : النبي صلى الله عليه وسلم
 يُصَلِّي وأنت جالس ! فقال له : امض إلى عملك إن كان لك عمل . فقال :
 ما أظن إلا سيمر عليك من ينكر عليك . فرأى عليه عمر بن الخطاب فقال :
 له : يا فلان ، النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأنت جالس ! فقال له مثلها ،
 فقال : هذا من عملي . فوثب عليه فضربه حتى انتهى ، ثم دخل المسجد فصلى

مع النبي صلى الله عليه وسلم . فلما انقضى النبي صلى الله عليه وسلم قام إليه عمر فقال : يا نبي الله ، مررت آنفاً على فلان وأنت تُصلي ، فقلت له : النبي صلى الله عليه وسلم يُصلي وأنت جالس ! فقال : سر إلى عملك إن كان لك عمل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فهلاً ضربت عنقه . فقام عمر مسرعاً ، فقال : يا عُمر ارجع فإن غضبك عِزٌّ ، ورضاك حُكْمٌ ، إن لله في السموات السبع ملائكة يصلون ، له غنى عن صلاة فلان . فقال عمر : يا نبي الله ، وما صلاتهم ؟ فلم يرد عليه شيئاً ، فأتاه جبريل فقال : يا نبي الله ! سألك عُمر عن صلاة أهل السماء ؟ قال : نعم . فقال : اقرأ على عمر السلام ، وأخبره أن أهل السماء الدنيا سجدوا إلى ١٦٧/١ يوم القيامة يقولون : « سبحان ذي الملك والملكوت » ، وأهل السماء الثانية ركعوا إلى يوم القيامة يقولون : « سبحان ذي العزة والجبروت » ، وأهل السماء الثالثة قياموا إلى يوم القيامة يقولون : « سبحان الحي الذي لا يموت » (١) .

٦١٨ - قال أبو جعفر : وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، وسهل بن موسى الرازي ، قالا : حدثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا الجُرَيْرِيُّ ، عن أبي عبد الله الجَسْرِيِّ ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عادته - أو أن أبا ذر عاد النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، بأي أنت ، أي الكلام أحب إلى الله ؟ فقال : ما اصطفي الله للملائكة : « سبحان ربي وبحمده ، سبحان ربي وبحمده » (١) .

(١) الحديث : ٦١٧ هو حديث مرفوع ، ولكنه مرسل ، لأن سعيد بن جبير تابعي . وإسناده إليه إسناده جيد . يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي أبو الحسن : ثقة ، مترجم في التهذيب ، وترجمه البخاري في الكبير ٣٩١/٢/٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وفي التهذيب : « قال محمد بن حميد الرازي [وهو شيخ الطبري هنا] : دخلت بغداد ، فاستقبلني أحمد وابن معين ، فسألاني عن أحاديث يعقوب القمي » . جعفر بن أبي المفيرة الخزازي القمي : ثقة ، ترجمه البخاري في الكبير ٢٠٠/٢/١ ، وابن أبي حاتم في المرح ٤٩٠/١/١ - ٤٩١ ، فلم يذكر فيه موطناً . وفي التهذيب أن ابن حبان نقل في الثقات توثيقه عن أحمد بن حنبل . وهذا الحديث بطوله ، رواه أبو نعيم في الحلية ٤ : ٢٧٧ - ٢٧٨ ، من طريق محمد بن حميد - شيخ الطبري - بهذا الإسناد . وذكر السيوطي في الدر المنثور ١ : ٤٦ آخره ، من أول سؤال عمر عن صلاة الملائكة ، ولم ينسبه لغير الطبري وأبي نعيم . (١) الحديث : ٦١٨ - في الدر المنثور ولم ينسبه لابن جرير ، وقال : « أخرج ابن أبي

— في أشكال لما ذكرنا من الأخبار^(١) ، كرهنا إطالة الكتاب باستقصائها .

• • •

وأصلُ التسبيح لله عند العرب : التزيهُ له من إضافة ما ليس من صفاته إليه ، والتبرئة له من ذلك ، كما قال أعشى بني ثعلبة :

أقولُ — لَمَّا جَاءَنِي فخرُهُ — : سُبْحَانَ من عِلْقَمَةِ الْفَآخِرِ^(٢)

يريد : سُبْحَانَ اللَّهِ من فخر علقمة ، أى تزيتهاً لله مما آتى علقمة من الافتخار ، على

وجه النكير منه لذلك .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى التسبيح والتقديس في هذا الموضع ، فقال

بعضهم : قولهم « نسبح بحمدك » : نصلى لك . ذكر من قال ذلك :

٦١٩ — حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن

عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم : « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ، قال : يقولون : نصلى لك .

وقال آخرون : « نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ »^(٣) التسبيح المعلوم . ذكر من قال ذلك :

٦٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر ،

عن قتادة ، في قوله : « ونحن نسبح بحمدك » ، قال : التسبيح التسبيح^(٤) .

شعبة وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي ذر ... ٥ : ١٦١ ، ١٧٦ . وهو في المسند ٥ : ١٤٨

ومسلم ٢ : ٣١٩ ، ٨ : ٨٦ .

(١) في المطبوعة : « في كل أشكال لما ذكرنا ... » ، و « كل » مقحمة هنا بلا شك .

(٢) ديوانه : ١٠٦ ، من قصيدته المشهورة ، التي قالها في هجاء علقمة بن علاثة ، في خبر

متافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل (الأغاني ١٥ : ٥٠ — ٥٦) . وذكر ابن الشجري في أماليه

١ : ٣٤٨ عن أبي الخطاب الأخفش ، قال : « وإنما ترك التنوين في « سبحان » وترك صرفه ،

لأنه صار عندهم معرفة » . وقال في ٢ : ٢٥٠ : « لم يصرفه ، لأن فيه الألف والنون زائدين ،

وأنه علم التسبيح ، فإن نكرته صرفته » . وانظر ص : ٤٩٥ وتعليق رقم : ٣ .

(٣) في الأصول : « نسبح لك » ، والصواب ما أثبتناه ، وهو نص الآية .

(٤) الأثران : ٦١٩ ، ٦٢٠ — في ابن كثير ١ : ١٢٩ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ ،

والشوكاني ١ : ٥٠ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَتَقَدَّسُ لَكَ ﴾

قال أبو جعفر : والتقديس هو التطهير والتعظيم ، ومنه قولهم : « سُبُّوحٌ مُقَدَّسٌ » ، يعنى بقولهم : « سُبُّوحٌ » ، تترىبه الله ، وبقولهم : « مُقَدَّسٌ » ، طهارة له وتعظيم . ولذلك قيل للأرض : « أرضٌ مقدسة » ، يعنى بذلك المطهرة . فعنى قول الملائكة إذا : « ونحن نسبح بحمدك » ، نزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهلُ الشرك بك ، ونصلى لك « ونقدس لك » ، ننسبك إلى ما هو من صفاتك ، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك . وقد قيل : إن تقديس الملائكة لربها صلاتها له . كما : —

٦٢١ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : « ونقدس لك » ، قال : التقديس : الصلاة^(١) . وقال بعضهم : « نقدس لك » : نعظمك ونمجِّدك . ذكر من قال ذلك .
٦٢٢ — حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هاشم بن القاسم ، قال : حدثنا أبو سعيد المؤدب ، قال : حدثنا إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله : « ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك » ، قال : نعظمك ونمجِّدك^(٢) .

٦٢٣ — وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى — وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل — جميعاً عن ابن أبي أنجيد ، عن مجاهد ، في قول الله : « ونقدس لك » ، قال نعظمك ونكبرك^(٣) .

(١) الأثر : ٦٢١ — في ابن كثير ١ : ١٢٩ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ ، والشوكاني

١ : ٥٠ .

(٢) الأثر : ٦٢٢ — في الدر المنثور ١ : ٤٦ .

(٣) الأثر : ٦٢٣ — في ابن كثير ١ : ١٢٩ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ .

٦٢٤- وحديثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق :
« ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ، لا نعصى ولا نأتى شيئاً نكرهه^(١).

٦٢٥- وحديث عن المنجاب ، قال حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ،
في قوله : « ونقدس لك » ، قال : التقديس : التطهير^(٢).

وأما قول من قال : إن التقديس الصلاة أو التعظيم ، فإن معنى قوله ذلك
راجع إلى المعنى الذى ذكرناه من التطهير ، من أجل أن صلاتها لربها تعظيم منها
له ، وتطهير مما ينسبه إليه أهل الكفر به . ولو قال مكان « ونقدس لك »
و « نقدسك » كان فصيحاً من الكلام . وذلك أن العرب تقول : فلان يسبح الله
ويقدسه ، ويسبح لله ويقدس له ، بمعنى واحد . وقد جاء بذلك القرآن ، قال الله
جل ثناؤه : ﴿ كُنِ نُسَبَّحُكَ كَثِيراً وَنَذْكُرُكَ كَثِيراً ﴾ [سورة طه : ٢٢ ، ٢٣] ،
وقال في موضع آخر : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

[سورة الجمعة : ١]

• • •

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يعنى
بقوله : « أعلم ما لا تعلمون » ، مما اطلع عليه من إبليس وإضماره المعصية لله وإخفائه
الكبر ، مما اطلع عليه تبارك وتعالى منه وخفى على ملائكته . ذكر من قال ذلك :

٦٢٦- حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا

بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « إني أعلم

(١) الأثر : ٦٢٤ - في ابن كثير ١ : ١٢٩ .

(٢) الأثر : ٦٢٥ - في ابن كثير ١ : ١٢٩ ، وفي الدر المنثور ١ : ٤٦ : « وأخرج

ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال : التقديس : التطهير » ، ولم ينسبه للضحاك ، ولا لابن جرير .

ما لا تعلمون» ، يقول : إني قد اطلعت من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره^(١) .

٦٢٧- وحدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، يعني من شأن إبليس .

٦٢٨- وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد - وحدثنا محمد ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل - قالاً جميعاً : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها .

٦٢٩- وحدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا سفيان ، عن علي بن بذيمة ، عن مجاهد ، بمثله^(٢) .

٦٣٠- حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن علي ابن بذيمة ، عن مجاهد مثله^(٣) .

٦٣١- وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها^(٤) .

(١) الخبر : ٦٢٦ - لم يذكر في المصادر السالفة . و « بشر بن عمارة » : مضت ترجمته في : ١٣٧ ، وتكرر مراراً ، ولكن مصححو طبعة بولاق قالوا في هذا الموضع : « كذا في النسخ بالتاء ، وتكرر بها فيها كلها . وهو في الخلاصة بدون تاء » !! وهو « عمارة » بالتاء في جميع الكتب والدواوين . والذي في الخلاصة خطأ مطبعي فقط !!

(٢) الأثر : ٦٢٩ - « علي بن بذيمة » ، بفتح الباء الموحدة وكسر الذاًل المعجمة ، وهو ثقة .

(٣) الأثر : ٦٣٠ - « ابن يمان » ، بفتح الياء وتخفيف الميم : هو يحيى بن يمان المجل الكوفي ، وهو صدوق من شيوخ أحمد بن حنبل . و « سفيان » في هذا والذي قبله - هو الثوري .

(٤) الأثر : ٦٣١ - « القاسم بن أبي بزة » ، بفتح الباء الموحدة وتشديد الزاي : ثقة مكي ، قال ابن حبان : « لم يسمع التفسير من مجاهد - أحد غير القاسم ، وكل من يروي عن مجاهد التفسير -

٦٣٢- وحديثي جعفر بن محمد البزوري ، قال : حدثنا حسن بن بشر ، عن حمزة الزيات ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس كتمان الكبر أن لا يسجد لآدم .

٦٣٣- وحديثي محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : - وحديثي المثنى ، قال : حدثنا ، أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل - جميعاً عن ابن أبي نجيع عن مجاهد في قول الله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية .

٦٣٤- وحديثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .

٦٣٥- وحديثي المثنى ، قال : حدثنا سُويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : قال مجاهد في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها ^(١) .

وقال مرة : آدم .

٦٣٦- وحديثي المثنى ، قال : حدثنا ججاج بن المنهال ، قال : حدثنا المعتمر ابن سليمان ، قال سمعت عبد الوهاب بن مجاهد يحدث عن أبيه في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها ، وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها ^(٢) . ١٦٩/١

فإنما أخذه من كتاب القاسم . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٢٢/٢/٣ : « هو القاسم ابن قافع بن أبي بزة ، واسم أبي بزة : يسار » . و « محمد بن عبد الرحمن » الراوى عنه هنا : هو ابن أبي ليلى .

(١) الأثر : ٦٣٥ - ذكره السيوطي ١ : ٤٦ . والشوكاني ١ : ٥٠ . ولكن سقط اسم « مجاهد » ، من الدر المنثور ، خطأ مطبعياً .

(٢) الأثر : ٦٣٦ - أما « مجاهد بن جبر » ، فهو التابعي الكبير ، الثقة الفقيه المفسر . ولكن ابنه « عبد الوهاب بن مجاهد » : ضعيف جداً ، قال أحمد بن حنبل : « لم يسمع من أبيه » ، ليس بشيء ، ضعيف الحديث . وضعفه أيضاً ابن معين وأبو حاتم . ومر عبد الوهاب بسفيان الثوري .

٦٣٧- وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، والثوري ، عن علي بن بديمة ، عن مجاهد في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقها (١) .

٦٣٨- وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : « إني أعلم ما لا تعلمون » . أي فيكم ومنكم ، ولم يُبدِها لهم ، من المعصية والفساد وسفك الدماء . وقال آخرون : معنى ذلك : إني أعلم ما لا تعلمون من أنه يكون من ذلك الخليفة أهل الطاعة والولاية لله . ذكر من قال ذلك :

٦٣٩- حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، فكان في علم الله أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء وُرسل وُقوم صالحون وساكُنو الجنة (٢) .

• • •

وهذا الخبر من الله جل ثناؤه يُنبئ عن أن الملائكة التي قالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، استفظعت أن يكون لله خلق يعصيه ، وعجبت منه إذ أخبرت أن ذلك كائن . فلذلك قال لهم ربهم : « إني أعلم ما لا تعلمون » . يعني بذلك ، والله أعلم : إنكم لتعجبون من أمر الله وتستفظعونه ، وأنا أعلم أنه في بعضكم ، وتصفون أنفسكم بصفة أعلمُ خِلافها من بعضكم ، وتعرضون بأمر قد جعلته لغيركم . وذلك أن الملائكة لما أخبرها ربها بما هو كائن من ذرية خليفته ، من الفساد وسفك الدماء ، قالت لربها : يا رب أجعل أنت في الأرض خليفةً من غيرنا ، يكون من ذريته من يعصيك ، أم منا ، فلما نعظملك

في مسجد الحرام ، فقال سفيان : « هذا كذاب » . وأما هذا الأثر ، بزيادة : « وعلم من آدم الطاعة - ... » - فلم نجده في موضع آخر .

(١) الأثر : ٦٣٧ - هو في معنى الآثار السالفة : ٦٣٣ - ٦٣٥ .

(٢) الأثر : ٦٣٩ - في ابن كثير ١ : ١٣٠ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ ، والشوكاني

١ : ٥٠ . وفي ابن كثير : « في تلك الخليفة » وفي الدر المنثور : « من تلك الخليفة » وفي الشوكاني : « سيكون من الخليفة » : وجميعها بالقف ، وهو خطأ ، والصواب ما في نص الطبري .

ونصلي لك ونطيعك ولا نعصيك؟ - ولم يكن عندها علم بما قد انطوى عليه كشحاً
إبليس من استكباره على ربه - فقال لهم ربهم : إني أعلم غير الذي تقولون من
بعضكم . وذلك هو ما كان مستوراً عنهم من أمر إبليس ، وانطوائه على ما قد
كان انطوى عليه من الكبر . وعلى قبيحهم ذلك ، ووصفهم أنفسهم بالعموم من
الوصف ، عوتبوا .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ ﴾

٦٤٠ - حدثنا محمد بن جرير ، قال : حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا
يعقوب القُصَمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ،
قال : بعث ربُّ العزة ملك الموت فأخذ من أديم الأرض ، من عذْبها ومالحها ،
فخلق منه آدم . ومن ثمَّ سُمي آدم . لأنه نُخلق من أديم الأرض ^(١) .

٦٤١ - وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا
عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، بن جده ، عن علي ، قال : إن آدم نُخلق من
أديم الأرض ، فيه الطيب والصالح والردى ، فكل ذلك أنت راء في ولده ، الصالح
والردى ^(٢) .

(١) الخبر : ٦٤٠ - هذا إسناد صحيح . ورواه الطبري في التاريخ أيضاً ١ : ٤٦ ،
بهذا الإسناد ، بزيادة في آخره . ولكن فيه : « بعث رب العزة إبليس » بدل « ملك الموت » . وهذا
هو الصواب الموافق لسائر الروايات ، فلعل ما هنا تحريف قديم من النسخين . وكذلك رواه ابن سعد
في الطبقات ٦/١/١ ، عن حسين بن حسن الأشقر ، عن يعقوب بن عبد الله القمي ، بهذا الإسناد .
وكذلك نقله السيوطي ١ : ٤٧ ، مطولاً ، عن ابن سعد ، والطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر .

(٢) الخبر : ٦٤١ - رواه الطبري في التاريخ ١ : ٤٦ ، بهذا الإسناد . وذكره السيوطي
١ : ٤٧ ، منسوباً للطبري وحده ، ولم أجده عند غيره . وإسناده ضعيف جداً . عمرو بن ثابت :
هو ابن أبي المقدام الحداد ، ضعيف جداً ، قال ابن معين : « ليس بثقة ولا مأمون » . وأما أبوه
« ثابت بن هرمز أبو المقدام » ، فإنه ثقة . ويزيد هذا الإسناد ضعفاً وإشكالا - قوله فيه : « عن
جده » ! فإن ترجمة ثابت في المراجع كلها ليس فيها أنه يروي عن أبيه « هرمز » . ثم لا نجد لهرمز
هذا ذكراً ولا ترجمة ، فما أدري من هذا ؟

٦٤٢ - حدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال حدثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : «خلق آدم من أديم الأرض ، فسمى آدم .»

٦٤٣ - وحدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : «إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض^(١) .»

٦٤٤ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : «أن ملك الموت لما بُعث ليأخذ من الأرض تربة آدم ، أخذ من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين . ولذلك سمي آدم ، لأنه أخذ من أديم الأرض^(٢) .»

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يحقق ما قال من حكينا قوله في معنى آدم . وذلك ما - :

٦٤٥ - حدثني به يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن عوف - وحدثنا محمد بن بشار ، وعمر بن شبة - قالوا : حدثنا يحيى بن سعيد - قال : حدثنا عوف - وحدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، ومحمد بن جعفر ، وعبد الوهاب الثقفي ، قالوا حدثنا عوف - حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال : حدثنا عنبة - عن عوف الأعرابي ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء

(١) الأثران : ٦٤٢ ، ٦٤٣ - رواهما الطبري في التاريخ أيضاً ١ : ٤٦ ، بهذين الإسنادين . وذكره بنحوه السيوطي ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ . و «أبر حصين» ، فيها : بفتح الحاء وكسر الصاد المهملتين ، وهو : عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي ، ثقة ثبت صاحب سنة .

(٢) الخبر : ٦٤٤ - مضى ضمن خبر مطول ، بهذا الإسناد : ٦٠٧ .

بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك ،
والسهل والحزن ، والحديث والطيب (١) .

فعلى التأويل الذى تأول « آدم » من تأوله ، بمعنى أنه نُخلق من أديم الأرض ، يجب
أن يكون أصل « آدم » فعلاً سُمي به أبو البشر ، كما سُمي « أحمد » بالفعل من الإحماد ،
و « أسعد » من الإسعاد ، فلذلك لم يُجَرَّ . ويكون تأويله حينئذ : آدم المَلَكُ
الأرضى ، يعنى به بلغ آدمتها - وأدامتها : وجهها الظاهر لرأى العين ، كما أن
جلدة كل ذى جلدة له أدمة . ومن ذلك سُمي الإدام إداماً ، لأنه صار كالجلدة
العليا مما هي منه - ثم نقل من الفعل فجعل اسماً للشخص بعينه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الأسماء التى علمها آدم ثم عرضها
على الملائكة ، فقال ابن عباس ما - :

٦٤٦- حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال :

حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال :

علم الله آدم الأسماء كلها ، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان
ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها (٢) .

(١) الحديث : ٦٤٥ - هو حديث صحيح . ورواه أحمد فى المسند ٤ : ٤٠٠ ، ٤٠٦ ،
(حلبى) ، وابن سعد فى الطبقات ١/١/٥ - ٦ ، وأبوداود : ٤٦٩٣ ، والترمذى ٤ : ٦٧-٦٨ ،
والحاكم ٢ : ٢٦١ - ٢٦٢ ، كلهم من طريق عوف بن أبى جميلة الأعرابى ، عن قسامة بن زهير ،
به . قال الترمذى : « حسن صحيح » . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه
الذهبى ، وذكره السيوطى ١ : ٤٦ ، ونسبه لهؤلاء ، ولعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ،
وغيرهم . ورواه أيضاً الطبرى فى التاريخ ١ : ٤٦ ، بهذه الأسانيد التى هنا ، بزيادة فى آخره .
(٢) الخبر : ٦٤٦ - فى ابن كثير ١ : ١٣٢ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكافى
١ : ٥٢ وقد مضى برقم : ٦٠٦ ، مطولا .

٦٤٧- وحدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : علمه اسم كل شيء .

٦٤٨- وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : علمه اسم كل شيء ^(١) .

٦٤٩- وحدثنا علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم الجرمي ، عن محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : علمه اسم الغراب والحمامة واسم كل شيء ^(٢) .

٦٥٠- وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الألفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : علمه اسم كل شيء ، حتى البعير والبقرة والشاة ^(٣) .

٦٥١- وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن شريك ، عن عاصم ابن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس ، قال : علمه اسم القصعة والفسوة والفسية ^(٤) .

٦٥٢- وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا شريك ،

(١) الأثران : ٦٤٧ ، ٦٤٨ - في الدر المنثور ١ : ٤٩ ، وكأنهما اختصار لما بعدهما .

(٢) الأثر : ٦٤٩ - لم أجده بنصه ولعله مطول الذي قبله ، وانظر ما سيأتي رقم : ٦٦٦ .

و « مسلم الجرمي » : ثبت في الأصول بالحاء . وقد مضى في : ١٥٤ ترجيحنا أنه بالجيم .

(٣) الأثر : ٦٥٠ - في الدر المنثور ١ : ٤٩ .

(٤) الخبر : ٦٥١ - سعيد بن معبد : تابعي ، يروي عن ابن عباس ، لم أجده له ترجمة

إلا في التاريخ الكبير للبخاري ١/٢ : ٤٦٨ ، والجرح لابن أبي حاتم ١/٢ : ٦٣ . وكلاهما ذكر أنه يروي عن ابن عباس ، ويروي عنه : القاسم بن أبي بزة . فجاءنا الطبري بفائدة زائدة ، في هذا الإسناد ، وفي الإسناد : ٦٥٣ : أنه يروي عنه أيضاً عاصم بن كليب . وهذا الخبر ذكره بنحوه : ابن كثير ١ : ١٣٢ ، والسيروطي ١ : ٤٩ . ونسبناه أيضاً لابن أبي حاتم . وهذا الخبر والثلاثة بعده ، متقاربة المعنى ، هي روايات لخبر واحد .

عن عاصم بن كليب ، عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : حتى الفسوة والفسية .

٦٥٣- حدثنا علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن قيس ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس في قول الله : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : علمه اسم كل شيء حتى الهنة والهنية والفسوة والفسرة .

٦٥٤- وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا علي بن مسهر ، عن عاصم بن كليب ، قال : قال ابن عباس : علمه القصعة من القصعة والفسوة من الفسية (١) .

٦٥٥- وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » حتى بلغ « إنك أنت العليم الحكيم » قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فأنبا كل صنف من الخلق باسمه ، وألجأه إلى جنسه (٢) .

٦٥٦- وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : علمه اسم كل شيء ، هذا جبل ، وهذا بحر ، وهذا كذا وهذا كذا ، لكل شيء . ثم عرض تلك الأشياء على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣) .

٦٥٧- وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن جرير بن حازم - ومبارك ، عن الحسن - وأبي بكر عن الحسن وقاتادة ،

(١) الخبر : ٦٥٤ - عاصم بن كليب الجري : ثقة يحتاج به . ولكنه إنما يروى عن التابعين ، فروايته عن ابن عباس هنا منقطعة . وقد دللتنا الأسانيد الثلاثة الماضية على أنه إنما روى هذا المعنى عن سعيد بن معبد ، وعن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس .

(٢) الأثر : ٦٥٥ - في الدر المنثور ١ : ٤٩ ، بغير هذا اللفظ . وانظر رقم : ٦٩٧ .

(٣) الأثر : ٦٥٦ - في ابن كثير ١ : ١٣٣ مختصراً ، وفي الدر المنثور ١ : ٤٩ مطولاً وفي ابن كثير : « ثم عرض تلك الأسماء » .

قالا : علمه اسم كل شيء : هذه الخيل ، وهذه البغال والإبل والجن والوحش ، وجعل يسمى كل شيء باسمه^(١).

٦٥٨- وُحِدْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،

عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : اسْمُ كُلِّ شَيْءٍ^(٢).

وَقَالَ آخَرُونَ : عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، أَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ . ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ :

٦٥٩- حَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،

عَنْ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » ، قَالَ : أَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ^(٣).

وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا عَمِلَهُ أَسْمَاءُ ذُرِّيَّتِهِ كُلَّهَا . ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ :

٦٦٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ :

أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » ، قَالَ : أَسْمَاءُ ذُرِّيَّتِهِ أَجْمَعِينَ^(٤).

• • •

وَأَوَّلَى هَذِهِ الْأَقْوَالُ بِالصَّوَابِ ، وَأَشْبَهَهَا بِمَا دَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ ظَاهِرُ التَّلَاوَةِ ، قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي قَوْلِهِ : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » أَنَّهَا أَسْمَاءُ ذُرِّيَّتِهِ وَأَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ ، دُونَ أَسْمَاءِ سَائِرِ أَجْنَاسِ الْخَلْقِ . وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ : « ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ » ، يَعْنِي بِذَلِكَ أَعْيَانَ الْمُسَمَّيْنَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي عَلَّمَهَا آدَمَ . وَلَا تَكَادُ الْعَرَبُ تَكْنِي بِالْهَاءِ وَالْمِيمِ إِلَّا عَنْ أَسْمَاءِ بَنِي آدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ . وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَنْ أَسْمَاءِ الْبِهَائِمِ وَسَائِرِ الْخَلْقِ سِوَى مَنْ وَصَفْنَاهَا ، فَلِإِنِّهَا تَكْنِي عَنْهَا بِالْهَاءِ وَالْأَلْفِ أَوْ بِالْهَاءِ وَالنُّونِ ، فَقَالَتْ : « عَرَضَهُنَّ » أَوْ « عَرَضَهَا » ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ إِذَا كُنْتَ عَنْ أَصْنَافٍ

(١) الأثر : ٦٥٧ - فِي ابْنِ كَثِيرٍ ١ : ١٣٣ بغير هذا اللفظ مختصراً ، وفي الدر المنثور

١ : ٤٩ ، وسيأتي كما جاء فيهما برقم : ٦٦٧ .

(٢) الأثر : ٦٥٨ - لم أجده .

(٣) الأثر : ٦٥٩ - فِي ابْنِ كَثِيرٍ ١ : ١٣٢ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

(٤) الأثر : ٦٦٠ - فِي ابْنِ كَثِيرٍ ١ : ١٣٢ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني

من الخلق كالبهائم والطير وسائر أصناف الأمم وفيها أسماءُ بني آدم والملائكة ،
فلما تكنى عنها بما وصفنا من الهاء والنون أو الهاء والألف . وربما كنت عنها ،
إذا كان كذلك ^(١) ، بالهاء والميم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ
مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن
يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ [سورة النور : ٤٥] ، فكنى عنها بالهاء والميم ، وهي أصناف مختلفة
فيها الآدمي وغيره . وذلك ، وإن كان جائزاً ، فإن الغالب المستفيض في كلام
العرب ما وصفنا ، من إخراجهم كنايةً أسماء أجناس الأمم — إذا اختلطت —
بالحاء والألف أو الهاء والنون . فلذلك قلتُ : أولى بتأويل الآية أن تكون الأسماء
التي علمها آدم أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة ، وإن كان ما قال ابن عباس
جائزاً على مثال ما جاء في كتاب الله من قوله : « وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ
مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ » الآية . وقد ذكر أنها في حرف ابن مسعود : « ثُمَّ عَرَضَهُنَّ » ،
وأنها في حرف أبيّ : « ثُمَّ عَرَضَهَا » ^(٢) . ولعل ابن عباس تأول ما تأول من قوله :
علمه اسم كل شيء حتى الفسوة والفسية ، على قراءة أبيّ ، فإنه فيما بلغنا كان يقرأ
قراءة أبيّ . وتأويل ابن عباس — على ما حكى عن أبيّ من قراءته — غير مستنكر ،
بل هو صحيح مستفيض في كلام العرب ، على نحو ما تقدم وصفي ذلك .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾

قال أبو جعفر : قد تقدم ذكرنا التأويل الذي هو أولى بالآية ، على قراءتنا
ورسم مصحفنا ، وأن قوله : « ثُمَّ عَرَضَهُمْ » ، بالدلالة على بني آدم والملائكة ،

(١) في المطبعة : « إذ كان ... » وهو خطأ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١ : ١٣٢ في التوقيف على كلام الطبري .

أولى منه بالدلالة على أجناس الخلق كلها ، وإن كان غير فاسد أن يكون دالاً على جميع أصناف الأمم ، للعلل التي وصفنا .

١٧٢/١

ويعنى جل ثناؤه بقوله : « ثم عَرَضَهُمْ » ، ثم عَرَضَ أهل الأسماء على الملائكة .

* * *

وقد اختلف المفسرون في تأويل قوله : « ثم عَرَضَهُمْ على الملائكة » نحو اختلافهم في قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » . وسأذكر قول من انتهى إلينا عنه فيه قول .

٦٦١ - حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ثم عَرَضَهُمْ على الملائكة » ، ثم عرض هذه الأسماء ، يعنى أسماء جميع الأشياء ، التي علمها آدم من أصناف جميع الخلق ^(١) .

٦٦٢ - وحدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ثم عرضهم » ، ثم عرض الخلق على الملائكة ^(٢) .

٦٦٣ - وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أسماء ذريته كلها ، أخذهم من ظهره . قال : ثم عرضهم على الملائكة ^(٣) .

٦٦٤ - وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ثم عرضهم » ، قال : علمه اسم كل شيء ، ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة ^(٤) .

(١) الخبر : ٦٦١ - هو من تمام الآثار السالفة قريباً .

(٢) الخبر : ٦٦٢ - مختصر من الخبر الطويل الماضي قريباً ، وفي ابن كثير ١ : ١٣٢ .

(٣) الأثر : ٦٦٣ - في الدر المنثور ١ : ٤٩ .

(٤) الأثر : ٦٦٤ - مختصر أثر سلف بإسناده هذا ، وفي ابن كثير ١ : ١٣٣ .

٦٦٥ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ثم عرضهم » ، عرض أصحاب الأسماء على الملائكة ^(١) .
 ٦٦٦ - وحدثنا علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم ، قال : حدثنا محمد ابن مصعب ، عن قيس ، عن خصيف ، عن مجاهد : « ثم عرضهم على الملائكة » ، يعني عرض الأسماء ، الحمامة والغراب ^(٢) .

٦٦٧ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن جرير بن حازم - ومبارك عن الحسن - وأبي بكر عن الحسن وقتادة - قالوا : علمه اسم كل شيء : هذه الخيل ، وهذه البغال ، وما أشبه ذلك . وجعل يُسمى كل شيء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة ^(٣) .

القول في تأويل قوله : ﴿ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله « أنبئوني » : أخبروني ، كما : -

٦٦٨ - حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان ، قال : حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « أنبئوني » ، يقول : أخبروني بأسماء هؤلاء ^(٤) .

ومنه قول نابغة بني ذبيان :

(١) الأثر : ٦٦٥ - في ابن كثير : ١ : ١٣٣ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

(٢) الأثر : ٦٦٦ - في ابن كثير ١ : ١٣٤ ، وانظر ما مضى قريباً بإسناده .

(٣) الأثر : ٦٦٧ - انظر ما مضى رقم : ٦٥٧ وابن كثير ١ : ١٣٣ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ .

(٤) الخبر : ٦٦٨ - مختصر من الخبر رقم : ٦٠٦ .

وَأَسْمَاءُ الْمُنْبِيِّ أَنْ حَيًّا حُلُولٌ مِنْ حَرَامٍ أَوْ جُذَامٍ^(١)

يعنى بقوله : « أنباء » : أخبره وأعلمه .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ذكره : ﴿ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾

قال أبو جعفر :

٦٦٩ - حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال حدثنا عيسى -

وحدثنا المنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي
نجيح ، عن مجاهد فى قوله الله : « بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ » ، قال : بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الَّتِي حَدَّثَتْ
بِهَا آدَمَ .

٦٧٠ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد : « أَنْبَأْنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » يقول : بِأَسْمَاءِ
هَؤُلَاءِ الَّتِي حَدَّثَتْ بِهَا آدَمَ^(٢)

• • •

(١) ديوانه : ٨٧ من قصيدة له ، فى عمرو بن هند ، وكان غزا الشام بعد قتل المنذر أبيه .
وقال أبو عبيدة : هذه القصيدة لعمرو بن الحارث الغساني فى غزوة العراق . ورواية الديوان :
« أَنْ حَيًّا حُلُولًا » بالنصب ، صفة « حَيًّا » وهى الرواية الجيدة . وخبر « أَنْ » محذوف ، كأنه
يقول : قد تألبوا يترصدون لك . وحذفه للتحويل فى شأن اجتماعهم وترصدهم . والبيت الذى يليه
دال على ذلك ، وهو قوله :

وَأَنْ الْقَوْمَ نَصَرُهُمْ جَمِيعٌ فَنَامَ مُجْلِبُونَ إِلَى فَنَامَ

ورواية الرفع ، لا بأس بها ، وإن كنت لا أستجيدها . وقوله : « حَرَامٍ » كأنه يعنى بنى حرام
ابن ضمة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد هذيم . أو كأنه يعنى بنى حرام بن جذام بن عدى بن الحارث
ابن مرة بن أدد بن زيد . ودار جذام جبال حسمى ، وأرضها بين أيلة وجانب تيه بنى إسرائيل الذى
يل أيلة ، وبين أرض بنى عذرة من ظهر حرة نهيل (معجم البلدان : حسمى) . فن أجل أن بنى
عذرة هذه ديارهم قريبة من جذام ، شككت فيمن عنى النابغة بنى حرام فى هذا البيت .

(٢) الأثران : ٦٦٩ ، ٦٧٠ - لم أجدهما فى مكان .

القول في تأويل قوله تعالى ذكره: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في ذلك :

٦٧١ - فحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا

بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » ،
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لِمَ أَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ^(١) .

٦٧٢ - وحدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا ١٧٣/١

أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن
عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم : « إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » أَنْ بَنَى آدَمُ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ ^(٢) .

٦٧٣ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ،
عن جرير بن حازم - ومبارك عن الحسن - وأبي بكر عن الحسن وقتادة - قالوا :
« أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » أَنِّي لَمْ أَخْلُقْ خَلْقًا إِلَّا كُنْتُمْ أَعْلَمَ مِنْهُ ،
فَأَخْبِرُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٣) .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، تأويل ابن عباس ومن قال
بقوله . ومعنى ذلك : فقال أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيتها الملائكة - القائلون :
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا ، أَمْ مِنْنا ، فنحن نسبح بحمدك

(١) الخبر : ٦٧١ - مختصر من الخبر السالف رقم ٦٠٦ ، وانظر التعليق ، هناك على
هذه الفقرة . وانظر الشوكاني ١ : ٥٢ .

(٢) الخبر : ٦٧٢ - مختصر من الخبر السالف رقم ٦٠٧ ، وابن كثير ١ : ١٣٣ ،
والدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

(٣) الأثر : ٦٧٣ - مختصر من الأثر السالف رقم ٦١١ ، وابن كثير ١ : ١٣٣ .

ونقدس لك ؟ إن كنتم صادقين في قيلكم أنى إن جعلت خليفتى فى الأرض من غيركم عصيانى ذريته وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وإن جعلتكم فيها أتعلمونى وتتبعتم أمرى بالتعظيم لى والتقديس . فإنكم إن كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضتكم عليكم من خلقى ، وهم مخلوقون موجودون تروهم وتعاينونهم ، وعلمه غيركم بتعليمى إياه ، فإنتم = بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التى لم توجد بعد ، وبما هو مستتر من الأمور - التى هى موجودة - عن أعينكم = أخرى أن تكونوا غير عالمين . فلا تسألونى ما ليس لكم به علم ، فإنى أعلم بما يصلحكم ويصلح خلقى .

وهذا الفعل من الله جل ثناؤه بملائكته - الذين قالوا له : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، من جهة عتابه جل ذكره إياهم - نظير قوله جل جلاله لنبيه نوح صلوات الله عليه إذ قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَبْنِي مِنْ أَهْلِ وَإِنْ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٥] - : لَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ^(١) . فكذلك الملائكة سألت ربها أن تكون خلفاءه فى الأرض ليسبحوه ويقدسوه فيها ، إذ كان ذرية من أخبرهم أنه جاعله فى الأرض خليفة ، يفسدون فيها ويسفكون الدماء ، فقال لهم جل ذكره : « إني أعلم ما لا تعلمون » . يعنى بذلك : إني أعلم أن بعضكم فاتح المعاصى وخاتمها ، وهو إبليس ، منكراً بذلك تعالى ذكره قولهم . ثم عرفهم موضع هفوتهم فى قيلهم ما قالوا من ذلك ، بتعريفهم قصور علمهم عما هم له شاهدون عياناً ، - فكيف بما لم يروه ولم يُخبروا عنه ؟ - بعرضه ما عرض عليهم من خلقه الموجودين يومئذ ، وقيله لهم : « أنبئوني

(١) فى المطبوعة : « وأنت أحكم الحاكمين فلا تسألن » ، وهو خطأ فاحش ، فإن الآية التى قل قوله : « وأنت أحكم الحاكمين » : « قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ... » ، ولم يرد الطبرى أن يسوق الآيتين ، بل ساق قول الله سبحانه لنبيه حين قال ما قال . والصواب ما فى المخطوطة كما أثبتناه .

بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين « أنكم إن استخلفتكم في أرضي سبّحتموني وقدستموني ، وإن استخلفت فيها غيركم عصّاني ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء . فلما اتضح لهم موضع خطأ قيلهم ، وبدت لهم هفوة زلتهم ، أنابوا إلى الله بالتوبة فقالوا : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا » ، فسارعوا الرجعة من الهفوة ، وبادروا الإنابة من الزلة ، كما قال نوح - حين عوّب في مسئلته فقبل له : لا تسألن ما ليس لك به علم^(١) - : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٧] . وكذلك فعل كل مسدّد للحقّ موفق له - سريعة إلى الحقّ إنابته ، قريبة إليه أوبته .

• • •

وقد زعم بعض نحويّ أهل البصرة أن قوله : « أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ، لم يكن ذلك لأن الملائكة ادّعوا شيئاً ، إنما أخبر الله عن جهلهم بعلم الغيب ، وعلمه بذلك وفضله ، فقال : « أنبئوني إن كنتم صادقين » - كما يقول الرجل للرجل : « أنبئني بهذا إن كنت تعلم » . وهو يعلم أنه لا يعلم ، يريد أنه جاهل^١ .

وهذا قول إذا تدبره متدبر ، علم أن بعضه مُفسدٌ بعضاً . وذلك أن قائله زعم أن الله جل ثناؤه قال للملائكة - إذ عرض عليهم أهل الأسماء - : أنبئوني بأسماء هؤلاء ، وهو يعلم أنهم لا يعلمون ، ولا هم ادّعوا علم شيء . يوجب أن يُوبّخوا بهذا القول .

وزعم أن قوله : « إن كنتم صادقين » نظير قول الرجل للرجل : « أنبئني بهذا إن كنت تعلم » . وهو يعلم أنه لا يعلم ، يريد أنه جاهل .

ولاشك أن معنى قوله : « إن كنتم صادقين » إنما هو : إن كنتم صادقين ، إما في قولكم ، وإما في فعلكم . لأن الصدق في كلام العرب ، إنما هو صدق في الخبر لا في

(١) في المطبوعة هنا أيضاً : « فلا تسألن » .

العلم . وذلك أنه غير معقول في لغة من اللغات أن يقال : صدق الرجل بمعنى علم . فإذا كان ذلك كذلك ، فقد وجب أن يكون الله جل ثناؤه قال للملائكة — على تأويل قول هذا الذي حكينا قوله في هذه الآية — : « أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » وهو يعلم أنهم غيرُ صادقين ، يريد بذلك أنهم كاذبون . وذلك هو عين ما أنكره ، لأنه زعم أن الملائكة لم تدع شيئاً ، فكيف جاز أن يقال لهم : إن كنتم صادقين ، فأنبئوني بأسماء هؤلاء ؟ هذا مع خروج هذا القول — الذي حكيناه عن صاحبه — من أقوال جميع المتقدمين والمتأخرين من أهل التأويل والتفسير .

وقد حكي عن بعض أهل التفسير أنه كان يتأول قوله : « إن كنتم صادقين » بمعنى : إذ كنتم صادقين .

ولو كانت « إن » بمعنى « إذ » في هذا الموضع ، لوجب أن تكون قراءتها بفتح ألفها ، لأن « إذ » إذا تقدمها فعل مُستقبل صارت علة للفعل وسبباً له . وذلك كقول القائل : « أقوم إذ قمت » . فعناه أقوم من أجل أنك قمت . والأمرُ بمعنى الاستقبال ، فعنى الكلام — لو كانت « إن » بمعنى « إذ » — : أنبئوني بأسماء هؤلاء من أجل أنكم صادقون . فإذا وُضعت « إن » مكان ذلك قيل : أنبئوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين ، مفتوحة الألف . وفي إجماع جميع قراء أهل الإسلام على كسر الألف من « إن » ، دليل واضح على خطأ تأويل من تأول « إن » بمعنى « إذ » في هذا الموضع

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا

إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته ، بالأوبة إليه ، وتسليم علم ما لم يعلموه له ، وتبرئهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئاً إلا ما علمه تعالى ذكره .

وفي هذه الآيات الثلاث العبرة لمن اعتبر ، والذكرى لمن اذكر ، والبيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، عما أودع الله جل ثناؤه آى هذا القرآن من لطائف الحكم التى تعجز عن أوصافها الألسن .

وذلك : أن الله جل ثناؤه احتج فيها لنبه صلى الله عليه وسلم على من كان بين ظهرانيه من يهود بنى إسرائيل ، بإطلاعه إياه من علوم الغيب التى لم يكن جل ثناؤه أطلع عليها من خلقه إلا خاصاً ، ولم يكن مدرّكاً علمه إلا بالإنباء والإخبار ، لتتقرر عندهم صحة نبوته ، ويعلموا أن ما أتاهم به فن عنده . ودل فيها على أن كل مخبر خبراً عما قد كان - أو عما هو كائن مما لم يكن ، ولم يأت به خبر ، ولم يوضع له على صحته برهان ، - فتقول " ما يستوجب به من ربه العقوبة . ألا ترى أن الله جل ذكره ردّ على ملائكته قيلهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » قال : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، وعرفهم أن قيل ذلك لم يكن جائزاً لهم ، بما عرفهم من قصور علمهم عند عرضه ما عرض عليهم من أهل الأسماء ، فقال : « أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » . فلم يكن لهم مفرّج إلا الإقرار بالعجز ، والتبرئ إليه أن يعلموا إلا ما علمهم ، بقولهم : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا » . فكان فى ذلك أوضح الدلالة وأبين الحجة ، على كذب مقالة كل من ادعى شيئاً من علوم الغيب من الحزاة والكهنة والعافّة والمنجّمة^(١) . وذكر بها الذين ١٧٥/١

(١) الحزاة جمع حاز : وهو كالكاهن ، يحزر الأشياء ويقدرها بظنه . ويقال للذى ينظر فى النجوم ويتكهن حاز وحزاء ، وفى حديث هرقل أنه « كان حزاء » ، وفى الحديث : « كان لفرعون حاز » ، أى كاهن . والكهنة جمع كاهن : وهو الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار . وفى المطبعة « والثقافة » مكان « والعافّة » ، وهو خطأ بين ، فالقيافة ليست بما أراد الطبرى فى شيء ، وهى حق ، لا باطل كباطل التحزى والكهانة والتنجيم . والعافّة جمع عائف : وهو الذى يعيف الطير فيزجرها ويتفاهل أو يتشام بأسمائها وأصواتها وممرها . واسم حرفته : العيافة ، وفى الحديث : « العيافة والطرق من الحبث » . وهو ضرب من الكهانة . والمنجم والمنجّم : الذى ينظر فى النجوم يحسب مواقيتها وسيرها ، ثم يربط بين ذلك وبين أحوال الدنيا والناس ، فيقول بالظن فى غيب أمورهم .

وَصَفْنَا أَمْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ - سَوَّاهُ نَعْمَهُ عَلَى آبَائِهِمْ ، وَأَيَادِيَهُ عِنْدَ أَسْلَافِهِمْ ،
عِنْدَ إِيْنَابَتِهِمْ إِلَيْهِ ، وَإِقْبَالِهِمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، مُسْتَعِظْفَهُمْ بِذَلِكَ إِلَى الرِّشَادِ ، وَمُسْتَعْتَبِيَهُمْ
بِهِ إِلَى النِّجَاةِ . وَحَذَّرَهُمْ - بِالْإِصْرَارِ وَالتَّمَادِي فِي الْبَغْيِ وَالضَّلَالِ - حُلُولَ الْعِقَابِ
بِهِمْ ، نَظِيرَ مَا أَحْلَى بَعْدُوهُ إِبْلِيسَ ، إِذْ تَمَادَى فِي الْغِيِّ وَالْخَسَارِ (١) .

• • •

قال : وأما تأويل قوله : « سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا » ، فهو كما : -
٦٧٤ - حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو كَرِيبَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ :
حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ عَمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : « قَالُوا
سُبْحَانَكَ » تَتْرِيهًا لِلَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ ، تُبْنِي إِيْلَيْكَ « لَا عِلْمَ لَنَا
إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا » ، تَبْرِيًّا مِنْهُمْ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ ، « إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا » كَمَا عَلَّمْتَ آدَمَ (٢) .

• • •

وَسُبْحَانَ مَصْدَرٍ لَا تَصْرُفُ لَهُ (٣) . وَمَعْنَاهُ : نَسْبُحُكَ ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا : نَسْبُحُكَ
تَسْبِيحًا ، وَنَتَرَهَكَ تَتْرِيًّا ، وَنَبْرَتُكَ مِنْ أَنْ نَعْلَمَ شَيْئًا غَيْرَ مَا عَلَّمْتَنَا .

• • •

القول في تأويل قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : أَنْكَ أَنْتَ يَا رَبَّنَا الْعَلِيمُ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ بِجَمِيعِ
مَا قَدْ كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنْ ، وَالْعَالَمِ لِلْغُيُوبِ دُونَ جَمِيعِ خَلْقِكَ . وَذَلِكَ أَنََّّهُمْ نَفَّوْا
عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِمْ : « لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا » ، أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عِلْمٌ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ
رَبُّهُمْ ، وَأَثْبَتُوا مَا نَفَّوْا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ ذَلِكَ لِرَبِّهِمْ بِقَوْلِهِمْ : « إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ » ،

(١) في المطبوعة : « فِي الْبَغْيِ وَالْخَسَارِ » ، وَالصَّوَابُ مَا فِي الْمَخْطُوطَةِ .

(٢) الخبر : ٦٧٤ - مختصر من الخبر رقم : ٦٠٦ . وفي المطبوعة هنا « تَبْرِيًّا مِنْهُمْ » .

(٣) انظر ما مضى : ص ٤٧٤ التعليق رقم : ٣ .

يعنون بذلك العالم من غير تعليم ، إذ كان مَنْ سَوَّاهُ لا يعلم شيئاً إلا بتعليم غيره إياه . والحكيم : هو ذو الحكمة . كما : —

٦٧٥ — حدثني به المشي ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « العليم » الذي قد كمل في علمه ، و « الحكيم » الذي قد كمل في حكمه (١) .

وقد قيل ، إن معنى الحكيم : الحاكم ، كما أن العليم بمعنى العالم ، والخبير بمعنى الخابر .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُكُمْ أَنْبِيَاكُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال أبو جعفر : إن الله جل ثناؤه عَرَفَ ملائكته — الذين سألوه أن يجعلهم الخلفاء في الأرض ، ووصفوا أنفسهم بطاعته والخضوع لأمره ، دون غيرهم الذين يفسدون فيها ويسفكون الدماء — أنهم ، من الجهل بمواقع تدبيره ومحل قضائه قبل إطلاعه إياهم عليه ، على نحو جهلهم بأسماء الذين عَرَضَهُمْ عليهم ، إذ كان ذلك مما لم يعلمهم فيعلموه ، وأنهم وغيرهم من العباد لا يعلمون من العلم إلا ما علمهم إياه ربهم ، وأنه يخص بما شاء من العلم مَنْ شَاءَ من الخلق ، ويمنعه منهم من شاء ، كما علم آدم أسماء ما عَرَضَ على الملائكة ، ومنعهم علمها إلا بعد تعليمه إياهم .

فأما تأويل قوله : « قال يا آدم أنبئهم » ، يقول : أخبر الملائكة ، والهاء والميم في قوله « أنبئهم » عائدتان على الملائكة . وقوله : « بأسمائهم » يعني بأسماء الذين عَرَضَهُمْ على الملائكة ، والهاء والميم اللتان في « أسمائهم » كناية عن ذكر

(١) الخبر : ٦٧٥ في الدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

« هؤلاء » التي في قوله : « أنبئوني بأسماء هؤلاء » . « فلما أنبأهم » يقول : فلما أخبر آدمُ الملائكةَ بأسماء الذين عرضهم عليهم فلم يعرفوا أسماءهم ، وأيقنوا خطأ قيلهم : « أتجعلُ فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماءَ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ، وأنهم قد هفؤا في ذلك وقالوا ما لا يعلمون كيفية وقوع قضاء ربهم في ذلك لو وقع ، على ما نطقوا به ، — قال لهم ربهم : « ألم أقل لكم إني أعلمُ غيبَ السموات والأرض » . والغيب : هو ما غاب عن أبصارهم فلم يعاينوه ؛ توبيخاً من الله جل ثناؤه لهم بذلك ، على ما سلف من قيلهم ، وفرط منهم من خطأ مسألهم . كما — :

٦٧٦ — حدثنا به محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « قال يا آدمُ أنبئهم بأسمائهم » ، يقول : أخبرهم بأسمائهم — « فلما أنبأهم بأسمائهم ١٧٦/١ قال : ألم أقل لكم أيها الملائكة خاصة إني أعلم غيبَ السموات والأرض ولا يعلمه غيري ^(١) » .

٦٧٧ — وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قصة الملائكة وآدم : فقال الله للملائكة : كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علم ، إنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها ، هذا عندي قد علمته ، فكذلك أخفيتُ عنكم أني أجعل فيها من يعصيني ومن يُطيعني ، قال : وسبقَ من الله : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة هود : ١١٩ ، وسورة السجدة : ١٣] ، قال : ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه . قال : فلما رأوا ما أعطى الله آدمَ من العلم أقرؤا لآدمَ بالفضل ^(٢) .

• • •

(١) الخبر : ٦٧٦ — مختصر من الخبر السالف رقم : ٦٠٦ .
(٢) الأثر : ٦٧٧ — في ابن كثير ١ : ١٣٥ . في المخطوطة : « علم بما أردت ... هذا مبدى » .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ

تَكْتُمُونَ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فرؤى عن ابن عباس في ذلك ما - :

٦٧٨ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال :

حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وأعلم ما تبدون » يقول : ما تظهرون ، « وما كنتم تكتمون » يقول : أعلم السر كما أعلم العلانية . يعني : ما كنتم إبليس في نفسه من الكبر والاعتزاز ^(١) .

٦٧٩ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :

حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، قال : قولهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، فهذا الذي أبدوا ، « وما كنتم تكتمون » ، يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر ^(٢) .

٦٨٠ - وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ،

قال : حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، قوله : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، قال : ما أسر إبليس في نفسه ^(٣) .

(١) الخبر : ٦٧٨ - في ابن كثير ١ : ١٣٥ ، والدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

(٢) الخبر : ٦٧٩ - في ابن كثير ١ : ١٣٥ ، والدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكاني ١ :

٥٢ ، وهو مختصر الخبر السالف رقم : ٦٠٦ .

(٣) الأثر : ٦٨٠ - لم أجده في مكان . وقد مضى في : ٦٤١ ترجمة « عمرو بن ثابت » وأبيه . وبيننا ما في ذلك من شبه الخطأ في قوله « عن جده » . وهذا الإسناد هنا صواب ، لأن « ثابت ابن هرمز » معروف بالرواية عن سعيد بن جبير .

٦٨١ - وحدثنا أحمد بن إسحق، قال : حدثنا أبو أحمد، قال : حدثنا سفيان في قوله : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، قال : ما أسرّ إبليس في نفسه من الكبير ألا يسجد لآدم^(١) .

٦٨٢ - وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : أخبرنا الحجاج الأنماطي ، قال : حدثنا مهدي بن ميمون ، قال : سمعت الحسن بن دينار ، قال للحسن - ونحن جلوس عنده في منزله - : يا أبا سعيد، أرايت قول الله للملائكة : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، ما الذي كنتم للملائكة ؟ فقال الحسن : إن الله لما خلق آدم رأت الملائكة خلقاً عجيباً فكأنهم دخلهم من ذلك شيء ، فأقبل بعضهم إلى بعض ، وأسروا ذلك بينهم ، فقالوا : وما يُهمكم من هذا المخلوق ! إن الله لن يخلق خلقاً إلا كنا أكرم عليه منه^(٢) .

٦٨٣ - وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، قال : أسروا بينهم فقالوا : يخلق الله ما يشاء أن يخلق ، فلن يخلق خلقاً إلا ونحن أكرم عليه منه^(٣) .

٦٨٤ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي

(١) الأثر : ٦٨١ - لم أجده في مكان .

(٢) الأثر : ٦٨٢ - في الدر المنثور ١ : ٥٠ . و « الحجاج الأنماطي » : هو الحجاج ابن المنهال ، وهو ثقة من شيوخ البخاري والدارمي وغيرهما . و « مهدي بن ميمون » : ثقة معروف ، روى عن الحسن البصري ، وابن سيرين وغيرهما . وهو في هذا الإسناد يصرح بأنه سمع جواب الحسن البصري ، حين سأله الحسن بن دينار . وقد نهت على هذا ، خشية أن يظن أنه من رواية مهدي عن الحسن بن دينار . والحسن بن دينار : كذاب لا يوثق به . وله ترجمة حافلة بالمنكرات والموضوعات - في كتاب المجرورين لابن حبان ، رقم : ٢٠٨ ، والميزان ، واسان الميزان ، والتهذيب ، وترجم له البخاري في الكبير ٢٩٠/٢/١ - ٢٩١ ، والصغير : ١٨٥ ، وابن أبي حاتم ١١/٢/١ - ١٢ ، وابن سعد ٣٧/٢/٧ .

(٣) الأثر : ٦٨٣ - في الدر المنثور ١ : ٥٠ ، بلفظ آخر ، منسوباً للطبري « عن قتادة والحسن » .

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون » ، فكان الذى أبدوا حين قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، وكان الذى كتتموا بينهم قولهم : لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم . فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم ^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس ، وهو أن معنى قوله : « وأعلم ما تُبدون » ، وأعلم — مع علمى غيب السموات والأرض — ما تُظهرون بالستكم ، « وما كنتم تكتمون » ، وما كنتم تخفونه في أنفسكم ، فلا يخفى على شيء ، سواءً عندي سرائركم وعلايتكم .

والذى أظهره بالستهم ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوه ، وهو قولهم : ١٧٧/١ « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ، والذى كانوا يكتمون ، ما كان منظوياً عليه لإبليس من الخلاف على الله في أمره ، والتكبر عن طاعته . لأنه لا خلاف بين جميع أهل التأويل أن تأويل ذلك غير خارج من أحد الوجهين اللذين وصفت ، وهو ما قلنا ، والآخر ما ذكرنا من قول الحسن وقتادة ، ومن قال إن معنى ذلك كتمان الملائكة بينهم لن يخلق الله خلقاً إلا كنا أكرم عليه منه . فإذا كان لا قول في تأويل ذلك إلا أحد القولين اللذين وصفت ، ثم كان أحدهما غير موجود على صحته الدلالة من الوجه الذى يجب التسليم له — صح الوجه الآخر . فالذى حكى عن الحسن وقتادة ومن قال بقولهما في تأويل ذلك ، غير موجود الدلالة على صحته من الكتاب ، ولا من خبر يجب به حجة . والذى قاله ابن عباس يدل على صحته خبر الله جل ثناؤه عن إبليس وعصيانه إياه ، إذ دعاه إلى السجود لآدم فأبى واستكبر ، وإظهاره لسائر الملائكة من معصيته وكبره ، ما كان له كاتماً قبل ذلك .

فإن ظن ظان أن الخبر عن كتمان الملائكة ما كانوا يكتمون ، لما كان

خارجاً مخرج الخبر عن الجميع ، كان غير جائز أن يكون ما روى في تأويل ذلك عن ابن عباس - ومن قال بقوله : من أن ذلك خبر عن كتمان إبليس الكبير والمعصية - صحيحاً ، فقد ظن غير الصواب . وذلك أن من شأن العرب ، إذا أخبرت خبراً عن بعض جماعة بغير تسمية شخص بعينه ، أن تخرج الخبر عنه مخرج الخبر عن جميعهم ، وذلك كقولهم : « قُتِلَ الجيش وهزموا » ، وإنما قتل الواحد أو البعض منهم ، وهزم الواحد أو البعض . فتخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الحجرات : ٤] ، ذكر أن الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فنزلت هذه الآية فيه - كان رجلاً من جماعة بني نعيم ، كانوا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخرج الخبر عنه مخرج الخبر عن الجماعة . فكذلك قوله : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، أخرج الخبر مخرج الخبر عن الجميع ، والمراد به الواحد منهم .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : أمّا قوله : « وإذ قلنا » فمعطوف على قوله : « وإذ قال ربك للملائكة » ، كأنه قال جل ذكره لليهود - الذين كانوا بين ظهرائي مهاجرين رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل ، معدداً عليهم نعمه ، ومذكراًهم آلاءه ، على نحو الذي وصفنا فيما مضى قبل - : اذكروا فعلي بكم إذ أنعمت عليكم .

فخلقت لكم ما في الأرض جميعاً ، وإذ قلت للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فكرمت أباكم آدم بما آتيته من علمي وفضلتي وكرامتي ، وإذ أسجدت له ملائكتي فسجدوا له . ثم استثنى من جميعهم إبليس ، فدلّ باستثنائه إياه منهم على أنه منهم ، وأنه ممن قد أمر بالسجود معهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۚ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ ﴾ [سورة الأعراف : ١١ ، ١٢] ، فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمر إبليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم . ثم استثناه جل ثناؤه مما أخبر عنهم أنهم فعلوه من السجود لآدم ، فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره ، ونفى عنه ما أثبتته للملائكة من السجود لعبده آدم .

* * *

١٧٨/١ ثم اختلف أهل التأويل فيه : هل هو من الملائكة ، أم هو من غيرها ؟ فقال بعضهم بما - :

٦٨٥ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم « الحن » ، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة . قال : فكان اسمه الحارث . قال : وكان خازناً من خزائن الجنة . قال : وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحى . قال : وخلقت الحن الذي ذكروا في القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب^(١) .

٦٨٦ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن خلاد ،

عن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس . قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه « عزازيل » ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة

(١) الخبر : ٦٨٥ - مضى بتمامه في الخبر السالف رقم : ٦٠٦ ، وفي ابن كثير ١ :

١٣٦ ، وفيهما معاً « إذا التهب » . وأعاد ابن كثير ٥ : ٢٩٦ . وفيه كما هنا « التهب » .

وفيه « الحن » بالهميم ، وانظر ما مضى ص : ٤٥٥ تعليق : ١

اجتهاداً وأكثرهم علماً ، فذلك دعاه إلى الكبر ، وكان من حى يسمون جننا (١) .

٦٨٧ - وحدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن خلاد ، عن عطاء ، عن طاوس ، أو مجاهد أبي الحجاج ، عن ابن عباس وغيره بنحوه ، إلا أنه قال : كان ملكاً من الملائكة اسمه « عزازيل » ، وكان من سكان الأرض وعمّارها ، وكان سكان الأرض فيهم يسمون « الجن » من بين الملائكة (٢) .

٦٨٨ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : جعل إبليس على ملك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم « الجن » ، وإنما سُموا الجن لأنهم خزان الجنة . وكان إبليس مع ملكه خازناً (٣) .

٦٨٩ - وحدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا حسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطانُ سماء الدنيا ، وكان له سلطانُ الأرض . قال : قال ابن عباس : وقوله : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] إنما يسمى بالجنان أنه كان خازناً عليها ، كما يقال للرجل مكى ومدنى وكوفى وبصرى (٤) .

قال ابن جريج ، وقال آخرون : هم سبط من الملائكة قبيلته ، فكان اسم قبيلته الجن .

(١) الخبر : ٦٨٦ في ابن كثير ١ : ١٣٩ و ٥ : ٢٩٦ ، والدر المنثور ١ : ١٥٠ ، والشوكاني ١ : ٥٣ . وخلاد : هو ابن عبد الرحمن الصنعاني ، وهو ثقة ، ويروى عن طاوس ومجاهد مباشرة ، ولكنه روى عنهما ، هنا وفي الخبر التالي ، بواسطة عطاء .

(٢) الخبر : ٦٨٧ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ عقب الذي قبله .

(٣) الخبر : ٦٨٨ - مختصر من الأثر السالف رقم : ٦٠٧ .

(٤) الخبر : ٦٨٩ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ و ٥ : ٢٩٦ ، والدر المنثور ١ : ١٧٨ .

٦٩٠ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوامة ، وشريك بن أبي نمر - أحدهما أو كلاهما - عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن ، وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض^(١) .

٦٩١ - وحدثت عن الحسن بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، قال : كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة . ثم ذكر مثل حديث ابن جريج الأول سواء^(٢) .

٦٩٢ - وحدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثني شيبان ، قال حدثنا سلام بن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا^(٣) .

٦٩٣ - وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، كان من قبيل من الملائكة يقال لهم « الجن » ،

(١) الخبر : ٦٩٠ - في ابن كثير ٥ : ٢٩٦ - ٢٩٧ ، وفيه زيادة هناك . وسيأتي بإسناد آخر مطولا : ٧٠٠ .

(٢) الخبر : ٦٩١ - الحسن بن الفرغ : لم أعرف من هو ؟ وأبو معاذ الفضل بن خالد : هو النحوي المروزي ، وهو ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه ابن أبي حاتم ٦١/٢/٣ ، وياقوت في الأدباء ٦ : ١٤٠ ، والسيوطي في البنية : ٣٧٣ . وقال ياقوت : « روى عنه الأزهرى في كتاب التهذيب ، فأكثر » . وليس يريد بذلك رواية السماع ، بل يريد أنه روى آراءه أو نقله في اللغة . أما رواية السماع فلا . لأن الفضل هذا مات سنة ٢١١ ، والأزهرى ولد سنة ٢٨٢ . فهذا كلام موهوم ، ولم يكن يجدر بالسيوطي - وهو محدث - أن يتبعه دون تأمل !

(٣) الأثر : ٦٩٢ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ . شيبان : هو ابن فروخ ، وهو ثقة . سلام بن مسكين الأزدي : ثقة ، أخرج له الشيخان .

وكان ابن عباس يقول : لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود ، وكان على خزانة سماء الدنيا ، قال : وكان قتادة يقول : جَنٌّ عن طاعة ربه (١) .

٦٩٤ - وحدثننا الحسين بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

معمر ، عن قتادة ، في قوله : «إلا إبليس كان من الجن» قال : كان من قبيل ١٧٩/١ من الملائكة يقال لهم الجن (٢) .

٦٩٥ - وحدثننا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحق ،

قال : أما العرب فيقولون : ما الجن إلا كل من اجتَنَّ فلم يُرَ . وأما قوله :

«إلا إبليس من كان من الجن» أى كان من الملائكة ، وذلك أن الملائكة اجتنوا

فلم يُروا . وقد قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ

الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٥٨] ، وذلك لقول قريش : إن الملائكة

بناتُ الله ، فيقول الله : إن تكن الملائكة بناتى فلا إبليس منها ، وقد جعلوا بينى

وبين إبليس وخرите نسباً . قال : وقد قال الأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة

البكرى ، وهو يذكر سليمان بن داود وما أعطاه الله :

وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِدًا أَوْ مُعَمَّرًا لَكَانَ سُلَيْمَانُ الْبَرَى مِنَ الدَّهْرِ (٣)

(١) الأثر : ٦٩٣ - لم نجده في مكان آخر .

(٢) الأثر : ٦٩٤ - لم نجده أيضاً . وقال الحافظ ابن كثير ٥ : ٢٩٧ - بعد أن نقل كثيراً من الآثار في مثل هذه المعاني : « وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف . وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها . ومنها ما قد يقطع بكذبه ، لمخالفته للحق الذى بأيدينا . وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة . وليس لهم من الحفاظ المتقين ، الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين - كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء ، والسادة والأتقياء ، والبررة والنجباء ، من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد . الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه ، من حسنه ، من ضميمه ، من منكره وموضعه ، ومتروكه ومكتوبه . وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال . كل ذلك صيانة للكتاب النبوى ، والمقام المحمدي ، خاتم الرسل ، وسيد البشر ، صلى الله عليه وسلم - أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس منه . فرضى الله عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات الفردوس مأواهم . وقد فعل » .

(٣) ملحق ديوان الأعشى : ٢٤٣ ، والأضداد لابن الأنبارى : ٢٩٣ . ولم يعن بالنهر

بَرَاهُ إِلَهِي وَاصْطَفَاهُ عِبَادَهُ وَمَلِكُهُ مَا يَنْ ثُرِيَا إِلَى مِضْرَ^(١)
 وَسَخَّرَ مِنْ جِنَّ الْمَلَائِكِ تِسْعَةً قِيَامًا لَدَيْهِ يَفْعَلُونَ بِمَا أُجِرَ
 قَالَ : فأبى العربُ في لغتها إلا أن « الجن » كل ما اجتنى . يقول : ما سَمَى
 الله الجن إلا أنهم اجتنوا فلم يُرَوْا ، وما سَمَى بنى آدم الإنس إلا أنهم ظهروا فلم
 يجتنوا . فما ظهر فهو إنس ، وما اجتنى فلم يُرَ فهو جن^(٢) .
 وقال آخرون بما - :

٦٩٦ - حدثنا به محمد بن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ،
 عن عوف ، عن الحسن ، قال : ما كان إبليسُ من الملائكة طرفة عين قط ،
 وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس^(٣) .

٦٩٧ - وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا
 سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول في قوله : « إلا إبليس كان من الجن »
 الجاه إلى نسبه^(٤) ، فقال الله : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي
 وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، وهم يتوالدون كما
 يتوالد بنو آدم^(٥) .

٦٩٨ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا

ههنا الأمد المملود ، بل عن مصائب الدهر ونكباته ، كما قال علي بن زيد ، وجعل مصائب
 الدهر هي الدهر نفسه :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعِيرُ بِالْذِّهْرِ أَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ

(١) ثريا : هكذا ضبط في ملحق ديوان الأعشى ، ولم أعرف الموضع ولم أجده . ولم أعتد
 إلى تحريفه إن كان محرفاً . وفي الأضداد : « توفى » .
 (٢) الأثر : ٦٩٥ - رواه مختصراً صاحب الأضداد : ٢٩٣ ، ولم أجده في مكان آخر .
 (٣) الأثر : ٦٩٦ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ و ٥ : ٢٩٦ . وقال : « وهذا إسناد صحيح
 عن الحسن » .

(٤) في المطبوعة : « الجاه إلى نسبه » ، والجاء إلى نسبه : رده إليه . وانظر رقم : ٦٥٥
 (٥) الأثر : ٦٩٧ - لم أجده في مكان .

أبو سعيد اليماني ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدثنا أسوار بن الجعد اليماني ، عن شهر بن حوشب ، قوله : « من الجن » ، قال : كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء^(١) .

٦٩٩ - وحدثني علي بن الحسين ، قال : حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الخلال ، قال : حدثني سنيد بن داود ، قال حدثنا هشيم ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن موسى بن ثمر ، وعثمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد بن مسعود ، قال : كانت الملائكة تقاتل الجن ، فسبى إبليس وكان صغيراً ، فكان مع الملائكة فتعبدها ، فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا . فأبى إبليس . فلذلك قال الله : « إلا إبليس كان من الجن »^(٢) .

٧٠٠ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمير ، عن صالح مولى التوأمة ، عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبلاً يقال لهم : الجن ، فكان إبليس منهم ، وكان إبليس يسوس ما بين السماء والأرض ، فعصى ، فسخه الله شيطاناً رجيماً^(٣) .

٧٠١ - قال : وحدثنا يونس ، عن ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : إبليس أبو الجن ، كما آدم أبو الإنس^(٤) .

• • •

وعلة من قال هذه المقالة ، أن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه أنه خلق إبليس من نار السموم ، ومن مارج من نار ، ولم يخبر عن الملائكة أنه خلقها من شيء ١٨٠/١ من ذلك ، وأن الله جل ثناؤه أخبر أنه من الجن - فقالوا : فغير جائر أن ينسب إلى غير ما نسبته الله إليه . قالوا : وإبليس نسل وذرية ، والملائكة لا تتناسل ولا تتوالد .

(١) الأثر : ٦٩٨ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ .

(٢) الأثر : ٦٩٩ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ .

(٣) الخبر : ٧٠٠ - هو في ابن كثير ١ : ١٣٩ . وقد مضى نحوه مختصراً ، بإسناد

آخر : ٦٩٠ .

(٤) الأثر : ٧٠١ - ثم أجده في مكان .

٧٠٢ - حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شريك ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق خلقاً ، فقال : اسجدوا لآدم : فقالوا : لا نفعل . فبعث الله عليهم ناراً تحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخر ، فقال : إني خالق بشر من طين ، اسجدوا لآدم . فأبوا ، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقهم . قال : ثم خلق هؤلاء ، فقال : اسجدوا لآدم . فقالوا : نعم . وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها . وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى . فخلق بعضاً من نور ، وبعضاً من نار ، وبعضاً مما شاء من غير ذلك . وليس في ترك الله جل ثناؤه الخبر عما خلق منه ملائكته^(٢) ، وإخباره عما خلق منه إبليس - ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن معناهم . إذ كان جائزاً أن يكون خلق صنفاً من ملائكته من نار كان منهم إبليس ، وأن يكون أفرد إبليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته . وكذلك غير مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأن كان له نسل وذرية ، لما ركب فيه من الشهوة واللذة التي تُزعت من سائر الملائكة ، لما أراد الله به من المعصية . وأما خبر الله عنه أنه « من الجن » ، فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياء عن الأبصار كلها جنّاً - كما قد ذكرنا قبل في شعر الأعشى - فيكون إبليس والملائكة منهم ، لاجتنانهم عن أبصار بني آدم .

• • •

(١) الأثر : ٧٠٢ - في ابن كثير ١ : ١٣٩ ، والدر المنثور ١ : ٥٠ وقال ابن كثير في إسناده : « وهذا غريب ، ولا يكاد يصح إسناده ، فإن فيه رجلاً مبهماً ، ومثله لا يحتاج به ، والله أعلم » .

(٢) في المطبوعة : « وليس فيما نزل الله جل ثناؤه . . . » ، وهو خطأ صرف . وقوله بعد : « وإخباره عما خلق منه إبليس » معطوف على قوله : « وفي تركه . . . » .

القول في معنى ﴿إبليس﴾

قال أبو جعفر : وإبليس «إفعيل» ، من الإبلّاس ، وهو الإيلاس من الخير والندم والحزن . كما - :

٧٠٣ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : إبليس ، أبلسه الله من الخير كله ، وجعله شيطانياً رجياً عقوبة لمعصيته^(١) .

٧٠٤ - وحدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان اسم إبليس «الحارث» ، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيراً^(٢) .

قال أبو جعفر : وكما قال الله جل ثناؤه : ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] ، يعني به : أنهم آيسون من الخير ، نادمون حزناً ، كما قال العجاج :

يَا صَاح ، هَلْ تَعْرِفُ رَشِماً مُكْرَماً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَعْرِفُهُ وَأَبْلَساً^(٣)

(١) الخبر : ٧٠٣ - مختصر من الخبر السالف رقم : ٦٠٦ ، وهو في الدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكاني ١ : ٥٣ .

(٢) الأثر : ٧٠٤ - في الدر المنثور ١ : ٥٠ ، مقتصر على أوله إلى قوله : «الحارث» . وجاء النص في المطبوعة هكذا : «وإنما سمي إبليس حين أبلس فقير كما قال الله جل ثناؤه . . . » أسقطوا ما أثبتناه من المخطوطة ، لأنهم لم يحسنوا قراءة الكلمة الأخيرة ، فبدلوها ووصلوا الكلام بعد الحذف ، وهو تصرف معيب . وقوله : «متحيراً» كتبت في المخطوطة بمجمعة هكذا «مجرأ» غير مجمعة . والإبلّاس : الحيرة ، فكذلك قرأتها .

(٣) ديوانه ١ : ٣١ ، والكامل ١ : ٣٥٢ ، واللسان : (بلس) ، (كرس) . المكرس : الذي صار فيه الكرسي ، وهو أبوال الإبل وأبعارها يتلبد بعضها على بعض في الدار . وأبلس الرجل : سكت غماً وانكسر وتحير ولم ينطق .

وقال رؤبة :

وَحَضَرَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسُ وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَإِبْلَاسُ^(١)
يعنى به اكتئاباً وكسوفاً .

• • •

فإن قال قائل : فإن كان إبليس ، كما قلت ، « إفعيل » من الإبلّاس ، فهلاًّ
يُصرف وأجرى ؟ قيل : ترك إجراؤه استثقلاً ، إذ كان اسماً لا نظير له من أسماء
العرب ، فشبهته العرب — إذ كان كذلك — بأسماء العجم التي لا تُجرى . وقد
قالوا : مررت بإسحق ، فلم يُجروه . وهو من « أسحقه الله إسحاقاً » ، إذ كان وقع
مبتدأً اسماً لغير العرب ، ثم تسمت به العرب فجري مجراه — وهو من أسماء العجم — في
الإعراب فلم يصرف . وكذلك « أيوب » ، إنما هو « فيعول » من « آب يؤب » .
وتأويل قوله : « أبى » ، يعنى جل ثناؤه بذلك إبليس ، أنه امتنع من السجود
لآدم فلم يسجد له . « واستكبر » ، يعنى بذلك أنه تعظم وتكبر عن طاعة الله
في السجود لآدم . وهذا ، وإن كان من الله جل ثناؤه خبراً عن إبليس ، فإنه
١٨١/١ تقرّيعٌ لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله ، والانقياد
لطااعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من
الحق . وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله ، والتذلل لطاعته ، والتسليم لقضائه
فيما ألزمهم من حقوق غيرهم — اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجرين رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأخبارهم الذين كانوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفته
عارفين ، وبأنه لله رسول عالمين . ثم استكبروا — مع علمهم بذلك — عن الإقرار
بنبوته ، والإذعان لطاعته ، بغياً منهم له وحسداً . فقرّعهم الله بخبره عن إبليس

(١) ديوانه : ٦٧ ، واللسان (بلس) ، ورواية ديوانه « وعرفت يوم الخميس » . وبين
البيتين بيت آخر هو :

« وَقَدْ نَزَّتْ بَيْنَ التَّرَاقِي الْأَنْفَاسُ »

الذى فعل في استكباره عن السجود لآدم حسداً له وبغياً ، نظير فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله صلى الله عليه وسلم ونبوته ، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسداً وبغياً .

ثم وصّف إبليس بمثل الذى وصف به الذين ضرب به لهم مثلاً في الاستكبار والحسد والاستكاف عن الخضوع لمن أمره الله بالخضوع له ، فقال جل ثناؤه : « وكان » - يعنى إبليس - « من الكافرين » - من الجاحدين نعم الله عليه وأياديه عنده ، بخلافه عليه فيما أمره به من السجود لآدم ، كما كفرت اليهود نعم ربّها التي آتاها وآباءها قبل : من إطعام الله أسلافهم المن والسلوى ، وإظلال الغمام عليهم ، وما لا يحصى من نعمه التي كانت لهم ، خصوصاً ما خصّ الذين أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم بإدراكهم إياه ، ومشاهدتهم حجة الله عليهم ، فجعلت نبوته بعد علمهم به ، ومعرفتهم بنبوته حسداً وبغياً . فنبه الله جل ثناؤه إلى « الكافرين » ، فجعله من عِدّ آدم في الدين والملة ، وإن خالفهم في الجنس والنسبة . كما جعل أهل النفاق بعضهم من بعض ، لاجتماعهم على النفاق ، وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم فقال : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] يعنى بذلك أن بعضهم من بعض في النفاق والضلّال . فكذلك قوله في إبليس : كان من الكافرين ، كان منهم في الكفر بالله ومخالفته أمره ، وإن كان مخالفاً جنسه وأجناسهم ونسبه نسبهم . ومعنى قوله : « وكان من الكافرين » أنه كان - حين أبى عن السجود - من الكافرين حيثئذ .

وقد روى عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية أنه كان يقول : في تأويل قوله : « وكان من الكافرين » ، في هذا الموضع ، وكان من العاصين .

٧٠٥ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله : « وكان من الكافرين » ، يعنى العاصين ^(١) .

(١) الأثر ٧٠٥ - في ابن كثير ١ : ١٤٠ .

٧٠٦ - وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ،
عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبِيعِ ، بِمِثْلِهِ .

وذلك شبيه بمعنى قولنا فيه .

وكان سجود الملائكة لآدم تكربةً لآدم وطاعةً لله ، لا عبادةً لآدم ، كما : -

٧٠٧ - حَدَّثَنَا بِهِ بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ : قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ » ، فَكَانَتْ
الطَّاعَةُ لِلَّهِ ، وَالسَّجْدَةُ لآدَمَ ، أَكْرَمَ اللَّهُ آدَمَ أَنْ اسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ ^(١) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾

قال أبو جعفر : وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال : إن
إبليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم ، وأسكنها آدم قبل أن
يهبط إبليس إلى الأرض . ألا تسمعون الله جل ثناؤه يقول : « وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ
أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا
مِنَ الظَّالِمِينَ » . فأزلهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيه . فقد تبين أن
إبليس إنما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لعن وأظهر التكبر ، لأن سجود الملائكة لآدم
كان بعد أن نفخ فيه الروح ، وحيث كان امتناع إبليس من السجود له ، وعند
الامتناع من ذلك حلت عليه اللعنة . كما : -

٧٠٨ - حَدَّثَنِي بِهِ مُوسَى بْنُ هَرُونَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا أَسْبَاطٌ ، عَنْ السَّيِّدِ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ

(١) الأثر : ٧٠٧ - في ابن كثير ١ : ١٤٠ ، وفي الدر المنثور ١ : ٥٠ مطولا .

ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن عدو الله إبليس أقسم بعزة الله ليُغوينَّ آدم وذريته وزوجه إلا عباده المخلصين منهم ، بعد أن لعنه الله ، وبعد أن أخرج من الجنة ، وقبل أن يهبط إلى الأرض . وعلم الله آدم الأسماء كلها^(١) .

٧٠٩ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : لما فرغ الله من إبليس ومعاتبته ، وأبى إلا المعصية وأوقع عليه اللعنة ، ثم أخرج من الجنة ، أقبل على آدم وقد علمه الأسماء كلها ، فقال : « يا آدم أنبئهم بأسمائهم » إلى قوله « إنك أنت العليم الحكيم »^(٢) .

ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي خلقت لآدم زوجته ، والوقت الذي جعلت له سكناً . فقال ابن عباس بما : -

٧١٠ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فأخرج إبليس من الجنة حين لعن ، وأسكن آدم الجنة . فكان يمشي فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ ، وإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقتها الله من ضلعه ، فسألها : من أنت ؟ فقالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : تسكن إلى . قالت له الملائكة - ينظرون ما بلغ علمه - : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء . قالوا : ولم تسميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حي . فقال الله له : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما »^(٣) .

(١) الخبر : ٧٠٨ - لم أجده في مكان .

(٢) الأثر : ٧٠٩ - لم أجده في مكان بنصه هذا ، لكنه من صدر الأثر الآتي بعد رقم : ٧١١

(٣) الأثر : ٧١٠ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٢ ، مع اختلاف في بعض اللفظ . وابن كثير

١ : ١٤٢ والشوكاني ١ : ٥٦ ، وقوله : « وحشاً » أي ليس معه غيره ، خلواً . ومكان وحش : خال .

(٢٣) .

فهذا الخبر يُنبئ أن حواء خلقت بعد أن سكن آدم الجنة ، فجعلت له سكناً .

• • •

وقال آخرون : بل خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة . ذكر من قال ذلك :
 ٧١١ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : لما فرغ الله من مُعاقبة إبليس ، أقبل على آدم وقد علمه الأسماء كلها فقال : « يا آدم أنبهم بأسمائهم » إلى قوله : « إنك أنت العليم الحكيم » . قال : ثم ألقى السَّنة على آدم - فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة ، وغيرهم من أهل العلم ، عن عبد الله بن عباس وغيره - ثم أخذ ضِلَعاً من أضلعه من شِقِّه الأيسر ، ولأم مكانه لحماً ، وآدم نائم لم يهب من نومه ، حتى خلق الله من ضِلَعه تلك زوجته حواء ، فسواها امرأةً ليسكن إليها . فلما كُشِفَ عنه السَّنة وهب من نومه ، رآها إلى جنبه ، فقال - فيما يزعمون والله أعلم - : لحمي ودمي وزوجتي ، فسكن إليها . فلما زوج الله تبارك وتعالى ، وجعل له سكناً من نفسه ، قال له قَبِيلاً : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (١) .

قال أبو جعفر : ويقال لامرأة الرجل : زَوْجُهُ وزَوْجَتُهُ ، والزوجة بالهاء أكثر في كلام العرب منها بغير الهاء . والزوج بغير الهاء يقال إنه لغة لأزد شَنُوءة . فأما الزوج الذي لا اختلاف فيه بين العرب ، فهو زوجُ المرأة (٢) .

• • •

(١) الأثر : ٧١١ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٢ وابن كثير ١ : ١٤١ - ١٤٢ . وقوله « قال له قبيلاً » أي حيالاً . وفي حديث أبي ذر (ابن كثير ١ : ١٤١) « قال : قلت يا رسول الله ؛ أرايت آدم ؛ أنبيأ كان ؟ قال : نعم نبيأ رسولاً يكلمه الله قبيلاً - أي حيالاً » . وجاء هذا الحرف في المطبوعة : « قال له فتلا يا آدم اسكن... » وهو خطأ . وفي تاريخ الطبري « قال له قبيلاً يا آدم... » وهو أيضاً خطأ .

(٢) انظر اختلافهم في ذلك في مادته (زوج) من لسان العرب .

القول في تأويل قوله ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾

قال أبو جعفر : أما الرّغَد ، فإنه الواسع من العيش ، الهنيء الذي لا يُعْنَى صاحبه . يقال : أرغَد فلان ، إذا أصاب واسعاً من العيش الهنيء ، كما قال امرؤ القيس بن حُجْر :

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَأْمَنُ الْأَحْدَاثَ فِي عَيْشٍ رَغَدٍ^(١) ١٨٣/١

٧١٢ - وكما حدثني به موسى بن هرون قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، « وكلا منها رَغَدًا » ، قال : الرغد ، الهنيء^(٢) .

٧١٣ - وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : « رَغَدًا » ، قال : لا حساب عليهم .

٧١٤ - وحدثنا المثنى ، قال حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٧١٥ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد : « وكلا منها رَغَدًا » ، أي لا حساب عليهم^(٣) .

٧١٦ - وُحْدِثَتْ عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ،

(١) لم أجد البيت فيما جمعا من شعر امرئ القيس .

(٢) الخبر : ٧١٢ - في الدر المنثور ١ : ٥٢ ، والشوكاني ١ : ٥٦ .

(٣) الآثار : ٧١٣ - ٧١٥ في الدر المنثور ١ : ٥٢ ، والشوكاني ١ : ٥٦ .

عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وكلا منهما رغداً حيث شئتما » ، قال : الرغد ، سعة المعيشة . (١)

فعنى الآية وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا من الجنة رزقاً واسعاً هنيئاً من العيش حيث شئتما .

٧١٧ - كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال :

حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما » ، ثم إن البلاء الذى كتب على الخلق ، كتب على آدم ، كما ابتلى الخلق قبله ، أن الله جل ثناؤه أحل له ما فى الجنة أن يأكل منها رغداً حيث شاء ، غير شجرة واحدة منى عنها ، وقُدِّم إليه فيها ، فما زال به البلاء حتى وقع بالذى منى عنه (٢) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾

قال أبو جعفر : والـجر فى كلام العرب : كل ما قام على ساق ، ومنه قول الله جل ثناؤه ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [سورة الرحمن : ٦] ، يعنى بالنجم ما نجم من الأرض من نبت ، وبالشجر ما استقل على ساق .

ثم اختلف أهل التأويل فى عين الشجرة التى منى عن أكل ثمرها آدم ، فقال بعضهم : هى السنبلة . ذكر من قال ذلك :

٧١٨ - حدثنى محمد بن إسماعيل الأحسى ، قال : حدثنا عبد الحميد الحماني ،

(١) الخبر : ٧١٦ - فى الدر المنثور ١ : ٥٢ والشوكاني ١ : ٥٦

(٢) الأثر : ٧١٧ - فى الدر المنثور ١ : ٥٣ من غير طريق الطبرى . وقوله : « قدم إليه فيها » أى أمر فيها بأمر أن لا يقربها . ويقال : تقدمت إليه بكذا وقدمت إليه بكذا : أى أمرته بكذا .

عن النضر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الشجرة التي نُهي عن أكل ثمرها آدم ، هي السنبلة^(١) .

٧١٩ - وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمران بن عتيبة - جميعاً عن حصين ، عن أبي مالك ، في قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، قال : هي السنبلة

٧٢٠ - وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا ابن مهدي - وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري - قالا جميعاً : حدثنا سفيان ، عن حصين ، عن أبي مالك ، مثله^(٢) .

٧٢١ - وحدثنا أبو كريب ، وابن وكيع ، قالا : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي ، عن عطية في قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، قال : السنبلة^(٣) .

٧٢٢ - وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال : الشجرة التي نُهي عنها آدم ، هي السنبلة^(٤) .

٧٢٣ - وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثني رجل من بني تميم ، أن ابن عباس كتب إلى أبي الجحلد يسأله عن الشجرة التي أكل منها آدم ، والشجرة التي تاب عندها : فكتب إليه أبو الجحلد : « سألتني عن الشجرة التي نُهي عنها آدم ، وهي السنبلة ، وسألتني

(١) الخبر : ٧١٨ - في ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ ، والشوكاني ١ : ٥٦ وهو إسناد ضعيف . محمد بن إسماعيل الأحمسي سبق توثيقه : ٤٠٥ عبد الحميد بن عبد الرحمن ، أبو يحيى الحماني : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره ، وأخرج له الشيخان . النضر : هو ابن عبد الرحمن ، أبو عمر الخزاز - بمعجمات - وهو ضعيف جداً ، قال البخاري في الكبير ٩١/٢/٤ : « منكر الحديث » . وروى ابن أبي حاتم ٤٧٥/١/٤ عن أحمد بن حنبل ، قال : « ليس بشيء ، ضعيف الحديث » ، وروى عن ابن معين أنه قال : « لا يحل لأحد أن يروى عنه » .

(٢) الأثران : ٧١٩ ، ٧٢٠ - في ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٣

(٣) الأثر : ٧٢١ - عطية : هو العوفي . وقد أشار ابن كثير ١ : ١٤٢ إلى هذه الرواية عنه .

(٤) الأثر : ٧٢٢ - لم أجده في مكان .

عن الشجرة التي تاب عندها آدم ، وهي الزيتون^(١) .

١٨٤/١ - ٧٢٤ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن رجل من أهل العلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : الشجرة التي نهي عنها آدم ، البر^(٢) .

٧٢٥ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، وابن المبارك ، عن الحسن بن عمار ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التي نهي الله عنها آدم وزوجته ، السنبلة^(٣) .

٧٢٦ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن بعض أهل اليمن ، عن وهب بن منبه اليماني ، أنه كان يقول : هي البر^(٤) ، ولكن الحبة منها في الجنة ككلى البقر ، ألين من الزبد وأحلى من العسل . وأهل التوراة يقولون : هي البر^(٤) .

٧٢٧ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحق ، عن يعقوب بن عتبة : أنه حدث أنها الشجرة التي تحتك بها الملائكة للخلد .

٧٢٨ - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن جابر بن يزيد ابن رفاعه ، عن محارب بن دثار ، قال : هي السنبلة .

٧٢٩ - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن إبراهيم ،

(١) الخبر : ١٢٣ - في ابن كثير ١ : ١٤٢ ، وفي الأصول : « أبو الخلد » ، وانظر ما سلف في التعليق على الأثر رقم : ٤٣٤ . وهذا الإسناد ضعيف ، بلهالة الرجل من بنى تميم .

(٢) الخبر : ٧٢٤ - ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٢ ، والشوكاني ١ : ٥٦ . والذي في ابن كثير : « عن رجل من أهل العلم ، عن حجاج ، عن مجاهد . . . » .

(٣) الأثر : ٧٢٥ - في ابن كثير ١ : ١٤٢ .

(٤) الأثر : ٧٢٦ - في ابن كثير ١ : ١٤٢ - ١٤٣ ، والدر المنثور ١ : ٥٢ - ٥٣ . ولكن ليس فيهما قوله « وأهل التوراة . . . » .

عن الحسن ، قال : هي السنبلة التي جعلها الله رزقاً لولده في الدنيا^(١) .

• • •

قال أبو جعفر : وقال آخرون : هي الكرم . ذكر من قال ذلك .

٧٣٠ - حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ،

عن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : هي الكرم .

٧٣١ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ولا تقرباً هذه الشجرة » ، قال : هي الكرم ، وتزعم اليهود أنها الحنطة .

٧٣٢ - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

أسباط ، عن السدي ، قال : الشجرة هي الكرم .

٧٣٣ - وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن

الشعبي ، عن جعدة بن هبيرة ، قال : هو العنب في قوله : « ولا تقرباً هذه الشجرة » .

٧٣٤ - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثني أبي ، عن خلاد الصفار ، عن بيان ،

عن الشعبي ، عن جعدة بن هبيرة : « ولا تقرباً هذه الشجرة » ، قال : الكرم .

٧٣٥ - وحدثنا ابن المثنى ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثنا خالد

الواسطي ، عن بيان ، عن الشعبي ، عن جعدة بن هبيرة : « ولا تقرباً هذه الشجرة » ، قال : الكرم .

٧٣٦ - وحدثنا ابن حميد ، وابن وكيع ، قالا : حدثنا جرير ، عن مغيرة ،

عن الشعبي ، عن جعدة بن هبيرة ، قال : الشجرة التي نهي عنها آدم ، شجرة الحمر .

٧٣٧ - وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا

(١) الآثار : ٧٢٧ - ٧٢٩ : لم أجدها بلفظها في مكان .

عباد بن العوام ، قال : حدثنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، قوله « ولا تقربا هذه الشجرة » ، قال : الكرم .

٧٣٨ - وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان ، عن السدي ، قال : العنب .

٧٣٩ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : عَنِيب^(١) .

* * *

وقال آخرون : هي التينة . ذكر من قال ذلك .

٧٤٠ - حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : تينة^(٢) .

* * *

قال أبو جعفر : والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباد ه أن آدم وزوجه أكلتا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها ، فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلتا منها ، بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها ، وأشار لهما إليها بقوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن ، دلالة على أى أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها ، بنص عليها باسمها ، ولا بدلالة عليها . ولو كان لله في العلم بأى ذلك من أى رضا ، لم يُخل عباد ه من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها ، ليطيعوه بعلمهم بها ، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا .

فالصواب في ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجه عن أكل

(١) الآثار : ٧٣٠ - ٧٣٩ : مذكورة بلا تعيين في ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ والشوكاني ١ : ٥٦ .

(٢) الخبر : ٧٤٠ - في ابن كثير ١ : ١٤٣ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ ، والشوكاني ١ : ٥٦ .

شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فخالفاً إلى ما نهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به . ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة . فأتى يأتى ذلك ؟^(١) وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها ، وذلك عليم ، إذا علم لم ينفع العالم به علمه^(٢) ، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية في تأويل قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

فقال بعض نحويي الكوفيين : تأويل ذلك : ولا تقربا هذه الشجرة ، فإنكما إن قربتماها كنتما من الظالمين . فصار الثاني في موضع جواب الجزاء . وجواب الجزاء يعمل فيه أوله ، كقولك : إن تقم أقم ، فتجزم الثاني بجزم الأول . فكذاك قوله « فتكونا » ، لما وقعت الفاء في موضع شرط الأول نصب بها ، وصبرت

(١) في المخطوطة خلاف ما في المطبوعة ، وهذا نصه « ولا علم عندنا بأى ذلك . وقد قيل كانت شجرة البر . . . » ، كأن الناسخ أسقط سطرأ فاختل الكلام . وكان في المطبوعة : « فأتى يأتى ذلك من أتى » بزيادة قوله « من أتى » والظاهر أن التحريف قديم ، فإن ابن كثير نقل نص الطبرى هذا في تفسيره ١ : ١٤٣ فحذف قوله : « فأتى يأتى ذلك » . وقد استظهرت أن الصواب حذف « من أتى » ، ليكون الاستفهام منصبا على كيفية إتيان العلم بهذه الشجرة ، وليس في القرآن عليها دليل ولا في السنة الصحيحة . وأما الجملة كما جاءت في المطبوعة ، فهي فاسدة مفسدة لما أراد الطبرى .

(٢) في المطبوعة : « وذلك إن علمه عالم لم ينفع العالم . . . » ، وأثبت ما في المخطوطة وابن كثير

(١ : ١٤٣) .

بمترله « كى » فى نصبها الأفعال المستقبلية ، للزومها الاستقبال . إذ كان أصل الجزاء الاستقبال .

وقال بعض نحويى أهل البصرة : تأويل ذلك ، لا يكن منكما قُربُ هذه الشجرة فأن تكونا من الظالمين . غير أنه زعم أن « أن » غير جائز إظهارها مع « لا » ، ولكنها مضمرة لا بد منها ، ليصح الكلام بعطف اسم - وهى « أن » - على الاسم . كما غير جائز فى قولهم : « عسى أن يفعل » ، عسى الفعل . ولا فى قولك : « ما كان ليفعل » : ما كان لأن يفعل .

وهذا القول الثانى يُفسده إجماعُ جميعهم على تخطئة قول القائل : « سرنى تقوم يا هذا » ، وهو يريد سرنى قيامك . فكذلك الواجب أن يكون خطأ على هذا المذهب قول القائل : « لا تقم » إذا كان المعنى : لا يكن منك قيام . وفى إجماع جميعهم - على صحة قول القائل : « لا تقم » ، وفساد قول القائل : « سرنى تقوم » بمعنى سرنى قيامك - الدليل الواضح على فساد دعوى المدعى أن مع « لا » التى فى قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، ضمير « أن » - وصحة القول الآخر .

وفى قوله « فتكونا من الظالمين » ، وجهان من التأويل :

أحدهما أن يكون « فتكونا » فى نية العطف على قوله « ولا تقربا » ، فيكون تأويله حيثئذ : ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين . فيكون « فتكونا » حيثئذ فى معنى الجزم مجزوماً بما جزم به « ولا تقربا » ، كما يقول القائل : لا تكلم عمراً ولا تؤذه ، كما قال امرؤ القيس .

فَقُلْتُ لَهُ : صَوِّبْ وَلَا تَجْهَدْنَهُ فَيُذْرِكَ مِنْ أُخْرَى الْقَطَاةِ قَتَلَ (١)

فجزم « فيذرك » بما جزم به « لا تجهدنه » ، كأنه كرر النهى .

(١) ديوانه ، من رواية الأعمى الشتمرى ، القصيدة رقم : ٣٠ ، البيت : ٢٦ . وفى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٦ ، ونسبه سيبويه فى الكتاب ١ : ٤٥٢ ، لعمر بن عمار الطائى ، وسيد كره الطبرى فى (١٥ : ١٦٤ بولاق) غير منسوب ، ورواية سيبويه « فيذرك من أخرى القطاة » وقوله : « فقلت له »

والثاني أن يكون « فتكونا من الظالمين » ، بمعنى جواب النهي . فيكون تأويله
 حينئذ : لا تقربا هذه الشجرة ، فإنكما إن قَرَبْتُمَا كُنْتُمَا من الظالمين . كما تقول :
 لا تَشْمَ عَمراً فيشتمك ، مجازاةً . فيكون « فتكونا » حينئذ في موضع نصب ، إذ
 كان حرفاً عطف على غير شكله ، لما كان في « ولا تقربا » حرف عامل فيه ، ١٨٦/١
 ولا يصلح إعادته في « فتكونا » ، فنصب على ما قد بينت في أول هذه المسئلة .
 وأما تأويل قوله « فتكونا من الظالمين » ، فإنه يعني به فتكونا من المتعدّين إلى
 غير ما أُذِنَ لهم وأُبيح لهم فيه ، وإنما عني بذلك أنكما إن قَرَبْتُمَا هذه الشجرة ، كنتمَا
 على منهاج من تعدّى حُدُودِي ، وعصى أَمْرِي ، واستحلَّ محارمي ، لأن الظالمين
 بعضهم أولياء بعض ، والله وليّ المتقين .

• • •

وأصل « الظلم » في كلام العرب ، وضعُ الشيء في غير موضعه ، ومنه قول نابغة
 بني ذبيان :

إِلَّا أَوَارِيَّ لَايَا مَا أَبَيَّنْهَا وَالنَّوْئِي كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ^(١)

فجعل الأرض مظلومة ، لأن الذي حفر فيها النوى حفر في غير موضع الحفر .
 فجعلها مظلومة ، لموضع الحفرة منها في غير موضعها^(٢) . ومن ذلك قول ابن قميثة
 في صفة غيث :

يعني غلامه ، وذكره قبل أبيات . وقوله : « صوب » ، أي خذ الفرس بالقصد في السير وارفقه به ولا تجهده
 بالعدو الشديد فيصرعك . أذراه عن فرسه : ألقاه وصرعه . والقطاة : مقعد الردف من الفرس . وأخرى
 القطاة : آخر المقعد . ورواية الشنتمري : « من أعلى القطاة » . وهما سواء .

(١) سلف تخريجه وشرحه في هذا الجزء : ١٨٣

(٢) في المطبوعة : « لموضع الحفرة منها في غير موضعها » ، وفي المخطوطة أيضاً : « لموضع الحفر فيها
 في غير موضعها » .

ظَلَمَ الْبِطَاحَ بِهَا أَنْهَالَ حَرِيصَةً فَصَفَا النُّطَافُ لَهُ بُعِيدَ الْمُقْلَعِ^(١)
 وظلمه إياه : مجيئه في غير أوانه ، وانصبابه في غير مصبّه . ومنه : ظلم الرجل
 جزوره ، وهو نحره إياه لغير علة . وذلك عند العرب وَضَعَ النحر في غير موضعه .
 وقد يتفرع الظلم في معان يطول بإحصائها الكتاب ، وسنيناها في أماكنها إذا أتينا
 عليها إن شاء الله تعالى . وأصل ذلك كله ما وصفنا من وضع الشيء في غير موضعه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القراءة^(٢) في قراءة ذلك . فقرأته عامتهم ، « فَأَزَلَّهُمَا »
 بتشديد اللام ، بمعنى : استزلّهما ، من قولك زلّ الرجل في دينه : إذا هفا فيه وأخطأ ،
 فأتى ما ليس له إتيانه فيه . وأزلّه غيره : إذا سبب له ما يزلّ من أجله في دينه أو
 دنياه ، ولذلك أضاف الله تعالى ذكره إلى إبليس خروج آدم وزوجته من
 الجنة ، فقال : « فَأَخْرَجَهُمَا » يعني إبليس « مما كانا فيه » ، لأنه كان الذي سبّب
 لهما الخطيئة التي عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة .

* * *

وقرأه آخرون : « فَأَزَالَهُمَا » ، بمعنى إزالة الشيء عن الشيء ، وذلك تنحيته عنه .

وقد روى عن ابن عباس في تأويل قوله : « فَأَزَلَّهُمَا » ، ما : —

(١) جاء أيضاً في تفسيره (٢ : ٥٠ بولاق) منسوباً لعمر بن قميّة . وصحة نسبته إلى الحادثة
 الذبياني ، وهو في ديوان الحادثة ، قصيدة : ٤ ، البيت رقم : ٧ ، وشرح المفضليات : ٥٤ . والبطاح
 جمع بطحاء وأبطح : وهو بطن الوادي . وأنهل المطر أنهللاً : اشتد صوبه ووقعه . والحريصة والحارصة :
 السحابة التي تحرص مطرتها وجه الأرض ، أي تقشره من شدة وقعها . والنطاف جمع نقطة : وهي الماء القليل
 يبقى في الدلو وغيره . وقوله : « بعيد المقلع » : أي بعد أن أقلمت هذه السحابة . ورواية المفضليات :
 « ظلم البطاح له » وقوله : « له » : أي من أجله .

(٢) في المطبوعة : « اختلف القراء » والقراءة جمع قارئ ، وانظر ما مضى : ٥١ ، تعاقب ،

وص : ٦٤ ، ١٠٩ وغيرها .

٧٤١ — حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس في تأويل قوله تعالى : « فأزلهما الشيطان » ، قال : أغواهما^(١) .

• • •

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ « فأزلهما » ، لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه . بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه . وذلك هو معنى قوله « فأزلهما » ، فلا وجه — إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج — أن يقال : « فأزلهما الشيطان » عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، فيكون كقوله : فأزلهما الشيطان عنها فأزلهما مما كانا فيه . ولكن المفهوم أن يقال^(٢) : فاسترلهما إبليس عن طاعة الله — كما قال جل ثناؤه : « فأزلهما الشيطان » ، وقرأت به القراء — فأخرجهما باسترلاله إياهما من الجنة .

• • •

فإن قال لنا قائل : وكيف كان استرلال إبليس آدم وزوجته ، حتى أضيف إليه إخراجهما من الجنة ؟

قيل : قد قالت العلماء في ذلك أقوالاً ، وسند كر بعضها^(٣) :

فحكى عن وهب بن منبه في ذلك ما : —

٧٤٢ — حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

عمر بن عبد الرحمن بن مهرب^(٤) ، قال : سمعت وهب بن منبه ، يقول : لما

(١) الخبر : ٧٤١ — في الدر المنثور ١ : ٥٢ ، والشوكاني ١ : ٥٦ .

(٢) في المطبوعة : « لكن المعنى المفهوم » ، زاد ما لا جوى فيه .

(٣) في المطبوعة : « سند كر » بنير واو .

(٤) في المطبوعة : « عمرو » بدل « عمر » ، وفي المخطوطة وابن كثير : « مهران » ، بدل « مهرب » . وكلاهما خطأ ، صوابه ما أثبتنا : « عمر بن عبد الرحمن بن مهرب » ، فهذا الشيخ ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٢١/١/٣ ، وقال : « سمع وهب بن منبه ، روى عنه إبراهيم بن خالد الصنعاني ، وعبد الرزاق » . ثم روى عن يحيى بن معين ، قال : « عمر بن عبد الرحمن بن مهرب : ثقة » . ولم أجد له ترجمة أخرى . و « مهرب » : لم أجد نصاً بضبطها في هذا النسب ، إلا قول صاحب القاموس أنهم سمو من مادة (م ر ب) بوزن « محسن » — يعني بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه .

أسكن الله آدمَ وذريته — أو زوجته — الشك من أبي جعفر : وهو في أصل كتابه « وذريته » — ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرةً غصونها متشعبٌ بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة للخلد لهم ، وهي الثمرة التي نهى الله آدمَ عنها وزوجته . ١٨٧/١

فلما أراد إبليس أن يستترأًهما أدخل في جوف الحية ، وكانت للحية أربع قوائم كأنها بُخْتِيَّةٌ ، من أحسن دابة خلقها الله — فلما دخلت الحية الجنة ، خرج من جوفها إبليس ، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدمَ وزوجته ، فجاء بها إلى حواء^(١) ، فقال : انظري إلى هذه الشجرة ! ما أطيبَ ريحها وأطيبَ طعمها وأحسنَ لونها ! فأخذت حواءُ فأكلتُ منها ثم ذهبت بها إلى آدمَ فقالت : انظري إلى هذه الشجرة ! ما أطيبَ ريحها وأطيبَ طعمها وأحسنَ لونها ! فأكل منها آدمَ ، فبدت لهما سوائتُهما . فدخل آدمُ في جوف الشجرة ، فناداه ربُّه يا آدمَ أين أنت ؟ قال : قال : أنا هذا يارب^(٢) ! قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك يارب . قال : ملعونة الأرض التي خلقتَ منها لعنةً يتحوّل ثمرها شوكةً . قال : ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرةٌ كان أفضل من الطلح والسدر ، ثم قال : يا حواء ، أنت التي غررتِ عبي ، فإنك لا تحمِلين حملاً إلا حملته كرهاً ، فإذا أردتِ أن تضعي ما في بطنك أشرفتِ على الموت مراراً . وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غرَّ عبي ، ملعونة أنتِ لعنة تتحول قوائمك في بطنك ، ولا يكن لك رزق إلا التراب ، أنت عدوة بني آدمَ وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه ، وحيث لقيك شدخ رأسك . قال عمر^(٣) : قيل لوهب : وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء^(٤) .

ووقع اسم هذا الشيخ محرفاً إلى شيخين ، في تاريخ الطبري ١ : ٥٤ — في هذا الإسناد ، هكذا : « معمر عن عبد الرحمن بن مهران » !

- (١) في المطبوعة : « فجاء به » ، والذي أثبتناه من المخطوطة وتاريخ الطبري .
- (٢) في المطبوعة : « أنا هنا يا رب » ، وأثبتنا ما في المخطوطة وتاريخ الطبري .
- (٣) في المطبوعة : « قال عمرو » ، وأثبتنا الصواب من المخطوطة ، ومما ذكرنا آنفاً .
- (٤) الأثر : ٧٤٢ — في تاريخ الطبري ١ : ٥٤ ، بهذا الإسناد ، وأوله في ابن كثير ١ : ١٤٣ .

وروى عن ابن عباس نحو هذه القصة :

٧٤٣ - حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : لما قال الله عز وجل لآدم : « اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة ، فنعتته الخزنة . فأتى الحية - وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير ، وهي كأحسن الدواب - فكلمها أن تدخله في فيها حتى تدخل به إلى آدم ، فأدخلته في فقمها - قال أبو جعفر : والفقم جانب الشدق^(١) - فرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر . فكلمه من فقمها فلم يبال بكلامه^(٢) ، فخرج إليه فقال : ﴿ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ [سورة طه : ١٢٠] يقول : هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت مليكاً مثل الله عز وجل ، أو تكونا من الخالدين^(٣) ، فلاتموتان أبداً . وحلف لهما بالله إنى لكما لمن الناصحين . وإنما أراد بذلك ليدى لهما ما توارى عنهما من سوءاتهما بهتك لباسهما . وكان قد علم أن لهما سوءة ، لما كان يقرأ من كتب الملائكة ، ولم يكن آدم يعلم ذلك . وكان لباسهما الظفر ، فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حواء فأكلت ، ثم قالت : يا آدم كُلْ ، فإنى قد أكلت فلم يضرني . فلما أكل آدم بدت لهما سوءاتهما وطفقا ينخسفان عليهما من ورق الجنة^(٤) .

(١) في المطبوعة وتاريخ الطبري ١ : ٥٣ : « فأدخلته في فيها ، فرت الحية . . . » ، وما أثبتناه من المخطوطة .

(٢) في المطبوعة وتاريخ الطبري : « فكلمة من فيها » . وفي المطبوعة : « فلم يبال بكلامه » .

(٣) في المخطوطة : « وتكونا من الخالدين » .

(٤) الخبر : ٧٤٣ . بنصه في تاريخ الطبري ١ : ٥٣ ، وبعض الاختلاف في الدر المنثور

١ : ٥٣ ، والشوكاني ١ : ٥٦ .

٧٤٤ - أُحْدِثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَدَّثٌ : أَنَّ الشَّيْطَانَ دَخَلَ الْجَنَّةَ فِي صُورَةِ دَابَّةٍ ذَاتِ قَوَائِمٍ ، فَكَانَ يُرَى أَنَّهُ الْبَعِيرُ ، قَالَ : فَلَعِنَ ، فَسَقَطَتْ قَوَائِمُهُ فَصَارَ حَيَّةً^(١) .

٧٤٥ - وَحُدِّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ أَنَّ مِنَ الْإِبْلِ مَا كَانَ أَوَّلَهَا مِنَ الْجَنِّ ، قَالَ : فَأَيَّيَحْتَ لَهُ الْجَنَّةُ كُلُّهَا إِلَّا الشَّجَرَةَ^(٢) ، وَقِيلَ لَهُمَا : لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . قَالَ : فَأَتَى الشَّيْطَانُ حَوَاءَ فَبَدَأَ بِهَا ، فَقَالَ : أَنْهَيْتُمَا عَنْ شَيْءٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ! عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَقَالَ : ﴿ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ١٨٨/١

إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠] قَالَ : فَبَدَأَتْ حَوَاءُ فَأَكَلَتْ مِنْهَا ، ثُمَّ أَمَرَتْ آدَمَ فَأَكَلَ مِنْهَا . قَالَ : وَكَانَتْ شَجَرَةً مِنْ أَكْلِ مِنْهَا أَحَدٌ . قَالَ : وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْجَنَّةِ حَدَثٌ . قَالَ : « فَأَزَالُهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأُخْرِجُهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ »^(٣) ، قَالَ : فَأُخْرِجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ^(٤) .

٧٤٦ - حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ آدَمَ حِينَ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْكِرَامَةِ وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْهَا ، قَالَ : لَوْ أَنَّ خُلْدًا كَانَ ! فَاغْتَمَزَ فِيهَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ لَمَا سَمِعَهَا مِنْهُ^(٥) ، فَأَتَاهُ مِنْ قِبَلِ الْخُلْدِ^(٦) .

(١) الأثر : ٧٤٤ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥

(٢) في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ ، زيادة سياقها : « ... كُلُّهَا - يَعْنِي آدَمَ - إِلَّا الشَّجَرَةَ » .

(٣) في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ « فَأَزَالُهُمَا الشَّيْطَانُ » .

(٤) الأثر : ٧٤٥ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ .

(٥) في التاريخ : « لَوْ أَنَا خُلْدٌ » . وفي المطبوعة : « فَاغْتَمَزَهَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ » ، لم يحسنوا قراءة المخطوطة فبدلوا الحرف ، وأثبتنا ما في المخطوطة والتاريخ . يقال : سَمِعَ مِنْ كَلِمَةٍ فَاغْتَمَزَهَا ، أَيْ اسْتَضَعَفَهَا وَوَجَدَ فِيهَا مَغْمَزًا يَمَازِي وَيُوقِي مِنْ قَبْلِهِ .

(٦) الأثر : ٧٤٦ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ .

٧٤٧ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : حدثت :

أن أول ما ابتدأهما به من كيدِهِ لِيَاَهُمَا ، أنه ناح عليهما نياحةً أحزنتهما حين سمعاها ، فقالا : ما يبكيك ؟ قال : أبكى عليكما ، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك في أنفسهما . ثم أتاهما فوسوس إليهما ، فقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ وقال : « مانها كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا خالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين » . أي تكونا ملكين ، أو تخلدا ، إن لم تكونا ملكين^(١) - في نعمة الجنة فلا تموتان . يقول الله جل ثناؤه : « فدلّاهما بغرور »^(٢) .

٧٤٨ - حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال

ابن زيد : وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها ، ثم حسنها في عين آدم . قال : فدعاها آدم لحاجته ، قالت : لا ! إلا أن تأتي ههنا . فلما أتى قالت : لا ! إلا أن تأكل من هذه الشجرة . قال : فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما . قال : وذهب آدم هارباً في الجنة ، فناداه ربه : يا آدم أمنى تفر ؟ قال : لا يارب ، ولكن حياء منك . قال : يا آدم أنتى أتيت ؟ قال : من قبل حواء أي رب . فقال الله : فإن لها على أن أدميتها في كل شهر مرة ، كما أدميت هذه الشجرة^(٣) ، وأن أجعلها سفيةً فقد كنت خلقتها حليلة ، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً ، فقد كنت جعلتها تحمل يسراً وتضع يسراً . قال ابن زيد : ولولا البلية التي أصابت حواء ، لكان نساء الدنيا لا يحضن ، ولكن حليمات ، وكن يحملن يسراً ويضعن يسراً^(٤) .

(١) في المخطوطة : « أي تكونا ملكين ، أو تخلدان إن لم . . . » وفي التاريخ ١ : ٥٥ : « أي تكونان ملكين أو تخلدان - أي إن لم . . . » .

(٢) الأثر : ٧٤٧ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ .

(٣) في المخطوطة : « كما دمت هذه الشجرة » .

(٤) الأثر : ٧٤٨ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ .

٧٤٩ - حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعته يحلف بالله ما يستثنى - ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواء سقته الحمر ، حتى إذا سكر قادته إليها فأكل ^(١).

٧٥٠ - حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن ليث ابن أبي سليم، عن طاوس الجعفي ، عن ابن عباس ، قال : إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أيها يحمله حتى يدخل الجنة معها ويكلم آدم وزوجته ^(٢) ، فكل الدواب أبي ذلك عليه ، حتى كلم الحية فقال لها : أمنعك من ابن آدم ، فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة . فجعلته بين نابين من أنبيائها ، ثم دخلت به ، فكلهما من فيها ؛ وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم ، فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها . قال : يقول ابن عباس : اقتلوا حيث وجدتموها ، أخفروا ذمة عدو الله فيها ^(٣) .

٧٥١ - وحدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، قال قال ابن إسحق : وأهل التوراة يدرسون : إنما كلم آدم الحية . ولم يفسروا كتفسير ابن عباس .

٧٥٢ - وحدثنا القاسم، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : نهى الله آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ، ويأكلا منها رعداً حيث شاءا ، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية ، فكلم حواء ، ووسوس الشيطان إلى آدم فقال : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن

١٨٩/١

(١) الأثر : ٧٤٩ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ - ٥٦ ، وهو هناك تام .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة والدر المنثور : « أنها تحمله حتى يدخل . . . » ، وأثبت ما في تاريخ

الطبري ١ : ٥٤ ، فهو أجود وأصح .

(٣) الخبر : ٧٥٠ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٣ - ٥٤ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ . وأخفر

الذمة والعهد : نقضهما ، ولم يف بهما .

الناصحين . قال : فقطعت^(١) حواء الشجرة فدَمِيت الشجرة . وسقط عنهما رياشهما الذى كان عليهما ، وطفقا ينخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما : ﴿ أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٢] . لم أكلها وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب أطعمتني حواء . قال لحواء : لم أطعمته ؟ قالت : أمرتني الحية . قال للحية : لم أمرتها ؟ قالت : أمرني إبليس . قال : ملعونٌ مدحورٌ ! أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين^(٢) في كلِّ هلال ، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجهك ، وسيشدخ رأسك من لقيك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو^(٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وقد رُويت هذه الأخبار — عن روينها عنه من الصحابة والتابعين وغيرهم — في صفة استئلال إبليس عدو الله آدم وزوجته حتى أخرجهما من الجنة . وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتاب الله موافقاً . وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدى لهما ما وُورى عنهما من سَوَاتِمهما ، وأنه قال لهما : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » ، وأنه « قاسمهما إني لكما لمن الناصحين » مدلياً لهما بغرور . ففي إخباره جل ثناؤه — عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقبله لهما : إني لكما لمن الناصحين — الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه : إما ظاهراً لأعينهما ، وإما مستجيباً في غيره . وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقال : قاسم فلان فلاناً في كذا وكذا . إذا سبب له سبباً وصل به إليه دون أن يحلف له . والحلف لا يكون بتسبب السبب . فكذلك قوله « فوسوس إليه الشيطان » ، لو كان ذلك كان منه إلى آدم — على نحو الذى منه إلى ذريته ، من تزوين أكل ما نهى الله آدم

(١) في المطبوعة : « فقطعت حواء الشجرة » ، وأثبتنا ما في المخطوطة وتاريخ الطبرى ١ : ٥٤ .

(٢) في المطبوعة : « فتدمين » ، وأثبتنا ١٠ في المخطوطة والتاريخ .

(٣) الأثر : ٧٥٢ — في تاريخ الطبرى ١ : ٥٤ .

عن أكله من الشجرة ، بغير مباشرة خطابه إياه بما استتره به من القول والحيل - لما قال جل ثناؤه : « وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين » . كما غير جائر أن يقول اليوم قاتل ممن أتى معصية : قاسمى إبليس أنه لي ناصح فيما زين لي من المعصية التي أتيتها . فكذلك الذي كان من آدم وزوجته ، لو كان على النحو الذي يكون فيما بين إبليس اليوم وذرية آدم - لما قال جل ثناؤه : « وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين » ، ولكن ذلك كان - إن شاء الله - على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله .

فأما سبب وصوله إلى الجنة حتى كلم آدم بعد أن أخرجه الله منها وطرده عنها ، فليس فيما روى عن ابن عباس ووهب بن منبه في ذلك معنى يجوز لدى فهم مدافعتة ، إذ كان ذلك قولاً لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه^(١) ، وهو من الأمور الممكنة . فالقول في ذلك أنه وصل إلى خطابهما على ما أخبرنا الله جل ثناؤه^(٢) ؛ ويمكن أن يكون وصل إلى ذلك بنحو الذي قاله المتأولون ، بل ذلك - إن شاء الله - كذلك ، لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك . وإن كان ابن إسحق قد قال في ذلك ما :-

٧٥٣ - حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحق في ذلك ، والله أعلم ، كما قال ابن عباس وأهل التوراة : إنه خلص إلى آدم وزوجته بسُلطانه الذي جعل الله له لبيتلي به آدم وذريته ، وأنه يأتي ابن آدم في نومه وفي يقظته ، وفي كل حال من أحواله ، حتى يخلص إلى ما أراد منه ، حتى يدعوّه إلى المعصية ، ويوقع في نفسه الشهوة وهو لا يراه . وقد قال الله عز وجل : « فأزلهما الشيطان عنها ، فأخرجهما مما كانا فيه »^(٣) ، وقال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ

١٩٠/١

(١) في المطبوعة : « إذ كان ذلك قولاً لا يدفعه قول . . . » .

(٢) في المطبوعة : « والقول في ذلك . . . » .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « وقد قال الله فوسوس لهما الشيطان ، فأخرجهما مما كان فيه » ، وهذه ليست آية ، والصواب أنه أراد آية سورة البقرة هذه .

الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ [سورة الأعراف : ٢٧] وقد قال الله لنبيه عليه السلام : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ إلى آخر السورة . ثم ذكر الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ^(١) . ثم قال ابن إسحق ^(٢) : وإنما أمر ابن آدم فيما بينه وبين عدو الله ، كأمره فيما بينه وبين آدم . فقال الله : ﴿ اهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] . ثم خلص إلى آدم وزوجته حتى كلمهما ، كما قص الله علينا من خبرهما ، فقال : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ [سورة طه : ١٢٠] ، فخلص إليهما بما خلص إلى ذريته من حيث لا يريانه — فالله أعلم أي ذلك كان — فتابا إلى ربهما .

• • •

قال أبو جعفر : وليس في يقين ابن إسحق — لو كان قد أيقن في نفسه — أن إبليس لم يخلص إلى آدم وزوجته بالمخاطبة بما أخبر الله عنه أنه قال لهما وخاطبهما به ، ما يجوز لدى فهم الاعتراض به على ما ورد من القول مستفيضاً من أهل العلم ، مع دلالة الكتاب على صحة ما استفاض من ذلك بينهم . فكيف بشكك ؟ والله نسأل التوفيق .

• • •

(١) حديث « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » — حديث صحيح جداً — رواه أحمد والشيخان وأبو داود ، من حديث أنس ، ورواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه ، من حديث صفية ، وهي بنت حيي ، أم المؤمنين ، كما في الجامع الصغير : ٢٠٣٦ .

(٢) في المطبوعة إسقاط : « ثم » .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾

قال أبو جعفر : وأما تأويل قوله « فأخرجهما » ، فإنه يعني : فأخرج الشيطان آدم وزوجته ، « مما كانا » ، يعني مما كان فيه آدم وزوجته من رغد العيش في الجنة ، وسعة نعيمها الذي كانا فيه . وقد بينا أن الله جل ثناؤه إنما أضاف إخراجهما من الجنة إلى الشيطان - وإن كان الله هو المخرج لهما - لأن خروجهما منها كان عن سبب من الشيطان ، فأضيف ذلك إليه لتسبيبه إياه^(١) ، كما يقول القائل لرجل وصل إليه منه أذى حتى تحول من أجله عن موضع كان يسكنه : « ما حولني من موضعي الذي كنت فيه إلا أنت » ، ولم يكن منه له تحويل ، ولكنه لما كان تحوله عن سبب منه ، جاز له إضافة تحويله إليه .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ

قال أبو جعفر : يقال هبط فلان أرض كذا ووادي كذا ، إذا حل ذلك^(٢) ،

كما قال الشاعر :

مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ ، حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ أَيْدِي الرَّكَّابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَّا^(٣)

(١) في المطبوعة : « وأضيف ذلك . . . » .

(٢) لعل صواب العبارة : « إذا حل ذلك الموضع » ، فسقطت كلمة من الناصحين .

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ٣٧ ، أرمقهم : يعني أحبابه الراحلين ، وينظر إليهم حزينا كثيبا ، والركاب : الإبل التي يرحل عليها . وراكس : واد في ديار بني سعد بن ثعلبة ، من بني أسد . وفلق وفالق : المطس من الأرض بين ربتين أو جبلين أو هضبتين ، وقالوا : فالق وفلق ، كما قالوا : يابس وريبس (بفتحيتين) .

وقد أبان هذا القولُ من الله جل ثناؤه ، عن صحة ما قلنا من أن المخرجَ آدمَ من الجنة هو الله جل ثناؤه ، وأن إضافة الله إلى إبليس ما أضاف إليه من إخراجهما ، كان على ما وصفنا . ودلّ بذلك أيضاً على أن هبوط آدم وزوجته وعدوهما إبليس ، كان في وقت واحد ، يجتمع الله إليهم في الخبر عن إهباطهم ، بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته ، وتسبب إبليس ذلك لهما^(١) ، على ما وصفه ربنا جل ذكره عنهم .

• • •

قال أبو جعفر : وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله : « اهبطوا » ، مع إجماعهم على أن آدم وزوجته ممن عني به .

٧٥٤ - فحدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن أبي عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية^(٢) .

٧٥٥ - حدثنا ابن وكيع ، وموسى بن هرون ، قالا : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : فلعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشي على بطنها ، وجعل رزقها من التراب . وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية^(٣) .

٧٥٦ - وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قول الله : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : آدم وإبليس والحية^(٤) .

(١) لعل الأجود : « وتسبب إبليس ذلك لهما » ، وهي في المخطوطة غير منقوطة .

(٢) الأثر : ٧٥٤ - في الدر المنثور ١ : ٥٥ .

(٣) الأثر : ٧٥٥ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٦ ، والظاهر أن إسناده هنا مقط منه شيء ، وتماه في التاريخ : . . . عن السدي - في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الحمداي عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : اهبطوا . . . وهو الإسناد الذي يكثر الطبري من الرواية به .

(٤) الأثر : ٧٥٦ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٦ .

٧٥٧ - وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، آدم وإبليس والحية ، ذرية بعضهم أعداء لبعض .

٧٥٨ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « بعضكم لبعض عدو » ، قال : آدم وذريته ، وإبليس وذريته .
٧٥٩ - وحدثنا المثنى ، قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « بعضكم لبعض عدو » ، قال : يعنى إبليس وآدم^(١) .

٧٦٠ - حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن حدثه عن ابن عباس في قوله : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : بعضهم لبعض عدو : آدم وحواء وإبليس والحية^(٢) .
٧٦١ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : حدثني عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن إسماعيل السدي ، قال : حدثني من سمع ابن عباس يقول : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية^(٣) .

٧٦٢ - وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : لهما ولذريتهما^(٤) .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما كانت عداوة ما بين آدم وزوجته وإبليس والحية ؟

(١) الآثار : ٧٥٧ - ٧٥٩ لم أجدها بإسنادها في مكان .

(٢) الخبر : ٧٦٠ - كالذي يليه من طريق آخر .

(٣) الخبر : ٧٦١ - في تاريخ الطبري ١ : ٥٦ .

(٤) الأثر : ٧٦٢ - لم أجده في مكان .

قيل : أما عداوة إبليس آدمَ وذريته ، فحسدهُ إياه ، واستكباره عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [سورة ص : ٧٦] . وأما عداوة آدم وذريته إبليس ، فعداوةُ المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربه في تكبره عليه ومخالفته أمره . وذلك من آدم ومؤمني ذريته إيمان بالله . وأما عداوة إبليس آدمَ فكفرٌ بالله .

وأما عداوة ما بين آدم وذريته والحية ، فقد ذكرنا ما روى في ذلك عن ابن عباس ووهب بن منبه ، وذلك هي العداوة التي بيننا وبينها ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَا سَأَلْنَا هُنَّ مِنْ دَحَارٍ بَنَاهُنَّ ، فَهِنَّ تَرْكِهِنَّ خَشْيَةً تَأْرَهُنَّ فَلَيْسَ مِنْنَا » .

٧٦٣ - حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثني حجاج بن رشدين ، قال : حدثنا حيوة بن شريح ، عن ابن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَا سَأَلْنَا هُنَّ مِنْ دَحَارٍ بَنَاهُنَّ ، فَهِنَّ تَرْكُ شَيْئاً مِنْهُنَّ خِيفَةً » ، فليس منا ^(١) .

(١) الحديث : ٧٦٣ - إسناده جيد . والحديث مروي بألفاظ أخر صحاح ، كما سذكر ، إن شاء الله . حجاج : هو ابن رشدين بن سعد المصري ، ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ٢ / ١٦٠ ، وذكر أنه يروي عن « حيوة بن شريح » ، ويروي عنه « محمد بن عبد الله بن عبد الحكم » . وذكر أنه سأل عنه أبا زرعة ، قال : « لَا أَعْلَمُ لِي بِهِ » ، لم أكتب عن أحد عنه . وترجمه الحافظ في لسان الميزان ، ونقل أنه ضعفه ابن عدى ، وأنه مات سنة ٢١١ ، وأن ابن يونس لم يذكر فيه جرحاً ، « وقال الخليل : هو أمثل من أبيه » ، وقال مسلمة بن قاسم : لا بأس به » ، وأن ابن حبان ذكره في الثقات . وهذا كاف في توثيقه ، خصوصاً وأن ابن يونس أعرف بتاريخ المصريين . وأبوه اسمه « رشدين » ، بكسر الراء والدال بينهما شين معجمة ساكنة ، وبعد الدال ياء ونون . ووقع في المطبوعة « رشد » ؛ وهو خطأ .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٩٥٨٦ ، عن يحيى - وهو القطان ، ١٠٧٥٢ ، عن صفوان - وهو ابن عيسى الزهري ، كلاهما عن ابن عجلان ، به (٢ : ٤٣٢ ، ٥٢٠ من طبعة الحلبي) . ورواه أيضاً قبل ذلك مختصراً : ٧٣٦٠ (٢ : ٢٤٧) عن سفيان بن عيينة . ورواه أبو داود : ٥٢٤٨ (٤ : ٥٣٤ عون المعبود) ، من طريق سفيان ، تاماً . وهذه أسانيد صحاح .

وورد معناه من حديث ابن عباس ، في المسند أيضاً : ٢٠٣٧ ، ٣٢٥٤ . وقريب من معناه من حديث ابن مسعود ، في المسند أيضاً : ٣٩٨٤ .

قال أبو جعفر : وأحسبُ أن الحرب التي بيننا ، كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدمنا الرواية عنهم ، في إدخالها لإبليس الجنة بعد أن أخرجه الله منها ، حتى استرله عن طاعة ربه في أكله ما نُهي عن أكله من الشجرة .

٧٦٤ - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا معاوية بن هشام - وحدثني محمد ابن خلف العسقلاني ، قال حدثني آدم - جميعاً ، عن شيبان ، عن جابر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلقت هي والإنسان كل واحد منهما عدو لصاحبه ، إن رآها أفزعته ، وإن لدغته أوجعته ، فاقتلها حيث وجدت^(١)ها » .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾

١٩٢/١

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال : بعضهم بما -
 ٧٦٥ - حدثني المشي بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « ولكم في الأرض مستقرٌّ »
 قال : هو قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٢] .
 ٧٦٦ - وحدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولكم في الأرض مستقرٌّ » ، قال : هو قوله : ﴿ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ ^(٢) [سورة غافر : ٦٤] .

(١) الحديث : ٧٦٤ - في الدر المنثور ١ : ٥٥ ، ونسبه للطبري فقط . وهو في مجمع الزوائد ٤ : ٤٥ بلفظ آخر ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه جابر غير مسمى ، والظاهر أنه الجمعي ، وثقه الثوري وشعبة ، وضعفه الأئمة أحد وغيره .

(٢) الأثران : ٧٦٥ - ٧٦٦ : لم أجدهما في مكان .

وقال آخرون: معنى ذلك ولكم في الأرض قرآر في القبور . ذكر من قال ذلك :

٧٦٧ - حدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا

أسباط، عن السدي: « ولكم في الأرض مستقر »، يعني القبور^(١).

٧٦٨ - وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثني عبد الرحمن

ابن مهدي، عن إسرائيل، عن إسماعيل السدي، قال: حدثني من سمع ابن عباس قال: « ولكم في الأرض مستقر »، قال: القبور^(٢).

٧٦٩ - وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: « ولكم

في الأرض مستقر »، قال: مقامهم فيها^(٣).

• • •

قال أبو جعفر: والمستقر في كلام العرب، هو موضع الاستقرار . فإذا كان ذلك

كذلك، فحيث كان من الأرض موجوداً حالاً، فذلك المكان من الأرض مستقره.

ولما عني الله جل ثناؤه بذلك: أن لهم في الأرض مستقراً ومنزلاً، بأماكنهم ومستقرهم

من الجنة والسماء . وكذلك قوله: « ومتاع » يعني به: أن لهم فيها متاعاً بمتاعهم

في الجنة .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم: ولكم

فيها بلاغ إلى الموت . ذكر من قال ذلك :

٧٧٠ - حدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا

(١) الأثر: ٧٦٧ - لم أجده في مكان .

(٢) الخبر: ٧٦٨ - في الدر المنثور ١: ٥٥، وهو من تمام الخبر: ٧٦١ .

(٣) الأثر: ٧٦٩ - لم أجده في مكان .

أسباط ، عن السدى فى قوله : « ومتاعٌ إلى حين » ، قال يقول : بلاغ إلى الموت ^(١) .
 ٧٧١ - وحديثى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال حدثنا عبد الرحمن
 ابن مهدي ، عن إسرائيل ، عن إسماعيل السدى ، قال : حدثنى من سمع ابن عباس :
 « ومتاعٌ إلى حين » ، قال : الحياة ^(٢) .

* * *

وقال آخرون : يعنى بقوله « ومتاعٌ إلى حين » ، إلى قيام الساعة . ذكر من
 قال ذلك :

٧٧٢ - حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا
 شبل ، عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد : « ومتاع إلى حين » ، قال : إلى يوم
 القيامة ، إلى انقطاع الدنيا .

* * *

وقال آخرون : « إلى حين » . قال : إلى أجل . ذكر من قال ذلك :
 ٧٧٣ - حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ،
 عن أبيه ، عن الربيع : « ومتاع إلى حين » ، قال : إلى أجل ^(٣) .

* * *

والمتاع ، فى كلام العرب ، كل ما استمتع به من شىء ، من معاش استمتع به
 أو ريش أو زينة أو لذة أو غير ذلك ^(٤) . فإذا كان ذلك كذلك - وكان الله
 جل ثناؤه قد جعل حياة كل حى متاعاً له يستمتع بها أيام حياته ، وجعل الأرض
 للإنسان متاعاً أيام حياته ، بقراره عليها ، واغتذائه بما أخرج الله منها من الأقوات
 والثمار ، والتذاده بما خلق فيها من الملاذ ، وجعلها من بعد وفاته بلحثة كفاتاً ^(٥) ،
 ولحسمه منزلاً وقراراً ؛ وكان اسم المتاع يشمل جميع ذلك - كان أولى التأويلات

(١) الأثر : ٧٧٠ - لم أجده فى مكان .

(٢) الأثر : ٧٧١ - فى الدر المنثور ١ : ٥٥ ، وهو من تمام الأثرين : ٧٦١ ، ٧٦٨

(٣) الأثران : ٧٧٢ ، ٧٧٣ : لم أجدهما فى مكان .

(٤) فى المخطوطة : « فى معاش استمتع . . . »

(٥) الكفات : الموضع الذى يضم فيه الشىء ويقبض .

بالآية—^(١) إذ لم يكن الله جل ثناؤه وضع دلالة دالة على أنه قصد بقوله : «ومتاع» إلى حين «بعضاً دون بعض ، وخاصاً دون عام في عقل ولا خبر — أن يكون ذلك في معنى العام» ، وأن يكون الخبر أيضاً كذلك ، إلى وقت يطول استمتاع بني آدم وبني إبليس بها ، وذلك إلى أن تبدل الأرض غير الأرض . فإذا كان ذلك أولى التأويلات بالآية لما وصفتنا ، فالواجب إذاً أن يكون تأويل الآية : ولكم في الأرض ١٩٢/١ منازل ومساكن تستقرون فيها استقراركم — كان — في السموات ، وفي الجنان في منازلكم منها ^(٢) ، واستمتاع منكم بها وبما أخرجت لكم منها ، وبما جعلت لكم فيها من المعاش والرياش والزين والملاذ ، وبما أعطيتكم على ظهرها أيام حياتكم ومن بعد وفاتكم لأرئاسكم وأجداثكم تدفنون فيها ^(٣) ، وتبلغون باستمتاعكم بها إلى أن أبدلكم بها غيرها .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾

قال أبو جعفر : أما تأويل قوله : «فتلقى آدم» ، فقول : إنه أخذ وقبيل ^(٤) . وأصله التفعّل من اللقاء ، كما يتلقى الرجل الرجل مستقبله عند قدومه من غيبته أو سفره ، فكان ذلك كذلك في قوله «فتلقى» ^(٥) ، كأنه استقبله فتلقيه بالقبول حين أوحى إليه أو أخبر به . فمعنى ذلك إذا : فلقى الله آدم كلمات توبة ، فتلقيها آدم من ربه وأخذها عنه ثائباً ، فتأب الله عليه بقبوله إياها ، وقبوله إياها من ربه . كما : — ٧٧٤ — حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن

(١) في المطبوعة : « إن لم يكن الله . . . » ، وهو خطأ .

(٢) في المطبوعة : « في الجنات » .

(٣) الأرياس جمع رمس ، والأجدات جمع جدث (بفتحين) : وهما بمعنى القبر .

(٤) في المطبوعة : « أخذ . وقيل : أصله » ، وهو خطأ .

(٥) في المطبوعة : « . . . يستقبله عند قدومه من غيبة أو سفر فكذلك ذلك في قوله » ، تصرف

زيد في قوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات » الآية . قال : لقاهما هذه الآية :
 ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١)
 [سورة الأعراف : ٢٣] .

• • •

وقد قرأ بعضهم : « فتلقى آدم من ربه كلمات » ، فجعل الكلمات هي المتلقى
 آدم . وذلك ، وإن كان من جهة العربية جائزاً ، — إذ كان كل ما تلقاه الرجل
 فهو له « متلق » ، وما لقيه فقد لقيه ، فصار للمتكلم أن يُوجه الفعل إلى أيهما شاء ،
 ويخرج من الفعل أيهما أحب — فغير جائز عندى في القراءة إلا رفع « آدم » على
 أنه المتلقى الكلمات ، لإجماع الحجة من القرأة وأهل التأويل من علماء السلف
 والخلف ^(٢) ، على توجيه التلقى إلى آدم دون الكلمات . وغيرُ جائز الاعتراض
 عليها فيما كانت عليه مجمعة ، بقول من يجوز عليه السهو والخطأ .

• • •

واختلف أهل التأويل في أعيان الكلمات التي تلقاها آدم من ربه . فقال
 بعضهم بما :-

٧٧٥ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن
 ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :
 « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » ، قال : أى رب ، ألم تخلقني بيديك؟
 قال : بلى . قال : أى رب ، ألم تنفخ في من روحيك ؟ قال : بلى . قال : أى رب ،
 ألم تسكني جنتك ؟ قال : بلى . قال : أى رب ، ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال :
 بلى . قال : أرايت إن أنا تبت وأصلحت ، أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قال : نعم .

(١) الأثر : ٧٧٤ — ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ ، والشوكاني ١ : ٥٨ ،

وسياتي برقم : ٧٩٢

(٢) في المطبوعة : « لإجماع الحجة من القرأة » . والقرأة : جمع قارىء ، كما سلف مراراً ، انظر

ما مضى من ٥٢٤ .

قال : فهو قوله : « فتلقي آدم من ربه كلمات »^(١) .

٧٧٦ - وحدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم ، قال : حدثنا محمد

ابن مُصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس ، نحوه .

٧٧٧ - وحدثني محمد بن سعد قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ،

قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فتلقي آدم من ربه كلمات
فتاب عليه » ، قال : إن آدم قال لربه إذ عصاه : رب ، أرايت إن أنا تبت
وأصلحت ؟ فقال له ربه : إني راجعك إلى الجنة^(٢) .

٧٧٨ - وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ،

عن قتادة ، قوله : « فتلقي آدم من ربه كلمات » ، ذكر لنا أنه قال : يا رب ، أرايت
إن أنا تبت وأصلحت ؟ قال : إني إذا راجعك إلى الجنة ، قال : وقال الحسن :
إنهما قالا : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »^(٣) .

٧٧٩ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا أبو جعفر ،

عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله « فتلقي آدم من ربه كلمات » ، قال : إن
آدم لما أصاب الخطيئة قال : يا رب ، أرايت إن تبت وأصلحت ؟ فقال الله : ١٩٤/١
إذا أرجعك إلى الجنة . فهي من الكلمات . ومن الكلمات أيضاً : « ربنا ظلمنا
أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »^(٤) .

٧٨٠ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال حدثنا أسباط ،

عن السدي : « فتلقي آدم من ربه كلمات » ، قال : رب ، ألم تخلقني بيدك ؟
قيل له : بلى . قال : ونفخت في من روحك ؟ قيل له : بلى . قال وسبقت رحمتك

(١) الخبر : ٧٧٥ - في ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٨ ، والشوكاني ١ : ٥٧ .

(٢) الخبر : ٧٧٧ - لم أجده بلفظه في مكان .

(٣) الأثر : ٧٧٨ - في ابن كثير ١ : ١٤٧ .

(٤) الأثر : ٧٧٩ - في ابن كثير ١ : ١٤٧ .

غضبك؟ قيل له : بلى . قال : رب هل كنت كتبت هذا على ؟ قيل له : نعم . قال : رب ، إن تبت وأصلحت ، هل أنت راجعى إلى الجنة ؟ قيل له : نعم . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾^(١) [سورة طه : ١٢٢] .

* * *

وقال آخرون بما :-

٧٨١ - حدثنا به محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، قال : حدثني من سمع عبيد ابن عمير يقول : قال : آدم : يا رب ، خطيئتي التي أخطأتها ، أشيء كتبت على قبل أن تخلقني ، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي ؟ قال : بلى ، شيء كتبت عليك قبل أن أخلقك . قال : فكما كتبت على فاعفره لى . قال : فهو قول الله : « فتلقني آدم من ربه كلمات »^(٢) .

٧٨٢ - وحدثنا ابن سنان ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، قال : أخبرني من سمع عبيد بن عمير ، بمثله .

٧٨٣ - وحدثنا ابن سنان ، قال : حدثنا وكيع بن الجراح ، قال : حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، عن سمع عبيد بن عمير يقول : قال آدم : فذكر نحوه .

٧٨٤ - وحدثنا المثني ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، قال أخبرني من سمع عبيد بن عمير ، بنحوه .

٧٨٥ - وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن عبد العزيز ، عن عبيد بن عمير ، بمثله .

وقال آخرون بما :-

٧٨٦ - حدثني به أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي ، قال : حدثنا عبد الرحمن

(١) الأثر : ٧٨٠ - لم أجده بنصه في مكان .

(٢) الأثر : ٧٨١ - في ابن كثير ١ : ٤٧ . والدر المنثور ١ : ٥٩ .

ابن شريك ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا حصين بن عبد الرحمن ، عن حميد
ابن نيهان ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، أنه قال : قوله : « فتلقى آدم
من ربه كلمات فتاب عليه » ، قال آدم : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ،
أستغفرك وأتوب إليك ، تب على إنك أنت التواب الرحيم^(١) .

٧٨٧ - وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو غسان ، قال : أنبأنا

أبو زهير - وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال : أخبرنا أبو أحمد ، قال :
حدثنا سفيان ، وقيس - جميعاً عن نخصيف ، عن مجاهد في قوله : « فتلقى آدم من ربه
كلمات » ، قال قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا » ، حتى فرغ منها^(٢) .

٧٨٨ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثني شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، كان يقول في قول الله : « فتلقى آدم من ربه كلمات »
الكلمات : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فاغفر
لي إنك خير الغافرين ، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت
نفسي فارحمي إنك خير الراحمين . اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب
إني ظلمت نفسي فتب على إنك أنت التواب الرحيم^(٣) .

٧٨٩ - وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن النضر بن عري ، عن

مجاهد : « فتلقى آدم من ربه كلمات » هو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم
تغفر لنا وترحمنا » الآية^(٤) .

٧٩٠ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن

(١) الأثر : ٧٨٦ - لم أجده في مكان . وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ثقة ،
مترجم في التهذيب ، وقال مصعب الزبيري : « وكان رجلاً صالحاً » . وقال أبو زرعة : « معاوية ،
وعبد الرحمن ، وخالد - بنو يزيد بن معاوية : كانوا صالحى القوم » . وأما الراوى عنه « حميد بن نيهان »
فلم أجده له ترجمة ولا ذكراً ، وأخشى أن يكون محرفاً عن شيء لا أعرفه .

(٢) الأثر : ٧٨٧ - في ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ ، والشوكاني ١ : ٥٨ .

(٣) الأثر : ٧٨٨ - في ابن كثير ١ : ١٤٧ .

(٤) الأثر : ٧٨٩ - انظر الأثر السالف رقم : ٧٨٧ .

ابن جريح ، عن مجاهد : « فلتقى آدم من ربه كلمات » ، قال : أى رب ، أتتوب على أن تبت ؟ قال نعم . فتاب آدم ، فتاب عليه ربه ^(١) .

٧٩١ - وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فلتقى آدم من ربه كلمات » ، قال هو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ^(٢) » .

٧٩٢ - حدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : هو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ^(٣) » .

* * *

وهذه الأقوال التي حكيناها عن حكيناها عنه ، وإن كانت مختلفة الألفاظ ، فإن معانيها متفقة في أن الله جل ثناؤه لقى آدم كلمات ، فلتقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن ، وتاب بقياه إياهن وعمله بهن إلى الله من خطيئته ، معترفاً بذنبه ، متصلاً إلى ربه من خطيئته ، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره ، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه ، وندمه على سالف الذنب منه . ١٩٥/١

والذي يدل عليه كتاب الله ، أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه ، هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متصلاً بقيلها إلى ربه ، معترفاً بذنبه ، وهو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . وليس ما قاله من خالف قولنا هذا - من الأقوال التي حكيناها - بمدفوع قوله ، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها ، فيجوز لنا إضافته إلى آدم ، وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه . وهذا الخبر الذي أخبر الله عن آدم - من قبله الذي لقاه إياه فقال تائباً إليه من خطيئته - تعريف منه جل ذكره جميع المخاطبين

(١) الأثر : ٧٩٠ - لم أجده في مكان .

(٢) الأثر : ٧٩١ - في ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ .

(٣) الأثر : ٧٩٢ - في ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ ، ومضى رقم : ٧٧٤

بكتابه ، كيفية التوبة إليه من الذنوب^(١) ، وتنبيه^{*} للمخاطبين بقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨] ، على موضع التوبة مما هم عليه من الكفر بالله ، وأن خلاصهم مما هم عليه مقيمون من الضلالة ، نظير خلاص أبيهم آدم من خطيئته ، مع تذكيره إياهم به السالف إليهم من النعم التي نخص بها أباهم آدم وغيره من آبائهم .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : وقوله « فتاب عليه » ، يعني : على آدم . والهاء التي في « عليه » عائدة على آدم . وقوله : « فتاب عليه » ، يعني رزقه التوبة من خطيئته . والتوبة معناها الإجابة إلى الله ، والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ٢٧ قلنا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « إنه هو التواب الرحيم » ، أن الله جل ثناؤه هو التواب على من تاب إليه — من عباده المذنبين — من ذنوبه ، التارك مجازاته بإنباته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه . وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربه ، إنبته إلى طاعته ، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقبلاً مما يكرهه ربه . فكذاك توبة الله على عبده ، هو أن يرزقه ذلك ،

(١) في المخطوطة : « التوبة من الذنوب » ، بالحذف .

ويؤوب له من غضبه عليه إلى الرضا عنه^(١) ، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه .

* * *

وأما قوله : « الرحيم » ، فإنه يعنى أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة . ورحمته إياه ، إقالة عثرته ، وصفحته عن عقوبة جرمه .

* * *

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا القول في تأويل قوله : « قلنا اهبطوا منها جميعاً » فيما مضى ،^(٢) فلا حاجة بنا إلى إعادته ، إذ كان معناه في هذا الموضع ، هو معناه في ذلك الموضع .

٧٩٣ - وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، في قوله : « اهبطوا منها جميعاً » ، قال : آدم وحواء والحية وإبليس^(٣) .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « فأما يأتينكم » ، فإن « يأتكم » و « ما » التي مع « إن » تأكيد للكلام ، ولدخولها مع « إن » أدخلت النون المشددة في « يأتينكم » ، تفرقة بدخولها بين « ما » التي تأتي بمعنى تأكيد الكلام - التي تسميها أهل العربية صلة وحشواً - وبين « ما » التي تأتي بمعنى « الذي » ، فتؤذن بدخولها في الفعل ، أن « ما » التي مع « إن » التي بمعنى الجزاء ، تأكيد ، وليست « ما » التي بمعنى « الذي » . وقد قال بعض نحوي أهل البصرة^(٤) : إن « إمّا » ، « إن » زيدت معها « ما » ،

(١) في المطبوعة : « ويؤوب من غضبه عليه » ، بالحذف .

(٢) انظر ص : ٥٣٤ .

(٣) الأثر : ٧٩٣ - لم أجده بهذا الإسناد ، وانظر ، ما مضى الأرقام : ٧٥٤ وما بعده .

(٤) في المطبوعة : « نحوي البصريين » .

وصار الفعل الذي بعده بالنون الخفيفة أو الثقيلة ، وقد يكون بغير نون . وإنما حسنت فيه النون لما دخلته « ما » ، لأن « ما » نني ، فهي مما ليس بواجب ، وهي الحرف الذي ينني الواجب ، فحسنت فيه النون ، نحو قولهم : « بعينٍ ما أرينك » ، حين أدخلت فيها « ما » حسنت النون فيما ههنا .

وقد أنكرت جماعة من أهل العربية دعوى قائل هذه المقالة^(١) : أن « ما » التي مع « بعينٍ ما أرينك » بمعنى الجحد ، وزعموا أن ذلك بمعنى التوكيد للكلام . وقال آخرون : بل هو حشو في الكلام ، ومعناها الحذف ، وإنما معنى الكلام : « بعين أراك » ، وغير جائز أن يُجعل مع الاختلاف فيه أصلاً يُقاس عليه غيره .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ مِنْنِي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ

هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : والهدى ، في هذا الموضع ، البيان والرشاد . كما : —

٧٩٤ — حدثنا المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم العسقلاني قال :

حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله : « فلما يأتينكم مني هُدًى » ١٩٦/١

قال : الهدى ، الأنبياءُ والرسل والبيان^(٢) .

فإن كان ما قال أبو العالية في ذلك كما قال ، فالخطاب بقوله : « اهبطوا » ، وإن كان

لآدم وزوجته ، فيجب أن يكون مراداً به آدمُ وزوجتهُ وفريستهما . فيكون ذلك حيثئذ

نظيرَ قوله : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

[سورة فصلت : ١١] ، بمعنى أتينا بما فينا من الخلق طائعين ، ونظيرَ قوله في قراءة

(١) في المطبعة : « وقد أنكر جماعة . . . دعوى قائل . . . »

(٢) الأثر : ٧٩٤ — في ابن كثير : ١٤٨ ، والبر المشور : ١ : ٦٣ ، والشوكاني : ١ : ٥٨ .

ابن مسعود : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْهِمْنَا مَنَاسِكَهُمْ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٨] ، فجمع قبل أن تكون ذرية ، وهو في قراءتنا « وأرنا مناسكنا » . وكما يقول القائل لآخر : « كأنك قد تزوجت وولد لك ، وكثرتم وعززتم » ، ونحو ذلك من الكلام .

ولنما قلنا إن ذلك هو الواجب على التأويل الذي ذكرناه عن أبي العالية ، لأن آدم كان هو النبي أيام حياته بعد أن أهبط إلى الأرض^(١) ، والرسول من الله جل ثناؤه إلى ولده . فغير جائز أن يكون معنياً - وهو الرسول صلى الله عليه - بقوله : « فإما يأتينكم مني هدى » ، خطاباً له ولزوجته ، « فإما يأتينكم مني أنبياء ورسول »^(٢) إلا على ما وصفت من التأويل .

وقول أبي العالية في ذلك - وإن كان وجهاً من التأويل قد تحتمله الآية - فأقرب إلى الصواب منه عندي وأشبهُ بظاهر التلاوة ، أن يكون تأويلها : فإما يأتينكم يا معشر من أهبط إلى الأرض من سمائي^(٣) ، وهو آدم وزوجته وإبليس - كما قد ذكرنا قبل في تأويل الآية التي قبلها - إما يأتينكم مني بيان من أمري وطاعتي ، ورشاد إلى سبيلي وديني ، فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإن كان قد سلف منهم قبل ذلك إلى معصية وخلاف لأمري وطاعتي . يعرفهم بذلك جل ثناؤه أنه التائب على من تاب إليه من ذنوبه ، والرحيم لمن أناب إليه ، كما وصف نفسه بقوله : « إنه هو التواب الرحيم » .

وذلك أن ظاهر الخطاب بذلك إنما هو للذين قال لهم جل ثناؤه : « اهبطوا منها جميعاً » ، والذين خوطبوا به هم من سمينا في قول الحجة من الصحابة والتابعين الذين قد قدّمتنا الرواية به عنهم^(٤) . وذلك ، وإن كان خطاباً من الله جل ذكره لمن أهبط

(١) في المطبوعة : « هو النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٢) في المطبوعة : « ... مني هدى أنبياء ورسول ... » .

(٣) في المطبوعة : « فإما يأتينكم مني يا معشر من أهبطه ... » .

(٤) في المطبوعة : « الرواية عنهم » بالحذف .

حيثُذ من السماء إلى الأرض ، فهو سنة الله في جميع خلقه ، وتعريف منه بذلك الذين أخبر عنهم في أول هذه السورة بما أخبر عنهم في قوله ^(١) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٦] ، وفي قوله : ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨] ، وأن حكمه فيهم — إن تابوا إليه وأتبعوا ما أتاهم من البيان من عند الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم — أنهم عنده في الآخرة ممن لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، وأنهم إن هلكوا على كفرهم وضلالهم قبل الإنابة والتوبة ، كانوا من أهل النار المخلدين فيها .

وقوله : « فمن تبع هداى » ، يعنى : فمن اتبع بيانى الذى آتيتُه على ألسن رُسلى ، أو مع رُسلى ^(٢) . كما : —

٧٩٥ — حدثنا به الثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « فمن تبع هداى » ، يعنى بيانى ^(٣) .

• • •

وقوله : « فلا خوفٌ عليهم » ، يعنى فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله ، غير خائفين عذابه ، بما أطاعوا الله في الدنيا واتبعوا أمره وهُدايه وسبيله ، ولا هم يحزنون يومئذ على ما خلقوا بعد وفاتهم في الدنيا . كما : —

٧٩٦ — حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : « لا خوفٌ عليهم » ، يقول : لا خوف عليكم أمامكم ^(٤) .

وليس شيء أعظم في صدر الذى يموت ممّا بعد الموت . فأمتهم منه وسلاهم عن الدنيا فقال : « ولا هم يحزنون » .

(١) في المطبوعة : « وتعريف منه بذلك للذين » .

(٢) في المطبوعة : « . . . بيانى الذى أبينه على ألسن رسل » .

(٣) الأثر : ٧٩٥ — لم أجده في مكان .

(٤) الأثر : ٧٩٦ — لم أجده في مكان .

وقوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٩)

يعنى : والذين جحدوا آياتى وكذبوا رسلى . وآيات الله : حُجَجُه وأدلتُه على وحدانيته وربوبيته ، وما جاءت به الرُّسُل من الأعلام والشواهد على ذلك ، وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربها . وقد بينا أن معنى الكفر ، التغطيةُ على الشيء (١) .

« أولئك أصحاب النار » ، يعنى : أهلها الذين هم أهلها دون غيرهم ، المخلدون فيها أبداً إلى غير أمد ولا نهاية . كما : —

١٩٧/١ — ٧٩٧ — حدثنا به عُقبة بن سنان البصرى ، قال : حدثنا غسان بن مُضَر ،

قال حدثنا سعيد بن يزيد — وحدثنا سَوَّار بن عبد الله العنبرى ، قال : حدثنا

بشر بن المفضل ، قال : حدثنا أبو مَسْلَمَةَ سعيد بن يزيد — وحدثني يعقوب بن

إبراهيم ، وأبو بكر بن عون ، قالا : حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن سعيد بن يزيد —

عن أبي نَصْرَةَ ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أقواماً أصابتهم

النارُ بخطاياهم أو بذنوبهم ، فأماتهم إماتة ، حتى إذا صاروا فحماً ، أُذِنَ

في الشفاعة (٢) .

(١) انظر ما مضى ص : ٢٥٥

(٢) الحديث : ٧٩٧ — رواه الطبرى هنا بثلاثة أسانيد ، تنتهى إلى سعيد بن يزيد . وذكره ابن

كثير ١ : ١٥٨ ، ولكنه سها فذكر أنه رواه من طريقين ، وهى ثلاثة كما ترى :

و « عقبة بن سنان بن عقبة بن سنان البصرى » — شيخ الطبرى فى الإسناد الأول : ثقة ، سمع منه

أبو حاتم ، وقال : « صدوق » . ولم أجد له ترجمة إلا فى الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٣١١ . و « غسان

بن مضر الأزدي البصرى » : ثقة من شيوخ أحمد القدماء ، وقال أحمد : « شيخ ثقة ثقة » . وترجمه

البخارى فى الكبير ١٠٧ / ١ / ٤ ، وابن أبى حاتم ٥١ / ٢ / ٣ . و « أبو بكر بن عون » — شيخ الطبرى

فى الإسناد الثالث : لم أستطع أن أعرف من هو ؟ ولا أثر لذلك فى الإسناد ، فإن الطبرى رواه عنه وعن

يعقوب بن إبراهيم الدورى ، كلاهما عن ابن علية . و « سعيد بن يزيد بن مسلمة أبو مسلمة الأزدي

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « يابنى إسرائيل » ولد يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم خليل الرحمن^(١) وكان يعقوب يدعى « إسرائيل » ، بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه . و « إيل » هو الله ، و « إسرأ » هو العبد ، كما قيل : « جبريل » بمعنى عبد الله . وكما : —

٧٩٨ — حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء ، عن عُمير مولى ابن عباس ، عن ابن عباس : أن إسرائيل كقولك : عبد الله^(٢) .
٧٩٩ — وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : « إيل » ، الله بالعبرانية^(٣) .

البصرى : تابعى ثقة ، روى له الجماعة . وترجمه البخارى ١ / ٢ / ٤٧٦ ، وابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٧٣ . وكنيته « أبو مسلمة » بالميم فى أولها . ووقع فى تفسير ابن كثير « أبو سلمة » بحذفها ، وهو خطأ مطبعى . وهذا الحديث رواه مسلم ١ : ٦٧ - ٦٨ ، وابن ماجه : ٤٣٠٩ - كلاهما من طريق بشر بن المفضل ، عن سعيد بن يزيد أبى مسلمة ، به . ولكنه عندهما أطول مما هنا . ولم يروه من أصحاب الكتب الستة غيرها ، كما يدل على ذلك تخريجهم فى جامع الأصول لابن الأثير : ٨٠٨٥ . وكذلك رواه الإمام أحمد فى المسند : ١١٠٩٣ (٣ : ١١ ح) عن ابن عليه . ورواه أيضاً أحمد : ١١٧٦٩ (٣ : ٧٨ - ٧٩) ، ومسلم ١ : ٦٨ - كلاهما من طريق شعبة ، عن سعيد بن يزيد .

وهو فى الحقيقة جزء من حديث طويل ، ورواه أحمد فى المسند ، مطولاً ومختصراً ، من أوجه ، عن أبى نضرة ، منها : ١١٠٢٩ ، ١١١٦٨ ، ١١٢١٨ - ١١٢٢٠ (٣ : ٥ ، ٢٠ ، ٢٥ - ٢٦ ح) .

(١) فى المطبوعة : « يا ولد يعقوب . . . » بزيادة النداء .

(٢) الخبر : ٧٩٨ - فى ابن كثير ١ : ١٤٩ ، والدر المنثور ١ : ٦٣ . وهذا إسناد صحيح . إسماعيل بن رجاء بن ربيعة : ثقة ، أخرج له مسلم فى صحيحه . عمير مولى ابن عباس : هو عمير بن عبد الله الهلالى ، مولى أم الفضل ، وقد ينسب إلى ولاء زوجها « العباس » ، كما ورد فى إسناد حديث آخر فى المسند : ٧٧ ، وقد ينسب إلى ولاء بعض أولادها ، كما فى هذا الإسناد . وهو تابعى ثقة ، ترجمه ابن أبي حاتم ٣ / ١ / ٣٨٠ ، وأخرج له الشيخان وغيرهما .

(٣) الأثر : ٧٩٩ - فى الدر المنثور ١ : ٦٣ . و « المنهال » : هو ابن عمرو الأسدى . و « عبد الله بن الحارث » : هو الأنصارى البصرى أبو الوليد ، وهو تابعى ثقة .

وإنما خاطب الله جل ثناؤه بقوله : «يا بني إسرائيل» أحبار اليهود من بني إسرائيل ، الذين كانوا بين ظهرائي مهجراً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنسبهم جل ذكره إلى يعقوب ، كما نسب ذرية آدم إلى آدم ، فقال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [سورة الأعراف : ٣١] وما أشبه ذلك . وإنما خصهم بالخطاب في هذه الآية والتي بعدها من الآي التي ذكرهم فيها نعمته — وإن كان قد تقدم ما أنزل فيهم وفي غيرهم في أول هذه السورة ما قد تقدم — أن الذي احتج به من الحجج والآيات التي فيها أنباء أسلافهم ، وأخبار أوائلهم ، وقصص الأمور التي هم بعلمها مخصوصون دون غيرهم من سائر الأمم ، ليس عند غيرهم من العلم بصحته وحقيقته مثل الذي لهم من العلم به ، إلا لمن اقتبس علم ذلك منهم . فعرفهم بإطلاع محمد على علمها — مع بعد قومه وعشيرته من معرفتها ، وقلة مزاوله محمد صلى الله عليه وسلم دراسة الكتب التي فيها أنباء ذلك^(١) — أن محمداً صلى الله عليه وسلم

(١) قوله : « وقلة مزاوله محمد صلى الله عليه وسلم دراسة الكتب . . . » ، هو كما نقول اليوم في عبارتنا المحدثه : « وعدم مزاوله محمد . . . » . قال الجاحظ في البيان والتهيين ١ : ٢٨٥ : « واستجار عون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، بمحمد بن مروان بن نصيبين ، وتزوج بها امرأة فقال محمد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : « كثيرة المقارب ، قليلة الأقارب » . يريد بقوله : « قليلة » ، كقول القائل : « فلان قليل الحياء » ، وليس يريد أن هناك حياء وإن قل . يضعون : « قليلا » ، في موضع « ليس » . انتهى . قلت : ومنه قول دريد بن الصمة في أخيه :

قليلُ التشكّي للمصيبات ، حافظٌ من اليوم أعقاب الأحاديث في غدٍ

وسأقي قول الطبري في تفسير قوله تعالى من (سورة البقرة : ٨٨) « قليلا ما يؤمنون » : (١) : ٣٢٤ ، بولاق) : « وإنما قيل : قليلا ما يؤمنون ، وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب : « قلما رأيت مثل هذا قط » . وقد روى عنها سماعاً منها : « مررت ببلاذ قلما تنبت إلا الكراث والبصل » ، يعني ما تنبت غير الكراث والبصل ، وما أشبه ذلك من الكلام الذي ينطق به بوصف الشيء بالقلّة ، والمعنى فيه نفي جميعه » ، انتهى .

وفي الحديث : « إنه كان يقل اللغو » أي لا يلفو أصلا ، قال ابن الأثير : وهذا اللفظ يستعمل في نفي أصل الشيء (اللسان : قلل) .

ولولا زمان فسد فيه اللسان ، وقل الإيمان ، واشتدت بالمتهمين الجرأة على تفسير الكلمات ، وتصيد الشبهات — ولولا أن يقول قائل فيفتري على الطبري أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدارس كتب أهل الكتاب ، لكنت في غنى عن مثل هذه الإطالة .

لم يصل إلى علم ذلك إلا بوحى من الله وتزليل منه ذلك إليه — لأنهم من عليم صحة ذلك بمحل ليس به من الأمم غيرهم ، فلذلك جل ثناؤه خص بقوله : « يا بني إسرائيل » خطابهم . كما : —

٨٠٠ — حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله : « يا بني إسرائيل » ، قال : يا أهل الكتاب ، للأخبار من يهود^(١) .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : ونعمته التي أنعم بها على بني إسرائيل جل ذكره ، اصطفاؤه منهم الرسل ، وإنزاله عليهم الكتب ، واستنقاذهم إياهم مما كانوا فيه من البلاء والضراء من فرعون وقومه ، إلى التمكين لهم في الأرض ، وتفجير عيون الماء من الحجر ، وإطعام المن والسلوى . فأمر جل ثناؤه أعقابهم أن يكون ما سلف منه إلى آبائهم على ذكر ، وأن لا ينسوا صنيعة إلى أسلافهم وآبائهم ، فيحل بهم من النقم ما أحل بمن نسي نعمته عنده منهم وكفرها ، وجحد صنائعه عنده . كما : —

٨٠١ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » ، أي آلائي عندكم وعند آبائكم ، لما كان نجاتهم به من فرعون وقومه^(٢) .

٨٠٢ — وحدثني المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن

(١) الأثر ٨٠٠ — في الدر المنثور ١ : ٦٣ ، والشوكاني ١ : ٦١ بتمامه . وسيأتي تمامه في الأثر التالي .

(٢) الأثر ٨٠١ — من تمام الأثر السالف ، المراجع السالفة ، وابن كثير ١ : ١٤٩ .

الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله : « اذكروا نعمتي » ، قال : نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل ، وأنزل عليهم الكتب ^(١) .

٨٠٣ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » ، يعني نعمته التي أنعم على بني إسرائيل ، فيما سمى وفيما سوى ذلك : فجّر لهم الحجر ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وأنجاهم من عبودية آل فرعون ^(٢) .

٨٠٤ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد في قوله : « نعمتي التي أنعمت عليكم » قال : نعمه عامة ، ولا نعمة أفضل من الإسلام ، والنعم بعد تبع لها ، وقرأ قول الله : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَامُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٣) [سورة الحجرات : ١٧]

وتذكّر الله الذين ذكّرهم جل ثناؤه بهذه الآية من نعمه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، نظير تذكّر موسى صلوات الله عليه أسلافهم على عهده ، الذي أخبر الله عنه أنه قال لهم ، وذلك قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٠] .

• •

(١) الأثر : ٨٠٢ - في ابن كثير ١ : ١٤٩ .

(٢) الأثر : ٨٠٣ - في ابن كثير ١ : ١٤٩ وفيه : « وفيما سوى ذلك : أن فجّر » ، بالزيادة .

(٣) الأثر : ٨٠٤ - لم أجده في مكان .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾

قال أبو جعفر : قد تقدم بياننا فيما مضى - عن معنى العهد - من كتابنا هذا^(١) ، واختلاف المختلفين في تأويله ، والصواب عندنا من القول فيه^(٢) . وهو في هذا الموضع : عهد الله ووصيته التي أخذ على بني إسرائيل في التوراة ، أن يبينوا للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسول ، وأنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة أنه نبي الله ، وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله .

«أوف بعهدكم» : وعهد إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة : ١٢] ، وكما قال : ﴿فَسَأُكْتِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا

(١) انظر ما مضى : ٤١٠ - ٤١٥ .

(٢) في المطبوعة : « قد تقدم بياننا معنى العهد فيما مضى من كتابنا . . . » ، غيره ليستقيم الكلام على ما ألفوه .

النورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١) [سورة الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

٨٠٥ - وكما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وأوفوا بعهدى » الذى أخذتُ فى أعناقكم للنبيِّ محمد إذا جاءكم ،^(٢) « أوف بعهدكم » ، أى أنجز لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه ، بوضع ما كان عليكم من الإضر والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم^(٣) .

٨٠٦ - وحدثنا المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية فى قوله : « أوفوا بعهدى أوف بعهدكم » ، قال : عهدُهُ إلى عباده ، دينُ الإسلام أن يتبعوه ، « أوف بعهدكم » ، يعنى الجنة^(٤) .

٨٠٧ - وحدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « أوفوا بعهدى أوف بعهدكم » : أما « أوفوا بعهدى » ، فها عهدت إليكم فى الكتاب . وأما « أوف بعهدكم » فالجنة ، عهدتُ إليكم أنكم إن عملتم بطاعتى أدخلتكم الجنة^(٥) .

٨٠٨ - وحدثنى القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله : « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » ، قال : ذلك الميثاق الذى أخذ عليهم فى المائدة : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ

(١) فى الأصول : « ... اثني عشر نقيباً ، الآية » . و « النبي الأمي ، الآية » . وآثرنا إتمام الآيتين ، كما جرينا عليه فيما سلف ، وفيها سيأتي .

(٢) فى المطبوعة : « ... للنبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءكم ... » ، وفى المراجع الأخرى .

(٣) الأثر : ٨٠٥ - من تمام الأثر السالف رقم : ٨٠٠ ، ورقم ٨٠١ ، ومراجعته ما سلف .

(٤) الأثر : ٨٠٦ - فى ابن كثير ١ : ١٥٠ .

(٥) الأثر : ٨٠٧ - فى ابن كثير ١ : ١٥٠ تضيئاً .

تقياً) إلى آخر الآية [سورة المائدة : ١٢] . فهذا عهدُ الله الذي عهد إليهم ، وهو عهد الله فينا ، فمن أوفى بعهد الله وفى الله له بعهدهِ (١) .

٨٠٩ - وُحِدْتُ عن المنجاب ، قال : حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » ، يقول : أوفوا بما أمرتكم به من طاعتي ونهيكم عنه من معصيتي في النبي صلى الله عليه وسلم وفي غيره ، « أوف بعهدكم » ، يقول : أرض عنكم وأدخلكم الجنة (٢) .

٨١٠ - وُحِدْتُ يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد في قوله : « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » ، قال : أوفوا بأمرى أوف بالذى وعدتكم ، وقرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ حتى بلغ ﴿ ومن أوفى بعهدهِ من الله ﴾ [سورة التوبة : ١١١] ، قال : هذا عهدهُ الذى عهدهُ لهم (٣) .

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « وإياى فارهبون » ، وإياى فاخشوا - واتقوا أيها المضيعون عهدى من بنى إسرائيل ، والمكذبون رسولى الذى أخذت ميثاقكم - فيما أنزلت من الكتب على أنبيائى - أن تؤمنوا به وتتبعوه - أن أحلّ بكم من عقوبتى ، إن لم تنبوا وتتوبوا إلى باتباعه والإقرار بما أنزلت إليه ، ما أحللت بمن خالف أمرى وكذب رُسلى من أسلافكم . كما :-

٨١١ - وُحِدْتُ به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ،

(١) الأثر : ٨٠٨ - لم أجده بنصه في مكان .

(٢) الأثر : ٨٠٩ - في ابن كثير ١ : ١٥٠ ، الدر المنثور ١ : ٦٣ ، والشوكاني ١ : ٦١ .

(٣) الأثر : ٨١٠ - لم أجده في مكان .

عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس : « وإيّاى فارهبون » ، أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من
آبائكم من النّقيّات التى قد عرفتم ، من المسخ وغيره^(١) .

١٩٩/١ - ٨١٢ - وحدثنا المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنى آدم العسقلانى ، قال : حدثنا
أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، فى قوله : « وإيّاى فارهبون » ، يقول :
فاخشون .

٨١٣ - وحدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدى : « وإيّاى فارهبون » ، يقول : وإيّاى فاحشون^(٢) .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا

مَعَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « آمنوا » ، صدّقوا ، كما قد قدمنا البيان عنه
قبل^(٣) . ويعنى بقوله « بما أنزلت » ، ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن .
ويعنى بقوله . « مصدّقاً لما معكم » ، أن القرآن مصدّق لما مع اليهود من بنى إسرائيل من
التوراة . فأمرهم بالتصديق بالقرآن ، وأخبرهم جل ثناؤه أن فى تصديقهم بالقرآن
تصديقاً منهم للتوراة ، لأن الذى فى القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وتصديقه واتباعه ، نظير الذى من ذلك فى التوراة والإنجيل . ففى تصديقهم بما

(١) الأثر : ٨١٢ - من تمام الآثار السالفة الأرقام : ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٥ . وابن كثير ١ :
١٥٠ من تمام ما سلف فى ص ١٤٩ . المراجع المذكورة .
(٢) الأثر : ٨١٣ - فى ابن كثير ١ : ١٥٠ .
(٣) انظر ما مضى : ٢٣٤ ، ٢٣٥

أنزل على محمد تصديق^١ منهم لما معهم من التوراة، وفي تكذيبهم به تكذيب^٢ منهم لما معهم من التوراة .

وقوله : « مصداقاً » ، قطع من الهاء المتروكة في « أنزلته » من ذكر « ما »^(١) . ومعنى الكلام وآمنوا بالذي أنزلته مصداقاً لما معكم أيها اليهود ، والذي معهم : هو التوراة والإنجيل . كما : -

٨١٤ - حدثنا به محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، في قول الله : « وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم » ، يقول : إنما أنزل القرآن مصداقاً لما معكم التوراة والإنجيل^(٢) .

٨١٥ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد ، مثله .

٨١٦ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم » ، يقول : يأمعشر أهل الكتاب ، آمنوا بما أنزلت على محمد مصداقاً لما معكم . يقول : لأنهم يجدون محمداً صلى الله عليه وسلم مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل^(٣) .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : كيف قيل : « ولا تكونوا أول كافر به » ،

(١) قوله « قطع » ، أي حال . وانظر ما سلف ص ٢٣٠ : تعليق : ٤ ، وص ٣٣٠ تعليق : ١ .

(٢) الأثر : ٨١٤ - في ابن كثير ١ : ١٥٠ تضميناً ، والدر المنثور ١ : ٢٦٤ ، والشوكاني

١ : ٦١ .

(٣) الأثر : ٨١٥ - في ابن كثير ١ : ١٥٠ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكاني ١ : ٦١ .

(٣٦)

والخطاب فيه لجميع^(١) ، وقوله : « كافر » واحد ؟ وهل نجيز - إن كان ذلك جائزاً - أن يقول قائل : « ولا تكونوا أول رجل قام » ؟

قيل له : إنما يجوز توحيد ما أضيف له « أفعل » وهو خبر لجميع^(١) ، إذا كان اسماً مشتقاً من « فعل ويفعل » ، لأنه يؤدي عن المراد معه المحذوف من الكلام وهو « مَنْ » ، ويقوم مقامه في الأداء عن معنى ما كان يؤدي عنه « مَنْ » من الجمع والتأنيث ، وهو في لفظ واحد . ألا ترى أنك تقول : ولا تكونوا أول من يكفر به . « فن » بمعنى جميع^(١) ، وهو غير متصرف تصرف الأسماء للتثنية والجمع والتأنيث . فإذا أقيم الاسم المشتق من « فعل ويفعل » مقامه ، جرى وهو موحد مجراه في الأداء عما كان يؤدي عنه « مَنْ » من معنى الجمع والتأنيث ، كقولك : « الجيشُ منهزم » ، « والجند مقبل »^(٢) ، فتوحد الفعل لتوحيد لفظ الجيش والجند . وغير جائز أن يقال : « الجيش رجل » ، « والجند غلام » ، حتى تقول : « الجند غلمان » ، « الجيش رجال » . لأن الواحد من عدد الأسماء التي هي غير مشتقة من « فعل ويفعل » ، لا يؤدي عن معنى الجماعة منهم ، ومن ذلك قول الشاعر :

وَإِذَاهُمْ طَعِمُوا فَأَلَامُ طَاعِمٍ وَإِذَاهُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعٍ^(٣)

فوحّد مرةً على ما وصفتُ من نية « مَنْ » ، وإقامة الظاهر من الاسم الذي هو مشتق من « فعل ويفعل » مقامه ، وجمع أخرى على الإخراج على عدد أسماء

(١) في المطبوعة في المواضع الثلاثة : « لجمع . . . لجمع . . . جمع » .

(٢) في المطبوعة . « الجيش ينهزم » ، « والجند يقبل » ، وهو خطأ صرف .

(٣) نوادر أبي زيد : ١٥٢ ، لرجل جاهل ، ومعاني القرآن للفراء : ١ : ٣٣ ، وهي ثلاثة أبيات

نوادر ، وقبله :

وَمُؤَيِّلُكَ زَمَعُ الْكِلَابِ يَسْبِي فَسَمَاعُ أَسْتَاهِ الْكِلَابِ سَمَاعِ
هَلْ غَيْرَ عَدُوِّكُمْ عَلَى جَارَاتِكُمْ لِبَطُونِكُمْ مَلَتْ الظَّلَامِ دَوَاعِي

وقوله : « طعموا » أي شبعوا ، فهم عندئذ ألام من شبع . وفي الحديث : « طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة » ، يعني شبع الواحد قوت الاثنين ، وشبع الاثنين قوت الأربعة .

المخبر عنهم ، ولو وحَّد حيث جَمع ، أو جمع حيث وحَّد ، كان صواباً جائزاً^(١) .
وأما تأويل ذلك^(٢) ، فإنه يعنى به : يا معشر أخبار أهل الكتاب ، صدِّقوا
بما أنزلتُ على رسولى محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن المصدِّق كتابكم والذي
عندكم من التوراة والإنجيل ، المعهود إليكم فيهما أنه رسولى ونبيِّى المبعوث بالحق ،
ولا تكونوا أوَّل أمّتكم كذَّابَ به^(٣) وَّجحد أنه من عندى ، وعندكم من العلم به ٢٠٠/١
ما ليس عند غيركم .

وكفرهم به : جُحودهم أنه من عند الله^(٤) . والهاء التى فى « به » من ذكر
« ما » التى مع قوله « وآمنوا بما أنزلت » . كما : —

٨١٧ — حدثنى القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ،
قال قال ابن جريج ، فى قوله : « ولا تكونوا أوَّل كافر به » ، بالقرآن^(٥) .
قال أبو جعفر : وروى عن أبى العالية فى ذلك ، ما : —

٨١٨ — حدثنى به المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن
الربيع ، عن أبى العالية : « ولا تكونوا أوَّل كافر به » ، يقول : لا تكونوا أوَّل من
كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم^(٦) .

وقال بعضهم : « ولا تكونوا أوَّل كافر به » ، يعنى : بكتابكم . ويتأول أن فى
تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم تكذيباً منهم بكتابهم ، لأن فى كتابهم الأمر
باتباع محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذان القولان من ظاهر ما تدلّ عليه التلاوة بعيدان . وذلك أن الله جل ثناؤه

(١) انظر مثل ما قال الطبرى فى معانى القرآن للقراء ١ : ٣٢ — ٣٣ .

(٢) فى المطبوعة : « فأما . . . » بالفاء .

(٣) فى المطبوعة : « أوَّل من كذب به » ، والذي أثبتناه هو صواب بيان الطبرى .

(٤) فى المخطوطة : « وكفرهم به وجحودهم . . . » وهو خطأ .

(٥) الأثر : ٨١٧ — فى الدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكافى ١ : ٦١ .

(٦) الأثر : ٨١٨ — فى ابن كثير ١ : ١٥٠ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكافى ١ : ٦١ .

أمر المخاطبين بهذه الآية في أولها بالإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال جل ذكره : «وَأَمِينُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ» . ومعقول أن الذي أنزله الله في عصر محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن لا محمد ، لأن محمداً صلوات الله عليه رسول "مرسل" لا تنزيل "مُنزَّل" ، والمنزَّل هو الكتاب . ثم نهاهم أن يكونوا أول من يكفر بالذي أمرهم بالإيمان به في أول الآية^(١) . ولم يجر لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ذكرٌ ظاهر ، فيعاد عليه بذكره مكنياً في قوله : «ولا تكونوا أول كافر به» — وإن كان غير محال في الكلام أن يُذكر مكنياً اسم لم يتجر له ذكرٌ ظاهر في الكلام^(٢) .

وكذلك لا معنى لقول من زعم أن العائد من الذكر في «به» على «ما» التي في قوله «لما معكم» . لأن ذلك ، وإن كان محتملاً ظاهر الكلام^(٣) ، فإنه بعيدٌ مما يدل عليه ظاهر التلاوة والتنزيل ، لما وصفنا قبل من أن المأمور بالإيمان به في أول الآية هو القرآن . فذلك الواجب أن يكون المنهى عن الكفر به في آخرها هو القرآن^(٤) . وأما أن يكون المأمور بالإيمان به غير المنهى عن الكفر به ، في كلام واحد وآية واحدة ، فذلك غير الأشهر الأظهر في الكلام . هذا مع بُعد معناه في التأويل^(٥) .

٨١٩ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد

(١) في المطبوعة زيادة بين هاتين الجملتين ، وهي مقحمة مفسدة للكلام نافية في السياق . ونصها «... في أول الآية من أهل الكتاب ، فذلك هو الظاهر المفهوم . ولم يجر لمحمد...» .

(٢) بيان الطبري جيد محكم ، وإن ظن بعض من نقل كلامه أن كلا القولين صحيح ، لأنهما متلازمان . لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالقرآن (ابن كثير ١ : ١٥٠) . ونعم ، كلا القولين صحيح المعنى في ذاته ، ولكن الطبري يحدد دلالة الألفاظ والضمان في الآية ، ويمين ما يحتمله ظاهر التلاوة والتنزيل ، ويخلص معنى من معنى ، وإن كان كلاهما صحيحاً في العقل ، صحيحاً في الحكم ، صحيحاً في الدين . وما أكثر ما يتساهل الناس إذا تقاربت المعاني ، ولا يخلص معنى من معنى إلا بصير بالعربية كأبي جعفر رضي الله عنه .

(٣) في المطبوعة : «محتمل ظاهر الكلام» .

(٤) في المخطوطة : «... أن الأمر بالإيمان به في أول الآية... أن يكون النهي عن الكفر به في آخرها...» ، والذي في المطبوعة أجود وأبين .

(٥) وهذا أيضاً من جيد البصر ؛ بمنطق العربية ، وإن ظنه بعضهم قريباً من قريب .

ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به » ، وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم^(١) .

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك :

٨٢٠ - فحدثني المشي بن إبراهيم قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً » ، يقول : لا تأخذوا عليه أجرًا . قال : وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول : يا ابن آدم ، علم مسجناناً كما علمت مسجناناً^(٢) .

وقال آخرون بما : -

٨٢١ - حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً » ، يقول : لا تأخذوا طمعاً قليلاً وتكتموا اسم الله ، وذلك الثمن هو الطمع^(٣) .

(١) الخبر : ٨١٩ - من تمام الأخبار السالفة الأرقام ٨٠٥ ، ٨١١ ، في الدر المنثور ١ : ٦٣ .
(٢) الأثر : ٨٢٠ - من تمام الأثر السالف رقم ٨١٨ ومراجعته هناك . وفي ابن كثير ١ : ١٥١ .
والهجان : عطية الشيء بلا مئة ولا ثمن . قال أبو العباس : سمعت ابن الأعرابي يقول : الهجان عند العرب الباطل ، وقالوا : « ماء هجان » . قال الأزهري : العرب تقول : تمر « هجان » ، وماء « هجان » ، يريدون أنه كثير كاف . قال : واستطعنني أعرابي تمرًا فأطعمته كتلة واعتذرت إليه من قاتمه ، فقال : هذا والله « هجان » . أي كثير كاف . وقولهم : أخذه هجاناً : أي بلا بدل ، وهو فعال لأنه ينصرف (اللسان : هجن) .

(٣) الأثر : ٨٢١ - في ابن كثير ١ : ١٥١ . وفي المطبوعة وابن كثير : « فذلك الطمع هو الثمن » ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو أجود .

فتأويل الآية إذا : لا تبيعوا ما آتيتكم من العلم بكتابي وآياته بضمن خسيس وعرض من الدنيا قليل. وبيعهم إياه - تركهم إبانة ما في كتابهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم للناس ، وأنه مكتوب فيه أنه النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل - بضمن قليل ، وهو رضاهم بالرياسة على أتباعهم من أهل ملتهم ودينهم ، وأخذهم الأجر ممن يبتئوا له ذلك على ما يبتئوا له منه .

وإنما قلنا بمعنى ذلك « لا تبيعوا »^(١) ، لأن مشرى الثمن القليل بآيات الله بائع الآيات بالثمن ، فكل واحد من الثمن والمثمن مبيع لصاحبه ، وصاحبه به مشرى : وإنما معنى ذلك على ما تأوله أبو العالية^(٢) : بينوا للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا تبتغوا عليه منهم أجراً . فيكون حيثئذ نهيه عن أخذ الأجر على تبينه ، هو النهي عن شراء الثمن القليل بآياته .

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾

قال أبو جعفر : يقول : فاتقون - في بيعكم آياتي بالخسيس من الثمن ، وشرائكم بها القليل من العرض ، وكفركم ، بما أنزلت على رسولي وجمودكم نبوة نبيي - أن أحيل بكم ما أحلت بأسلافكم الذين سلكوا سبيلكم من المثالات والنقيصات .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « ولا تلبسوا » ، لا تخلطوا . واللَّبْس هو الخلط .

(١) في المطبوعة : « وإنما قلنا معنى ذلك . . . »

(٢) في المطبوعة : « وإنما معناه على ما تأوله . . . »

يقال منه : لَبَسْتُ عليه هذا الأمر البِسُّ لبساً : إذا خلطته عليه^(١) . كما : —

٨٢٢ — حَدَّثْتُ عَنْ المنجاب ، عَنْ بشر بن عمار ، عَنْ أَبِي رَوْق ، عَنْ

الضحاك ، عَنْ ابن عباس ، فِي قوله : ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [سورة الأنعام : ٩] يقول : لَخَلَطْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَخْلُطُونَ^(٢) .

ومنه قول العجاج :

لَمَّا لَبَسْنَا الْحَقَّ بِالتَّجَنَّى غَنِينِ وَاسْتَبَدَّلْنَا زَيْدًا مِنِّي^(٣)

يعنى بقوله : « لبسنا » ، خلطن . وأما اللبس فإنه يقال منه : لبسته البسه لبساً وملبساً ، وذلك الكسوة يكتسبها فيلبسها^(٤) . ومن اللبس قول الأخطل :

لَقَدْ لَبِسْتُ لِهَذَا الدَّهْرِ أَغْصَرَهُ حَتَّى تَجَلَّلَ رَأْسِي الشَّيْبُ وَاشْتَعَلَ^(٥)

ومن اللبس قول الله جل ثناؤه : ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [سورة الأنعام : ٩]

• • •

فإن قال لنا قائل^(٦) : وكيف كانوا يلبسون الحق بالباطل وهم كفار ؟ وأى

حق كانوا عليه مع كفرهم بالله ؟

قيل : إنه كان فيهم منافقون منهم يظهرون التصديق بمحمد صلى الله عليه

وسلم ويستبطنون الكفر به . وكان أعظمهم يقولون^(٧) : محمد نبي مبعوث ، إلا أنه

(١) في المطبوعة : « لبست عليهم الأمر . . . خلطته عليهم » .

(٢) الخبر : ٨٢٢ — لم أجده في مكان ، ولم يذكره الطبري في مكانه من تفسير هذه الآية في سورة الأنعام (٧ : ٩٨ بولاق) .

(٣) ديوانه : ٦٥ . غنى عن الشيء واستغنى : أطرحه ورمى به من عينه ولم يلتفت إليه .

(٤) في المطبوعة : « وذلك في الكسوة . . . » ، بالزيادة .

(٥) ديوانه : ١٤٢ ، وفيه « وقد لبست » . وأعصر جمع عصر : وهو الدهر والزمان . وعنى هنا اختلاف الأيام حلوها ومرها ، فجمع . ولبس له أعصره : عاش وقاسى خيره وشره . وتجلل الشيب رأسه : علاه .

(٦) في المطبوعة : « إن قال . . . »

(٧) في المطبوعة : « وكان أعظمهم . . . » ، وهو تحريف قد مضى مثله مراراً . وعظم الشيء : معظمه وأكثره .

مبعوث إلى غيرنا . فكان لبسُ المنافق منهم الحقَّ بالباطل ، إظهاره الحقَّ بلسانه ، وإقراره بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به جهاراً^(١) ، وخلطه ذلك الظاهر من الحق بما يستبطنه^(٢) . وكان لبسُ المقرّ منهم بأنه مبعوث إلى غيرهم ، الجاحدُ أنه مبعوث إليهم ، إقراره بأنه مبعوث إلى غيرهم ، وهو الحق ، وجحوده أنه مبعوث إليهم ، وهو الباطل ، وقد بعثه الله إلى الخلق كافة . فذلك خلطهم الحق بالباطل ولبسهم إياه به . كما : —

٨٢٣ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قوله : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » ، قال : لا تخلطوا الصدق بالكذب^(٣) .

٨٢٤ — وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » ، يقول : لا تخلطوا الحق بالباطل ، وأدوا النصيحة لعباد الله في أمر محمد صلى الله عليه وسلم^(٤) .

٢٠٢/١ — ٨٢٥ — وحدثننا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال :

قال ابن جريج ، قال مجاهد : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » ، اليهودية والنصرانية بالإسلام^(٥) .

٨٢٦ — وحدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ،

قال قال ابن زيد في قوله : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » ، قال : الحق ، التوراة الذي أنزل الله على موسى ، والباطل الذي كتبه بأيديهم^(٦) .

* * *

(١) في المطبوعة : « وإقراره لمحمد . . . » .

(٢) في المطبوعة : « بالباطل الذي يستبطنه » .

(٣) الخبر : ٨٢٣ — في ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكاني ١ : ٦٢ .

(٤) الأثر : ٨٢٤ — في ابن كثير ١ : ١٥٢ .

(٥) الأثر : ٨٢٥ — لم أجده عن مجاهد ، ومثله عن قتادة في ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ .

(٦) الأثر : ٨٢٦ — في الدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكاني ١ : ٦٢ .

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : وفي قوله « وتكتُموا الحق » ، وجهان من التأويل :
أحدهما : أن يكون الله جل ثناؤه نهاهم عن أن يكتُموا الحق ، كما نهاهم أن
يلبسوا الحق بالباطل . فيكون تأويل ذلك حيثئذ : ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتُموا
الحق . ويكون قوله : « وتكتُموا » عند ذلك مجزوماً بما جُزِمَ به « تلبسوا » ، عطفاً عليه .
والوجه الآخر منهما : أن يكون النهي من الله جل ثناؤه لهم عن أن يلبسوا الحق
بالباطل ، ويكون قوله : « وتكتُموا الحق » خبراً منه عنهم بكتُمهم الحق الذي يعلمونه ،
فيكون قوله : « وتكتُموا » حيثئذ منصوباً لانصرافه عن معنى قوله : « ولا تلبسوا الحق
بالباطل » ، إذ كان قوله : « ولا تلبسوا » نهياً ، وقوله « وتكتُموا الحق » خبراً معطوفاً
عليه ، غير جائز أن يعاد عليه ما عمل في قوله « تلبسوا » من الحذف الجازم . وذلك
هو المعنى الذي يسميه النحويون صرفاً^(١) . ونظير ذلك في المعنى والإعراب قول
الشاعر :

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ^(٢)

(١) ذكر هذا الفراء في كتابه معاني القرآن ١ : ٣٣ - ٣٤ ، ثم قال : « فإن قلت : وما
الصرف ؟ قلت : أن تأتي بالواو معطوفاً على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها ،
فإذا كان كذلك فهو الصرف ، كقول الشاعر : . . . » وأنشد البيت وقال : « ألا ترى أنه لا يجوز
إعادة « لا » في « تأتي مثله » ، فلذلك سمي صرفاً ، إذ كان معطوفاً ، ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذي
قبله » .

(٢) هذا من الأبيات التي رويت في عدة قصائد . كما قال صاحب الخزائن ٣ : ٦١٧ . نسبه
مسيبويه ١ : ٤٢٤ للأخطل ، وهو في قصيدة للمتوكل الليثي ، ونسب لسابق البربري ، والطرماس ، ولأبي
الأسود الدؤلي في قصيدة ساقها صاحب الخزائن (٣ : ٦١٨) ، وليست في ديوانه الذي نشره الأستاذ محمد حسن آل
ياسين في (مفاتيح المخطوطات) طبع مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) ، وهذا الديوان من
نسخة بخط أبي الفتح عثمان بن جني . ولم يلحقها الأستاذ الناشر بأشعار شعر أبي الأسود التي جمعها .

فنصب «تأتى» على التأويل الذى قلنا فى قوله : «وتكتموا»^(١) ، لأنه لم يرد : لا تتنه عن خلق ولا تأت مثله ، وإنما معناه : لا تتنه عن خلق وأنت تأتى مثله ، فكان الأول نهياً ، والثانى خبراً ، فنصب الخبر إذ عطفه على غير شكله . فأما الوجه الأول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتملهما ، فهو على مذهب ابن عباس الذى :-

٨٢٧ - حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قوله : «وتكتموا الحق» ، يقول : ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون .

٨٢٨ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : «وتكتموا الحق» ، أى ولا تكتموا الحق^(٢) .

وأما الوجه الثانى منهما ، فهو على مذهب أبى العالية ومجاهد .

٨٢٩ - حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : «وتكتموا الحق وأنتم تعلمون» ، قال : كتموا بعث محمد صلى الله عليه وسلم^(٣) .

٨٣٠ - وحدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد نحوه .

٨٣١ - وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد نحوه .

(١) فى المطبوعة : «وتكتموا» ، الآية ، لأنه . . . ، وهو خطأ فى قراءة ما فى المخطوطة وهو : «وتكتموا إلا أنه لم يرد» .

(٢) الخبران : ٨٢٧ ، ٨٢٨ - لم أجدهما بنصهما فى مكان ، وثانيهما فى ضمن خبر ابن عباس الذى سلف تخريجه رقم : ٨١٩ ، وفى ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٣ .

(٣) الأثر : ٨٢٩ - لم أجده فى مكان .

وأما تأويل الحق الذى كتموه وهم يعلمونه ، فهو ما : -

٨٣٢ - حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وتكتموا الحق » ، يقول : لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسول وما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم ^(١) .

٨٣٣ - وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وتكتموا الحق » ، يقول : إنكم قد علمتم أن محمداً رسول الله ، فهاهم عن ذلك ^(٢) .

٨٣٤ - وحدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : « وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ، قال : يكتم أهل الكتاب محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ^(٣) .

٨٣٥ - وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٨٣٦ - وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ، قال : الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم ^(٤) .

٨٣٧ - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن

(١) الخبر : ٨٢٢ - فى ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٣ ، والشوكانى ١ : ٦١ .

(٢) الخبر : ٨٢٣ - فى الدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكانى ١ : ٦٢ ، إلا قوله : « فهاهم عن ذلك » وفى المطبوعة . . . رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) الأثر : ٨٣٤ - فى ابن كثير ١ : ١٥٢ تفسيناً .

(٤) الأثر : ٨٣٦ - فى ابن كثير ١ : ١٥٢ تفسيناً ، وفى الدر المنثور ١ : ٦٤ ،

والشوكانى ١ : ٦٢ .

الربيع ، عن أبي العالية : « وتكتبوا الحق وأنتم تعلمون » ، قال : كتبوا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم ^(١) .

٨٣٨ - وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن

٢٠٣/١ ابن جريج ، عن مجاهد : تكتبوا محمداً وأنتم تعلمون ، وأنتم تجدونه عندكم في التوراة والإنجيل ^(٢) .

فتأويل الآية إذا : ولا تخطوا على الناس - أيها الأخبار من أهل الكتاب - في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند ربه ، وتزعموا أنه مبعوث إلى بعض أجناس الأمم دون بعض ، أو تنافقوا في أمره ، وقد علمتم أنه مبعوث إلى جميعكم وجميع الأمم غيركم ، فتخطوا بذلك الصدق بالكذب ، وتكتبوا به ما تجدونه في كتابكم من نعته وصفته ، وأنه رسول إلى الناس كافة ، وأنتم تعلمون أنه رسول ، وأن ما جاء به إليكم فن عندى ، وتعرفون أن من عهدى - الذى أخذت عليكم في كتابكم - الإيمان به وبما جاء به والتصديق به .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وَارْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : ذكر أن أخبار اليهود والمناقين كانوا يأمرون الناس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولا يفعلونه ، فأمرهم الله بإقام الصلاة مع المسلمين المصدقين بمحمد وبما جاء به ، وإيتاء زكاة أموالهم معهم ، وأن يخضعوا لله ولرسوله كما خضعوا .

٨٣٩ - كما حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

(١) الأثر : ٨٣٧ - لم أجده في مكان .

(٢) الأثر : ٨٣٨ - لم أجده بنصه في مكان . وفي المطبوعة : « تكتبون محمداً »

أبيه ، عن قتادة ، في قوله : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، قال : فريضتان واجبتان ، فأدُّوهما إلى الله^(١) .

وقد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى من كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته^(٢) . أما إيتاء الزكاة ، فهو أداء الصدقة المفروضة . وأصل الزكاة ، نماءُ المال وتسميره وزيادته . ومن ذلك قيل : زكا الزرع ، إذا كثر ما أخرج الله منه . وزكت النفقة ، إذا كثرت . وقيل زكا الفرد ، إذا صار زوجاً بزيادة الزائد عليه حتى صار به شفعا ، كما قال الشاعر :

كانوا خسا أوزكا من دون أربعة لم يخلقوا ، وجدود الناس تعتلج^(٣)
وقال آخر :

فلا خسا عديده ولا زكا كما شرار البقل أطراف السفا^(٤)

قال أبو جعفر : السفا شوك البهمي ، والبهمي الذي يكون مدورا في السلاء^(٥) .

(١) الأثر : ٨٣٩ - لم أجده في مكان .

(٢) انظر ما مضى ص : ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٣) اللسان (خسا) ، وفيه : « الفراء : العرب تقول للزوج زكا ، ولل فرد خسا . . . قال ، وأنشدني الدبيري . . . » وأنشد البيت . وتعتلج : تصطرع ويمارس بعضها بعضا .

(٤) لرجل من بني سعد ، ثم أحد بني الحارث في عمرو بن كعب بن سعد . وهذا الرجز في خبر للأغلب العجل ، (طبقات فحول الشعراء : ٥٧٢ / ومعجم الشعراء : ٤٩٠ / والأغاني ١٨ : ١٦٤) ورواية الطبقات والأغاني : « كما شرار الرعى » . والرعى (بكسر فسكون) : الكلاء نفسه ، والمرعى أيضا . والسفا : شوك البهمي والسنبيل وكل شيء له شوك . يقول : أنت في قومك كالسفا في البهمي ، هو شرها وأخبثها . والبيت الأول زيادة ليست في المراجع المذكورة .

(٥) البهمي : من أحرار البقول ، (وهي ما رق منها ورطب وأكل غير مطبوخ) ، تنبت كما ينبت الحب ، ثم يبلغ بها النبت إلى أن قصير مثل الحب ، ترتفع قدر الشبر ، ونباتها ألطف من نبات البر ، وطعمها طعم الشعير ، ويخرج لها إذا يبست شوك مثل شوك السنبيل ، (وهو السفا) ، وإذا وقع في أنوف الإبل أنفت منه ، حتى ينزعه الناس من أفواهها وأنوفها . وفي المطبوعة : « في السلى » بتشديد الياء ، وفي المخطوطة « في السلى » بضم السين وتشديد اللام . والصواب ما أثبتته ، والسلام جمع سلاء ، وهي شوك النخلة ، وأراد بها سفا البهمي أي شوكها .

يعنى بقوله : « ولا زكا » ، لم يُصَيِّرْهُمْ شَفْعاً من وترٍ ، بحدوثه فيهم ^(١) .
 وإنما قيل للزكاة زكاة ، وهى مالٌ يخرجُ من مال ، لتشير الله - بإخراجها مما
 أخرجت منه - ما بقى عند ربِّ المال من ماله . وقد يحتمل أن تكونُ سُمِّيت زكاة ،
 لأنها تطهيرٌ لما بقى من مال الرجل ، وتخليص له من أن تكون فيه مظلمة لأهل
 السُّهُمان ^(٢) ، كما قال جل ثناؤه مخبراً عن نبيه موسى صلوات الله عليه : ﴿ أَقْتَلْتَ
 نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [سورة الكهف : ٧٤] ، يعنى بريئة من الذنوب طاهرة . وكما يقال
 للرجل : هو عدل زكى - لذلك المعنى ^(٣) . وهذا الوجه أعجب إلى - فى تأويل
 زكاة المال - من الوجه الأول ، وإن كان الأول مقبولا فى تأويلها .
 وإيتاؤها : إعطاؤها أهلها .

وأما تأويل الرُّكُوع ، فهو الخضوع لله بالطاعة . يقال منه : ركع فلانٌ لكذا
 وكذا ، إذا خضع له ، ومنه قول الشاعر :

يَبْعَثُ بِكَسْرِ لَيْثِمٍ وَاسْتَفَاثَ بِهَا مِنْ الْهَزَالِ أَبُوهَا بَعْدَ مَا رَكَعًا ^(٤)

(١) قوله : « بحدوثه فيهم » ، أى بوجوده فى هؤلاء القوم . والعديد (فى الرجز) ، من قولهم فلان
 عديد بنى فلان : أى يعد فيهم وليس منهم : يريد أنه إذا دخل فى قوم لم يعد فيهم شيئاً ، فإذا كانوا شفعاً ،
 لم يصيرهم دخوله وتراً ، وإذا كانوا وتراً لم يصيرهم شفعاً ، فهو كلاً شيئاً فى العدد . يهجو ويستسقطه .

(٢) السُّهُمان جمع سُهْم ، كالسَّهام : وهو النصيب والحظ .

(٣) فى المطبوعة : « بذلك المعنى » وليست بشيء .

(٤) هذا البيت من أبيات لعصام بن عبيد الزماني (من بنى زمان بن مالك بن صعب بن علي بن
 بكر بن وائل) رواها أبو تمام فى الوحشيات رقم ١٣٠ (مخطوطة عندي) ، ورواها الجاحظ فى الحيوان
 ٢٨١ : ٤ ، وجاء فيه : « قال الزيادى » وهو تحريف وتصحيف كما ترى . وهذه الأبيات من مناقضة
 كانت بين الزماني ويحيى بن أبى حفصة . وذلك أن يحيى تزوج بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى فهاجاء
 عصام الزماني وقال :

أَرَى حَجْرًا تَفِيرُ وَاقْشَعْرًا وَبُدِّلَ بَعْدَ حُلُوِّ الْعِيشِ مُرًّا

فأجابه يحيى بأبيات منها :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي عِصَامًا بَأْنَى سَوْفَ أَنْقُضُ مَا أَمَرًا

هكذا روى المرزبانى فى معجم الشعراء : ٢٧٠ ، وروى أبو الفرج فى أغانيه ١٠ : ٧٥ أن يحيى

يعنى : بعد ما خضع من شدة الجهد والحاجة .

• • •

قال أبو جعفر : وهذا أمر من الله جل ثناؤه — لمن ذكر من أحبار بني إسرائيل ومنافقيها — بالإنابة والتوبة إليه ، وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والدخول مع المسلمين في الإسلام ، والخضوع له بالطاعة ؛ ونهى منه لهم عن كتمان ما قد علموه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد تظاهر حججه عليهم ، بما قد وصفنا قبل فيما مضى من كتابنا هذا ، وبعد الإعذار إليهم والإنذار ، وبعد تذكيرهم نعمه إليهم وإلى أسلافهم تعطفاً منه بذلك عليهم ، وإبلاغاً في المعذرة^(١) .

تم الجزء الأول من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الثانى وأوله :

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾

خطب إلى مقاتل بن طلبه المنقرى ابنته وأخته ، فأنعم له بذلك . فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجليل ، فأتوه فزوجهن بنيه الثلاثة ، ودخلوا بهم ثم حلوهن إلى حبر ، (وهو مكان) .
وأبيات عصام الزمانى ، ونقيضتها التى ناقضه بها يحيى ، من جيد الشعر ، فاقراها فى الوحشيات ، والحيوان ، والشعر والشعراء : ٧٤٠ ، ورواية الحيوان والوحشيات

« يَبِيتُ بَوَكْسٍ قَلِيلٍ وَاسْتَقِلَّ بِهَا »

الوكس : اتضاع الثمن فى البيع . وفى المخطوطة والمطبوعة « بكسر ليم » ، وهو تعريف لا معنى له ، وأظن الصواب ما أثبت اجتهداً . والكسر : أخس القليل . وقوله : « يبيت » الضمير لابنة مقاتل بن طلبه المنقرى التى تزوجها يحيى أو أحد بنيه . يقول : باعها أبوها بثمان بخص دقء غسيس ، فزوجهها مستغنياً ببينها بما نزل به من الجهد والفاقة ، فزوجهها هذا الغنى اللئيم اللئىء ، ليستعين بمهرها .
(١) فى المطبوعة : « وإبلاغاً إليهم . . . » بالزيادة .

الفهارس

اسم السورة ورقم الآية
آيات سورة التوبة

رقم الصفحة	٥١١، ٣٠٢	٦٧
٣٠٢	٧٩	
٥٥٩	١١١	
٢٨٢-٢٨١	١٢٥، ١٢٤	
٦١- ٦٠	١٢٩، ١٢٨	

آيات سورة يونس

٤٤٩	١٤
١٩٦، ١٥٤	٢٢
٣٧١	٣١
٣٧٤	٣٨
٦٧	٥٧

آيات سورة هود

٤٩١	٤٥
٤٩٢	٤٧
١٤	٨٢
٤٩٧	١١٩

آيات سورة يوسف

١١	٢
٩٤	٣
٢٣٥	١٧
١٥٢	٢٩

آيات سورة الرعد

٣	١٥
---	----

اسم السورة ، ورقم الآية
آيات سورة الأنعام

رقم الصفحة	٢١٥	١
٥٦٧	٩	
٥٠٩، ٣٩٩	٤٤	
٢٣٢-٢٣١	٩٢	
٣٠٨	١١٠	
١١١	١١٢	

آيات سورة الأعراف

٥٠٢	١١
٥٠٢، ١٩٠	١٢
٥٣٣	١٣
٥٣٠، ٥٢٨	٢٠
٥٣١	٢٢
٥٤٥، ٥٤٢	٢٣
٥٤٦-	
٥٣٣	٢٧
٥٥٤	٣١
٧٩	٣٣
١٦٩	٤٣
٤٣٦، ١٥٦	٥٤
١٢٣	١٢٨، ١٢٧
٥٥٨-٥٥٧	١٥٧، ١٥٦
٤١٣	١٦٩
٤٢٠، ٤١١	١٧٣، ١٧٢
٧٤	١٨٧

آيات سورة الأنفال

٩٨	٤١
----	----

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة إبراهيم	٤	آيات سورة الكهف	٦٢
٢٩، ٢٨	٢٦٧، ٢٥٢	٥٧٤	٣٦٠
٣٤	١٢٨	٤٣	٣٦٠
٤٣	٣٦٠	آيات سورة مريم	٤٦
آيات سورة الحجر	٩	١١٢	٤٦
٩٤	٩٤	آيات سورة طه	٣٤، ٣٣
٢٨	٤٥٩	٤٧٦	٣٤، ٣٣
٨٢	١٤	١٤٩	١٠٨
٨٧	١٠٩، ١٠٣	٥٣٣، ٥٢٧	١٢٠
آيات سورة النحل	١٥	٥٤٤	١٢٢
١٨	٤٣٥	آيات سورة الأنبياء	٢٨
٤٤	١٢٨	١٤٩	٢٨
٦٤	٨٨، ٧٣	٤٣٦	٣٠
١٠٣	٧٣، ١١	٤٦٠	٣٧
١٢١	٥٤	٣٥٤	٩٠
آيات سورة الإسراء	١	آيات سورة الحج	١١
١١	٢١٦	٣٥٨، ٣٤٩، ٧٠	١١
٨٨	٤٥٦	٢٧٢	٥٥
١١٠	٣٧٨	آيات سورة المؤمنون	٣٤، ٣٣
آيات سورة الكهف	١	٤	٣٤، ٣٣
٣٨	١٤٨، ٩٤	آيات سورة النور	٤٥
٥٠	٢٦٨، ١٢٥	٤٨٦	٤٥
٥٠٦	٥٠٤، ٥٠٣، ٤٠٩	آيات سورة الفرقان	١
	٥٠٦	٩٤	١
		١٣١	٦٠

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة يس		آيات سورة الشعراء	
٢٩	٥٤	١٩٥-١٩٢	١٢، ١١
٥١	٤٢٤	١٩٥-١٩٣	٢٢٣
٥٣	٥٤		
		آية سورة النمل	
		٧٦	٩٤
آيات سورة الصافات			
٢٣	١٦٨	آية سورة العنكبوت	
١٥٨	٥٠٥	٦٤	٢٤٥
آيات سورة ص		آية سورة الروم	
٢٩	٨٢	٢٨	٤٠٣
٤٩، ٤٨	٢٢٦		
٧٢-٦٩	٤٦٨	آيات سورة لقمان	
٧٢-٧١	٤٥٩	١	٢٣١
٨٥-٧٥	٤٦٨	٢٨	٣١٨
٧٦	٥٣٧		
		آية سورة السجدة	
آيات سورة الزمر		١٣	٤٩٧
٦	٤٢٠		
٢٨، ٢٧	٨٢	آيات سورة الأحزاب	
٣٣	٣٢٠	٥	١٧
		٧	٤٢١
آيات سورة غافر		١٩	٣١٨
١١	٤٢٠، ٤١٨	٢٣	٦٠
١٦	١٤٩	٣٧	٤٠٢
٢٠	٩١	٤٣	١٢٩
٥٥	١٧٠		
٦٤	٥٣٨	آية سورة سبأ	
		١٠	١٣

اسم السورة ، ورقم الآية
آية سورة الطور

٣٠٧

٢٢

آية سورة القمر

٣٦٠

٤٣

آيات سورة الرحمن

٥١٦

٦

٤٥٩، ٤٥٦

١٤

آيات سورة الواقعة

٢٦٤

٢٢-١٧

١٥٥

٨٦

آيات سورة الحديد

٢٧٥

١٣

٣٠١

١٤، ١٣

٣٢٧-٣٢٦

١٥-١٣

١٣

٢٨

آيات سورة المجادلة

٢٨٦

١٦

٣٢٦، ٢٧٨

١٨

آية سورة الصف

٢٩٩

١٤

آية سورة الجمعة

٤٧٦

١

اسم السورة ، ورقم الآية
آيات سورة فصلت

٤٣٥

١١-٩

٥٤٩، ٤٦٣، ٤٣١

١١

٣١٣

١٧

١٤

٤٤

آيات سورة الشورى

٤٧٢

٥

٢٦٥

٢٤

٣٠٢

٤٠

آيات سورة الزخرف

٩

١٨

٩٩

٤٤

١٨٨

٥٥

٣٧١

٨٧

آيات سورة الجاثية

١٥١

١٦

٢٦٣، ٢٦٢، ١٩٦

٢٣

٢٦٥-

آية سورة محمد

٤١٥

٢٢

آيات سورة الحجرات

٥٠١

٤

٥٥٦

١٧

رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة ، ورقم الآية
١٤٩	آية سورة النبأ ٣٨	٢٨٥	آيات سورة المنافقون ٢٠١
٤٣٧	آية سورة النازعات ٣٠	٣٥٥	٤
٤٢٧	آية سورة التكوير ٢٦	٤٢٤	آية سورة المعارج ٤٣
١٥٥	آيات سورة الانفطار ١٠، ٩	٥٢، ١٣	آيات سورة المزمل ٦
٢٦٠	آية سورة المطففين ١٤	٤٣١	١٨
٣٠٨	آيات سورة العلق ٧، ٦	٩٧	آيات سورة المدثر ٢٠١
٤٧٢	آية سورة النصر ٣	٤٠٨	٣٢
٥٣٣	سورة الناس	١٤	٥١
		٩٧-٩٥	آيات سورة القيامة ١٨، ١٧
		٤٦٦	آية سورة الإنسان ١

فهرس اللغة

(قرأ)	قرآن ، قرأت الشيء :	(غيب)	الغيب : ٢٣٦ ، ٢٣٧
	٩٨ - ٩٤	(كتب)	كتاب : ٩٧ ، ٩٩ ، ٢٢٧
(نبأ)	أنبا : ٤٥٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩	(لذب)	لاذب : ٤٥٦ ، ٤٥٩
		(لعب)	لعب : ٣٠١ ، ٣٠٢
(نشأ)	ناشئة : ١٣	• • •	
(هزأ)	مستهزئون : ٣٠٠	(موت)	أمات ، ميت : ٤٢١ ، ٤٢٣
	يستهزئ بهم : ٣٠١ ، ٣٠٣	• • •	
	• • •	(زوج)	زوج ، أزواج : ٣٩٥
(أوب)	أوبى : ١٣		زوجة ، زوج : ٥١٤
	أيوب : ٥١٠	• • •	
(توب)	تاب ، التوبة : ٥٤٧	(سبح)	يسبح : ٤٧٢ ، ٤٧٤
(جوب)	استجاب : ٣٢٠		سبحان : ٤٧٤ ، ٤٩٥
(خضب)	خضيب : ١١٢		سبوح : ٤٧٥
(ربب)	رب ، مربوب : ١٤١ - ١٤٣	(صلح)	الإصلاح : ٧٥
		(فتح)	فاتحة : ١٠٧
(رهب)	فارهبون : ٥٥٩	(قلح)	المقلحون : ٢٤٩
(ريب)	ريثب : ٢٢٨ ، ٣٧٨		الفلاح : ٢٥٠
(صوب)	صيب ، صاب : ٣٣٣ - ٣٣٦	• • •	
		(حدد)	حد : ٧٢
(ضرب)	ضرب مثلاً : ٤٠٣	(حمد)	الحمد : ١٣٥ - ١٤١
	ضرب أخماس لأسداس :	(خلد)	خالد : ٣٩٨ ، ٥٥٢
	٤٠٣	(رعد)	رعد : ٣٣٨ - ٣٤٢
	العربي : ١٠٠	(رغد)	رغد ، أرغد : ٥١٥
(عرب)	المغضوب عليهم : ١٨٨ - ١٨٩	(شهد)	شهيد ، شهداء : ٣٧٦ - ٣٧٧
(غضب)			

(صيد)	يصيدنا العير : ١٧٠	(سور)	سورة ، سور : ١٠٤
(عبد)	يعبد : ١٦٠ ، ٣٦٢	(شجر)	الشجر : ٥١٦
	معبد : ١٦١	(شعر)	يشعرون : ٢٧٧
	العبد : ١٦١	(صغر)	الصغار ، صاغر : ٤٦٠
(عهد)	العهد : ٤١١ - ٤١٥ ، ٥٥٧	(طهر)	مطهرة : ٣٩٥
(فسد)	يفسد ، الفساد ، الإفساد : ٧٥ ، ٢٨٩ ، ٤١٦	(ظهر)	ظهر ، ظاهر : ٧٢
(مدد)	يمدّهم : ٣٠٧ - ٣٠٩	(غفر)	أستغفر الله ذنباً : ١٦٩
	أمد الجرح : ٣٠٧	(غير)	غير : ١٩٠
(ندد)	ندّ ، أنداد : ٣٦٨	(قدر)	قدير : ٣٦١
(وقد)	استوقد : ٣٢٠	(قرر)	مستقر : ٥٣٨ - ٥٣٩
	وقود : ٣٨٠	(قسر)	قسورة : ١٤
	* * *	(كبر)	استكبر : ٥١٠
(عوذ)	أعوذ : ١١١	(كفر)	الكفر ، كافر : ٢٥٥ ، ٥٥٢ ، ٣٨٢
	* * *	(مور)	مور : ١٦١
(آخر)	الآخرة : ٢٤٥		* * *
	اليوم الآخرة : ٢٧١	(أنس)	إنسان ، الناس : ٢٦٨
(بشر)	بشر ، البشارة : ٣٨٣		(نوس) .
(بصر)	أبصار : ٣٥٩	(بلس)	إبليس : ٤٥٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٠
(تجر)	تجارة : ٣١٥ - ٣١٧		أبلس ، مبلس : ٥٠٩ ، ٥١٠
(حصر)	حصر : ٢٢٩	(جلس)	جليس ، مجالس : ٣٧٧
(خبر)	خبير : ٤٩٦	(قدس)	يقدّس ، قدّوس :
(خسر)	خاسر ، خسار : ٤١٧		٤٧٥ - ٤٧٦
(دبر)	دبر ، أدبار : ٣٦٠ ، ٣٦١	(قرطس)	قرطاس : ١٥
(دنر)	دينار : ١٥	(لبس)	لبس يلبس ، تلبس :
(ذكر)	الذكر : ٩٩		٥٦٦
(سأر)	سؤرة ، سؤر ، أسأر :		لبس ، لبس : ٥٦٦
	١٠٥ ، ١٠٦	(نوس)	الناس : ٢٦٨ (أنس)
(سمر)	سمر ، جمع أسمر : ٣٠٢		

(فرش)	فرش : ٣٦٥	(حقق)	الحق : ٤٠٧
	* * *	(خلق)	خلق : ٤٢٧
(مرض)	مرض : ٢٧٨ ، ٢٨١	(رزق)	رزق : ٣٦٧
	يمرض : ٢٧٩	(سحق)	إسحاق : ٥١٠
(نقض)	نقض : ٤١١ ، ٤١٢	(صعق)	الصواعق : ٣٣٩
	* * *	(فرق)	الفرقان : ٩٨
(حوط)	محيط : ٣٥٦	(فسق)	فاسق ، الفسق : ٤٠٩ ، ٤١٠
(صرط)	صراط : ١٧٠ - ١٧١	(فوق)	فوق : ٤٠٥ ، ٤٠٦
(قسط)	قسطاس : ٢٠	(نفق)	النفاق ، المنافق : ٢٣٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢٤ - ٣٢٧ ، ٣٤٦ - ٣٦٣ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٤
(هبط)	هبط : ٥٣٤ ، ٥٤٨	(وثق)	ميثاق : ٤١٤
	* * *		* * *
(بدع)	بديع : ٢٨٣	(ألك)	ملائكة ، ألوكة : ٤٤٤ - ٤٤٧
(خدع)	يخدع : ٢٧٣	(ملك)	مالك ، ملك : ١٤٨ ، ١٤٩
(رجع)	يرجعون : ٣٣١ ، ٣٣٢		* * *
(ركع)	ركع ، الركوع : ٥٧٤ ، ٥٧٥	(إسرائيل)	إسرائيل : ٥٥٣
(سمع)	سمع : ٣٥٩	(جعل)	جاعل : ٤٤٧ - ٤٤٨ ، ٤٦٤
(طلع)	مطلع : ٧٢	(ذلل)	ذلة ، المذل : ١٦١
(قطع)	يقطعون : ٤١٥	(زال)	أزل : ٥٢٤ ، ٥٢٥
(متع)	متاع : ٥٣٩ ، ٥٤٠	(زول)	أزال : ٥٢٤ ، ٥٢٥
(مصع)	مصع ، مصاع : ٣٤٥ ، ٣٤٦	(سجل)	سجّل : ١٤ ، ٢٠
(وجع)	وجيع : ٢٨٣	(صلل)	صلصال : ٤٥٦ ، ٤٥٩
	* * *	(ضلل)	الضالون : ١٩٥
(خطف)	يخطف ، خطفة ، خطاف : ٣٥٧	(طول)	طول ، إطالة : ١١٦
(خلف)	خليفة ، خلافة : ٤٤٩	(فصل)	المفصل : ١٠٤
(خوف)	الخوف : ١٦١		
(طرف)	طرف ، أطراف : ٣٦٠		
	* * *		
(برق)	البرق : ٣٤٢		

لحم ، لحيم : ٢٢٩	(لحم)	كفّل : ١٣	(كفل)
النجم : ٥١٦	(نجم)	مثل : ٤٠٣	(مثل)
نديم ، منادم : ٣٧٧	(ندم)	يوصل : ٤١٥	(وصل)
نعمة : ٥٥٥	(نعم)	آدم ، أديم ، أدمة ،	(أدم)
اليوم : ٢٧٢	(يوم)	إدام : ٤٨٠ - ٤٨٢	
***		ألم : ٢٨٣	(ألم)
آمن ، الإيمان : ٢٣٤ -	(أمن)	أم : ١٠٧	(أم)
٥٦٠ ، ٢٧١ ، ٢٣٥		أمة : ٢٢١	
باطن ، باطن : ٧٢	(باطن)	أبكم ، بكم : ٣٣١	(بكم)
بين : ١٦٥	(بين)	حكيم : ٤٩٦	(حكم)
ثمن : ٥٦٥	(ثمن)	الحكم ، ختم : ٢٥٨ ،	(ختم)
جنة ، جنات : ٣٨٤	(جنن)	٢٦٢	
الجن : ٤٥٥ ، ٤٥٨ ،		درهم : ١٥	(درهم)
٥٠٧ - ٥٠٢		الرجيم : ١١٢	(رجم)
الحن : ٤٥٥ ، ٥٠٢	(حنن)	الرحمن : ١٢٦ - ١٣٤	(رحم)
حين : ٥٤٠	(حين)	الرحيم : ١٢٦ - ١٣٤ ،	
دهين : ١١٢	(دهن)	٥٤٨	
دونك : ١٢٠	(دون)	السلام : ١٢٠	(سلم)
الدين : ١٥٥	(دين)	صم : ٣٣١	(صمم)
دين : ٢٢١		ظلمة ، ظلمات : ٣٣٨	(ظلم)
الرين : ٢٥٩ ، ٢٦٠	(رين)	ظالم ، مظلومة ، ٥٢٣ ،	
مسنون : ٤٥٦ ، ٤٥٩	(سنن)	٥٢٤	
شيطان ، شطن ، شطون ،	(شطن)	عقم : ٢٧٢	(عقم)
شاطن : ١١١ ، ١١٢ ،		العالمين : ١٤٣	(علم)
٢٩٦		عليم : ٤٣٨ ، ٤٩٦	
نستعين : ١٦١	(عون)	فقّم : ٥٢٧	(فقم)
لعين : ١١٢	(لعن)	قلم : ١٥	(قلم)
***		المستقيم : ١٧٠ ، ١٧١	(قوم)
الله ، إله ، إلهة :	(أله)	إقامة الصلاة : ٢٤١ ،	
١٢٢ - ١٢٣		٥٧٣	
		يكنم : ٤٩٨ - ٥٠٠	(كنم)

سَلَى : ٩٦ ، ٥٩	(سلا)	السفهاء : ٢٩٣	(سفه)
سَاء ، سِاوة : ٣٦٦ ، ٤٣١	(سما)	السفه : ٢٩٣ ، ٢٩٥	
سِا له يسمو : ٣٦٦		متشابه : ٣٨٩	(شبه)
سواء : ٢٥٦	(سوى)	يعمهون ، عمه : ٣٠٩ - ٣١٠	(عمه)
استوى على : ٤٢٨ - ٤٣٠		***	
سوى : ٤٣١		أبى : ٥١٠	(أبى)
اشترى ، اشتراء : ٣١١ - ٣١٥ ، ٥٦٥	(شرى)	إيتاء الزكاة : ٥٧٤	(أتى)
الصلاة ، صلتى : ٢٤٢	(صلا)	آية : ١٠٦	(أبا)
طغيان : ٣٠٨	(طغا)	أبدى يبدى : ٥٠٠	(بدا)
اعتدى : ٣٠٢	(عدا)	بناء : ٣٦٧	(بنى)
إعطاء ، عطاء : ١١٦	(عطا)	المثنى : ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٠	(ثنى)
عليك : ١٢٠	(علا)	استحى : ٤٠٢	(حي)
عمى : ٣٣١	(عمى)	أحي ، حي : ٤٢١ ، ٤٢٣	
غشاوة ، تغشاه : ٢٦٥	(غشا)	حواء : ٥١٣	
تلقى ، لقى : ٥٤١ - ٥٤٢	(لقى)	خلا إليه ، خلا به : ٢٩٨	(خلا)
النوى : ١١٢	(نوى)	يدعو : ٣٧٧	(دعا)
هدى يهدى ، اهدنا : ١٦٦ - ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩	(هدى)	الدنيا : ٢٤٥	(دنا)
الهُدَى : ٥٤٩ - ٥٥١		دواة : ١٥	(دوى)
أوفى : ٥٥٨	(وفى)	الرجاء : ١٦١	(رجا)
المتقون ، اتقى : ٢٣٢ ، ٥٦٦ ، ٣٦٤	(وقى)	الزكاة : ٥٧٣ - ٥٧٤	(زكا)
		زكاً : ٥٧٣	
		استرى ، استراء : ٣١٣	(سرى)
		السفا : ٥٧٣	(سفا)

أعلام المترجمين في التعليق

[الأرقام في هذا الفهرست هي أرقام الآثار ، لا الصفحات]

أبو الأزهر (نصر بن عمرو اللخمي)
 أبو أسامة (حماد بن أسامة)
 أسباط بن نصر الهمداني : ١٦٨
 إسحق الأنصاري (إسحق بن عبد الله
 ابن أبي طلحة)
 أبو إسحق السبيعي (عمرو بن عبد الله)
 أبو إسحق الفزاري (الفزاري) : ١٢٩
 إسحق بن الحجاج الطاحوني : ٢٣٠
 إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة
 (إسحق الأنصاري) : ١٦
 أسد السنة (أسد بن موسى المرواني)
 أسد بن موسى المرواني (أسد السنة)
 : ٢٣
 إسماعيل الأزرق (إسماعيل بن سلمان)
 إسماعيل بن إبراهيم : ١٣١
 إسماعيل بن رجاء بن ربيعة : ٧٩٨
 إسماعيل بن سالم الأسدي : ٤٢٢
 إسماعيل بن سلمان (إسماعيل الأزرق)
 : ١٨١
 إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة
 (السدي - الكبير) : ١٦٨
 إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن
 أويس الملقب (ابن أبي أويس) :
 ٤٥
 إسماعيل بن يحيى بن عبد الله التيمي :
 ١٤٠

آدم العسقلاني (آدم بن أبي إياس)
 آدم بن أبي إياس (آدم العسقلاني)
 ١٨٦ ، ١٨٧
 إبراهيم الهجري (إبراهيم بن مسلم)
 إبراهيم بن العلاء (زبريق) : ١٤٠
 إبراهيم بن مسلم الهجري (إبراهيم
 الهجري) : ١١
 إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي : ٧٨
 أبو أحمد الزبيري (محمد بن عبد الله
 ابن الزبير الأسدي)
 أحمد بن إسحق : ١٧٧
 أحمد بن عبد الجبار العطاردي :
 ٦٦
 أحمد بن عبد الرحيم البرقي (أحمد بن
 عبد الله بن عبد الرحيم) (ابن
 البرقي) : ١٦٠
 أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم (ابن
 البرقي) : ٢٢ .
 أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي
 (أحمد بن عبد الرحيم)
 أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي :
 ٣٣٨
 أبو الأحوص الجشمي (عوف بن
 مالك بن نضلة)
 ابن إدريس (عبد الله بن إدريس
 الأودي)

بندار (محمد بن بشار)

أبو تميلة (يحيى بن واضح الأنصارى)

أبو ثابت (حرب بن ثابت)

ثابت بن هرمز (أبو المقدام) :

٦٤١ ، ٦٨٠

جابر الجعفي : ٧٦٤

جرير بن حازم : ٥٩٧

الحريري (سعيد بن إلياس البصري)

أبو جعفر الرازي التميمي : ١٦٤

جعفر الزبيرى (جعفر بن محمد بن

خالد)

جعفر بن عبد الله بن زيد بن أسلم :

٩٠ ، ٩١

جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير

الزبيرى : ٩٠ ، ٩١

جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي : ٨٧ ، ٦١٧

أبو الجلد الحوني (جيلان بن أبي

فروة)

أبو جهضم (موسى بن سالم)

أبو الجهم (أبو جهيم الأنصارى)

أبو جهيم الأنصارى (عبد الله بن

الحارث بن الصمة)

جوير بن سعيد الأزدي : ٢٨٤

جيلان بن أبي فروة (أبو الجلد) :

٤٣٤ ، ٧٢٣

الحارث الأعور (الحارث بن عبد الله

الأعور)

الأسود بن سريع : ١٥٤

الأشج (عمر بن عبد العزيز)

أشعث بن إسحق بن سعد القمي : ٨٧

أشعث بن سعيد البصري (أبو الربيع

السمان) : ٢٤

الأشعري (أبو موسى)

ابن الأعرابي (عوف بن أبي جميلة

العبدى)

الأودي (أحمد بن عثمان بن حكيم)

ابن أبي أويس (إسماعيل بن عبد الله

بن عبد الله بن أويس)

باذان (أبو صالح)

البحراني (محمد بن معمر بن ربيع)

أبو البخترى (سعيد بن فيروز

الطائي الكوفي)

بديل العقيلي (بديل بن ميسرة)

بديل بن ميسرة العقيلي : ١٩٨

أبو بردة بن أبي موسى الأشعري : ١٢٩

ابن البرقي (أحمد بن عبد الرحيم البرقي)

ابن البرقي (أحمد بن عبد الله بن

عبد الرحيم)

أبو بزة (يسار)

بسر بن سعيد مولى الحضرمي : ٤١

بشر بن إسماعيل : ٤٣٧

بشر بن عمارة الخثعمي : ١٣٧ ،

٦٢٦

بشر بن معاذ العقدي : ٣٥٢

بقية بن الوليد : ١٥٢

أبو بكر الهزلي (سلمى) : ٥٩٧

أبو بكر بن عون : ٧٩٧

ابن أنخى الحارث الأعور : ١٧٤
الحارث بن عبد الله الأعور الحمداني : ١٧٤
الحجاج الأنماطي (الحجاج بن
المنهال)
حجاج بن رشدين بن سعد المصري :
٧٦٣

حجاج بن محمد المصيصي : ١٤٤
الحجاج بن المنهال (الحجاج الأنماطي
٦٨٢ ، ٥٩٧

أبو حذيفة النهدي (موسى بن
مسعود)

حرب بن ثابت المنقري : (أبو ثابت)
(حرب بن أبي حرب) : ١٦
حرب بن أبي حرب : (حرب بن
ثابت)

حزم بن أبي حزم) ٨٠

الحسن البصري : ١٥٤

الحسن بن دينار : ٦٨٢

الحسن بن صالح بن صالح بن حي :
١٧٨

الحسن بن عطية بن سعد العوفي :
٣٠٥

الحسن بن الفرات : ٤٣٨

الحسن بن الفرغ : ٦٩١

الحسن بن محمد بن الصباح : ٦١١

الحسن بن يحيى : ٣١٣

حسين الجعفي (حسين بن علي بن
الوليد)

الحسين بن الحسن بن عطية العوفي :
٣٠٥

الحسين بن داود (سنيد) : ١٤٤

حسين بن علي بن الوليد الجعفي
(حسين الجعفي) : ٢٩ ، ١٧٤
أبو حصين (عثمان بن عاصم بن
حصين الأسدي)
حصين بن عبد الرحمن السلمي :
٥٧٩

حفص بن عبد الله : ٩٠ ، ٩١
الحكم بن ظهير الفزاري : ٢٤٩
الحكم بن عتبة : ٣٢
الحكم بن عمرو الثمالي (الحكم بن
عمير) : ١٥٢

الحكم بن عمير الثمالي (الحكم بن عمرو
الثمالي) : ١٥٢

الحكم بن نافع (أبو اليمان) : ٨٧
حماد بن أسامة (أبو أسامة) : ٢٩ ،
٢٢٣ ، ٥١

حمزة الزيات (حمزة بن حبيب)
حمزة بن حبيب (حمزة الزيات) :
١٧٤

حمزة بن المغيرة بن نشيط : ١٨٤

أبو حميد : ١٢٩

حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي : ١٧٨

حميد بن نبهان : ٧٨٦

حميدة بن مسعدة السامي : ١٩٦

ابن الحنفية (محمد بن علي بن أبي
طالب)

٥٥٥

خالد بن دينار السعدي (أبو خلد) :
٤٤

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي

سفيان : ٧٨٦

زبيد بن الحارث الياشي : ١٨٠
 زر بن حبيش : ٢٩ ، ٢٧٤
 زكريا بن أبي زائدة : ١١٢
 زنبور (محمد بن يعلى السلمى)
 الزيات الأحول (عثمان بن سعيد)
 زياد البكائي : ٢٤٦
 زيد القصار : ١٤
 ابن زيد (عبدالرحمن بن زيد بن أسلم)

أبو السائب (سلم بن جنادة السوائي)
 أبو السائب مولى زهرة : ٢٢١
 سابط : ٥٩٩
 ابن سابط (عبد الرحمن بن سابط)
 السدي الكبير (إسماعيل بن عبدالرحمن
 بن أبي كريمة)
 السري بن يحيى بن السري التميمي)
 ١٤٦

سعد (أبو المختار الطائي) : ١٧٤
 سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة :
 ٢٢٤
 سعد بن عبد الله بن عبد الحكم :
 ٤٣٦

سعد بن محمد بن الحسن العوفي : ٣٠٥
 سعدويه الضبي الواسطي (سعيد بن
 سليمان)
 سعيد بن أشوع (سعيد بن عمرو بن
 أشوع)
 سعيد بن إلياس البصري (الحريري) :
 ١٩٦

سعيد بن بشير : ١٢٦
 سعيد بن جبير : ٦١٧

الحراز (علي بن الحسن بن عبد ربه)
 أبو الخطاب البصري : ٤٢٣
 خلاد بن عبد الرحمن الصنعاني : ٦٨٦
 أبو خلدة (خالد بن دينار السعدي)
 خلف بن ياسين بن معاذ الزيات :
 ٢٥٢

أبو داود الطيالسي : ٤٩
 ابن داية (عيسى بن ميمون المكي)
 الدورقي (يعقوب بن إبراهيم بن كثير)
 دينار بن عمر الأسدي الأعشى (أبو
 عمر البزار) : ١٨١

ذكوان (أبو صالح السمان) : ٣٠٤

 أبو الربيع السمان (أشعث بن سعيد
 البصري)

ربيع بن أنس البكري : ١٨٩
 الربيع بن سليمان المرادي : ٢٣
 ربيعة بن الأبيض : ٤٣٩
 أبو رجاء (محمد بن سيف الأزدي)
 رشدين بن سعد : ١٩
 رفيع بن مهران (أبو العالية) : ٤٤ ،
 ١٨٤

رواد بن الجراح العسقلاني : ١٢٦
 أبو روق (عطية بن الحارث الحمداني)

زائدة بن قدامة : ٢٩

زبريق (إبراهيم بن العلاء)
 ابن الزبريق (إبراهيم بن العلاء)

سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم
المصري (ابن أبي مريم) : ٢٢
سعيد بن سليمان (سعدويه الضبي
الواسطي) : ٦١١

سعيد بن سنان الشيباني (أبو سنان) :
١٧٥

سعيد بن أبي عروبة (ابن أبي عروبة)
١٦٣

سعيد بن عمرو بن أشوع الكوفي
(سعيد بن أشوع) : ٤٣٩
سعيد بن فيروز الطائي (أبو البخري)
١٧٥

سعيد بن أبي مريم (ابن أبي مريم) :
١٦٠

سعيد بن معبد : ٦٥١
سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدي
(أبو مسلمة) : ٧٩٧

ابن سفيان الأسلمي : ٦٦
سفيان الثوري : ١١ ، ١٦١
سفيان بن وكيع بن الجراح : ١٤٢ ،
١٤٣ ، ٢٧٩

سقيير العبدى (صقيير) (فلان
العبدى) : ٢٥

سلام بن سالم الخزاعي : ٢٥٢
سلام بن مسكين الأزدي : ٦٩٢
سلم بن جنادة السوائي (أبو السائب) :
٤٨

سلمان الفارسي : ٣٣٧
أبو سلمة العبدى (عمر بن الوليد الشني)
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف :
٨ ، ٦٧

سلمة بن الفضل : ٢٤٦
سلمة بن كهيل الحضرمي : ٤٣٩
سلمى (أبو بكر الهذلي)
السلولي (عبد الله بن حمزة)
أبو سنان (سعيد بن سنان الشيباني)
سنيد (الحسين بن داود)
سهل بن شعيب : ٦٦
سهل بن موسى ٩٢ : ١٨٠
سهيل بن أبي حزم (سهيل أخو حزم) : ٨٠
سهيل أخو حزم (سهيل بن أبي حزم)
سيار أبو الحكم العنزي الواسطي : ٣٩
ابن سيرين (محمد بن سيرين)

شبابة بن سوار الفزاري : ٣٧
شبل بن عباد المقرئ : ٢٨٠
شبيب بن بشر : ٤٨٥
شريك بن عبد الله النخعي : ٢٣٨
شعيب الجبائي (شعيب بن الأسود) :
٤٤٨

شعيب بن الأسود (شعيب الجبائي) :
٤٤٨

شقيق بن سلمة الأسدي (أبو وائل) :
١٧٧

شيبان بن فروخ : ٦٩٢

أبو صالح (عبد الله بن صالح
المصري)

أبو صالح باذان : ١١٢ ، ١٦٨
أبو صالح السمان (ذكوان) : ٤٢٢
صالح بن مسمار السلمى المروزي :
٢٢٤

أبو عبد الرحمن السلمي (عبد الله
ابن حبيب)

عبد الرحمن بن جبير بن نفيير : ١٨٦ ،
١٨٧

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ابن
زيد) : ١٨٥ ، ٦١٤

عبد الرحمن بن سابط الحمحي
(عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط)
٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٩٩

عبد الرحمن بن عابس : ٥٠

عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط
(عبد الرحمن بن سابط)

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله
ابن أويس : ٤٥

عبد الرحمن بن أبي ليلى : ٣٢

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود :
٤٣

عبد الرحمن بن غزوان الخزاعي
(قراد) : ٥٥٥

عبد الرحمن بن محمد بن زياد (المحاربي)
٢٢١

عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن
أبي سفيان : ٧٨٦

عبد الرزاق بن عمر البزيعي : ٥٣٨ -
٥٥٣

عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد
البصري : ٣٤

عبد الله بن إدريس الأودي (ابن
إدريس) : ٨٨ ، ٤٣٨

عبد الله بن الحارث الأنصاري (أبو
الوليد) : ٧٩٩

صالح بن مسلم البكري : ١٠٣ ،
١١٤

أبو صديق الآملي (عبد الله بن
كثير)

صعصعة بن صوحان : ٦٤
صقير العبدى (سقير)

الضحاك بن مخلد (أبو عاصم النبيل)
١٥٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٤٨٥

الضحاك بن مزاحم الهلالي : ١٣٧

عاصم (ابن أبي النجود) : ٢٧٤
أبو عاصم النبيل (الضحاك بن مخلد)
عاصم بن بهدلة (ابن أبي النجود)
(عاصم بن أبي النجود) : ٢٩ ،
٨٨ ، ١٢٨

عاصم بن سليمان الأحول : ١٨٤

عاصم بن كليب الجرمي : ٦٥٤

عاصم بن أبي النجود (عاصم بن
بهدلة)

أبو العالية (رفيع بن مهران)

عامر بن عبد الله بن مسعود (أبو
عبدة) : ٤٣

عباد بن حبيش : ١٩٤

عباد بن عبد الله الأسدي : ٣٣٧

عباس بن زياد الباهلي : ٢٤١

عبد الأعلى بن عامر الثعلبي : ٧٣

عبد الجبار العطاردى : ٦٦

عبد الحميد بن بيان القناد : ٣٠

عبد الحميد بن عبد الرحمن (أبو يحيى
الحماني) : ٧١٨

عبد الله بن الحارث بن الصمة (أبو

جهيم الأنصاري) : ٤١

عبد الله بن حبيب (أبو عبد الرحمن

السلمي) : ٨٢

عبد الله بن سابط : ٥٩٩

عبد الله بن مخبرة الأزدي (أبو معمر)

٧٨

عبد الله بن شقيق العقيلي : ١٩٦

عبد الله بن صالح المصري (أبو صالح)

١١٧ ، ١٨٦ ، ١٨٧

عبد الله بن ضمرة السلولي (السلولي) :

١٥٣

عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن

ابن أبي ليلى : ٣١ ، ٣٢ ، ٦٩

عبد الله بن كثير الداري : ٣٠٣

عبد الله بن كثير (أبو صديق

الأملي) : ١٨٤

عبد الله بن كثير بن المطلب السهمي :

٣٠٣

عبد الله بن لهيعة (ابن لهيعة) : ١٦٠

عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي

طالب : ١٧٨

عبد الله بن ميمون بن داود القداح :

١٧

عبد الله بن نمير : ٣٣

عبد الملك الزراد (عبد الملك بن

ميسرة)

عبد الملك بن حبيب الأزدي (أبو

عمران الجويني) : ٨٠

عبد الملك بن حسين (أبو مالك

النخعي الواسطي) : ٤٢٥

عبد الملك بن أبي سليمان (العزري) :

١٤٦

عبد الملك بن معن بن عبد الرحمن

(أبو عبيدة) : ٨٤

عبد الملك بن ميسرة الهلالي الزراد :

٥٠٣ ، ٥٠٤

عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر :

٦٣٦

عبيدة ؟ : ٢٤٥

عبيدة بن سليمان الكلبي : ٣٢٢

أبو عبيدة الوصابي (محمد بن حفص)

عبيد بن السبق : ٥٩ ، ٦٠

عبيد بن سليمان الباهلي : ٣٩٢

عبيد الله بن حفص بن عاصم بن عمر :

١٧ ، ٣٨

عبيد الله بن محمد بن هارون الفريابي :

١٧

عبيد الله بن أبي يزيد المكي : ٢٠

أبو عبيدة (عبد الملك بن معن)

أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود

(عامر بن عبد الله . . .)

عبيدة بن عمرو (قيس) السلماني :

٢٤٥

عبيدة بن قيس (عمرو) السلماني :

٢٤٥

عثام بن علي العامري : ٣٣٧

عثمان بن الأسود بن موسى المكي :

٤٤٦

عثمان بن زفر : ١٤٦

عثمان بن سعيد (الزيات الأحول) :

١٣٧

عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي
(أبو حصين) : ٦٤٢ ، ٦٤٣

ابن عثمة (محمد بن خالد)

ابن عجلان (محمد بن عجلان)

ابن أبي عروبة (سعيد)

عروة بن عبد الله بن قشير (.. قيس) :
٢١١

عروة بن عبد الله بن قيس (.. بن
قشير) : ٢١١

الغزرى (محمد بن عبيد الله بن أبي
سليمان)

(عبد الملك بن أبي سليمان)

عطاء الخراساني (عطاء بن أبي مسلم)

عطاء بن دينار المصري : ١٦٠

عطاء بن السائب : ١٥٨

عطاء بن أبي مسلم (عطاء الخراساني) :
١٤٩

عطية العوفي (عطية بن سعد)

عطية بن الحارث الهمداني (أبوروق) :
١٣٧

عطية بن سعد بن جنادة العوفي

(عطية العوفي) : ١٤٠ ، ٣٠٥ ،

٧٢١

عقبة بن سنان بن عقبة بن سنان

البصري : ٧٩٧

عقيل بن خالد : ١٩

العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى

الحرقة : ٢٢١

أبو علي الختلي (مجاهد بن موسى

ابن فروخ)

علي بن بديعة : ٦٢٩

علي بن الحسن بن عبدويه أبو الحسن
الخرّاز : ١٥٤

علي بن زيد بن جدعان : ٤٠

علي بن صالح بن صالح بن حي :

١٧٨

علي بن أبي علي الهبلي الهاشمي : ١٨

عمارة بن غزية : ٥٩ ، ٦٠

أبو عمر البزار (دينار بن عمر الأسدي)

أبو عمر الخزاز (النضر بن عبد الرحمن)

عمر بن عبد الرحمن بن مهرب (عمر بن

بن عبد الرحمن بن مهران) ؟؟ :

٧٤٢

عمر بن عبد العزيز (الأشج) : ٥٤

عمر بن الوليد الشني (أبو سلمة

العبدى) : ٤٣٥

أبو عمران الجويني (عبد الملك بن

حبيب الأزدي)

إمران بن داود (أبو العوام) : ١٢٦

إمران بن ميسرة المنقري : ٤٣٨

عمرو بن ثابت (ابن أبي المقدم

الحداد) : ٦٤١ ، ٦٨٠

عمرو بن حماد بن طلحة القناد (عمرو

ابن طلحة) : ١٦٨

عمرو بن دينار : ٤٢

عمرو بن طلحة القناد (عمرو بن

حماد بن طلحة)

عمرو بن عبد الرحمن بن مهران ؟ ؟

(عمر بن عبد الرحمن بن مهرب)

٧٤٢

عمرو بن عبد الله (أبو إسحق السبيعي) :

٤٩

فلان العبدى (سفير العبدى)
(صفير)

القاسم بن أبى بزة (القاسم بن نافع
بن أبى بزة)
القاسم بن نافع بن أبى بزة (القاسم
ابن أبى بزة) : ٦٣١
قيصة بن عقبة بن محمد السوائى :
٤٨٩

قراد (عبد الرحمن بن غزوان)
قسامة بن زهير المازنى : ٥٣٧
الققعقاع بن حكيم الكنانى : ٣٠٤
قيس بن الربيع : ١٥٩

أبو كثير : ٤٣٧
أبو كريب (محمد بن العلاء)
كعب الأحبار : ١٥٣
الكلبي (محمد بن السائب)

ابن لهيعة (عبد الله بن لهيعة)
الليث بن سعد : ١٨٦ ، ١٨٧
ليث بن أبى سليم : ١٢٩
ابن أبى ليلي (محمد بن عبد الرحمن
ابن أبى لعل)

أبو مالك الغفارى (غزوان)
أبو مالك النخعى الواسطى (عبد الملك
ابن حسين)
مبارك بن فضالة : ١٥٤ ، ٥٩٧ ،
٦١١

عمرو بن مرة المرادى الجملى : ١٧٥
عمرو بن ميمون الأودى : ٥٠٣ ،
٥٠٤

عمير مولى ابن عباس (عمير بن
عبد الله الهلالى)
عمير بن عبد الله الهلالى (عمير مولى
ابن عباس) : ٧٩٨
عنيسة بن سعيد بن الضريس : ٢٢٤
عنتر بن عبد الرحمن (أبو وكيع) :
٤٠٥

أبو العوام (عمران بن داور)
عوف بن أبى جميلة العبدى الأعرابى
(ابن الأعرابى) : ١٥٠ ، ٥٣٧
عوف بن مالك بن نضلة (أبو الأحوص
الخشمي) : ١٠

عيسى بن إبراهيم القرشى : ١٥٢
أبو عيسى بن عبد الله بن مسعود :
٤٣

عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى :
٣٠٠

عيسى بن قرقطاس : ١٤
عيسى بن ميمون المكى : ٢٧٨

غزوان (أبو مالك الغفارى) : ١٦٨ ،
٥٧٩

غسان بن مضر الأزدي : ٧٩٧

الفرات بن السائب الجزرى : ١٨٠
فرات بن أبى عبد الرحمن القزاز :
٤٣٨

الفزارى (أبو إسحق الفزارى)

(محمد) : ٢٤٥ ، ٥٥
 محمد بن سيف الأزدي الحداني
 (أبو رجاء) : ١٣٥
 محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى
 (ابن أبي ليلى) : ٣٢ ، ٣٣ ، ٦٣١
 محمد بن عبد الرحيم البرقي (محمد
 ابن عبد الله بن عبد الرحيم)
 محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي
 (أبو أحمد الزبير) : ١٥٩
 محمد عبد الله بن عبد الرحيم البرقي
 (محمد بن عبد الرحيم)
 محمد بن عبيد الطنافسي : ٤٠٥
 محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان
 (الغزري) : ١٤٦
 محمد بن أبي عبيدة : ٨٤
 محمد بن عجلان (ابن عجلان) :
 ٣٠٤
 محمد بن العلاء (أبو كريب) :
 ١٥١
 محمد بن علي بن أبي طالب (ابن
 الحنفية) : ١٨١
 محمد بن عمرو بن علقمة : ٨
 أبو محمد بن أبي ليلى الكوفي : ٢٤٩
 محمد بن أبي محمد الأنصاري : ٢٤٦
 محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي
 (محمد بن مرزوق) : ٢٨
 محمد بن مرزوق (محمد بن محمد
 ابن مرزوق)
 محمد بن مسلم بن سوسن الطائفي :
 ٤٤٧

المثنى بن إبراهيم الأملی : ١٨٦ ،
 ١٨٧
 مجاهد : ١٦١
 مجاهد بن جبر : ٦٣٦
 مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمي
 (أبو علي الحنلي) : ٥١٠
 المحاربي (عبد الرحمن بن محمد بن
 زياد)
 محمد (ابن سيرين)
 محمد بن إسحق بن يسار : ٢٢١
 محمد بن إسماعيل الأحسي : ٤٠٥ ،
 ٧١٨
 محمد بن بشار (بن دار) : ٣٠٤
 محمد بن حجاج : ٣٤
 محمد بن جعفر : ١٣١
 محمد بن حفص (أبو عبيد الوصابي) :
 ١٢٩
 محمد بن حميد الرازي : ١٧٧
 محمد بن خازم الضرير (أبو معاوية)
 محمد بن خالد ابن عثمة : ٩٠ ، ٩١
 محمد بن ربيعة الكلبي الرؤاسي :
 ١٨١
 محمد بن السائب (الكلبي) : ٧٢ ،
 ٢٤٦ ، ٢٨٤
 محمد بن سعد بن محمد . . . العوفي :
 ٣٠٥
 محمد بن سعد بن منيع كاتب
 الواقدي : ٣٠٥
 محمد بن سلمة الباهلي الحرائي : ١٧٥
 محمد بن سنان القزاز : ١٥٧
 محمد بن سيرين (ابن سيرين)

محمد بن مصعب القرقيساني : ١٥٤ ،

١٥٨

محمد بن معمر بن ربيع (البحراني) :

٢٤١

محمد بن ميمون الزعفراني : ٢٦

محمد بن يعلى السلمى (زنبور) :

٤٢٣

محمود بن خدّاش الطالقاني : ١٧٨

أبو المختار الطائي (سعد) : ١٧٤

مرة بن شراحيل الهمداني : ١٦٨

مريّ بن قطري الكوفي : ١٩٥

ابن أبي مريم (سعيد بن أبي مريم)

ابن أبي مريم (سعيد بن الحكم بن

محمد بن سالم المصري)

مسعر بن كدام : ٥٠٣ ، ٥٠٤

مسلم بن سعيد مولى الحضرمي : ٤١

مسلم بن عبد الرحمن الجرمي (مسلم

بن أبي مسلم) : ١٥٤

مسلم بن أبي مسلم (مسلم بن عبد الرحمن)

أبو مسلمة (سعيد بن يزيد بن مسلمة)

المسيب بن رافع الأسدي : ١٢٨

مصعب ؟؟ (محمد بن مصعب

القرقيساني)

أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي

المروزي : ٦٩١

أبو معاوية (محمد بن خازم الضرير)

معاوية صالح الحمصي : ١٨٦ ، ١٨٧

معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي

سفيان : ٧٨٦

أبو معمر (عبد الله بن سبرة الأزدي)

مغيرة بن مقسم الضبي : ١٠ ، ٥٤

أبو المقدام (ثابت بن هرمز)

ابن أبي المقدام الحداد (عمرو بن

ثابت)

المنجاب بن الحارث بن عبد الرحمن

التميمي : ٣٢٢ - ٣٢٨

منصور بن المعتمر الكوفي : ١٧٧

المهال بن عمرو الأسدي : ٣٣٧ ،

٣٩٩

مهلدي بن ميمون : ٦٨٢

مهران : ١٧٧

مهران بن أبي عمر العطار الرازي :

١١ ، ١٦١

أبو موسى الأشعري : ٥٣٧

موسى بن أبي حبيب : ١٥٢

موسى بن سالم (أبو جهضم) : ٤٣٤

موسى بن سهل بن قادم أبو عمر الرملي :

١٨٠

موسى بن عبد الرحمن المسروقي : ١٧٤

موسى بن مسعود (أبو حذيفة النهدي) :

٢٨٠

موسى بن هرون الهمداني : ١٦٨ ،

٤٥٢ ، ٥٩١

الناقص (يزيد الناقص)

النبيل (أبو عاصم النبيل) (الضحاك

ابن مخلد)

ابن أبي النجود (عاصم بن بهدلة)

نصر بن عبد الرحمن بن بكار التاجي

الأزدي : ٤٢٣

نصر بن عمرو اللخمي (أبو الأزهر) :

١٤٩

يحيى بن إبراهيم بن محمد بن أبي
عبدة : ٨٤

يحيى بن سعيد : ١٣١
يحيى بن أبي طالب جعفر بن الزبرقان :
٢٨٤

يحيى بن طلحة اليربوعي : ٤٢١
يحيى بن عوف : ١٨٠
يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التميمي
النهشلي : ٣٠٠
يحيى بن واضح الأنصاري (أبو تميلة) :
٣٩٢ ، ٤٦١

يحيى بن يمان العجلي (ابن يمان) :
٨٧ ، ٦٣٠

يزيد الناقص (يزيد بن الوليد بن
عبد الملك بن مروان)
أبو يزيد المكي : ٢٠
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان :
٢٤٥

يزيد بن هرون : ٢٨٤ ، ٥١٠
يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن
مروان (يزيد الناقص) : ٥٤
يسار (أبو بزة) : ٦٣١

يعقوب بن إبراهيم بن كثير
(الدورقي) : ٢٣٧ ، ٣٣٥
يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي :
٦١٧

ابن يمان (يحيى بن يمان العجلي)
أبو اليمان (الحكم بن نافع)
يونس بن يزيد الأيلي : ١٩

النضر بن عبد الرحمن (أبو عمر
الحزاز) : ٧١٨

أبو النضر (هاشم بن القاسم)
النواس بن سميان الكلابي : ١٨٦ ،
١٨٧

هارون بن عنزة بن عبد الرحمن :
٤٠٥

هاشم بن القاسم (أبو النضر) :
١٨٤

هرمز : ٦٤١
هشام بن عبد الملك (أبو الوليد
الطيالسي) : ٢٨
هشيم بن بشير : ٣٣٥

أبو وائل (شقيق بن سلمة الأسدي)
واصل بن حيان : ١٠
أبو وكيع (عنزة بن عبد الرحمن) :
٤٠٥

وكيع بن الجراح : ١٤٢ ، ١٤٣
أبو الوليد (عبد الله بن الحارث
الأنصاري)

أبو الوليد الطيالسي (هشام بن
عبد الملك)

الوليد بن كثير المخزومي : ٢٢٣
وهب بن سليمان الجندى : ٤٤٨

أبو يحيى الحماني (عبد الحميد بن
عبد الرحمن)

مصطلحات

- الائتناف (بمعنى الاستئناف) :
٣٢٩ ، ٢٤٨
- أهل الإثبات : ١٨٩
- أهل القدر (القدرية) : ١٦٢ ،
١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٦٨
- الباطن : ٧٢
- التدافع : ٣٠٨
- ترجم ، ترجمة ، ترجمان ، مترجم :
٧٠ ، ٩٣ ، ١٧١ ، ٢٠٥ ،
٢٢٦
- التصدير (الإخراج على صيغة المصدر
— والمفعول المطلق) : ١٣٨ ، ١١٧
- التطول (بمعنى الزيادة والحذف) :
١١٨ ، ٢٢٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ،
٤٤٠ ، ٤٤١
- التعريب (الإعراب) : ٤٠٤
- التفسير للفعل (المفعول لأجله) :
٣٥٤
- التفويض : ١٦٢
- التمايع : ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٨
- جماع (جمع) : ١٠٥ ، ٣٦١
- حروف المعاني
حروف الصفات : ٢٩٩
حروف الجر
- حشو (صلة ، زيادة) : ٤٥٨ ،
٥٤٩
- الدعاء (النداء) : ١٥٢
- الصرف : ٥٦٩
- الصلة (التطول ، الإلقاء) : ١٩٠ ،
٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٥٤٨
- ضمير (بمعنى مضمير) : ٤٢٧ ،
٥٢٢
- الظاهر ، ظاهر التلاوة : ٧٢
- القطع (الحال) : ٢٣٠ — ٢٣٢ ،
٣٣٠ ، ٥٦١
- معرفة موقنة : ١٨١
- معرفة غير موقنة : ١٨١
- الواجب (المثبت) : ٥٤٩

الرد على الفرق

- دليل على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر : ١٦٢
- دليل على فساد قول أهل القدر : إن كل مأمور بأمر فقد أعطى المعونة عليه : ١٦٨
- مخالفة غضب الله غضب الآدميين ١٨٩
- الرد على أهل القدر في زعمهم أن وصف الله للنصارى بقوله : « الضالين » ، بإضافة الضلال إليهم ، دون إضافته إلى نفسه — دليل على صحة مذهبهم : ١٩٥
- مسألة في الرد على أهل الإلحاد ، والطاعنين في القرآن : ١٩٨
- الرد على أهل القدر في تأويلهم : « ختم الله على قلوبهم » ، أنه بمعنى تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق : ٢٦١ .
- الرد على الجهمية في قولهم إن الإيمان هو التصديق بالقول ، دون سائر المعاني غيره : ٢٧٢
- الدليل على فساد قول من زعم أن الله لا يعذب من عباده إلا من كفر به عناداً ، بعد علمه بوحدايته : ٢٧٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ .
- الرد على الذين يتأولون ألفاظ القرآن على معاني مذاهبهم كما في قوله تعالى : « الله يستهزئ بهم » ، وينفون عن الله ما وصف به نفسه من مثل قوله تعالى : « يخادعون الله وهو خادعهم » ، وقوله « ومكروا ومكر الله » : ٣٠١ - ٣٠٦
- الرد على نفاة صفات الله عز وجل : ٣٠٥ .
- الدليل على فساد زعم من زعم أن تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله عز وجل ، غير جائز ، إلا بعد إعطاء الله المكلف المعونة على ما كلفه : ٣٦٣
- الرد على منكري الاستواء : ٤٣٠

مباحث العربية والنحو وغيرها

- « فُعْلَان » مصدر ، مثل خسران وكفران وقرآن وفرقان : ٩٥
- « فَعِيل » بمعنى مفعول ومفعولة . لحية دهين ، مدهونة ، ورجل لعين : ملعون ١١٢
- « فُعْلة ، وفُعَل » في الجمع ، مثل غرفة وغرف ، وسورة وسور : ١٠٤ ، ١٠٥ .
- الجمع الذي يفرق بينه وبين واحده بالهاء ، مثل بُرّ وُبرة ، وشعير وشعيرة . جعلت الواحدة منه مثل القطعة من جميعه ، فسبق الجمع الواحد ، لأن حكم الواحد منه قلما يصاب ، فجرى جمعه مجرى الواحد من الأشياء غيره : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٢
- العربُ تخرج المصادر على غير بناء أفعالها ، كقولهم : أكرمتُ فلاناً كرامة ، وأهنته هواناً ، وكلمته كلاماً : ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .
- العرب تضع اسم المصدر مكان المصدر في المفعول المطلق ، كقوله : « وبعد عطائك المثة الرثاعا » ، أى إعطائك : ١١٦ ، ١١٧
- العرب تبني الاسم من « فعل » مكسور العين « يفعل » مفتوح العين - على « فعيل » ، إذا كان فيه مدح أو ذم . ومن شأنهم أن يحملوا أبنية الأسماء على « فعيل » إذا كان فيها مدح أو ذم : ١٢٦
- العرب تبني الأسماء من « فعل » بكسر العين « يفعل » بفتحها على « فُعْلَان » مثل : سكران وعطشان : ١٢٦ .
- القول في صيغة : « المفاعلة » و « التفاعل » بين اثنين ، وما شذ منهما للواحد ، كقولهم : « قاتلك الله » بمعنى قتلك الله : ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

• « فَعِيل » بمعنى « مُفْعِل » مثل « أَلِم » بمعنى مؤلم ، و « وَجِع » بمعنى موجع : ٢٨٣ .

• وزن « فَعِيل » في كلامهم : كصيب ، وسيد ، وجيد : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

• زيادة الألف في « أَفْعَل » من « فَعَلَ » ، كقولهم « مدّ » و « أمدّ » : ٣٠٧ .

• « فَعِيل » بمعنى « فاعِل » مثل « شهيد » بمعنى « شاهد » وعليم بمعنى عالم : ٣٧٧ ، ٤٣٨ ، ٤٩٦ .

• « فَعِيل » بمعنى « مفاعل » مثل « شهيد » بمعنى « مشاهد » ، و « جليس » بمعنى مجالس : ٣٧٧ .

• زيادة التاء في الجمع كقولهم : « مسمع ومسامع ومسامعة » : ٤٤٥ .

• الاسم إذا لم يكن له نظير في أسماء العرب ، منعه من الصرف تشبيهاً له بأسماء العجم ، مثل : « أيّوب » فيقول من « آب يؤوب » ، و « إسحاق » من « أسحقه إسحاقاً » : ٥١٠ .

• العرب ترك الهمز في الكلمة المهموزة وتهمزها في أخرى ، فيجري كلامها بتركها في كل حال كقولهم : « رأى » ، ثم قالوا « يرى » حتى صار الهمز شاذاً ، وكقولهم « ملك » في المفرد ، و « ملائكة » في الجمع : ٤٤٠ .

• العرب ترفع المغرى به ، إذا أخرت الإغراء وقدمت المغرى به ، وإن كانت تنصب به وهو مؤخر : ١٢٠ .

• العرب قد تخرج المفعول المطلق من كلمة على غير لفظها ، إذا اتفق معنى اللفظين ، كقولهم : « الحمد لله شكراً » : ١٣٨ .

• الفرق بين « حمداً لله » و « الحمد لله » : ١٣٨ .

• خطأ في كلام العرب إذا وصفت معرفة موقته بنكرة ، أن تعربها بإعرابها إلا على نية التكرير . فمن الخطأ أن تقول : « مررت بعبد الله غير العالم » ، بخفض « غير » ، إلا على نية تكرار الباء أي مررت بعبد الله ، مررت بغير العالم : ١٨١ ، ١٨٣ .

• لا تكاد العربُ تكني « بالهاء والميم » إلا عن أسماء بني آدم والملائكة ، كقوله : « ثم عرضهم على الملائكة » . وأما إذا أرادت أسماء البهائم وسائر الخلق سوى بني آدم والملائكة ، فإنها تكني « بالهاء والألف » ، أو بالهاء والنون « فقالت : « ثم عرضها - أو عرضهن » . فإذا جمعت ذلك كله ، فإنها تكني عنه أيضاً « بالهاء والألف » ، أو الهاء والنون . « هذا هو المستفيض في كلامهم . وربما أتت بالهاء والميم كقوله : « والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه ... » : ٤٨٥ - ٤٨٦ .

• إتباعُ الكلام بعضه بعضاً ، والعطفُ على الموضع ، كما في قراءة من قرأ : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة » بنصب « غشاوة » ، إتباعاً على موضع « سمعهم » إذ كان موضعها نصباً وهي مجرورة : ٢٦٤ .

• النصب والرفع ، في المدح والذم : ٣٢٩ .

• النصبُ في كلامهم للدلالة على المحذوف من الكلام ، كقولهم : « هي أحسن الناس ما قرناً فقلماً » أي ما بين قرن إلى قدم ، فلما حذفوا « بين » ، « وإلى » نصبوا ما بعدهما : ٤٠٥ .

• الكناية عن متأخر بالضمير ، كقوله : « ما أمر الله به أن يوصل » ، الهاء في « به » كناية عن « أن يوصل » ، أي بأن يوصل : ٤١٥ .

• الفعل الماضي إذا حُلَّ محل الحال اقتضى « قد » ، وتحذف على تقدير إضمارها : ٤٠٧ .

• العطف على مؤول ، وإعراب المعطوف بإعراب المؤول المعطوف عليه كقول الشاعر : « أجلك لن ترى بشعيلبات . . . » ثم قال « ولا متدارك » بالجر . كأنه قال : لست براء ولا متدارك : ٤٤٣ - ٤٤٤ .

• نصب الفعل المعطوف على فعل مجزوم بالهي ، إذا كان لا يستقيم معناه لو عطف عليه بالجزم ، كقوله : « لا تنه عن خلق وتأتي مثله » ، وهذا الذي يسمى « الصرف » : ٥٦٩ .

- العربُ تقدمُ الاسمَ ، ثم تتبعه صفاته ونعوته : ١٣٢
- العرب تقلر اللفظين من لفظ واحد ، ومعناها واحد ، لاتساع الكلام .
مثل : نديم وندمان : ١٣٢ .
- المؤخر الذى هو بمعنى التقديم ، وكثرته فى كلام العرب : ١٤٧-١٤٨ .
- العربُ تخاطب ثم تخبر عن غائب ، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب : ١٥٣-١٥٤
- المقدم الذى هو بمعنى التأخير فى كلام العرب ، كقوله « كفى » ، ولم أطلب ، قليل من المال : ١٦٤ .
- وقوع الاستفهام موقع الخبر ، إذا وقع موقع « أى » ، كما تقول : « لا نبأى أقمت أم قعدت » ، وأنت مخبر لا مستفهم ، ومعناه : ما نبأى أى هذين كان : ٢٥٦، ٢٥٧ .
- « كان » فى مثل قوله : « بما كانوا يكذبون » ، وإدخالها للخبر عن أنه كان فيما مضى ، كما يقال : « ما أحسن ما كان عبد الله » عجباً من عبد الله ، لا من كونه ، وإن وقع التعجب فى اللفظ على كونه : ٢٨٦ .
- إضافة الفعل إلى غير فاعله ، كقوله : « فما ربحت تجارتهم » ، أى فما ربحوا فى تجارتهم : ٣١٦، ٣١٧ ، وكقولهم : « نام ليلي » وهو الذى نام فى ليله : ٣١٧ .
- وصف المضاف بصفة ، والمراد وصف المضاف إليه كقوله : « وأعور من نهران أما نهاره فأعمى » ، أضاف العمى إلى الليل ، ومراده وصف النهرانى : ٣١٧ .
- متى يجوز للمتكلم أن يوجه الفعل إلى الفاعل أو المفعول إن شاء ، كقوله « وتلقى آدم من ربه كلمات » برفع « آدم » ، ونصب « كلمات » . ثم قراءة من قرأها بنصب « آدم » ورفع « كلمات » : ٥٤٢ .

- لا يعطف على جحدٍ إلا بجحدٍ ، وليس في كلامهم استثناء يعطف عليه بجحد : ١٨٤ .
- من شأن العرب إضافة الفعل إلى من وُجد منه ، وإن كان مسببه غير الذي وجد منه ، وتضيفه أحياناً إلى مسببه ، وإن كان الذي وجد منه الفعل غيره كقولهم : « تحركت الشجرة » والريح هي التي حركتها : ١٩٦ .
- الأسماء في أصل الوضع للتمييز ، ولكن صار الأمر إلى اشتراك كثير من الناس فيها ، فاحتاجت إلى ضم نسبة أو نعت أو صفة للتمييز ٢١١ ، ٢١٢ .
- اللفظ الواحد الجامع لمعاني مختلفة مشتركة فيه : ٢٢٢ .
- الإشارة إلى الحاضر المعين ، بإشارة غائب غير حاضر ولا معين ، وجواز ذلك ، لأن كل ما تقتضى وقرب انقضاؤه من الإخبار به ، هو كالحاضر عند المخاطب ، وإن صار بمعنى غير الحاضر : ٢٢٥ - ٢٢٧ .
- النكرة لا تكون دليلاً على معرفة : ٢٣٢ .
- شبه الصفة بالفعل مثل « حسن » : ٢٨٦ .
- التذكر والتأنيث في الكلمة الواحدة ، مثل : سماء ، وأرض : ٤٣١ ، ٤٣٢ .
- « الألف واللام » ، لا تقتضى الاستغراق ، كما في قوله : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم » : ٢٩٢ .
- القلب في مثل : جذب وجذب : ٤٤٥ .
- إنما يوجه كلام كل متكلم إلى المعروف في الناس من مخارجه ، دون المجهول من معانيه : ٣٨٨ .
- غير جائز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام : ٤٤٠ .
- الأمر في معنى الاستقبال : ٤٩٣ .

• الجزء ، أصله الاستقبال : ٥٢٢

• • •

• الخبر عن واحد يراد به الجمع ، كقوله : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » ، فقال : « الذي » ، وهو خبر عن واحد : ٣١٨ .

• الواحد الذي يراد به الجمع كقوله : « لذهب بسمعهم » ، أى أسماعهم ، و « يرتد إليهم طرفهم » ، أى أطرافهم ٣٦٠ ، ٣٦١ .

• تشبه الجماعة بالجماعة ، والواحد بالواحد ، فلا يجوز أن يقال : كأن أجسام هؤلاء نخلة : ٣١٨ .

• الفرق بين تشبيه الجماعة بالواحد ، والخبر عن واحد يراد به الجمع : ٣١٨ .

• إخراج الكناية عن الواحد فى لفظه مخرج الجمع ، كقوله : « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » : ٤٣١ .

• الجمع ورد الضمير إليه بالإفراد كقوله : « فإن الحوادث أزرى بها » : ٤٣٢

• وصف المفرد فى اللفظ بالجمع كقولهم : برمة أعشار وثوب أخلاق : ٤٣٣ .

• العرب إذا أخبرت خبراً عن بعض جماعة ، بغير تسمية شخص بعينه ، تخرج الخبر عن بعضهم مخرج الخبر عن جميعهم ، كقولهم : « قتل الجيش وهزموا » ، وإنما قتل الواحد منهم ، أو بعضهم : ٥٠١ .

• « فاعل » وتأويله بمعنى « مَنْ فعل » ، وتوحيده على نية « مَنْ فعل » فى مقام الجمع : ٥٦٢

• كيف يجوز توحيد ما أضيف له « أفعل » ، وهو خبر عن جمع مثل قوله : « ولا تكونوا أول كافر به » : ٥٦٢ .

• توحيد الخبر لتوحيد اللفظ ، إذا كان مشتقاً من الفعل كقولك : « الجيش منهزم » ، ولا يجوز أن يقال : « الجيش غلام » ، لأنه غير مشتق من فعل : ٥٦٢ .

• • •

• من المستفيض في كلامها الزيادة في الكلمة ، إذا لم يكن في الزيادة تلبس على السامع نحو : « أقول إذ خرت على الكلكال » : ٢١٣ ، ٢١٤ .

• • •

• إسقاط حرف من كلمة وإدغام ما قبل المحذوف فيما بعده ، كما في قولهم « لكن أنا » ، « لكن » ، و « الإله » ، « الله » ، و « الأناس » ، « الناس » : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٦٨ .

• العرب تحذف ما كنى منه الظاهر في الكلام ، إذا لم تشك في معرفة السامع مكان الحذف : ١٣٩ - ١٤١ ، ١٧٩ .

• حذف حرف النداء في كلام العرب : ١٥٢ .

• حذف حرف الجر ، وإيصال الفعل ، ونصب ما كان مجروراً به ، مثل « أستغفر الله ذنباً » و « يصيدنا العير » : ١٦٩ - ١٧٠ وكقولهم : « فلان يلعب الكعاب » ، يراد : يلعب بالكعاب ٣٠٧ .

• من المستفيض في كلام العرب أن ينقص المتكلم أحرفاً ، إذا كان فيما بقي دلالة ، نحو قولهم : « قلت لها : قتي » ، قالت : « قاف » وقولهم : « بالخير خيرات وإن شرافاً » : ٢١٢ - ٢١٣ .

• جواز ذكر ضمير كناية عن اسم لم يحركه ذكر في الكلام : ٥٦٤ .

• حذف الفعل ، إذا كان في أول الكلام دليل يدل عليه : ٢٦٤ .

• الحذف وإسناد الفعل إلى غير فاعله ، كقولهم : « سبحت المدينة » والمعنى ، أهل المدينة : ٢٧٩ .

• إبطال « كان » في قولهم : « حسن كان زيد » ، لشبه الصفات بالفعل : ٢٨٦ .

• إبطال « كان » في قولهم « ما أحسن ما كان عبد الله » ، في التعجب ، لأن الفعل قد تقدمها : ٢٨٦ .

• حذف المضاف ، للدلالة ما بقي على ما حذف ، مثل قوله : « وشر المنايا ميّت وسط أهله » ، أى منية ميّت وسط أهله : ٣١٧ ، وقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » ، أى كبعث نفس : ٣١٨ .

• الحذف للإيجاز والاختصار ، إذا كان فيما بقي دلالة على ما ترك ، كقوله : « فما أدري أرشد طلابها » ، أى : أم غي ، : ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٧١ .

• حذف الشرط في مثل قوله تعالى : « ولا تقربا هذه الشجرة ، فتكونا من الظالمين » ، أى ولا تقربا هذه الشجرة ، فإنكما إن قربتها كنتم من الظالمين : ٥٢١ .

• • •

• « إيتاك » ، وكافها ، وتكرارها : ١٦٤ .

• « بين » ، تكرارها مضافة إلى الظاهر كقوله : « بين الأشجّ وبين قيس . . . » : ١٦٥ .

• إثبات « لا » ، والمعنى إلغاؤها مثل : « فى بئر لاحور سرى وما شعر » ، وقوله : « ويلحيننى فى اللهو أن لا أحبه » : ١٩٠ .

• « غير » بمعنى « سوى » : ١٩٠ ، ١٩١ .

• « غير » بمعنى النفي ، كقولهم : « أخوك غير محسن ولا مجمل » أى لا محسن ولا مجمل : ١٩١ .

• « لا » لا تأتى مبتدأة بمعنى الحذف إلا أن يتقدمها جحد : ١٩١ ، ١٩٢ .

• « بل » زيادتها فى الكلام ، وفى إنشاد الشعر ، يبتدئ بها المنشد ليقطع كلاماً ، ويستأنف الآخر ٢١٠ ، ٢٢٣ .

• « بل » ومعناها ، وأنها تدخل فى كلام رجوعاً عن كلام قد تقضى : ٢٢٤ .

• « ذلك » بمعنى « هذا » : ٢٢٧ .

• زعم بعض نحاة البصرة أن حرف الاستفهام دخل مع « سواء » ، وليس

باستفهام ، بل هو تسوية ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

• « ما » المصدرية ، في مثل قوله : « بما كانوا يكذبون » عند البصريين : ٢٨٦ .

• تغير معنى الكلمة بتغير حرف الجرّ ، في مثل قولهم : « خلوت إلى فلان » .
من الخلاء به في حاجة ، و « خلوت به » ، بمعنى السخريّة به : ٢٩٨

• « إلى » بمعنى « مع » في قوله : « وإذا خلوا إلى شياطينهم » : ٢٩٨-٢٩٩ .

• « على » بمعنى « مِن » ، و « في » و « الباء » ، و « عن » ، كقوله : « إذا رضيت على بنو قشير » ، بمعنى عنى : ٢٩٩ .

• « على » تدخل مكان « الباء » كقولهم « مررت بفلان » و « مررت على فلان » ، و « الباء » مكان « على » كقوله تعالى : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار » ، أى على قنطار : ٣١٣ .

• لكل حرف من حروف الجرّ معنى هو أولى به من غيره ، فلا يصلح تحويل ذلك عنه ، إلا بحجة يجب التسليم لها : ٢٩٩ .

• حروف الجرّ يعاقب بعضها بعضاً : ٢٩٩ .

• « الذى » بمعنى « الذين » كقوله : « فإنّ الذى حانت بقلج دماؤهم » ، أى الذين : ٣٢٠ .

• « أو » بمعنى الشكّ ، كقولك « لقينى أخوك أو أبوك » ، ومجيئها بمعنى « الواو » التى تلحق المثل بالمثل ، كقوله : « لنفسيّ ثقها أو عليها فجورها » ، أى : وعليها فجورها . : ٣٣٦ ، ٣٣٧

• « الباء » فى الثلاثى مثل : « ذهب يبصره » ، بمعنى الرباعى : « أذهب بصره » : ٣٦٠ .

• « لعلّ » للشكّ ، وتأتى بمعنى التعليل ، مثل قوله : « لعلكم تتقون »
أى : لتتقوا ربكم : ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

• « مَن » ، و « ما » بمعنى الذى — العربُ تعربُ صلاتهما بإعرابهما لأنهما يكونان نكرةً أحياناً ومعرفةً أحياناً ، كقوله . « وكفى بنا فضلاً على من غيرنا » بجر « غير » : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

• حذف « بن » و « إلى » فى مثل قولهم : « مطرنا ما زبالة فالثعلبية » ، أى ما بين زبالة إلى الثعلبية : ٤٠٥ .

• « ما » وزيادتها فى الكلام : ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

• « ماذا » وتفسيرها : ما الذى : ٤٠٧ .

• « ذا » بمعنى « الذى » فى قولهم : « ماذا أراد » ، أى ما الذى أراد : ٤٠٧ .

• « كيف » بمعنى التوبيخ والتعجب ، لا بمعنى الاستفهام ، فى قوله : « كيف تكفرون بالله » : ٤٢٧ .

• « أين » بمعنى التوبيخ والتعجب ، لا بمعنى الاستفهام فى قوله : فأين تذهبون : ٤٢٧ .

• « قد » يقتضيهما الفعل الماضى إذا حل محل الحال ، وحذفها وبقاؤها مضمرة ، كقوله : « أو جاءوكم حصرت صدورهم » ، أى : وقد حصرت

• « إذا » حرف زائد معناه الحذف : ٤٣٩ — ٤٤١ .

• « إذ » حرف بمعنى الجزاء ، ويدل على مجهول من الوقت : ٤٤٠ .

• « فإذا وذلك » بيان معناها فى مثل قوله : « فإذا وذلك لامهاه لذكره » : ٤٣٩ — ٤٤١ .

• « إذ » إذا تقدمها فعل مستقبل صارت علة للفعل وسبباً له ، كقولك : « أقوم إذ قمت » ، معناه : من أجل أنك قمت : ٤٩٣ .

• « إن » بمعنى « إذ » ، وفساد قول من قال ذلك : ٤٩٣ .

• « أن » بمعنى « إذ » : ٤٩٣ .

- « كى » تنصب الأفعال المستقبلية للزومها الاستقبال : ٥٢٢
- « الفاء » فى قوله « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وقعت فى موضع الشرط فنصب بها ، وأنزلوها منزلة « كى » : ٥٢١ ، ٥٢٢ .
- وجوب إضمار « أن » مع « لا » فى تأويل من قال : « ولا تقربا هذه الشجرة » بمعنى ولا يكن منكما قرب هذه الشجرة : ٥٢٢
- لا يجوز تأويل « أن » فى المصدر فى قولك : « عسى أن يفعل » فتقول : عسى الفعل : ٥٢٢
- لا يجوز إظهار « أن » فى قولك : « ما كان ليفعل » ، فتقول : ما كان لأن يفعل : ٥٢٢
- « الفاء » فى نية العطف على النهى ، كما فى قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ، أى ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين ، كأنه أراد تكرار النهى : ٥٢٢
- « ما » الزائدة ، فى قولهم « إمتا » و « بعين ما أرينتك » : ٥٤٨ ، ٥٤٩ .
- « ما » نى فى مثل قولهم : « بعين ما أرينك » : ٥٤٩
- « إمتا » وبيان تصريحها : ٥٤٨
- « من » للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، غير متصرفة تصرف الأسماء : ٥٦٢ .

فهرس التفسير

تصدير « تراث الإسلام »

المقدمة

٣-٧ خطبة التفسير

٨-١١٣ « رسالة التفسير » (مقدمة التفسير)^(١).

٨ « باب » : بيان اتفاق معاني القرآن ، ومعاني منطق لسان العرب .

٩ تفاضل مراتب البيان ، وإعجاز القرآن .

١٠ بعض كلمات مسيلمة ، لعنه الله .

١١ إرسال الرسل بلسان قومهم ، وأن الله لا يخاطب أحداً إلا بما يفهمه المخاطب .

١١ القرآن عربي

١٢ خصائص كلام العرب : الإيجاز والاختصار ، والإظهار والإخفاء ، ...

١٣ « باب » : بعض ما اتفقت فيه ألفاظ العرب العجم

١٣ الأخبار من ١ - ٦ في ذكر كلمات من القرآن اتفقت مع ألفاظ العجم ، وقول من قال : في القرآن من كل لسان .

١٤ تأويل الطبري لهذه الأخبار ، واحتجابه على أنه ليس في القرآن غير لسان العرب .

٢١ « باب » : اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب .

٢١ حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، وفيه رواياته : الأخبار من ٧-٦٦ .

(١) رأيت في ترجمة الطبري ، أنه كان يسمى «مقدمات كتبه « رسالة » . وكان لكل كتاب من كتبه الكبيرة « رسالة » . وسأبين ذلك في ترجمته المفردة .

- ٤٦ استدلاله بهذه الأخبار على أن القرآن نزل ببعض لغات العرب دون جميعها ،
وأن لغاتها أكثر من سبعة ، بما يعجز عن إحصائه .
- ٤٧ الرد على من تأول هذه الأخبار أنها نزلت بأمر وزجر وترغيب وترهيب ،
وأن أبواب اللجنة السبعة هي الأمر والزجر
- ٤٨ اختلاف الأحرف السبعة اختلاف ألفاظ باتفاق المعاني .
- ٤٨ أن الذي تمارى فيه الصحابة ، كان اختلافاً في اللفظ ، دون ما تدل عليه
التلاوة من التحليل والتحريم وما أشبه ذلك .
- ٤٩ أن الله لم ينزل كتابه إلا بحكم واحد متفق في جميع خلقه . وأن النبي صلى
الله عليه وسلم لم يقض في شيء واحد ، في وقت واحد ، بحكمين مختلفين ،
ولا أذن بذلك لأمة .
- ٥٥ سؤال من سأل : أوجدنا حرفاً في كتاب الله مقروءاً بسبع لغات . وسياق
مقالته وحجته .
- ٥٧ الرد على سؤاله ، وأن الأحرف السبعة هن لغات سبع ، في حرف واحد ،
في كلمة واحدة ، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني
- ٥٨ الخبر عما كان من أمر الأحرف الستة الأخر .
- ٥٩ خبر زيد بن ثابت ، في شأن جمع القرآن على عهد أبي بكر . ثم اختلاف
الناس على عهد عثمان ، وجمع الناس على مصحف واحد وحرف
واحد . الأخبار من ٥٩ - ٦٤ .
- ٦٣ الحكمة في جمع الناس على حرف واحد ، وصواب ما فعله عثمان .
- ٦٤ أن القراءة بالأحرف السبعة لم تكن أمر يجاب وفرض ، بل كانت أمر
إباحة ورخصة .
- ٦٥ أن اختلاف القراءة في الرفع والجرح والنصب ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق
الصورة ، كما هي القراءة اليوم ، فليس من الأحرف السبعة في شيء . وأن
المراء فيها لا يوجب كفراً .
- ٦٦ أن الأحرف الستة الأخر ، لا حاجة بنا إلى معرفتها .

- ٦٦ الأخبار في أن الألسنة خمسة من لسان العجز من هوازن ، وأن اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة .
- ٦٧ بيان العجز من هوازن .
- ٦٨ ﴿ باب ﴾ : نزول القرآن من سبعة أبواب الجنة .
الأخبار ٦٧ - ٧٠ وتأويل معانيها .
- ٧٢ شرح قوله صلى الله عليه في الخبر رقم : ١٠ : « لكل حرف منها ظهر وبطن ، والكل حرف حد ، ولكل حد مطلع » .
- ٧٣ ﴿ باب ﴾ : الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن .
- ٧٤ ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان رسول الله ، وما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار .
- ٧٥ وما يعلم تأويله كل ذي علم بلسان العرب .
- ٧٥ خبر ابن عباس : أن التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى .
- ٧٧ ﴿ باب ﴾ : الأخبار في النهي عن تأويل القرآن بالرأى .
- ٧٨ أن القائل في القرآن برأيه ، وإن أصاب الحق ، فقد أخطأ .
- ٨٠ ﴿ باب ﴾ : الأخبار في الحض على العلم بتفسير القرآن ، ومن كان يفسره من الصحابة .
- ٨٢ حث الله تعالى على الاعتبار بالقرآن وتدبره .
- ٨٤ ﴿ باب ﴾ : أخبار غلط في تأويلها منكر و القول في تأويل القرآن الأخبار من ٩٠ - ١٠٣ .
- ٨٧ شرح الطبري لهذه الآثار ، وبيان معانيها ، وبيان معنى قول عائشة إن رسول الله لم يكن يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعدد .
- ٩٠ ﴿ باب ﴾ : الأخبار عن من كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير ، ومن كان منهم مذموماً علمه به .

- ٩٢ الوجوه الثلاثة في تأويل القرآن، وبيان إصابة الحق في التفسير كيف تكون .
- ٩٤ ﴿ باب ﴾ : القول في تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه .
- ٩٤ أسماء القرآن الأربعة ، وتفسيرها .
- ٩٤ معنى « القرآن »
- ٩٨ معنى « الفرقان »
- ٩٩ معنى « الكتاب »
- ٩٩ معنى « الذكر »
- ١٠٠ أسماء سور القرآن التي سماها بها رسول الله ، والأخبار في ذلك .
- ١٠١ معنى : « السبع الطول » ، وما هي
- ١٠٢ خبر الأنفال وبراءة .
- ١٠٣ معنى « المثنون »
- ١٠٣ معنى « المثنائي »
- ١٠٤ معنى « المفصل » ، « العربي »
- ١٠٤ معنى « سورة »
- ١٠٦ معنى « آية »

• • •

- ١٠٧ ﴿ باب ﴾ : القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب
- ١٠٧ معنى « فاتحة الكتاب »
- معنى « أم القرآن »
- ١٠٩ معنى « السبع المثنائي »

• • •

- ١١١ ﴿ باب ﴾ : القول في تأويل الاستعاذة

١١٣ خبر أول سورة أنزلت من القرآن : « اقرأ »

• • •

١١٤ ﴿ باب ﴾ : القول في تأويل : « بسم الله الرحمن الرحيم »

١١٤ الفعل الجالب للباء في « بسم »

١١٥ أن « اسم » بمعنى المصدر « تسمية »

١١٨ تعليق على صحة مذهب الطبري أن كلمة « اسم » مصدر جاء على غير بناء فعله ، بمعنى « تسمية » .

١١٨ أن القائل « بالله » عند تذكية البهائم والأنعام ، تارك ما سن له بإجماع الجميع .

١١٩ الرد على قول من قال إن « اسم » زائد في بيت لبيد :

• إلى الحول ثم اسم السلام عليكما •

١٢٢ « الله » وبيان تفسيره

١٢٣ « الإله » و « الإلاهة » وفعلهما

١٢٦ « رحمن » و « رحيم » ، وبيان الفرق بينهما ، وإن كان اشتقاقهما من « الرحمة »

١٣١ بطلان زعم من زعم أن العرب لم تكن تعرف « الرحمن »

١٣٢ خطأ من زعم أن « الرحمن » : ذو الرحمة ، وأن « الرحيم » : الراحم .

١٣٣ « الرحمن » اسم منع من التسمي به ومن الوصف به . و « الرحيم » اسم يجوز الوصف به .

• • •

١٣٥ ﴿ باب ﴾ : القول في تأويل فاتحة الكتاب

١٣٩ خطأ من قرأ « الحمد لله » واستحقاقه العقوبة إذ قرأها وهو عالم بخطئه .

١٤٣ كل أهل زمان « عالم » ذلك الزمان .

- ١٤٦ مذهب الطبرى أن « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ليست آية من الفاتحة .
- ١٤٧ ليس فى القرآن آيتان متجاورتان مكررتان بمعنى واحد
- ١٤٨ اختلاف القراء فى « مالك » و « ملك » ، وبيان وجوههما .
- ١٥١ تفضيل بنى إسرائيل على العالمين ، تفضيل موقوت بزمانهم
- ١٥٢ قراءة من قرأ « مالك » بنصب الكاف ، ورفض هذه القراءة
- ١٥٦ الكلام فى إسناد من أكثر الأسانيد دوراناً فى تفسير الطبرى .
- ١٦٢ بيان معنى أمر الله عباده أن يسألوه المعونة .
- ١٦٣ سبب تقديم الخبر عن العبادة ، وتأخير طلب المعونة .
- ١٦٤ وجه تكرار « إياك » فى الآية .
- ١٦٧ أن الله لا يكلف عبداً فرضاً إلا بعد تبينه له ، وإقامة الحجة عليه .
- ١٧٩ الدليل على أن طاعة الله لا ينالها المطيعون إلا بإنعام من الله .
- ١٨٢ كراهة القراءة بنصب « غير المغضوب » .
- ١٨٤ حاجة الطبرى إلى ذكر وجوه إعراب القرآن ، منع أنه قصده فى كتابه وجوه تأويل القرآن .
- ١٨٨ صفة غضب الله تعالى .
- ١٩٠ ردّ مقالة من قال : « غير » فى آية الفاتحة ، بمعنى « سوى » .
- ١٩٨ (باب) : مسألة يسأل عنها أهل الإلحاد والطاعنون فى القرآن : أن قوله تعالى : « ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين » قد حوت معانى الآيات الخمس الباقية من سورة فاتحة الكتاب . وجواب الطبرى .
- ١٩٨ « التَّوْرَة » مواعظ وتفصيل ، و « الزبور » تحميد وتمجيد ، « والإنجيل » مواعظ وتذكير - ليس فى واحد منهما معجزة تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق .
- ١٩٨ المعانى التى فضل بها القرآن سائر الكتب ، وهى خالية منها
- ٢٠٠ حديث « فاتحة الكتاب » ، وما يجاب به العبد إذا تلاها

٢٠٥ ﴿القول في تفسير السورة التي يذكر فيها البقرة﴾ .

* * *

٢٠٥ وجوه القول في فواتح سور القرآن ، وبيان كل قول ، وما رجحه الطبري من معاني هذه الوجوه .

٢٠٩ ذكر « أ ب ت ث » ، و « ح ط ي » ، و « أ ب جاد »

٢١٥ بعض سور القرآن يفتحها الله بالحمد لنفسه ، وبعضها بتعظيم نفسه بالتسبيح .

٢٢١ كيف يجوز أن يكون حرف واحد شامل للدلالة على معان كثيرة .

٢٢٢ كَلَّ من تأول شيئاً على وجه دون وجه ، سئل البرهان على دعواه بما يجب التسليم له . ثم يعارض بقول مخالفه ، ويسأل عن الفرق بينه وبينه من أصل يدل عليه .

* * *

٢٣٧ اختلاف أهل التأويل في القوم الذين نزلت فيهم أوائل سورة البقرة : أنهم مؤمنو العرب خاصة ، وأنهم مؤمنو أهل الكتاب خاصة ، وأنهم جميع المؤمنين من العرب والعجم وأهل الكتابين ، وسواهم .

٢٣٩ أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في المناقنين .

٢٤٣ كانت النفقات قربات ، قبل نزول فرض الزكاة ، وفرائض الزكاة في سورة براءة .

٢٤٦ خبر ابن عباس : أن سورة البقرة من أولها تعريض بدم كفار أهل الكتاب .

٢٥١ اختلاف المفسرين في الذين عنوا بقوله : « إن الذين كفروا سواء عليهم . . . » ، أنهم اليهود ، أو أنهم الكفار جميعاً ، أو أنهم الذين قتلوا يوم بدر .

- ٢٦٣ قراءة من قرأ : « وعلى أبصارهم غشاوة » بنصب « غشاوة » غير جائزة ، وإن كان لها مخرج في العربية . وبيان هذا المخرج .
- ٢٧٠ صفة المنافق .
- ٢٧٠ ما كان عليه اليهود من عداوة رسول الله صلى الله عليه .
- ٢٨٢ اختلاف القراء في قراءة : « بما كانوا يكذبون »
- ٣٠١ الاختلاف في صفة استهزاء الله عز وجل
- ٣٠٥ الرد على من نفي عن الله تعالى ما وصف به نفسه .
- ٣٣٠ ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين
- ٣٧١ أن العرب في جاهليتها كان عندها من العلم بوحداية الله وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم ، نظير الذي كان عند أهل الكتابين .
- ٣٨٤ أخبار في صفة الجنة .
- ٣٨٩ أخبار في صفة ثمار الجنة .
- ٣٩٥ أخبار في صفة الأزواج المطهرة .
- ٤١١ العهد الذي أخذه الله على الناس حين أخرجهم من صلب آدم .
- ٤١٧ كل شيء نسبته الله إلى غير أهل الإسلام من مثل اسم « خاسر » فلأنما يعنى به الكفر ، وما نسبته إلى أهل الإسلام ، فلأنما يعنى به الذنب .
- ٤١٨ القول في الإحياء والإماتة مرتين .
- ٤٢٦ أن رسول الله صلى الله عليه ، لم يكن قط كاتباً ، ولا لأسفار أهل الكتاب تالياً ، ولا لأحد منهم مصاحباً ومجالساً .
- ٤٣٣ الخبر في خلق السماء من رقم ٥٩٠ - ٥٩٥
- ٤٤٨ خبر دحو الأرض من مكة ، وأن بها قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم ، والركن ، والمقام .
- ٤٤٩ الأخبار في خلق آدم وخلافته وما كان من قول الملائكة وإبليس من رقم ٦٠٠ - ٦١٦

- ٥٠١ الأخبار في ذكر إبليس وما كان قبل لعنته .
 ٥١٢ الأخبار في أمر آدم وحواء .
 ٥٢٤ اختلاف القراء في قراءة : « فأزلهما الشيطان » .
 ٥٢٦ أخبار استئلال إبليس آدم وحواء ، ودخوله الجنة بعد طرده . أخبار
 من رقم ٧٤٢ - ٧٥٢ .
 ٥٣٥ الذين أهبطوا من الجنة ، والعداوة بين آدم والحية .
 ٥٤٢ الاختلاف في الكلمات التي تلقاها آدم

• • •

- ٥٧٩ فهرس الآيات التي استدل بها في غير موضعها من التفسير
 ٥٨٥ فهرس اللغة
 ٥٩٠ فهرس أعلام المترجمين في التعليق
 ٦٠٢ فهرس المصطلحات
 ٦٠٣ فهرس الرد على الفرق
 ٦٠٤ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرهما